



**جمهورية العراق**

**وزارة التعليم العالي والبحث العلمي**

**جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية**

**قسم الدراسات القرآنية والفقه**

**نور التوفيق وكشف التدقيق**

**لملاً محسن بن محمد طاهر القزويني (١١٥٠هـ)**

**من أول سورة آل عمران إلى نهاية الآية (١٠٣)**

**- دراسة وتحقيق -**

أطروحة مقدّمة إلى مجلس كُليّة العلوم الإسلاميّة / جامعة كربلاء، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في فلسفة الشريعة والعلوم الإسلاميّة

**كُتِبَتْ مِنْ قِبَلِ الطَّالِبِ**

**رائد خضير محمد**

**إشراف**

**أ.د. إقبال وافي نجم**

**٢٠٢٤م**

**١٤٤٦هـ**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ

تُنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾

صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

سُورَةُ الْكَهْفِ: الْآيَةُ ١٠٩

## ترشيح الأطروحة للطبع

نظراً لإنجاز الأطروحة ( فصولها ومباحثها ) الموسومة بـ ( نور التوفيق وكشف التدقيق لعلا  
محسن بن محمد طاهر القزويني (1150هـ) من أول سورة آل عمران إلى نهاية الآية 103- دراسة  
وتحقيق ) لطالب الدكتوراه ( راند خضير محمد حسين ) فأنني أرشحها للطبع .

1

التوقيع: 

المشرف: د. أ. إقبال راني نجم

مكان العمل: جامعة كربلاء / كلية العلوم

التاريخ: 15 / 9 / 2015 م

الإسلامية

## إقرار المشرف

أشهد أنّ الأطروحة الموسومة بـ (نور التوفيق وكشف التدقيق لملا محسن بن محمد طاهر القزويني (1150هـ) من أول سورة آل عمران إلى نهاية الآية 103- دراسة وتحقيق) التي قُدمت من قبل الطالب (راند خضير محمد حسين) وقد تم إعدادها بإشرافي في جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية وهي من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه ؛ فلسفة في الشريعة والعلوم الإسلامية.

  
التوقيع:

المرتبة العلمية: أستاذ دكتور

الإسم: إقبال راني نجم

مكان العمل: جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

التاريخ: 18/8/2017م

بناءً على التوصيات المتوافرة أُرشح هذه الأطروحة للمناقشة.

  
التوقيع:

الإسم: أ.م.د. عمار محمد حسين الزفاري

التاريخ: 18/8/2017م

شهادة الخبير اللغوي

( الموسومة

اطلعت على رسالة الطالب/هـ )

بـ (فور التوقيف وكشف التدقيق حلاً محسن بن محمد بن طاهر القزويني (١١٥٠هـ)  
من أول سورة آل عمران وقومتها لغوياً وأجد أنها صالحة للمناقشة .  
ان نهاية الآية  
١٠٤ - دلائل دكشاف -



التوقيع:

المرتبة العلمية: استاذ دكتور

الاسم: لسريه هنون محسن

مكان العمل: كلية العلوم الإسلامية

التاريخ: ١٨ / ٧ / ٢٠٢٤



## الإهداء

إلى... سادتي وقادتي وعدّتي، يامن أرجو بشفاعتهم نجاة  
من النّار، أئمّتي أهل بيت النّبوة، ومعدن الرسالة، وأسس  
الأرض، ونورها الوهّاج، الذين أذهب الله عنهم الرجس  
وطهّهم تطهيراً.....

إلى... من كانا وما يزالان شمسين ينيران دربي، ويرفعان  
بصبرهما وجهدهما ما يصادفني من عوائق ومتاعب... أبي  
(معلّمِي الأول)، برغبته الصادقة في أن تكون العلوم  
الإسلامية وجهتي ومطربي، وأمّي بدعائها الدائم لي وتأمّلها  
المستمر في أن تراني بأعلى مراتب العلم والمعرفة.

إلى... من تقوى بهم همّتي ويشدّ بهم أزرِي ... إخوتي  
.... وفاءً.

إلى... من شاركوني رحلتي البحثية، وتحملوا عناءها  
وتقصيري تجاههم... أسرتي العزيزة... حباً وإخلاصاً.

## الشكر والعرفان

لزاماً عليّ إرجاع المعروف إلى من صنعه والفضل إلى أهله لذا أتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان إلى كلّ من أسهم بإخراج هذا العمل، وأخصّ بالذكر منهم مبتدئاً بأستاذتي الفاضلة جناب الدكتورة إقبال وافي نجم؛ لقبولها الإشراف على أطروحتي، وبما تفضّلت عليّ من توجيهات سديدة، ورأي رشيد، وتذليل ما واجهني من صعوبات، فقد كانت لي نِعْمَ الأستاذة والموجهة التي لم تدخر جهداً ولطالما أمضت وقتاً في سبيل هذه الأطروحة فجزاها الله عني أفضل الجزاء.

وأتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى الدكتور الفاضل محمد علي هوبي الربيعي لما له من دور في اقتراح الموضوع، ورعايته المستمرة لي بتقديم النصّح والإرشاد. وحقّ عليّ أن أرفع أسمى آيات الشكر والعرفان إلى أساتيدي خلال الدراسة، سائلاً المولى عزّ وجلّ أن يتقبّل أعمالهم بأحسن ما يرجون، ويوفّقهم لما يحبّ ويرضى إنّه سميعٌ مجيبٌ.

كما لا أنسى أن أذكر وأشكر عمادة كلية العلوم الإسلامية، ورئاسة قسم الدراسات القرآنية؛ لقبولهم إياي طالباً لديهم.

وكذلك لا بد من أن يكون للمشرفين اللغويّ والعلميّ نصيب من الشكر؛ فهما من قوماً هذا الجهد من الشوائب ليظهر بهذا الشكل فلهما منّي كلّ التقدير.

وأشكر أيضاً رئيس لجنة المناقشة وأعضاءها الأجلاء الذين لهم الفضل بقبولهم قراءة أطروحتي وتصويب ما جاء فيها من هفوات، وتقويمها لتخرج بصورة أفضل.

والشكر موصول لكلّ من قدّم نصحاً أو بذل جهداً في سبيل هذه الأطروحة، وأخصّ منهم زملائي الذين شاركوني هذه الرحلة العلمية لا سيّما الأستاذ العزيز محمد باقر الهاشمي فجزاهم الله عني أفضل جزاء المحسنين ووفّقهم لكلّ خير.



## الخلاصة

قد وصلت إلينا جهود علمائنا التفسيرية مضمرة بين طيات الجلود، فكان لزاماً على جيلنا أن يُحرز فتوحات تحقيقية تُخرج المٌضمر إلى النور، كي يقترب النص المحقق من لحظة القراءة الراهنة، ولا يبقى حبيس اللحظة التي تشكّل بها وما يحيط به من بيئة وفهم وتأويل.

ومهما كثرت الدراسات وتنوّعت حول القرآن الكريم لن تستطيع الإحاطة بما جاء فيه من العلوم والمعارف، والتي قد شكّلت منذ نزوله مادّة خصبة لكثير من العلماء ينتهل منها كلّ واحد منهم بحسب أفقه المعرفي وإخلاصه وتحديات جيله، والمشكلات التي فرضت على واقعه، وممّن تعرّض لذلك الملاً محسن القزويني في تفسيره (نور التوفيق وكشف التدقيق)، والذي قد جاءه متسلحاً بما يتيح له الخوض في التفسير، ابتداءً بالإخلاص لهذا الكتاب الكريم والإيمان به وبقداسته، وانتهاءً بوجود توافر الأدوات التي تمكّنه من الدخول إلى آفاقه كالمعرفة بعلوم القرآن وعلوم الحديث واللغة وغيرها.

ومحاولتي هذه ما هي إلاّ تعبير صادق لإحياء الموروث الذي ورثناه عن علمائنا الأفاضل (رحمهم الله) فعادت مخطوطاتهم بهذا الصدد محل تقدير لمتابعة ما قدّموه لنا من جهد ينمّ عن ارتباطهم الصادق بعقيدتهم ودينهم العظيم؛ لذا صيرَ إلى اختيار المخطوطة الموسومة بـ(نور التوفيق وكشف التدقيق) للملاً محسن القزويني لتكون موضوع هذه الدراسة.

ونظراً لما توافرت لديّ المعلومات ورسخ ببالي الجهد المتميز لنتاج هذه المخطوطة والذي كشف بدوره عن الأهمية العلمية الكبرى لها، فقد دفعتني الرغبة الجامحة لخدمة الكتاب العزيز من خلال جهود هذا العالم المتميزة علني أصل الى مبتغاي في خدمة القرآن العظيم، فضلاً عن روعة الأداء، وبلاغة التعبير، وجمالية العرض، وتقبّل النفس لما عرضه المؤلّف، كلّ هذه الأسباب كان لها أثر بالغ في نفسي لثبوت طروحاته وأهمية الموضوع لدي.

فصار هذا التفسير مداراً للبحث لتقسم خطته على قسمين أحدهما للدراسة والتي تضمّنت فصولاً ثلاثة سبقّت بمقدّمة لفحواها، الأوّل موسوماً في السيرة الذاتية للمؤلّف، ثمّ خصّصنا فصلاً ثانياً لدراسة المباحث القرآنية في التفسير، ثمّ جاء دور الفصل الثالث الذي زخر بمواضيع عقديّة وعباديّة وروائيّة ولغويّة وأدبيّة ونحويّة فكان وفيراً ببيان تلك المواضيع.

ثمّ خُتِمَ بذكر أهمّ النتائج التي توصل إليها الباحث في دراسته هذه. أما القسم الثاني فقد اختصّ بالتحقيق فابتدأ بوصف المخطوطة بنسختها المعتمدة، أعقبه بيان منهج التحقيق، ثمّ توضيح للرموز والمختصرات التي وردت في المخطوطة، مع عرض بعض صور من صفحات المخطوطة، وصولاً إلى النصّ المحقّق، ثمّ ثبت للمصادر والمراجع التي تمّ الاعتماد عليها في قسمي الدراسة والتحقيق.

وقد تمخض عن دراسة المخطوط نتائج عدّة منها:

١- ظهر جلياً من المتابعة لمنهجية القزويني اعتماده على منهج تفسير القرآن بالقرآن، من خلال ارجاع وربط الآيات ببعضها، وكذلك الاعتماد على السياق القرآني في الاستدلال لبيان معاني بعض الآيات القرآنية، مستخرجاً المعنى للآيات المراد تفسيرها في نطاق قرآني داخلي من القرآن وإلى القرآن .

٢- تعرّض القزويني خلال التفسير لآراء العلماء في المسائل العقديّة أو التفسيرية، ويفرد لمطارحتها أبواباً في الردّ عليهم، مناقشاً إيّاهما، منتهياً إلى ما يراه الصائب منها بمقتضى الأدلة والبراهين.

٣- احتلّ تفسير نور التوفيق وكشف التدقيق الصدارة من حيث الجمع بين المناهج والخروج عن النزعة الأحادية التي غلبت على الحقبة التي أُلّف فيها، وهو بحدّ ذاته يعدُّ أمراً صعباً لا سيّما بلحاظ تلك الحقبة التي شهدت تباين مناهج في كافّة المستويات في بيان التفسير والعقيدة والفقهِ والشريعة بشكل عام.

## المحتويات

رقم الصفحة	الموضوع
أ	الآية القرآنية
ب	الإهداء
ت	الشكر والعرفان
ث	الخلاصة
ح - د	المحتويات
١ - ٤	مقدمة
١٤٦ - ٥	القسم الأول: الدراسة
٤٨ - ٦	الفصل الأول: في المؤلف والمؤلف
٢٥ - ٧	المبحث الأول: في المؤلف (ملا محسن القزويني في سطور)
٨	المطلب الأول: اسمه ونسبه
٩	المطلب الثاني: أساتذته وتلامذته
١١	المطلب الثالث: مصنفاته
١٩	المطلب الرابع: مكانته العلمية وما قاله العلماء في حقّه
٢١	المطلب الخامس: عصره
٢٥	المطلب السادس: وفاته
٤٨ - ٢٦	المبحث الثاني: في المؤلف (تفسير نور التوفيق وكشف التدقيق)
٢٧	المطلب الأول: نسبة الكتاب إلى المؤلف
٢٨	المطلب الثاني: تسمية التفسير
٢٩	المطلب الثالث: مصادره في التفسير
٤٢	المطلب الرابع: منهجية المؤلف

٤٦	المطلب الخامس: القيمة العلمية لتفسير (نور التوفيق وكشف التدقيق)
٨٤ - ٤٩	الفصل الثاني: المباحث القرآنية في التفسير
٦٠ - ٥٠	المبحث الأول: مسائل علوم القرآن وتاريخه
٥١	المطلب الأول: مباحث علوم القرآن
٥١	أولاً: المحكم والمتشابه
٥٥	ثانياً: المجمل والمفصل
٥٦	المطلب الثاني: مباحث تأريخ القرآن
٥٧	أولاً: القراءات
٦٤	ثانياً: أسباب النزول
٨٤ - ٦٦	المبحث الثاني: إشكالية تحريف القرآن عند القزويني ومختاراته التفسيرية
٦٦	المطلب الأول: إشكالية تحريف القرآن عند القزويني
٧٥	المطلب الثاني: مختارات القزويني التفسيرية
١٤٢ - ٨٥	الفصل الثالث: المباحث العقدية والفقهية والروائية واللغوية في التفسير
٩٩ - ٨٦	المبحث الأول: المسائل العقدية والكلامية
٨٧	المطلب الأول: التوحيد
٨٨	المطلب الثاني: العدل
٩١	المطلب الثالث: النبوة
٩٢	المطلب الرابع: الإمامة
٩٦	المطلب الخامس: المعاد
٩٧	المطلب السادس: التقية
١١١ - ١٠٠	المبحث الثاني: المسائل الفقهية
١٠١	المطلب الأول: في العبادات

١٠٩	المطلب الثاني: في المعاملات
١١٢ - ١٢٤	المبحث الثالث: المسائل الروائية
١٢٥ - ١٤٢	المبحث الرابع: المباحث اللغوية والبلاغية
١٢٦	المطلب الأول: مسائل لغوية
١٣٠	المطلب الثاني: مسائل نحوية
١٣٤	المطلب الثالث: الفروق اللغوية
١٤١	المطلب الرابع: وقفات بلاغية
١٤٣ - ١٤٦	خاتمة الدراسة
١٤٧ - ٥٩٧	القسم الثاني: التحقيق
١٤٨	أولاً: النسخة المعتمدة
١٥٢	ثانياً: وصف المخطوط
١٥٢	ثالثاً: منهجية التحقيق
١٥٥	رابعاً: صور من بعض صفحات المخطوط (نور التوفيق وكشف التدقيق)
١٦٠ - ٥٩٧	نور التوفيق وكشف التدقيق (النص المحقق)
٥٩٨ - ٦٣٥	المصادر والمراجع
A _ C	Abstract

المَقْدِمَةُ

## مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله مستخلص الحمد لنفسه ومستوجبه على خلقه حمداً كثيراً دائماً لا ينقطع أبداً ولا يحصي له الخلائق عدداً، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم على المبعوث رحمة للعالمين أبي القاسم محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، أما بعد.

فإن القرآن الكريم هو السنام الأعظم والدستور الأقوم لكل صغيرة وكبيرة مما يقدم للإنسان من معالم وآثار ليتنعم بثمارها ويستمتع بما حباه الله جلّ وعلا من قيم عليا له تؤدي بالإنسانية كافة إلى الوصول لأرقى قمم المجد والسمو؛ لذلك فهو مدعاة لاستنطاق نصوصه ومضامينه الشريفة بأية لحظة من لحظات حياة الإنسان، وعلى ذلك ابنتت مصالح الأمم؛ لأنّ الدلائل تتزرى على ثبوت ذلك يوماً بعد يوم وهذا ما نتلمسه باستمرار، فلا استقرار ولا استمرار ولا استنصار إلا بتتبع رحمته ومرافقته على الدوام والنظر الثاقب إلى تنفيذه.

لقد أدرك الرعيل الأوّل من العلماء ذلك بكلّ وضوح وذهب كلّ من اختصّ بعلم القرآن إلى البحث في هذه المزايا التي انماز بها النصّ القرآنيّ، ولا سيّما من ذهب إلى تفسير نصوصه، فنقرعت من هذا الحقل الواسع - أعني تفسير النصوص الكريمة للسور والآيات المشرفة - تفرّعات عدّة في تفسيره وفهم معانيه، فبعضهم اعتنى بالتفسير البلاغيّ لنصوصه، ومنهم من ذهب إلى اللون التربويّ في تفسيراته، وذهب فريق آخر إلى تفسير مضامينه على وفق منهجه البياني، وآخرون ذهبوا إلى تفسير نصوصه بأبعاده الفلسفيّة والعلميّة واللغويّة والموضوعيّة، وغير ذلك من المناهج التفسيرية الأخرى، مع التقائها كافة بسمة مشتركة واحدة، ألا وهي الكشف عن مراد الله جلّ وعلا في نصوصه المقدسة، وهي المهمة التي يطمح إليها كلّ من اشتغل بمجال البيان والتفسير لنصوصه المباركة.

كما ذهبوا إلى استنطاق هذه النصوص والكشف عن كلّ ما تؤدّي إليه هذا النصوص، ومراجعة ما يتمّ التوصل إليه من تلك الجهود لكي تكون حزمة واحدة من أجل خدمة النصّ القرآني المشرف.

وقد برزت من خلال تلك الجهود المتعاقبة للمتصدّين لتفسير النّصّ القرآنيّ نتائج طيّبة، وجب علينا أن نحيطها بكلّ تقدير من خلال الاعتراف بالفضل الذي أسداه العلماء الأوائل والذي لم نزل ننهل منه كثير من البيانات والإيضاحات والإشارات التي أنارت الدّرب لنا بإمكانية التوصل إلى أرقى النتائج الممكنة لا سيّما إذا تلاقت مع ما أبداه رعيّل المحقّقين والمفسّرين من العلماء المحدّثين في متابعة ما رسموه لنا من خرائط سهّلت لنا التتبع في انتهاج طريق السّلامة وإمكانية ربط الماضي بالحاضر؛ لتتوير الأفكار وكشف الأسرار.

إنّ محاولتي التي هي الآن بين أيديكم الكريمة ما هي إلاّ تعبير صادق لإحياء الموروث الذي ورثناه من هؤلاء الكرام من علمائنا الأفاضل (رحمهم الله) فعادت مخطوطاتهم بهذا الصّد محلّ تقدير لمتابعة ما قدّموه لنا من جهد ينمّ عن ارتباطهم الصّادق بعقيدتهم ودينهم العظيم؛ لذا صير إلى اختيار المخطوطة الموسومة ب(نور التّوفيق وكشف التّدقيق) للملّا محسن القزوينيّ لتكون موضوع دراستنا هذه، فجاءت تحت عنوان: (نور التّوفيق وكشف التّدقيق لملّا محسن بن محمّد ظاهر القزويني (١١٥٠هـ) من أوّل سورة آل عمران إلى نهاية الآية ١٠٣ - دراسة وتحقيق -).

أهميّة البحث:

نظراً لما توافرت لديّ من معلومات ورسخ بيالي من جهد متميّز لنتاج هذه المخطوطة والذي كشف بدوره عن الأهميّة العلميّة الكبرى لها، فقد دفعتني الرغبة الجامحة لخدمة الكتاب العزيز من خلال جهود هذا العالم المتميزة علنيّ أصل إلى مبتغاي في خدمة القرآن العظيم، فضلاً عن روعة الأداء، وبلاغة التعبير، وجماليّة العرض، وتقبّل النفس لما طرحه المؤلّف، كلّ هذه الأسباب كان لها أثر بالغ في نفسي لثبوت طروحاته وأهميّة الموضوع لدي، وتمجيد العلاقة الدّؤوبة بين الذات الإلهيّة والإنسان.

لقد تمكّن القزويني (رحمه الله) بهذا التّفسير الذي اشتملنا على إحاطته جزئياً وبهذا النّزr اليسير من الجهد نستشعر حالة القصور في الأداء حينما نستذكر عطاء القرآن وسعة رحمة الرحمن إنّه العطاء الإلهي من خلال كتابه العزيز وكفى به عطاءً.



فمن خلال مقدّمتي اليسيرة هذه لا أستطيع أن أصل إلى ما تكُنّه نفسي؛ لأنّ الوصف كبير والعطاء يسير تجاه العلام الخبير.

### خطّة البحث:

انقسمت خطّة البحث على قسمين أحدهما للدراسة، والآخر في التّحقيق، وقد اشتملت الدراسة على فصول ثلاثة سُبِقَتْ بمقدّمة لفيها، فكان فصلها الأوّل موسوماً في السّيرة الذاتيّة للمؤلّف وقد اشتمل على وفرة متعلّقات حياته وكان هذا من ضمن المبحث الأوّل للفصل الأوّل إذ كان على ستّة مطالب.

وقد تضمّن المبحث الثّاني من هذا الفصل وصف التّفسير من خلال مطالب خمسة.

ثمّ خصّصنا فصلاً ثانياً موسوماً بـ(المباحث القرآنيّة في التّفسير) وقد ضمّ مبحثين وخمسة مطالب، تعلّقت بدراسة مواضيع في غاية الأهميّة كالمحكم والمتشابه، والمجمل والمفصل، وموضوع القراءات، وأسباب النزول، وإشكاليّة التّحريف في القرآن وآراء المفسّر ومختاراته التّفسيريّة.

ثمّ جاء دور الفصل الثّالث الذي زخر بمواضيع عقديّة وعباديّة ولغويّة وأدبيّة ونحويّة وروائيّة فكان وفيراً ببيان تلك المواضيع.

ثمّ ختمَ بذكر أهمّ النتائج التي توصل إليها الباحث في دراسته هذه.

أمّا القسم الثّاني فقد اختصّ بالتّحقيق فابتدأ بوصف المخطوطة بنسختها المعتمدة، أعقبه بيان منهج التّحقيق، ثمّ توضيح للرموز والمختصرات التي وردت في المخطوطة، مع عرض بعض صور من صفحات المخطوطة، وصولاً إلى النّص المحقّق، ثمّ ثبت للمصادر والمراجع التي تمّ الاعتماد عليها في قسمي الدّراسة والتّحقيق.

مبتغيّاً من الله فضله ورعايته وعطفه، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِيْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.

# القِسْمُ الأوَّلُ

## الدِّرَاسَةُ

الفصل الأوَّل: في المؤلِّف والمؤلِّف

الفصلُ الثَّاني: المَبَاحِثُ القرآنيَّة في التَّفْسير

الفصلُ الثَّالث: المَبَاحِثُ العَقديَّة والفِقهِيَّة والروائيَّة

واللِغويَّة في التَّفْسير

# الفصل الأول: في المؤلف والمؤلف

المبحث الأول: في المؤلف

(ملا محسن القزويني في سطور)

المبحث الثاني: في المؤلف

(تفسير نور التوفيق وكشف التدقيق)

المبحث الأول: في المؤلف

(ملا محسن القزويني في سطور)

المطلب الأول: اسمه ونسبه

المطلب الثاني: أساتذته وتلامذته

المطلب الثالث: مصنفاًته

المطلب الرابع: مكانته العلميّة وما قاله العلماء في حقّه

المطلب الخامس: عصره

المطلب السادس: وفاته

## الفصل الأول: في المؤلف والمؤلف:

المبحث الأول: في المؤلف: (ملاً محسن القزويني في سطور):

المطلب الأول: اسمه ونسبه:

هو الملاً محسن بن محمد طاهر بن محمد مؤمن الطالقاني القزويني<sup>(١)</sup>، والطالقاني نسبةً إلى طالقان بلدةً من بلدات بلخ<sup>(٢)</sup>، وآل الطالقاني إحدى (أقدم الأسر العلمية في قزوين، وهم بقايا آل بويه<sup>(٣)</sup> من ذرية عضد الدولة<sup>(٤)</sup> أبي شجاع فنا خسرو بن ركن الدولة أبي علي حسن بن بويه الديلمي، ومن أشهر رجال هذه الأسرة في القرن الحادي عشر في قزوين الشيخ محمد كاظم الطالقاني المتوفى سنة ١٠٩٤هـ، زعيم الحوزة العلمية في قزوين ومؤسس مدرسة النواب بها<sup>(٥)</sup>، ومن أولاده أرشدهم الخاجة نواب وهو أبو أسرة آل النحوي في النجف الأشرف والحلة، وثاني أولاده الشيخ محمد مؤمن أبو أسرة آل النحوي في قزوين، وثالثهم الشيخ محمد جعفر الطالقاني أبو أسرة آل البرغاني في كربلاء وقزوين)<sup>(٦)</sup>.

كان لتلك الأسرة نصيب وافر من الأعلام النحاة؛ منهم المولى هادي القزويني، والشيخ حسن النحوي القزويني، والمولى قاسم النحوي<sup>(٧)</sup>.

(١) ينظر: أعيان الشيعة: محسن الأمين: ٥٦/٩ .

(٢) ينظر: معجم البلدان: ياقوت الحموي: ٦/٤ - ٧ .

(٣) البويهيون: (أسرة فارسية أسسها أبو شجاع بويه، وقد حاول البعض أن يرجع نسبه إلى الساسانيين لإضفاء النسب الرفيع له، أو إرجاع نسبه إلى وزراء الملوك الساسانيين، ولكن ابن طباطبا يذكر أن أبا شجاع بويه وأباه وجدّه كانوا كأحد الرعية الفقراء ببلاد الديلم)، موسوعة المفاهيم العامة: اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق(ع): ٩٥/١ .

(٤) عَضُدُ الدَّوْلَةِ: (السُّلْطَانُ، عَضُدُ الدَّوْلَةِ، أَبُو شَجَاعٍ، فَتَاخُسْرُو، صَاحِبُ العِرَاقِ وَفَارِسَ، ابْنُ السُّلْطَانِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ حَسَنِ بْنِ بُيُوتِ الدِّيْلَمِيِّ، تَمَلَّكَ بِفَارِسَ بَعْدَ عَمِّهِ عِمَادُ الدَّوْلَةِ، ثُمَّ كَثُرَتْ بِلَادُهُ، وَاتَّسَعَتْ مَمَالِكُهُ، وَسَارَ إِلَيْهِ الْمُتَنَبِّئِيُّ وَمَدْحَهُ، وَأَخَذَ صِلَاتِهِ، قَصَدَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ العِرَاقَ، وَالتَّقَى ابْنَ عَمِّهِ عَزَّ الدَّوْلَةَ وَقَتَلَهُ، وَتَمَلَّكَ، وَذَانَتْ لَهُ الأُمَّمُ)، سير أعلام النبلاء: الذهبي: ٢٤٩/١٦ .

(٥) ينظر: مستدرك أعيان الشيعة: حسن الأمين: ٣٠١/٢ .

(٦) شبكة الإمام الرضا، قزوين العالم الإسلامي المدن الإسلامية، مدن شهيرة . [http://www.Imam\\_reza.net](http://www.Imam_reza.net)

(٧) ينظر: تكملة أمل الأمل: حسن الصدر: ١٩١/٦-١٩٢، طبقات أعلام الشيعة: الطهراني: ٢٤١/١٢،

أما الملا محسن القزويني فلقب بصاحب العوامل في النحو<sup>(١)</sup>، ولعله أشهرهم؛ فقد أطلقوا عليه (جد الطائفة النحوية بقزوين)<sup>(٢)</sup>.

ولا غرو أن نجد الملا محسن القزويني قد وصل إلى ما وصل إليه من العلم؛ فهو قد نشأ في أحضان هذه الأسرة العريقة التي تسلسل فيها العلم والفضل، فوالده محمد مؤمن من أفاضل علماء عصره، وله مؤلفات عدّة، منها "آداب السفر وأدعيته"، "التجريد في التجويد" باللغة العربية، و"منتخب التجريد في التجويد" باللغة الفارسية، فهو عالم خطاط ومؤلفاته بخطه الحسن موقوفة على أولاده<sup>(٣)</sup>.

**المطلب الثاني: أساتذته وتلامذته:**

**أولاً: أساتذته**

لا تسعف المصادر كثيراً عن الحياة والنشأة العلمية للملا محسن القزويني، والمراحل التي مرّ بها بدءاً بأطواره الأولى، وانتهاءً إلى ما وصل إليه من الشهرة العلمية، فلا نجد ذكراً للمعاهد العلمية التي درس فيها، ولا لشيوخه في شتى العلوم، وغاية ما ذكر من شيوخه هم: والده محمد طاهر، ثم الحرّ العاملي الذي قرأ عليه كتاب الكافي الذي خطّه بيده، وكتب له العاملي إنهاء بتاريخ (١٧ صفر الخير من السنة ١٠٩٩ هـ)، كما ذكر المرعشي أنّ القزويني يروي عن الحرّ العاملي بالإجازة<sup>(٤)</sup>، بالإجازة<sup>(٤)</sup>، وقوام الدين السيفي محمد بن محمد مهدي<sup>(٥)</sup>؛ إذ يعدّ القزويني من تلاميذه تلاميذه الأفاضل وشارح كتبه وبعض أراجيزه<sup>(٦)</sup>.

وقبيل الوقوف عند شيوخه المذكورين، لا بدّ من إبداء النظر في الأسباب التي يمكن أن يُعزى إليها خفاء شيوخ الملا القزويني، وفي هذا الصدد يمكن القول: إنّ

(١) ينظر: أمل الآمل: الحر العاملي: ١٧/١، الذريعة: الطهراني: ٩٥/١٢، تراجم الرجال: أحمد الحسيني: ٤٦٨/١.

(٢) أعيان الشيعة: محسن الأمين: ٥٦/٩.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢٠/١، و ٣١٢/٤، طبقات أعلام الشيعة: الطهراني: ٣٩٧-٣٩٨.

(٤) ينظر: أمل الآمل: الحر العاملي: ١٧/١.

(٥) السيفي: من العائلة السيفية بقزوين، من ذرية القاضي سيف الدين محمد، وقيل الحسيني؛ لأنّ نسبه ينتهي إلى زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام. ينظر: الذريعة: الطهراني: ١١٢٠/٩، وطبقات أعلام الشيعة: الطهراني: ٦٠٣/٩.

(٦) ينظر: طبقات أعلام الشيعة: الطهراني: ٣٠٦-٣٣٧.

المتعارف عليه بين الأسر العلميّة مبادرة تعليم أبنائهم مباشرةً، ولا سيّما الآباء، وهو ما يشهد له كثيرٌ وحتىّ زماننا الراهن، ويعود السبب في ذلك أنّ المباشرة بتعليم الأبناء من الأسر العلميّة له دور كبير في إعطائهم أسرار العلوم المختلفة باقتدار كبير، وسرعة في تخطي المراحل، واستثماراً للجهد، ولذا فمن غير المستبعد أن يكون الملاً محمّد طاهر والد المصنّف قد عمل في هذا الشقّ من حياة ابنه العلميّة، بل لعلّ عدّه أحد شيوخ الملاً يعود لدوره في البدايات العلميّة لابنه الملاً محسن، وأنّه أتمّ على يده مراحل التأسيس الأولى، ولا نحتمل وجود شيوخ آخرين في هذه المدة، وإنّ وجد فلم يذكروا لكون دورهم مقصوراً على العلوم الفرعيّة لطالب العلم دون الأصيلة منها أمثال علوم اللغة، والفقه، والحديث.

وبالعودة إلى شيخه ونعني قوام الدين والحرّ العاملي، فيمكن أن يقال إنّ كل واحدٍ منهما أثر فيه بنحوٍ من الأنحاء، وهو ما انعكس لاحقاً على نتاج الملاً محسن القزويني، فأما قوام الدين (ت ١١٥٠ هـ) فقد عُرف بموسوعيّته، مضافاً لاحاطته بعلوم اللغة العربيّة، وفن الأراجيز، حتّى صاغ الكثير من العلوم أراجيزاً، ومما يذكر له في هذا الصدد: له أراجيز كثيرة منها: في الاسطرلاب، وفي الأخلاق، وفي الفقه، وفي الخط، وفي أصول الدين، وفي النحو، وفي البيان، وفي الطب، وفي التجويد، وفي الصرف، وفي الحساب وغيرها، وله (التحفة القوامية في فقه الإماميّة)، و(الوافية في نظم الشافية)، و(الصافية في نظم الكافية)، و(منظومة البيان)، و(مفرح القوام) وغيرها<sup>(١)</sup>.

وأما الحرّ العاملي (ت ١١٠٤ هـ)، فهو شيخ المحدثين في زمانه، فضلاً عن كونه فقيهاً عالياً لا شكّ في ذلك، ومصنّفه المشهور وسائل الشيعة شاهدٌ على ذلك، فلا شكّ أنّ العاملي قد ترك الأثر الكبير من حيث الإقبال على الرواية والإفادة منها في الملاً محسن، ويشهد على ذلك إجازته عنه، ممّا يعني بلوغه مرتبةً في الحديث معرفةً وعلماً تخوّله التحديث به بموجب الإجازة، فضلاً عن ظهور الآثار الفقهية للملاً محسن لا يبعد أنّها نتاج تتلمّذه في هذا الجانب على الحرّ العاملي.

(١) ينظر: طبقات اعلام الشيعة: الطهراني: ٦/٦٠٣ - ٦٠٥، أعيان الشيعة: محسن الأمين: ٧٤/١٠، الذريعة:

الطهراني: ٣/٤٦٢ و ٤٨٧.

وبناءً على ذلك، فإنّ الملا محسن على الرغم من قلّة شيوخه، إلاّ أنّه تتلمذ على علماء بارزين في زمانه يكفونه ويغنونه عن غيرهم.

#### ثانياً: تلامذته

أمّا من تتلمذ على يدي القزويني فلم يرد في المصادر سوى ما ذكره العلامة الطهراني من كون محمد هادي بن أحمد الطالقاني هو أحد تلاميذه بعد أن رأى أنّه كتب عن الملا محسن القزويني بعض من كتبه، منها كتابه في الصرف "توشيح الوافية"<sup>(١)</sup>.

كما يمكن في هذا الصدد إضافة ابنه محمد، والذي وجد اسمه على بعض مصنّفات أبيه معلّقاً على بعض ما فيها، ومن ذلك ما جاء في كتابه (منتهى الغايات في فضائل السور والآيات) فقد ذكر المحقق لهذا الكتاب في طيّات تحديد النسخة الأصل أنّ النسخة الأم المعتمدة هي النسخة التي فيها تعليقات ولده محمد بن محسن القزويني<sup>(٢)</sup>.

#### المطلب الثالث: مصنّفاتة:

ترك الملا محسن القزويني مؤلّفات عديدة دلّت على سعة اطلاعه وغازة علمه، نذكر منها:

١- صيغ النّكاح، وهي (رسالة مختصرة ألفها في بيان صيغ عقود النّكاح، أولها: بسم الله الرحمن الرحيم. قال المفتاق<sup>(٣)</sup> إلى ربه الغني العبد المسيء المدعو بمحسن بن محمد طاهر الطالقاني عفا الله عنهما وعن جميع المؤمنين بمحمد وآله الميامين: الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة على خيرته وخير خلقه محمد وعترته الطاهرين الخيرين الفاضلين. أمّا بعد، فقد ندبني بعض أحبائي أن أجمع عجالة مشتملة على صيغ النّكاح على وجه الإيجاز والاختصار. وآخرها: وقد وقع الفراغ من تعليقها في السنة العاشرة من المئة الثانية من الألف الثاني من الهجرة النبوية على مهاجرها ألف صلاة وتحية في دار السلطنة صبّ الله على ذنوب قطانها<sup>(٤)</sup> ذنوب العفو والصفح

(١) ينظر: طبقات اعلام الشيعة: الطهراني: ٨١٩/٩.

(٢) ينظر: منتهى الغايات في فضائل السور والآيات: فاطمة السلامي: ٣٤.

(٣) المفتاق: المحتاج، لسان العرب: ابن منظور: ٣١٩/١٠، مادة فوق .

(٤) قطانها: مقيما، ينظر: المصدر نفسه: ٣٤٣/١٣، مادة قطن .



بمحمد وآله الميامين، والحمد لله رب العالمين<sup>(١)</sup>، وقد وجد "منها نسخة في المكتبة المركزية في المشهد الرضوي المطهر بالرقم (١٥٨٠)، وأخرى في مكتبة آية الله المرعشي بالرقم (٩٧٨٢ / ٤)"<sup>(٢)</sup>.

٢- (شرح السحاب في شرح نظم الحساب"، يعني منظومة "خلاصة الحساب"، التي نظمها الميرزا قوام الدين السيفي، والشرح لتلميذه المولى محسن بن محمد طاهر القزويني، أوله: "الحمد لله الأحد الذي قسم بين عباده ضروب نعمائه" وقال في تاريخه نظمًا:

بَلُطْفِ هَادِي الْوَرَى      شَرَحْتَ نِظْمَ الْحِسَابِ  
قُلْتَ لِتَارِيخِهِ      شَرْحِي رِشْحَ السِّحَابِ

وهو ينطبق على ثمان وعشرين ومائة وألف، وتاريخ النظم (١١١٨ هـ)<sup>(٣)</sup>، والنسخة كانت في كتب السيد الشيرازي بسامراء<sup>(٤)</sup>.

٣- (الفوائد الثلاث، يشتمل على فائدة في الفرق بين إلى وحتى كُتِبَتْ في شعبان سنة (١١٢١ هـ)، وتعليق على قول ملا خليل القزويني "لأنَّ السَّلب المحض ليس من فعل العبد"، كتبه في قزوین في شهر رجب سنة (١١٢٢ هـ)، وتعليق على قول العلامة في القواعد: "من دخل البئر ويخرج الدلو فله درهم"، أتمه في أواخر ربيع الثاني سنة (١١٢٣ هـ)، أوله: "بعد الحمد والصلاة اعْلَمْ يا أخي أَيَّدَكَ اللهُ تَعَالَى أَنْ (إلى) الجارة مثل (حتى) في أنَّهما لانتهاء الغاية"<sup>(٥)</sup>.

٤- (تقويم الخط) شرح على رمح الخط الذي هو نظم لباب الخط من كتاب الشافية الصرفية الحاجبية، والنَّاطم هو السيد المير قوام الدين السيفي صاحب التَّحفة القوامية وغيرها من الأراجيز الكثيرة، والشَّارح تلميذ النَّاطم المولى محسن بن محمد طاهر القزويني النَّحوي فرغ من الشرح (١١٢٣ هـ) أوله: نحمدك اللهم على ما أنعمت علينا من سوابغ الأفضال والانعام، موجود عند السيد شهاب الدين التبريزي بقم كما كتبه

(١) توشيح الوافية بمعانٍ كافية (ملاً محسن القزويني): سجاد محمد ضرب: ٣٧ .

(٢) توشيح الوافية بمعانٍ كافية (ملاً محسن القزويني): سجاد محمد ضرب: ٣٧ .

(٣) الذريعة: الطهراني: ٢٣٦/١١ .

(٤) المصدر نفسه: ٢٣٦/١١ .

(٥) فهرس فنخا: مصطفى درايبي: ٣٦١/٢٤ .

إلينا<sup>(١)</sup>، وقد تناولها بالدراسة والتحقيق الطالب: محمد فخري أحمد، في رسالة ماجستير مقدّمة إلى جامعة الموصل - كلية الآداب - للعام (٢٠٢٣م) بإشراف الدكتور: معن يحيى العبادي .

٥- (شرح قول العلامة في القواعد: لو نذر أن يصوم شهراً قبل ما بعد قبله رمضان فهو شوال، وقيل: شعبان، وقيل: رجب)<sup>(٢)</sup>، وهو (مختصر في ستين بيتاً، فرغ منه ليلة السبت ٤ صفر سنة ١١٢٤هـ)<sup>(٣)</sup>، قال العلامة الطهراني: (رأيت بخط المولى محسن بن أحمد التنكابني، فرغ من الكتابة سنة ١٢٥٠هـ)<sup>(٤)</sup>.

٦- العوامل في النحو وقد فرغ منه في (١١٢٨هـ)<sup>(٥)</sup>، والمعروف (بعوامل ملاً محسن)<sup>(٦)</sup>، وهو أشهر أثر من آثاره؛ إذ ذاع صيته به وله عدّة نسخ وجدناها في أماكن متفرقة في إيران والعراق، وبعض هذه النسخ فيها تعليقات إضافية على الحواشي وبعض الإضافات)<sup>(٧)</sup>، كما ويمثّل اليوم أحد الكتب المهمة في الساحة العلميّة ومحط اهتمام الدارسين؛ وقد تعرّض لتحقيقه ونشره الباحثان الدكتور فليح خضير شني، والمدرس المساعد آلاء عبد نعيم<sup>(٨)</sup>.

٧- شرح تهذيب المنطق، (وهو حاشية وتعليقات عليه وعلى حاشية المولى عبد الله اليزدي عليه)<sup>(٩)</sup>، (شرع في تدوينها بعد أن كانت متفرقة في (شعبان سنة ١١٣٢ هـ)، وفرغ منه بعد شهر)<sup>(١٠)</sup>، (يوجد الشرح عند أحفاده في قزوين، ونسخة منه في مكتبة المولى محمد علي الخوانساري في النجف، وأخرى عند السيد هبة الدين الشهرستاني، وغيرهما، وهو يقرب من ألف وخمسمائة بيت)<sup>(١١)</sup>.

(١) الذريعة: الطهراني: ٣٩٦/٤.

(٢) الذريعة: الطهراني: ٢٥/١٤.

(٣) المصدر نفسه: ٢٥/١٤.

(٤) المصدر نفسه: ٢٥/١٤.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٣٥٩/١٥.

(٦) مفاتيح الشرائع: الفيض الكاشاني: ٢٧/١ .

(٧) منتهى الغايات في فضائل السور والآيات: فاطمة السلامي: ١٩ .

(٨) منشور في مجلة كلية التربية، جامعة واسط، المجلد الأول، العدد التاسع: ٣٧-١١١.

(٩) الذريعة: الطهراني: ١٦٣/١٣، وانظر: تراجم الرجال: أحمد الحسيني: ٤٠٠/١ .

(١٠) المصدر نفسه: ١٦٣/١٣.

(١١) المصدر نفسه: ١٦٣/١٣.

٨. (الرسالة الوضعية الأبهريّة في تحقيق تحديد الوضع بحيث يشمل وضع الحروف)<sup>(١)</sup>، (كتبها لسؤال بعض علماء أبهر وفرغ منها يوم(الخميس ثالث ذي الحجة ١١٤١هـ) تقرب من مأتي بيت)<sup>(٢)</sup>.

٩. (التعليقة على رسالة طهارة كافة المخالفين، وهي تعليقات أوردتها على رسالة محمد حسين بن محمد إبراهيم الموضوعة في طهارة كافة المخالفين المظهرين للشهادتين من أهل القبلة وعدم نجاستهم، بطلب من مؤلفها أتمّها في (شهر رمضان من سنة ١١٤٣هـ) في قزوين، أولها بعد البسملّة: الحمد لله الذي بدأ خلق الإنسان من طين، وآخرها قوله: هذا آخر ما أردنا جمعه)<sup>(٣)</sup>، وقد ذكر محقق توشيح الوافية اطلاعه على (نسخة بخط المؤلف من مقتنيات المكتبة الوطنية الإيرانيّة بطهران بالرقم (٨٣٥٣/٥))<sup>(٤)</sup>.

١٠. (أرجوزة في المعاني والبيان)<sup>(٥)</sup>.

١١. (توشيح الوافية بمعانٍ كافية، هو شرحٌ للوافية الذي هو نظم "الشافية الحاجبيّة" في علم الصرف للميرزا قوام الدين السيّفي القزويني)<sup>(٦)</sup>، وشرح النّظم تلميذه الملاً محسن القزويني)<sup>(٧)</sup>، وقد دُرِسَ وَحَقِّقَ الربع الأول منه من أوّله إلى نهاية باب المصغّر في أطروحة دكتوراه في جامعة البصرة - قسم اللغة العربية -، من قبل الطالب سجاد محمد ضرب الحسيني، وبإشراف الأستاذ الدكتور حامد ناصر الظّالمي، في سنة (٢٠٢٢م)، وقد أحال الملاً القزويني بعض المسائل الصرفية التي وردت في تفسيره إليها .

١٢. (زينة المسالك في شرح ألفية بن مالك، ومعه إعراب أبيات، ثماناً بعد ما جاوزت الاثنتين)<sup>(٨)</sup>، (يقرب من ثلاثمائة بيت، يوجد نسخته عند السيد شهاب الدين بقم)<sup>(٩)</sup>،

(١) الذريعة: الطهراني: ٢٢٩/١١.

(٢) المصدر نفسه: ٢٢٩/١١.

(٣) توشيح الوافية بمعانٍ كافية(ملاً محسن القزويني): سجاد محمد ضرب: ٢٧-٢٨.

(٤) المصدر نفسه: ٢٨.

(٥) الذريعة: الطهراني: ٤٩٦/١، و١٣٦/٢٣.

(٦) المصدر نفسه: ٤٨٩/٤.

(٧) ينظر: المصدر نفسه: ٤٨٩/٤.

(٨) المصدر نفسه: ٦٢/٦.

وطريقة الشرح أنه (يذكر بيتاً أو بيتين أو أزيد ثم يشرحها نظير شرح ابن عقيل. أوله: الحمد لله الذي رفع درجاتنا باتباع النبيين واقتداء آثارهم وآمالنا عن نحو المضلين واقتفاء أدبارهم، ونصب لنا أعلاماً هادين)<sup>(٢)</sup>.

والصحيح هو زينة السالك؛ بناءً على ما صرح به الملامح محسن القزويني في مقدمة كتابه المخطوط والذي وقف الباحث على نسخة منه من مقتنيات خزنة العتبة العباسية المطهرة، وكما استدرك الطهراني على قوله بزينة المسالك قائلاً: (ولعل الصحيح زينة السالك)<sup>(٣)</sup>.

١٣- (شرح ثماناً بعدما جاوزت الاثنتين) الأبيات المشهورة في تمييز أسماء العدد)<sup>(٤)</sup>، وهو مختصر عربي، وقال العلامة الطهراني: (رأيت في مكتبة السيد آغا التستري في النجف)<sup>(٥)</sup>.

١٤- (تعليقات على رسالة الجمعة، المنسوبة إلى الشيخ زين الدين العاملي المعروف بالشهيد الثاني، ذكر فيها اختلاف الفقهاء في وجوب صلاة الجمعة عيناً في زمن الغيبة، أولها بعد البسملة: الحمد لله الذين نور قلوب العارفين بأنوار المعرفة والإيقان وأشرق أفئدة العالمين بوضوح الدلائل والبراهين. وآخرها: قد فرغ من تسويدها مؤلفها الحقير المسيء المحتاج إلى عفو الله تعالى وصفحه محمد محسن بن محمد طاهر)<sup>(٦)</sup>، وتوجد نسخة منها (بخط المؤلف محفوظة في مكتبة البروجردي بالرقم (٥٦٦/٢))<sup>(٧)</sup>.

١٥- (منتهى الغايات في فضائل السور والآيات، مخطوط في الكلام عن فضائل سور القرآن الكريم وآياته، مشتمل على مقدمة فيما يستحب للقارئ من تحسين اللفظ وتزيين الصوت بقراءة القرآن بألحان العرب، وفصول أخرى في ثواب السور القرآنية على التفصيل أوله: الحمد لله الذي أنزل القرآن في شهر رمضان هدى للناس وبينات

(١) الذريعة: الطهراني: ٦٢/٦.

(٢) المصدر نفسه: ٩٦/١٢.

(٣) المصدر نفسه: ٩٦/١٢.

(٤) المصدر نفسه: ١٧٠/١٣.

(٥) المصدر نفسه: ١٧٠/١٣.

(٦) توشيح الوافية بمعانٍ كافية (ملاً محسن القزويني): سجاد محمد ضرب: ٢٦.

(٧) المصدر نفسه: ٢٧.

من الهدى والفرقان، فجعله نورًا يتوقد مبانيه، وضياء يتلأأ معانيه، وعلمًا لا يحمد ناره، ودليلاً لا يضلُّ جازه، وشفاء لما في الصدور من العلل، وآخره: ليعلم أنه حذف ذكر أكثرهم، بل ذكر كل منهم راويين تحته مع رمزهم بحروف الهجاء، وهي هكذا اسم المروري عنه ورمزه بالحمرة، والرواي ورمزه بالسواد<sup>(١)</sup>، وتوجد منه نسختان بحسب ما صرح محقق توشيح الوافية قائلاً: (اطلعت على نسختين منه نسخة في مركز إحياء التراث بقم المقدسة بالرقم (٢/٢٨٦٣) وأخرى في المكتبة الوطنية الإيرانية (٥/٨٣٥٠)، أتمت تحقيقه الدكتورة فاطمة السلامي، وطبع أخيراً ضمن مطبوعات الجامعة الإسلامية)<sup>(٢)</sup>.

١٦- نور التوفيق وكشف التدقيق، تفسير كبير للقرآن الكريم، عُثِرَ على مجلد واحد منه يشتمل على أجزاء ثلاثة:

يبدأ الأول: بمقدمات التفسير، وهي أربع عشرة مقدّمة، يليها تفسير سورة الفاتحة وسورة البقرة إلى الآية (١٤١)، أوله: (بسم الله الرحمن الرحيم، وبه أستمدّ الحمد لله الذي لا إله إلا هو كان حياً بلا كيف ولم يكن له كان ولا كان لكانه كيف إن قيل كان فتعبير عن القدم، وإن قيل لم يزل فعلى تأويل نفي العدم، ولا كان له أين؛ لأنه الذي أينَ الأين حتى صار أيناً)<sup>(٣)</sup>، وآخره: (قد تمّ تفسير الجزء الأول من التفسير المسمّى بنور التوفيق وكشف التدقيق بعون واهب التوفيق، ويتلوه تفسير الجزء الثاني منه إن شاء الله تعالى، أسأل الله من فضله إتمامه وأن يجعل النور في بصري والشفاء في صدري والبصيرة في ديني واليقين في قلبي والإخلاص في عملي والصحة في بدني والسعة في رزقي وذكره بالليل والنهار على لساني والشكر له أبداً ما أبقاني لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد وآله الطاهرين والحمد لله أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً)<sup>(٤)</sup>.

(١) توشيح الوافية بمعانٍ كافية (ملاً محسن القزويني): سجاد محمد ضرب: ٤٠.

(٢) المصدر نفسه: ٤٠.

(٣) نور التوفيق وكشف التدقيق (مخطوط): محسن القزويني: ١/١.

(٤) المصدر نفسه: ٥٣٥/١.

والجزء الثاني: يبدأ بقوله: (هو المستعان وعليه التكلان، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله لا إله إلا هو، مالك الملك مُجري الفلك مسخر الرياح)<sup>(١)</sup> وهذه المقدمة ليست من الملا محسن القزويني، بل من أحد أحفاده المدعو عبد الكريم بن الملا محمد علي، وقد أشار ذلك نفسه.

ويستمر هذا الجزء إلى تفسير الآية (١٤٢) من سورة البقرة، وآخره: (تمّ تفسير سورة الحمد والبقرة بعون الله وحسن تأييده وأستمد منه سبحانه وأطلب منه تعالى الاستعانة لإتمام ما بعدهما إن شاء الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والحمد لله أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً والصلاة والسلام على من أنزله إليه وعلى من جعلهم أئمةً وجعلهم الوارثين)<sup>(٢)</sup>.

أما الجزء الثالث فيبدأ بتفسير سورة آل عمران، أوله: (بسم الله الرحمن الرحيم، وبه استمد واستعين، الحمد لله الواحد القديم، الصمد الكريم، الذي جعل الأشياء السينة ناطقة)<sup>(٣)</sup>، وينتهي بتفسير الآية (٤٠) من سورة النساء، آخره: (فيما فرض عليهم وفيما نهاهم عنه من عقد النكاح الذي يحرر الدين ويصان وبه يُحفظ الأموال والأنساب وغير ذلك، وقوله تعالى)<sup>(٤)</sup>، وهذه النسخة ناقصة؛ لعدم احتوائها على إنهاء.

وقد تكفّلت بمعيّة مجموعة من زملائي الباحثين بدراسة وتحقيق هذا التفسير، ونسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق والقبول.

وفي هذا الصدد يمكن القول أنه لا يتوافر في المخطوط إشارة أو تصريح بكون هذا التفسير قد أتمّه مصنّفه أو تركه منقوصاً إلى حيث بلغنا منه، كما لم يشر أغلب المترجمين صريحاً إلى ذلك، بل ذكروا أنّ له تفسيراً تحت مسمّى نور التوفيق كما تمّ بيان ذلك، ولذا لا يمكن الجزم بناءً على هذه التّراجم في حجم وتامة هذا التفسير من هذه الجهة.

(١) نور التوفيق وكشف التدقيق (مخطوط): محسن القزويني: ١/٢.

(٢) المصدر نفسه: ٥٣٩/٢.

(٣) المصدر نفسه: ١/٣.

(٤) المصدر نفسه: ٣٥٧/٣.

إلا أن هنالك من الباحثين من أشار إلى تمامية هذا التفسير، قال: (ويشمل هذا التفسير جميع آيات القرآن الكريم من سورة الحمد إلى سورة الناس، ويتضمن مقدمة مبسطة عن فضيلة القرآن الكريم وآداب تلاوته)<sup>(١)</sup>.

وهذا الكلام وإن لم يؤيد بصورٍ حسيّة للمخطوط التام، إلا أن في الحديث ما يُشعر بالشهادة الحسيّة من قبل الباحث، ووقوفه على هذه النسخة التامة، لا سيّما بملاحظة ذيل حديثه عن نسخ التفسير فيقول: (وجود نسخة من التفسير الكامل بخط المؤلف في مكتبة الملام محمد صالح البرغاني في كربلاء، وكما يتوقّر نسخة من المجلد الأول، والذي يحتوي على ثلث القرآن ضمن مخطوطات مكتبة آية الله المرعشي في قم، كما أن هناك نسخة تامة محفوظة عند أحفاد المفسّر في قزوین)<sup>(٢)</sup>، وهذا التوصيف للنسخ لا يبعد أن يكون عن حس، ومثل ذلك ذكره السيد الحسيني في مفضّله قال: (نور التوفيق وكشف التدقيق، في تفسير القرآن الكريم، أربع مجلدات كبار)<sup>(٣)</sup>، فضلاً عن أن في كلمات آغا بزرك الطهراني ما يشعر بكون التفسير تاماً، فحين الحديث عنه ووصفه قال: (يوجد المجلد الأول من هذا التفسير الكبير عند (السيد شهاب الدين بقم) أوله [الحمد لله على سابغ نعمه..] بدء بمقدمات نظير مقدمات "الصافي" وينتهي هذا المجلد إلى ثلث القرآن تقريباً)<sup>(٤)</sup>، وكلمة الكبير مشعرةً بوجود مجلدات أخرى، مضافاً للتعبير بوجود المجلد الأول منه، ولو كان التفسير مقتصراً على هذا الموجود لاكتفى بالقول بوجود نسخة منه عند السيد شهاب الدين المرعشي رحمه الله، ممّا يشعر أن العلامة الطهراني يذهب إلى أن هذا التفسير تامّ.

وعليه يرجّح عند الباحث أن تفسير نور التوفيق لا يبعد من أنه تفسير تامّ، لا سيّما مع عدم وجود رأيٍ نافٍ لذلك، ولكن للأسف لم يصل إلينا كما هو الحال في كثير من مصنّفات الملام محسن والتي تناثرت بين المكتبات الإسلامية من هنا

(١) تفسير وتفسير شيعية (فارسي): عبد الحسين صالح: ٢٥٣.

(٢) المصدر نفسه: ٢٥٣.

(٣) المفصل في تراجم الأعلام: أحمد الحسيني: ١/١٧٢.

(٤) الذريعة: الطهراني: ٣٦٤/٢٤.

وهناك<sup>(١)</sup>، وإلى ذلك يشير السيد الحسيني فيقول: (كانت له خزانة كبيرة ورثها من جدّه، وهي تحتضن آثاره بخطّه وجملته من آثار العلماء الآخرين، أوقفت على الأولاد، وكانت كتبها باقية إلى قريب من عصرنا، إلّا أنّنا لم نعرف مصيرها في الأواخر)<sup>(٢)</sup>.

#### المطلب الرابع: مكانته العلميّة وما قاله العلماء في حقّه:

شغل الملاّ محسن القزويني مكانة سامية ومنزلة عظيمة في الأوساط العلميّة؛ فهو من أفاضل العلماء وأحد أئمة اللغة العربية، وقد نُسبت إليه الطائفة النحويّة في قزوين حتّى لُقِبَ بالنحوي<sup>(٣)</sup>، و(جد الطائفة النحويّة)<sup>(٤)</sup> كما مرّ بيان ذلك، ويمكن بيان مكانته العلميّة في نقاط:

١. روايته عن الحرّ العاملي، وفي هذا الصّدّد فغير خافٍ على أهل العلم والفضل ما للحرّ العاملي من مكانة بارزة في الفقه والرواية، ووصفه صاحب سلافة العصر وهو أحد معاصريه قائلاً: (علم لا تباريه الأعلام، وهضبة فضل لا يفصح عن وصفها الكلام، أرجت أنفاس فوائده أرجاء الأقطار، وأحيت كل أرض نزلت بها فكأنها لبقاع الأرض أمطار، تصانيفه في جبهات الأيام غرر، وكلماته في عقود السطور درر)<sup>(٥)</sup>، ومن هنا فإنّ التلمذة والرواية عنه تعدّ بحدّ ذاتها درجة علميّة لا تتيسّر إلّا لمن بلغ مرتبة علميّة كبيرة، فمن المعلوم أنّ الرواية لا تكون إلّا بإجازة عن المروي عنه كما هو المعروف، وفي هذا الصّدّد فقد صرّح السيد الحسيني في مقدّمته على كتاب أمل الآمل للحرّ العاملي أنّ الملاّ محسن القزويني ممّن رووا عن الشيخ الحرّ العاملي<sup>(٦)</sup>.

كما أشار السيد أحمد الحسيني في مفضّله إلى أمر آخر يكشف المقام العلمي للقزويني، وهي شهادة شيخه العاملي له بإتمامه على يده كتاب الكافي إلى باب الجهاد قائلاً: (قرأ على الشيخ محمّد بن الحسن الحرّ العاملي، ومن جملة ما قرأه

(١) ينظر: منتهى الغايات في فضائل السور والآيات: فاطمة السلامي: ١٤.

(٢) المفصل في تراجم الأعلام: أحمد الحسيني: ١٧٠/١.

(٣) ينظر: الذريعة: الطهراني: ٩٥/١٢.

(٤) أعيان الشيعة: محسن الأمين: ٥٦/٩.

(٥) سلافة العصر: ابن معصوم الحسيني: ٣٦٧.

(٦) ينظر: أمل الآمل: الحرّ العاملي (مقدّمه السيد أحمد الحسيني): ١٧/١.



عليه كتاب الكافي الذي استنسخه بخطه، فكتب الشيخ له إنهاءً في آخر كتاب الجهاد منه بتاريخ ١٧ صفر سنة ١٠٩٩<sup>(١)</sup>.

وهي أشبه ما يكون بالشهادات العلمية في الزمن الحالي من العلماء لطلبتهم بحضور دروسهم والإفادة منها، وهو ميزة وفردة لخواص الطلبة والناهين في التحصيل العلمي في المعارف والعلوم .

٢ . الموسوعية والتنوع في التصنيف: ومما يشهد للملا القزويني بالمكانة العلمية الكبيرة، تنوع مصنّفاته من حيث الموضوعات المعرفية، فقد تناول اللغة، والتفسير، والفقه، كما يظهر ذلك من مجموع مؤلفاته الكثيرة، على أنّ هذه المصنّفات تضمّ في طياتها كثيراً من المعارف الأخرى، كلامية ومنطقية وفلسفية، وهو ما يحسب للملا القزويني وأنه رجلٌ موسوعيّ، استطاع أن يترك أثراً شاخصاً على ذلك، ومن بينها تفسيره نور التوفيق.

٣. التصدي للتعليق والإجابة على الرسائل العلمية: ممّا يؤكد المكانة العلمية للملا محسن القزويني، تصديه للتعليق على مختلف المعارف ولا سيّما الفقهية الاستدلالية منها، ويظهر ذلك من خلال بعض مصنّفاته، والتي تكون في حقيقتها إجابة للسائل أو طلباً من بعض العلماء للتعليق وإبداء الرأي على مسائل علمية محدّدة، وهو ما لا يكون بالعادة إلا لمن عرفوا بالعلم الكبير والفضل في المعارف فيقصدون بالسؤال آنذاك.

ومثال ذلك ما ورد في مقدمة كتابه التّعليق على رسالة طهارة المخالفين، ومن جملة ما قال: (فيقول العبد المستضيء بنور الله الباهر المسيء المدعو بمحسن بن محمّد طاهر لما التمسني بعض الأفاضل من العلماء العاملين والسّعداء الراشدين أعني جناب النّقي النّقي الألمعي الأورعي اللوذعي المبرّء من الشّين ابن المرحوم المغفور محمّد حسين<sup>(٢)</sup> أن ألاحظ رسالته الموضوعة في طهارة كافّة المخالفين المظهرين للشهادتين من أهل القبلة)<sup>(١)</sup>.

(١) المفصل في تراجم الأعلام: أحمد الحسيني: ١٧٠/١.

(٢) (محمّد حسين بن محمّد إبراهيم بن محمّد نصير الخاتون آبادي ثم المشهدي الخراساني، العالم الإمامي، المعروف بأقا حسين بن آقا إبراهيم، كان ذا فضل باذخ وذا علم شامخ، متقنّاً في العلوم، مع ذهن وقاد وفهم نقاد، زار تبريز وقزوین وتستر، وصحبه السيد عبد الله بن نور الدين الجزائري التستري، وعبد النبي القزويني، وجرّت له

ومثل ذلك في رسالته صيغ النكاح، وقال في مطلعها: (أما بعد فقد ندبني بعض أحبائي إلى أن أجمع عجلة مشتملة على صيغ النكاح على وجه الإيجاز والاختصار، ولم يمكن لي مخالفته فأجبتة سائلاً أن يوقني الله وإياه وسائر الطالبين)<sup>(٢)</sup>.

وقد أكد السيد أحمد الحسيني في مفضله هذا الأمر بقوله: (كان له شهرة واسعة بحيث ترد عليه أسئلة من مختلف العلوم فيجيب عليها بما يراه مع شواهد مما يقنع به من الأدلة)<sup>(٣)</sup>.

٤ . أقوال العلماء فيه: قال في مكانته العلمية الشيخ القمي في فوائده: (محسن بن محمد طاهر الطالقاني القزويني المشهور بالنحوي عالم، فاضل، أديب، إمام في العلوم العربية، كان من أفاضل تلامذة السيد قوام الدين محمد القزويني المعاصر للعلامة المجلسي؛ وله العوامل المشهور بين طلبة العلم، وله شرح نظم الشافية لأستاذه، وشرح نظم الحساب أيضاً لأستاذه سماه رشح السحاب)<sup>(٤)</sup>، وقريب من ذلك أيضاً ما ذكره السيد محسن الأمين (ت ١٣٧١ هـ)<sup>(٥)</sup>.

وأشير إلى مكانته العلمية في تعليقه على منهاج الكرامة للعلامة الحلّي، وقد ظهر من هذه التعليقات فضله في العلوم العقلية والنقلية<sup>(٦)</sup>.

#### المطلب الخامس: عصره:

عاش المصنّف ما بين القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجري، وهما عصران عُرفَ عنهما على صعيد الواقع السياسي في الحاضرة الإسلامية بعصر العثمانيين والصنفيين، وكانت لهاتين السلطتين سيطرة على بقاع كبيرة من العالم الإسلامي

---

مناظرات ومحاورات مع العلماء في مختلف الأبحاث، كما نظرت مع علي أكبر الطالقاني المعروف بـ ملا باشي، توفي سنة تسع وخمسين ومائة وألف، ونقل نعشه إلى مشهد الرضا عليه السلام بخراسان، فدفن هناك، موسوعة طبقات الفقهاء: اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام: ٣٦٢/١٢.

(١) التعليق على رسالة طهارة المخالفين (مخطوط): محسن القزويني: ١٣ .

(٢) صيغ النكاح (مخطوط): محسن القزويني: ١ .

(٣) المفصل في تراجم الرجال: أحمد الحسيني: ١٧٠/١ .

(٤) الفوائد الرضوية: عباس القمي: ٦١٢/٢ .

(٥) ينظر: أعيان الشيعة: محسن الأمين: ٥٦/٩ .

(٦) ينظر: تراجم الرجال: أحمد الحسيني: ٤٦٨/١ .

وغيره، وإن كان للعثمانيين الحظ الأكبر، فلا تقاس رقعة الدولة الصفوية بالعثمانية أبداً.

وقد نقل التاريخ عن هذه الحقبة كثيراً من الصراعات والمعارك بين السلطتين، وبعضها يعزا إلى الأسباب الدينية، وغير ذلك مما لا ضرورة للتفصيل فيه<sup>(١)</sup>.

أمّا قزوين وهي الحاضرة التي احتضنت القزويني ونسب إليها، فقد كان لها نصيب من هذه التحولات السياسية فقد أصبحت في حقبة الشاه طهماسب<sup>(٢)</sup> هي عاصمة الدولة الصفوية، واستمر الحال كذلك إلى ٤٠ عاماً<sup>(٣)</sup>، شهدت قزوين خلال ذلك التطور العمراني والعلمي والاقتصادي المتناسب مع كونها عاصمة للصفويين، لا سيما في زمن طهماسب والتي تعدّ حقبة حكمه من الحقبات ذات الاستقرار للسلطة الصفوية، هذا على مستوى الواقع السياسي لبلاد فارس ولاسيما قزوين.

وأمّا على الصعيد العلمي والمعرفي لتلك الحقبة فيما يتصل بالواقع الشيعي، فقد بدأت ارهاصات ما يُعرف بالحركة الأخبارية وصولاً إلى مرحلة صعود نجمها على يد الملا محمد الأمين الأستريادي بكتابه الفوائد المدنية، والذي ركّز فيه الاهتمام على إبطال طرق المجتهدين، ويقصد بذلك الأصوليين، وبيان الطرق السليمة للاستدلال كما يراها.

ولم يقتصر الأمر على الاختلاف العلمي، بل أخذت السياسة فيه دور المؤيد لطرفٍ على آخر، أو اشغال الطرفين معاً، وهو ما برز واضحاً في دور عباس الصفوي، الذي أخذ يشعر بتدّمر من المجتهدين وتحكّمهم في قراراته، فدعم التوجّه الأخباري آنذاك دون التخلي عن المجتهدين، وذلك في خلق موازنةٍ تخرجه من ربقتهم<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: محاضرات في تاريخ الدولة الإسلامية: محمد محمود الساداتي: ١٥٢ - ١٥٣.

(٢) ولد الشاه طهماسب سنة ٩١٩هـ، وملك سنة ٩٣٠هـ، وتوفي سنة ٩٨٤هـ، ينظر: أعيان الشيعة: محسن

الأمين: ٤٨/٥، الشيعة في الميزان: محمد جواد مغنية: ١٧٨.

(٣) ينظر: نقش عوامل طبيعى بر توسعه وركود شهر قزوين بايخت دوره صفوي: نصر الله بور محيي، رقيه فراهاني: ٣.

(٤) ينظر: الفكر السلفي عند الاثنا عشرية: علي الجابري: ٣٦٩.

وعلى أي حال فقد استتب الوضع للأخباريين بشدة مع القرن الحادي عشر والثاني عشر حتى نهايته، وهو عصر المؤلف القزويني، وهو العصر الذي عصف فيه الخلاف الفكري بينهم وبين الأصوليين، وما وراءه أحياناً من دوافع سياسية هنا وهناك، ولم تكن قزوين ببعيدة عن هذا الواقع فعرفت تقلبات علمية آنذاك لا سيما ما يعرف بالحركة الأخبارية والأصولية، الذي نتج عن اختلافهم صراعات كبيرة حتى (كان يفصل بين الفريقين نهر السوق (رودخانه بازار)، فالقسم الغربي من المدينة كان للأخباريين، والقسم الشرقي كان للأصوليين)<sup>(١)</sup>، ثم وصل الأمر إلى (أن الطالب الأخباري كان لا يحمل مؤلفات الأصوليين إلا بمنديل حتى لا تنتجس يده من ملامسة جلد الكتاب اليابس، وأن الأخباريين كانوا من تلامذة وأنصار الشيخ خليل القزويني المتوفى سنة ١٠٨٩هـ وكان أخبارياً متطرفاً)<sup>(٢)</sup>.

وعلى الرغم من كون المصنف تمتد جذوره الفكرية للمدرسة الأصولية، وتبعه على ذلك أحفاده في القرن الثاني عشر الهجري، إلا أن ذلك لم يمنعه من أخذ موقفٍ وسطي في هذا الصراع الذي لا ينتهي إلى حال تسرّ، فقد تتلمذ على أعظم شيوخ الأخبارية، ونعني بذلك الحرّ العاملي أعلى الله مقامه، ولا يستبعد أن تكون هذه الوسطية ممّا استفاده من شيخه الحرّ العاملي على مستوى السلوك، إذ لم يعرف عنه القدر والذمّ للمجتهدين، بل كان عاكفاً على دروسه في مشهد، ولذا فبقي فكره وكتبه حاضرة حتى بعد زوال الأخبارية والشاهد على ذلك مكانة الوسائل في الدرس الاستدلالي.

وهذا المنهج هو ما سلكه المصنف القزويني، فلم يكن أصولياً متشدداً يرى في الأخبارية ومنهجها انحرافاً، ولم يكن أخبارياً لا يعير بالاً لما أنتجه المجتهدون، ولم يستغرق في الأدلة الأصولية العقلية استغراقاً يغيب فيها الأخبار، ولا الإمساك بزمام الأخبار كيفما اتفق صحيحها وسقيمها.

وهذا المنهج الوسطي في الجمع بين العلماء من الطرفين ظهر جلياً على أحفاده ممن عُرفوا بآل البرغان لاحقاً، فكانت تعقد المناظرات بينهم وبين علماء وأكابر

(١) مستدركات أعيان الشيعة: حسن الأمين: ٣٠٤/٢ .

(٢) المصدر نفسه: ٣٠٤/٢ .

الأخباريين ولعل من أشهرها تلك التي جرت بين الشيخ يوسف البحراني والشيخ محمد الملائكة<sup>(١)</sup> وبحضور جمع كبير من علماء الفريقين والتي كانت من ثمارها تراجع البحراني عن أخباريته المتشددة<sup>(٢)</sup>، واتضح ذلك من خلال ما أشار هو في كتابه الحقائق الناضرة قائلاً: (وقد كنت في أول الأمر ممن ينتصر لمذهب الأخباريين، وقد أكثرت البحث فيه مع بعض المجتهدين من مشايخنا المعاصرين، وأودعت كتابي الموسوم بالمسائل الشيرازية مقالة مبسطة مشتملة على جملة من الأبحاث الشافية والأخبار الكافية تدل على ذلك وتؤيد ما هنالك، إلا أن الذي ظهر لي بعد إعطاء التأمل حقه في المقام وإمعان النظر في كلام علمائنا الأعلام هو اغماض النظر عن هذا الباب ورخاء الستر دونه والحجاب، وإن كان قد فتحه أقوام وأوسعوا فيه دائرة النقص والإبرام)<sup>(٣)</sup>، ثم بعد ذلك يشير إلى حقيقة هذا الخلاف وما يستتبع من خطورة على الدين والمذهب ويوعز ذلك لأمرين:

(أما أولاً: فلاستلزامه القدح في علماء الطرفين والإضرار بفضلاء الجانبين كما قد طعن به كل من علماء الطرفين على الآخر، بل ربما انجر القدح في الدين سيما من الخصوم المعاندين، كما شنع به عليهم الشيعة من انقسام مذهبهم إلى المذاهب الأربعة، بل شنع به كل منهم على الآخر أيضاً. وأما ثانياً: فلأن ما ذكروه في وجوه الفرق بينهما جلّه بل كلّه عند التأمل لا يثمر فرقاً في المقام)<sup>(٤)</sup>.

ولكن هذا التعقّل والاعتدال لم يكن السمة البارزة عند الجميع ففي المقابل (كان من نتيجة هذا الاجتماع وما جرى فيه حدوث بلبلّة عظيمة في قزوين، أخذت تتوسّع وتتصاعد حتّى عمّت سواد الناس من الفريقين، وقد أدّت إلى هجوم الأخباريين على

(١) هو محمد بن محمد تقي بن محمد جعفر بن محمد كاظم الطالقاني القزويني، الفقيه الإمامي، الشهير بالملائكة؛ لشدة ورعه، توفي (١٢٠٠هـ)، موسوعة طبقات الفقهاء: اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق (ع): ٣٢٢/١٢.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٣٠٤/٢.

(٣) الحقائق الناضرة: البحراني: ١٦٧/١.

(٤) الحقائق الناضرة: البحراني: ١٦٧/١.

دار الشيخ محمد الملائكة لاغتياله فلم يظفروا به، ولكن احترقت داره وفيها مكتبته، وأدى الأمر إلى أن نفت الحكومة الشيخ محمد من قزوين إلى برغان<sup>(١)</sup>.

وبلا شك ألفت هذه الحركة بظلالها تأثيراً واضحاً على النشاط العلمي في قزوين بعد أن كانت هذه المنطقة حاضنة لكبار العلماء من المدرسة الأصولية والأخباريّة وكلّ منهم راح يؤلف الكتب التي تحمل مبادئه، وغالباً لم تخلُ كتب المتشدّدين منهم من الأسلوب النقدي لمدرسة الآخر، وهذا مختصر عصر المؤلف وما أحاط بذلك الزمن من ملايسات وعوامل سياسيّة وعلميّة .

#### المطلب السادس: وفاته:

تضاربت الأقوال في تحديد السنّة التي توفي فيها الملاً محسن القزويني، فمن قائل أنّه كان حيّاً سنة (١١٢٨هـ)<sup>(٢)</sup>، وقائل وهو العلامة الطهراني في ترجمة الملاً محسن القزويني أنّ سنة وفاته (١١٤١هـ)، ثمّ استدرك بعد ذلك ليقول أنّه توفي في عام (١١٥٠هـ)<sup>(٣)</sup>، والرأي الأخير هو ما يركن إليه الباحث، باستقراء بعض مؤلفاته التي ألفت بخطّه وكان تاريخ الفراغ من تأليف بعضها قريب من الرأي الأخير .

(١) مستدركات أعيان الشيعة: حسن الأمين: ٣٠٤/٢ .

(٢) ينظر: معجم المؤلفين: عمر كحاله: ١٨٦/٨ .

(٣) ينظر: طبقات أعلام الشيعة: الطهراني: ٦٣٧/٩، و ٥٨٨/١٢ .

المَبْحَثُ الثَّانِي: فِي المَوْئَفِ (تَفْسِيرُ نُورِ

التَّوْفِيقِ وَكَشْفِ التَّدْفِيقِ)

المَطْلَبُ الأوَّلُ: نسبةُ الكتابِ إلى المَوْئَفِ

المَطْلَبُ الثَّانِي: تسميةُ التَّفْسِيرِ

المَطْلَبُ الثَّالِثُ: مصادرهُ في التَّفْسِيرِ

المَطْلَبُ الرَّابِعُ: منهجيَّةُ المَوْئَفِ

المَطْلَبُ الخَامِسُ: القِيَمَةُ العِلْمِيَّةُ للتَّفْسِيرِ

المبحث الثاني: في المؤلف تفسير (نور التوفيق وكشف التدقيق):  
المطلب الأول: نسبة الكتاب إلى المؤلف:

لا شك في نسبة التفسير للملا محسن القزويني، فقد ذكره أغلب من ترجم له في عداد مصنفاته<sup>(١)</sup>، فضلاً عن ذلك فقد صرح المصنف نفسه باسم تفسيره ونسبته إليه وتاريخ الانتهاء منه في مواضع متعددة من تفسيره سواء في المقدمة، أو في نهاية بعض الأجزاء، فقد قال في مقدمة التفسير: (أمّا بعد فيقول العبد المستضيء بنور الله الباهر، المسيء المدعو بمحسن بن محمد طاهر عفا الله عنهما وعن جميع المؤمنين وحشرهما وإياهم مع ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، بمنّه وكرمه، فإنّ أجلّ العلوم باعتبار أجليّة معلومها، وشرافتها باعتبار شرافة غاياتها)<sup>(٣)</sup>، إلى أن يختم مقدّمته الافتتاحيّة بذكر اسم مؤلّفه، بقوله: (وسمّيته بـ "نور التوفيق وكشف التدقيق"، ونذكر قبل الشروع في المقصود أربع عشرة مقدّمّة لأبدّ من معرفتها لمن أراد الخوض في معرفة المقصود)<sup>(٤)</sup>.

وقال أيضاً نهاية الجزء الأول: (قد تمّ تفسير الجزء الأول من التفسير المسمّى بنور التوفيق وكشف التدقيق بعون واهب التوفيق، ويتلوه تفسير الجزء الثاني منه إن شاء الله تعالى، أسأل الله من فضله إتمامه، وأن يجعل النور في بصري، والشفاء في صدري، والبصيرة في ديني، واليقين في قلبي، والإخلاص في عملي، والصحة في بدني، والسعة في رزقي، وذكره بالليل والنهار على لساني، والشكر له أبداً ما أبقاني، لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين، والحمد لله أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً)<sup>(٥)</sup>.

وعليه فلا شك في نسبة الكتاب للملا محسن القزويني، لا سيما وقد ثبت كون هذه النسخة من التفسير بخطه.

(١) ينظر: أعيان الشيعة: محسن الأمين: ٥٦/٩، الذريعة: الطهراني: ٣٦٤/٢٤، معجم المؤلفين: عمر كحالة: ١٨٦/٨.

(٢) سورة النساء: من الآية ٦٩.

(٣) نور التوفيق وكشف التدقيق (مخطوط): محسن القزويني: ٣/١.

(٤) المصدر نفسه: ٥/١.

(٥) المصدر نفسه: ٥٣٥/١.



المطلب الثاني: تسمية التفسير:

لم يذكر المصنّف سبب التسمية، ولم يرد في التفسير إشارة صريحة يمكن الاستناد إليها في بيان التسمية، ولكن الباحث من خلال التتبع وجد أنّ جزءاً من هذا العنوان ممّا ورد في زيارات أهل البيت عليهم السّلام، وبالتحديد زيارة صاحب الأمر عليه السّلام، والمعروفة بالندبة أيضاً، وقد ورد في أحد أجزائها: "وَأَمْلَأُ قَلْبِي نُورَ الْيَقِينِ، وَصَدْرِي نُورَ الْإِيمَانِ، وَفِكْرِي نُورَ الثَّبَاتِ، وَعَزْمِي نُورَ التَّوْفِيقِ"<sup>(١)</sup>، والملاحظ أنّ هذه الزيارة فيها ندبة لصاحب الأمر عليه السّلام، ودعاءً بالثبات على هديه، وحصول البركات به، كما قال في نهاية الجزء الأول بعد انتهاءه منه: (قد تمّ الجزء الأول من التفسير المسمّى بنور التوفيق وكشف التدقيق بعون واهب التوفيق)<sup>(٢)</sup> ولعلّ (واهب التوفيق) إشارة إلى هذا المقطع المتقدّم أيضاً، ومن هنا يمكن الميل إلى إنّ المصنّف اختار تسمية تفسيره أو شيء من التسمية من خلال الاستعانة بروايات أهل البيت عليهم السّلام، وهذا ممّا يُحسب لهذا التفسير باستعماله كلمات أهل البيت عليهم السّلام في التسمية، وبالنظر لحال الملامح محسن وتتبعه لروايات أهل البيت عليهم السّلام، فغير بعيدٍ استحضاره هذا التسمية من مقطع الزيارة تبرّكاً بها، وللإشارة أنّه من توفيقات الله عليه أولاً.

وأما (كشف التدقيق) فلعلّه إشارة إلى تلك الوقفات المطوّلة التي يعقدها المصنّف لمناقشة موضوعات متعدّدة لغويّة وكلاميّة وغيرها.

(١) مصباح الزائر: ابن طاووس: ٤٣٣/١.

(٢) نور التوفيق (المخطوط): محسن القزويني: ٥٣٥/١.

### المطلب الثالث: مصادره في التفسير:

مما امتاز به تفسير نور التوفيق وكشف التدقيق احتواءه على مصادر كثيرة في بيان وإسناد وتحليل الآراء، وقد تنوعت هذه المصادر طبقاً لتنوع المطالب سواء أكانت روائية، أم لغوية، أم آراء تفسيرية يستقيها المؤلف من المفسرين، وقد بين القزويني في مقدمته لجملة من المصادر التي اعتمد عليها، فقال: (وما نذكر من أخبار أهل العصمة والطهارة فهي مأخوذة من كتب أصحابنا رضوان الله عليهم من "الكافي" للشيخ أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني، "والتهذيب، والأمال، والغيبة" للشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، و"الغيب، والتوحيد، والعيون، والعلل، وإكمال الدين، ومعاني الأخبار، والمجالس، والاعتقادات" للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن بابويه القمي، و"المناقب" لمحمد بن شهر آشوب المازندراني، و"تفسير الإمام الهمام أبي محمد الحسن العسكري" صلوات الله عليه، وتفسير علي بن إبراهيم القمي ومحمد بن مسعود العياشي.

ونشير إلى هذه الثلاثة بقولنا تفسير الإمام والقمي والعياشي، ومن "مجمع البيان والجوامع" للشيخ أبي علي الطبرسي طاب ثراه وربما نقلنا تلك أكثرها من "تفسير الصافي" لمحمد بن المرتضى الملقب بمولانا محسن الكاشاني قدس سره ومن "نور الثقلين" للعالم الرباني عبد العلي بن جمعة الحويزي طاب ثراه ونعبر عن هذه الكتب بما عبّر به عنها في أكثر المواضع إن شاء الله تعالى<sup>(١)</sup>، وهذا نزر مما ذكره القزويني، فإن مجموع المصادر يربو على الـ ٥٠ مصدراً، ويمكن تقسيم هذه المصادر على ثلاثة أقسام:

### الأول: المصادر الروائية:

وهي الكتب الحديثية التي اختصت بذكر الأخبار، وقد تنوعت مشارب الأخذ بين الكتب الأصلية المعتبرة وما هي أقل منها، وأهم هذه الكتب:

#### ١- بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد، المشهور بـ(بصائر الدرجات)

(١) نور التوفيق وكشف التدقيق (مخطوط): محسن القزويني: ٤/١ - ٥ .

وهو أحد أهم المصادر الحديثية عند الشيعة، ومؤلفه (أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار)<sup>(١)</sup>.

والصفار من كبار علماء الإمامية في عصره ووجه من وجوه المذهب، قال عنه النجاشي: (كان وجهاً في أصحابنا القميين، ثقة، عظيم القدر، راجحاً، قليل السقط في الرواية)<sup>(٢)</sup>، كما واعتمد كل من العلامة الحلي، وابن داود، والتفريشي، بتوثيقه على ما صدر عن النجاشي وبالعبائر ذاتها<sup>(٣)</sup>، توفي رحمه الله بقم سنة ٢٩٠ هـ<sup>(٤)</sup>.  
ويعدّ كتاب بصائر الدرجات بأجزائه الأربعة<sup>(٥)</sup> أثراً روائياً كلامياً؛ فالأحاديث التي وردت فيه محورها الإمامة وفضائل أهل البيت عليهم السلام ومكانتهم بين الخلق وعلمهم وغيرها.

وما يميّز هذا الكتاب هو الدقّة في التّبويب على الرغم من كونه قديماً جداً فقد أطلق عنواناً لكل باب، وعندما لم يأت بعنوان لرواية يطلق عليها ب(الباب النادر)، وكذا يذكر سند الروايات كاملاً غير أنّه لم يبد رأيه بأي رواية واكتفى بالنقل فقط .

## ٢- الكافي: الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي (ت ٣٢٩ هـ).

من المصنّفات ذات المكانة العالية في الحديث، لمؤلفه محمد بن يعقوب، المعروف بالكليني، الذي لقي الثناء والتوثيق الكثير من العلماء، قال النجاشي في وصفه: (وكان أوثق الناس في الحديث وأثبتهم صنّف الكتاب الكبير المعروف بالكافي، في عشرين سنة)<sup>(٦)</sup>.

وهكذا أطراه بكلمات المدح والثناء ممّا يكشف عن عظم منزلته وسمو مكانته في الوسط العلمي، كبار علماء الشيعة كابن شهر آشوب<sup>(٧)</sup>، والعلامة الحلي<sup>(١)</sup>، وابن

(١) رجال النجاشي: النجاشي: ٣٥٤ .

(٢) المصدر نفسه: ٣٥٤ .

(٣) ينظر: ايضاح الاشتباه: العلامة الحلي: ٢٧٨، رجال ابن داود: ابن داود الحلي: ١٧٠، نقد الرجال: التفريشي: ١٨١/٤ .

(٤) رجال النجاشي: النجاشي: ٣٥٤ .

(٥) ينظر: الفهرست: الطوسي: ١٣٥ .

(٦) رجال النجاشي: النجاشي: ٣٧٧ .

(٧) ينظر: معالم العلماء: ابن شهر آشوب: ٩٩ .

داود الحلبي<sup>(٢)</sup>، والتقرشي<sup>(٣)</sup>، والأردبيلي<sup>(٤)</sup>، والسيد أبو القاسم الخوئي<sup>(٥)</sup>، وقال السيد رضي الدين بن طاووس: (الشيخ المنق على ثقته وأمانته محمد بن يعقوب الكليني)<sup>(٦)</sup>.

وأما كتابه الكافي فيتصدر الكتب الحديثية والفقهية عند الشيعة الإمامية؛ (فمنذ أحد عشر قرناً وإلى الآن اتكأ الفقه الشيعي الإمامي على هذا المصدر؛ لما فيه من تراث أهل البيت سلام الله عليهم، ولكونه أصح الكتب الأربعة، وأكثرها فائدة، وأفضلها من حيث الشمولية والترتيب والتقسيم، وأن مصنفه جمع بين الأصول والفروع والآثار والسنن، كما أنّ تبويبه حسب كتب الفقه، مما يعين المجتهد والمستنبط للأحكام الشرعية)<sup>(٧)</sup>.

ويرجع السبب في الاعتماد الكبير على الكافي؛ كون ثقة الإسلام الكليني رحمه الله (قد أدرك عصر الظهور والغيبة الصغرى جميعاً)<sup>(٨)</sup>، فضلاً عن (شدة حرصه في جمع آثار الأئمة عليهم السلام، وبذل جهده في مدة عشرين سنة، ومسافراته إلى البلدان والأقطار في طلب تلك الكتب والآثار، وكثرة ملاقاته ومصاحبته مع شيوخ الحديث والماهرين في معرفة الأحاديث، ونهاية قدره وشهرته في ترويج المذهب)<sup>(٩)</sup>. ويشتمل كتاب الكافي (على ثلاثين كتاباً: أوله كتاب العقل وفضل العلم، وكتاب التوحيد وكتاب الحجّة)<sup>(١٠)</sup> إلخ، (وكتاب الروضة آخر كتاب الكافي)<sup>(١١)</sup>.

(١) ينظر: خلاصة الأقوال: العلامة الحلبي: ٢٤٥.

(٢) ينظر: رجال ابن داود: ابن داود الحلبي: ١٨٧.

(٣) ينظر: نقد الرجال: التقرشي: ٣٥٢/٤.

(٤) ينظر: جامع الرواة: الأردبيلي: ٢١٨/٢.

(٥) ينظر: معجم رجال الحديث: الخوئي: ٥٤/١٩.

(٦) كشف المحجة: ابن طاووس: ١٥٨.

(٧) الكليني والكافي: عبد الرسول الغفّار: ٤٢١ - ٤٢٢.

(٨) تنكرة الأعيان: جعفر السبجاني: ٢٧٣.

(٩) نهاية الدراية: حسن الصدر: ٥٣٢.

(١٠) الفهرست: الطوسي: ٢١٠.

(١١) المصدر نفسه: ٢١٠.

٣- من لا يحضره الفقيه: الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ).

للشيخ الصدوق محمد بن علي ابن الحسين بن بابويه المولود بدعاء صاحب الأمر عليه السلام حدود عام ٣٠٦هـ<sup>(١)</sup>، وكان (جليل القدر، يكنى أبا جعفر، كان جليلاً، حافظاً للأحاديث، بصيراً بالرجال، ناقداً للأخبار، لم ير في القميين مثله في حفظه وكثرة علمه)<sup>(٢)</sup>.

وتميّز الشيخ الصدوق بكثرة الحفظ ممّا حدا إلى الحكم بصحة ما جاء في كتابه الفقيه من قبل العلماء يقول السيّد بحر العلوم: (ومن الأصحاب من يذهب إلى ترجيح أحاديث (الفقيه) على غيره من الكتب الأربعة نظراً إلى زيادة حفظ الصدوق رحمه الله وحسن ضبطه وثبته في الرواية)<sup>(٣)</sup>.

أمّا عدد أحاديث الكتاب فيقول الشهيد الثاني: (وأحصيت أحاديث الكتاب، فكانت خمسة آلاف وتسعمائة وثلاث وستون حديثاً)<sup>(٤)</sup>، ثم قال مادحاً الكتاب: (ومهما يكن من أمر فقد كان الكتاب فتحاً ثانياً في تدوين الحديث وجمعه بعد تأليف الكافي)<sup>(٥)</sup>.  
ويعدّ (من أصحّ الكتب الحديثية وأتقنها بعد الكافي، وهي في الاشتهار والاعتبار كالشمس في رابعة النهار)<sup>(٦)</sup>.

ولم يكن (من لا يحضره الفقيه) الكتاب الوحيد الذي اعتمده الملامح محسن القزويني كمصدر لتفسيره من كتب الشيخ الصدوق بل اعتمد على عدّة كتب منها: ثواب الأعمال، والخصال، والتّوحيد، وعلل الشرائع، وعيون أخبار الرضا (ع)، والأمال، وكمال الدّين وتمام النّعمة، والهداية.

(١) كليات في علم الرجال: السبجاني: ٣٧٩.

(٢) الفهرست: الطوسي: ٢٣٧.

(٣) الفوائد الرجالية: مهدي بحر العلوم: ٣٠٠/٣.

(٤) الروضة البهية: الشهيد الثاني: ٥١/١.

(٥) المصدر نفسه: ٥١/١.

(٦) كليات في علم الرجال: السبجاني: ٣٧٩.

٤- تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد: الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ).

وهو من تأليف الشيخ أبو جعفر الطوسي<sup>(١)</sup>، والذي قال عنه النجاشي وهو من معاصريه: (محمد بن الحسن بن علي الطوسي أبو جعفر جليل في أصحابنا، ثقة، عين، من تلامذة شيخنا أبي عبد الله، له كتب، منها: كتاب تهذيب الأحكام وهو كتاب كبير، وكتاب الاستبصار، وكتاب النهاية، وكتاب المفصح في الإمامة...) (٢). ووصفه السيد مهدي بحر العلوم قائلاً: (أبو جعفر شيخ الطائفة المحققة، ورافع أعلام الشريعة الحقّة، إمام الفرقة بعد الأئمة المعصومين، وعماد الشيعة الإمامية في كل ما يتعلق بالمذهب والدين، محقق الأصول والفروع ومهذب فنون المعقول والمسموع، شيخ الطائفة على الإطلاق، ورئيسها الذي تلوى إليه الأعناق، صنّف في جميع علوم الإسلام، وكان القدوة في كل ذلك والإمام) (٣).

وتعرّض السيد بحر العلوم إلى العلوم التي برع فيها الشيخ الطوسي لا سيّما علم الحديث والآثار العظيمة التي تركها في هذا العلم مفصلاً القول فيها لا سيّما كتاب تهذيب الأحكام الذي نحن بصدد بيان قيمته العلميّة قائلاً: (أمّا الحديث، فإليه تشدّ الرجال، وبه تبلغ رجاله غاية الآمال، وله فيه من الكتب الأربعة التي هي أعظم كتب الحديث منزلة، وأكثرها منفعة: كتاب التّهذيب، وكتاب الاستبصار ولهما المزيّة الظاهرة باستقصاء ما يتعلّق بالفروع من الأخبار، خصوصاً: التّهذيب، فإنه كان للفقيه فيما يبتغيه من روايات الأحكام مغنياً عمّا سواه في الغالب، ولا يغني عنه غيره في هذا المرام، فضلاً عن ما اشتمل عليه الكتابان من الفقه والاستدلال والتنبية على الأصول والرجال، والتوفيق بين الأخبار، والجمع بينها يشاهد النقل أو الاعتبار) (٤). توفي الشيخ الطوسي رضوان الله عليه (ليلة الاثنين الثاني والعشرين من المحرم سنة ستين وأربعمائة) (٥).

(١) ينظر: رجال النجاشي: ٤٠٣ .

(٢) المصدر نفسه: ٤٠٣ .

(٣) الفوائد الرجالية: مهدي بحر العلوم: ٢٢٧/٣ - ٢٢٨ .

(٤) المصدر نفسه: ٢٢٨ /٣ .

(٥) خلاصة الأقوال: العلامة الحلي: ٢٤٩ .

الثاني: المصادر التفسيرية:

تنوّعت الكتب التفسيرية المعتمدة من قبل القزويني فبعضها روائية لا تخلو من آراء بسيطة يعرض لها أصحابها بين الفينة والأخرى، وتفسير ذات بعد تحليلي ومع ذلك لا يُعدم فيها الحسّ الروائي جرياً على الأصل في ميل القزويني، مضافاً لبعض التفسير ذات المشرب اللغوي مثل الكشاف، وأهم هذه المصادر:

١- تفسير الإمام العسكري: المنسوب إلى الإمام العسكري(ع): أبو محمد الحسن بن علي بن محمد العسكري عليهم السلام(ت ٢٦٠هـ)

يعدّ هذا التفسير من أوائل التفسير التي وصلتنا، فضلاً عن كونه يشكّل مصدراً أساسياً لكثير من الكتب الروائية والتفسير لا سيّما التي انتهجت المنهج الروائي، (وهو تفسير مشهور معتمد قد اعتمد عليه رئيس المحدثين، ونقل منه في كتبه كثيراً حتى في كتاب من لا يحضره الفقيه، وكذلك الطبرسي في الاحتجاج وشهدا له بأنه معتمد ثابت، وهذا التفسير ليس هو الذي طعن فيه بعض علماء الرجال؛ لأنّ ذلك يروي عن أبي الحسن الثالث عليه السلام، وهذا عن أبي محمد عليه السلام، وذلك يرويه سهل الديباجي عن أبيه وهما غير مذكورين في هذا التفسير أصلاً، وذلك فيه مناكير وهذا خال من ذلك)<sup>(١)</sup>.

يقول العلامة المجلسي: (وكتاب تفسير الإمام عليّ السلام من الكتب المعروفة، واعتمد الصدوق عليه وأخذ منه، وإن طعن فيه بعض المحدثين ولكن الصدوق أعرف وأقرب عهداً ممّن طعن فيه، وقد روى عنه أكثر العلماء من غير غمز فيه)<sup>(٢)</sup>.

٢- تفسير العياشي: لأبي النظر محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السلمي السمرقندي (ت ٣٢٠هـ).

ويرجع تأليف هذا الكتاب إلى (أبي النظر محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السلمي السمرقندي (ت ٣٢٠هـ) المؤلف لما يزيد على مائتي كتاب في عدّة فنون،

(١) هداية الأمة: الحر العاملي: ٥٥٤/٨ .

(٢) بحار الانوار: المجلسي: ٢٨/١ .

الحديث، الرجال، التفسير، النجوم، وغيرها، وهو من مشايخ الكشي، ومن طبقة ثقة الإسلام الكليني، ويروي كتبه عنه ولده جعفر بن محمد بن مسعود<sup>(١)</sup>.

وقال ابن النديم: (العيّاشي: أبو النضر محمد بن مسعود العيّاشي من أهل سمرقند وقيل: أنه من بني تميم، من فقهاء الشيعة الإمامية أوجد دهره وزمانه في غزارة العلم ولكتبه بنواحي خراسان شأن من الشأن)<sup>(٢)</sup>. وقال فيه النجاشي (ت ٤٥٠هـ): (ثقة، صدوق، عين من عيون هذه الطائفة)<sup>(٣)</sup>.

ويضمّ تفسير كلّ القرآن الكريم إلا أنّ المتبقي هو من سورة الحمد إلى سورة الكهف.

وما يميّز تفسير العيّاشي هو عناية العيّاشي بالمسائل الفقهيّة في آيات الأحكام، فضلاً عن عنايته بالمسائل الكلاميّة والفرق الشيعيّة وغير الشيعيّة في التفسير ويأتي بروايات تتعلّق بها.

### ٣- تفسير القمي: أبو الحسن علي بن إبراهيم بن هاشم القمي

وهو من تأليف الشيخ أبي الحسن علي بن إبراهيم بن هاشم القمي شيخ ثقة الإسلام الكليني (ت ٣٢٩هـ)، قال فيه النجاشي (ت ٤٥٠هـ): (ثقة في الحديث، ثبت، معتمد، صحيح المذهب، وصنف كتباً وأضّر<sup>(٤)</sup> في وسط عمره، وله كتاب التفسير، كتاب النّاسخ والمنسوخ، كتاب قرب الإسناد)<sup>(٥)</sup>، قد روى عنه الكليني كثيراً كما يظهر من كتب الأخبار<sup>(٦)</sup> وقد أكثر الرواية عنه في الكافي، (أورد المفسر القمي في أول تفسيره مختصراً من الروايات المبسوطة المسندة المروية عن الإمام الصادق عن جدّه أمير المؤمنين عليهما السّلام في بيان أنواع علوم القرآن)<sup>(٧)</sup>.

(١) الذريعة: الطهراني: ٢٩٥/٤.

(٢) الفهرست: ابن النديم: ٢٤٠ - ٢٤١.

(٣) رجال النجاشي: النجاشي: ٣٥٠-٣٥١.

(٤) أي: وصار ضريباً.

(٥) رجال النجاشي: النجاشي: ٢٦٠.

(٦) نقد الرجال: التقرشي: ٢١٨/٣.

(٧) الذريعة: الطهراني: ٣٠٢/٤-٣٠٣.



ويعدّ تفسير القمّي من أقدم مصادر التفسير الشيعيّة وأشهرها ومن المصادر المعتمدة عند الإماميّة، وقد اعتمد القمّي منهج التفسير الروائي الذي أشار إليه في مقدّمة تفسيره<sup>(١)</sup>.

لم تكشف لنا المصادر سنة وفاته بالتّحديد وما بدا منها أنّه رضوان الله عليه كان حيّاً سنة ٣٠٧هـ، فالشيخ الصدوق روى عن (حمزة بن محمد بن أحمد العلوي) رحمه الله، في رجب سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، قال: أخبرني عليّ بن إبراهيم بن هاشم فيما كتب إليّ سنة سبع وثلاثمائة<sup>(٢)</sup>.

#### ٤- التّبيان في تفسير القرآن: الطّوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ).

ومؤلفه شيخ الطائفة (أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي المولود سنة ٣٨٥هـ، والمهاجر إلى العراق سنة ٤٠٨هـ، والمتوفى بالنّجف سنة ٤٦٠هـ، وتفسيره هذا أوّل تفسير جمع فيه أنواع علوم القرآن وقد أشار إلى فهرس مطوياته في ديوانته، أوّله: (الحمد لله اعترافاً بتوحيده، وإخلاصاً لربوبيته، وإقراراً بجزيل نعمه)، إلى قوله: (فإنّ الذي حملني على الشروع في عمل هذا الكتاب أنّي لم أجد في أصحابنا من عمل كتابا يحتوي على تفسير جميع القرآن ويشتمل على فنون معانيه)<sup>(٣)</sup><sup>(٤)</sup>.

وهو أوّل تفسير كامل للقرآن، وتطرّق الشيخ خلاله لعلوم القرآن بشتّى المجالات، كالقراءة واللغة والإعراب وأسباب النزول والنّظم والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه وغيرها بأسلوب علمي، (وهو أوّل تفسير شيعي جامع بين النّقل والعقل وبين الرواية والدراية)<sup>(٥)</sup>.

ويصف السيد مهدي بحر العلوم تفسير التّبيان قائلاً: (وهو كتاب جليل كبير، عديم النّظير في التّفاسير، وشيخنا الطبرسي - إمام التّفسير في كتبه - إليه يزدلف ومن بحره يغترف، وفي صدر كتابه الكبير بذلك يعترف، وقد قال فيه: (إنّه الكتاب

(١) ينظر: تفسير القمّي: علي بن إبراهيم: ١٥/١ - ٣٥، (مقدّمة التفسير).

(٢) الأمالي: الصدوق: ٣٢٧.

(٣) التّبيان في تفسير القرآن: الطوسي: ١/١.

(٤) الذريعة: الطهراني: ٣/٣٢٨.

(٥) المفسرون حياتهم ومنهجهم: محمد علي آيازي: ٣٥١/١.

الذي يقتبس منه ضياء الحق، ويلوح منه رواء الصدق، قد تضمن من المعاني الأسرار البديعة، واحتضن من الألفاظ اللغة الوسيعة، ولم يقنع بتدوينها دون تبيينها ولا بتتبعها دون تحقيقها، وهو القدرة أستضى بأنواره، وأطأ مواقع آثاره<sup>(١)</sup><sup>(٢)</sup>.

٥- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: الزمخشري: أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد، (ت ٥٣٨هـ).

من تأليف (أبي القاسم، جار الله: محمود بن عمر الزمخشري، الخوارزمي)<sup>(٣)</sup>، (وهو مفسر، محدث، متكلم، نحوي، لغوي، بياني، أديب، ناظم، ناثر، مشارك في عدة علوم)<sup>(٤)</sup>.

توفي الزمخشري ليلة عرفة سنة (٥٣٨هـ)<sup>(٥)</sup>.

ويعدّ هذا التفسير من التفسيرات المميزة بأسلوبها وتناولها للآيات القرآنية، ويصفه الذهبي قائلاً: (تفسير لم يسبق مؤلفه إليه، لما أبان فيه من وجوه الإعجاز في غير ما آية من القرآن، ولما ظهر فيه من جمال النظم القرآني وبلاغته، وليس كالزمخشري من يستطيع أن يكشف لنا عن جمال القرآن وسحر بلاغته، لما برع فيه من المعرفة بكثير من العلوم، لا سيما ما برز فيه من الإلمام بلغة العرب، والمعرفة بأشعارهم، وما امتاز به من الإحاطة بعلوم البلاغة، والبيان والإعراب، والأدب، ولقد أضفى هذا النبوغ العلمي والأدبي على تفسير الكشاف ثوباً جميلاً، لفت إليه أنظار العلماء وعلّق به قلوب المفسرين)<sup>(٦)</sup>.

٦- مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي (ت ٥٤٨هـ).

من التفسيرات المشهورة، وهو لأبي علي الطبرسي، وقد كان (ثقة، فاضل، دين، عين، له تصانيف منها: مجمع البيان في تفسير القرآن، والوسيط في التفسير، وإعلام

(١) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٣/١.

(٢) الفوائد الرجالية: مهدي بحر العلوم: ٢٢٨/٣ - ٢٢٩.

(٣) كشف الظنون: حاجي خليفة: ١٤٧٥/٢.

(٤) معجم المؤلفين: عمر كحاله: ١٨٦/١٢.

(٥) ينظر: وفيات الأعيان: ابن خلكان: ١٧٣/٥.

(٦) التفسير والمفسرون: الذهبي: ٣٠٦/١ - ٣٠٧.

الورى بأعلام الهدى، وتاج المواليد، والآداب الدينية للخرانة العينية، وغنية العابد ومنية الزاهد<sup>(١)</sup>.

وأما مجمع البيان فهو تفسير منفرد في عصره عين كل سورة أنها مكية أو مدنية، ثم أسباب النزول، ثم يذكر نظم الآيات، ثم يذكر مواضع الاختلاف في القراءة، ثم يذكر اللغة العربية، ثم يذكر الإعراب، ثم المعنى والتأويل والأحكام والقصص.

٧. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: البيضاوي: ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي (ت ٦٨٥هـ).

وهو من تأليف (عبد الله بن عمر بن محمد بن علي قاضي القضاة ناصر الدين أبو الخير البيضاوي، صاحب المصنفات وعالم آذربيجان وشيخ تلك الناحية ولي قضاة شيراز)<sup>(٢)</sup>، قال عنه السبكي: (كان إماماً مبرزاً نظاراً صالحاً متعبداً زاهداً)<sup>(٣)</sup>، مات بتبريز سنة خمس وثمانين وستمائة<sup>(٤)</sup>.

وأما تفسيره فهو (تفسير متوسط الحجم، جمع فيه صاحبه بين التفسير والتأويل، على مقتضى قواعد اللغة العربية، وقرر فيه الأدلة على أصول أهل السنة، وقد اختصر البيضاوي تفسيره من الكشاف للزمخشري، ولكنه ترك ما فيه من اعتزالات، وإن كان أحياناً يذهب إلى ما يذهب إليه صاحب الكشاف)<sup>(٥)</sup>.

٨- التفسير الصافي: الفيض الكاشاني: محمد محسن بن مرتضى بن محمود (ت ١٠٩١هـ).

هو (للمولى المحدث محمد بن مرتضى الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ)، العلامة المحقق، المدقق، جليل القدر، عظيم الشأن، رفيع المنزلة، فاضل، كامل، أديب متبحر في جميع العلوم، وهو أكبر تفاسيره الثلاثة (الصافي، الأصفى، المصفى) وعلى هذا التفسير حواش كثيرة)<sup>(٦)</sup>.

(١) فهرست منتجب الدين: منتجب الدين بن بابويه: ٩٧ .

(٢) طبقات الشافعية: ابن قاضي شهبة: ١٧٢/٢ .

(٣) طبقات الشافعية الكبرى: السبكي: ١٥٧/٨ .

(٤) البداية والنهاية: ابن كثير: ٦٠٦/١٧ .

(٥) التفسير والمفسرون: الذهبي: ٢١١/١ .

(٦) الذريعة: الطهراني: ٤٥/٦، وينظر: معجم رجال الحديث: الخوئي: ٢٠٥/٥ .

يقول محمد هادي معرفة في وصف تفسير الصّافي: (وهذا التفسير - على جملته - من نفائس التفسير الجامعة لجلّ المرويات عن أئمة أهل البيت عليهم السلام إن تفسيراً أو تأويلاً)<sup>(١)</sup>.

وقد بذل الكاشاني جهداً كبيراً على أن يأتي تفسيره خالياً من الإطناب، والآراء الشاذة وغير المعتمدة فلذا سماه بـ "الصّافي"<sup>(٢)</sup>، ويحتوي هذا التفسير على مباحث كلامية وعرفانية وأدبية، كما قام المؤلف بتلخيصه تحت عنوان "تفسير الأصفى".

---

(١) التفسير والمفسرون: محمد هادي معرفة: ٣٣٦/٢ .

(٢) ينظر: التفسير الصّافي: الفيض الكاشاني: ١٣/١ .

الثالث: المصادر اللغوية:

وقد اعتمد على أمهات المصادر في هذا القسم، مضافاً لاعتماده على مؤلفاته في الإحالة لكثير من المطالب معرضاً عن الإطالة فيها، وأمّا أهم المصادر في هذا القسم:

١- العين: الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو (ت ١٧٠هـ).

ومؤلفه (أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي) (١)، (وقد كَانَ الْخَلِيلُ رَجُلًا صَالِحًا عَاقِلًا كَامِلًا حَلِيمًا وَفُورًا، وَكَانَ مُنْقَلَبًا مِنَ الدُّنْيَا، صَبُورًا عَلَى الْعَيْشِ الْخَشِنِ الضَّيِّقِ، وَكَانَ يَقُولُ: لَا يُجَاوِزُ هَمِّي مَا وَرَاءَ بَابِي، وَكَانَ ظَرِيفًا حَسَنَ الْخُلُقِ) (٢)، (وهو أول من استخراج العروض وضبط اللغة وحصر أشعار العرب) (٣)، (وتوفى الخليل بالبصرة سنة سبعين ومائة وعمره أربع وسبعون سنة) (٤).

وتكلم ياقوت الحموي عما قدمه الخليل للعرب ولغتهم قائلاً: (منحهم في لغتهم من حصره إياها في الكتاب الذي سماه كتاب العين) فبدأ فيه بسياقة مخارج الحروف، وأظهر فيه حكمة لم يقع مثلها للحكماء من اليونانيين، فلما فرغ من سرد مخارج الحروف عدل إلى إحصاء أبنية الأشخاص وأمثلة أحداث الأسماء، فزعم أن مبلغ عدد أبنية كلام العرب المستعمل والمهمل على مراتبها الأربع من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي من غير تكرير ينساق إلى اثني عشر ألف ألف وثلاثمائة ألف وخمسة آلاف وأربعمائة واثنى عشر) (٥).

أمّا (منهج الخليل في العين منهج هداه إليه اشتغاله بالموسيقى والأنغام، وساعده كثيراً ذهنه الرياضي وعقله الكبير وعبقريته التي لم تشهد العربية لها مثيلاً إلا نادراً، ويكفي للدلالة على مواهبه الفذة أنه ابتكر قواعد علم لم يدع لمن بعده فيه مجالاً، بل ابتكره كاملاً، وذلك علم العروض، واخترع علم النحو، واخترع علم الموسيقى العربية،

(١) وفيات الأعيان: ابن خلكان: ٢/٢٤٤ .

(٢) البداية والنهاية: ابن كثير: ١٣/٥٦٤ .

(٣) معجم الأدباء: ياقوت الحموي: ٣/١٢٦٢ .

(٤) الفهرست: ابن النديم: ٤٨ .

(٥) معجم الأدباء: ياقوت الحموي: ٣/١٢٦١ .

فلا غرابة على هذا الذهن الجبار أن يكون أول مبتكر للمعجم العربي، وهذا المنهج قائم على الصوت؛ لأنه أوضح في التمييز والدلالة على مخرج الحرف من الكتاب<sup>(١)</sup>.

٢- الكتاب: سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي (ت ١٨٠هـ).

ومؤلفه (عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه) (ت ١٨٠هـ)، إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو، ولد في إحدى قرى شيراز، وقدم البصرة، فلزم الخليل بن أحمد ففاقه، وصنّف كتابه المسمّى (كتاب سيبويه) في النحو، لم يصنع قبله ولا بعده مثله، ورحل إلى بغداد، فناظر الكسائي، وعاد إلى الأهواز فتوفي بها، وقيل وفاته وقبره بشيراز<sup>(٢)</sup>.

(كان (كتاب سيبويه) لشهرته، وفضله: علماً عند النحويين، فكان يقال بالبصرة: قرأ فلان الكتاب، فيعلم أنه: (كتاب سيبويه)، وقرأ نصف الكتاب، فلا يشك أنه: (كتاب سيبويه)، انتهى، ولم يزل أهل العربية يفضلونه، حتى قال المبرد: لم يعمل كتاب في علم من العلوم مثله، ويقال: إن الكتب المصنّفة في العلوم مضطرة إلى غيرها، و(كتاب سيبويه) لا يحتاج إلى غيره)<sup>(٣)</sup>.

٣- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت ٣٩٣هـ).

والكتاب من تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري أبو نصر الفارابي<sup>(٤)</sup>، (وكان الجوهري هذا من أعاجيب الزمان ذكاء وفطنة وعلماء، وأصله من بلاد الترك من فاراب، وهو إمام في علم اللغة والأدب)<sup>(٥)</sup>.

ويصفّ ياقوت الحموي الكتاب قائلاً: (وهذا الكتاب هو الذي بأيدي الناس اليوم وعليه اعتمادهم، أحسن تصنيفه، وجوّد تأليفه، وقرب متناوله، وأبرّ في ترتيبه على

(١) مستدركات أعيان الشيعة: حسن الأمين: ٧٥/٣ .

(٢) الاعلام: الزركلي: ٨١/٥ .

(٣) كشف الظنون: حاجي خليفة: ١٤٢٨/٢ .

(٤) معجم الأدباء: ياقوت الحموي: ٦٥٦/٢ .

(٥) المصدر نفسه: ٦٥٦/٢ .

من تقدّمه، يدلّ وضعه على قريحة سالمة ونفس عالمة؛ فهو أحسن من «الجمهرة» وأوقع من «تهذيب اللغة» وأقرب متناولاً من (مجل اللغة)<sup>(١)</sup>.

فيما قال السيوطي عنه: (وأول من التزم الصحيح مقتصراً عليه الإمام أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ولهذا سمى كتابه بالصّاح)<sup>(٢)</sup>، الأمر الذي أعرب الجوهري نفسه عن ذلك في مقدمة كتابه مشيراً إلى منهجه الذي سار عليه والمصادر التي استقى منها مادته قائلاً: (إني قد أودعت هذا الكتاب ما صحّ عندي من هذه اللغة)<sup>(٣)</sup>.

#### ٤- القاموس المحيط:

من تأليف (محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو طاهر، مجد الدين الشيرازي الفيروزآبادي) (ت ٨١٧هـ)، من أئمة اللغة والأدب، ولد بكارزين (بكر الرء وتفتح) من أعمال شيراز، وانتقل إلى العراق، وجال في مصر والشام، ودخل بلاد الروم والهند، ورحل إلى زبيد (سنة ٧٩٦ هـ) فأكرمه ملكها الأشرف إسماعيل وقرأ عليه، فسكنها وولي قضاءها، وانتشر اسمه في الآفاق، حتى كان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير، وتوفي في زبيد، أشهر كتبه (القاموس المحيط) في أربعة أجزاء، و (المغانم المطابة في معالم طابة)<sup>(٤)</sup>.

#### المطلب الرابع: منهجية المؤلف:

اتّبع القزويني في تفسيره منهجية اعتمد فيها على مصادر عدّة ووظّف مناهج مختلفة في بيان الآيات الكريمة وتتبع آراء من سبقه من المفسرين واللغويين، ويمكن أن نحصرها فيما يأتي:

١- بروز الجهد اللغوي والنحوي والأدبي عند المصنّف في تفسيره بشكل واضح؛ فيبسط المصنّف الآراء في الاشتقاقات اللغوية، والمعاني النحوية لجملة من الألفاظ، موازناً فيما بينها، مختاراً للأصح منها بناءً على قوة الدليل والحجّة، وانعكاس ذلك

(١) معجم الأدباء: ياقوت الحموي: ٦٥٧/٢ .

(٢) المزهر في علوم اللغة: السيوطي: ٧٤/١ .

(٣) الصّاح: الجوهري: ٣٣/١ .

(٤) الأعلام: الزركلي: ١٤٦/٧ .

على اختياراته التفسيرية لاحقاً للآيات المرتبطة بالبحث اللغوي والتحوي، علماً أن مختاراته النحوية واللغوية بين الآراء في تفسيره على نحو الإيجاز مع الإشارة لمصنفاته أمثال: توشيح الشافية، وزينة السالك وغيرها لمن يروم التفصيل في المسألة ذاتها. كما يعمد لبيان معاني الألفاظ الغامضة، والتي يشوبها اللبس، أو يعوزها البيان إلى المعاجم اللغوية، وعمدة ما يستند عليه في ذلك القاموس المحيط للفيروز آبادي، وكذلك مصنفات الخليل وسيبويه.

٢ - ظهر جلياً من المتابعة لمنهجية المصنف التفسيرية - في غير البعد اللغوي والتحوي - منهجان:

أ - منهج تفسير القرآن بالقرآن، من خلال إرجاع وربط الآيات ببعضها، وكذلك الاعتماد على السياق القرآني في الاستدلال لبيان معاني بعض الآيات القرآنية، مستخرجاً المعنى للآيات المراد تفسيرها في نطاق قرآني داخلي من القرآن وإلى القرآن.

ب - منهج التفسير بالمأثور، بالرجوع إلى روايات النبي وأهل بيته صلوات الله عليهم، وقد غلب هذا المسلك في تفسيره على غيره من المسالك الباقية. وقد لوحظ عند المصنف حين الأخذ من الروايات أمور:

ب/١: يعتمد على الكتب الروائية من الفريقين (الشيعة والسنة) في الاستدلال مقدماً مصادر الإمامية وإن لم يجد فيها ما يبحث عنه يلجأ إلى كتب العامة مع التزامه حينذاك بكون الرواية عن أهل البيت عليه السلام.

ب/٢: يستند القزويني - غالباً - من خلال التتبع على الكتب الروائية المعتمدة، وإن لم يصرح بذلك في تفسيره - والأخذ بالروايات المتفق عليها قدر الإمكان؛ ومن ثم يعمد إلى المصادر والروايات الأقل اعتباراً للاستئناس لا الاستدلال وبناء الرأي على أساسها.

ب/٣: لوحظ أن المصنف عند أخذه لبعض الأحاديث التفسيرية وصفه لها ب: (الأخبار الصحيحة - أو بسند صحيح - أو في الصحيح)، وهو المشعر بأخذه بالتقسيم الرباعي للحديث.



إلا أنه قد يناقش في هذا المؤيد وتمايمته لعدّه من مسلك أهل الحديث الآخذين بالتصنيف الرباعي؛ لأنه لم يشر إلى باقي أقسام الحديث، كالموثق والضعيف وغيرها، ولو بانّت مثل هذه الأوصاف لكانت حجة في المدعى، ولكن الاقتصار على لفظ الصحيح ومماثلاته؛ لكونه من أصحاب منهج علمائنا الأخباريين رحمهم الله، القائلين بصحة الأحاديث الواردة في الكتب الأربعة وغيرها، فيكون تعبيره بالصحيح والسند الصحيح مطابقاً لمبانيهم في صحة هذه الأحاديث، فحينئذ يمكن القول: إنّ القزويني ليس من أصحاب التقسيم الرباعي للحديث، وأنّ التوصيف بالصحيح لا يدلّ على توجّهٍ لديه، وميل لمسلك علمائنا القائلين بالتقسيم الرباعي من أمثال العلامة الحلّي، والسيد ابن طاووس وغيرهم رحمهم الله، إلا أنّ هذه المناقشة غير تامّة؛ لأنّ ما وصفه بالصحيح جزء من الأخبار والتي لا إشكال في صحتها، نعم لو أنّه وصف جميع ما ذكره من الأخبار بالصحيح لصحّت المناقشة، ولأمكن القول بأنّه على مسلك الأخباريين في صحة جميع ما ورد في الكتب الأربعة وغيرها، ولكنه لما قصر الوصف ببعضها، فإنّ ذلك مؤيد على إرادته ذكر الصحيح منها والتنبيه عليه، دون غيره، وهو دالّ على أنّه من أصحاب التقسيم الرباعي، وأنّه ليس على طريقة الأخباريين ممن لا يرتضون ذلك.

مضافاً لذلك فهناك مؤيد آخر في المقام على أنّ القزويني ينتمي إلى مدرسة التقسيم الرباعي في الحديث، فقد ذكر في طيات التفسير عند تعارض الروايات أنّه يعمد إلى وسائل الجمع المتعارفة في المقام، ومنها: النّظر في أسانيدّها فيقدّم السند الأوثق على غيره، وقد صرّح بذلك بقوله: (يؤخذ بالأوضح متناً والأوثق سناً ويعمل بالمرجّحات كما هو المناط في باب اختلاف الروايتين)<sup>(١)</sup>.

مضافاً لذلك وطبقاً للقرائن التاريخية المثبتة لتوجّه أسرة القزويني والتي عُرفت بالملائكة والبرغاني لاحقاً أنّها محسوبة على المدرسة الأصوليّة، ولم يعرف عن الأصوليين إنكارهم لتقسيمات الحديث المعروفة .

(١) نور التوفيق وكشف التدقيق (مخطوط): محسن القزويني: ٤٥٦/١ .

وعليه - كما يرى الباحث - أنه يمكن عدّ القزويني في المدرسة الأصولية للاستنباط الآخذة بالتقسيم الرباعي للحديث.

وثانياً: على الرغم من كون الملاً القزويني ممن يحسب على المدرسة الأصولية - طبقاً لما ثبت بالقرائن - إلا أنه تميّز بانفتاحه على آراء علماء الإمامية بشكل عام الأصوليين منهم والأخباريين، واختيار ما حسن في ظنّه من آرائهم دون انغلاقٍ على منهجٍ دون آخر كما هو السائد في ذلك العصر<sup>(١)</sup>، بل - وكما سيأتي - أنّ من مزايا هذا التفسير خروجه عن نسق وروح التفاسير في القرن الثاني عشر، بالجمع بين أسلوب الطوسي والطبرسي وأسلوب الفيض الكاشاني وغيره من أهل التفسير الروائي، وهو يتناسب مع طبيعة الانفتاح العلمي للقزويني في شخصيته العلمية، فقد كان متنوعاً في مشاريعه المعرفية طبقاً لما يظهر من جهده المعرفي لا سيما التفسير والذي لم يقربه لجهة على أخرى، بل كان متوازناً آخذاً من جميع الأطراف.

والذي - يميل إليه الباحث - أنّ القزويني كان متنوعاً في المشارب المعرفية طبقاً لما ظهر من جهده المعرفي لا سيما التفسيري، والذي لم يقربه لجهة على أخرى، بل كان متوازناً آخذاً من جميع الأطراف، وهو بحدّ ذاته يحسب له في ذلك الزمن الأخباري بامتياز.

٣- وظّف القزويني الدّعاء في تفسير بعض الآيات، إذ عمد إلى التفسير والإيضاح من خلال الرجوع إلى أدعية أهل البيت عليهم السلام، ولا سيما الصحيفة السجادية للإمام علي بن الحسين السّجاد عَلَيْهِ السّلام.

والتفسير بالدّعاء وإنّ عدّ من أنحاء التفسير بالمأثور؛ كون الأدعية الصادرة عن أهل البيت عليهم السلام تعامل معاملة الرواية، إلا أنّ لها خصوصية تمتاز بها عن الروايات التفسيرية بشكل عام، وهي عدم ورودها لخصوص التفسير كما هو حال

(١) وأغلب الظنّ أنّه أخذ هذا المنهج من شيخه المحدث الكبير الحرّ العاملي، فإنّه وإنّ كان شيخ الأخبارية في ذلك الزمن، إلا أنّه تعامل مع آراء الأصوليين بتقدير واستشهد ببعضها، ولم يمنع منهجه الأخباري من تعظيم المجتهدين. ينظر: رسالة في الغناء: الحرّ العاملي: ٤٧، كشف التعمية في حكم التسمية: الحرّ العاملي: ٩٧، أمل الأمل: الحرّ العاملي: ٨١/٢ .

المرويات التفسيرية، والتي يرد فيها السؤال عن الآية أو السورة، أو النزول، بل لسان الأدعية لسان المناجاة والتي تتضمن خلالها محاكاة لآيات الكتاب، إما اقتباساً بالنص أو بتصريف، أو بالمعنى، مما يلقي على النص القرآني بعداً تفسيرياً من خلال السياق الوارد فيه، وهو كثيرٌ في أدعية أهل البيت عليهم السلام، إضافة لذلك أنّ هناك دراسات أدبية تختص بدراسة التناص بين بعض الأدعية والقرآن الكريم<sup>(١)</sup>، ولا يقتصر الأمر على التناص بقدر ما هو تفسيرٌ وإيضاحٌ للآيات الواردة بأي نحو في لسان الأدعية.

٤- يتعرّض خلال التفسير لآراء العلماء في المسائل العقديّة أو التفسيرية، ويفرد لمطارحتها أبواباً في الردّ عليهم من أمثال الزمخشري والبيضاوي، مناقشاً إياها، منتهياً إلى ما يراه صائباً منها بمقتضى الأدلة والبراهين.

وفي السياق نفسه له وقفات تحت عنوان (نكتة) يبيّن من خلالها جملةً من المطالب المتعلقة بأية من الآيات، ويقف خلالها على آراء بعض المفسرين في الآية أو الموضوع المطروح ذاته، فيفند الرأي بناءً على ما قدمه في النكتة.

#### المطلب الخامس: القيمة العلمية لتفسير (نور التوفيق وكشف التدقيق):

لعلّ أهم ما يميّز هذا التفسير الوسطية والتنوّع في المنهج، وهذا الأمر باللّحاظ الزمني الذي كُتب فيه يعدّ نقطة فارقة تميّزه عن غيره من الكتب المصنّفة في ذلك العهد، وهو ما يدعو أولاً لبيان أهم خصائص كتب التفسير في تلك الحقبة، والتي تتقلّب بين منهجين بشكلٍ متطرّف، وهما المنهج الفلسفي والروائي، يقول الشيخ السبجاني في بيان هذه الحقبة: (بوضوح، أنّه قد سادت على الأوساط الشيعية في هذه الظروف نزعتان مختلفتا المنحى ومتضادتا المنهج لا تجد لهما مثيلاً في العصور السابقة، وهاتان النزعتان هما:

١- النزعة العقلية البحتة التي تدفع المفسر إلى الاهتمام بالآيات الواردة في المبدأ والمعاد والأسماء والصفات وما يمتّ إليهما بصلة، ويضرب - في ظلّها - عمّا سواها صفحاً، ولا ينظر إليه إلّا نظرة خاطفة كأنّ القرآن كتاب عقلي فلسفي لا يهتم إلّا بالمسائل العقلية، ولا شأن له بمسائل المجتمع وما تدور عليه رحي الحياة.

(١) ينظر: التناص القرآني في دعاء السمات: أ. د عماد جبار داود، مجلة المصباح، العدد: السابع والأربعون.

٢- النزعة الأخبارية التي لا تهتم إلا بنقل الروايات وجمعها من مختلف الكتب من دون تحقيق في إسنادها وامتونها حتى ألف في هذه الظروف أكبر المجاميع الروائية حول التفسير التي لا يشذ منها من أحاديث التفسير إلا النزر اليسير<sup>(١)</sup>.

ومن خلال هذا النص يمكن الوقوف على مكانة هذا التفسير من حيث التنوع في المنهجية والجمع بين النزعتين العقلية والروائية والتي سادت الجو الإمامي بشكل عام على مستوى التفسير كما تبين سابقاً؛ فإن المصنف في تفسيره توقّف عند الأدلة العقلية فيما يرتبط بالمسائل العقديّة وغيرها، وعالجها إضافة إلى الأدلة الروائية، ولم يقتصر دور التفسير على تحشيد النصوص الروائية في التفسير، بل كان له إزائها الكثير من البيان والتعليق والردّ والأخذ، بل هو الطابع الغالب عليه؛ ولهذا، فلا يعدّ هذا التفسير تفسيراً روائياً، كما لا يعدّ تفسيراً فلسفياً.

وقد لا يبدو تفسير نور التوفيق في العصر الراهن ذو خصوصية بعد رواج التفسير الجامعة للمناهج والمتنوعة في طرح المباحث، إلا أنّ هذا التفسير يبخر التفسير حقّه؛ لأنّه يحاكمه خارج الإطار الزمني، فإنّه إذا ما قيس بتلك الحقبة فإنّه يحتلّ مكانة من حيث الجمع بين المناهج والخروج عن النزعة الأحاديّة التي غلبت على تلك الحقبة، وهو بحدّ ذاته يعدّ أمراً صعباً لا سيّما بلحاظ تلك الحقبة التي شهدت تباين مناهج في كافة المستويات في بيان التفسير والعقيدة والفقّه والشريعة بشكل عام.

ويؤيد ما ذهب إليه الباحث كلمات الشيخ السبجاني - أيضاً - في الحديث عن القرنين الثالث والرابع عشر بقوله: (ولما قضى الأستاذ الأكبر المحقق البهبهاني (المتوفى ١٢٠٦هـ) على النزعة الأخبارية في أواخر القرن الثاني عشر ومستهلّ القرن الثالث عشر عزّت العناية بالتفسير الروائي وتوفرت الدوافع نحو التفسير العلمي الذي يهتم بأكثر المسائل التي يتوقّف عليها فهم الآيات، فراج منهج الشيخ الطوسي في تبيانه، والطبرسي في مجمعه، خصوصاً في أواخر القرن الثالث عشر ومستهلّ الرابع عشر)<sup>(٢)</sup>.

(١) مفاهيم القرآن: جعفر السبجاني: ٤١٩/١٠ .

(٢) المصدر نفسه: ٤١٩/١٠ .

فهذا التنوع والرجوع إلى منهج الطوسي والطبرسي على - حدّ تعبير الشيخ السبجاني - نجده بوضوح في تفسير القزويني نور التوفيق، وهو ما يؤكّد أسبقيته من هذه الجهة، ولنا على ذلك شاهدان:

الأول: ذكر جملة من الباحثين المعنّيين بتحقيق مخطوطة منتهى الغايات في فضائل السور والآيات للملّا محسن بن محمد طاهر القزويني أنّه انتهج في هذا المخطوط منهجية الشيخ الطبرسي، ومن جملة ما قالوه: (وقد اعتمد بشكل أساسي على منهجية الشيخ الطبرسي في تفسير مجمع البيان، وقد تأكّدنا من ذلك أثناء عملية التحقيق... وقد اعتمد اعتماداً كاملاً على مصادره)<sup>(١)</sup>.

وهذا الشاهد يؤيّد ما يذهب إليه الباحث بأنّ القزويني كان ناظراً وملاحظاً ومتّبِعاً لمنهج الشّيخين الطّوسي والطّبرسي في أعماله القرآنيّة في زمنٍ غيّب فيه هذا الجمع والتحليل المعرفي والتنوع المنهجي.

الثاني: ذكر الباحث عبد الحسين صالح في سير حديثه عن تفاسير الشيعة الثاني عشر تفسير نور التوفيق، ومن جملة ما ذكره: (يبدأ المصنّف التفسير مستعيناً بروايات وأحاديث الأئمة المعصومين عليهم السلام، وبمشرّبه المنطقي والفلسفي، ويشمل هذا التفسير جميع آيات من القرآن الكريم من سورة الحمد إلى سورة الناس، ويتضمّن مقدّمة مبسّطة عن فضيلة القرآن الكريم وآداب تلاوته، ويعتبر هذا التفسير فريداً من نوعه، ومن أفضل التّراث الحضاري لعلوم القرآن الكريم في القرن الثاني عشر للهجرة)<sup>(٢)</sup>.

وهذا النص صريح على التنوع المنهجي عند الملّا القزويني في تفسيره نور التوفيق، فضلاً عن كونه أحد أفضل التفاسير في تلك الحقبة.

(١) دراسة في تحقيق مخطوطة (منتهى الغايات في فضائل السور والآيات) للملا محسن بن محمد طاهر القزويني: سمية حسن عليان، فاطمة السلامي، هادي التميمي: ١٠٠.

(٢) تفسير وتفسير شيعية (فارسي): عبد الحسين صالح: ٢٥٣.

النص بالفارسية: (مفسر بس از ذكر آيات قران كريم با مشرب منطقي فلسفي خويش با بهره روايات واحاديث ائمة معصومين به تفسير مي بردازد واين تفسير شامل قران مجيد است از سوره حمد لغايت سوره ناس شامل مقدمه مبسوط در فضيلت قران كريم وآداب تلاوت، اين تفسير كه در نوع خود كم نظير است از بهترين ميراث فرهنگي علوم قران كريم از قرن دوازهم هجري محسوب مي گردد).

## الفصلُ الثَّانِي:

### المَبَاحِثُ الْقُرْآنِيَّةُ فِي التَّفْسِيرِ

المَبْحَثُ الأوَّل: مَبَاحِثُ عُلُومِ الْقُرْآنِ وَتَأْرِيخِهِ

المَبْحَثُ الثَّانِي: إِشْكَالِيَّةُ تَحْرِيفِ الْقُرْآنِ عِنْدَ

الْقُرُونِ وَمُخْتَارَاتِهِ التَّفْسِيرِيَّةُ

المَبْحَثُ الأوَّل: مَبَاحِثُ عُلُومِ الْقُرْآنِ وَتَأْرِيخِهِ

المَطْلَبُ الأوَّل: مَبَاحِثُ عُلُومِ الْقُرْآنِ

المَطْلَبُ الثَّانِي: مَبَاحِثُ تَأْرِيخِ الْقُرْآنِ

## الفصل الثاني: المباحث القرآنية في التفسير

### المبحث الأول: مباحث علوم القرآن وتاريخه

تناول القزويني في تفسيره بعضاً من مباحث علوم القرآن وتاريخه تضمّنت بيان المصطلحات والآراء فيها ومنها:

#### المطلب الأول: مباحث علوم القرآن

ويُقصدُ بعلوم القرآن: (هي جميع المعلومات والبحوث التي تتعلق بالقرآن الكريم)<sup>(١)</sup>، وقيل: (هي مجموعة من المسائل يُبحث فيها عن أحوال القرآن الكريم من حيث نزوله، وأداء كتابته، وجمعه وترتيبه في المصاحف، وتفسير ألفاظه، وبيان خصائصه، وأغراضه)<sup>(٢)</sup>، وقيل: (هي العلوم المتعلقة بمباحثها بالموارد الداخلة في النصّ القرآني، ومثالها: النَّاسُخُ والمنسوخ والمحكم والمتشابه وغريب القرآن)<sup>(٣)</sup>، وقد اهتمَّ عامَّةُ المفسرين بهذه العلوم في مباحث تفاسيرهم، كما تعرّض المصنّف إلى جملة من هذه العلوم في صفحات تفسيره مُبيّناً رأيه فيها، وفيما يأتي بعض من هذه العلوم:

#### أولاً: المحكم والمتشابه:

عقد القزويني في تفسيره بحثاً موجزاً روائياً مضافاً لبعض آراء المفسرين لبيان المحكم والمتشابه، في عدّة نقاط:

#### ١. معاني المحكم والمتشابه:

بيّن القزويني معاني المحكم والمتشابه، كما وأشار إلى أوجه الشبه والاختلاف فيما بينها، وهي كالاتي:

أ - أنّ المحكم والمتشابه يرتبط بالأشخاص<sup>(٤)</sup>، واستدلّ على ذلك بما جاء (في تفسير العياشي "عن الصادق عليه السلام في تأويله أنّ المحكمات أمير المؤمنين والأئمة من ولده عليهم السلام، والمتشابهات فلان وفلان وفلان"<sup>(٥)</sup>)<sup>(١)</sup>.

(١) علوم القرآن: محمد باقر الحكيم: ١٩.

(٢) مباحث في علوم القرآن: صبحي الصالح: ١٠.

(٣) علوم القرآن الموضوعية: محمد كاظم الفتلاوي: ٢١.

(٤) ينظر: نور التوفيق وكشف التدقيق: النصّ المحقق: ١٩٢.

(٥) تفسير العياشي: العياشي: ١٦٣/١، مع تغيير يسير في الرواية.



ب - أشار القزويني إلى وجه آخر من أوجه الخلاف بين المحكم والمتشابه، معتمداً على ما جاء في تفسير العياشي قائلاً: (ما ذكره العياشي في تفسيره عن الصادق عليه السلام أنه سُئل عن المحكم والمتشابه، فقال: "المحكم ما يُعملُ به، والمتشابه ما اشْتَبَهَ على جاهله" (٢) (٣) .

ج - المحكم تأويله في تنزيهه، والمتشابه لفظه واحدٌ ومعانيه مختلفة، وقد استعاد ذلك مما رواه علي بن إبراهيم في تفسيره لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٤)، قائلاً: (وفي تفسير علي بن إبراهيم في هذه الآية) (فأما المحكم من القرآن فهو ما تأويله في تنزيهه مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ (٥) الآية، ومثل قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ﴾ (٦) إلى آخر الآية، ومثله كثيرٌ محكمٌ مما تأويله في تنزيهه، وأما المتشابهة فما كان في القرآن مما لفظه واحدٌ ومعانيه مختلفة مما ذكرنا من الكفر الذي هو على خمسة أوجه والإيمان على وجوهٍ ومثل الفتنة والضلال الذي هو على وجوه (٧) (٨) .

د - أورد الملا القزويني خمسة أقوال أخرى في معاني المحكم والمتشابه، وعمدته في ذلك ما جاء في مجمع البيان للشيخ الطبرسي قائلاً: (وفي المجمع) (في المحكم والمتشابه أقوال: (أحدها: أن المحكم ما علم المراد بظاهره من غير قرينة تقترن إليه

(١) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ١٩٢ .

(٢) تفسير العياشي: العياشي: ١/١٦٣، مع تغيير يسير في الرواية .

(٣) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ١٩٢ .

(٤) سورة آل عمران: الآية ٧ .

(٥) سورة المائدة: الآية ٦ .

(٦) سورة النساء: الآية ٢٣ .

(٧) تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي: ١/٩٦ .

(٨) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ١٩٢ .

ولا دلالة تدلّ على المراد به؛ لوضوحه نحو قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾<sup>(١)</sup>، و﴿لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾<sup>(٢)</sup>، ونحو ذلك مما لا يحتاج في معرفة المراد به إلى دليل، فالمتشابه ما لا يُعلم المراد بظاهره حتى يقترن به ما يدلّ على المراد منه؛ لالتباسه نحو قوله: ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾<sup>(٣)</sup>، فإنه يفارق قوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾<sup>(٤)</sup>؛ لأنّ إضلال الله لهم حسن، وإضلال السامريّ قبيح، وهذا [معنى]<sup>(٥)</sup> قول مجاهد: المحكم ما لم يشته معانيه، والمتشابه ما اشتبهت معانيه، وإنما يقع الاشتباه في أمور الدين كالتوحيد، ونفي التشبيه، والجور ألا ترى أنّ قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾<sup>(٦)</sup>، يحتمل في اللغة أن يكون كاستواء الجالس على سريره، وأن يكون بمعنى القهر والاستيلاء، والوجه الأول لا يجوز عليه سبحانه.

وثانيها: أنّ المحكم الناسخ، والمتشابه المنسوخ عن ابن عباس.

وثالثها: أنّ المحكم ما لا يحتمل من التأويل إلاّ وجهاً واحداً، والمتشابه ما يحتمل وجهين فصاعداً عن محمد بن جعفر بن الزبير وأبي عليّ الجبائيّ. ورابعها: إنّ المحكم ما لم يتكرر ألفاظه، والمتشابه ما تكرر ألفاظه كقصة موسى عليه السلام، وغير ذلك عن ابن زيد.

وخامسها: إنّ المحكم ما يُعلم تعيين تأويله، والمتشابه ما لا يُعلم تعيين تأويله كقيام الساعة عن جابر بن عبد الله<sup>(٧)</sup><sup>(٨)</sup>.

(١) سورة يونس: الآية ٤٤ .

(٢) سورة النساء: الآية ٤٠ .

(٣) سورة الجاثية: الآية ٢٣ .

(٤) سورة طه: الآية ٨٥ .

(٥) ما بين المعقوفين ليس من الأصل.

(٦) سورة الأعراف: الآية ٥٤ .

(٧) مجمع البيان: الطبرسي: ٢/٢٣٩ .

(٨) نور التوفيق وكشف التدقيق: النصّ المحقق: ١٩٣ .

## ٢ - المراد من وصف الآيات المحكمات بالأَم باللفظ المفرد:

أشار في هذا الصدد إلى ما ذكره الطبرسي في مجمعه أن الآيات المحكمة بمجموعها هي المحكم، لا كل آية منها، فذكر من حديثه قائلاً: (وفي المجمع (إنما وَحَدَّ أَمَّ الكتاب، ولم يقل أمهات الكتاب لوجهين: أحدهما أنه على وجه الجواب كأنه قيل ما أم الكتاب فقال هُنَّ أم الكتاب كما يقال مَنْ نَظِيرُ زيدٍ، فيقال نحنُ نظيرُ زيدٍ).

والثاني: إن الآيات مجموعها أصل الكتاب وليست كل آية مُحكَمَةً أمَّ الكتاب وأصله؛ لأنَّه جَرَتْ مجرى شيءٍ واحدٍ في البيان والحكمة، ومثله قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾<sup>(١)</sup>، ولم يقل آيتين؛ لأنَّ شأنهما واحدٌ في أنها جاءت به من غير ذكْرٍ، فلم تكن الآية لها إلا به ولا له إلا بها، ولو أراد أن كل واحدٍ منهما آية على التفصيل لقال آيتين<sup>(٢)</sup><sup>(٣)</sup>.

## ٣ - رد المتشابه إلى المحكم:

وتطرَّق إلى وجوب رد المتشابه إلى المحكم، وأنَّ حديث أهل البيت عليهم السَّلام فيه المحكم والمتشابه، ولابدَّ من ارجاع متشابهه إلى المحكم، واستند في ذلك بما جاء في كتاب عيون أخبار الرضا عليه السَّلام قائلاً: (وفي العيون " حدَّثني أبي رضي الله عنه قال: حدَّثنا عليُّ بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن أبي حيون مولى الرضا عليه السَّلام قال: مَنْ رَدَّ متشابهة القرآن إلى مُحكَمِهِ هُدَى إلى صِراطٍ مُستَقِيمٍ، ثُمَّ قال: إنَّ في أخبارنا متشابهاً كمتشابه القرآن، ومُحكَمًا كُمُحَكَم القرآن، فَرُدُّوا مُتَشَابَهَهَا إلى مُحكَمِهَا، وَلَا تَتَّبِعُوا مُتَشَابَهَهَا دُونَ مُحكَمِهَا؛ فَتَضَلُّوا"<sup>(٤)</sup><sup>(٥)</sup>.

(١) سورة المؤمنون: الآية ٥٠ .

(٢) مجمع البيان: الطبرسي: ٢/٢٣٩ - ٢٤٠، مع تصرّف يسير من المؤلّف .

(٣) نور التوفيق وكشف التدقيق: النَّصَّ المحقق: ١٩١ - ١٩٢ .

(٤) عيون أخبار الرضا(ع): الصدوق: ١/٢٦١/ح٣٩، باب فيما جاء عن الإمام علي بن موسى عليهما السلام من الأخبار المتفرقة.

(٥) نور التوفيق وكشف التدقيق: النَّصَّ المحقق: ٢٠٤.

## ثانياً: المجمل والمفصل:

### ١- مفهوم المجمل:

(أجمل الشيء: جمعه عن تفرقة، وأجمل الحساب: رده إلى الجملة)<sup>(١)</sup>، وقيل: (أجملت الشيء إجمالاً: جمعته من غير تفصيل)<sup>(٢)</sup>، وفي الاصطلاح: عرفه الشيخ الطوسي بأنه: (ما لا ينبي ظاهره عن المراد منه مفصلاً)<sup>(٣)</sup>، وقيل: (هو المشتمل على جملة أشياء كثيرة غير ملخصة)<sup>(٤)</sup>.

فالمجمل ما يحتاج إلى بيان وتوضيح لتردد معانيه بأكثر من معنى، معلوماً عند المجمل مجهولاً عند السامع، فيحتاج إلى تفصيل وتبيين من قبل المتكلم نفسه في مورد لاحق.

### ٢- مفهوم المفصل:

هو (ما فيه فصل بين المعاني، من فصلت الشيء فانفصل، أي: قطعته فانقطع، وفصل من الناحية، أي: خرج)<sup>(٥)</sup>، و(التفصيل: التبيين)<sup>(٦)</sup>، وقيل: (فصلت الشيء تفصيلاً: جعلته فصولاً متميزة)<sup>(٧)</sup>.

ومن ذلك ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾<sup>(٨)</sup>، إذ قال: (وَالْمُنْفِقِينَ) أموالهم في سبيل الله ووجوه الخير على أنفسهم وعيالهم؛ لقوة العبادة، وعلى الفقراء والمساكين والسادات، ويدخل في الانفاق الواجب والمندوب والزكاة الواجبة والمستحبة والخمس كما مرّ أنفاً في الآية السابقة مجملاً في أواخر البقرة مفصلاً)<sup>(٩)</sup>، في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

(١) القاموس المحيط: الفيروزآبادي: ٩٧٩، مادة جمل.

(٢) المصباح المنير: الفيومي: ١/١١٠، مادة جمل.

(٣) التبيان في تفسير القرآن: الطوسي: ٥/١.

(٤) المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني: ٢٠٣.

(٥) الصحاح: الجوهري: ٥/١٧٩، مادة فصل.

(٦) مختار الصحاح: الرازي: ٢٦٢، مادة فصل.

(٧) المصباح المنير: الفيومي: ٢/٤٧٤، مادة فصل.

(٨) سورة آل عمران: الآية ١٧.

(٩) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٢٤٠.

أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١﴾.

ومن ذلك أيضاً ما أورده في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، إذ قال: (وفي) (مَنْ) في قوله: ﴿مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ ثلاثة أوجه أحدها أَنْ تَكُونَ فِي مَحَلِّ الرَّفْعِ فَاعِلٌ ﴿حِجُّ الْبَيْتِ﴾، مثل عَجِبْتُ مِنْ أَكْلِ الْخُبْرِ زَيْدٌ، وَالتَّقْدِيرُ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَحِجَّ الْبَيْتَ الْمُسْتَطِيعُ مِنْهُمْ، وَثَانِيهَا أَنْ تَكُونَ فِي مَحَلِّ بَدَلًا مِنَ النَّاسِ، وَحُذِفَ فَاعِلُ الْمَصْدَرِ؛ بِدَلَالَةِ مَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ عَلَيْهِ وَالتَّقْدِيرُ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ مُسْتَطِيعِهِمْ إِلَيْهِ سَبِيلًا حِجُّ الْبَيْتِ، فَعَلَى هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ مَنْ مَوْضُوعَةٌ لَا غَيْرُ، وَثَالِثُهَا أَنْ تَكُونَ شَرْطِيَّةً مَرْفُوعَ الْمَحَلِّ مُبْتَدَأً مَحْدُوفَ الْخَبَرِ، وَيَكُونُ تَفْصِيلاً لِمَا أُجْمِلَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾، وَالتَّقْدِيرُ ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ فَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مِنْ شَرْطِيَّةٍ، أَوْ مَوْضُوعَةً مُتَضَمِّنَةً مَعْنَى الشَّرْطِ، فَحِينَئِذٍ يُوقَفُ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿الْبَيْتِ﴾، ثُمَّ يُبْتَدَأُ بِقَوْلِهِ: ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾<sup>(٣)</sup>.

### المطلب الثاني: مباحث تاريخ القرآن:

تاريخ القرآن: هي (العلوم المتعلقة بخارج النص القرآني، أو التي تكون محيطاً بالنص القرآني، كالوحي، والمكي والمدني، وأسباب النزول، والقراءات)<sup>(٤)</sup>. وقد اهتم عامة المفسرين بهذه العلوم في مباحث تفاسيرهم، كما تعرض المصنف إلى جملة من هذه العلوم في صفحات تفسيره مبيناً رأيه فيها، وفيما يأتي بعض من هذه العلوم:

(١) سورة البقرة: الآية ٢٦٧.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٩٦ - ٩٧.

(٣) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٥٤٦.

(٤) علوم القرآن التاريخية (تاريخ القرآن): محمد كاظم الفتلاوي: ٨.

## أولاً: القراءات:

عُرِّقَت القراءات بأنّها (علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقله)<sup>(١)</sup>، أو (هو علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها اتفاقاً واختلافاً مع عزو كل وجه لناقله)<sup>(٢)</sup>.

وقد أشار المَلّا القزويني في تفسيره لأغلب الآيات المباركة إلى القراءات الواردة فيها، لا سيما تلك التي اختلف في قراءاتها، ثم يرجح إحداها، معللاً سبب التّرجيح والاختيار، ومن القراءات التي وقع الخلاف فيها، والتي اشتمل عليها التفسير محلّ الدّراسة:

١- في قراءة قوله تعالى: ﴿الْم \* اللَّهُ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾<sup>(٣)</sup>، رجّح قراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع المدني والبرجمي، وهي قراءة أبي بكر عن عاصم، بسكون الميم وقطع همزة الله بناءً على الأصل، راداً بذلك ما ذهب إليه الزمخشري والبيضاوي، إذ ذهب الزمخشري إلى أنّ ﴿الْم \* اللَّهُ﴾ إنّما فُتِحَ احترازاً عن توالي الكسرتين والياء، وأمّا فتحتهما في حركة الهمزة القيت عليها حين اسقطت لتدلّ عليها؛ يعني لتدلّ الفتحة على أنّ الهمزة المحذوفة في حكم الثابتة<sup>(٤)</sup>، قال في ذلك القزويني: (إنّ ما اختاره الزمخشري احتمال ضعيف منقوض بنحو ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾<sup>(٥)</sup>، وب﴿الْم \* اللَّهُ﴾ في قول من قرأ بكسر الميم)<sup>(٦)</sup>، معللاً أيضاً على قول البيضاوي الذي كان قوله مُستمدّاً من قول الزمخشري، إذ ذهب البيضاوي إلى أنّ في قوله تعالى: ﴿الْم \* اللَّهُ﴾، (إنّما فُتِحَ في الميم المشهور وكان حقاً أن يوقف عليها؛ لإلقاء حركة الهمزة عليها لتدلّ على أنّها في حكم الثابت؛ لأنّها أُسقطت للتخفيف لا للدرج، فإنّ الميم في حكم الوقف كقولهم واحد اثنان لا لالتقاء الساكنين، فإنّه غير محذور

(١) منجد المقرئين: ابن الجزري: ٩ .

(٢) البدور الزاهرة: عبد الفتاح القاضي: ٧ .

(٣) سورة آل عمران: الآيتان ٢-١ .

(٤) ينظر: تفسير الكشاف: الزمخشري: ٣٣٥/١ .

(٥) سورة النساء: الآية ١٣٧، و١٦٨ .

(٦) نور التوفيق وكشف التدقيق: النصّ المحقق: ١٦٦ .

في باب الوقف ولذلك لم يُحَرِّك في لام قبلها<sup>(١)</sup>، بأن قول البيضاوي ليس بسديد<sup>(٢)</sup>، ثم بيّن الحجة في اختياره قراءة القعقاع والبرجمي عن طريق ثلاثة أمور:

الأول: أنّ التقاء الساكنين يُغْتَفَرُ في الوقف مطلقاً وفي المدغم قبله لين نحو حُويصّة، ولا الضالّين، والجآن، وتُموّد التّوب.

الثاني: في أسماء حروف التهجّي؛ فهي موضوعة على الوقف وهو مغتفرّ فيه من نحو جيمٌ والصاد، ضاد، عين، قاف، كاف، إلى آخرها ممّا بُني؛ لعدم التركيب مع العامل وفقاً ووصلاً، ولأنّ الواضع وضعها ليُعلّم بها الصبيان أو من يجري مجراها من الجهالِ صوّر ذوات حروف الهجاء فسَمّى كل واحد منها باسم أوله مُسمّى ذلك الحرف؛ حتى يقول الصبي ألف مثلاً وَيَقْفُ هُنَيْهَةً قَدَر ما يميّزها عن غيرها ثمّ باء، تاء، ثاء، جيم، وهكذا إلى آخرها، فلا ترى ساكنين ملتقيين في هذه الأسماء إلاّ وأولهما حرفٌ ليين من نحو: باء، تاء، ثاء، جيم، حاء، خاء، دال، نون، عين، سين، إلى آخرها، إلاّ الألف؛ لأنها لم توضع لقصد التركيب مع العامل.

الثالث: أيّ الأسماء المعدودة فليس الوقف فيها بنظر الواضع بل يطرأ ذلك في حال الاستعمال والتّعدد فيُعْتَفَرُ التّقاء الساكنين في هذين القسمين وفقاً ووصلاً؛ لعدم مقتضى الإعراب وهو التركيب مع العامل<sup>(٣)</sup>، وينتهي بالنتيجة إلى القول: (إذا عُرِفَ ذلك فاعلم أنّ في نحو ﴿أَلَمْ \* اللهُ﴾ اجتمع ثلاث سواكن في ميم الله الياء والميم الأخيرة واللام الأولى من الله؛ لسقوط همزة الوصل في الدرج فحرّك الميم الأخيرة؛ ليزول اجتماع الساكنين الأخيرين غير المغتفر، والساكن الثاني قابل للتّحريك<sup>(٤)</sup>.

٢- قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتُغْلِبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾<sup>(٥)</sup>:

يشير إلى أنّ في قراءة قوله تعالى: ﴿سَعْتُغْلِبُونَ وَتُحْشَرُونَ﴾ قراءتين، القراءة الأولى، وهي قراءة حمزة والكسائي قرأ، "سَعْتُغْلِبُونَ وَتُحْشَرُونَ" بالياء؛ دليلهم أنّ الأمر في الآية يحكي لهم ما أخبره به من وعيدهم بلفظه، وأنّ الخطاب لليهود، والضمير

(١) أنوار التنزيل: البيضاوي: ٥/٢، والرأي للزمخشري، أنظر: الكشاف: ٤١٠/١، مع اختلاف يسير في العبارة.

(٢) ينظر: نور التوفيق وكشف التدقيق: النصّ المحقق: ١٦٧ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٦٥ .

(٤) المصدر نفسه: ١٦٥ - ١٦٦ .

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٢ .

في سَيَعْلَبُونَ وَيُحْشَرُونَ للمشركين، وأيد القراءة الثانية، وهي قراءة مشهور القراء بالتاء، وهي قوله تعالى: ﴿سَتُعْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ﴾؛ بأنَّ قراءتهم على ظاهر الآية، وبدليل قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ﴾<sup>(١)</sup>(٢).

٣- يورد ثلاث قراءات لقوله تعالى: ﴿يَرَوْنَهُمْ﴾ الوارد في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ التَّتَا فِتَّةً تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾<sup>(٣)</sup>، الأولى وهي قراءة أهل المدينة والبصرة "تَرَوْنَهُمْ" بالتاء، والثانية، بالضم للبناء على المفعول، أي: يُرِيهِمُ اللهُ، أو يُرِيكُمُ اللهُ، ويؤيد القراءة الثالثة، وهي "يَرَوْنَهُمْ"<sup>(٤)</sup>، ويرجح هذه القراءة بقوله: (ويؤيد قراءة الياء قوله تعالى: ﴿مِثْلَيْهِمْ﴾، وإلا كان الأنسب مِثْلَيْكُمْ)<sup>(٥)</sup>.

٤- يورد قراءتين في قراءة "رِضْوَانٌ" الوارد في قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾<sup>(٦)</sup>، الأولى، بالضم "رِضْوَانٌ"، وهي قراءة عاصم برواية أبي بكر، والثانية، وهي قراءة الكسر كما في الآية الكريمة، وهي قراءة جمهور القراء، مرجحاً بذلك قراءة الجمهور، معللاً بأنَّ من قرأ بالكسر جعل اللفظ كالجرمان<sup>(٧)</sup>.

٥- رجح في قراءة قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(٨)</sup>، فتح همزة أنه؛ معللاً ذلك بقوله:

(١) سورة آل عمران: الآية ١٣ .

(٢) ينظر: نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٢١٣ .

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٣ .

(٤) ينظر: نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٢١٦ .

(٥) المصدر نفسه: ٢١٦ .

(٦) سورة آل عمران: الآية ١٥ .

(٧) ينظر: نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٢٣٤ .

(٨) سورة آل عمران: الآية ١٨ .



أجري (مجرى علم لتضمنه معنيهما)<sup>(١)</sup>، رادًا بذلك ما قرأ به ابن عباس بكسر همزة إنّه، بأن ما ذهب إليه أجري مجرى قال<sup>(٢)</sup>.

٦- أيضًا رجح ما قرأ به جمهور القراء في قراءة قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾<sup>(٣)</sup> بكسر همزة إن، على أنها جملة مستأنفة مؤكدة للأولى؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾<sup>(٤)</sup>، وبذلك ردّ قراءة الكسائي بفتح همزة إن "أن الدين" على أنه بدل من ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾<sup>(٥)</sup>(٦).

٧- رجح ما قرأ به عاصم وحَمَزَةُ وَالْكَسَائِيُّ في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسَلَمْتُ فَإِنْ أَسَلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾<sup>(٧)</sup>، بحذف الياء في ﴿اتَّبَعَنِ﴾ اجْتِزَاءً بِالْكَسْرِ، معللاً بأن حذف الياء مطلقاً سواء كانت للمتكلم أو غيره في آخر الآي أحسن؛ لأنها تشبه القوافي كقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرَ﴾<sup>(٨)</sup>، بعد قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ \* وَلَيَالٍ عَشْرٍ \* وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾<sup>(٩)</sup>، وأن ما قرأ به غيرهم هو إثبات الياء كما هو الأصل<sup>(١٠)</sup>.

٨- في قوله تعالى: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيَّتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَزْرُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾<sup>(١١)</sup>، رجح قراءة من ﴿الْمَمِيَّتِ﴾ بالتخفيف، وهي قراءة ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وأبو بكر، فقراءة

(١) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٢٤٥.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢٤٥..

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٩.

(٤) سورة يوسف: الآية ٥٣.

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٨.

(٦) ينظر: نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٢٤٥.

(٧) سورة آل عمران: الآية ٢٠.

(٨) سورة الفجر: الآية ٤.

(٩) سورة الفجر: الآية ١ - ٣.

(١٠) ينظر: نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٢٦٦ - ٢٦٧.

(١١) سورة آل عمران: الآية ٢٦ - ٢٧.

التخفيف بمعنى: الذي قد مات، ومن قرأ بالتشديد، وهم نافع وحمره والكسائي وحفص ويعقوب<sup>(١)</sup>، ورجح القراءة الأولى بقوله: (والصحيح الأول)<sup>(٢)</sup>.

٩- أورد قراءات متعدّدة في قراءة ﴿ثَقَاة﴾ الوارد في قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾<sup>(٣)</sup>، مرجحاً قراءة تخفيف الألف فيها؛ بأنها الأجود من بين القراءات<sup>(٤)</sup>، ذاكراً سبب الترجيح بقوله: (لأجل القاف الذي هو حرفٌ مُستعلٍ؛ لأنّ الحُرُوفَ المُستعلية مانعةٌ على الإمالة، وإنما جازت الإمالة وإن كانت قبيحةً وبينَ بينٍ وإن كانت ضعيفةً للإشعار بأنّ ألفه مُنقلبةٌ عن الياء)<sup>(٥)</sup>، رداً على من قرأ بالإمالة، وهي قراءة الكسائي<sup>(٦)</sup>.

١٠- أيد قراءة جمهور القراء في قراءة ﴿تَوُدُّ﴾ الوارد في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾<sup>(٧)</sup>، راداً بذلك قراءة عبد الله بن مسعود إذ قرأها "وَدَّت"<sup>(٨)</sup>.

١١- رجح قراءة من قرأ بإسكان التاء في "وَضَعْتَ" الواردة في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ \* فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾<sup>(٩)</sup>، ذاكراً سبب الترجيح مستعرضاً الآراء التي سبقته إليه كراي الشيخ الطبرسي الذي أرجع

(١) ينظر: نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٢٨١ .

(٢) المصدر نفسه: ٢٨٠ .

(٣) سورة آل عمران: الآية ٢٨ .

(٤) ينظر: نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٣٠٤ .

(٥) المصدر نفسه: ٣٠٤ .

(٦) ينظر: المصدر نفسه: ٣٠٤ .

(٧) سورة آل عمران: الآية ٣٠ .

(٨) ينظر: نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٣١٤ .

(٩) سورة آل عمران: الآية ٣٥ - ٣٦ .

ذلك إلى أن من قرأه بإسكانها وكسرها جعله من كلام الله تعالى<sup>(١)</sup>، ورأي الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ) الذي قال: (ويقوي قول من أسكن التاء ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ﴾)<sup>(٢)</sup>؛ ثم يختم ترجيحه بقوله: (لأنه لو كان من كلام أم مريم لكان الأنسب)<sup>(٣)</sup> أن تقول: وأنت أعلم بما وضعت؛ لأنها تُخاطب الله تعالى<sup>(٤)</sup>، تعليقا منه على قراءة من ضم التاء في "وضعت" على صيغة المتكلم الماضي<sup>(٥)</sup>.

١٢- في قراءة "تعبد" الوارد في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾<sup>(٦)</sup>، رجح قراءة مشهور القراء، وهي قراءة النصب "تعبد"، رادا بذلك قراءة الرفع في "تعبد"؛ على أن أن مخففة من الثقيلة، وقراءة الجزم "تعبد" على أن أن مفسرة ولا ناهية<sup>(٧)</sup>.

١٣- ذكر أربع قراءات في قراءة "ها أنتم هؤلاء" الوارد في قوله تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٨)</sup>، مبيها القراءة الأصل منها، وهي قراءة أهل الكوفة، بمد الألف وإثبات الهمزة على وزن فاعلتهم<sup>(٩)</sup>.

١٤- كذلك أورد أربع قراءات في قراءة "أن يؤتى" الوارد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنْ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ

(١) ينظر: مجمع البيان: الطبرسي: ٢٨٠/٢ .

(٢) حقائق التأويل: الشريف الرضي: ٨٨ .

(٣) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٣٣٥ .

(٤) حقائق التأويل: الشريف الرضي: ٨٨ .

(٥) ينظر: نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٣٣٥ .

(٦) سورة آل عمران: الآية ٦٤ .

(٧) ينظر: نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٤٤٢ .

(٨) سورة آل عمران: الآية ٦٦ .

(٩) ينظر: نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٤٤٧ .

عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾، مرجحًا قراءة المشهور بفتح الهمزة من غير استقهام، وهو ما عليه قراءة المصحف الشريف<sup>(٢)</sup>.

١٥- أورد قراءات عدة في قراءة "يُؤَدِّهِ" الورد في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بدينارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، مرجحًا من بينها القراءة بكسر الهاء مع اختلاس تلك الكسرة من غير وصل صلة الضمير وإشباعه<sup>(٤)</sup>، بقوله: (وهو الصحيح من مذهب أبي عمرو)<sup>(٥)</sup>.

ولا بد من الإشارة إلى أن القرآن واحد وأما تعدد واختلاف القراءات فيه وإن تواترت عن أصحابها غير أنها لم تصدر عن رسول الله صلى الله عليه وآله ولا عن أئمة أهل البيت عليهم السلام وما يؤيد ذلك ما جاء في الكافي بإسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: "إِنَّ الْقُرْآنَ وَاحِدٌ نَزَلَ مِنْ عِنْدِ وَاحِدٍ وَلَكِنَّ الْإِخْتِلَافَ يَجِيءُ مِنْ قِبَلِ الرَّوَاةِ"<sup>(٦)</sup>.

ولكن هذا لا يعني عدم جواز قراءة القرآن بهذه القراءات وقد أشار لذلك الشيخ الطبرسي قائلًا: (الظاهر من مذهب الإمامية أنهم أجمعوا على جواز القراءة بما تتداوله القراء بينهم من القراءات، إلا أنهم اختاروا القراءة بما جاز بين القراء، وكرهوا تجريد قراءة مفردة، والشائع في أخبارهم أن القرآن نزل بحرف واحد)<sup>(٧)</sup>، كما وقد علق الشيخ محمد حسين المظفر على الحديث المذكور آنفًا بقوله: (قال بعض أصحابنا: دلّ هذا الحديث على أن ذلك الحرف الواحد المنزل التبس بغيره على الأمة لأجل اختلاف الرواة، فيجوز لهم القراءة بأحد هذه القراءات المشهورة، حتى يظهر الأمر، كما دلّ عليه حديث "سُفْيَانَ بْنِ السِّمِّطِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ

(١) سورة آل عمران: الآية ٧٣ .

(٢) ينظر: نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٤٥٩ .

(٣) سورة آل عمران: الآية ٧٥ .

(٤) ينظر: نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٤٦٨ .

(٥) المصدر نفسه: ٤٦٨ .

(٦) الكافي: الكليني: ٢/٦٣٠/١٢، باب النوادر.

(٧) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٨/١ .

تَنْزِيلِ الْقُرْآنِ قَالَ: اقرؤوا كما علمتم<sup>(١)</sup> (٢)، وحديث "سالم بن سلمة قال قرأ رجل على أبي عبد الله عليه السلام وأنا أستمع حروفاً من القرآن ليس على ما يقرأها الناس فقال أبو عبد الله عليه السلام كف عن هذه القراءة اقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم عليه السلام فإذا قام القائم عليه السلام قرأ كتاب الله عز وجل على حده"<sup>(٣)</sup>.

ثانياً: أسباب النزول:

هي: (أمور وقعت في عصر الوحي واقتضت نزول الوحي بشأنها)<sup>(٤)</sup>، وعرفه السيّد الطباطبائي بقوله: هو: (الأمر والحادثه التي تعقب نزول آية أو آيات في شخص أو واقعة)<sup>(٥)</sup>.

وغالباً ما يبيّن القزويني أسباب نزول الآيات وإن لم يفرد لذلك بحثاً خاصاً، والشواهد على ذلك كثيرة نقصر العرض على ثلاثة أمثلة:

١. ففي بيان سبب النزول لقوله تعالى: ﴿أَفَعَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾<sup>(٦)</sup>.

ذكر ما جاء في المجمع والكشاف في سبب نزولها ما جاء ("عن ابن عباس قال: اختصم أهل الكتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فيما اختلفوا بينهم من دين إبراهيم، وكل واحد من الفريقين ادّعا أنّهم أولى بدين إبراهيم، فقال النبي صلى الله عليه وآله: كلا الفريقين بريء من دين إبراهيم، فعضبوا، وقالوا: ما نرضى بقضائك، ولا نأخذ بدينك، فأنزل الله تعالى: ﴿أَفَعَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ الآية"<sup>(٧)</sup> (٨).

(١) الكافي: الكليني: ٢/٦٣١/١٥٠، باب التّوادر .

(٢) فهارس رياض السالكين: محمد حسين المظفر: ١/١٤٢ .

(٣) الكافي: الكليني: ٢/٦٣٣/٢٣، باب التّوادر .

(٤) علوم القرآن: محمد باقر الحكيم: ٣٨ .

(٥) الميزان في تفسير القرآن: الطباطبائي: ١/٤٢ .

(٦) سورة آل عمران: الآية ٨٣ .

(٧) مجمع البيان: الطبرسي: ٢/٣٣٦، الكشاف: الزمخشري: ١/٣٨٠، مع اختلاف يسير عما جاء في المجمع.

(٨) نور التّوفيق وكشف التّدقيق: النصّ المحقّق: ٥١٣ .

٢ . قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

ذكر ما جاء عن الشيخ الطبرسي قائلًا: (قَالَ فِي الْمَجْمَعِ: (قِيلَ فِي سَبَبِ نَزُولِ الْآيَةِ أَقْوَالٌ: أَحَدُهَا إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي [نِصَارَى] <sup>(٢)</sup> نَجْرَانَ، عَنِ الْحَسَنِ وَالسَّيِّدِ وَابْنِ زَيْدٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزَّبِيرِ، وَثَانِيهَا: إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي يَهُودِ الْمَدِينَةِ، عَنِ قَتَادَةَ وَالرَّبِيعِ وَابْنِ جَرِيحٍ، وَقَدْ رَوَاهُ أَصْحَابُنَا أَيْضًا، وَثَالِثُهَا: إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي الْفَرِيقَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ عَلَى الظَّاهِرِ، عَنِ أَبِي عَلِيٍّ الْجَبَائِيِّ، وَهَذَا أَوْلَى؛ لِعُمُومِهِ) <sup>(٣)</sup> <sup>(٤)</sup>.

٣ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.  
واعتمد ما جاء عن الشيخ الطبرسي في سبب نزولها قائلًا: (فِي الْمَجْمَعِ (قَالَ مُجَاهِدٌ: تَفَاخَرَ الْمُسْلِمُونَ وَالْيَهُودُ، فَقَالَتِ الْيَهُودُ: بَيْتُ الْمُقَدَّسِ أَفْضَلُ وَأَعْظَمُ مِنَ الْكَعْبَةِ؛ لِأَنَّهُ مُهَاجِرُ الْأَنْبِيَاءِ وَفِي الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، وَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: بَلِ الْكَعْبَةُ أَفْضَلُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ (الآية) <sup>(٦)</sup> <sup>(٧)</sup>).  
ويمكن ملاحظة اعتماده على الشيخ الطبرسي في بيان أسباب النزول، وذكره لما عرضه في المجمع غالباً دون تعليق أو إشكال، المُشعر برضاه عن ذلك.

(١) سورة آل عمران: الآية ٦٤ .

(٢) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٣) مجمع البيان: الطبرسي: ٣١٤/٢ .

(٤) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٤٤٤ .

(٥) سورة آل عمران: الآية ٩٦ .

(٦) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٤٧/٢ .

(٧) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٥٤٦ .

المَبْحَثُ الثَّانِي: إِشْكَالِيَّةُ تَحْرِيفِ الْقُرْآنِ عِنْدَ الْقَزْوِينِيِّ  
ومختاراته التفسيرية

المَطْلَبُ الْأَوَّلُ: إِشْكَالِيَّةُ تَحْرِيفِ الْقُرْآنِ عِنْدَ الْقَزْوِينِيِّ  
المَطْلَبُ الثَّانِي: مُخْتَارَاتُ الْقَزْوِينِيِّ التَّفْسِيرِيَّةُ

## المبحث الثاني: إشكالية تحريف القرآن عند القزويني ومختراته التفسيرية

### المطلب الأول: إشكالية تحريف القرآن عند القزويني:

تعدُّ إشكالية ادعاء القول بالتحريف من أهم الإشكاليات التي تواجه بعض التفاسير الروائية للإمامية، وهي إشكالية تضع الجهد التفسيري في مهبط الضياع والتشكيك، ومن جملة من اتهموا بذلك الملامح محسن القزويني، وهو الأمر الذي اقتضى ضرورة معالجة هذه الإشكالية، وردّها، وقد تولدت هذه الضرورة نتيجة أمور، يمكن إجمالها بـ:

١- دعت المتابعة الحثيثة لشخص المصنّف وما يتداول عنه في الفضاء الإلكتروني الوقوف عند جزئية مهمة ترتبط به وهي: قوله بتحريف القرآن ونسبة ذلك إليه، ولم نعن بهذه التّهم التي تكثُر في هذا الفضاء من دون دليل ولا برهان، ولكن استوقفنا موقعان<sup>(١)</sup> لجأ كلّ منهما في اثبات ذلك إلى مخطوطات القزويني، والإسناد لنصوصه الثابتة نسبتها إليه، فاقتضى الأمر التّوقف عند هذه الإشكالية ومعالجتها.

٢- توافر أخبار في التفسير ساقها المصنّف لبيان بعض الآيات، والتي ظاهرها يوحي بالتحريف، دون أن يعنى بردها أو التعليق عليها، وهو ما شكّل تنافياً بدوياً بين جزم المصنّف في مقدّماته لبطلان القول بالتحريف، وبين هذه الأخبار التي ظاهرها ذلك، ولذا استدعى الأمر مراجعة الخبر، والتدقيق في مضامينه، والبحث في إمكانية تأويل أمثال هذه الأخبار طبقاً لما يذهب إليه القزويني في أمثالها.

٣- إنّ السببين المذكورين آنفاً شكّلا بمجموعهما دافعاً قوياً لعرض هذه المسألة وتبريزها، ورفع الحيف والتّهمة عن صاحبها؛ إذ لا قيمة للتفسير مع كون المصنّف من القائلين بالتحريف؛ لاحتمال وقوع التحريف في أيّ آية عمد إلى تفسيرها، والشكّ سارٍ لجميع الأجزاء، مضافاً لبيان حقيقة هذا المدعى انصافاً للموضوعية طبقاً لما تقتضيه الأدلة.

(١) ينظر: شبكة الدفاع عن السنة:

<https://www.dd-sunnah.net/forum/showthread.php?t=١٨٥٥٠٥&page=٤>

وينظر أيضاً: موقع فيصل نور:

[https://www.fnoor.com/main/articles.aspx?article\\_no=٢٢٦٣٦#google\\_vignette](https://www.fnoor.com/main/articles.aspx?article_no=٢٢٦٣٦#google_vignette)



وعليه سيتم معالجة هذه الإشكالية من خلال بيان عدّة نقاط:  
أولاً: لا شكّ في بطلان القول بالتحريف زيادةً ونقيصةً، وهو ما عليه مشهور الإمامية، وأقوالهم في ذلك مشهورة صريحة، نذكر منها:

١- الشّريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ): يصف القرآن قائلاً: (وأنته غير منقوص ولا مبدّل ولا مغير، وأنّ العلم بأنّ هذا القرآن الذي في أيدينا هو الذي ظهر على يد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام، والكتب المصنّفة المشهورة، والأشعار المدوّنة)<sup>(١)</sup>، (وأنّ العناية اشتدّت بالقرآن والدّواعي توفرت على نقله وحراسته وبلغت إلى حدّ لم يبلغه في نقل الحوادث والوقائع والكتب المصنّفة؛ لأنّ القرآن معجزة النّبوة، وأصل العلم بالشرية والأحكام الدينية)<sup>(٢)</sup>، إلى أن قال: (وإنّ علماء المتكلّمين بلغوا في ضبطه وحمايته، وإن عرفوا كلّ شيء اختلف فيه من إعرابه والقراءات المختلفة في حروفه حتّى فرّقوا بين ما روي وعرف، وبين ما لم يُذكر ولم يُسطر، فكيف يجوز أن يكون مغيراً أو منقوصاً مع هذه العناية الصادقة والضبط الشّديد)<sup>(٣)</sup>.

٢- الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ): قال في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، أي: (لحافظون من الزيادة والنقصان، ومثله قوله: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾<sup>(٥)</sup>)<sup>(٦)</sup>.

٣- الشيخ جعفر كاشف الغطاء (١٢٢٨هـ): نفى وجود الزيادة والنقصان بكتاب الله سبحانه وتعالى قائلاً: (في زيادته: لا زيادة فيه، من سورة، ولا آية، من بسملة، وغيرها، لا كلمة، ولا حرف، وجميع ما بين الدفتين ممّا يُتلى كلام الله تعالى بالضرورة من المذهب، بل الدين، وإجماع المسلمين، وإخبار النبي صلّى الله عليه

(١) الذّخيرة في علم الكلام: الشّريف المرتضى: ٣٦١ - ٣٦١.

(٢) المصدر نفسه: ٣٦٢.

(٣) المصدر نفسه: ٣٦٢.

(٤) سورة الحجر: الآية ٩.

(٥) سورة فصلت: الآية ٤٢.

(٦) التبيان في تفسير القرآن: الطوسي: ٣٢٠/٦.

وآله وسلّم، والأئمة الطاهرين عليهم السلام، وإن خالف بعض من لا يُعتدّ به في دخول بعض ما رسم في اسم القرآن.

في نقصه: لا ريب في أنّه محفوظ من النقصان، بحفظ الملك الديان، كما دلّ عليه صريح القرآن، وإجماع العلماء في جميع الأزمان، ولا عبرة بالنادر، ما ورد من أخبار النقيصة تمنع البديهة من العمل بظاهرها، ولا سيّما ما فيه نقص ثلث القرآن، أو كثير منه، فإنّه لو كان ذلك لتواتر نقله لتوقّر الدواعي عليه، ولاتّخذ غير أهل الإسلام من أعظم المطاعن على الإسلام وأهله<sup>(١)</sup>.

٤. الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (ت ١٣٧٣هـ): قال: (وأنّ الكتاب الموجود في أيدي المسلمين هو الكتاب الذي أنزله الله إليه للإعجاز والتّحدي، ولتعليم الأحكام، وتمييز الحلال من الحرام، وأنه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة، وعلى هذا إجماعهم، ومن ذهب منهم أو من غيرهم من فرق المسلمين إلى وجود نقص فيه أو تحريف فهو مخطئ يردّه نصّ الكتاب العظيم ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>(٢)</sup><sup>(٣)</sup>.

والمتحصّل من هذه الآراء لأعمدة أعلام المذهب لا سيّما السيد الشريف المرتضى، وشيخ الطائفة الطوسي، دليل واضح على عدم قول وذهاب الإمامية إلى التحريف زيادةً ولا نقيصة، والتفصيل في أقوال علماءنا في هذا الصدد مما يقصر المقام عن ذكره وضبطه.

ثانياً: لوحظ على المصنّف نقله لجملة من الأخبار والتي تدلّ في ظاهرها على وجود نقص أو تحريف في القرآن الكريم، لا سيما المنتهية بزيادة كلمات في الآيات، والتي يعقّب الإمام عليه السلام القول عليها: (هَكَذَا نَزَلَتْ - هَكَذَا نَزَلَتْ فَأَزَالُوهَا - هَكَذَا وَاللّهِ نَزَلَ بِهَا جَبْرَيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، وهي في الغالب أخبار موضوعها فضائل ومقامات أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام الأمر الذي جعله محطّ اتهام بأنّه من القائلين بالتحريف.

(١) كشف الغطاء: جعفر كاشف الغطاء: ٤٥٣/٣ - ٤٥٤ .

(٢) سورة الحجر: الآية ٩ .

(٣) أصل الشيعة وأصولها: محمد حسين كاشف الغطاء: ٢٢٠ .

إلا أنّ المصنّف التفت لذلك، ولم يترك مثل هذه الأخبار دون بيان، فأثبت أنّ تلك الزيادة المقصودة في جملة من الأخبار ليست جزءاً من القرآن، وأنّ القول بجزئيتها من الغلو.

وأما هذه الأخبار الواردة في تفاسير الإمامية مثل: تفسير القمي وغيره، فلا يراد منها المعنى المرفوض، بل يقصد منها نحو من التفسير للآيات، مستدلاً على ذلك بقول الفيض الكاشاني: (وما روته العامة<sup>(١)</sup>) أنّ علياً عليه السلام كتب في مصحفه الناسخ والمنسوخ ومعلوم أنّ الحكم بالنسخ لا يكون إلا من قبيل التفسير والبيان ولا يكون جزء من القرآن فيحتمل أن يكون بعض المحذوفات أيضاً كذلك<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: إنّ القزويني حسم مسألة التّحريف منذ البدء، في مقدماته التفسيرية، وبالتحديد في المقدمة السادسة منها، فبعد عرضه لجملة من الروايات الظاهرة في التّحريف، قال: (لا يبعد أيضاً أن يقال: إنّ بعض المحذوفات كان من قبيل التّفسير والبيان، ولم يكن من أجزاء القرآن، فيكون التّبديل من حيث المعنى، أي: حرّفوه وغيروه في تفسيره وتأويله، أعني حكّموه على خلاف ما هو به، فمعنى قولهم عليهم السلام كذا أنزلت أنّ المراد به ذلك، لا أنّها نزلت مع الزيادة في لفظها، فحذف منها ذلك اللفظ)<sup>(٣)</sup>، ومن ذلك يفهم صريحاً أنّه يرى تأويل مثل هذه الأخبار والتي ظاهرها التّحريف.

عليه - كما يرى الباحث - أنّ ما تقصّي به عن القول بالتّحريف باحتمال وقوعه إمّا في التّفسير وإمّا حاجة إلى التّأويل تام، لا خدش فيه، ولا يُردُّ بكون الأخبار ظاهرة بغير ذلك لورود لفظ التنزيل والنزول؛ لأنّ التنزيل يحتمل أن يكون متعلّقه التّفسير، قال السيّد الخوئي: (إنّ بعض التّنزيل كان من قبيل التّفسير للقرآن، وليس من القرآن نفسه، فلا بدّ من حمل هذه الروايات على أنّ ذكر أسماء الأئمة في التّنزيل من هذا القبيل)<sup>(٤)</sup>، فإنّ نزول القرآن على النبي صلى الله عليه وآله، شامل

(١) ينظر: فتح الباري: العسقلاني: ١٠/٩.

(٢) التّفسير الصافي: الفيض الكاشاني: ٥٢/١.

(٣) نور التوفيق وكشف التدقيق (مخطوط): محسن القزويني: ٢٤/١.

(٤) البيان في تفسير القرآن: الخوئي: ٢٣٠.

للألفاظ وتفسيرها، وهو مقتضى الحكمة ببيان المتكلم لمراده لا سيما وأنّ الأمر متعلّق بالهداية والضلال، وهو ما يوجب البيان لعدم وقوع السامع في الضلال المودّي إلى الهلكة حال الإجمال، وهو ممتنع على الباري، وعليه، فاحتمال أنّ يكون المراد ب(هكذا نزلت) أي: هكذا نزل تفسيرها، وأنّ التحريف والنقص في تفسير الآيات وليس فيها، وهو ممّا لا إشكال فيه، ولا يوجب القول بتحريف القرآن.

فالظاهر المدعى من الأخبار للقول بأنّ المصنّف من القائلين بالتحريف مردود؛ بعدّ الاحتمال بكون المعنى من التنزيل في لسان الأخبار منصرفاً للتفسير لا للآيات ذاتها، وأنّ ذلك قرينة على كون الظاهر غير مقصود، مضافاً لتصريح المصنّف بنفي التحريف وعدم قبوله به.

ومع التردّد بين الاحتمال المتقدّم بكون متعلّق التنزيل في الأخبار هو التفسير، واحتمال كون المتعلّق هو الآيات أيضاً، فلا مرجح لأحد الاحتمالين على غيره، ويظلّ المعنى مجملاً، ويبقى تصريح المصنّف في عدم قبوله التحريف هو العمدة في تعيين مختاره من مسألة النقص والتحريف، ومع وضوح رأيه بنصّ قوله بعدم قبول التحريف، فاستعماله لمثل هذه الأخبار لا بدّ وأنّ يتناسب مع مختاره في المقام، وإلاّ فمن غير المعقول استدلاله بأخبار تنافي مبناه، وعليه فلا يصحّ استدلال بالأخبار ذاتها لاتهامه بالقول بالتحريف.

والمحصّل: فإنّ الملامّ القزويني بعيد عن اشكاليّة التحريف، وأنّ منهجه في أمثال هذه الأخبار إمّا منهج الحمل على التحريف في التفسير، وهو ممّا لا ينكر ووجوده بل وقوعه ثابت، وإمّا بتأويل هذه الأخبار والوقوف على معناها الدقيق.

نعم، لم نجد للقزويني تأويلاً لخبر بعينه في تفسيره، إلاّ أنّ ذلك لا يعني قبوله بالخبر على ظاهره، إذ قعد لهذا الأمر بما لا حاجة معه إلى تطبيق عملي ولا تكرار له في كل موردٍ يظهر منه الزيادة أو النقصان.

وهنا لا بدّ من الوقوف عند رواية ذكرها الملامّ محسن في خضمّ تفسيره، والتي قد يدعى أنّها صريحة في القول بالتحريف، وأنّ التأويل فيها ممتنع، وعليه يمكن استفادة القول بالتحريف من هذا الخبر، وسيتم استعراضه ومعالجته تأكيداً على منهج

القرويني في أمثال هذه الأخبار، والتأكيد على إمكان التأويل، وهو منهج سيال مع الأخبار الأخرى لو بان فيها ما يشاكل ذلك.

والخبر هو ما ذكره في معرض حديثه عن آية الميثاق في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾<sup>(١)</sup>، فقال بدواً: (لَمَّا قَدَّمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ذِكْرَ النَّبِيِّينَ عَقْبَهُ بِذِكْرِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَمَا أَخَذَ مِنْ عَهْدِهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَمَا أَخَذَ مِنْ عَهْدِهِ عَلَى أُمَّمِهِمْ كَافَّةً فَقَالَ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾، أي: أذكر أو أذكرُوا الَّذِي أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ عَلَى النَّبِيِّينَ وَعَلَى أُمَّمِهِمْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَيُخْبِرُوا أُمَّمَهُمْ بِمَبْعَثِهِ وَنَعْتِهِ، وَيُبَشِّرُهُمْ، وَيَأْمُرُهُمْ بِتَصَدِيقِهِ، وَيَنْصُرُوا وَصِيَّهَ عَلَيْهِ السَّلَامَ كَمَا يَأْتِي بِالْأَخْبَارِ الْآتِيَةِ، وَفِي الْمَجْمَعِ (رُوي عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَقِتَادَةَ، قَالَ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، أَنْ يُخْبِرُوا أُمَّمَهُمْ بِمَبْعَثِهِ وَنَعْتِهِ، وَيُبَشِّرُهُمْ بِهِ، وَيَأْمُرُهُمْ بِتَصَدِيقِهِ، وَقَالَ طَاوُوسٌ: أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَلَى الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ، فَأَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الْأَوَّلِ لِتُؤْمِنَنَّ بِمَا جَاءَ بِهِ الْآخِرُ، وَقَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "تَقْدِيرُهُ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ أُمَّمِ النَّبِيِّينَ، بِتَصَدِيقِ نَبِيِّهَا، وَالْعَمَلِ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ، وَأَنَّهُمْ خَالَفُوهُمْ فِيمَا بَعْدَ، فَمَا وَفَوْا بِهِ، وَتَرَكَوْا كَثِيرًا مِنْ شَرَائِعِهِمْ، وَحَرَّفُوا كَثِيرًا مِنْهَا)"<sup>(٢)</sup>، وَفِي تَفْسِيرِ الْعِيَاشِيِّ "عَنْ حَبِيبِ السَّجِسْتَانِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾، فَكَيْفَ يُؤْمِنُ مُوسَى بِعَيْسَى وَيَنْصُرُهُ وَلَمْ يُدْرِكْهُ؟ وَكَيْفَ يُؤْمِنُ عَيْسَى بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَيَنْصُرُهُ وَلَمْ يُدْرِكْهُ؟ فَقَالَ: يَا حَبِيبُ إِنَّ الْقُرْآنَ طُرِحَ مِنْهُ آيٌ (٣) كَثِيرَةٌ وَلَمْ يَزِدْ فِيهِ إِلَّا أَحْرَفَ أَخْطَأَتْ بِهَا الْكُتُبُ وَتَوَهَّمَهَا الرِّجَالُ، وَهَذَا وَهُمْ فَأَقْرَأُهَا: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ أُمَّمِ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾، هَكَذَا أَنْزَلَهَا

(١) سورة آل عمران: الآية ٨١ .

(٢) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٣٤/٢ .

(٣) ومنه في حاشية الأصل: جمع آية .

الله يَا حَبِيبُ، فَوَاللهِ مَا وَفَّتْ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي كَانَتْ قَبْلَ مُوسَى بِمَا أَخَذَ اللهُ عَلَيْهَا مِنَ الْمِيثَاقِ لِكُلِّ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ بَعْدَ نَبِيِّهَا" (١) (٢).

والخبر المشكل والذي ظاهره الزيادة والنقصان، هو خبر العياشي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، الكلام في خصوص هذه الرواية من وجهين:

الأول: هل يدلُّ ذلك على إيمان القزويني بالتحريف بناءً على الاستشهاد بها؟ أو لا؟  
الثاني: هل من وجهٍ للتأويل في خصوص هذه الرواية؟

الوجه الأول: إنَّ الاستشهاد برواية ما لا يدلُّ على قبول جميع ما فيها، لا سيّما إذا ما قرُن ذلك بشاهد يدلُّ على هذا الأمر، ومن هنا فلا يمكن الاستناد إلى مدعى أنّ الإتيان بهذه الرواية من القزويني في تفسيره دليل على أنه من القائلين بالتحريف؛ لأنَّ استعمال خبر السجستاني الوارد في كتاب العياشي، لم يكن في هذه الموضوع، ليقال: إنّه في سياق الحديث عن التحريف ساق هذا الخبر شاهداً، ممّا يدلُّ على تبنيّه ذلك، بل استعمله في مناسبة التأكيد على أنّ أخذ الميثاق في الآية يقصد به الأمم، فبعد أن ساق رواية أبي عبد الله الصادق عليه السلام والتي تؤكد على هذا التقدير، جاء بخبر آخر زيادة في التأكيد على هذا المعنى، ومن ذلك يفهم أنّ سياق الاستعمال يراد منه التأكيد على التقدير، دون النظر لحديثيات الخبر الباقية، ويساعد على هذا الأمر سياق الكلام، ومناسبات الموضوع، كما أنّ هنالك دليلاً آخر على هذا الأمر، إذ أنّ القزويني ذكر قبل رواية العياشي هذه، رواية أخرى وهي رواية الإمام الصادق عليه السلام - كما تقدّم - وهي صريحة في أنّ لفظ الأمم هو على سبيل التقدير لا الجزئية من الآية، فلو كان مبتغاه إثبات التحريف لكان ذكر هذا الخبر نقضاً لمراده كما هو بين.

الوجه الثاني: وجه التأويل في الرواية: في أنه هل يمكن تأويل هذه الرواية، والخروج من رتبة التحريف؟ وفي هذا الصدد، يلاحظ وجود ثلاث كلمات تشكّل بنية الظهور في الرواية للدلالة على الزيادة والنقص، وهنّ: (أي)، (فاقرأها)، (هكذا أنزلها الله)،

(١) تفسير العياشي: العياشي: ١/١٨٠.

(٢) نور التوفيق وكشف التدقيق: النصّ المحقق: ٥٠٢ - ٥٠٣.

ولكن - كما يرى الباحث - أنّ طلب القراءة في قوله (فاقرأها) وكذا بيان كيفية النزول في قوله (هكذا أنزلها)، ليس فيهما دلالة صريحة على التحريف؛ لأنّ طلب القراءة لا يساوق أنّ قراءتها على النحو الأوّل الخالي من كلمة الأمم باطلة، بل يمكن أن يكون المراد أنّ المعنى المتصوّر في ذهن السائل والذي صحّحه الإمام عليه السّلام في الخبر له هو الوهم، وأنّ المعنى الصّحيح إنّما يتم بأنّ نقرأ الآية بتقدير لفظ الأمم، وبعبارة أخرى: اقرأها بهذا الشّكل ليتّضح لك المعنى الصّحيح، وطلب القراءة لا يعني أنّ اللفظ المضاف جزءٌ من الآية.

وأما (هكذا نزلت) فحالتها كحال الكلمة السابقة في عدم مساومتها للتحريف؛ لأنّه قد يكون المراد منها النزول: نزول التفسير؛ لأنّ القرآن كما تنزّل آياته، فإنّها تنزّل معانيه وتفسيره، وهو مقتضى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾<sup>(١)</sup>، وعليه، فإنّ هاتين الكلمتين لا يمكن الاستدلال بهما على معنى التحريف، لا سيّما وأنّ احتمال المعاني الأخرى، يمكن أن يصرف الظاهر منهما.

أما (الآي)، فإنّها أكثر ظهوراً من الكلمتين السابقتين، إلّا أنّه يمكن احتمال معنى آخر هو المقصود منها في الخبر، يتناسب مع الثابت من عدم التحريف، وذلك بملاحظة ذيل الخبر، والذي يفهم منه إشارة واضحة إلى أنّ الأمة ما رعت حقّ الأئمة عليهم السّلام، كما لم ترع الأمم السابقة ميثاق الأنبياء، وفي قسم الإمام عليه السّلام: (فو الله ما وفّت... إشعارٌ بهذا الأمر).

ومع الأخذ بهذه الإشارة يكون مراد الإمام عليه السّلام أنّ الآيات المحذوفة: هم الأئمة عليهم السّلام؛ إذ الوصيّة فيهم، وأنهم ترجمان القرآن، وحملته، وقد حذفها الأمة بالتلاعب بمعاني النصوص وليّ عنقها وزيادة عبر بوابة القراءات وغير ذلك، ممّا أبعدهم عن التمسك بهم.

مع ملاحظة أنّ الخبر لم يرد فيه لفظ: (حذف) أو (نقص)، بل (طرح)، ولم يرد في قواميس اللغة أنّ من معانيه النقص أو الحذف، وإنّ استعمل وجرى على الألسن هذا الأمر لإحدى مناسبات المعاني، فإنّ المعنى الدقيق للطرح يدور حول ما (لا

(١) سورة النجم: الآية ٣ - ٤ .



حَاجَةً لِأَحَدٍ فِيهِ<sup>(١)</sup>، وَ(تَبَذَّ الشَّيْءَ)<sup>(٢)</sup>، وَالْإِبْعَادُ<sup>(٣)</sup>، وبالمجمل يمكن أن يقال: إِنَّ الطرح هو ترك الشيء ونبذه وإبعاده، وهي بمجموعها لا تدلُّ على النقص؛ بل إِنَّ الشيء يكون موجداً ويُعرضُ عنه، ويترك، وبناءً على ذلك، فإنَّ الإمامَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله: طرح أي، أي إعرض النَّاسَ عن الوصية والميثاق فيهم، وهذا الميثاق قد نصت عليه آيات كثيرة منها؛ الولاية والتطهير وهل أتى غيرها، والتعبير بأي دقيق حينئذٍ؛ لأنَّ النَّاسَ أعرضت وتركت آيات صريحة في القرآن، ليس على مستوى اللفظ، بل على مستوى المعنى والمراد الجدِّي من هذه الآيات، فهي بحق قد طرحت بهذا المعنى، وعليه، فلا إشكال في هذا الخبر، وهو متناسب مع الواقع القائم، وبهذا، فلا دلالة فيه على التحريف، لا سيما مع إمكان تأويله تأويلاً مؤيداً بالشواهد كما ذكرنا.

وبالمحصّل، وبناءً على ما تقدّم فإنَّ نسبة التحريف للملّا القزويني لا صحة له، مضافاً لذلك، فإنَّ الأخبار المذكورة في تفسيره والتي يشم منها ذلك لا بدّ من حملها إمّا على ارادة التفسير، أي تفسير الآية بالشكل الصحيح، أو تأويلها ما أمكن وما احتملته الألفاظ.

### المطلب الثاني: مختارات القزويني التفسيرية

ومما يميّز هذا المُصنّف مختاراتُ القزويني وترجيحاته التفسيرية المبنوثة في أثناء الآيات، وسلك أسلوبين أهما اللّثام عن ذلك، إذ يعتمد في الأول منهما إلى التصريح بالرأي في ما يقتضي الموضوع، دون عرضٍ ولا بيان للآراء الأخرى في المقام والشاهد ذاته، وأمّا الأسلوب الثاني فيستعرض الأقوال والآراء، فيأخذ بمناقشتها، وبيان ما صحَّ منها، وردّ ما يعتقد ضعفه، ومن ثمَّ يرجّح بينها، فينتهي إلى تعيين مراده منها.

(١) لسان العرب: ابن منظور: ٥٢٨/٢، مادة طرح .

(٢) مقاييس اللغة: ابن فارس: ٤٥٥/٣، مادة طرح .

(٣) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ٥٢٨/٢، مادة طرح .



والشواهد كثيرة في تفسيره على هذين الأسلوبين مما لا يسع الاستغراق فيه، وبيان جميع مواضعه، ولذا صير إلى اختيار موضوعات تفسيرية محددة سلط القزويني نفسه الضوء عليها من خلال إعطائها عنوانات في حاشية المتن، أو كتابتها بلون حبر أحمر داخل المتن التفسيري، ولبيان ذلك نذكر بعض الأمثلة:

#### ١- مراتب نعم الله عز وجل:

رأى الملا القزويني أن في قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوْتِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ دَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾<sup>(١)</sup>، ذكر لمراتب نعم الله سبحانه قائلاً: (فقد أشار سبحانه في هذه الآية وفي الآية السابقة<sup>(٢)</sup> إلى مراتب نعمه على الإجمال فأدناها متاع الدنيا وزينتها، وأوسطها الجنة ونعمها، وأعلاها رضوان لقوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾<sup>(٣)</sup> (٤).

#### ٢- المزين هو الله عز وجل:

أن المزين في قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾<sup>(٥)</sup> هو الله تعالى؛ (باعتبار ما جعل في الطباع من الميل إليها؛ لأنه الخالق المقدر للدواعي، وما خلق فيها من الزينة ابتلاءً وامتحاناً وتشديداً للتكليف لقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾<sup>(٦)</sup>)، ولأنها (وسيلة إلى السعادة الآخروية إذا كان حُبُّه على وجه يرتضيه الله

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥ .

(٢) قصد قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾، سورة آل عمران: الآية ١٤ .

(٣) سورة التوبة: الآية ٧٢ .

(٤) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٢٣٨ .

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٤ .

(٦) سورة الكهف: الآية ٧ .

تعالى، أو لأنها من أسباب التعيش وبقاء النوع<sup>(١)</sup>، ولأنها مزرعة الآخرة، فعلى العاقل اللبيب أن لا يضيع زرعها<sup>(٢)</sup>.

ثم يردّ على الحسن البصري بعد أن يستعرض رأيه قائلاً: (وقال الحسن البصري: زَيَّنَهَا الشَّيْطَانُ؛ فوالله ما أحدٌ أذمُّ للدنيا مِنْ خَالِقِهَا<sup>(٣)</sup>، (فإن الآية في معرض الذم)<sup>(٤)</sup>، فيقول: (وليس كما قال؛ لأنه سبحانه يقول: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفِّصُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ \* قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٥)</sup>، وغيرها من الآيات، فكيف تكون في معرض الذم بل في معرض التبيين والتفصيل والابتلاء والامتحان لينظر كيف يعملون)<sup>(٦)</sup>.

ثم يختم كلامه بضرورة التفريق بين المباح والمحرم، فالله سبحانه وتعالى قد زين ما يحسن فيما زين الشيطان ما يقبح<sup>(٧)</sup>.

### ٣- الإسلام والإيمان بمعنى واحد:

إن الإيمان والإسلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾<sup>(٨)</sup>، جاء بمعنى واحد بحسب ما صرح الملا القزويني، بل وعدّ الإسلام هنا من أكمل أفراد الإيمان<sup>(٩)</sup>.

(١) أنوار التنزيل: البيضاوي: ٨/٢ .

(٢) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٢٣١ .

(٣) ينظر: أحكام القرآن: الجصاص: ٩/٢، زبدة التفسير: فتح الله الكاشاني: ٤٥٧/١ .

(٤) أنوار التنزيل: البيضاوي: ١٤/٢ .

(٥) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٢٣١ .

(٦) سورة الأعراف: الآية ٣٢ - ٣٣ .

(٧) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٢٣١ .

(٨) ينظر: المصدر نفسه: ٢٣١ .

(٩) سورة آل عمران: الآية ١٩ .

(١٠) ينظر: نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٢٤٦ .

ثم استدلت بقول الشيخ الطبرسي قائلاً: (وقال في المجمع: (والإسلام والإيمان بمعنى واحدٍ عندنا وعند المعتزلة، غير أنَّ عندهم الواجبات من أفعال الجوارح من الإيمان، وعندنا الإيمان من أفعال القلوب الواجبة وليس من أفعال الجوارح) (١) (٢).

#### ٤- معنى أزواج مطهرة في الجنة:

فسر القزويني ﴿وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾، الواردة في قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٣)، على أنها (مُطَهَّرَةٌ من الحيض والنفاس والبول والغائط (وجميع الأقدار والأدناس والطبائع الذميمة، والأخلاق اللئيمة) (٤) (٥)، إلى أن قال: (وغير ذلك مما يستقذر من النساء) (٦)، مهتدياً لهذا الرأي بما روي عن (تفسير علي بن إبراهيم وقوله تعالى: ﴿وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ قال عليه السلام: "في الجنة لا يحضن ولا يحدثن، حدثنني أبي عن إسماعيل بن أبان عن عمر بن عبد الله الثقفي" (٧) (٨).

#### ٥- تقديم العزيز على الحكيم:

أرجع القزويني سبب تقديم العزيز على الحكيم في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٩)، هو (لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته، وهذه الآية دليل على فضل علم أصول الدين، وشرف أهله) (١٠)، كما وقد كشفت (عن فضل العلم والعلماء؛ لأن الله سبحانه

(١) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٥٧/٢ .

(٢) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٢٤٦ .

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٥ .

(٤) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٥٤/٢ .

(٥) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٢٣٧ .

(٦) المصدر نفسه: ٢٣٧ .

(٧) تفسير القمي: القمي: ٩٨/١ .

(٨) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٢٣٧ .

(٩) سورة آل عمران: الآية ١٨ .

(١٠) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٢٥٤ .

قرن العلماء بالملائكة<sup>(١)</sup>، وشهادتهم بشهادتها، وشهادة كليهما بشهادته سبحانه، (وخصَّهم بالذكر كأنَّهُ لم يَعْتَدْ بغيرهم، والمرادُ بهذا العلمِ علمُ التَّوْحِيدِ)<sup>(٢)</sup>، وما يتعلَّق به من علوم الدِّين لا العلم بالأنساب والفلسفة المؤدِّية إلى الجبر والتَّقويض والتَّشبيه والتَّعطيل؛ (لأنَّ الشَّهادة وَقَعَتْ عَلَيْهِ)<sup>(٣)</sup>/<sup>(٤)</sup>.

ثم يختم كلامه متحدثاً عن فضل العلم والعلماء بما جاء عن الشيخ الطبرسي في تفسيره حينما قال: ((مما جاء في فضل العلم والعلماء من الحديث ما رواه جابر بن عبد الله، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: سَاعَةٌ مِنْ عَالِمٍ يَتَكَيَّ عَلَى فِرَاشِهِ، يَنْظُرُ فِي عِلْمِهِ، خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ الْعَابِدِ سَبْعِينَ عَامًا، وَرَوَى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ، فَإِنَّ تَعَلُّمَهُ لِلَّهِ حَسَنَةٌ، وَمُدَارَسَتُهُ تَسْبِيحٌ، وَالْبَحْثُ عَنْهُ جِهَادٌ، وَتَعْلِيمُهُ مَنْ لَا يَعْلَمُهُ صَدَقَةٌ، وَتَذَكُّرُهُ لِأَهْلِهِ؛ لِأَنَّهُ مَعَالِمُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَمَنَارُ سَبِيلِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَالْأَنْبِيَاءُ فِي الْوَحْشَةِ، وَالصَّاحِبُ فِي الْغُرْبَةِ، وَالْمُحَدِّثُ فِي الْخُلُوةِ، وَالذَّلِيلُ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَالسِّلَاحُ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَالْقُرْبُ عِنْدَ الْغُرَبَاءِ، يَرْفَعُ اللهُ بِهِ أَقْوَامًا فَيَجْعَلُهُمْ فِي الْخَيْرِ قَادَةً يُقْتَدَى بِهِمْ، وَيُقْتَنَى بِأَثَارِهِمْ، وَيُنْتَهَى إِلَى رَأْيِهِمْ، وَتَرَعَّبَ الْمَلَائِكَةُ فِي خُلَّتِهِمْ، وَبِأَجْنَحَتِهَا تَمْسَحُهُمْ، وَفِي صَلَاتِهِمْ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ، وَكُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ يَسْتَغْفِرُ لَهُمْ حَتَّى حِيَتَانِ الْبَحَارِ وَهَوَامُهَا، وَسِبَاعُ الْأَرْضِ وَأَنْعَامُهَا، وَالسَّمَاءُ وَنُجُومُهَا، أَلَا وَإِنَّ الْعِلْمَ حَيَاةُ الْقُلُوبِ، وَنُورُ الْأَبْصَارِ، وَقُوَّةُ الْأَبْدَانِ، يَبْلُغُ بِالْعَبْدِ مَنَازِلَ الْأَحْرَارِ، وَمَجَالِسَ الْمُلُوكِ، وَالْفِكْرُ فِيهِ يَعْدِلُ بِالصِّيَامِ، وَمُدَارَسَتُهُ بِالْقِيَامِ، وَبِهِ يُعْرَفُ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ، وَبِهِ تُوصَلُ الْأَرْحَامُ، وَالْعِلْمُ إِمَامُ الْعَمَلِ، وَالْعَمَلُ تَابِعُهُ، يُلْهِمُ اللهُ بِهِالسُّعْدَاءَ، وَيَحْرِمُ الْأَشْقِيَاءَ)<sup>(٥)</sup>/<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر: نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٢٥٤ .

(٢) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٥٨/٢ .

(٣) المصدر نفسه: ٢٥٨/٢ .

(٤) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٢٥٤ .

(٥) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٥٨/٢ - ٢٥٩ .

(٦) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٢٥٤ - ٢٥٥ .

## ٦- تحقيق معنى الوهاب ولا يتحقق في غيره تعالى على الحقيقة:

ذهب الملا القزويني إلى القول بأن معنى الوهاب الوارد في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾<sup>(١)</sup> لا يتحقق في غير الله سبحانه وتعالى على الحقيقة؛ لأنَّ (الوهاب من أبنية المبالغة من الهبة وهي العطيّة الخالصة من الأغراض جميعاً فإذا كثرت العطايا كذلك سمّي صاحبها وهاباً، ولم تتصور الهبة المذكورة في حق غيره تعالى أصلاً، فلا وهاب حقيقة إلا هو سبحانه)<sup>(٢)</sup>، مستدلاً على ذلك بما روي (في الكافي عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام في حديث هشام: هشام إن الله حكى عن قوم صالحين أنهم قالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾، حين علموا أن القلوب تزيع وتعود إلى عماها ورداها إنه لم يخف الله من لم يعقل عن الله ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها ويجد حقيقتها في قلبه ولا يكون أحد كذلك إلا من كان قوله لفعله مصداقاً وسره لعلانيته موافقاً؛ لأن الله تبارك اسمه لم يدل على الباطن الخفي من العقل إلا بظاهر منه وناطق عنه<sup>(٣)</sup> (٤).

## ٧- معنى التنزيل والإنزال:

لم يقبل القزويني رأي الزمخشري والبيضاوي في مسألة الإنزال والتنزيل اللذان استفادا من قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ \* مِنْ قَبْلِ هُدَى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾<sup>(٥)</sup>، وذهبوا إلى أنه إنما قال نزل الكتاب على التفعيل وأنزل التوراة والإنجيل على الأفعال؛ لأن القرآن نزل نجوماً والكتابان، - أي: التوراة والإنجيل -، جملة دفعة<sup>(٦)</sup>، وأشار بأنه خدشة عليهما، وقد رده مستفيداً من الأدلة النقلية قائلاً: (أقول هذه النكته غير مطردة بل لا مساغ لها؛ لأنه سبحانه

(١) سورة آل عمران: الآية ٨.

(٢) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٢٠٨.

(٣) الكافي: الكليني: ١/١٨/١٢، كتاب العقل والجهل، والحديث طويل اكنفى المؤلف بموطن الشاهد منه.

(٤) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٢٠٨.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٣-٤.

(٦) ينظر: الكشاف: الزمخشري: ٢٢٧/١، أنوار التنزيل: البيضاوي: ٥/٢.

قال: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ﴾<sup>(٢)</sup> الآية، وقال تعالى: ﴿أَمَنْ الرُّسُولُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾<sup>(٤)</sup>، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾<sup>(٥)</sup> الآية، وقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾<sup>(٦)</sup>، ومعلوم أنّ إنزال القرآن إليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في عشرين سنةً ومع ذلك قال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾، وغير ذلك من الآيات المذكورة<sup>(٧)</sup>.

وكذلك عضد رأيه بما روي (في الكافي) "عَنْ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾، وَإِنَّمَا أُنزِلَ فِي عِشْرِينَ سَنَةً بَيْنَ أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: نَزَلَ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً فِي شَهْرِ رَمَضَانَ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، ثُمَّ نَزَلَ فِي طُولِ عِشْرِينَ سَنَةً، ثُمَّ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: نَزَلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَأُنزِلَتِ التَّوْرَةُ لِسِتِّ مَضِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَأُنزِلَ الْإِنْجِيلُ لِثَلَاثِ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَلَّتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَأُنزِلَ الزَّبُورُ لِثَمَانِي عَشْرَةَ حَلْوَنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَأُنزِلَ الْقُرْآنُ فِي ثَلَاثِ وَعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ"<sup>(٨)</sup> (٩)، ثم يعلق على الحديث قائلاً: (فيفهم من هذا الحديث إنّ هذه الكتب لهؤلاء الأنبياء العظام صلوات الله عليهم نزلت في شهر رمضان واستعمل في القرآن وكلام العرب من التنزيل والإنزال مقام الآخر، فالصحيح أنّ كلاهما يستعمل ففي كلا المعنيين، كما في ﴿تُنَزَّلُ التَّوْرَةُ﴾، ﴿أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾، وغيرهما ممّا مرّ، ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنْ

(١) سورة الإسراء: الآية ١٠٥ .

(٢) سورة آل عمران: الآية ٩٣ .

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٨٥ .

(٤) سورة البقرة: الآية ٤ .

(٥) سورة النساء: الآية ١٠٥ .

(٦) سورة النساء: الآية ١٦٢ .

(٧) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ١٧٤ .

(٨) الكافي: الكليني: ٦٢٨/٢ - ٦٢٩/٦، باب النواذر .

(٩) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ١٧٤ .

السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا<sup>(١)</sup>، أقوى شاهدٍ لذلك؛ لأنه معلوم إنَّ المطر لا ينزل من السماء كَلَّةً دَفْعَةً إِلَى الْأَرْضِ؛ وَإِلَّا لَخَرِبَتْ وَهَلَكَ مَا فِيهَا، وقال تعالى: ﴿وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾<sup>(٣)</sup>، فاستعمل سبحانه جُمْلَةً وَاحِدَةً، مع نَزَلٍ، وكذا في هذه الآية التي في تفسيرها ﴿وَأَنْزَلَ الْقُرْآنَ﴾<sup>(٤)</sup>.

#### ٨- تقديم الأرض على السماء:

بعد أن يتعرَّض القزويني لتفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾<sup>(٥)</sup>، يرجِّح تقديم خلق الأرض على السماء ويستدلُّ على ذلك بوجوه ثلاثة قائلاً: (وإنَّما قدَّم الأرض؛ لكونها مقدَّمةً في الخلق على السماء، قال تعالى: ﴿قُلْ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا﴾<sup>(٦)</sup>، إلى قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾<sup>(٧)</sup>، إلى قوله: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾<sup>(٨)</sup> الآية، وترقياً من الأدنى إلى الأعلى، وليكون المخاطبين من المكلفين فيها لكن دَحَا اللهُ الْأَرْضَ بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاءِ لقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾<sup>(٩)</sup>، فيه دلالةٌ على تَمَيُّزِ الفانيات الممكنة وتَقَرُّرِهَا في علمه<sup>(١٠)</sup>.

(١) سورة الفرقان: الآية ٤٨ .

(٢) سورة الأنفال: الآية ١١ .

(٣) سورة الفرقان: الآية ٣٢ .

(٤) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ١٧٤ - ١٧٥ .

(٥) سورة آل عمران: الآية ٥ .

(٦) سورة فصلت: الآية ٩ .

(٧) سورة فصلت: الآية ١١ .

(٨) سورة فصلت: الآية ١٢ .

(٩) سورة النازعات: الآية ٣٠ .

(١٠) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ١٧٨ .



٩- معنى الفتنة والرأسخون في العلم في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ...﴾<sup>(١)</sup>:

أ- معنى الفتنة:

المراد بالفتنة هنا بحسب رأي القزويني هي (الطلب الضلال، وإفساد الدين على الناس، والتلبس على ضعفاء الخلق، ولطلب الشرف والمال)<sup>(٢)</sup> وحبهما، ولحسددهم الناس على ما آتاهم الله من فضله، ووضع الترهات لغرور الدفناس<sup>(٣)</sup> واختلاس قلوبهم بتأويل كلام الله سبحانه وأوليائه وتحريفه، ولسعهم في الأرض للإفساد وإهلاك الحرث والنسل وتقطيع الأرحام لطلب المال وحب الدنيا كما سمى الله تعالى المال فتنة في مواضع من كتابه)<sup>(٤)</sup>.

ب - المعني بالراسخين في العلم ووجه تسميتهم به:

استدل القزويني على معنى الراسخون بالعلم بما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام بخطبة يقول (في آخرها: "واعلم أن الراسخين في العلم هم الذين أغناهم الله عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب فلزموا الإقرار بجملته ما جهلوا تفسيره من الغيب المخجوب فقالوا: ﴿أَمَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً، وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخاً، فأقتصر على ذلك، ولا تقدر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين"<sup>(٥)</sup>)<sup>(٦)</sup>، وكذلك ما جاء في كتاب (العيون في باب مجلس الرضا عليه السلام عند المأمون مع أهل الملل والمقالات وما أجاب به علي بن جهم في عصمة الأنبياء عليهم السلام في حديث طويل يقول فيه لعلي بن جهم "ويحك يا علي اتق الله؛ ولا

(١) سورة آل عمران: الآية ٧ .

(٢) ينظر: مجمع البيان: الطبرسي: ٢/٢٤٠، توضيح آيات الأحكام: أبو الفتح الجرجاني: ٢/٣٥ .

(٣) الدفناس: (الأحمق، وقيل: الأحمق البذيء)، لسان العرب: ابن منظور: ٦/٨٥، مادة دفس .

(٤) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ١٩٤ .

(٥) التوحيد: الصدوق: ٥٥ - ٥٦/١٣، باب التوحيد ونفي التشبيه .

(٦) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٢٠٣ .



تنسب إلى أنبياء الله الفواحش، ولا تتأول كتاب الله برأيك؛ فإن الله عز وجل قد قال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ﴾، وأما قوله عز وجل في آدم<sup>(١)</sup>، وفي كمال الدين وتمام النعمة عن "سليم بن قيس الهلالي قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله آية من القرآن إلا أقرانيها، وأملاها علي، وكتبتها بخطي، وعلمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، ودعا الله أن يعلمني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله، ولا علماً أملاه علي فكتبته، وما ترك شيئاً علمه الله عز وجل من حلال ولا حرام، ولا أمر ولا نهى، وما كان وما يكون من طاعة أو معصية إلا علمنيه وحفظته، فلم أنس حرفاً واحداً"<sup>(٢)</sup>/<sup>(٣)</sup>.

(١) عيون أخبار الرضا (ع): الصدوق: ١/١٧٠ - ١٧١/١ح، باب ذكر مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المأمون مع أهل الملل والمقالات وما أجاب به علي بن محمد بن الجهم في عصمه الأنبياء سلام الله عليهم أجمعين .

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: الصدوق: ٢٨٤ - ٢٨٥/٣٧ح، باب ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله في النص على القائم عليه السلام وأنه الثاني عشر من الأئمة عليهم السلام .

(٣) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٢٠٣ - ٢٠٤ .

## الفصل الثالث:

# المباحث العقدية والفقهية والروائية واللغوية في التفسير

المبحث الأول: المسائل العقدية والكلامية

المبحث الثاني: المسائل الفقهية

المبحث الثالث: المسائل الروائية

المبحث الرابع: المباحث اللغوية والبلاغية

## المَبْحَثُ الأوَّلُ: المَسَائِلُ العَقَدِيَّةُ وَالكَلامِيَّةُ

المطلب الأوَّل: التَّوْحِيدُ

المطلب الثاني: العَدَلُ

المطلب الثالث: النَّبُوَّةُ

المطلب الرابع: الإِمَامَةُ

المطلب الخامس: المَعَادُ

المطلب السادس: التَّقِيَّةُ

### الفصل الثالث: المباحث العقدية والفقهية والروائية واللغوية في التفسير:

عمل المصنّف في تفسيره على إيراد جميع الوجوه التفسيرية للنصوص الشريفة وبيانها، فتارةً يُبين صحة هذه الوجوه من عدمها، وتارةً ينقلها دون التعليق عليها، وأخرى يُورد رأياً تفسيرياً له مُستدلاً عليه بما تيسر له من الأدلة، وفي أحيانٍ أُخرٍ يذكر قوله حسب ما وصل إليه علمه، فهو لا يتوانى عن إبداء رأيه بما يصل إليه، وفيما يأتي جملة من هذه الآراء على سبيل الأمثلة لا الحصر:

#### المبحث الأول: المسائل العقدية والكلامية

تناول الملاّ القزويني كثيراً من المسائل في مؤلفه منها المسائل الكلامية المتعلقة بالعقيدة والتوحيد والنبوة والإمامة وغيرها، ذكراً للآراء فيها مرجحاً للرأي الذي يتبناه معتمداً على ما جاء على لسان العترة الطاهرة، وفي عدّة مطالب:

#### المطلب الأول: التوحيد

تطرق القزويني في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾<sup>(١)</sup>، إلى الإفادة منها على توحيد الله سبحانه وكمال قدرته، مستدلاً بدقّة الصنع والنظم على ذلك، وفي هذا الصدد فقد نقل عن الطبرسي في بيان الآية قوله: ((وَدَلَّتْ الْآيَةُ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ، وَتَمَامِ [نِعْمَتِهِ]<sup>(٢)</sup>، حَيْثُ صَوَّرَ الْوَلَدَ فِي رَحْمِ الْأُمِّ عَلَى هَذِهِ الصَّفَةِ، وَرَكَّبَ فِيهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَدَائِعِ مِنْ غَيْرِ آلَةٍ وَلَا كَلْفَةٍ، وَقَدْ تَقَرَّرَ فِي عَقْلِ كُلِّ عَاقِلٍ أَنَّ الْعَالَمَ لَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَخْلُقُوا مِنَ الْمَاءِ بَعُوضَةً، وَيَصَوِّرُوا مِنْهُ صُورَةً فِي حَالِ مَا يَشَاهِدُونَهُ وَيَصْرِفُونَهُ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى ذَلِكَ، وَلَا وَجَدُوا إِلَيْهِ سَبِيلاً، فَكَيْفَ يَقْدِرُونَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الْأَرْحَامِ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، وهذا الاستدلال مروى عن جعفر بن محمد عليه السلام<sup>(٤)</sup><sup>(٥)</sup>.

(١) سورة آل عمران: الآية ٥ .

(٢) في المصدر: حكمته .

(٣) سورة المؤمنون: من الآية ١٤ .

(٤) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٣٧/٢ .

(٥) نور التوفيق وكشف التدقيق: النصّ المحقق: ١٧٩ .

ثم يرى أنّ من نظير ذلك الاستدلال قوله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْأَلُهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ﴾، استماع تفكّر وتدبّر، ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، يعني: الأصنام ومن يُفمنهم مقامها من الأنام ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾، لا يقدر على خلقه مع وهنه وصغره ﴿وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ أي: لو تعاونوا واجتمعوا لخلقها، ﴿وَإِنْ يَسْأَلُهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾، فكيف يكونون آلهة قادرين على المقدورات كلها عالمين بكل شيء<sup>(٢)</sup>.

وحاصل الاستدلال القائم عند القزويني هو الإفادة من النظم في الخلق، والذي يكشف بدوره عن وحدانية الخالق، وأنّ هذا الإتيان ممّا لا يتيسر مع وجود أكثر من خالق وصانع.

### المطلب الثاني: العدل

ويعدّ العدل الإلهي الأصل الثاني من أصول الدّين عند الشيعة الإمامية إذ يعتقدون بأنّ الله سبحانه وتعالى (عادل في مخلوقاته غير ظالم لهم، لا يفعل قبيحاً ولا يخلّ بواجب، ولا يجور في قضائه ولا يحيف في حكمه وابتلائه، يثيب المطيعين وله أن يعاقب العاصين، ولا يكلف الخلق ما لا يطيقون، ولا يعاقبهم زيادة على ما يستحقّون، ولا يقابل مستحقّ الأجر والثواب بأليم العذاب والعقاب، وأنّه تعالى لم يجبر عباده على الأفعال سيّما القبيحة ويعاقبهم عليها)<sup>(٣)</sup>.

قد تعرّض الملامّ القزويني إلى بعض المسائل المتعلقة بالعدل الإلهي ومنها الجبر والتّفويض الموضوع الذي كثر فيه الكلام بين الفرق والمذاهب الإسلامية، وكان محطّ اختلاف بينهم .

وقد قسم القزويني المذاهب في الأفعال الاختيارية للعباد إلى خمسة مذاهب قائلاً: (إعلم أنّ المذاهب في الأفعال الاختيارية للعباد خمسة، ثلاثة منها جبرٌ وواحدٌ

(١) سورة الحج: الآية ٧٣ .

(٢) نور التّوفيق وكشف التّدقيق: النصّ المحقّق: ١٧٩ .

(٣) حقّ اليقين: عبد الله شير: ٨٣/١ .

منها تفويض، وهذه الأربعة باطلة، وواحدٌ منها أمر بين الأمرين وهو الحقّ الصّحيح<sup>(١)</sup>.

ثم يفصل القول في الثلاثة الجبرية فيقول: (أما الثلاثة الجبرية فأولها مذهب جهم بن صفوان الترمذي ومن تبعه، وهو أنه لا فرق بين نحو حركة الماشي ونحو حركة المرتعش في أنّهما صادران عن الله تعالى غير مجامعين لقدرة العبد وأنه لا يستحق العباد عليهما مدحاً ولا ذمّاً عقلاً، وهو غلوٌ في الجبر ومعلومُ البطلان ضرورة، وثانيها مذهب الأشاعرة، وهو أنّ أفعال العباد الاختيارية صادرة عن الله تعالى أيضاً، وأنّ الفرق بينها وبين نحو حركة المرتعش أنّ الأولى مُجامعةٌ لقدرة العبد غير مؤثرة فيها وعلم الله تعالى أنّها تُؤثر فيها بدون وجوب سابق لو لم تؤثر قدرة الله تعالى فيها هي أقوى منها وهذا معنى كونها مكسوبات للعباد، بخلاف الثاني وأنه لا يستحق العباد في أفعالهم الاختيارية مدحاً ولا ذمّاً عقلاً، وثالثها مذهب أبي الحسين البصري من المعتزلة ومن تبعه، وهو أنّ أفعال العباد الاختيارية صادرة عنهم، وواجبة بالوجوب السابق بالنسبة إلى القدرة التي هي من أجزاء العلة التامة عندهم وبالذاعى الذي هو الإرادة عندهم وأنهما فعل الله تعالى في العباد وأنّ العباد يستحقون على بعض أفعالهم الاختيارية المدح والذم عقلاً لكن هذا قولٌ بالجبر في صورة الاختيار ويرد عليه التشنيع الذي يرد على الأولين بأنه يلزم الاعتراف بنفي استحقاق المدح والذم عقلاً عن أفعال العباد؛ لأنّه إذا كان القدرة والذاعى فعل الله تعالى كما قاله كان العبد كالقلم في يد الكاتب وكالوَتِد في الحائط)<sup>(٢)</sup>.

ثم يرى أنّ الدليل على بطلان ما ذهب إليه المذاهب الثلاثة الجبرية هو (أنّه لا يتصور ولا يُعقل لتوبة العاصي وندمه على شيءٍ منها معنىً مُحصلاً ومصدّق مفيد، فضلاً عن أن يأمر الله تعالى بها؛ لأنّه لا يتصور ندمٌ أحدٍ على فعلٍ الغير، ولا على فعلٍ نفسه إذا كانت مبادئه الموجبة بالوجوب السابق من فعلٍ غيره أو من فعله لا باختيارٍ سُبحان من تنزه عن الفحشاء)<sup>(٣)</sup>.

(١) نور التوفيق وكشف التدقيق: النصّ المحقق: ٢٨٨ .

(٢) المصدر نفسه: ٢٨٨ - ٢٨٩ .

(٣) المصدر نفسه: ٢٨٩ .

وَبَعْدَ ذَلِكَ يَتَعَرَّضُ إِلَى الْمَذْهَبِ الرَّابِعِ قَائِلًا: (وَأَمَّا الرَّابِعُ الَّذِي هُوَ التَّقْوِيضُ فَهُوَ مَذْهَبُ جُمْهُورِ الْمُعْتَزَلَةِ، وَهُوَ أَنَّ أَفْعَالَ الْعِبَادِ الْاِخْتِيَارِيَّةَ صَادِرَةٌ عَنْهُمْ بِقُدْرَتِهِمْ وَاِخْتِيَارِهِمْ بَدُونَ وَجُوبٍ سَابِقٍ، وَهُمْ يَسْتَحَقُّونَ عَلَى بَعْضِهَا مَدْحًا أَوْ ذَمًّا عَقْلًا، وَأَنَّ الْقُدْرَةَ عَلَى الْفِعْلِ لَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى التَّرْكِ، وَالتَّقْوِيضُ إِقْدَارُ اللَّهِ تَعَالَى الْعَبْدَ عَلَى فِعْلٍ قَبْلَ وَقْتِهِ؛ بِحَيْثُ يَخْرُجُ عَنِ يَدِهِ تَعَالَى أَرْزَمَةٌ ذَلِكَ الْفِعْلِ مَا دَامَ هَذَا الْإِقْدَارُ وَهَذَا مَعْنَى اسْتِقْلَالِ الْعَبْدِ فِي الْقُدْرَةِ)<sup>(١)</sup>.

ثُمَّ يَبَيِّنُ مَعْنَى تَقْوِيضِ الشَّيْءِ إِلَى الْعَبْدِ يَرْجِعُ إِلَى الْقَدْرِ الْمُشْتَرَكِ بَيْنَ إِقْدَارَيْنِ، وَالْإِقْدَارَيْنِ هُمَا:

(الأول: إقْدَارُ اللَّهِ تَعَالَى الْعَبْدَ فِي وَقْتٍ عَلَى الشَّيْءِ فِي ثَانِيِ الْوَقْتِ فَيَلْزِمُهُ أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ قَادِرًا عَلَيْهِ بِالْاِسْتِقْلَالِ بِأَنْ لَا يَكُونُ لَهُ تَعَالَى مَدْخَلٌ فِيهِ أَصْلًا، وَمَنْشَأُ هَذَا الْاِقْدَارِ تَوْهُمُ الْمُعْتَزَلَةِ أَنَّ قُدْرَةَ الْعِبَادِ عَلَى أَفْعَالِهِمْ تَكُونُ قَبْلَ أَوْقَاتِ تِلْكَ الْأَفْعَالِ، وَالْخِصْلَةُ الْخَامِسَةُ وَهِيَ الْإِذْنُ لِإِبْطَالِ هَذَا التَّوْهُمِ.

الثَّانِي: إِقْدَارُ اللَّهِ تَعَالَى الْعَبْدَ عَلَى الشَّيْءِ بِحَيْثُ لَا يَكُونُ تَعَالَى قَادِرًا عَلَى صَرْفِ الْعَبْدِ عَنِ ذَلِكَ الشَّيْءِ مَعَ هَذَا الْاِقْدَارِ فَيَلْزِمُهُ أَنْ يَصْدُرَ عَنِ الْعَبْدِ وَإِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى أَوْ لَا يَصْدُرَ عَنْهُ فَلَا يَصْدُقُ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ (سَبْحَانَ مَنْ لَا يَجْرِي فِي مُلْكِهِ مَا يَشَاءُ)<sup>(٢)</sup>، وَكَمَا أَنَّهُ سَبْحَانَهُ تَنْزَهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ)<sup>(٣)</sup>.

وَأَرْجِعُ مَنْشَأَ الْإِقْدَارِ الثَّانِي إِلَى (أَنَّ الْمُعْتَزَلَةَ تَوَهَّمُوا أَنَّ كُلَّ لُطْفٍ نَاجِعٍ وَاجِبٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَيَلْزِمُهُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ فِي مَقْدُورِهِ تَعَالَى بِالنَّسْبَةِ إِلَى الْكَافِرِ لُطْفٌ نَاجِعٌ لِاِخْتِيَارِهِ الْإِيمَانَ لَفَعَلَ وَلَمْ يَكْفُرْ فَلَمْ يَتَحَقَّقْ مِنْهُ الْكُفْرُ إِلَّا مَعَ عَدَمِ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى لُطْفٍ نَاجِعٍ، وَكَذَا فِي الْإِيمَانِ)<sup>(٤)</sup>.

وَبَعْدَ أَنْ عَرَضَ الْمَذَاهِبَ الْأَرْبَعَةَ مُبَيِّنًا بُطْلَانَهَا يَخْتِمُ بِمَذْهَبِ الْإِمَامِيَّةِ مُتَّبِعِيًا إِيَّاهُ مُدَافِعًا عَنْهُ قَائِلًا: (وَأَمَّا الْخَامِسُ الَّذِي هُوَ الْأَمْرُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ وَهُوَ الْحَقُّ فَهُوَ مَذْهَبُ

(١) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٢٨٩.

(٢) شرح المقاصد في علم الكلام: التفازاني: ١٤٥/٢.

(٣) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٢٨٩ - ٢٩٠.

(٤) المصدر نفسه: ٢٩٠.

الإمامية المُتَقَبَلِينَ لِأَثَارِ أَهْلِ الْعِصْمَةِ وَالطَّهَارَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَتَمَسَّكُوا بِذَيْلِهِمْ وَهُوَ أَنَّ أفعالَ الْعِبَادِ الاختياريةَ صادرةٌ عنهم بقدرتهم واختيارهم وأنَّهم يَسْتَحْفُونَ على بعضها مدحاً أو ذمّاً وأنَّها غيرُ واجبةٍ بالنسبةِ إلى الآلةِ والداعي ونحوهما من المبادئ التي هي فعلُ الله تعالى في العبدِ، وأنَّ القدرةَ على الفعلِ لا تكونُ إلاَّ معَ القدرةِ على التَّركِ وأنَّ العبادَ ليسوا قادرينَ بالاستقلالِ على شيءٍ من الفعلِ والتَّركِ أصلاً بل يتوقَّفُ على الإذنِ، فقدرتهم واستطاعتهم لا تتحقَّقُ قبلَ وقتِ الفعلِ والتَّركِ وأنَّ العبادَ لا يصدُرُ عنهم طاعةٌ ولا معصيةٌ إلاَّ إذا شاءَ اللهُ مشيئةً عزمٍ وأرادَ إرادةً عزمٍ وقَدَرَ تَقْدِيرَ عزمٍ وقَضَى قَضَاءً عزمٍ<sup>(١)</sup>.

### المطلب الثالث: النبوة

توقَّفَ القزويني خلال سيره في التفسير إلى أصل النبوة، وقد تحدّث عن أمرين بارزين في هذا الصدد:

أولاً: الدليل القرآني على صحّة نبوة الرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؛ فقد رأى المَلَأَ القزويني أن في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾<sup>(٢)</sup>، دلالة واضحة على صحّة نبوة الرسول الأكرم محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَائِلاً: (ففي الآية دلالة واضحة على صحّة نبوة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؛ لأنَّ مُخْبِرَهُ قد خَرَجَ على وفق خبره، فدلَّ ذلك على صدقه، ولا يكون ذلك على وجه الاتِّفَاق؛ لأنَّه بيّن أخباراً كثيرةً من الاستقبال فخرج الجميع، فكما أن كلَّ واحدٍ منها كان معجزاً اطلعه اللهُ تعالى عليه ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ \* إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ﴿<sup>(٣)</sup> الآية، فكذلك هذه الآية، وإذا أثبت صدقه في أحد الخبرين ثبت صدقه في الخبر الآخر يقيناً، وهو أنهم يُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ<sup>(٤)</sup>.

(١) نور التوفيق وكشف التدقيق: النصّ المحقّق: ٢٩٠ - ٢٩١ .

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٢ .

(٣) سورة الجن: الآية ٢٦ - ٢٧ .

(٤) نور التوفيق وكشف التدقيق: النصّ المحقّق: ٢١٥ .



ثانياً: معنى اتباع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾.

بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ الْقَزْوِينِي أَنْ الْمُرَادُ بِاتِّبَاعِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْمَأْمُورُ بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، الْوَارِدُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ\* قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>، هُوَ (اتِّبَاعُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي حُبِّ أَهْلِ بَيْتِهِ الْمَعْصُومِينَ وَفِيمَا أَوْصَى بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ اتِّبَاعِ أَوْصِيَائِهِ الْإِنْتِي عَشْرَ وَمَحَبَّتِهِمْ وَتَقْدِيمِهِمْ وَفَرْضِ طَاعَتِهِمْ، وَرَدِّ الْأُمُورِ الْمُنْتَازِعِ فِيهَا إِلَيْهِمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَاتِّبَاعِ أَثَارِهِمْ وَالْعَمَلِ بِمَا يَأْمُرُونَهُ وَاتِّبَاعِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي الدِّينِ وَاتِّبَاعِهِ فِي الْمَعْتَقَدَاتِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ وَالْأَعْمَالِ الْمَشْتَرَكَةِ بَيْنَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَبَيْنَهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَبَيْنَ غَيْرِهِمْ دُونَ الْمُخْتَصَّةِ بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَبِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾، أَي: فَإِنْ أَعْرَضُوا أَوْ فَإِنْ تَوَلَّوْا، أَي: فَإِنْ تُعْرَضُوا عَنْ حُبِّ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَحُبِّ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَطَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِهِ بِمَا مَرَّ مِنَ الْمَرَاتِبِ، (فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ)﴾، بَلْ (يُبْغِضُهُمْ وَلَا يُرِيدُ ثَوَابَهُمْ، فَدَلَّ بِالنَّفْيِ عَلَى الْإِثْبَاتِ وَذَلِكَ أَبْلَغُ؛ لِأَنَّهُ لَوْ قَالَ فَإِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُهُمْ لَجَازَ أَنْ يَتَوَهَّمُ أَنَّهُ تَعَالَى يُبْغِضُهُمْ مِنْ وَجْهِهِ وَيُحِبُّهُمْ مِنْ وَجْهِهِ)<sup>(٢)</sup>، (وَإِنَّمَا لَمْ يَقُلْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّهُمْ، أَي: لَا يَرْضَى عَنْهُمْ وَلَا يُرِيدُ ثَوَابَهُمْ لِقَصْدِ الْعُمُومِ وَلِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ التَّوَلَّى كُفْرٌ، وَعَلَى أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يُحِبُّهُمْ وَلَا يَرْضَى عَنْهُمْ وَلَا يُرِيدُ ثَوَابَهُمْ مِنْ أَجْلِ كُفْرِهِمْ، فَوَضَعَ الظَّاهِرَ مَوْضِعَ الصَّمِيرِ لِهَذِهِ الْمَعَانِي؛ لِأَنَّ تَعْلِيْقَ الْحُكْمِ بِالْوَصْفِ مَشْعُرٌ بِالْعِلِّيَّةِ وَإِنَّ مَحَبَّتَهُ تَعَالَى مُخْتَصَّةٌ بِالْمُؤْمِنِينَ لَا يَتَجَاوَزُهُمْ إِلَى الْكَافِرِينَ)<sup>(٣)</sup>.

#### المطلب الرابع: الإمامة

لم يغفل القزويني التطرق لمسألة الإمامة مع ورود المناسب لها في التفسير، وأهم ما تطرّق له مسألة إثبات الإمامة بين الأدلة والنص والإجماع، فقد استدلل على

(١) سورة آل عمران: الآية ٣١ - ٣٢ .

(٢) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٧٧/٢ .

(٣) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٣٢٤ .

أنّ الإمامة بالنص والدليل لا بالإجماع بحديث ورد في كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام في (باب ما جاء عن الرضا عليه السلام في وجه دلائل الأئمة عليهم السلام والرد على الغلاة والمفوضة لعنهم الله)<sup>(١)</sup>، وفيه تفصيل لأمر عدة ترتبط بمسألة الإمامة وسنعمد لتقسيم الحديث طبقاً للعنوان الموجود في سياق متصل:

#### أولاً: الإمامة بالنص والدليل:

"حَدَّثَنَا تَمِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ تَمِيمٍ الْقُرَشِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَنْصَارِيُّ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ الْجَهْمِ قَالَ: حَضَرْتُ مَجْلِسَ الْمَأْمُونِ يَوْمًا وَعِنْدَهُ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ اجْتَمَعَ الْفُقَهَاءُ وَأَهْلُ الْكَلَامِ مِنَ الْفِرَقِ الْمُخْتَلِفَةِ فَسَأَلَهُ بَعْضُهُمْ فَقَالَ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ بِأَيِّ شَيْءٍ تَصِحُّ الْإِمَامَةُ لِمُدَّعِيهَا؟ قَالَ: بِالنَّصِّ وَالْدَّلِيلِ"<sup>(٢)</sup>(٣).

#### ثانياً: حجة الإمام وعلمه واطلاعه على الغيب وتأيدده:

"قَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ: فَدَلَالَةُ الْإِمَامِ فِيمَا هِيَ؟ قَالَ: فِي الْعِلْمِ وَاسْتِجَابَةِ الدَّعْوَةِ، قَالَ: فَمَا وَجْهُ إِخْبَارِكُمْ بِمَا يَكُونُ؟ قَالَ: ذَلِكَ بَعْدَ مَعْهُودٍ إِلَيْنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، قَالَ: فَمَا وَجْهُ إِخْبَارِكُمْ بِمَا فِي قُلُوبِ النَّاسِ؟ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ: أَمَا بَلَغَكَ قَوْلُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ؛ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: وَمَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَهُ فِرَاسَةٌ، يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ عَلَى قَدْرِ إِيْمَانِهِ، وَمَبْلَغِ اسْتِبْصَارِهِ وَعِلْمِهِ، وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ لِلْأئِمَّةِ مِنَّا مَا فَرَّقَهُ فِي جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِمُتَوَسِّمِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، فَأَوَّلُ الْمُتَوَسِّمِينَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ثُمَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ بَعْدِهِ، ثُمَّ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَالْأئِمَّةُ مِنْ وَوَلَدِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيْهِ الْمَأْمُونُ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا الْحَسَنِ زِدْنَا مِمَّا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ أَهْلَ النَّبِيِّتِ، فَقَالَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَيْدَنَا بِرُوحٍ مِنْهُ مُقَدَّسَةٍ مُطَهَّرَةٍ لَيْسَتْ بِمَلِكٍ، لَمْ تَكُنْ مَعَ أَحَدٍ مِمَّنْ مَضَى إِلَّا

(١) عيون أخبار الرضا(ع): الصدوق: ٢١٦/٢ .

(٢) المصدر نفسه: ٢١٦/٢ ح ١ .

(٣) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٤٩٦ .

(٤) سورة الحجر: الآية ٧٥ .

مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَهِيَ مَعَ الْأَئِمَّةِ مِنَّا تُسَدِّدُهُمْ وَتُوقِّفُهُمْ، وَهُوَ عَمُودٌ مِنْ نُورٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ" (١) (٢).

### ثالثاً: الغلو في الإمام:

(قَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ: يَا أَبَا الْحَسَنِ بَلِّغْنِي أَنَّ قَوْمًا يَعْلُونَ فِيكُمْ، وَيَتَجَاوَزُونَ فِيكُمْ الْحَدَّ، فَقَالَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: حَدَّثَنِي أَبِي مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ (٣): لَا تَرْفَعُونِي فَوْقَ حَقِّي؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ تَعَالَى اتَّخَذَنِي عَبْدًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَنِي نَبِيًّا، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ \* وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٤)، قَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَهْلِكُ فِيَّ اثْنَانِ وَلَا ذَنْبَ لِي، مُحِبُّ مَفْرُطٌ، وَمُبْغِضٌ مَفْرُطٌ، وَأَنَا أَتَبَرُّ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِمَّنْ يَعْلُو فِيْنَا، وَيَرْفَعُنَا فَوْقَ حَدِّنا كِبْرَاءَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ النَّصَارَى، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَلَمْ أَقُلْ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ \* مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا

(١) عيون أخبار الرضا (ع): الصدوق: ٢/٢١٦ - ٢١٧/ح ١ .

(٢) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٤٩٦ - ٤٩٧ .

(٣) كثيراً ما يؤخذ على الحديث عند الإمامية أنه غير مسند بمعنى غير متصل حسب السلسلة بالنبي صلى الله عليه وآله، بل قد ينتهي عند الإمام عليه السلام، كما هي الأحاديث الكثيرة بهذه الشكل، بطبيعة الحال، فإن هذه الشبهة مردودة ومعلومة الحال؛ إذ ينص الأئمة عليهم السلام أن حديث أحدهم هو حديث من سبقه من الأئمة عليهم السلام وصولاً إلى النبي صلى الله عليه وآله، وبالتالي فلا حاجة لذكر السند في كل مرة، ومع هذا فإن هنالك روايات يذكر فيها الأئمة عليهم السلام السند وصولاً إلى النبي صلى الله عليه وآله كما في الحديث أعلاه في دلالة واضحة على بطلان دعوى أن الشيعة لا يمتلكون أحاديث متصلة صريحة، بطلاناً عملياً، بسند ذهبي لا شك ولا ريب فيه عند الأمة كلها.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٧٩ - ٨٠ .

اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ<sup>(١)</sup>، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَنْ يَسْتَكْفِرَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾<sup>(٣)</sup>، وَمَعْنَاهُ أَنَّهُمَا كَانَا يَتَعَوَّطَانِ، فَمَنْ ادَّعَى لِلْأَنْبِيَاءِ رُبُوبِيَّةً، وَادَّعَى لِلْأَيْمَةِ رُبُوبِيَّةً أَوْ نُبُوَّةً، أَوْ لِعَيْرِ الْأَيْمَةِ إِمَامَةً، فَتَحَنُّ مِنْهُ بُرَاءً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ<sup>(٤)</sup> (٥).

رابعاً: الرجعة والإمام المهدي عليه السلام:

(«فَقَالَ الْمَأْمُونُ: يَا أَبَا الْحَسَنِ فَمَا تَقُولُ فِي الرَّجْعَةِ؟ فَقَالَ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّهَا لِحَقٌّ قَدْ كَانَتْ فِي الْأُمَّمِ السَّالِفَةِ، وَنَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: يَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ كُلِّ مَا كَانَ فِي الْأُمَّمِ السَّالِفَةِ حَذْوِ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ وَالْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ»<sup>(٦)</sup>)، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إِذَا خَرَجَ الْمَهْدِيُّ مِنْ وُلْدِي نَزَلَ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَصَلَّى خَلْفَهُ، وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيباً، وَسَيَعُودُ غَرِيباً، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ يَكُونُ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ يَرْجِعُ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ»<sup>(٧)</sup> (٨).

(١) سورة المائدة: الآية ١١٦ - ١١٧ .

(٢) سورة النساء: الآية ١٧٢ .

(٣) سورة المائدة: الآية ٧٥ .

(٤) عيون أخبار الرضا(ع): الصدوق: ٢/٢١٧/٢ ح ١ .

(٥) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٤٩٧ .

(٦) (القُدَّة: ريشُ السَّهْمِ): لسان العرب: ابن منظور: ٣/٥٠٣، مادة قذذ .

(٧) عيون أخبار الرضا(ع): الصدوق: ٢/٢١٧/٢ ح ١ .

(٨) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٤٩٧ - ٤٩٨ .

### المطلب الخامس: المعاد

تطرق القزويني إلى بعض المباحث المرتبطة بالمعاد، من قبيل:

#### أولاً: البعث والنشور:

ذكر القزويني أنّ قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ﴾<sup>(١)</sup>، دلّ على تحقيق (البعث والنشور والحساب والجنة والنار؛ لأنّ إيفاء الوعد واجب، واستدلّ الوعيدية<sup>(٢)</sup> بها على خلود الفساق في النار)<sup>(٣)</sup>، ونقله لرأي الوعيدية لا يعني أنّه يرتضيه فهو سرعان ما يرسم حدود الوعد والوعيد بما يتمشى ومبناه العقدي فيقول: (وعيد الفساق مشروط بعدم التوبة أو بعدم العفو، وأيضاً خلف الوعد قبيح منافٍ للالهية دون الوعيد)<sup>(٤)</sup>.

#### ثانياً: تجسيم الأعمال:

في خضمّ تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجْدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمَلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمَلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾<sup>(٥)</sup>، أشار إلى أنّ هذه الآية (تدلّ على تجسيم الأعمال كما ذهب إليه بعض الأصحاب ويؤيده ما ورد في الأخبار مجيء القرآن والأعمال الصالحة بصورة شخص حسن الوجه حسن السمّت طيب الرّيح، والأعمال السيئة بصورة شخص كرهه المنظر مُنّثّن الرّيح أو يتمّنى كلّ نفس يوم تَجْدُ صَحَائِفَ أَعْمَالِهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ حَاضِرَةً مُنْتَظِرَةً أَوْ تَجْدُ جَزَاءَ أَعْمَالِهَا مِنَ النَّوَابِ وَالْعِقَابِ حَاضِرًا عِنْدَهَا وَادَّةً لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا أَمَدًا بَعِيدًا، أي: وبين ما عملته من سوءٍ أو بين ذلك اليوم وهوله أمدًا بعيدًا، أي: مسافة بعيدة، أي: بُعد المشرقين فبئس القرين، وهذا التقدير عند من لا يقول بتجسيم الأعمال، وإنهم يقولون: الأعمال أعرّاض قد بطلت

(١) سورة آل عمران: الآية ٩ .

(٢) الوعيدية: (هم فرقة قالوا بقبح خلف الوعيد كما يقبح خلف الوعد، بدأهم بهذا القول عمرو بن عبّيد المعتزلي، كما وقالوا بأنّ عذاب أصحاب الكبائر من المسلمين مؤبّد لا ينقطع كالكفار، وإنّ الشفاعة عبارة عن استزادة النّوَاب للمستحقين)، أعيان الشّبيعة: محسن الأمين: ٤٣٨/٩ .

(٣) نور التوفيق وكشف التدقيق: النصّ المحقّق: ٢١٠ .

(٤) المصدر نفسه: ٢١٠ .

(٥) سورة آل عمران: الآية ٣٠ .

ولا يجوز عليها الإعادة فتستحيل أن ترى مُحَضَّرَةً وَفِيهِ مَا فِيهِ، ﴿وَيُحَدِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾، كَرَّرَهُ للتوكيد والمبالغة في التحذير والتخويف، ﴿وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾؛ لَأَنَّهُ سبحانه ذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ، تُرْجَى رَحْمَتُهُ وَيُخْشَى عِقَابُهُ، وَأَنَّهُ سبحانه إِنَّمَا نَهَاكُمْ عَنِ الْمَعَاصِي، وَاتَّخَذَ الْكُفَّارِ أَوْلِيَاءَ، وَحَدَّرَهُمْ عَنِ ذَلِكَ وَعَنِ نَفْسِهِ وَعِقَابِهِ؛ رَأْفَةً بِهِمْ، وَمُرَاعَاةً لِصَلَاحِهِمْ فِي الدِّينِ وَالدَّارَيْنِ<sup>(١)</sup>.

#### المطلب السادس: التقيّة ورجحان وجوبها بدلالة الأخبار:

لابد من ملاحظة فيما يرتبط بالتقيّة، فإنّها وإن عدّت في بعض المصادر من جملة ما يعتقده الإماميّة كما فعل الشيخ المظفر في عقائده وغيره<sup>(٢)</sup>.  
إلا أنّها في الوقت ذاته قد بُحِثَتْ في جملة من المسائل الفقهية أيضاً، وقد قسّمت إلى واجبة ومستحبة ومكروهة ومحرمّة، وفي ذلك يقول الشيخ المظفر: (للتقيّة أحكام من حيث وجوبها وعدم وجوبها، بحسب اختلاف مواقع خوف الضّرر، مذكورة في أبوابها في كتب العلماء الفقهية)<sup>(٣)</sup>.

وعليه فإنّ وضعها في الجانب العقديّ كما فعل الباحث لا ينفي كونها فقهية أيضاً، ووجه التّغليب عند الباحث في وضعها ضمن المباحث العقديّة، لكونها ممّا امتازت به الشيعة عن جملة من المسلمين في الاعتقاد بها، بل تعدّى الأمر ذلك حتّى صارت (سِمَةً تُعْرَفُ بِهَا الإِمَامِيَّةُ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الطَّوَائِفِ وَالْأُمَمِ)<sup>(٤)</sup>، وقد أخذ عليهم اعتقادهم بها مع أنّ تلك المؤاخذه لا مسوّغ لها فكل (إنسان إذا أحسّ بالخطر على نفسه أو ماله بسبب نشر معتقده أو التّظاهر به لا بدّ أن يتكتم ويتّقي في مواضع الخطر، وهذا أمر تقضيه فطرة العقول ومن المعلوم أنّ الإماميّة وأئمّتهم لا قوا من ضروب المحن وصنوف الضيق على حرياتهم في جميع العهود ما لم تلاقه آية طائفة أو أمة أخرى، فاضطّروا في أكثر عهودهم إلى استعمال التقيّة بمكاتمة المخالفين لهم وترك مظاهرتهم وستر اعتقاداتهم وأعمالهم المختصّة بهم عنهم، لما

(١) نور التّوفيق وكشف التّدقيق: النصّ المحقّق: ٣١٦ .

(٢) ينظر: عقائد الإماميّة: محمد رضا المظفر: ٨٤، أضواء على عقائد الشيعة الإماميّة: جعفر السبحاني: ٤٢١ .

(٣) المصدر نفسه: ٨٥ .

(٤) المصدر نفسه: ٨٥، الاعتصام بالكتاب والسنة: جعفر السبحاني: ٣٣٤ .

كان يعقب ذلك من الضرر في الدين والدنيا<sup>(١)</sup>، فأخذت المسألة طابعاً عقدياً بهذا اللحاظ، وإلا فلا شك أنّ لها بعداً فقهياً يرتبط بجميع أبواب الفقه وحتى في توجيه بعض الأخبار عنهم عليهم السلام كما قرّر في محله.

أما الملا القزويني ففي معرض حديثه عن قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾<sup>(٢)</sup>، ذكر التقية وأشار بدءاً إلى: مفهومها اللغوي قائلاً: (التقية والتقاء: الإظهار باللسان خلاف ما ينطوي عليه القلب للخوف عن النفس، هذا في الأفعال، وكذا الإظهار بالجوارح خلاف ما ينطوي عليه العقيدة في الأفعال للخوف من وقى يقي، يقال: وقيتُ الشيء أقيه إذا صننته وسننته، وفي الحديث: " لِيَتَّقِ أَحَدُكُمْ وَجْهَهُ النَّارَ "<sup>(٣)</sup> وهذا اللفظ خبرٌ ومعناه الأمر، أي: ليق أحدكم وجهه النار بالطاعة والصدقة والاستغفار والتّحذير والتّخويف والتّبعيد<sup>(٤)</sup>.

ثمّ بيان حكمها، فقال: فهي (عند الخوف على النفس)<sup>(٥)</sup> (العرض والإخوان، بل المال أيضاً)<sup>(٦)</sup>، ثمّ يستعرض حكمها ناقلاً بذلك قول الشيخ الطبرسي: ((وقال أصحابنا إنّها جائزة في الأقوال كلّها عند الضرورة، وربما وجبت لضربٍ من اللطف والاستصلاح؛ لأنّها كالتوبة، وليس تجوز من الأفعال في قتل المؤمن)<sup>(٧)</sup> وشرب الخمر<sup>(٨)</sup>.

وبعد ذلك يستدلّ بقول الشيخ أبو جعفر الطوسي في أنّ ظاهر الروايات صرّحت بوجود التقية حينما قال قدس سره: ((ظاهر الروايات تدلّ على أنّها واجبة عند الخوف على النفس، وقد روي رخصة في جواز الإفصاح بالحقّ عنده، وروى الحسن

(١) عقائد الإمامية: محمد رضا المظفر: ٨٤ - ٨٥ .

(٢) سورة آل عمران: الآية ٢٨ .

(٣) مسند أحمد: أحمد بن حنبل: ٦/٢٠١/٣٦٧٩، سنن الترمذي: الترمذي: ٥/٥٣/٢٩٥٣ .

(٤) نور التوفيق وكشف التدقيق: النصّ المحقّق: ٣٠٥ .

(٥) مجمع البيان: الطبرسي: ٢/٢٧٣ .

(٦) نور التوفيق وكشف التدقيق: النصّ المحقّق: ٣١٠ .

(٧) مجمع البيان: الطبرسي: ٢/٢٧٣ .

(٨) نور التوفيق وكشف التدقيق: النصّ المحقّق: ٣١٠ .



أَنَّ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابَ أَخَذَ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِأَحَدِهِمَا: أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، ثُمَّ دَعَا بِالْآخِرِ فَقَالَ: أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، ثُمَّ قَالَ: أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟ فَقَالَ: إِنِّي أَصَمُّ قَالَهَا ثَلَاثًا، كُلُّ ذَلِكَ يَجِيبُهُ بِمِثْلِ الْأَوَّلِ، فَضْرَبَ عُنُقَهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَمَا هَذَا الْمَقْتُولُ فَمَضَى عَلَى صِدْقِهِ وَيَقِينِهِ، وَأَخَذَ بِفَضْلِهِ، فَهَنِيئًا لَهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَقَبِلَ رُخْصَةَ اللَّهِ، فَلَا تَبِعَةَ عَلَيْهِ، فَعَلَى هَذَا تَكُونُ التَّعْيِيَةُ رُخْصَةً وَالْإِفْصَاحُ بِالْحَقِّ فَضِيلَةً<sup>(١)</sup> (٢).

ويخلص قائلاً: (وَالْأَجُودُ وَالْأَحُوطُ وَجُوبُ التَّعْيِيَةِ عِنْدَ الْخَوْفِ عَلَى النَّفْسِ وَعَلَى الْإِخْوَانِ)<sup>(٣)</sup>، داعماً رأيه هذا بالأدلة النقلية من قبيل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾<sup>(٥)</sup>، وقول الإمام الصادق عليه السلام: "لَا دِينَ لِمَنْ لَا تَعْيِيَةَ لَهُ"<sup>(٦)</sup> (٧).

(١) التبيان في تفسير القرآن: الطوسي: ٤٣٥/٢ .

(٢) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٣١٠ - ٣١١ .

(٣) المصدر نفسه: ٣١١ .

(٤) سورة البقرة: الآية ١٩٥ .

(٥) سورة النحل: الآية ١٠٦ .

(٦) من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ١٢٨/٢ ح/١٩٢٨ .

(٧) ينظر: نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٣١١ .



# المَبْحَثُ الثَّانِي: الْمَسَائِلُ الْفِقْهِيَّةُ

المَطْلَبُ الْأَوَّلُ: فِي الْعِبَادَاتِ

المَطْلَبُ الثَّانِي: فِي الْمُعَامَلَاتِ

## المبحث الثاني: المسائل الفقهية

تنوّعت المسائل الفقهية التي تطرّق لها الملامّ القزويني في تفسيره طبقاً لما يفرضه المقام من الوقوف عند آيات الأحكام في السور، مضافاً إلى بعض الموارد المتفرقة أيضاً، وقد وقف الباحث عندها ضمن التفسير، ويبقى أن نشير إلى بعض منها بحسب هذا التوصيف، ومنها:

### المطلب الأول: في العبادات

#### أولاً: حرمة الامتناع عن دفع الزكاة وعقابه:

وقد تطرّق مفصلاً إلى حرمة الامتناع عن الزكاة في معرض حديثه عن قوله تعالى: ﴿رُئِيَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾<sup>(١)</sup>، قائلاً: (صرّح سبحانه (أنّ ذلك كلّهُ ممّا يتمتّع به في الحياة الدنيا، ثمّ يزول عن صاحبه)<sup>(٢)</sup> لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾<sup>(٤)</sup>، و﴿لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾<sup>(٥)</sup>، و﴿مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا﴾<sup>(٦)</sup>، وفضة بل ﴿يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾<sup>(٧)</sup>، بل ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾<sup>(٨)</sup>، وينهشه كلّ ذات نابٍ بنابها، ويطأهم كلّ ذات ظلفٍ بظلفها؛ بأن لم يكونوا مُنفقين على الوجه المأمور به ولا مخرجين حقوقها الواجبة من الزكاة والخمس وغيرهما، بل يسألون الرجعة إلى الدنيا لعلهم يتداركون ما لم يفعلوه من ذلك، ولا ينفعهم ذلك السؤال)<sup>(٩)</sup>، ثمّ يستدلّ

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤.

(٢) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٥٣/٢.

(٣) سورة الكهف: الآية ٨.

(٤) سورة الأنعام: الآية ٩٤.

(٥) سورة الشعراء: الآية ٨٨.

(٦) سورة آل عمران: الآية ٩١.

(٧) سورة التوبة: الآية ٣٥.

(٨) سورة آل عمران: الآية ١٨٠.

(٩) نور التوفيق وكشف التدقيق: النصّ المحقّق: ٢٣٣ - ٢٣٤.

على ذلك بما جاء عن أهل البيت عليهم السلام قائلاً: (كما قال عليه الصلاة والسلام: "ما من ذي مالٍ ذهبٍ أو فضةٍ يمنع زكاة ماله إلا حَبَسَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقَاعٍ قَرَقَرٍ وَسَلَطَ عَلَيْهِ شُجَاعاً أَقْرَعَ يُرِيدُهُ وَهُوَ يَحِيدُ عَنْهُ فَإِذَا رَأَى أَنَّهُ لَا مَخْلَصَ لَهُ مِنْهُ أَمَكَّنَهُ مِنْ يَدِهِ فَقَضِمَهَا كَمَا يُقَضِّمُ الْفَجْلُ، ثُمَّ يَصِيرُ طَوْقاً فِي عُنُقِهِ وَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿سَيُطَوَّفُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، وما من ذي مالٍ إبلٍ أو غنمٍ أو بقرٍ يمنع زكاة ماله إلا حَبَسَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقَاعٍ قَرَقَرٍ يَطْوُهُ كُلُّ ذَاتِ ظِلْفٍ بِظِلْفِهَا وَيَنْهَشُهُ كُلُّ ذَاتِ نَابٍ بِنَابِهَا وَمَا مِنْ ذِي مَالٍ نَخْلٍ أَوْ كَرْمٍ أَوْ زَرْعٍ يَمْنَعُ زَكَاةَهَا إِلَّا طَوَّقَهُ اللهُ رِيعَةَ أَرْضِهِ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"<sup>(١)</sup>، وقال عليه السلام "ما من عبدٍ منع من زكاة ماله شيئاً إلا جعل الله تعالى ذلك يوم القيامة ثعباناً من نارٍ مطوقاً في عنقه ينهش من لحمه حتى يفرغ من الحساب، وهو قول الله عز وجل: ﴿سَيُطَوَّفُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾"<sup>(٢)</sup>، وقال عليه السلام: "من منع قيراطاً من الزكاة فليس بمؤمنٍ ولا مسلمٍ، ولا تُقبل له صلاة"<sup>(٣)</sup>، ويسأل الرجعة وهو قول الله عز وجل: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ \* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا﴾<sup>(٤)</sup> الآية، وقال عليه السلام: "إن الله تبارك وتعالى قرن الزكاة بالصلاة فقال: ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾"<sup>(٥)</sup>، فمن أقام الصلاة ولم يؤت الزكاة فكأنه لم يقيم الصلاة"<sup>(٦)</sup>/<sup>(٧)</sup>.

(١) والرواية جاءت (عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ خَلْفِ بْنِ حَمَّادٍ عَنْ حَرِيْزٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا مِنْ ذِي مَالٍ ..)، الكافي: الكليني: ٣: ٥٠٥ - ١٩٥/٥٠٦، باب منع الزكاة، ثواب الأعمال: الصدوق: ٢٣٥، روضة الواعظين: الفتال النيسابوري: ٣٥٦.

(٢) من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ١٠/٢ - ١١، وسائل الشريعة: الحر العاملي: ٢٢/٩ .

(٣) وأصل الرواية عن يونس عن علي بن أبي حمزة عن أبي بصير عن أبي عبد الله ع قال من منع قيراطاً من الزكاة فليس بمؤمنٍ ولا مسلمٍ وهو قوله عز وجل ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ﴾، وفي رواية أخرى ولا تُقبل له صلاة، الكافي: الكليني: ٣/٥٠٣/٣، باب منع الزكاة، من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ١١/٢، مرآة العقول المجلسي: ١٤/١٦ .

(٤) سورة المؤمنون: الآية ٩٩ - ١٠٠ .

(٥) سورة البقرة: الآية ٤٣، سورة النساء: الآية ٧٧، سورة الحج: الآية ٧٨ .

(٦) من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ١٠/٢، وسائل الشريعة: الحر العاملي: ٢٢/٩ .

(٧) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٢٣٤ - ٢٣٥ .

## ثانياً . حرمة موالة الكفار:

وبيان ذلك في قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ الْمَصِيرُ﴾<sup>(١)</sup>.

إذ يقول القزويني: (لَمَّا بَيَّنَّ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ مَالِكُ الْمَلِكِ، وَمَالِكُ الدُّنْيَا، وَمَالِكُ الْإِعْزَازِ وَالْإِذْلَالِ عَقَبَهُ بِنَهْيِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ أَعَزَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ فِي الدَّارَيْنِ عَنِ أَنْ يَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ الَّذِينَ لَا عِزَّةَ لَهُمْ فِيهِمَا، مُتَجَاوِزِينَ عَنِ وِلَايَةِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَنِ كَوْنِهِمْ مَعَ الصَّادِقِينَ مُغْمَضِينَ عَنْهُمْ وَعَنِ وِلَايَتِهِمْ مَعَ أَنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ، فَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَّخِذَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالصَّادِقِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ أَوْلِيَاءَ دُونَ الْكَافِرِينَ ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾<sup>(٢)</sup> الآية، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾<sup>(٣)</sup> الآية، ﴿قُلْ أَعْيُرَ اللَّهُ اتَّخَذُ وِلِيًّا فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(٤)</sup> الآية، فَإِنَّ الْمُنْكَرَ اتَّخَذَ غَيْرَ اللَّهِ وِلِيًّا لَا اتَّخَذَ الْوَلِيَّ فَيَقَالُ: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾، أَي: لَا يَجُوزُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ الَّذِينَ هُمْ أَعْدَاءُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَوْصِيَائِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ أَوْلِيَاءَ وَأَصْدِقَاءَ لِنَفْسِهِمْ، وَأَنْ يَسْتَعِينُوا بِهِمْ وَأَنْ يَلْجَأُوا إِلَيْهِمْ وَأَنْ يُظْهِرُوا الْمَحَبَّةَ وَالْمَوَدَّةَ لَهُمْ لِقَرَابَةٍ أَوْ صَدَاقَةٍ جَاهِلِيَّةٍ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي مَوَاضِعَ عَدِيدَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾<sup>(٥)</sup>، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾<sup>(٦)</sup>، وَكَمَا قَالَ سَيِّدُ السَّاجِدِينَ فِي الصَّحِيفَةِ الْكَامِلَةِ فِي وَصْفِهِ صَلَّى اللَّهُ

(١) سورة آل عمران: الآية ٢٨ .

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٧ .

(٣) سورة التوبة: الآية ٧١ .

(٤) سورة الأنعام: الآية ١٤ .

(٥) سورة المائدة: الآية ٥١ .

(٦) سورة المجادلة: الآية ٢٢ .

عَلَيْهِ وَآلِهِ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ "كَمَا نَصَبَ لِأَمْرِكَ نَفْسَهُ، وَعَرَّضَ فِيكَ لِلْمَكْرُوهِ بَدَنَهُ، وَكَاشَفَ فِي الدُّعَاءِ إِلَيْكَ حَامَتَهُ، وَحَارَبَ فِي رِضَاكَ أُسْرَتَهُ، وَقَطَعَ فِي إِحْيَاءِ دِينِكَ رَحِمَهُ، وَأَفْصَى الْأَدْنَيْنِ عَلَى جُحُودِهِمْ، وَقَرَّبَ الْأَقْصَيْنِ عَلَى اسْتِجَابَتِهِمْ لَكَ، وَوَالَى فِيكَ الْأَبْعَدَيْنِ، وَعَادَى فِيكَ الْأَقْرَبَيْنِ"<sup>(١)</sup>، وَكَمَا قَالَ سَيِّدُ السَّاجِدِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي وَصْفِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فِيهَا: "الَّذِينَ أَبْلَوْا الْبَلَاءَ الْحَسَنَ فِي نَصْرِهِ، وَكَانَفُوهُ، وَأَسْرَعُوا إِلَيَّ وَفَادَتَهُ، وَسَابَقُوا إِلَيَّ دَعْوَتَهُ، وَاسْتَجَابُوا لَهُ حَيْثُ أَسْمَعُهُمْ حُجَّةَ رِسَالَتِهِ، وَفَارَقُوا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ فِي إِظْهَارِ كَلِمَتِهِ، وَقَاتَلُوا الْآبَاءَ وَالْأَبْنَاءَ فِي تَثْبِيْتِ نُبُوَّتِهِ"<sup>(٢)</sup> (الدُّعَاءُ)<sup>(٣)</sup>.

ثمَّ يَخْتَمُ كَلَامَهُ قَائِلًا: (وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ نُهُوا عَنِ مُوَالَاةِ الْكَافِرِينَ مِنْ أَيِّ صِنْفٍ كَانُوا، مِنْ الْحَرَبِيِّ وَالنَّوَاصِبِ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارِيِّ وَغَيْرِهِمْ، وَعَنْ مَعَاوَنَتِهِمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالنُّصْرَةَ لَهُمْ، بَلْ يَجِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَشْتَاؤُهُمْ وَيُبْغِضُوهُمْ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ عَلَى حَسَبِ الْمَقْدُورِ؛ لِوُجُوبِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، ﴿مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، أَي: مُتَجَاوِزِينَ عَنِ مُوَالَاةِ الْمُؤْمِنِينَ مُغْمِضِينَ عَنْهُمْ وَعَنِ مُوَالَاتِهِمْ مَعَ أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ مُوَالَاةُ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى وَالْمُؤْمِنُونَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ؛ لِأَنَّهُمْ أَحِقَّاءُ بِذَلِكَ دُونَ الْكَافِرِينَ، وَالْوَلِيِّ هُنَا أَعَمٌّ مِنَ الْمُحِبِّ وَالْمَعِينِ وَالنَّاصِرِ وَالْأَوْلَى بِالشَّخْصِ مِنْ نَفْسِهِ، ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾، أَي: مَنْ اتَّخَذَ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾، أَي: فَلَيْسَ الْمُتَّخِذُ الْمَذْكُورُ مِنْ وِلَايَةِ اللَّهِ فِي شَيْءٍ، وَلَيْسَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، وَاللَّهُ بَرِيءٌ مِنْهُ، (يَعْنِي: أَنَّهُ مُنْسَلَخٌ عَنِ وِلَايَةِ اللَّهِ رَأْسًا)<sup>(٤)</sup>، فَلَا يَصِحُّ أَنْ يُسَمَّى وَلِيًّا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ؛ فَإِنَّ مُوَالَاةَ الْمُتَعَادِيَيْنِ مُمْتَنِعَةٌ لِاجْتِمَاعِ (مُصَادِقَةُ الصَّدِيقِ، وَمُصَادِقَةُ عَدُوِّهِ مُتَنَافِيَتَانِ)<sup>(٥)</sup>(١).

(١) الصحيفة السجادية: الإمام زين العابدين (ع): ٣٤، من دعائه عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ .

(٢) المصدر نفسه: ٤٢، مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الصَّلَاةِ عَلَى أَتْبَاعِ الرُّسُلِ وَمُصَدِّقِيهِمْ.

(٣) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٣٠٦ - ٣٠٧ .

(٤) جوامع الجامع: الطبرسي: ٢٧٦/١ .

(٥) المصدر نفسه: ٢٧٦/١ .

### ثالثاً. الوقوف عند جملة من المستحبات والآداب في الشريعة:

لم يترك القزويني التنبيه والوقوف عند كثير من الآداب والمستحبات التي نبه عليها الشارع وذكر فضلها، وحث عليها استحباباً مؤكداً الإتيان بها، وذلك أيضاً في معرض الحديث عن تفسير الآيات، ومن هذه المسائل في هذا المجال:

أ . ثواب صلاة الليل:

ففي معرض الحديث عن قوله تعالى: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾<sup>(٢)</sup>، ذكر روايات متعددة في بيان فضل قيام الليل، ومنها: (في الفقيه "نزل جبرائيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله فقال له: يا جبرائيل عطني، قال: شرف المؤمن صلاته بالليل، وعزه كف الأذى عن الناس"<sup>(٣)</sup>، و"عن الصادق عليه السلام قال: إن من روح الله عز وجل ثلاثة: التهجد بالليل، وإفطار الصائم، ولقاء الإخوان"<sup>(٤)</sup>، وقال الصادق عليه السلام: "عليكم بصلاة الليل فإنها سنة نبيكم ودأب الصالحين قبلكم ومطرده الداء عن أجسادكم"<sup>(٥)</sup>، "وسأله عبد الله بن سنان عن قول الله عز وجل: ﴿سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾<sup>(٦)</sup>، قال: هو السهر في الصلاة"<sup>(٧)</sup>، "وقال الصادق عليه السلام: أن البيوت التي يصلّي فيها بالليل بتلاوة القرآن تضيئ لأهل السماء كما تضيئ نجوم السماء لأهل الأرض"<sup>(٨)</sup>، "وقال عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾<sup>(٩)</sup> قال: صلاة المؤمن بالليل تذهب بما عمل من ذنب بالنهار، ومدح الله أمير المؤمنين عليه

(١) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٣٠٧ - ٣٠٨ .

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٧ .

(٣) من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ٣٩٩/٤، والحديث طويل اكتفى المؤلف بذكر موضع الشاهد .

(٤) المصدر نفسه: ٤٧٢/١ .

(٥) ثواب الأعمال: الصدوق: ٤١، تهذيب الأحكام: الطوسي: ١٢٠/٢، روضة الواعظين: القتال النيسابوري: ٣٢١ .

(٦) سورة الفتح: الآية ٢٩ .

(٧) من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ٤٧٣/١، روضة الواعظين: القتال النيسابوري: ٣٢١، وسائل الشيعة: الحرز العاملي: ١٥٢/٨ .

(٨) ثواب الأعمال: الصدوق: ٤٢، تهذيب الأحكام: الطوسي: ١٢٢/٢ .

(٩) سورة هود: الآية ١١٤ .

السَّلَامُ فِي كِتَابِهِ بِقِيَامِ صَلَاةِ اللَّيْلِ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾<sup>(١)</sup> وَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاعَاتِهِ"<sup>(٢)</sup>، "وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: إِذَا أَرَادَ أَنْ يُصِيبَ أَهْلَ الْأَرْضِ بِعَذَابٍ، قَالَ: لَوْلَا الَّذِينَ يَتَحَابُّونَ بِحَلَالِي وَيَعْمُرُونَ مَسَاجِدِي وَيَسْتَغْفِرُونَ بِالْأَسْحَارِ لَوْلَاهُمْ لَأَنْزَلْتُ عَذَابِي"<sup>(٣)</sup>، "وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: مَنْ كَثُرَ صَلَاتُهُ بِاللَّيْلِ حَسَنٌ وَجْهُهُ بِالنَّهَارِ"<sup>(٤)</sup>، "وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَشَكَا إِلَيْهِ الْحَاجَةَ فَأَقْرَطَ فِي الشَّكَايَةِ حَتَّى كَادَ أَنْ يَشْكُو الْجُوعَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا هَذَا أَتَصَلِّي بِاللَّيْلِ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: نَعَمْ، فَالْتَقَتْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: كَذَبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُصَلِّي بِاللَّيْلِ وَيَجُوعُ بِالنَّهَارِ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ضَمِنَ صَلَاةَ اللَّيْلِ قُوتَ النَّهَارِ"<sup>(٥)</sup>(٦).

#### ب . استحباب الإنفاق والتصدق وثوابه:

وَقَدْ تَطَرَّقَ لَذَلِكَ عِنْدَ تَفْسِيرِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾<sup>(٧)</sup> (فَقَالَ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾، أَي: لَنْ تُذَرِكُوا الْبِرَّ وَالنَّقْوَى وَثَوَابَهُمَا وَلَمْ تَبْلُغُوا حَقِيقَةَ الْبِرِّ الَّذِي هُوَ كَمَالُ الْخَيْرِ عَلَى الْعِبَادِ وَثَوَابُهُ الدَّائِمُ، أَوْ لَنْ تَنَالُوا بِرَّ اللَّهِ الَّذِي هُوَ الثَّوَابُ وَالرَّحْمَةُ وَالرِّضْوَانُ وَالْجَنَّةُ، أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَبْرَارًا صَالِحِينَ أَتْقِيَاءَ، ﴿حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، أَي: بَعْضَ مَا تُحِبُّونَهُ بِقَدْرِ الْمَقْدُورِ مِنْ نَقَائِسِ الْأَمْوَالِ دُونَ أَرَادِلِهَا وَحَبَائِثِهَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾<sup>(٨)</sup>، أَوْ مَا يَعِمُّ الْأَمْوَالِ وَغَيْرَهَا ك(الْجَاهِ فِي مُعَاوَنَةِ

(١) سورة الزمر: الآية ٩ .

(٢) من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ٤٧٣/١ .

(٣) المصدر نفسه: ٤٧٤/١ .

(٤) المصدر نفسه: ٤٧٤/١ .

(٥) من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ٤٧٤/١ .

(٦) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٢٤٢ - ٢٤٢ .

(٧) سورة آل عمران: الآية ٩٢ .

(٨) سورة البقرة: الآية ٢٦٧ .

النَّاسِ، وَالْبَدَنِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْمُهْجَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ<sup>(١)</sup>، وَفِي رَوْضَةِ الْكَافِي "عَلِيٌّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ يُونُسَ بْنِ ظَبْيَانَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَنْ تَتَالَوْا الْبِرَّ حَتَّى تُتَفَقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾<sup>(٢)</sup>، هَكَذَا فَاقْرَأُهَا"<sup>(٣)</sup>، وَكَذَا فِي تَفْسِيرِ الْعِيَّاشِيِّ<sup>(٤)</sup> عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَعْنِي بِدُونِ مِنَ الْجَارَةِ النَّبْعِيَّةِ، وَيَشْمَلُ ذَلِكَ الْإِنْفَاقَ الزَّكَاةَ الْوَاجِبَةَ وَالْمُسْتَحَبَّةَ وَمَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَى الْأَمْوَالِ وَمَا اسْتَحَبَّهُ وَغَيْرَهَا مِنَ الْأَبْدَانِ وَالْمُهْجِ وَالْجَاهِ، وَفِي أُصُولِ الْكَافِي بِإِسْنَادِهِ "عَنْ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ أَبِي وَهَّابٍ الْحَنَاطِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾<sup>(٥)</sup>، مَا هَذَا الْإِحْسَانُ؟ فَقَالَ: الْإِحْسَانُ أَنْ تُحْسِنَ صُحْبَتَهُمَا، وَأَنْ لَا تُكَلِّفَهُمَا أَنْ يَسْأَلَكَ شَيْئًا مِمَّا يَخْتَاجَانِ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَا مُسْتَغْنِيَيْنِ أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَنْ تَتَالَوْا الْبِرَّ حَتَّى تُتَفَقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾<sup>(٦)</sup>،<sup>(٧)</sup>،<sup>(٨)</sup>.

ج . ذكر ما يستحب للحج ومن استحب عليه وشرط صحته:

تعرض لبيان ذلك من خلال تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ \* فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٩)</sup>، قائلاً: (وَيُسْتَحَبُّ تَكَرُّرُهُ لِلْغَنِيِّ فِي كُلِّ عَامٍ كَمَا يَأْتِي ذِكْرُهُ، وَكَذَا يُسْتَحَبُّ مَرَّةً وَاحِدَةً لِلْفَقِيرِ الْفَاقِدِ لِلشَّرَائِطِ، وَشَرُطُ صِحَّتِهِ الْإِسْلَامُ وَغَيْرُ ذَلِكَ، وَتَأْخِيرُهُ مَعَ تَحْقِيقِ شُرَائِطِهِ كَبِيرَةٌ مُؤَبِّقَةٌ كَمَا يَأْتِي آتِياً فِي دَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ

(١) أنوار التنزيل: البيضاوي: ٢٨/٢ .

(٢) سورة آل عمران: الآية ٩٢ .

(٣) الكافي: الكليني: ١٨٣/٨ ح/٢٠٩ .

(٤) تفسير العياشي: العياشي: ١٨٤/١ .

(٥) سورة البقرة: الآية ٨٣، سورة النساء: الآية ٣٦، سورة الأنعام: الآية ١٥١، سورة الإسراء: الآية ٢٣ .

(٦) سورة آل عمران: الآية ٩٢ .

(٧) الكافي: الكليني: ١٥٧/٢ ح/١، بَابُ الْبِرِّ بِالْوَالِدَيْنِ، وَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ اِكْتَفَى الْمُؤَلَّفُ بِمَوْضِعِ الشَّاهِدِ مِنْهُ .

(٨) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٥٣٤ - ٥٣٥ .

(٩) سورة آل عمران: الآية ٩٦ - ٩٧ .



غَنِيَّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾، إِذَا عَرَفْتَ تِلْكَ الْمَرَاتِبَ عَلِمْتَ أَنَّ لَا تَنَافِي بَيْنَ هَذِهِ الْأَخْبَارِ وَأَمْثَالِهَا، ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ أَي: (مَنْ جَحَدَ فَرَضَ الْحَجِّ وَوَجُوبَهُ وَلَمْ يَرَهُ وَاجِبًا) (٢) كَمَا يَأْتِي فِي الْخَبَرِ فَقَدْ كَفَرَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَتَارِكِ الصَّلَاةِ، وَإِلَّا فَقَدْ فَعَلَ كَبِيرَةً مُؤَبِّقَةً (٣)، ثُمَّ يَسْتَدَلُّ عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ: (وَفِي الْكَافِي بِإِسْنَادِهِ "عَنْ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَخِيهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَرَضَ الْحَجَّ عَلَى أَهْلِ الْجِدَّةِ (٤) فِي كُلِّ عَامٍ؛ وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾، قَالَ: فُلْتُ: فَمَنْ لَمْ يَحُجَّ مِنَّا فَقَدْ كَفَرَ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ مَنْ قَالَ لَيْسَ هَذَا هَكَذَا فَقَدْ كَفَرَ" (٥)، (وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ فَإِنَّهُمْ قَالُوا: الْحَجُّ إِلَى مَكَّةَ غَيْرُ وَاجِبٍ) (٦)، وَفِي الْفَقِيهِ فِي وَصِيَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ "يَا عَلِيُّ: تَارِكُ الْحَجِّ وَهُوَ مُسْتَطِيعٌ كَافِرٌ لِقَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾، يَا عَلِيُّ: مَنْ سَوَّفَ الْحَجَّ حَتَّى يَمُوتَ بَعَثَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا" (٧) (٨).

(١) سورة آل عمران: الآية ٩٧ .

(٢) فقه القرآن: الراوندي: ٢٨٥/١، المنتخب من تفسير القرآن: ابن إدريس الحلبي: ١٣٥/١ .

(٣) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٥٦٧ .

(٤) أهل الجدة: (بتخفيف الدال وهو الغنى وكثرة المال والاستطاعة، يقال وجد يجد جدة استغنى)، مجمع البحرين: الطريحي: ١٥٥/٣ .

(٥) الكافي: الكليني: ٢٦٥/٤ - ٢٦٦/٥، باب فَرَضِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ .

(٦) الكشاف: الزمخشري: ٤٤٩/١ .

(٧) من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ٣٦٨/٤ ح/٥٧٦٢ .

(٨) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٥٦٧ .

## المطلب الثاني: في المعاملات

أولاً: عدم جواز انكار النسب لعدم الشبه:

وأشار القزويني الى ذلك مستدلاً عليه بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(١)</sup>، وبما جاء (في الفقيه "عن الصادق عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى إذا أراد أن يخلق خلقاً جمع كل صورة بينه وبين [أبيه إلى] آدم ثم خلقه على صورة إحداهن، فلا يقولن أحد لولده هذا لا يشبهني ولا يشبه شيئاً من آبائي"<sup>(٢)</sup>)، وفي العلل "عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى إذا أراد أن يخلق خلقاً جمع كل صورة بينه وبين أبيه إلى آدم ثم خلقه على صورة إحداهن، فلا يقولن أحد لولده هذا لا يشبهني ولا يشبه شيئاً من آبائي"<sup>(٣)</sup>، وفي الكافي "علي بن إبراهيم عن أبيه عن نوح بن شعيب رفعه عن عبد الله بن سنان عن بعض أصحابه عن أبي جعفر عليه السلام قال: أتى رجل من الأنصار رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: هذه ابنة عمي وامراتي لا أعلم إلا خيراً وقد أتتني بولد شديد السواد منتشر المنخرين جعد قطط أفطس الأنف لا أعرف شبهه في أحوالي ولا في أجدادي فقال: لامراته ما تقولين؟ قالت: لا، والذي بعثك بالحق نبياً ما أفعدت مفعدته مني منذ ملكني أحداً غيره، قال: فنكس رسول الله ص برأسه ملياً ثم رفع بصره إلى السماء ثم أقبل على الرجل فقال: يا هذا إنه ليس من أحد إلا بينه وبين آدم تسعة وتسعون عرقاً كلها تضرب في النسب فإذا وقعت النطفة في الرحم اضطربت تلك العروق تسأل الله الشبهة لها فهذا من تلك العروق التي لم يدركها أجدادك ولا أجداد أجدادك حذ إليك ابنتك فقالت المرأة: فرجت عني يا رسول الله"<sup>(٤)</sup>(٥).

(١) سورة آل عمران: الآية ٦ .

(٢) من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ٤٨٤/٣، أضاف المؤلف عبارة (أبيه إلى) إلى الرواية، ولم تكن جزءاً منها.

(٣) علل الشرائع: الصدوق: ١٠٣/١ .

(٤) الكافي: الكليني: ٥٦١/٥ - ٥٦٢/٥ ح ٢٣، باب النوادر .

(٥) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ١٨١ .

### ثانياً: مشروعية القرعة:

القرعة في اللغة مأخوذة من قرع، أي: ضرب الشيء، وقرعت الشيء أقرعه ضربته، والمقارعة: المساهمة<sup>(١)</sup>.

أما المراد من القرعة في الاصطلاح فهي (الاقتراع لتعيين المطلوب في الأمور الشرعية المشتبهة، فإذا اشتبه الأمر ولم يكن أي طريق إلى كشفه فيتوسل بالقرعة ويتعين بها المطلوب)<sup>(٢)</sup>.

وقد تطرق الملا القزويني للقرعة ومشروعيتها عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُتْلَىٰ أُولَٰئِكَ لِيُنذِرَ لِمَنْ هُوَ شَاكِرٌ لِحُكْمِهِ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، مستدلاً بما جاء عن الطبرسي قائلاً: (في المجمع: (وفي هذه الآية دلالة على أن للقرعة مدخلاً في تمييز الحقوق، وقال الصديق عليه السلام: ما تقارع قوم ففوضوا أمرهم إلى الله عز وجل إلا خرج سهم المحق)<sup>(٤)</sup>، وقال: "أي قضية عدل من القرعة إذا فوض الأمر إلى الله سبحانه، أليس الله تعالى يقول: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾<sup>(٥)</sup> (١)، (وقال الباقر عليه السلام: "أول من سوهم عليه مريم بنت عمران ثم تلا: ﴿وما كنت لديهم إذ يلقون أعلامهم﴾، الآية، والسهم سته ثم استهموا في يونس عليه السلام، ثم كان عبد المطلب ولد له تسع بنين فنذر في العاشر إن رزقه الله غلاماً أن يذبحه، فلما ولد عبد الله لم يكن يقدر أن يذبحه ورسول الله صلى الله عليه وآله في صلبه، فجاء بعشر من الإبل فساهم عليها، وعلى عبد الله، فخرجت السهام على عبد الله، فراد عشراً فلم تزل السهام تخرج على عبد الله ويزيد عشراً، فلما أن خرجت مائة خرجت السهام على الإبل، فقال عبد

(١) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ٢٦٦/٨، مادة قرع .

(٢) مائة قاعدة فقهية: محمد كاظم المصطفوي: ١٩١ .

(٣) سورة آل عمران: الآية ٤٤ .

(٤) من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ٣/٩٢/٣، باب الحكم بالقرعة .

(٥) سورة الصافات: الآية ١٤١ .

(٦) مجمع البيان: الطبرسي: ٢/٢٩٢ .

المُطَلَّبِ: مَا أَنْصَفْتُ رَبِّي، فَأَعَادَ السِّهَامَ ثَلَاثًا فَخَرَجْتُ عَلَى الْإِبِلِ، فَقَالَ: الْآنَ عَلِمْتُ  
أَنَّ رَبِّي قَدْ رَضِيَ، فَنَحَرَهَا<sup>(١)</sup><sup>(٢)</sup><sup>(٣)</sup>.

---

(١) ينظر: الخصال: الصدوق: ١٥٦ - ١٥٧، ح ١٩٨، مع تغيير يسير في الألفاظ .

(٢) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٩٢/٢ - ٢٩٣ .

(٣) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٣٧٠ .

## المَبْحَثُ الثَّالِثُ: المَسَائِلُ الرَّوَائِيَّةُ

- أولاً: ذكر ما صدرَ مِنَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنَ الْقَضَائِلِ
- ثانياً: ذكر المعنيِّ بالثلاثة الذين لا يكلمهم اللهُ ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم
- ثالثاً: ذكر عذاب قاتل الحسين بن علي عليهما السّلام ومن شايع وباع على قتله
- أولاً وآخرًا وباطناً وظاهراً
- رابعاً: ثواب من دُفِنَ في الحرم وبين الحرمين ومن مات في طريق مكّة
- خامساً: عدم جواز أن يقول أحدٌ لولده هذا لا يشبهني ولا يشبه شيئاً من آبائي، وهو كناية عن انكار ولده ونفيه
- سادساً: شبه الولد بالأعمام والأخوال والآباء والأمهات
- سابعاً: ذكر أكثر ما تلده المرأة
- ثامناً: الدّعاء للحبلى أن يجعل اللهُ ما في بطنها ذكراً سويّاً
- تاسعاً: طلب الولد والدعاء في ذلك
- عاشراً: بدء خلق الإنسان وتقلّبه في بطن أمّه
- أحد عشر: ذكر ما يقول الإمام عليه السّلام عند ولادته
- ثاني عشر: كون السّيدة فَاطِمَةَ عليها السّلام محدّثة
- ثالث عشر: علّة تسمية الزّهراء عليها السّلام زهراء
- رابع عشر: علّة تسمية فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السّلامُ البتُول، وَكَذَلِكَ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السّلامُ
- خامس عشر: علّة تسمية فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السّلام فَاطِمَةَ
- سادس عشر: أداء الأمانة وثوابه وعقاب تارك الأداء

### المبحث الثالث: المسائل الروائية

أولاً: ذكر ما صدرَ مِنَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنَ الْفَضَائِلِ:

جملة من الروايات الشريفة جاءت لبيان فضائل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، من هذه الروايات التي أشتمل عليها التفسير المبارك على سبيل الذكر لا الحصر، ما جاء (في كتاب التوحيد في باب مجلس الرضا عليه السلام مع أهل الأديان والمقالات) قَالَ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ اجْتَمَعَتْ فُرَيْشٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَسَأَلُوهُ أَنْ يُحْيِيَ لَهُمْ مَوْتَاهُمْ، فَوَجَّهَ مَعَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ: أَذْهَبَ إِلَى الْجَبَانَةِ فَنَادِ بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ الرَّهْطِ الَّذِينَ يَسْأَلُونَ عَنْهُمْ بِأَعْلَى صَوْتِكَ يَا فَلَانُ وَيَا فَلَانُ وَيَا فَلَانُ يَقُولُ لَكُمْ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: فُومُوا بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَلِكَ فَقَامُوا يَنْفُضُونَ التُّرَابَ عَنْ رُءُوسِهِمْ، فَأَقْبَلَتْ فُرَيْشٌ تَسْأَلُهُمْ عَنْ أُمُورِهِمْ، ثُمَّ أَخْبَرُوهُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا قَدْ بُعِثَ نَبِيًّا، وَقَالُوا: وَدِدْنَا أَنَا أَدْرِكْنَاهُ فَنُؤْمِنُ بِهِ، [قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَلَقَدْ أَبْرَأَ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَالْمَجَانِينَ، وَكَلَّمَهُ الْبَهَائِمَ، وَالطَّيْرَ، وَالْجِنَّ، وَالشَّيَاطِينَ، وَلَمْ نَتَّخِذْهُ رَبًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ] (١) (٢)، وما جاء في أصول الكافي عن ("عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ مُتَّى الْحَنَاطِ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقُلْتُ لَهُ: أَنْتُمْ وَرَثَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَارِثُ الْأَنْبِيَاءِ عَلِمَ كُلُّ مَا عَلِمُوا: قَالَ لِي: نَعَمْ، قُلْتُ: فَأَنْتُمْ تَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ تُحْيُوا الْمَوْتَى وَتُبْرِئُوا الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ؟ قَالَ: نَعَمْ بِإِذْنِ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ لِي: اذْنُ مِثِّي يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، فَذَنُوتُ مِنْهُ فَمَسَحَ عَلَيَّ وَجْهِي وَعَلَى عَيْنَيَّ فَأَبْصَرْتُ الشَّمْسَ وَالسَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَالْبُيُوتَ وَكُلَّ شَيْءٍ فِي الْبَلَدِ، ثُمَّ قَالَ لِي: أَتَحِبُّ أَنْ تَكُونَ هَكَذَا وَلَكَ مَا لِلنَّاسِ وَعَلَيْكَ مَا عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْ تَعُودَ كَمَا كُنْتَ وَلَكَ الْجَنَّةُ خَالِصًا؟ قُلْتُ: أَعُودُ كَمَا كُنْتُ، فَمَسَحَ عَلَيَّ عَيْنَيَّ فَعُدْتُ كَمَا كُنْتُ، قَالَ: فَحَدَّثْتُ ابْنَ أَبِي عُمَيْرٍ بِهَذَا، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ هَذَا حَقٌّ كَمَا أَنَّ النَّهَارَ حَقٌّ" (٣) (١).

(١) التوحيد: الصدوق: ٤٢٣ .

(٢) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٤٠٥ .

(٣) الكافي: الكليني: ١/٤٧٠/ح ٣ .

ثانياً: ذكر المعني بالثلاثة الذين لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم:

(وَرَوَى مُسْلِمٌ بِنِ الْحَجَّاجِ فِي الصَّحِيحِ بِإِسْنَادِهِ مِنْ عِدَّةِ طُرُقٍ، عَنْ أَبِي دَرِّ الْعَفَّارِيِّ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: الْمَنَّانُ الَّذِي لَا يُعْطَى شَيْئًا إِلَّا مِنْهُ، وَالْمَنْفِقُ سَلَعَتُهُ بِالْحَلْفِ الْفَاجِرِ، وَالْمُسْبِلُ إِزَارَهُ»<sup>(٢)</sup>،<sup>(٣)</sup>، (وَفِي الْعُيُونِ عَنِ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ فِي تَعْدَادِ الْكَبَائِرِ وَبَيَانِهَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، يَقُولُ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ»<sup>(٤)</sup> لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ الْآيَةَ<sup>(٥)</sup>، وَفِيهِ عَنِ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: حُرِّمَتِ الْجَنَّةُ عَلَى مَنْ ظَلَمَ أَهْلَ بَيْتِي، وَعَلَى مَنْ قَاتَلَهُمْ، وَعَلَى الْمُعِينِ عَلَيْهِمْ، وَعَلَى مَنْ سَبَّهُمْ، ﴿أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(٦)</sup>،<sup>(٧)</sup>.

ثالثاً: ذكر عذاب قاتل الحسين بن علي عليهما السلام ومن شايع وباع على قتله أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً:

(فِي أَصُولِ الْكَافِي بِإِسْنَادِهِ إِلَى «ابْنِ أَبِي يَعْفُورٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: مَنْ

(١) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٤٠٥ .

(٢) صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج: ١/١٠٢/ح ١٠٦ .

(٣) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٤٨١ .

(٤) اليمين الغموس: (وَهُوَ أَنْ يَحْلِفَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ كَاذِبٌ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ أَخِيهِ)، لسان العرب: ابن منظور: ١٥٧/٦، مادة غَمَسَ .

(٥) عيون أخبار الرضا ع: الصدوق: ١/٢٥٨/ح ٣٣ .

(٦) المصدر نفسه: ٢/٣٧/ح ٦٥ .

(٧) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٤٨٢ .

ادّعى إمامة من الله ليست له، ومن جحد إماماً من الله، ومن زعم أن لهما في الإسلام نصيباً<sup>(١)</sup>/<sup>(٢)</sup>.

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام (قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الويل لظالمي أهل بيتي؛ كأني بهم غداً مع المنافقين في الدرك الأسفل من النار)<sup>(٣)</sup>، وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن قاتل الحسين بن علي عليه السلام في تابوت من نار، عليه نصف عذاب أهل الدنيا، وقد شدت يداه ورجلاه بسلاسل من نار منكس في النار؛ حتى يقع في قعر جهنم، وله ريح يتعوذ أهل النار إلى ربهم من شدة ننته، وهو فيها خالد ذائق العذاب الأليم مع جميع من شايخ على قتله كلما نضجت جلودهم بدل الله عز وجل عليهم الجلود<sup>(٤)</sup> حتى يدوفوا العذاب الأليم لا يفتر عنهم ساعة ويسقون من حميم جهنم فالويل لهم من عذاب الله تعالى في النار<sup>(٥)</sup>/<sup>(٦)</sup>.

رابعاً: ثواب من دفن في الحرم وبين الحرمين ومن مات في طريق مكة:

(عن هارون بن خارجة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من دفن في الحرم أمن من الفرع الأكبر، فقلت له: من بر الناس وفاجرهم؟ قال: من بر الناس وفاجرهم)<sup>(٧)</sup>، وفي الفقيه "من مات في أحد الحرمين بعثه الله من الأمنين، ومن مات بين الحرمين لم ينشر له ديوان، ومن دفن في الحرم أمن من الفرع الأكبر"<sup>(٨)</sup>، وفي الكافي "عن ابن أبي عمير، عن ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من مات في طريق مكة ذاهباً أو جائياً أمن من الفرع الأكبر يوم

(١) الكافي: الكليني: ٤/٣٧٣/١.

(٢) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٤٨٣.

(٣) عيون أخبار الرضا ع: الصدوق: ١٧٧/٢/٥١/٢.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى في سورة النساء الآية ٥٦، وهي قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾.

(٥) عيون أخبار الرضا ع: الصدوق: ١٧٨/٥١/٢.

(٦) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٤٨٣.

(٧) الكافي: الكليني: ٢٦٦/٢٥٨/٤.

(٨) من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ٢٢٩/٢/٢٢٧٠، ٢٢٧١، ٢٢٧٢.



الْقِيَامَةِ<sup>(١)</sup>، فَلَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فَضِيلَةَ بَيْتِهِ الْحَرَامِ، عَقَبَهُ بِوُجُوبِ حُجَّةِ الْإِسْلَامِ عَلَى مُسْتَطِيعِ النَّاسِ فَقَالَ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾، قَدْ مَرَّ الْوُجُوهُ الثَّلَاثَةُ فِي إِغْرَابٍ مَنْ، أَيُّ: لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ مُسْتَطِيعُهُمْ مِمَّنْ وَجَدَ طَرِيقًا إِلَيْهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ عَلَى مَا يَأْتِي بَيَانُهُ قَصْدُ الْبَيْتِ، أَيُّ: قَصْدُهُمُ الْبَيْتَ لِلْمَنَاسِكِ الْمَخْصُوصَةِ مِنْ أَفْعَالِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، وَفِي الْكَافِي "عَنْ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ أُدَيْنَةَ قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَسَائِلَ بَعْضُهَا مَعَ ابْنِ بُكَيْرٍ وَبَعْضُهَا مَعَ أَبِي الْعَبَّاسِ فَجَاءَ الْجَوَابُ بِإِمْلَائِهِ، سَأَلْتُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾، يَعْني بِهِ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ جَمِيعًا؛ لِأَنَّهُمَا مَفْرُوضَانِ"<sup>(٢)</sup>(٣).

خامسًا: عدم جواز أن يقول أحدٌ لولده هذا لا يشبهني ولا يشبه شيئاً من آبائي، وهو كناية عن انكار ولده ونفيه:

(في الكافي "عليُّ بنُ إبراهيمَ عن أبيه عن نُوحِ بنِ شُعَيْبٍ رَفَعَهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: أَتَى رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ: هَذِهِ ابْنَةُ عَمِّي وَامْرَأَتِي لَا أَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا وَقَدْ أَتَنَّتِي بِوَلَدٍ شَدِيدِ السَّوَادِ مُنْتَشِرِ الْمُنْخَرَيْنِ جَعِدٌ قَطَطٌ أَفْطَسِ الْأَنْفِ لَا أَعْرِفُ شَبِيهَهُ فِي أَحْوَالِي وَلَا فِي أَجْدَادِي فَقَالَ: لِامْرَأَتِهِ مَا تَقُولِينَ؟ قَالَتْ: لَا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا مَا أَقْعَدْتُ مَفْعَدَهُ مِنِّي مُنْذُ مَلَكَني أَحَدًا غَيْرِهِ، قَالَ: فَنَكَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِرَأْسِهِ مَلِيًّا ثُمَّ رَفَعَ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الرَّجُلِ فَقَالَ: يَا هَذَا إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بَيْنَهُ وَبَيْنَ آدَمَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ عِرْقًا كُلُّهَا تَضْرِبُ فِي النَّسَبِ فَإِذَا وَقَعَتِ النُّطْفَةُ فِي الرَّحِمِ اضْطَرَبَتْ تِلْكَ الْعُرُوقُ تَسْأَلُ اللَّهُ الشُّبُهَةَ لَهَا فَهَذَا مِنْ تِلْكَ الْعُرُوقِ الَّتِي لَمْ يُدْرِكْهَا أَجْدَاؤُكَ وَلَا أَجْدَادُ أَجْدَادِكَ حُذِّ إِلَيْكَ ابْنُكَ فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: فَرَجَّتْ عَنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ"<sup>(٤)</sup>(١).

(١) الكافي: الكليني: ٤/٢٦٣/٤٥٥ .

(٢) المصدر نفسه: ٤/٢٦٤ - ٢٦٥/١ .

(٣) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٥٦٣ .

(٤) الكافي: الكليني: ٥/٥٦١ - ٥٦٢/٢٣، باب النوادر .

سادسًا: شبه الولد بالأعمام والأخوال والآباء والأمهات:

(في العلل بإسناده إلى "محمد ابن عبد الله بن زرارة، عن علي بن عبد الله، عن أبيه، عن جده، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: تعتلج النطفتان في الرحم فأيتهما كانت أكثر جاءت تشبهها، فإن كانت نطفة المرأة أكثر جاءت تشبه أخواله، وإن كانت نطفة الرجل أكثر جاءت تشبه أعمامه وقال: تحول النطفة في الرحم أربعين يوما فمن أراد أن يدعو الله عز وجل ففي تلك الأربعين قبل ان تخلق ثم يبعث الله ملك الأرحام فيأخذها فيصعد بها إلى عز وجل فيقف منه حيث يشاء الله فيقول: يا إلهي أذكر أم أنثى؟ فيوحي الله عز وجل ما يشاء ويكتب الملك ثم يقول: يا إلهي أشقي أم سعيد؟ فيوحي الله عز وجل من ذلك ما يشاء ويكتب فيقول: إلهي كم رزقه وما أجله؟ ثم يكتبه ويكتب كل شيء يصيبه في الدنيا بين عينيه ثم يرجع به فيرده في الرحم فذلك قول الله عز وجل: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ (٢) (٣) (٤).

سابعًا: ذكر أكثر ما تلده المرأة:

(في الكافي في باب أكثر ما تلده المرأة "عَنْ شُعَيْبِ الْعَقْرُوفِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّ لِلرَّحِمِ أَرْبَعَةَ سُبُلٍ فِي أَيِّ سَبِيلٍ سَلَكَ فِيهِ الْمَاءُ كَانَ مِنْهُ الْوَلَدُ وَاحِدٌ وَاثْنَانِ وَثَلَاثَةٌ وَأَرْبَعَةٌ وَلَا يَكُونُ إِلَّا سَبِيلٍ أَكْثَرُ مِنْ وَاحِدٍ" (٥)، "عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حُمْرَانَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ لِلرَّحِمِ أَرْبَعَةَ أَوْعِيَةٍ فَمَا كَانَ فِي الْأَوَّلِ فَلَأَبٌ وَمَا كَانَ فِي الثَّانِي فَلَأُمٌّ وَمَا كَانَ فِي الثَّلَاثِ فَلِعُمُومَةٍ وَمَا كَانَ فِي الرَّابِعِ فَلِلْحُؤُولَةِ" (٦) (٧).

(١) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ١٨١ .

(٢) سورة الحديد: الآية ٢٢ .

(٣) علل الشرائع: الصدوق: الآية ٩٥ - ٩٦ .

(٤) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ١٨١ - ١٨٢ .

(٥) الكافي: الكليني: ١٦ / ٦ - ١٧ / ١، باب أكثر ما تلده المرأة .

(٦) المصدر نفسه: ١٧ / ٦، باب أكثر ما تلده المرأة .

(٧) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ١٨٢ .

ثامناً: الدعاء للحبلى أن يجعل الله ما في بطنها ذكراً سوياً:

(عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ أَوْ غَيْرِهِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ الرَّجُلُ يَدْعُو لِلْحَبْلَى أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ مَا فِي بَطْنِهَا ذَكَرًا سَوِيًّا، قَالَ: يَدْعُو مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنَّهُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً نُطْفَةٌ، وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً عَلَقَةٌ، وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً مُضَعَّةٌ، فَذَلِكَ تَمَامُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكَيْنِ خَلَاقِيْنِ فَيَقُولَانِ: يَا رَبِّ مَا نَخْلُقُ ذَكَرًا أَمْ أَنْثَى شَقِيًّا أَوْ سَعِيدًا فَيُقَالُ: ذَلِكَ فَيَقُولَانِ: يَا رَبِّ مَا رِزْقُهُ وَمَا أَجَلُهُ وَمَا مُدَّتُهُ فَيُقَالُ ذَلِكَ وَمِيثَاقُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَلَا يَزَالُ مُنْتَصِبًا فِي بَطْنِ أُمِّهِ حَتَّى إِذَا دَنَا خُرُوجُهُ بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ مَلَكًا فَرَجَرَهُ رَجْرَةً فَيَخْرُجُ وَيَنْسَى الْمِيثَاقَ" (١)، "عَنْ زُرَّارَةَ بْنِ أَعْيَنَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: إِذَا وَقَعَتِ النُّطْفَةُ فِي الرَّحِمِ اسْتَقَرَّتْ فِيهَا أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَتَكُونُ عَلَقَةً أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَتَكُونُ مُضَعَّةً أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكَيْنِ خَلَاقِيْنِ فَيُقَالُ لَهُمَا: اخْلُقَا كَمَا يُرِيدُ اللَّهُ ذَكَرًا أَوْ أَنْثَى صَوْرَاهُ وَاكْتُبَا أَجَلَهُ وَرِزْقَهُ وَمَنْبَيْتَهُ وَشَقِيًّا أَوْ سَعِيدًا وَاكْتُبَا لِلَّهِ الْمِيثَاقَ الَّذِي أَخَذَهُ عَلَيْهِ فِي الدَّرِّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَإِذَا دَنَا خُرُوجُهُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا يُقَالُ لَهُ زَاكِرٌ فَيَرْجُرُهُ فَيَفْرَعُ فَرَعًا فَيَنْسَى الْمِيثَاقَ وَيَقَعُ إِلَى الْأَرْضِ يَبْكِي مِنْ رَجْرَةِ الْمَلَكِ" (٢) (٣).

تاسعاً: طلب الولد والدعاء في ذلك:

(في الكافي باب في طلب الولد "عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْرَةَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا أَبْطَأَ عَلَى أَحَدِكُمْ الْوَلَدُ فَلْيُقَلِّ: اللَّهُمَّ لَا تَدْرِنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ وَحِيدًا وَحَشًا فَيَقْصُرَ شُكْرِي عَنْ تَفَكُّرِي بَلْ هَبْ لِي عَاقِبَةً صِدْقٍ ذُكُورًا وَإِنَاثًا أَنْسُ بِهِمْ مِنَ الْوَحْشَةِ وَأَسْكُنْ إِلَيْهِمْ مِنَ الْوَحْدَةِ وَأَشْكُرْكَ عِنْدَ تَمَامِ النِّعْمَةِ يَا وَهَّابُ يَا عَظِيمُ يَا مُعَظَّمُ ثُمَّ أَعْطِنِي فِي كُلِّ عَاقِبَةٍ شُكْرًا حَتَّى تُبَلِّغَنِي مِنْهَا رِضْوَانَكَ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَوَفَاءِ بِالْعَهْدِ" (٤)، "عَنِ الْحَارِثِ النَّصْرِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنِّي مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ قَدْ انْقَرَضُوا وَلَيْسَ لِي وَلَدٌ، قَالَ: ادْعُ

(١) الكافي: الكليني: ٦ / ١٦ / ٦، بابُ بَدْءِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ وَتَقْلِبِهِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ .

(٢) المصدر نفسه: ٦ / ١٦ / ٧، بابُ بَدْءِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ وَتَقْلِبِهِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ .

(٣) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ١٨٤ .

(٤) الكافي: الكليني: ٦ / ٧ / ١، بابُ الدَّعَاءِ فِي طَلْبِ الْوَلَدِ .

وَأَنْتَ سَاجِدٌ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، قَالَ: فَفَعَلْتُ فَوَلَدَ لِي عَلِيٌّ وَالْحُسَيْنُ<sup>(٣)</sup> (٤).

#### عاشراً: بدء خلق الإنسان وتقلبه في بطن أمه:

(في الكافي في باب بدء خلق الإنسان وتقلبه في بطن أمه "عَنْ سَلَامِ بْنِ الْمُسْتَنِيرِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مُخَلَّطَةٌ وَغَيْرِ مُخَلَّطَةٍ﴾<sup>(٥)</sup>، فَقَالَ: الْمَخَلَّطَةُ هُمُ الذَّرُّ الَّذِينَ خَلَقَهُمُ اللَّهُ فِي صُلْبِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَخَذَ عَلَيْهِمِ الْمِيثَاقَ، ثُمَّ أَجْرَاهُمْ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ، وَهُمْ الَّذِينَ يَخْرُجُونَ إِلَى الدُّنْيَا حَتَّى يُسْأَلُوا عَنِ الْمِيثَاقِ، وَأَمَّا قَوْلُهُ وَغَيْرِ مُخَلَّطَةٍ فَهُمْ كُلُّ نَسَمَةٍ لَمْ يَخْلُقَهُمُ اللَّهُ فِي صُلْبِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ خَلَقَ الذَّرَّ وَأَخَذَ عَلَيْهِمِ الْمِيثَاقَ، وَهُمْ النُّطْفُ مِنْ الْعَزْلِ وَالسَّقَطُ قَبْلَ أَنْ يُنْفَخَ فِيهِ الرُّوحُ وَالْحَيَاةُ وَالْبَقَاءُ"<sup>(٦)</sup>، "عَنْ حَرِيزٍ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ أَحَدِهِمَا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾<sup>(٧)</sup>، قَالَ: الْغَيْضُ كُلُّ حَمَلٍ دُونَ تِسْعَةِ أَشْهُرٍ وَمَا تَزْدَادُ كُلُّ شَيْءٍ يَزْدَادُ عَلَى تِسْعَةِ أَشْهُرٍ فَكَلَّمَا رَأَتْ الْمَرْأَةُ الدَّمَ الْخَالِصَ فِي حَمْلِهَا فَإِنَّهَا تَزْدَادُ بَعْدَ الْأَيَّامِ الَّتِي رَأَتْ فِي حَمْلِهَا مِنَ الدَّمِ"<sup>(٨)</sup> (٩).

#### أحد عشر: ذكر ما يقول الإمام عليه السلام عند ولادته:

(في كتاب كمال الدين وتمام النعمة بإسناده إلى "مُحَمَّدِ بْنِ عِثْمَانَ الْعَمْرِي قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ يَقُولُ: لَمَّا وُلِدَ الْخَلْفَ الْمَهْدِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَطَعَ نُورٌ مِنْ فَوْقِ رَأْسِهِ إِلَى

(١) سورة آل عمران: الآية ٣٨ .

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٨٩ .

(٣) الكافي: الكليني: ٢/٨/٦، باب الدعاء في طلب الولد .

(٤) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ١٨٤ - ١٨٥ .

(٥) سورة الحج: الآية ٥ .

(٦) الكافي: الكليني: ١/١٢/٦، باب بدء خلق الإنسان وتقلبه في بطن أمه .

(٧) سورة الرعد: الآية ٨ .

(٨) الكافي: الكليني: ١٢ / ٦ - ١٣، باب بدء خلق الإنسان وتقلبه في بطن أمه .

(٩) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ١٨٦ .

أَعْنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ سَقَطَ لِوَجْهِهِ سَاجِدًا لِرَبِّهِ تَعَالَى ذِكْرَهُ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(١)</sup>، وفي أصول الكافي في باب مواليد الأئمة عليهم السلام عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل فيه يقول: "وَإِذَا وَقَعَ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ وَقَعَ وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى الْأَرْضِ، رَافِعًا رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَأَمَّا وَضَعُهُ يَدَيْهِ عَلَى الْأَرْضِ؛ فَإِنَّهُ يَقْبِضُ كُلَّ عِلْمٍ لِلَّهِ أَنْزَلَهُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَأَمَّا رَفَعُهُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ؛ فَإِنَّ مُنَادِيًا يُنَادِي بِهِ مِنْ بَطْنَانِ الْعَرْشِ مِنْ قَبْلِ رَبِّ الْعِزَّةِ مِنَ الْأَفْقِ الْأَعْلَى بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ يَقُولُ: يَا فُلَانَ بْنَ فُلَانَ اثْبُتْ ثُبُتًا، فَلِعَظِيمِ مَا خَلَقْتِكَ أَنْتَ صَفْوَتِي مِنْ خَلْقِي، وَمَوْضِعِ سِرِّي، وَعَيْبَةُ عِلْمِي، وَأَمِينِي عَلَى وَحْيِي، وَخَلِيفَتِي فِي أَرْضِي، لَكَ وَلِمَنْ تَوَلَّاهُ أَوْجَبْتُ رَحْمَتِي، وَمَنْحْتُ جَنَانِي وَأَخْلَلْتُ جَوَارِي، ثُمَّ قَالَ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لِأَصْلِيئِ مَنْ عَادَاكَ أَشَدَّ عَذَابِي، وَإِنْ وَسَعْتُ عَلَيْهِ فِي دُنْيَايَ مِنْ سَعَةِ رِزْقِي، فَإِذَا انْقَضَى الصَّوْتُ صَوْتُ الْمُنَادِي أَجَابَهُ هُوَ، وَاضِعًا يَدَيْهِ رَافِعًا رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ يَقُولُ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، قَالَ: فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ أَعْطَاهُ اللَّهُ الْعِلْمَ الْأَوَّلَ وَالْعِلْمَ الْآخِرَ، وَاسْتَحَقَّ زِيَارَةَ الرُّوحِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ" <sup>(٢)</sup>/<sup>(٣)</sup>.

ثاني عشر: كون السيدة فاطمة عليها السلام محدثة:

(في علل الشرائع في "باب العلة التي من أجلها سميت فاطمة عليها السلام محدثة"<sup>(٤)</sup>) بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: إِنَّمَا سُمِّيَتْ فَاطِمَةٌ عَلَيْهَا السَّلَامُ مُحَدَّثَةٌ؛ لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانَتْ تَهْبِطُ مِنَ السَّمَاءِ فَتُنَادِيهَا كَمَا تُنَادِي مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ، فَتَقُولُ: يَا فَاطِمَةُ، اللَّهُ إِصْطَفَاكَ وَطَهَّرَكَ وَإِصْطَفَاكَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، يَا فَاطِمَةُ، أَقْنَتِي لِرَبِّكَ وَأُسْجِدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ، فَتُحَدِّثُهُمْ وَيُحَدِّثُونَهَا، فَقَالَتْ لَهُمْ ذَاتَ لَيْلَةٍ: أَلَيْسَتْ الْمُفَضَّلَةُ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ؟ فَقَالُوا: إِنَّ مَرْيَمَ

(١) كمال الدين وتمام النعمة: الصدوق: ٤٣٣ .

(٢) الكافي: الكليني: ٣٨٥/١ - ٣٨٦ .

(٣) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٢٥٥ - ٢٥٦ .

(٤) علل الشرائع: الصدوق: ١٨٢/١ .

كَانَتْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ عَالَمِهَا، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَكَ سَيِّدَةَ نِسَاءِ عَالَمِكِ وَعَالَمِهَا، وَسَيِّدَةَ نِسَاءِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ"<sup>(١)</sup>، وفيه " قَالَ: مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ لَمَّا قَرَأَ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ وَلَا مُحَدَّثٍ، قُلْتُ: وَهَلْ يُحَدِّثُ الْمَلَائِكَةُ إِلَّا الْأَنْبِيَاءَ؟ قَالَ: مَرِيَمَ لَمْ تَكُنْ نَبِيَّةً وَكَانَتْ مُحَدَّثَةً، وَأُمُّ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ كَانَتْ مُحَدَّثَةً وَلَمْ تَكُنْ نَبِيَّةً، وَسَارَةَ امْرَأَةَ إِبْرَاهِيمَ قَدْ عَايَنَتِ الْمَلَائِكَةَ فَبَشَّرُوهَا بِإِسْحَاقَ، وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ وَلَمْ تَكُنْ نَبِيَّةً، وَقَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَتْ مُحَدَّثَةً وَلَمْ تَكُنْ نَبِيَّةً"<sup>(٢)</sup>(٣).

ثالث عشر: علّة تسمية الزهراء عليها السلام زهراء:

(في كتاب العلل في (باب العلة التي من أجلها سُميت فاطمة الزهراء عليها السلام زهراء)<sup>(٤)</sup>، بإسناده إلى "عَمْرُو بْنُ شَمْرٍ، عَنِ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قُلْتُ لَهُ لِمَ سُمِّيَتْ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ عَلَيْهَا السَّلَامُ زَهْرَاءَ؟ فَقَالَ: لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَهَا مِنْ نُورٍ عَظَمَتِهِ، فَلَمَّا أَشْرَقَتْ أَضَاءَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ بِنُورِهَا، وَشِيتَ أَبْصَارُ الْمَلَائِكَةِ، وَخَرَّتِ الْمَلَائِكَةُ لِلَّهِ سَاجِدِينَ، وَقَالُوا: إِلَهَنَا وَسَيِّدَنَا مَا لِهَذَا النُّورِ؟ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِمْ: هَذَا نُورٌ مِنْ نُورِي، أَسْكَنْتُهُ فِي سَمَائِي، خَلَقْتُهُ مِنْ عَظْمَتِي، أَخْرَجْتُهُ مِنْ صُلْبِ نَبِيٍِّّ مِنْ أَنْبِيَائِي أَفْضَلُهُ عَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَخْرَجَ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ أَيْمَةً يَتَّبِعُونَ بِأَمْرِي، يَهْدُونَ إِلَيَّ حَقِّي، وَأَجْعَلُهُمْ خُلَفَائِي فِي أَرْضِي بَعْدَ انْقِضَاءِ وَحْيِي"<sup>(٥)</sup>، "عَنْ أَبَانَ بْنِ تَغْلِبٍ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ لِمَ سُمِّيَتْ الزَّهْرَاءُ عَلَيْهَا السَّلَامُ زَهْرَاءَ؟ فَقَالَ: لِأَنَّهَا تَزْهَرُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي النَّهَارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، بِالنُّورِ كَانَ يَزْهَرُ نُورٌ وَجْهَهَا صَلَاةُ الْعِدَاةِ وَالنَّاسِ فِي فُرْشِهِمْ، فَيَدْخُلُ بِيَاضُ ذَلِكَ النُّورِ إِلَى حُجْرَاتِهِمْ بِالْمَدِينَةِ فَتَبْيَضُ حَيْطَانُهُمْ فَيَعْجَبُونَ مِنْ ذَلِكَ فَيَأْتُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَيَسْأَلُونَهُ عَمَّا رَأَوْا، فَيُرْسِلُهُمْ إِلَى مَنْزِلِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ

(١) علل الشرائع: الصدوق: ١٨٢/١ .

(٢) المصدر نفسه: ١٨٣/١ .

(٣) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٣٦١ - ٣٦٢ .

(٤) علل الشرائع: الصدوق: ١٧٩/١ .

(٥) المصدر نفسه: ١٧٩/١ - ١٨٠ .

فَيَأْتُونَ مَنْزِلَهَا فَيَرَوْنَهَا قَاعِدَةً فِي مِحْرَابِهَا تُصَلِّي وَالنُّورُ يَسْطَعُ مِنْ مِحْرَابِهَا مِنْ وَجْهِهَا فَيَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي رَأَوْهُ كَانَ مِنْ نُورِ فَاطِمَةَ، فَإِذَا نَصَفَ النَّهَارُ وَتَرْتَبَتْ لِلصَّلَاةِ زَهْرٌ وَجْهَهَا عَلَيْهَا السَّلَامُ بِالصُّفْرَةِ فَتَدْخُلُ الصُّفْرَةُ حُجْرَاتِ النَّاسِ فَتَضْفَرُ ثِيَابَهُمْ وَالْوَأْنُهُمْ فَيَأْتُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَيَسْأَلُونَهُ عَمَّا رَأَوْا، فَيُرْسِلُهُمْ إِلَى مَنْزِلِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ فَيَرَوْنَهَا قَائِمَةً فِي مِحْرَابِهَا وَقَدْ زَهَرَ نُورٌ وَجْهَهَا عَلَيْهَا السَّلَامُ، فَإِذَا كَانَ آخِرُ النَّهَارِ وَعَرَبَتِ الشَّمْسُ أَحْمَرَ وَجْهَ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ فَأَشْرَقَ وَجْهَهَا بِالْحُمْرَةِ فَرِحًا وَشُكْرًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَكَانَ يَدْخُلُ حُمْرَةً وَجْهَهَا حُجْرَاتِ الْقَوْمِ وَتَحْمَرُ حَيْطَانُهُمْ فَيَعْجَبُونَ مِنْ ذَلِكَ وَيَأْتُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَيَسْأَلُونَهُ عَنْ ذَلِكَ، فَيُرْسِلُهُمْ إِلَى مَنْزِلِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ فَيَرَوْنَهَا جَالِسَةً، تُسَبِّحُ اللَّهَ وَتُحَمِّدُهُ، وَنُورٌ وَجْهَهَا يَزْهَرُ بِالْحُمْرَةِ، فَيَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي رَأَوْا كَانَ مِنْ نُورِ وَجْهِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ النُّورُ فِي وَجْهِهَا حَتَّى وُلِدَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَهُوَ يَتَقَلَّبُ فِي وُجُوهِنَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِي الْأَيْمَةِ مِمَّا أَهَلَ النَّبِيَّ إِمامٍ بَعْدَ إِمامٍ" (١) (٢).

رابع عشر: علّة تسمية فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ الْبَتُولِ، وَكَذَلِكَ مَرْيَمَ عَلَيْهَا:

في العلل في (باب العلة التي من أجلها سُمِّيَتْ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ الْبَتُولِ، وَكَذَلِكَ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ) (٣)، بِإِسْنَادِهِ إِلَى "عَيْسَى بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَنْ آبَائِهِ، عَنْ عُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ سُئِلَ مَا الْبَتُولُ فَإِنَّا سَمِعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَقُولُ إِنَّ مَرْيَمَ بَتُولٌ وَفَاطِمَةَ بَتُولٌ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: الْبَتُولُ الَّتِي لَمْ تَرَ حُمْرَةً قَطُّ، أَيْ: لَمْ تَحِضْ، فَإِنَّ الْحَيْضَ مَكْرُوهٌ فِي بَنَاتِ الْأَنْبِيَاءِ" (٤) (٥).

(١) علل الشرائع: الصدوق: ١٨٠/١ - ١٨١ .

(٢) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٣٦٢ - ٣٦٣ .

(٣) علل الشرائع: الصدوق: ١٨١/١ .

(٤) المصدر نفسه: ١٨١/١ .

(٥) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٣٦٣ - ٣٦٤ .



### خامس عشر: علّة تسمية فاطمة عليها السلام فاطمة:

(في العلل في (باب العلة التي من أجلها سميت فاطمة عليها السلام فاطمة)<sup>(١)</sup>،  
"بشر بن إبراهيم الأنصاري، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبيه، عن  
أبي هريرة قال: إنما سميت فاطمة فاطمة؛ لأن الله تعالى فطم من أحبها من  
النار"<sup>(٢)</sup>، "عبد الله بن الحسن بن الحسن، قال: قال لي أبو الحسن: لم سميت فاطمة  
فاطمة قلت فرقا بينه وبين الأسماء، قال: إن ذلك لمن الأسماء، ولكن الاسم الذي  
سميت به إن الله تبارك وتعالى علم ما كان قبل كونه فعلم أن رسول الله صلى الله  
عليه وآله يتزوج في الأحياء، وأنهم يطمعون في وراثته هذا الأمر فيهم من قبله، فلما  
ولدت فاطمة سماها الله تبارك وتعالى فاطمة؛ لما أخرج منها وجعل في ولدها،  
فقطعتهم عما طمعوا، فبهذا سميت فاطمة؛ لأنها فطمت طمعهم، ومعنى فطمت:  
قطعت"<sup>(٣)</sup>، "الحسن بن عبد الله بن يونس بن زبنيان، قال: قال أبو عبد الله عليه  
السلام: لفاطمة عليها السلام تسعة أسماء عند الله عز وجل، فاطمة، والصديقة،  
والمباركة، والطاهرة، والزكية، والراضية، والمرضية، والمحدثه، والزهراء، ثم قال:  
أتدري أي شيء تفسر فاطمة عليها السلام؟ قلت: أخبرني يا سيدي، قال: فطمت  
من الشر، قال: ثم قال: لو لا أن أمير المؤمنين عليه السلام تزوجها ما كان لها كفو  
إلى يوم القيامة على وجه الأرض"<sup>(٤)</sup>(٥).

### سادس عشر: أداء الأمانة وثوابه وعقاب تارك الأداء:

(عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال عند نزولها: "كذب أعداء الله ما من شيء  
في الجاهلية إلا وهو تحت قدمي إلا الأمانة؛ فإنها مؤداة إلى البر  
والفاجر"<sup>(٦)</sup> الحديث، وعنه صلى الله عليه وآله قال: ثلاث من كن فيه فهو منافق، وإن

(١) علل الشرائع: الصدوق: ١٧٨/١ .

(٢) المصدر نفسه: ١٧٨/١ .

(٣) المصدر نفسه ١٧٨/١ .

(٤) المصدر نفسه ١٧٨/١ .

(٥) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٣٦٤ .

(٦) تخريج الأحاديث: الزيلعي: ١٨٩/١ .



صَلَّى وَصَامَ وَرَعَمَ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اتُّمِنَ خَانَ<sup>(١)</sup>،  
وَعَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: "مَنْ اتُّمِنَ عَلَى أَمَانَةٍ فَأَدَّأَهَا، وَلَوْ شَاءَ لَمْ يُؤَدِّهَا،  
زَوَّجَهُ اللَّهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ"<sup>(٢)</sup><sup>(٣)</sup>.

(١) الجامع في الحديث: ابن وهب: ٦٠٦/ح ٥١٠، مسند البزار: البزار: ١٤/٢٥٧/ح ٧٨٤٣.

(٢) الكشف والبيان: الثعلبي: ٩٧/٣، مجمع البيان: الطبرسي: ٣٢٧/٢، ولم نجد هذا الحديث في كتب الحديث.

(٣) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٤٧٢.

# المَبْحَثُ الرَّابِعُ: الْمَسَائِلُ اللِّغَوِيَّةُ وَالْبَلَاغِيَّةُ

المَطْلَبُ الأوَّلُ: مسائلٌ لغويَّةٌ

المَطْلَبُ الثَّانِي: مسائلٌ نحوِيَّةٌ

المَطْلَبُ الثَّالِثُ: الفروقُ اللِّغَوِيَّةُ

المَطْلَبُ الرَّابِعُ: وقفاتٌ بلاغيَّةٌ

### المبحث الرابع: المباحث اللغويّة والبلاغيّة

حفل تفسير نور التوفيق بكثير من المسائل والمباحث اللغويّة والنحويّة والأدبيّة؛ وما ذلك إلا لتضلع المَلّا في اللّغة والنحو، كيف لا يكون وهو نحويّ قزوين؟ إذ قام بتحليل الآيات المباركة لغويًا ونحويًا وأدبيًا من طريق بيانه لمعاني الكلمات مُعجميًا، ومدى استعمالاتها، والمعاني المُحتملة منها، وكشف ما تحمله التراكيب من معانٍ، وصولًا إلى المعنى المُراد والمقصود من النصّ الشريف بحسب رؤيته، وفي هذا المبحث سنعرض جملةً من الأمثلة عمّا ذكرنا، وذلك في أربعة مطالب وعلى النحو الآتي:

#### المطلب الأول: مسائل لغويّة

وفي هذا الصدد سلّط الباحث الضوء على الجهد اللغوي للملّا القزويني في تفسيره، فقلّمَا يترك المصنّف كلمة يعوزها البيان اللغويّ إلا وأعمل فيها النّظر وبيان المعاني والتّرجيح بينها، من أمثلة ذلك:

#### ١- معاني الفتنة:

توقّف القزويني عند الفتنة ومعانيها إذ قال: (والفتنة: الاختبار من فتنت الذّهب بالنّار أي: اختبارته وخلصته، كقوله تعالى: ﴿الْم \* أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا أَمَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾<sup>(١)</sup>، أي: لا يُخْتَبَرُونَ، والفتنة الكفر كقوله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾<sup>(٢)</sup>، أي: الكُفر، وقد مرّ في سورة البقرة، والفتنة العذاب كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، أي: يُعَذَّبُونَ، وقوله تعالى: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾<sup>(٤)</sup>، والفتنة الحُبّ والعشق، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾<sup>(٥)</sup>، أي: حُبّ وحبوب لكم، والفتنة الجُنُونُ، ومنه قوله تعالى: ﴿بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ﴾<sup>(٦)</sup>، والتأويل التفسير من

(١) سورة العنكبوت: الآية ١ - ٢ .

(٢) سورة البقرة: الآية ٢١٧ .

(٣) سورة الذاريات: الآية ١٣ .

(٤) سورة الذاريات: الآية ١٤ .

(٥) سورة التغابن: الآية ١٥ .

(٦) سورة القلم: الآية ٦ .

المال أصله المرجع، والمصير من آل أمره إلى كذا أولاً إذا صار إليه، وأولته تأويلاً إذا صيرته إليه، والرُسوخُ الثبوتُ، والراسخون الثابتون، وأرسخه غيره أثبتته، واللُبُّ بالضمّ العقلُ، والخالصُ من كل شيء جمعه ألباب (١) كقفلٍ وأغفالٍ (٢) .

## ٢- تحقيق معنى (دون) أصلاً وفرعاً:

بين الملاّ القزويني معنى (دون) مفضلاً القول فيها أصلاً وفرعاً قائلاً: ﴿و (دُونِ)﴾ بمعنى غير، وأصله صفة لمكانٍ، يقال: زيدٌ دون عمرو، أي: أدنى مكانٍ من عمرو إذا كانَ أَحَطَّ منه قليلاً، ثُمَّ اسْتُعِيرَ لِلتَّفَاوُتِ فِي الْأَمْوَالِ وَالرُّتَبِ، فَقَالَ: زيدٌ دون عمرو في الشَّرَفِ، ثُمَّ اتَّسَعَ فِيهِ فَاسْتُعِمِلَ فِي كُلِّ تَجَاوُزٍ حَدٍّ إِلَى حَدٍّ، وَتَخَطَّى حُكْمَ إِلَى حُكْمٍ ثُمَّ اسْتُعِمِلَ بِمَعْنَى غَيْرٍ وَمُغَايِرٍ، أَي: لَا تَجْعَلُوا ابْتِدَاءَ الْوَلَايَةِ مَكَاناً دُونَ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِأَنَّ مَكَانَ الْمُؤْمِنِ أَعْلَى، وَمَكَانَ الْكَافِرِ أَدْنَى، فَهِيَ صِفَةٌ لِأَوْلِيَاءِ، أَوْ حَالٍ مِنَ الْكَافِرِينَ، أَي: أَوْلِيَاءِ غَيْرِ مُؤْمِنِينَ أَوْ مُغَايِرِينَ لِلْمُؤْمِنِينَ، ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ﴾ شَرْطٌ، وَجُمْلَةٌ ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ جَوَابُهُ، وَ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ فِي الْأَصْلِ صِفَةٌ لِقَوْلِهِ ﴿فِي شَيْءٍ﴾ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ، إِلَّا أَنَّهُ قَدَّمَ عَلَيْهِ فَصَارَ حَالاً مِنْهُ كَمَا هُوَ الْقَاعِدَةُ فِي تَقْدِيمِ وَصْفِ النِّكَرَةِ عَلَيْهَا، وَ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ﴾ مِنْ بَابِ الْإِلْتِقَاءِ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى الْخِطَابِ وَهُوَ مُسْتَنْتَى، وَالْمُسْتَنْتَى مِنْهُ مَحذُوفٌ، أَي: فَلَيْسَ مِنْ وِلَايَةِ اللَّهِ فِي شَيْءٍ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ كُلِّهَا إِلَّا فِي وَقْتِ اتِّقَائِكُمْ مِنْهُمْ فَهُوَ فِي مَجَلِّ الْجَرِّ عَلَى الْإِسْتِنَاءِ الْمُفْرَغِ، وَ﴿نُفَاةً﴾ عَلَى جَمِيعِ الْقِرَاءَاتِ الْأَرْبَعِ مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ، وَتَتَوَيْنِهَا لِلنُّوعِيَّةِ أَوْ لِلتَّعْظِيمِ، وَ﴿نَفْسَهُ﴾ مَفْعُولٌ ثَانٍ لـ ﴿يُحَذِّرُكُمْ﴾ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ، أَي: عِقَابُهُ (٣) .

## ٣- اشتقاق المحراب ومعناه:

اعتمد القزويني تعريف سيبويه لكلمة المحراب الذي قال عنه بأنه: ((مَقَامُ الْإِمَامِ مِنَ الْمَسْجِدِ، وَأَصْلُهُ أَكْرَمُ مَوْضِعٍ فِي الْمَجْلِسِ وَأَشْرَفُهُ، وَقَالَ الزَّجَّاجُ: هُوَ الْمَكَانُ

(١) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ٧٢٩/١، مادة ليب .

(٢) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ١٨٨ .

(٣) المصدر نفسه: ٣٠٥ - ٣٠٦ .

العالي الشريف<sup>(١)</sup>، ثم بين رأيه بعد ذلك مستدلاً على صحّة ما يذهب إليه بدليل من القرآن الكريم قائلاً: (وَيُقَالُ لِلْمَسْجِدِ أَيْضاً مِحْرَابٌ، وَقِيلَ: أَنَّ الْمِحْرَابَ مَأْخُودٌ مِنَ الْحَرْبِ؛ لِأَنَّهُ يَحَارِبُ مِنْهُ الشَّيْطَانُ<sup>(٢)</sup>، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ﴾<sup>(٣)</sup>، أَي: مَسَاجِدَ أَوْ قُصُوراً حَصِينَةً وَمَسَاكِينَ عَالِيَةً سُمِّيَتْ بِهَا؛ لِأَنَّهَا يَذَبُ عَنْهَا وَيُحَارِبُ عَلَيْهَا<sup>(٤)</sup>).

#### ٤- بيان معنى (شهد):

يوضح القزويني معنى شهد الواردة في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(٥)</sup>، مستعيناً بكتب اللغة، ومستدلاً على صحّة ما يذهب إليه بما جاء من النقل قائلاً: ((الشهادة: الإخبار بالشيء عن مشاهدة أو ما يقوم مقام المشاهدة)<sup>(٦)</sup>، مع علم ومطابقة اللسان للقلب، وتسمية شهادة الزور شهادة مجاز وكذا ما ليس بمطابقة اللسان للقلب كقوله تعالى حكاية عن المنافقين ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾<sup>(٧)</sup>، على تقدير كون الكذب راجعاً إلى شهادتهم، وإما على تقدير كونه راجعاً إلى قولهم: ﴿لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾<sup>(٨)</sup>، فهو حكم آخر<sup>(٩)</sup>.

(١) الكتاب: سيبويه: ٢٨٣/٢ .

(٢) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٣٤٣ .

(٣) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ٣٠٥/١، مادة حرب .

(٤) سورة سبأ: الآية ١٣ .

(٥) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٣٤٣ - ٣٤٤ .

(٦) سورة آل عمران: الآية ١٨ .

(٧) المنتخب من تفسير القرآن: ابن ادريس الحلبي: ١١٧/١، وانظر: لسان العرب: ابن منظور: ٢٤٠/٣، مادة

شهد .

(٨) سورة المنافقون: الآية ١ .

(٩) سورة المنافقون: الآية ٨ .

(١٠) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٢٤٦ .

## ٥- بيان معنى المسيح:

بين الملاً القزويني أصل كلمة المسيح وأشار إلى بعض معانيها بحسب ما ذكر في كُتُب اللّغة عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾<sup>(١)</sup>، قائلاً: (وأصله من مسح من الأقدار وطهر وشرف، وهو لقب عيسى عليه السلام، وهو من الألقاب المشرفة كعلي والصديق، وأصله بالعبرية مשיحا، ومعناه المبارك، وعيسى معرب أيشوع<sup>(٢)</sup>، وقيل: أن المسيح مشتق من المسح؛ لأنه مسح بالبركة وبما طهره من الذنوب، ومسحه جبرائيل عليه السلام، أو مسح هو الأرض، أي: قطعها<sup>(٣)</sup> ولم يقيم في موضع، وأن عيسى من العيس وهو بياض تغلوه حمرة، هذا كله إذا كانا عربيين، وإلا فلا حاجة إلى هذه التكلفات، وقيل إنما سمي عليه السلام بالمسيح؛ لأنه كان لا يمسح ذاهة إلا بري<sup>(٤)</sup>، والمسيح أيضاً الذي أحد شقي وجهه ممسوخ لا عين له ولا حاجب، ولذلك سمي الدجال بالمسيح<sup>(٥)</sup>، وفي نهاية ابن الأثير (وأما الدجال فسُمي به؛ لأن عينه الواحدة ممسوحة، ويقال: رجل ممسوخ الوجه ومسيح، وهو ألا يبقى على أحد شقي وجهه عين ولا حاجب إلا استوى)<sup>(٦)</sup>، وقيل: المسيح الذي هو عيسى عليه السلام بفتح الميم والتخفيف وهو الصديق والمبارك، والمسيح بكسر الميم وتشديد السين على وزن سكيّت وشريّر وهو الدجال وهو الذي مسح خلقه، أي: شوّه<sup>(٧)</sup>، عن إبراهيم النخعي وأبي الهيثم، وليس بشيء<sup>(٨)</sup>، وقول الشاعر: (إذا المسيح يقتل المسيحا)<sup>(٩)</sup>، يدّعه أيضاً<sup>(١)</sup>.

(١) سورة آل عمران: الآية ٤٥ .

(٢) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير: ٣٢٧/٤ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٣٢٧/٤ .

(٤) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ٥٩٤/٢، مادة مسح .

(٥) ينظر: العين: الفراهيدي: ١٥٦/٣، مادة مسح .

(٦) النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير: ٣٢٧/٤ .

(٧) المصدر نفسه: ٣٢٧/٤ .

(٨) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ٥٩٥/٢، مادة مسح .

(٩) كتاب العين: الفراهيدي: ١٥٦/٣، مادة مسح .

## المطلب الثاني: مسائل نحوية

لم يدخر المَلَّا القزويني جهدًا عند تفسيره لآيات الذكر الحكيم إلا ووقف عند الآيات المباركة لبيان ما يتعلق بالنحو ومسائله، مفصلاً فيها على نحو المقتضى مرجئاً التفصيل فيها إلى مصنّفاته في النحو ككتاب (العوامل في النحو) أو الكتب النحوية الأخرى، ومن أمثلة ذلك:

### ١- في أصناف الحال المؤكدة مما يجب حذف عاملها وما لا يجب:

يشير القزويني إلى أن الحال المؤكدة تصنّف على ثلاثة أصناف وهي:

(أحدها: يجب حذف عاملها وهو الحال التي تكون مؤكدة لمضمون جملة اسمية

عقدها من اسمين لا يصلحان للعمل فيها نحو: زيدٌ أبوك عطوفاً، وقوله:

(أنا ابنُ دارةٍ معروفًا لها نسبي وهنُ بدارةٍ، يا للنَّاسِ، من عارٍ)<sup>(٢)</sup>.

﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾، أي: أحقّه أو أثبته .

وثانيها: ما يؤكّد أحدَ جزئي الجملة، أعني: عاملها، كقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ

رَسُولًا﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ

ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا﴾<sup>(٥)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَلَّى مُدْبِرًا﴾<sup>(٦)</sup>، ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾<sup>(٧)</sup> .

وثالثها: ما يؤكّد الجزء الآخر، أعني: الفاعل، مثلاً كما في ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾، ﴿قَائِمًا

بِالْقِسْطِ﴾، وقولهم الله شاهدٌ قائماً بالقسطِ، ولا يجب حذف عاملها في الصنّفين

الأخيرين، وقوله تعالى: ﴿بَغِيًّا﴾ مفعول له وعامله ﴿مَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ﴾<sup>(٨)</sup>.

(١) نور التوفيق وكشف التدقيق: النصّ المحقّق: ٣٧١ .

(٢) خزنة الأدب: البغدادي: ١٢٧/٢ .

(٣) سورة النساء: الآية ٧٩ .

(٤) سورة البقرة: الآية ٦٠، سورة الأعراف: الآية ٧٤، سورة هود: الآية ٨٥، سورة الشعراء: الآية ١٨٣، سورة العنكبوت: الآية ٣٦ .

(٥) سورة النمل: الآية ١٩ .

(٦) سورة النمل: الآية ١٠، سورة القصص: الآية ٣١ .

(٧) سورة التوبة: الآية ٢٥ .

(٨) نور التوفيق وكشف التدقيق: النصّ المحقّق: ٢٤٨ - ٢٤٩ .

## ٢. يُسْتَعْمَلُ (اللَّهُمَّ) عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ:

يرى أنّ لاستعمال اللهمّ الوارد في قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُدْلُّ مَنْ تَشَاءُ بِإِذْنِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(١)</sup>، أنحاء ثلاثة: (أحدها، النداء والدعاء المحض نحو: اللهم اغفر لنا. الثاني، تمكين الجواب وتوكيده، تقول: أزيد قام؟ فيقال: اللهم نعم أو اللهم لا. الثالث استعماله دليلاً على النُدرة وقلة وقوع المذكور كقولهم: من قتل عدواناً وجب عليه القصاص، اللهم إلا أن يكون أباه، وقوله: مالك الملك منادى آخر مضاف عند جمهور النحاة؛ لأن الميم في آخر الجلالة تمنع الوصفية، وقال الزجاج: ويحتمل أن يكون مالك الملك صفة لقوله: اللهم؛ لأن اللهم بمنزلة يا الله<sup>(٢)</sup>، فيكون مثل: (يا زيد ذا الجمّة)<sup>(٣)</sup>، وجملة ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ﴾ إِيخ، حال من ﴿اللَّهُمَّ﴾، أو ﴿مَالِكِ الْمُلْكِ﴾، والعامل في الحال حرف النداء المحذوف، و﴿الْمُلْكَ﴾ مفعول ثانٍ لـ ﴿تُؤْتِي﴾، و﴿مَنْ تَشَاءُ﴾ مفعوله الأول، ومفعول ﴿تَشَاءُ﴾ في المواضع الخمسة محذوف بدلالة سابقه، والتقدير ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ أن تؤتيه، ﴿وتنزع الملك ممن تشاء﴾ أن تنزع منه، ﴿وتعز من تشاء﴾ أن تعزه، أي: إعرازه، ﴿وتدل من تشاء﴾ أن تدله، أي: إزاله، ﴿وترزق من تشاء﴾ أن ترزقه أو من تشاءه، إِيخ، وجملة ﴿بِإِذْنِكَ الْخَيْرُ﴾ من المبتدأ والخبر حال من فاعل ﴿تُؤْتِي وَتَنْزِعُ﴾<sup>(٤)</sup>.

## ٣. وجوه (أن يؤتى):

ذكر الملا الفزويني وجوه عدة لـ ﴿أَنْ يُؤْتَى﴾ الواردة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ فَلْإِنْ أَلْهَى اللَّهُ هَدَى اللَّهُ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوْكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ فَلْإِنْ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٥)</sup>، (أحدها أن يفتح الهمزة من غير استفهام نافية كان المكسورة كما قرئ بكسرهما نافية أيضاً وحينئذ

(١) سورة آل عمران: الآية ٢٦.

(٢) ينظر: معاني القرآن: الزجاج: ٣٩٤/١.

(٣) الكتاب: سيويه: ١٨٤/٢.

(٤) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٢٨٢.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٧٣.



يجوز أن يكون من تنمة قَالَتْ طَائِفَةٌ، أي: قالت طائفة من أهل الكتاب بعضهم لبعض ما يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من الكتاب والهدى، وحينئذ جملة لَا تُؤْمِنُوا أيضاً من كلام اليهود، وجملة ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾ معترضة لنكتة نذكرها في المعنى، ويجوز أن يكون من كلام الله تعالى إذا كان قوله: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا﴾ من كلامه خطاباً للمؤمنين كما نذكره، وثالثها ورابعها أن تكون أن بفتح الهمزة مصدرية ناصبة للمضارع بتقدير الياء متعلقاً بقوله: ﴿لَا تُؤْمِنُوا﴾، وجملة ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾ معترضة بينهما أيضاً، والتقدير وَلَا تُؤْمِنُوا وَلَا تُصَدِّقُوا بَأَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ من الكتاب والعلم والحكمة والبيان والحجة والنبوة إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ اليهودية، وقام بشرائكم وقال ذلك يهود خبير ليهود المدينة، أي: لا تعترفوا بالحق بأن تقولوا يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ، فيلزم العمل بدلاً قراركم بصحته إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ فلا نقشه إلى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم وَلَا إِلَى الْمُشْرِكِينَ لئلا يدعُوهم إِلَى الإسلام، أو بتقدير اللام التعليلية متعلقة بفعل مثل: دبّرتم ونحوه، فيكون تمام الكلام عند قوله: ﴿إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ﴾، والتقدير والمعنى لأجل أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ دبّرتم ذلك وقلتم ما قلتم وفعلتموه لا لشيء آخر يعني: أن ما بكم من الحسد والعداوة بمن أوتي مثل ما أوتيتم من فضل العلم والكتاب والنبوة دعاكم أن قلتم ما قلتم، فما حملكم على ذلك إِلَّا الحسد ويدل على هذا التقدير والمعنى قراءة ابن كثير أن يؤتى بهمزة الاستفهام للتقرير والتفريع والتوبيخ، بمعنى: أَلَا أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ دبّرتم ما دبّرتم، يعني: أنكم دبّرتم ما دبّرتم لأجل أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ، ولما يتصل به عند كفركم من محابّتهم لكم عند ربكم، وقراءة ابن كثير هذا هو الوجه الخامس، وقوله: ﴿أَوْ يُحَاجُّوكُمْ﴾ في بعض هذه التقادير الثلاثة عطف على ﴿أَنْ يُؤْتَى﴾، أي: لا تصدقوا بأن يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ؛ لأنكم أصح ديناً منهم فلا تكون لهم الحجة عليكم فيكون هذا أيضاً من تنمة كلام اليهود ويكون قوله: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾، و﴿قُلْ إِنَّ الْفُضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾ من كلام الله جواباً لليهود ورداً عليهم، والسادس أن يكون لا مقدرة بعد أن في ﴿أَنْ يُؤْتَى﴾ ويكون من كلام الله تعالى، والتقدير قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ لَا يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، أو كراهة أَنْ يُؤْتَى إلخ، كقوله

تعالى: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضِلُّوا﴾<sup>(١)</sup>، وهذا هو الوجه السابع، ﴿أَوْ يُحَاجُّوكُمْ﴾ على هذين الوجهين أيضاً عطف على ﴿أَنْ يُؤْتَى﴾، أي: وأن لا يُحَاجُّوكُمْ أو كراهة يُحَاجُّوكُمْ فعلى الأول ﴿الهُدَى﴾ اسم، و﴿هُدَى اللَّهِ﴾ بدل ﴿الهُدَى﴾، وخبر إن جملتان لا يُؤْتَى، فيكون قوله: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ﴾ من كلام اليهود وما بعده كله من كلام الله، والثامن أن يكون قوله: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا﴾ إلى آخر الآية من كلام الله تعالى، و﴿أَنْ يُؤْتَى﴾ إلخ، متعلقاً ب﴿لَا تُؤْمِنُوا﴾ أيضاً، والتقدير وَلَا تُؤْمِنُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ الَّذِي هُوَ الْإِسْلَامُ وَلَا تَصَدَّقُوا بِأَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ مِنَ الدِّينِ فَلَا نَبِيَّ بَعْدَ نَبِيِّكُمْ، وَلَا شَرِيعَةَ بَعْدَ شَرِيعَتِكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ ادَّعَى شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ كَاذِبٌ وَلَا تُصَدِّقُوا بِأَنْ يَكُونَ لِأَحَدٍ حُجَّةٌ عَلَيْكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ؛ لِأَنَّ دِينَكُمْ خَيْرُ الْأَدْيَانِ، فَلَا تَرْتَدُّوا إِلَى غَيْرِهِ، وَإِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ وَإِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ، فَتَكُونُ الْآيَةُ كُلُّهَا خُطَاباً لِلْمُؤْمِنِينَ مِنَ اللَّهِ عِنْدَ تَلْبِيسِ الْيَهُودِ لئَلَّا يَزِلُّوا، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مَا قَالَهُ الضَّحَّاكُ: إِنَّ الْيَهُودَ قَالُوا إِنَّا نَحْتَجُّ عِنْدَ رَبِّنَا مَنْ خَالَفَنَا فِي دِينِنَا، فَبَيَّنَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُمُ الْمَدْحُضُونَ الْمَغْلُوبُونَ، وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ هُمُ الْغَالِبُونَ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ كَلِمَةٌ أَوْ فِي ﴿أَوْ يُحَاجُّوكُمْ﴾ مَنْصُوباً بِأَنْ مَضْمُورَةٌ كَقَوْلِهِمْ: لِأَطِيعَنَّ اللَّهَ أَوْ يَغْفِرَ لِي، وَقَوْلِهِ:

(لَأَسْتَسْهَلَنَّ الصَّعْبَ أَوْ أَدْرِكَ الْمُنَى فَمَا انْقَادَتِ الْأَمَالُ إِلَّا لِصَابِرٍ)<sup>(٢)</sup><sup>(٣)</sup>.

#### ٤ . في بيان (مَنْ اسْتَطَاعَ) ثلاثة أوجه:

في معرض تفسير القزويني لقوله تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، أشار إلى أن في من الواردة في قوله تعالى: ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ

(١) سورة النساء: الآية ١٧٦ .

(٢) شرح ابن عقيل: ابن عقيل: ٣٤٦/٢ / البيت ٣٢٢، وهذا البيت لم ينسب لشاعر معين حتى جاء في التعليق عنه في شرح ابن عقيل بأن (هذا البيت من الشواهد التي استشهد بها كثير من النحاة، ولم ينسبها إلى قائل معين) .

(٣) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٤٥٩ - ٤٦١ .

(٤) سورة آل عمران: الآية ٩٧ .

إِلَيْهِ سَبِيلًا﴿، ثَلَاثَةٌ أَوْجُهُ: (أَحَدُهَا أَنْ تَكُونَ فِي مَحَلِّ الرَّفْعِ فَاعِلٌ ﴿حِجُّ الْبَيْتِ﴾، مِثْلَ عَجَبْتُ مِنْ أَكْلِ الْخُبْرِ زَيْدٌ، وَالتَّقْدِيرُ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَحِجَّ الْبَيْتَ الْمُسْتَطِيعُ مِنْهُمْ. وَثَانِيهَا أَنْ تَكُونَ فِي مَحَلِّ بَدَلًا مِنَ النَّاسِ، وَحُذِفَ فَاعِلُ الْمَصْدَرِ؛ بِدَلَالَةِ مَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ عَلَيْهِ وَالتَّقْدِيرُ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ مُسْتَطِيعِهِمْ إِلَيْهِ سَبِيلًا حِجُّ الْبَيْتِ، فَعَلَى هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ مَنْ مَوْصُولَةٌ لَا غَيْرُ. وَثَالِثُهَا أَنْ تَكُونَ شَرْطِيَّةً مَرْفُوعَ الْمَحَلِّ مُبْتَدَأً مَحذُوفَ الْخَبَرِ، وَيَكُونُ تَقْصِينًا لِمَا أُجْمِلَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾، وَالتَّقْدِيرُ ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ فَعَلَيْهِ ذَلِكَ، فَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مِنْ شَرْطِيَّةٍ، أَوْ مَوْصُولَةً مُتَضَمِّنَةً مَعْنَى الشَّرْطِ فَحِينَئِذٍ يُوقَفُ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿الْبَيْتِ﴾، ثُمَّ يُبْتَدَأُ بِقَوْلِهِ: ﴿مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾، وَمَنْ فِي ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ شَرْطِيَّةً مُبْتَدَأً، وَجُمْلَةٌ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ جَوَابُ الشَّرْطِ وَخَبَرُ الْمُبْتَدَأِ، أَوْ هُوَ مَعَ الشَّرْطِ خَبَرُ الْمُبْتَدَأِ(١).

### المطلب الثالث: الفروق اللغويَّة

وكان في تفسير نور التوفيق وكشف التدقيق نصيب من الفروق اللغويَّة بين الألفاظ التي قد يُتَوَهَّمُ أَنَّهَا ذات معنى واحد أو مترادفة ومنها:

#### ١- الفرق بين بلى ونعم:

بعد أن يتعرَّض القزويني لتفسير قوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَانْتَقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾(٢)، يفرِّد باباً لأوجه الشبه والاختلاف بين بلى ونعم فيقول: (والفرق بين بلى ونعم أن بلى لإثبات النفي غالباً، ونعم جواب وتصديق إثباتاً ونفيًا جميعاً غالباً، وقد يسدّ أحدهما مقام الأخرى في أبواب الإقرار، ويجوز إمالة بلى دون لا؛ لمشابهتها الاسم في جواز الوقف عليها، ولكونها ثلاثة أحرف)(٣).

(١) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٥٤٦ .

(٢) سورة آل عمران: الآية ٧٦ .

(٣) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٤٧٠ .

## ٢- الفرق بين العباد والعبيد:

إنّ معنى ﴿عِبَادًا﴾ الوارد في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾<sup>(١)</sup>، جاء عند القزويني (من العبادَة، والعبيد بخلافه؛ لأنّه بمعنى الرّقبة والعُبودية، ولا يمتنع أن يكونوا لغير الله، ويمتنع أن يكونوا عباداً لغير الله سبحانه)<sup>(٢)</sup>.

## ٣- الفرق بين عند ولدى ولغاتهما:

رأى القزويني أنّ (لدى) تأتي بمعنى (عند) وقد تأتي مختلفة عنها ذاكراً ومفصلاً القول في ذلك مع لغات كل منهما قائلاً: (ولدن بمعنى عند لكن بينهما فرق وهو أنّك تقول عندي كذا لما كان في ملكك وضبطك حضرك أو غاب عنك ولديّ كذا لما كان لا يتجاوز حضرتك، وفيها تسع لغاتٍ، لَدَى بالألف المقصورة، وَلَدُنْ بفتح اللام وضمّ الدال وسكون النون، وَلَدُنْ بضم اللام والدال معاً وسكون النون، وَلَدُنْ بفتح اللام وسكون النون، وَلَدُنْ بفتح اللام وسكون الدال وكسر النون؛ لالتقاء الساكنين، وَلَدُنْ بضم اللام وسكون الدال وكسر النون لذلك، وَلَدُ بفتح اللام وضمّ الدال وحذف النون، وَلَدٌ بفتح اللام وسكون الدال مع حذف النون، وَلَدٌ بضم اللام وسكون الدال مع حذف النون، والميعاد مصدر ميمي بمعنى: الوعد كالميقات بمعنى: الوقت)<sup>(٣)</sup>.

## ٤- الفرق بين الذنب والجُرم، والقول والكلام:

في خِصَمِّ تفسير المَلَا القزويني لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَمَتٌ فَأَغْرُ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾<sup>(٤)</sup>، تعرّض للفرق بين الذنب والجُرم، وبين القول والكلام قائلاً: (الذنبُ والجُرمُ والعِصيانُ نظائر، ولكن أصل الذنبُ الاتباعُ اشتقاقه من ذنَبِ

(١) سورة آل عمران: الآية ٧٩ .

(٢) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٤٩٥ .

(٣) المصدر نفسه: ٢٠٦ - ٢٠٧ .

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٦ .

الدَّابَّة، (فهو ما يتبع عَلَيْهِ العَبْدُ من قَبِيح عمله كالتَّبَعَة، وأصلُ الجرمِ القطع فهو القبيح ينقطع به عن الواجب) (١) (٢).

أما الفرق بين القول والكلام فقد رأى أن في الأول معنى الحكاية، بخلاف الثاني (٣).

#### ٥- الفرق بين المكر والحيلة:

يرى القزويني أن المَكْرُ يَعْنِي الِاتِّعَاتُ، فِيمَا تَكُونُ الحِيلَةُ أَعَمَّ مِنْهُ؛ (لأنَّ الحِيلَةَ قَدْ تَكُونُ لِإِظْهَارِ مَا تَعَسَّرَ مِنَ الفِعْلِ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ إِلَى الإِضْرَارِ بِالعَبْدِ، وَالمَكْرُ حِيلَةٌ عَلَى العَبْدِ تَوَقَّعُهُ فِي الأَمْرِ، فِي الأَمْرِ المُضِرِّ كَالوَهْقِ (٤) وَالقَتْلِ غِيلَةً) (٥).

#### ٦- الفرق بين الحجاج والجدال:

استعان القزويني ببيان الفرق بين الحجاج والجدال بما جاء عن أمين الإسلام الطبرسي في تفسيره إذ قال: (الفرق بين الحجاج والجدال: أن الحجاج يتضمن إما حجة، أو شبهة في صورة الحجة، والجدال هو قتل الخصم إلى المذهب بحجة، أو شبهة أو إيهام في الحقيقة؛ لأن أصله في الحقيقة من الجدال وهو شدة القتل، والحجة في البيان الذي شهد بصحة المقال، وهو والدلالة بمعنى واحد) (٦)، ثم يضيف القزويني قائلاً: (ويجوز أن يكون الجدال من الجدال بمعنى القوة) (٧).

#### ٧- بكة ومكة والفرق بينهما من الحديث واللغة:

توقف القزويني وهو يفسر قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ \* فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى

(١) الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري: ٢٤٤ .

(٢) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٢٣٨ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢٣٨ .

(٤) الوهق: (الحبل المغار يُرمى فيه أنشودة فتؤخذ فيه الدابة والإنسان)، لسان العرب: ابن منظور: ٣٨٥/١٠، مادة وهق .

(٥) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٤٠٩ .

(٦) مجمع البيان: الطبرسي: ٣١٥/٢ .

(٧) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٤٤٧ - ٤٤٨ .

النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾، عند الفرق بين بكة ومكة من جانب اللغة، ثم بعد ذلك يستدل بما روي عن أهل البيت عليهم السلام في هذا الشأن، إذ يقول: ﴿لِلَّذِي بِبَكَّةَ﴾، أي: للبيت الذي استقرَّ بِبَكَّةَ، وَهِيَ مَوْضِعُ الْبَيْتِ وَالْحَجَرِ الْأَسْوَدِ وَالْمَطَافِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَأَمَّا مَكَّةُ فَهِيَ هِيَ وَالْحَرَمُ كُلُّهُ، يَدْخُلُ فِيهِ الْبُيُوتُ وَهُوَ الْمَرْوِيُّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: بَكَّةُ بَطْنُ مَكَّةَ، وَمَكَّةُ: اسْمُ الْبَلَدِ، وَقِيلَ: بَكَّةُ هِيَ مَكَّةُ وَالْعَرَبُ تُبَدِّلُ الْبَاءَ مِيمًا فَيَقُولُونَ فِي لَازِبٍ لَازِمٌ، وَفِي رَابٍ رَاتِمٌ، وَفِي سَبَدٍ رَأْسُهُ سَمَدٌ رَأْسُهُ ﴿٢﴾.

أما المرويات الصادرة عن أهل البيت عليهم السلام فهي كثيرة ذكر القزويني بعضاً منها من قبيل ما جاء (في كتاب الخصال) عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: أَسْمَاءُ مَكَّةَ خَمْسَةٌ: أُمُّ الْفُرَى، وَمَكَّةُ، وَبَكَّةُ، وَالْبَسَّاسَةُ كَانُوا إِذَا ظَلَمُوا بِهَا بَسَّتْهُمْ أَي: أَخْرَجَتْهُمْ وَأَهْلَكَتْهُمْ، وَأُمُّ رُحْمٍ كَانُوا إِذَا لَزِمُوهَا رُحِمُوا ﴿٣﴾، وَمِثْلُهُ فِي الْفَقِيهِ ﴿٤﴾، وَفِي تَفْسِيرِ الْعِيَّاشِيِّ "عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: مَكَّةُ جُمْلَةُ الْقَرْيَةِ، وَبَكَّةُ مَوْضِعُ الْحَجَرِ الَّذِي تَبُكُّ النَّاسُ ﴿٥﴾ بَعْضُهُمْ بَعْضًا" ﴿٦﴾، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّ بَكَّةَ مَوْضِعُ الْبَيْتِ، وَأَنَّ مَكَّةَ الْحَرَمَ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ ﴿٧﴾، وَفِي الْعِلَلِ بِإِسْنَادِهِ "عَنِ الْعَزْرَمِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّمَا سُمِّيَتْ مَكَّةُ بِبَكَّةَ؛ لِأَنَّ النَّاسَ يَتَبَاكُونَ فِيهَا" ﴿٨﴾، (يَعْنِي: يَزْدَحِمُونَ) ﴿٩﴾، وَبِإِسْنَادِهِ "عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِمَ

(١) سورة آل عمران: الآية ٩٦ - ٩٧ .

(٢) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٥٥٠ .

(٣) الخصال: الصدوق: ٢٧٨/ح ٢٢ .

(٤) ينظر: من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ٢٥٧/٢، مع اختلاف يسير .

(٥) تَبُكُّ النَّاسُ: أَي: تَزَاحِمُ وَتَدَافِعُ، أَنْظَر: مَقَابِيِسُ اللَّغَةِ: ابْنُ فَارِسٍ: ١٨٦/١، مَادَّةُ بَكَ .

(٦) تفسير العيَّاشي: العيَّاشي: ١٨٧/١ .

(٧) المصدر نفسه: ١٨٧/١ .

(٨) علل الشرائع: ٣٩٧/٢/ح ١، باب العلة التي من أجلها سميت مكة بكَّة .

(٩) تفسير الصافي: الفيض الكاشاني: ٣٥٧/١ .

سُمِّيَتِ الْكَعْبَةُ بَكَّةً؟ فَقَالَ: لِبُكَاءِ النَّاسِ حَوْلَهَا وَفِيهَا"<sup>(١)</sup>، بِإِسْنَادِهِ إِلَى "سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: مَوْضِعُ الْبَيْتِ بَكَّةٌ، وَالْقَرْيَةُ مَكَّةٌ"<sup>(٢)</sup>، "عَنْ أَبِي بَانَ عَنِ الْفَضِيلِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّمَا سُمِّيَتْ مَكَّةُ بَكَّةً؛ لِأَنَّهُ يُبْكُ بِهَا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ، وَالْمَرْأَةُ تُصَلِّي بَيْنَ يَدَيْكَ، وَعَنْ يَمِينِكَ، وَعَنْ شِمَالِكَ (وَعَنْ يَسَارِكَ) وَمَعَكَ، وَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ، إِنَّمَا يُكْرَهُ فِي سَائِرِ الْبُلْدَانِ"<sup>(٣)</sup>، "عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ الْحَلْبِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِمَ سُمِّيَتْ مَكَّةُ بَكَّةً؟ قَالَ: لِأَنَّ النَّاسَ يُبْكُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِيهَا بِالْأَيْدِي"<sup>(٤)</sup>(٥).

ثمّ يختم القزويني قائلاً: (إِنَّمَا سُمِّيَتْ بَكَّةً؛ لِأَنَّهَا تَبْكُ أَعْنَاقَ الْجَبَابِرَةِ، أَي: تَدْفُقُهَا)<sup>(٦)</sup>.

#### ٨- تسمية القرآن فرقان والفرق بينهما:

فرّق القزويني بين القرآن والفرقان بقوله: (إِنَّ اخْتِلَافَ الصِّفَاتِ وَإِنْ كَانَتْ لِمَوْصُوفٍ وَاحِدٍ يَفِيدُ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا فَائِدَةً غَيْرَ فَائِدَةِ الْأُخْرَى، فَوَصَفَهُ بِالْفِرْقَانِ لِیَفِيدَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فِيمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصُّومِ وَالزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَالْجِهَادِ وَغَيْرِهَا، وَالِاحْتِجَاجِ عَلَى أَهْلِ الْأَدْيَانِ الْبَاطِلَةِ، وَالْحُجَّةِ الْقَاطِعَةِ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي أَمْرِ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالنَّصْرِ وَظُهُورِ دِينِهِ عَلَى الْأَدْيَانِ كُلِّهَا وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَذَلِكَ كُلَّهُ فِي الْقُرْآنِ وَوَضَعَهُ بِالْكِتَابِ لِیَفِيدَ أَنَّ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُكْتَبَ وَيَضْبَطَ وَيُعْمَلَ بِهِ لَيْلًا يَنْدَرَسُ وَلَا يُمَحَقُّ وَلَا يُنْسَى)<sup>(٧)</sup>، ثمّ أيد كلامه بما روي عن أهل البيت عليهم السلام من قبيل ما جاء (في كتاب العلل "عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قِيلَ لَهُ، لِمَ سُمِّيَ الْفِرْقَانُ فِرْقَانًا: قَالَ: لِأَنَّهُ مَتَفَرِّقُ الْآيَاتِ وَالسُّورِ أَنْزَلَتْ فِي غَيْرِ الْأَلْوَابِ وَغَيْرِهِ مِنَ الصُّحُفِ وَالتَّوْرَةِ

(١) علل الشرائع: ٢/٣٩٧/ح ٢، باب العلة التي من أجلها سميت مكة بكّة .

(٢) المصدر نفسه: ٢/٣٩٧/ح ٣، باب العلة التي من أجلها سميت مكة بكّة .

(٣) المصدر نفسه: ٢/٣٩٧ - ٣٩٨/ح ٤، باب العلة التي من أجلها سميت مكة بكّة .

(٤) المصدر نفسه: ٢/٣٩٨/ح ٥، باب العلة التي من أجلها سميت مكة بكّة .

(٥) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٥٥٠ - ٥٥١ .

(٦) المصدر نفسه: ٥٥١ .

(٧) المصدر نفسه: ١٧٥ - ١٧٦ .



والإنجيل والزبور أنزلت كلها جملةً في الألواح والورق" (١)، وفي المجمع روى "عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: الفرقان هو كل آية محكمة في الكتاب وهو جملة القرآن الذي يصدق فيه من كان قبله من الأنبياء" (٢)، وفي الكافي "علي بن إبراهيم، عن أبيه عن ابن أبيه، عن ابن سنان أو عن غيره، عمّن ذكره قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن القرآن والفرقان أهما شيئان أو شيء واحد؟ فقال عليه السلام: القرآن جملة الكتاب، والفرقان المحكم الواجب العمل به" (٣)، وفي تفسير علي بن إبراهيم قال: "حدثني أبي، عن النضر بن سويد، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿الْم \* اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ \* نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ \* مِنْ قَبْلُ هَدَى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾، قال الفرقان هو كل أمر محكم، والكتاب هو جملة القرآن الذي يصدق فيه من كان قبله من الأنبياء" (٤)، وفي تفسير العياشي كذلك (٥)، وفي الجوامع "عن الصادق عليه السلام: الفرقان كل آية محكمة في الكتاب" (٦)، وفي الصحيفة السجادية الكاملة من دعائه عليه السلام عند ختمه القرآن "وَفَرَقَانًا فَرَقْتْ بِهِ بَيْنَ حَلَالِكَ وَحَرَامِكَ، وَقُرْآنًا أَعْرَبْتَ بِهِ عَنْ شَرَائِعِ أَحْكَامِكَ" (٧) (٨).

#### ٩- الفرق بين الإحساس والحس، والأنصار والحواريين:

توقف القزويني عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَشَهِدْنَا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٩)،

(١) علل الشرائع: الصدوق: ٤٧٠/٢ .

(٢) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٣٦/٢ .

(٣) الكافي: الكليني: ٦٣٠/٢ ح ١١، باب النوادر .

(٤) تفسير القمي: علي بن إبراهيم: ٩٦/١ .

(٥) تفسير العياشي: العياشي: ١٦٢/١ .

(٦) جوامع الجامع: الطبرسي: ٢٦٤/١ .

(٧) الصحيفة السجادية: الإمام علي بن الحسين السجاد ع: ١٧٦ .

(٨) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ١٧٦ - ١٧٧ .

(٩) سورة آل عمران: الآية ٥٢ - ٥٤ .



على معنى الإحساس والحسّ، والأنصار والحواريين قائلاً: (الإحساسُ: الإذراكُ بإحدى الحواسِّ<sup>(١)</sup>، والحسُّ: القتلُ<sup>(٢)</sup>؛ لِأَنَّهُ يَحْسُ بِالْمِهِ، وَالْحِسُّ: العَطْفُ؛ لِإِحْسَاسِ الرِّقَّةِ عَلَى صَاحِبِهِ<sup>(٣)</sup>، وَالْأَنْصَارُ: جَمْعُ نَصِيرٍ كَشَرِيفٍ وَأَشْرَافٍ، أَوْ جَمْعُ نَاصِرٍ كَطَّاهِرٍ وَأَطْهَارٍ، وَصَاحِبٍ وَأَصْحَابٍ<sup>(٤)</sup>، وَالْحَوَارِيُّ مِنَ الحُورِ وَهُوَ شِدَّةُ البَيَاضِ فِي الثَّوبِ وَغَيْرِهِ<sup>(٥)</sup>، وَقَالَ الحَارِثُ بن حِلْزَةَ<sup>(٦)</sup>:

(فَقُلْ لِلْحَوَارِيَّاتِ يَبْكِينَ غَيْرَنَا  
يَعْنِي: النِّسَاءَ لِشِدَّةِ بَيَاضِهِنَّ<sup>(٨)</sup>)<sup>(٩)</sup>.

#### ١٠. الفرق بين البر والخير:

أشار القزويني لمعنى البر والخير في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا البرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾<sup>(١٠)</sup>، معتمداً على ما قاله الطبرسي قائلاً: (فِي المَجْمَعِ (البرُّ: أَصلُهُ السَّعَةُ، وَمِنْهُ البرُّ: خِلافُ البَحْرِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ البرِّ وَالخَيْرِ: أَنَّ البرَّ هُوَ النِّفْعُ الوَاصِلُ إِلَى الغَيْرِ مَعَ القَصْدِ إِلَى ذَلِكَ، وَالخَيْرُ يَكُونُ خَيْرًا، وَإِنْ وَقَعَ عَنْ سَهْوٍ، وَضِدُّ البرِّ: العُفُوقُ، وَضِدُّ الخَيْرِ: الشَّرُّ)<sup>(١١)</sup>)<sup>(١)</sup>.

(١) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ٤٩/٦، مادة حسس .

(٢) ينظر: الصحاح: الجوهري: ٩١٧/٣، مادة حسس .

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٩١٧/٣، مادة حسس .

(٤) ينظر: المصباح المنير: الفيومي: ٦٠٧/٢، مادة نصر .

(٥) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ٢١٩/٤، مادة حور .

(٦) هو (الحارث بن حلزة بن مكروه بن يزيد بن عبد الله بن مالك بن عبد بن سعد بن جشم بن ذبيان بن كنانة بن يشكر بن بكر بن وائل، شاعر جاهلي مشهور وصاحب إحدى المعلقات في الجاهلية هو يقابل عمرو بن كلثوم الشاعر الآخر ينتمي إلى وائل)، شرح المعلقات التسع: الشيباني: ٣٥٢، شرح المعلقات السبع: الزوزني: ٢٦٧ .

(٧) وهذا البيت ليس للحارث بن حلزة؛ بل هو لأبي جلدة بن عبيد بن منفذ اليشكري، والذي عرف عنه بأنه شاعر خبيث اللسان، وكان من خواصّ الحجاج الثقفي، لكنّه خرج عليه مع ابن الأشعث فقتله الحجاج، ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس: ابن الأثير: ٢٨/١، البداية والنهاية: ابن كثير: ٥٩/٩ .

(٨) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ١٩/٤، مادة حور .

(٩) نور التوفيق وكشف التدقيق: النصّ المحقق: ٤٠٨ - ٤٠٩ .

(١٠) سورة آل عمران: الآية ٩٢ .

(١١) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٤٢/٢ .

### المطلب الرابع: وقفات بلاغية:

كان للقزويني في تفسيره وقفات بلاغية، أبان عن طريقه ما تحويه الكلمات والتراكيب القرآنية من بلاغة وإيجاز، من أمثلة ذلك:

#### ١- المجاز المرسل:

والمجاز المرسل: (هو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة ومناسبة غير المشابهة كاليد إذا استعملت في النعمة، لما جرت به العادة من صدورها عن الجارحة، وبواسطتها تصل إلى المقصود بها)<sup>(٢)</sup>.

وقد صرح القزويني في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسَلَمْتُمْ فَإِنْ أَسَلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾<sup>(٣)</sup>، بأن إطلاق الجزء على الكل - والذي هو من جملة أنواع المجاز المرسل - من الموضوعات الشائعة والواردة في القرآن الكريم كذلك قائلاً: (وإطلاقُ الجزء الذي له مدخلٌ عظيمٌ في الشيء على الكلِّ شائعٌ كقوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾<sup>(٤)</sup>، في مقام فتحيرٍ نَسَمَةٍ، وكإطلاقهم العين التي هي الجارحة المخصوصة على الربيبة وهي الشخص الرقيب، والعين جزءٌ منه؛ وذلك لأنَّ العينَ لما كانت هي المقصودة في كون الرجل ربيبةً؛ لأنَّ غيرها من الأعضاء ممَّا لا يغني شيئاً بدونها صارت العين كأنَّها الشخص كلُّه، وكذا الرقبة؛ لأنَّها لا حياة للشخص بدونها، فلا بدَّ في الجزء المطلق على الكلِّ من أن يكون له مزيدٌ اختصاصٍ بالمعنى الذي قصد بالكلِّ، ويقال لإطلاق الجزء على الكلِّ تسميةً الكلِّ باسم الجزء، وهو من جملة أنواع المجاز المرسل، ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾، أي: وأسلم من اتَّبَعَنِي، أي: أسلمتُ أنا ومن اتَّبَعَنِي من المؤمنين، أو أسلمتُ مع من اتَّبَعَنِي واقتدى بي في الدين من المؤمنين، فاتَّهَمَ قَدِ اسَلَمُوا أيضاً كما أسلمتُ، ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا

(١) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٥٣٣ .

(٢) علوم البلاغة: أحمد المراغي: ٢٤٩ .

(٣) سورة آل عمران: الآية ٢٠ .

(٤) سورة النساء: الآية ٩٢، سورة المجادلة: الآية ٣ .

الكتاب ﴿ من اليهود، والنصارى، والمجوس، ومن يحذو حذوهم واقتدى بأثارهم، حذو النعل بالنعل ﴾<sup>(١)</sup>.

## ٢- الاستعارة التهكمية والتمليلية

والاستعارة التهكمية والتمليلية: (هما ما نزل فيهما التضاد منزلة التناسب لأجل التهكم والاستهزاء، أو لأجل الملاحاة والظرافة، وقيل: الاستعارة التي أستخدمت ضد معناها الحقيقي)<sup>(٢)</sup>.

رأى القزويني أن معنى ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ الواردة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup>، جاء على نحو الاستعارة التهكمية قائلاً: (وإنما قال: بَشِّرْهُمْ مقام أندرهم على سبيل الاتساع والاستهزاء والاستعارة التهكمية التبعية والتمليلية؛ لأن البشارة تكون في الخير دون الشر فكأن البشارة للمظلومين المقتولين من الأنبياء والأوصياء والمؤمنين، ويدخل في عذاب الأسلاف المرتكبين للقتل أعقابهم جميعاً؛ لأنهم رضوا بأفعالهم واقتدوا بهم وتواصوا بما فعلوا به)<sup>(٤)</sup>.

(١) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٢٦٨ - ٢٦٩ .

(٢) علوم البلاغة: أحمد مصطفى المراغي: ٢٦٦.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٢١.

(٤) نور التوفيق وكشف التدقيق: النص المحقق: ٢٧١ - ٢٧٢ .

الْخَاتِمَةُ

## خاتمة الدراسة

الحمد لله الذي بتوفيق منه سبحانه وتعالى تمّ هذا القسم من الأطروحة، وفي نهايته أودّ أن أسجّل أهمّ النتائج التي تمّ التوصل إليها عن طريق دراسة المخطوط، ويمكن إجمالها بما يأتي:

١- على الرغم من قلّة شيوخ الملاّ القزويني بحسب ما نقلت إلينا المصادر، إلاّ أنّه تتلمذ على علماء بارزين في زمانه يكفونه ويغنونه عن غيرهم كقوام الدين السيفي الذي اشتهر بموسوعيّته واحاطته بعلوم اللغة العربيّة وفنّ الأراجيز، ومؤلّفات القزويني كانت شاهداً على إفادته الكبيرة منه، والحرّ العاملي الذي ترك الأثر الكبير في الملاّ القزويني من حيث الإقبال على الرواية والإفادة منها، ويشهد على ذلك إجازته عنه.

٢- ممّا يؤكد المكانة العلميّة للملاّ القزويني، تصدّيه للتعليق على مختلف المعارف ولا سيّما الفقهيّة الاستدلاليّة منها، ويظهر ذلك من خلال بعض مصنّفاته، والتي تكون في حقيقتها إجابة للسائل أو طلباً من بعض العلماء للتعليق وإبداء الرأي على مسائل علميّة محدّدة، وهو ما لا يكون بالعادة إلاّ لمن عُرفوا بالعلم الكبير والفضل في المعارف فيُقصدون بالسؤال آنذاك.

٣- حفل تفسير نور التوفيق بكثيرٍ من المسائل والمباحث اللغويّة والنحويّة والأدبية؛ إذ كان يبسط الآراء فيها، موازناً فيما بينها، مختاراً للأصحّ منها بناءً على قوّة الدليل والحجّة، وما ذلك إلاّ لتضلع الملاّ في اللّغة والنحو، وكيف لا يكون كذلك وهو نحويّ قزوين.

٤- إنّ بعض مختارات القزويني النحويّة واللغويّة بين الآراء في تفسيره ذكرها على نحو الإيجاز مع الإشارة لمصنّفاته أمثال: توشيح الشافية، وزينة السالك وغيرها لمن يروم التّفصيل في المسألة ذاتها.

٥- ذهب القزويني لبيان معاني الألفاظ الغامضة، والتي يشوبها اللبس، أو يعوزها البيان إلى المعاجم اللغويّة، وعمدة ما يستند عليه في ذلك القاموس المحيط للفيروز آبادي، وكذلك مصنّفات الخليل وسيبويه.

٦. ظهر جلياً من المتابعة لمنهجية القزويني اعتماده على منهج تفسير القرآن بالقرآن، من خلال ارجاع وربط الآيات ببعضها، وكذلك الاعتماد على السياق القرآني في الاستدلال لبيان معاني بعض الآيات القرآنية، مستخرجاً المعنى للآيات المراد تفسيرها في نطاق قرآني داخلي من القرآن وإلى القرآن.

٧. اعتمد القزويني على الكتب الروائية من الفريقين (الشيعة والسنة) في الاستدلال مقدماً مصادر الإمامية وإن لم يجد فيها ما يبحث عنه يلجأ إلى كتب الجمهور فيما روي عن أهل البيت عليهم السلام.

٨. يستند القزويني - غالباً - من خلال التتبع على الكتب الروائية المعتمدة، وإن لم يصرح بذلك في تفسيره والأخذ بالروايات المتفق عليها قدر الإمكان؛ ومن ثم يعمد إلى المصادر والروايات الأقل اعتباراً للاستئناس لا الاستدلال وبناء الرأي على أساسها.

٩. وظّف القزويني الدعاء في تفسير بعض الآيات، وهذا وإن عدّ من أنحاء التفسير بالمأثور؛ كون الأدعية الصادرة عن أهل البيت عليهم السلام تعامل معاملة الرواية، إلا أنّ لها خصوصية تمتاز بها عن الروايات التفسيرية بشكل عام، وهي عدم ورودها لخصوص التفسير كما هو حال المرويات التفسيرية.

١٠. تعرّض القزويني خلال التفسير لآراء العلماء في المسائل العقدية أو التفسيرية، ويفرد لمطارحتها أبواباً في الردّ عليهم من أمثال الزمخشري والبيضاوي، مناقشاً إياها، منتهياً إلى ما يراه صائباً منها بمقتضى الأدلة والبراهين.

١١. ممّا امتاز به تفسير نور التوفيق وكشف التدقيق احتواؤه على مصادر كثيرة في بيان واسناد وتحليل الآراء، وقد تنوّعت هذه المصادر طبقاً لتنوع المطالب .

١٢. إنّ القزويني كان متنوعاً في المشارب المعرفية لما يظهر من جهده المعرفي لا سيّما التفسير الذي لم يقربه لجهة على أخرى، بل كان متوازناً آخذاً من جميع الأطراف، وهو بحدّ ذاته يحسب له في ذلك الزمن الأخباري بامتياز .

١٣. أهم ما يميّز هذا التفسير الوسطية والتنوّع في المنهج، وهذا الأمر بالّحافظ الزمني الذي أُلّف فيه يعدّ نقطة فارقة تميّزه عن غيره من التفسيرات المصنّفة في ذلك

العهد، وهو ما يدعو أولاً لبيان أهم خصائص كتب التفسير في تلك الحقبة، والتي تتقلب بين منهجين بشكلٍ متطرف، وهما المنهج الفلسفي والروائي.

١٤- عمل المصنّف في تفسيره على إيراد جميع الوجوه التفسيرية للنصوص الشريفة وبيانها، فتارةً يُبين صحة هذه الوجوه من عدمها، وتارةً ينقلها دون التعليق عليها، وأخرى يُورد رأياً تفسيرياً له مُستدلاً عليه بما تيسر له من الأدلة، وفي أحيانٍ أُخرٍ يذكر قوله حسب ما وصل إليه علمه ووفق إليه بنوره تعالى.

القِسْمُ الثَّانِي

النَّحْفِيُّ



أولاً: النسخة المعتمدة:

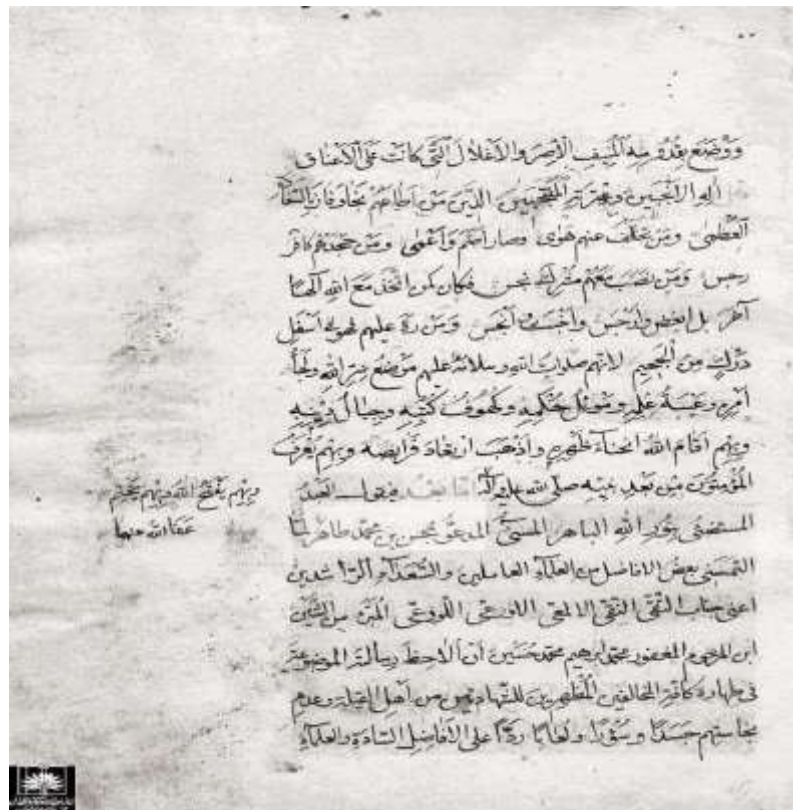
إنَّ النسخة التي بين أيدينا هي من مقتنيات المكتبة الوطنية للجمهورية الإسلامية في إيران كما هو صريح الختم الملحق ببعض الصفحات، كما وأنَّ هذه النسخة متطابقة مع النسخة التي تحدّث عنها المترجمون بأنّها المتوقّرة في خزائن مكتبة السيّد المرعشي الحاوية على ثلث القرآن، والأمر كذلك إذ فيها تفسير لسورة البقرة وآل عمران وجزء من سورة النساء، وهي بمجموعها تشكّل ثلث القرآن كما هو بيّن، ولكن ما يدعو للاستغراب من خلال المتابعة في فهرست المخطوطات لمكتبة السيد المرعشي أنّه لا أثر لهذا التفسير ضمن مؤلّفات القزويني، فقد جاء في الإصدار الخاصّ بمخطوطات المكتبة في الصفحة ٣٨٧ ذكر للمؤلّف ومصنّفاته المتوقّرة في المكتبة، وذكر منها: أصناف الحروف، وشرح السحاب، زينة السالك، شرح أبيات تميز الأعداد، شرح العوامل المائة، العوامل، ولا ذكر لغير هذه المصنّفات بما فيها التفسير<sup>(١)</sup>، فلا يعلم حال النسخة التي وصفها الطهرانيّ، وغيره المتوقّرة في مكتبة المرعشي، إلّا اللهمّ أن يكون هنالك بالفعل نسخة في مكتبة السيّد المرعشي، قد وقف عليها من نكرها، إلّا أنّ عائدتها ووقفيتها للمكتبة الوطنية الإيرانية، وقد أرجعتها مكتبة المرعشي للمكتبة الوطنية لاحقاً، ولا احتمال غير ذلك، إلّا القول بوقوع الاشتباه من الطهرانيّ رحمه الله، وهو بعيد ولا يمكن الجزم به لا سيّما المستفاد من كلماته ما يؤيّد وقوفه ودرابته على هذه النسخة الموجودة في مكتبة السيّد المرعشي. وما يمكن قوله أيضاً حول هذه النسخة التي بين أيدينا هو أنّها بخطّ يد المؤلّف، وقد اعتمدنا في ذلك على مطابقة مع بعض المخطوطات للمؤلّف نفسه والتي تمّ تحقيقها مثل منتهى الغايات، وقد تمّ التثبت فيها من خطّ المؤلّف بمطابقتها مع مخطوطات أخرى وتتحد جميعاً بالخطّ ذاته.

(١) ينظر: راهنمای نسخه های خطی کتابخانه بزرگ حضرت آیت الله العظمی مرعشی نجفی: إعداد: میر

محمود موسوي، حسين نجفي: ٣٨٧ .



صفحة من مخطوطة منتهى الغايات/ المكتبة الوطنية الإيرانية



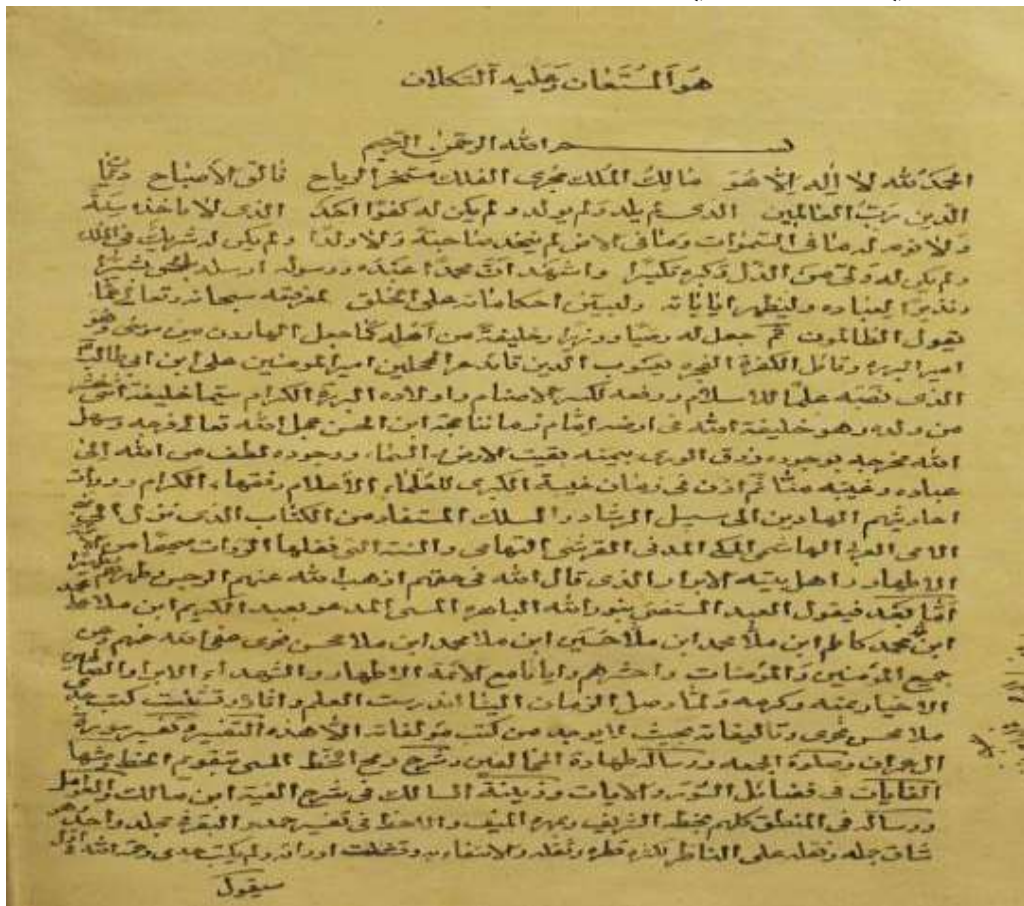
دليل فهو ما ذاب مراتب منته على الله اللذيق ورسوله وما فخر جهنم وبئس المصير **الكتاب الثاني** في تباين ما في جميع القرآن  
 وتحت يد زيادة من نفسه وتاثر في ذلك **روى علي بن ابراهيم القمي في تفسيره** عن ابي عبد الله عليه السلام قال ان رسول الله صلى الله عليه وآله  
 قال اهل البيت يا علي ان القرآن خلف فرانج في الصفين المرور القراطيس مخدوم واجمع ولا تصنعوه كما صنعت اليهود التورية  
 فانطلق على عليه السلام في ذهاب اصفر ختم عليه بيته وقال لا اريد حتى اجمعه قال كان الرجل لا ياتر فيصبح اليربوع واليه  
 حتى جمعه وفي الكافي من عده من سليمان عن بعض اصحابه بن ابي الحسن عليه السلام قال له جعلت فداك انما سمع الايات في القرآن  
 ليس من عندنا كما سمعها ولا يحسن ان نقرأها كما بلغنا عند فضلنا ثم قال لا اقرأوا كما تعلمون تصيبيكم من يعيكم اقول  
 يعني صاحب الامر عليه السلام وباسناده عن سالم بن سلمة قال قال رجل على ابي عبد الله عليه السلام وانا اسمع صوتك في القرآن ليس  
 ما يقرأها الناس فقال ابي عبد الله عليه السلام كلف من هذه القراءة انما يقرأ الناس حتى يقرم الثايم بماذا انما قرأ كتاب الله  
 تلا على حد واحد والصحف الذي كتبه على عليه السلام وقال اخرجت على عليه السلام الى الناس حين خرج من ربه وكتبه فقال لهم هذا  
 كتاب الله كما انزل على محمد صلى الله عليه وآله وقد جمعت بين اللوحين فقالوا هذه اعندنا مصحف جامع فيه القرآن والحاشية لنا  
 فيه فقال ما والله ما قرأه بعد يومك وهذا ابدأ انما كان على ان اخرجكم حين جمعتهم فقرأوه وباسناده عن الزهري  
 قال دفع الى ابي الحسن عليه السلام مصحفاً وقال لا تنظر فيه ففتحه وقرأت فيه لم يكن الذي كرهنا فوجدت فيها اسم سبعين رجلاً  
 من خرافين باسماؤهم واسماء ابائهم قال حدثت ان ابنت التي ابنت التي ابنت وفي تفسيره انما نرى عن ابي جعفر عليه السلام قال لولا اني زيد  
 في كتاب الله ونقص ما خفي حقتنا على ذي حجب ولو قد علم قائلنا فنطق صدقة القرآن ويزرع ابي عبد الله عليه السلام  
 لو قرأ القرآن كما انزل لا لعيننا فيه مستهين ويزرع عليه السلام في القرآن ما مضى وما جردت وما هو كائن كانت في امارة  
 الرجال كالعقبت واما الاسم الواحد منه في بعض الاخصى يعرف لك الوصاة ويزرع عليه السلام ان القرآن قرأه من ابي  
 كثيرة ولم يرد فيه الا حرف قد اخطأت فيها الكتبة وتوهمها الرجال وروى الشيخ ابي علي بن ابي طالب الطبري في كتاب  
 غزاة كتاب الاحتجاج في حجة احتجاج امير المؤمنين عليه السلام على جماعة المهاجرين والاضار ان طلحة قال ابي عبد الله عليه السلام

الصفحة ١٨ من مخطوط نور التوفيق وكشف التدقيق/ المكتبة الوطنية الإيرانية.

ويمكن من خلال التدقيق والملاحظة مدى التطابق الكبير بين هذه المخطوطات من حيث الخط ولا سيما في عبارات مثل: صلى الله عليه وآله وغيرها. كما أن هناك مؤيداً آخر لكون هذه النسخة من خط المؤلف، وهي ما أشارت إليها موسوعة (فنخا) بقولها: (نظراً الى ما جاء في المقدمة الملحقة للنسخة، يُحتمل كتابة هذه النسخة بيد المؤلف، وهي نسخة الجزء الثاني من المجلد الأول لهذا الأثر الذي بدأ بدون أي مقدمة من تفسير الآية ١٤٣ سورة البقرة واستمر الى آخر التفسير، تجدر الإشارة إلى أن عبدالكريم بن علي محمد، وهو من أحفاد المؤلف كتب مقدمة بنفسه بسبب عدم اشتمال النسخة على مقدمة، ليوجد تنسيقاً بين مجلدات الأثر، وألحق تلك المقدمة إلى هذه النسخة وذكر في المقدمة أن كتابة النسخة تمت بيد



المؤلف<sup>(٢)</sup>، وما يؤيد ذلك أيضاً، أنَّ المقدّمة التي كتبها حفيد المؤلف يظهر فيها التفاوت في الخط مع باقي المخطوط وحتى مع المخطوطات الأخرى للمؤلف.



مقدمة الجزء الثاني ويظهر بوضوح اسم عبد الكريم بن الملا محمد علي ابن الملا محمد كاظم..

وعليه، فإنَّ هذه النسخة من النسخ المكتوبة بيد المؤلف وخطه، وهو ما يزيد اعتبارها ومكانتها، على أمل العثور على باقي الأجزاء ليتم انجاز هذا التفسير الكبير القيم.

(٢) فهرس فنخا للمخطوطات: مصطفى درايبي: ٨٠٢.

### ثانياً: وصف المخطوط

كُتِبَتْ هَذِهِ النُّسْخَةُ بِيَدِ الْمُؤَلِّفِ، وَبِخَطِّ النَّسْخِ وَهُوَ وَاضِحٌ وَجَمِيلٌ، وَبِمَدَادٍ أَسْوَدٍ، مَعَ اسْتِعْمَالِ الْمِدَادِ الْأَحْمَرِ فِي كِتَابَةِ آيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ مَوْضُوعَةِ التَّفْسِيرِ. وَقَدْ حَلَّتْ هَذِهِ النُّسْخَةُ مِنْ ذِكْرِ التَّأْرِيخِ الَّذِي كُتِبَتْ بِهِ. وَتَقَعُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ، عَدَدَ الْأَسْطُرِ فِي كُلِّ صَفْحَةٍ (٢٨) سَطْرًا، وَفِي كُلِّ سَطْرٍ مَا لَا يَقِلُّ عَنِ (١٨) كَلِمَةً. أَمَّا غِلَافُ الْمَخْطُوطِ: فَهُوَ تِيْمَاجٌ جِلْدٌ، ٢٧٠ غَرَامًا ج ١، ٢٧٢ غَرَامًا ج ٢، ١٧٨ غَرَامًا ج ٣. أَمَّا التَّصْحِيحُ وَرَمَزُ الْحَوَاشِي: فَهِيَ مُحَشَاةٌ وَمَرْمُوزٌ لِذَلِكَ بِكَلِمَةٍ (منه) (٣).

### ثالثاً: منهجية التحقيق

ارتكزت المنهجية التي سار عليها الباحث بإخراج المخطوطة بنقاط عدة يمكن حصرها بما يأتي:

١. صفّ كلمات المخطوط، ومن ثمّ المطابقة بين ما تمّ صفّه والمخطوط، وإثبات السقط، مع تصحيح الأخطاء الإملائية حال الصف.
٢. تثبيت أرقام صفحات المخطوط لتسهيل الرجوع إليها، والسقط والاختلاف في بعض الروايات والأقوال التي ينقلها المصنّف عن غيره من العلماء، وجعلها بين معقوفين [ ].
٣. العمل على ضبط النص من الناحية اللغوية، مع تصحيح لمواضع الخطأ، وإثبات موارد التصحيح في الهوامش .
٤. التمييز بين الآيات المُفسّرة والتي استشهدَ بها المصنّف في طيّات التفسير، بجعل الأولى بالخطّ الغامق، مضافاً لكتابة الآيات بالرسم القرآنيّ، وذكر مواضعها من القرآن في الهامش، وجعلها بين قوسين مزهرين ❁❁ .

(٣) ينظر: فهرس فنخا للمخطوطات: مصطفى درايبي: ٨٠١ - ٨٠٢.

٥- ردّ الأقوال العلميّة التي لم يصرّح المصنّف بمصادرها إلى مظانّها المتوقّعة من المصادر، والرجوع إلى المصادر المصّرح بها في طيّات التّفسير لإثبات الآراء العلميّة منها.

٦- الوقوف عند الأعلام وجملّة من الرّواة ممّن نكروا في المخطوط وترجمتهم ترجمة مقتضبة مع إثبات مصادر التّرجمة .

٧- بيان الكلمات الغامضة والمبهمّة في التّفسير من كتب المعاجم، مضافاً لإضافة وقفات وتعليقات للمواضع التي تستدعي المناقشة أو التّعليق .

٨- إثبات الأحاديث الشّريفة الواردة بالنّص دون النّقل بالمعنى ووضعه بين قوسي اقتباس " " ، تمييزاً لها عن غيرها، مع إثبات ما سقط من الأحاديث بين معقوفتين؛ إتماماً للحديث واستيفاءً لمعاني النّص الدّخيل في تفسير الآية، مع ضبط نصوصها، وبيان مواضعها من المصادر.

٩- الإشارة إلى مواضع التّصحيف بعد تحديدها، وذكر الصّحيح في الهامش.

١٠- التّعريف بالأماكن والبلدان، وكذلك بعض الحوادث، بالرجوع إلى المصادر المعنيّة بذلك.

١١- نسب القراءات القرآنيّة التي أوردها المؤلّف إلى قارئها، مع مراعاة تخريجها من المصادر باعتبار القَدَم الزّمنيّ.

١٢- تخريج الشّواهد الشعريّة والأمثال وأقوال العرب من مصادرها الخاصّة، مع مراعاة القَدَم الزّمنيّ فيها .

١٣- توثيق المسائل الخلافيّة وردّ الأقوال لأصحابها بجعلها بين قوسين كبيرين ( )، وبيان جملة من المسائل بشروحات العلماء عليها، وإثبات ذلك في الهامش .

١٤- تدعيم التّحقيق بالرجوع للعديد من المصادر سواء التّفسيريّة والكلاميّة والفلسفيّة واللغويّة، ومصادر الحديث وغيرها إثراءً للمادّة العلميّة في المخطوط.

١٥- هناك مجموعة من الرموز والاختصارات التي قد وردت في المخطوط، وبيانها كالآتي:

- تع: تعالي .

- ح: حينئذ، حال.

- فح: فحينئذ.
- ص: كتاب تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري.
- ق: كتاب القاموس المحيط، للفيروزآبادي.







بما قلنا تلك الترجمة التي هي الملقب بمولانا محسن الكاشي قدس سره ومن ثمرات تعلق العالم الرباني  
 عبدالمعالي محمد بن موسى طاب غواه وبتحقيقه الكتيب بما عيّن به عنها في المواضع المتأمة الله تعالى وحسنه بن الحسين  
 وكثير التحقيق وتذكر قبل الفروع في المقصود أربع عشرة مقدمة لا بد من معرفتها لمن أراد الخوض في معرفة المقصود فحينئذ عثر منها  
 هي ما ذكره صاحبنا في قدس سره وتحتف بشمار كل واحدة منها رؤوساً للاختصار **المقدمة الأولى** في بيان ما جاء من طريقه  
 صلى الله عليه وآله في الوصية التي استلمت الزمان وتقبله وهي محمد بن يعقوب في الثاني أسناده ومحمد بن سعد العياشي في تفسير أسناده عن الصادق  
 عليه السلام ما يبرهن أن نبينا محمد صلى الله عليه وآله هو رسول الله صلى الله عليه وآله في كل زمان وأما الناس فيكم في دار الدنيا وأنتم على ظهر سائر الدارين كما سرج  
 وقد يأتيكم الليل والنهار والشمس والقمر يلبان كل حين ويزبان كل حين وما بين كل موعود فاعلموا بالهياتي بعد  
 المهاد فإتمام المقادير السوء فقال يا رسول الله وما دار الدنيا فقال دار بلاغ وأخطار فإذا التفت عليك الفتن كقطع  
 الليل الظلم فليكن القرآن فانه شافع شافع شافع وما جعل صديقا ومن جعله آساة فاده الالهة ومن جعله حكمة فله سائر الآيات  
 وهو دليل يدل على سبيل وهو حقايق تفصيل وبيان ومفصل وهو الفصل وليس الجزل ولا طاهر فكل من ظهر منكم  
 وما ظهر منكم ظاهر ايقن وبالله عيق له فهمم وعلى نحو غير نحوكم لا تحصى عجائبه ولا تنجلي غرائبه فانه صاحب الحق  
 ومنازل العباد ودليل المعزولين عرف الصمد العياشي بأسناده عن الصادق الاخرة له خلفه من المؤمنين على الوفا عليهم  
 نقلت بالاسرار المؤمنين انا اذا كنا عندك سمعنا الذي نشهد به ويتناوذا آخر حياض عندك سمعنا انبياء مختلفة معونهم في كل  
 ما هي قال او قد فعلوا ما علمت نعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول انا خير من ابراهيم فقال يا محمد سمعته  
 في اممك فتنة قلت فما الفرج منها فقال كتاب الله فبها ان ما تبكم من خير وخير ما جعلكم فيكم ما يتكم وهو الفصل  
 ليس الجزل من ولي من جبار ومصل غيره فصر الله من العرش المهدي في غيره اشد الله وهو فصل اقول الميتين وهو  
 الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم لا يرفعه الا هو ولا يملكه الا الله ولا يخلق على البر ولا يتحقق عجايبه ولا  
 يتبع منه الحكمة هو الذي لم تلبس الجنة اذ سمعته ان قالوا انا سمعنا قرانا عجايبا يجرى الى الرشد من قال به صدق  
 ومن جعل ايمورا ومن اعنتهم به هدي الى الصراط المستقيم وهو الكتاب العزيز الذي لا يزيه الا اطل من بين يديه ولا يغيره  
 تنزل من حكيم حديد وبأسناده عن ابي عبد الله صلى الله عليه وآله قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان القرآن هدي من الضلال واليه  
 من العلى وبما استقال من العزة وفرد من الظلمة وضياء من الاضداد وعصمة من الملوك ورشد من الغواية وبيان  
 من الفتن وبلاغ من الدنيا الى الآخرة وفيه كمال دينكم وما عدل احد من القرآن الا الى النار العياشي بأسناده عن عليهم  
 قال عليكم بالقرآن ضاوية اية حيا بها من كان يتكلم فاحلوا به وما وجدتم من ما حلك بها من كان حلكم فاجتنبوا  
 وفيه قيل الامام ابو جعفر الذي عليه السلام صلى الله عليه وآله ان هذا القرآن هو التوراة الميمون والمجمل الميتين والقرآن  
 الوتقى والهدية العليا والشفقة الاثني والفضل الكبري والسعادة العظمى من استضافه برؤفة الله ومن عقده  
 اموره عصم الله ومن ملكه برأفة الله ومن لم يبارق احكامه رغبة الله ومن استثنى برشفاه الله ومن انزه  
 على ما سواه هذه الله ومن طلب الهدى في غيره اشد الله ومن جعله شطارة ودناره اسعة الله ومن جعله انا  
 يتدى بروعة الذي يتهي اليه اذاه الله الى حقان التعم والعيس السليم ذكافي اسناده عن ابي جعفر عليه السلام

ما هو في هذا الكتاب من  
 ما هو في هذا الكتاب من  
 ما هو في هذا الكتاب من

ند

توفيق

صفحة رقم (5) من الجزء الأول من المخطوط، وفيها ذكر المصنف اسم التفسير











# النُّصُّ الْمُحَقَّقُ

مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ إِلَى نِهَآيَةِ الْآيَةِ (١٠٣)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه أستمَدُّ وأستعينُ، الحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَدِيمِ الصَّمَدِ الْكَرِيمِ الَّذِي جَعَلَ الْأَشْيَاءَ أَلْسِنَةً نَاطِقَةً بِوَحْدَانِيَّتِهِ، وَأَدِلَّةً شَاهِدَةً بِفِرْدَانِيَّتِهِ، كَمَا شَهِدَ سُبْحَانَهُ لِنَفْسِهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، وَالصَّلَاةُ عَلَى نَبِيِّهِ الَّذِي أَرْسَلَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَأَنْزَلَ عَلَى قَلْبِهِ الرُّوحَ الْأَمِينَ، لِيَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، مُحَمَّدٍ الْمُسْتَطَابِ الْمَبْعُوثِ بِذَلِكَ الْكِتَابِ النَّاطِقِ بِالصَّوَابِ أَفْضَلِ مَنْ أُوتِيَ الْحِكْمَةَ وَقَفَّضَ الْخِطَابَ وَالْإِلَهَ الْبَرَّةَ الطَّيِّبِينَ وَعَثْرَتِهِ الْأَنْجَبِينَ سَيِّمًا أَخِيهِ وَوَصِيَّهُ الَّذِي جَعَلَهُ رِذَاءً لَهُ وَنَصِيرًا وَسَائِرَ أَهْلِ بَيْتِهِ الَّذِينَ أَذْهَبَ عَنْهُمْ الرَّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ فَيَقُولُ الْعَبْدُ الْمُسْتَضِيءُ بِنُورِ اللَّهِ الْبَاهِرِ، الْمُسِيءُ الْمَدْعُوُّ بِمُحْسِنِ بْنِ مُحَمَّدٍ طَاهِرِ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمَا وَعَنْ الْمُؤْمِنِينَ: لَمَّا فَرَعْتُ مِنْ تَفْسِيرِ سُورَتِي الْحَمْدِ وَالْبَقَرَةِ بِعَوْنِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَأْيِيدِهِ شَرَعْتُ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ وَأَسْتَمَدُّ مِنْهُ سُبْحَانَهُ الْمَعُونَةَ وَالتَّأْيِيدَ عَلَى إِيْتِمَامِ مَا بَقِيَ مِنَ الْقُرْآنِ.

سورة آل عمران

كُلُّهَا مَدَنِيَّةٌ، عَدَدَ آيَاتِهَا مَائَتَانِ عِنْدَ الْجَمِيعِ إِلَّا الشَّامِيَّ<sup>(١)</sup>، عَدَدَ الْكُوفِيِّ<sup>(٢)</sup> ﴿الْم﴾<sup>(٣)</sup> آيَةً وَالْإِنْجِيلِ الثَّانِي<sup>(٤)</sup> آيَةً، وَلَمْ يَعِدَّ ﴿وَأَنْزَلَ الْقُرْآنَ﴾<sup>(٤)</sup>، وَعَدَدَ الْبَصْرِيِّ<sup>(٥)</sup> ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي

(١) ومنه في حاشية الأصل: الشامي: عبد الله بن عامر.

(٢) عبد الله بن عامر اليحصبي إمام أهل الشام في القراءة، أخذ القراءة عرضاً عن أبي الدرداء، وعن المغيرة بن أبي شهاب، توفي ابن عامر سنة ثمانين عشرة ومائة)، معرفة القراء الكبار: الذهبي: ٤٦-٤٩ (بتصرف).

(٣) سورة آل عمران: الآية ١ .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾، سورة آل عمران: الآية ٤٨.

(٥) سورة آل عمران: من الآية ٤ .

إِسْرَائِيلَ ﴿١﴾ آيَةَ، وَعَدَّ الشَّامِيَّ وَأَبُو جَعْفَرٍ يَزِيدُ بْنُ الْقَعْقَاعِ الْمَدَنِيَّ ﴿٢﴾ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٣﴾ آيَةَ، وَلَمْ يَعِدَّ الشَّامِيَّ الْإِنْجِيلَ الْأَوَّلَ ﴿٤﴾، وَعَدَّ أَهْلَ الْحِجَازِ ﴿٥﴾ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴿٥﴾ آيَةَ، وَلَمْ يَعِدَّهُ أَبُو جَعْفَرٍ ﴿٦﴾. فَضْلُهَا:

نكر "الشيخ [أبو سعيد الجنائزي] ﴿٧﴾ المقرئ في كتابه في القراءات أخبرنا الإمام أبو بكر أحمد بن إبراهيم، والشيخ عبد الله بن محمد قالا: حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ شَرِيكَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ الْيَرْبُوعِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَامُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا هَارُونَ بْنُ كَثِيرٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي أَمَامَةَ، عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: مَنْ قَرَأَ سُورَةَ آلِ عِمْرَانَ أُعْطِيَ بِكُلِّ آيَةٍ مِنْهَا أَمَانًا عَلَى جَسَرٍ جَهَنَّمَ ﴿٨﴾. عَنْ "عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: مَنْ قَرَأَ سُورَةَ آلِ عِمْرَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَمَلَائِكَتُهُ حَتَّى تَجِبَّ الشَّمْسُ" ﴿٩﴾، وَرَوَى "بُرَيْدَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى

(١) سورة آل عمران: من الآية ٤٩ .

(٢) (أبو جعفر القارئ اسمه يزيد بن القعقاع مولى عبد الله بن عيَّاش بن أبي ربيعة المخزومي عتاقة من أهل المدينة وكان إمام أهلها في القراءات، يروي عن بن عمر، روى عنه مالك، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وقد قيل إنه مات في ولاية مروان الحمار)، الثقات: ابن حبان: ٥٤٣/٥ - ٥٤٤ .

(٣) سورة آل عمران: من الآية ٩٧ .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾، سورة آل عمران: الآية ٣.

(٥) سورة آل عمران: من الآية ٩٢ .

(٦) ينظر: البيان في عدّ آي القرآن: أبو عمرو الداني: ١٤٣، مجمع البيان: الطبرسي: ٢٣٢/٢ .

(٧) والصواب أبو الحسن الخبازي، وهو (علي بن محمد بن الحسن بن محمد أبو الحسن الخبازي الجرجاني، نزيل نيسابور وشيخ القراء بها، إمام ثقة، مؤلف محقق، ..توفي بنيسابور سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة في شوال)، غاية النهاية في طبقات القراء: ابن الجزري: ٥٧٧/١ - ٥٧٨ .

(٨) وهذا الحديث روي عن (أبي بكر بن أبي داؤد السجستاني، ثنا محمد بن عاصم، ثنا شباية بن سوار، ثنا مخلد بن عبد الواحد، عن علي بن زيد بن جدعان وعطاء بن أبي ميمونة، عن زر بن حبيش، عن أبي بن كعب، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، تخريج الأحاديث والآثار: الزبيعي: ٢٦٧/١ .

أما الإسناد الذي ورد في الأصل فلم نجد أنه روى هذا الحديث، وإنما حديث آخر هو (نكر الشيخ أبو الحسن الخبازي المقرئ في كتابه في القراءات: أخبرنا الإمام أبو بكر أحمد بن إبراهيم، والشيخ عبد الله بن محمد قالا: حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ شَرِيكَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ الْيَرْبُوعِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَامُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا هَارُونَ بْنُ كَثِيرٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي أَمَامَةَ، عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: أَيُّمَا مُسْلِمٍ قَرَأَ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ، أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ كَأَنَّمَا قَرَأَ ثَلَاثَةَ الْقُرْآنِ، وَأُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ كَأَنَّمَا تَصَدَّقَ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ)، مجمع البيان: الطبرسي: ٤٨/١ .

اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: تَعَلَّمُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَآلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا الزَّهْرَاوَانِ، وَأَنْهُمَا نُظْلَانِ صَاحِبَهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ غَيَابَتَانِ<sup>(١)</sup>، أَوْ فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَّافٍ<sup>(٢)</sup>.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ \* اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ \* نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ \* مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ \* إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ \* هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(٤)</sup>.

ست آياتٍ بالإجماع، إلا أن الكوفي عدَّ ﴿ألم﴾ آية، وترك ﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾، والباقون بالعكس من ذلك<sup>(٥)</sup>.

القراءة:

قرأ أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني<sup>(٦)</sup> والبرجمي<sup>(٧)</sup> عن أبي بكر<sup>(١)</sup> عن عاصم<sup>(٢)</sup> ﴿ألم \* الله﴾ بسكون الميم وقطع همزة الله بناءً على الأصل، والباقون موصولاً بالله

(١) المعجم الكبير: الطبراني: ٤٠/١١، الجامع الصغير: السيوطي: ٦٣٢/٢، أصل الحديث: روي "عن يزيد بن جابر الدمشقي، عن طاووس، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحب الشمس".

(٢) ومنه في حاشية الأصل (وغيابة كل شيء: ما سترت منه، ومنه غيايات الجب) [سورة يوسف: من الآيتين ١٠ و ١٥]، وغيايات الشجر، وتشدّد الياء: غروفه، القاموس المحيط: الفيروزآبادي: ١٢١/١.

(٣) سنن الدارمي: الدارمي: ٤٥٠/٢، المستدرک على الصحيحين: الحاكم النيسابوري: ٥٦٠/١، شعب الإيمان: البيهقي: ٣٤٤/٢.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٦-١.

(٥) ينظر: مجمع البيان: الطبرسي: ٢٣٢/٢.

(٦) (وأبو جعفر هو المخزومي، يزيد بن القعقاع المدني القارئ، أحد القراء العشرة أي ثلاثة بعد السبعة، وهو تابعي مشهور جليل القدر، ومن رواته نافع أحد السبعة، وكان إمام أهل المدينة في القراءة فسمي القارئ بذلك، ويقول ابن الجزري في قراءته: «والعجب ممن يطعن في هذه القراءة أو يجعلها من الشواذ، وهي لم يكن بينها وبين غيرها من السبع فرق كما بيناه في كتابنا المنجد» وتوفي سنة ١٣٠ هـ في أرجح الأقوال)، الحجة للقراء السبعة: أبو علي الفارسي ١/١١، وانظر: معرفة القراء الكبار: الذهبي: ٤٠ - ٤٢.

(٧) (عبد الحميد بن صالح، أبو صالح البزجمي الكوفي المقرئ، توفي ٢٣٠ هـ، قرأ على: أبي بكر بن عياش، وعلى أبي يوسف الأعشى، قرأ عليه جعفر بن عنبسة، وإسماعيل بن علي الخياط، وكان يوم بمسجد بني شيطان)، تاريخ الإسلام: الذهبي: ٦١٤/٥.



مع فتح الميم، وقُرئ في الشواذ بكسر الميم، وقُرئ القِيَام عن ابن مسعود وإبراهيم<sup>(٣)</sup> والأعمش<sup>(٤)</sup> وزيد بن عليّ عن الحسن وجعفر بن محمد الصادق عن النبيّ، وقُرأ أبو عمرو<sup>(٥)</sup> وابنُ ذكوان<sup>(٦)</sup> والكسائي<sup>(٧)</sup> التّوراة بالإمالة في جميع القرآن<sup>(٨)</sup>، وقُرأ نافع<sup>(٩)</sup> وحزمة<sup>(١٠)</sup> بين اللفظين، وقُرأ الباقر بالفتح في الجميع من غير إمالة، وقُرئ الأنجيل بفتح الهمزة<sup>(١١)</sup>.

(١) (هو أبو بكر شعبة بن عياش بن سالم الحنات الأسيدي الكوفي، الإمام العلم، راوي عاصم، وكان من أئمة السنة أيضاً، توفي سنة ١٩٣هـ)، المصدر نفسه: ١٧٧/١ .

(٢) (هو عاصم بن أبي النّجود، ويقال له: ابن بهدلة، ويكنى: أبا بكر، وهو من التابعين، وتوفي بالكوفة سنة ثمان، وقيل: سنة سبع وعشرين ومائة)، الحجة في القراءات السبعة: ابن خالويه: ٦١ .

(٣) (أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي، اليماني ثم الكوفي، أحد الأعلام، وكان بصيراً بعلم ابن مسعود، واسع الرواية، فقيه النفس، كبير الشأن، كثير المحاسن، كان مفتي أهل الكوفة، مات سنة ست وتسعين)، إمتاع الأسماع: المقرئزي: ٣٠٧/٤، بتصريف يسير .

(٤) (أبو محمد سليمان بن مهران الأعمش الكاهليّ، مقرئ ومحدّث كوفي، ت ١٤٨هـ، وقُرأ الأعمش على أبي محمد يحيى بن وثاب الأسيدي)، الكنز في القراءات العشر: أبو محمد الواسطي: ١٥٦/١ .

(٥) (أبو عمرو بن العلاء بن عمّار بن عبد الملك بن الحصين بن الحرث بن جلهم بن خزاعي بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، وقيل: اسمه زيان. وقيل: العريان، وقيل: غير ذلك، وتوفي بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة)، الحجة في القراءات السبعة: ابن خالويه: ٦١ .

(٦) (هو عبد الله بن أحمد بن بشير بن نكوان القرشي الدمشقي، وكنيته أبو عمرو، أخذ قراءة ابن عامر عن أيوب بن تميم التميمي عن يحيى بن الحارث الذماري عن ابن عامر، انتهت إليه مشيخة الإقراء بعد أيوب بن تميم، قال أبو زرعة الحافظ الدمشقي: لم يكن بالعراق ولا بالحجاز ولا بالشام ولا بمصر لا بخرسان في زمان ابن ذكوان أقرأ عنده منه، وتوفي في شوال سنة اثنتين وأربعين ومائتين على الصواب، مولده يوم عاشوراء سنة ثلاث وسبعين ومائة)، المكرر في ما تواتر: النّشأ: ٢٢ .

(٧) (الكسائي: علي بن حمزة النحوي مولي لبني أسد، ويكنى: أبا الحسن، وقيل له الكسائي: لأنه أحرم في كساء، توفي سنة تسع وثمانين ومائة)، الحجة في القراءات السبعة: ابن خالويه: ٦١ .

(٨) ينظر: غيث النفع في القراءات السبع: الصفاقسي: ١٣٣ .

(٩) (نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم، أصله من أصبهان، ويكنى: أبا رؤيم، وقيل: أبا الحسن، وقيل: أبا عبد الرحمن، وتوفي بالمدينة سنة تسع وستين ومائة)، المصدر نفسه: ٦١ .

(١٠) (هو حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات التميمي مولى عكرمة بن ربيعي التيمي وكنيته أبو عمارة، قرأ على أبي محمد سليمان بن مهران الأعمش، وقُرأ الأعمش على أبي محمد يحيى بن وثاب الأسيدي، وقُرأ يحيى على أبي شبل علقمة ابن قيس، وقُرأ علقمة على عبد الله بن مسعود، وقُرأ بن مسعود على رسول الله ص، وتوفي حمزة سنة ست وخمسين ومائة على الصواب، ومولده سنة ثمانين)، المكرر في ما تواتر: النّشأ: ٢٣ - ٢٤ .

(١١) ينظر: مجمع البيان: الطبرسي: ٢٣٢/٢ .

## الحجّة:

إعلم أولاً أنّ التقاء الساكنين يُعْتَقَرُ في الوَقْفِ مطلقاً وفي المدغم قبله لين نحو خُوَيْصَةَ، ولا الضالّين، والجآن، وتُمُوْدُ الثّوب، وفي أسماء حروف التهجّي من نحو: جيمٌ والصاد ضاد، عين، قاف كاف إلى آخرها ممّا بُنِيَ لعدم التركيب مع العامل وفقاً ووصلاً وكذا فيما يُعَدَّدُ من الأسماء تعديداً من غير تركيبٍ نحو: عماد زيد سعيد ثمود ونحوها، أمّا في المدغم قبله لينٌ فظاهرٌ وعلى حدّه.

## ذكر مسمّى حروف الهجاء:

وأما الثاني أعني: أسماء حروف التهجّي فهي موضوعة على الوقف وهو مغتفرٌ فيه؛ لأنّ الواضع وضعها ليُعَلِّمَ بها الصبيان أو من يجري مجراهم من الجهّال صُورَ ذوات حروف الهجاء فَسَمَّى كلَّ واحد منها باسمٍ أوّله مُسَمّى ذلك الحرف؛ حتّى يقول الصبيُّ ألف مثلاً وَيَقْفُ هُنَيْهَةً قَدَرَ ما يميّزها عن غيرها ثمّ باء تاء تاء جيم وهكذا إلى آخرها فلا ترى ساكنين ملتقيين في هذه الأسماء إلاّ وأولهما حرفٌ لينٌ من نحو: باء تاء تاء جيم حاء خاء دال نون عين سين إلى آخرها إلاّ الألف<sup>(١)</sup>، وكذا الأصوات من نحو قوس وطيح وعيط وشيب وماء وغاق ونحوها الوقف فيها [١] وضعي؛ لأنّها لم توضع لقصدِ التركيب مع العامل.

وأما الثالث أعني: الأسماء المعدودة فليس الوقف فيها بنظر الواضع بل يطرأ ذلك في حال الاستعمال والتّعديد فَيُعْتَقَرُ التقاء الساكنين في هذين القسمين وفقاً ووصلاً لعدم مقتضى الإعراب وهو التركيب مع العامل وكذا أسماء العدد حال التّعديد، نحو: واحد اثنان ثلاث خمس ست سبع ثمان، ثمّ إن كان غير تلك المراتب الثلاث وكان أوّل الساكنين مدّة فحذفت المدّة؛ لالتقاء الساكنين نحو: خَفَ قُلْ بَعِ وَتَخَشَيْنَ وَنَحْوَهَا، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أوّلها مدّةً حُرِّكَ الأوّل، نَحْوُ: اذْهَبْ اذْهَبْ وَلَمْ أُبَلِّهُ وَ﴿آلَمْ \* اللهُ﴾ وَاخْشَوْا اللهُ وَاخْشَى اللهُ<sup>(٢)</sup>، إذا عرف ذلك. فاعلم أنّ في نحو: ﴿آلَمْ \* اللهُ﴾ اجتمع ثلاث سواكن في ميم الله الياء والميم الأخيرة واللام الأولى من (الله) لسقوط همزة الوصل في الدرج فحرّك الميم الأخيرة؛ ليزول اجتماع الساكنين الأخيرين غير المغتفر، والساكن الثاني قابل للتّحريك.

(١) ومنه في حاشية الأصل: فإنّه لم يلتق فيه ساكنان .

(٢) ينظر: المفصل في صناعة الإعراب: الزمخشري: ٤٣٩/١، الشافية في علم التصريف: ابن الحاجب: ٥٧/١ .

وأما اجتماع الساكنين في لام ميم، ولام ميم صاد وغيرها من حروف التهجي فهو مغتفر بالنسبة إلى أنفسهم كحم عسق كهيعص صرح بذلك جمهور الصّرفيين وكذا الزمخشري في المفصل<sup>(١)</sup> وهو الأصحّ، و(قال أبو علي: إتفق الجميع على إسقاط الألف الموصولة واسم الله تعالى [والميم ساكنة]<sup>(٢)</sup>)، كما أنّ سائر حروف التهجي مبنية على الوقف فلما انتقت الميم الساكنة، ولام التعريف حرّكت الميم بالفتح [لأجل الساكن]<sup>(٣)</sup>، الثالث الذي هو لام المعرفة والدليل على أن التّحريك لأجل الساكن الثالث، وهو مذهب سيّويه<sup>(٤)</sup> أنّ حُرُوفَ التَّهْجِي يَجْتَمِعُ فِيهَا سَاكِنَانِ نَحْوَ حَمِ عَسَقٍ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْوَقْفِ كَمَا أَنَّ أَسْمَاءَ الْعَدَدِ كَذَلِكَ [نحو واحد اثنان ثلاث]<sup>(٥)</sup> فحرّكت الميم؛ لِأَجْلِ السَّاكِنِ الثَّلَاثِ بِالْفَتْحِ، كَمَا حَرَّكَتِ النَّونُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ اللَّهُ﴾ بِالْفَتْحِ لِانْتِقَاءِ السَّاكِنِينَ<sup>(٦)</sup> انتهى.

لكن الزمخشري قال في الكشاف: وأما (الم الله) فإنما فُتِحَ احترازاً عن توالي الكسرتين والياء، وأما فتحتهما في حركة الهمزة أُلقيت عليها حين أسقطت لتدلّ عليها يعني لتدلّ الفتحة على أنّ الهمزة المحذوفة في حكم الثابتة<sup>(٧)</sup>، وهو الذي ذكره في الكشاف احتمال ضعيف منقوض بنحو ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُعْزِرْ لَهُمْ﴾<sup>(٨)</sup>، وب﴿الم \* الله﴾ في قول من قرأ بكسر الميم<sup>(٩)</sup>، إذا عرفت ذلك ففي قول البيضاوي آخذاً من الكشاف في قوله تعالى: ﴿الم \* الله﴾، (إنما فُتِحَ في الميم المشهور وكان حقاً أن يوقف عليها؛ لالقاء حركة الهمزة عليها لتدلّ على أنّها في حكم الثابت؛ لأنها أسقطت للتخفيف لا للدرج، فإنّ الميم في حكم الوقف كقولهم: واحد اثنان لا لالتقاء الساكنين، فاته غير محذور في باب الوقف ولذلك لم يُحرّك في لام قبلها<sup>(١٠)</sup>) انتهى.

(١) ينظر: المفصل في صنعة الإعراب: الزمخشري: ٤٩٧/١ .

(٢) في المصدر: دل على أن الميم ساكنة .

(٣) في المصدر: للساكن .

(٤) ينظر: الكتاب: سيويه: ١٥٣/٤ .

(٥) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٦) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٣٣/٢ .

(٧) ينظر: تفسير الكشاف: الزمخشري: ٣٣٥/١ .

(٨) سورة النساء: الآية ١٣٧، و١٦٨ .

(٩) ينظر: شرح طيبة النشر: النويري: ٢٣١/٢ .

(١٠) في المصدر: لم تحرك الميم في لام .

ثلاث حزازات<sup>(٢)</sup> تعلمها أنت ممّا ذكرناه ويردّ عليه التّقصّ المذكور أيضاً جذعة، وأمّا من قرأ الم الله بكسر الهمزة فلأجل الهرب من اجتماع الساكنين أيضاً كما هو الأصل؛ لأنّ الأصل فيها حُرْكَ منهما أن يحرك بالكسر؛ لأنّ الكسر أعرق في البناء من اختيها؛ لأنّهما تكونان في الأفعال والأسماء، والكسر لا يكون في الأسماء كما صرّحوا به قاطبة حتى الزمخشري أيضاً، فقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ﴾ بكسر النون على الأصل أيضاً وأمّا ﴿ألم﴾ \* الله ﴿بفتح الميم؛ لأنّها أخف الحركات فقول البيضاوي: (وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين)<sup>(٣)</sup>، انتهى، فليس بسديد.

وأما قراءة أبي جعفر والبرجمي ألم ساكنة الميم وقطع الهمزة من الله<sup>(٤)</sup>، فهي على الأصل بأن يقفوا على الميم ثمّ ابتدؤوا بما بعدها سيّما على قول الكوفيين حيث عدّوا الم آيةً وأمّا القيام فهو أيضاً صفة على وزن فيعال من قام يقوم كقيام فإنه أيضاً فيعولّ منه كديار وديور أصلها قيوام قيوم اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء<sup>(٥)</sup> وأدغمت كما هي القاعدة المطردة، وأمّا قراءة الإنجيل مفتوحة الهمزة وهو مثالّ معدوم التّظير في كلام العرب فهو أعجمي وعلى القراءة المشهورة مكسورة الهمزة يكون نظيره موجوداً في كلامهم كإبريق فهو عربي من: نجل ينجل: إذا استتبع واستخرج، هو على الوجهين يحتمل كونه عربياً أيضاً ففتح الهمزة شاذ وكونه أعجمياً أيضاً فلا شذوذ وكذا التوراة تحتمل العربية والعجمية بخلاف لفظي القرآن والفرقان فانهما عربيان.

## اللغة:

- (١) أنوار التنزيل: البيضاوي: ٥/٢، والرأي للزمخشري، أنظر: الكشاف: ٤١٠/١، مع اختلاف يسير في العبارة .
- (٢) الحزازات: (يعني ما حرّ في القلب وحك)، لسان العرب: ابن منظور: ٣٣٦/٥، مادة حَزَز .
- (٣) أنوار التنزيل: البيضاوي: ٥/٢ .
- (٤) ينظر: المبسوط في القراءات العشر: ابن مهران: ١٦٠ .
- (٥) ينظر: مجمع البيان: الطبرسي: ١٥٧/٢ .

التّوراة على تقدير كونها عربيةً فوعلةً كعوسجةٍ، من وَرَى الزّند: إذا قَدَحَ وَظَهَرَتِ نازُهُ، أصلُها وَوَرِيَّةٌ قلبت الياء التي هي لَامُ الكلمة أَلْفًا، ثمَّ أُبْدِلَت الواو الأولى التي هي فاء الكلمة تاءً كما في تراث وتجاه وتخمّة<sup>(١)</sup> والتّكلان من الوراثة والوجه والوخامة والوكّل.

### ذكر إمالة التوراة:

وأما إمالتها فهي قاعدةٌ مطّردةٌ في الألف المتطرّفة المنقلبة عن الياء، أو الألف الصّائرة ياء في التثنية، وجمع المؤنث بالألف والتّاء، سواء كان فعلاً أو اسماً، وسواء كان ذلك الاسم مجرداً عن التّاء أو مقروناً بها، نحو: رمى واشترى وفتى وفتاة وحصا وحصاة ودعا وحُبلى ومتى، أو منقلبة عن الواو رابعة أو خامسة أو سادسة، نحو: أعطى واصطفى واستدعى والمعطى والمصطفى والمستدعى والمعطاة إلخ، وليست الإمالة لغة جميع العرب فإنّ أهل الحجاز لا يميلون، وأحرص الناس عليها بنو تميم - كما بينت في علم الصرف - مع تفضيل الإمالة، ولقد ذكرناها مفصّلاً في شرحنا المسمّى [٢] بتوشيحٍ في شرحِ نَظْمِ الشافية الحاجبيّة.

### ذكر الإمالة لغةً واصطلاحاً على سبيل الإجمال:

والإمالة لغةً ظاهرةٌ وأما اصطلاحاً فهي أن تُنْحِي وتَقْصِدَ الفتحَةَ وتُؤَمِّلُهَا نحوَ الكسرةِ وجانبها<sup>(٢)</sup>؛ ليتجانسَ صوت نُطْقِكَ بالفتحة لصوتِ نطقِكَ بالكسرة قبلها أو بالياء قبلها فتشمل إمالة الفتحه قبل الألفِ فتميل الألف نحو: الياء وإمالة الفتحه قبل هاء التأنيث إلى الكسرة كما في نحو رَحْمَةٍ، وإمالة الفتحه قبل الراء نحو: الكسرة نحو: ﴿مِنَ الْكَبِيرِ﴾<sup>(٣)</sup>، و﴿أُولِي الضَّرَرِ﴾<sup>(٤)</sup>؛ إذ يلزم من إمالة فتحه قبل الألف نحو: الكسرة إمالة الألف نحو: الياء؛ لأن الألف المحض لا يكون إلا بعد الفتح المحض.

### ذكر الإمالة وبين اللفظين:

- (١) ينظر: لسان العرب: ابن منظر: ٣٨٨/١٥، مادة وري .  
 (٢) ينظر: شرح الشافية: رضي الدين الاسترآبادي: ٤/٣، لسان العرب: ابن منظور: ٥١٢/١ .  
 (٣) سورة مريم: الآية ٨ .  
 (٤) سورة النساء: الآية ٩٥ .

وإنما تُسمّى إمالةً إذا بولغَ في إمالةِ الفتحِ نحو الكسرة، وأمّا إذا لم يبالغ فيها فإنه يسمّى بين اللفظين وترقيقاً ولا يكون الترقيقُ إلّا في الفتحة التي قبل الألف وتكون الإمالة في الألفاظ العربية والعجميّة.

### ذكر أسباب الإمالة وموانعها على الإجمال:

وللإمالة أسباب وموانع فسببُ إمالةِ الألفِ قصدُ المناسبةِ لأحدِ الأشياءِ السبعة فأسبابُ الإمالةِ سبعة:

أحدها: الكسرة التي تقربُ الألف سواء كانتِ الكسرة قبل الألف أو بعدها.  
وثانيها: الياء التي تقربُ الألف.

وثالثها: كونُ الألفِ منقلبةً عن واوٍ مكسورةٍ كما في خاف.

ورابعها: كونُ الألفِ منقلبةً عن ياءٍ مطلقاً سواء كانتِ مكسورةً، نحو: هاب، أو لا، نحو: ناب.

وخامسها: كونُ الألفِ صائرةً ياءً مفتوحةً في موضعٍ، نحو: دَعَا وَحُبَلَى وَالْعُلَى.

وسادسها: رعايةُ الفواصل كما في ﴿وَالضُّحَى \* وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾<sup>(١)</sup> إلى آخرها، وكما في ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾<sup>(٢)</sup>.

وسابعها: رعاية الإمالة التي قبلها أو بعدها كما في نحو رأيتُ عماداً وكذا يُقرأ فأمالوا ألف التتوين في الوقف في رأيتُ عماداً لألفٍ ممالاةٍ قبلها وقرى اليتامى والنصارى بأمالة الألف الأولى؛ لأجل الألف الثانية التي سببها وقوعها خامسةً.

وأمّا موانع الأسباب ثمانية: الأحرف السبعة الاستعلائية، وهي: ما يرتفع بها اللسان إلى الحنك الأعلى عند النطق بها، وهي: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والغين والخاء المعجمتين، والقاف، والثامن الراء غير المكسورة سواء كانت مضمومة أو مفتوحة، بخلاف الراء المكسورة فإنها تغلب تلك الموانع الثماني كل ذلك مع شرائطها المقررة في علم التصريف وهذا القدر كافٍ هنا فلنرجع إلى ما كنّا فيه من اشتقاق التورية، من: وري الزند:

(١) سورة الضحى: الآية ١-٢.

(٢) سورة الشمس: الآية ١.

إذا فتح وظهرت ناره، سميت التورية بها؛ لأنه يظهر منها الحلال والحرام والشرائع والأحكام ظهور النار على اليفاع<sup>(١)</sup>.

والإنجيل على تقدير عربيته، من: نجل ينجل: إذا وسع وبان واستخرج وأصل، وفرع يقال: عين نجلاء وطعنة نجلاء: إذا وسعتا، فكأنه قد وسع عليهم في الإنجيل ما ضيق على أهل التوراة أو ما يكون فيه من الأحكام أكثر، ونجل الرجل ولده؛ لان يستخرج من صلب بطن أمه وقال علي ابن عيسى: النجل: الأصل، فكأن الإنجيل أصل من أصول العلم، وقال غيره: النجل الفرع ومنه يقال للولد نجل، فكأن الإنجيل فرع على التوراة يستخرج منها، أو جاء على اثره وتابعه<sup>(٢)</sup>، وعلى تقدير عجميتهما لا يحتاجان إلى تلك التكاليف والانتقام مجازة للمسيء على إساءته .

والنقم: عقوبة المجرم وفعله نقم ينقم من أبي ضرب وعلم<sup>(٣)</sup>، والتصوير: جعل الشيء على صورة لم يكن عليها قبل، والصورة هيئة يكون عليها الشيء بالتأليف من صاره يصوره: إذا ماله؛ لأنها مائله إلى هيئته بالشبه<sup>(٤)</sup>، والأرحام جمع رحم مأخوذة من الرحمة؛ لأنها مما يتراحم ويتعاطف<sup>(٥)</sup>.

### معنى المشيئة

والمشيئة هنا: هي القدر المشترك بين الخصال الأربع وهو التقدير مطلقاً سواء كان مشيئة أو إرادة أو قدراً أو قضاءً .

### الإعراب:

إعراب ﴿آلم﴾ وعدمه قد مرّ في أول سورة البقرة وإعراب كلمة التوحيد كذلك قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ حال من الكتاب والباء للملابسة و﴿مُصَدِّقًا﴾ أيضاً حال منه، و﴿لِمَا﴾ متعلق به، و﴿هُدًى﴾ إمّا منصوب على أنه مفعول له فهو تعليل لانزال القرآن والتوراة والإنجيل جميعاً أو للأخيرين، أو على الحالية من التوراة والإنجيل، أي: هاديين، أو للثلاثة جميعاً، أي: هاديات، وإمّا مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، أي: هُما هُدى أي هاديان،

(١) اليفاع: (هُوَ التَّلُّ الْمُشْرِيفُ، وَقِيلَ: هُوَ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ)، لسان العرب: ابن منظور: ٤١٤/٨، مادة يفع .

(٢) ينظر: الصحاح: الجوهري: ١٨٢٥/٥، مادة نجل، لسان العرب: ابن منظور: ٦٤٦/١١ - ٦٤٨، مادة نجل .

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٥٩٠/١٢، مادة نقم .

(٤) ينظر: الصحاح: الجوهري: ٧١٧/٢، مادة صور .

(٥) ينظر: مختار الصحاح: الرازي: ١٢٠، مادة رحم .



أَوْ جَمِيعُهَا هُدًى، وَالْآيَاتَانِ بِالْمُضَدِّ عَلَى طَرِيقِ الْمُبَالَغَةِ كَقَوْلِهِمْ: زَيْدٌ عَدْلٌ، وَقَوْلُ الْخَنَسَاءِ: (فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ)<sup>(١)</sup>، وَجُمْلَةٌ ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ خَبَرٌ إِنَّ، وَقَدْ مَرَّ أَنَّهُ يَجُوزُ فِي أَمْثَالِ ذَلِكَ الْإِتْيَانُ بِالْفَاءِ وَعَدَمُهُ.

### النزول :

في المجمع (عن الكلبي ومحمد بن إسحاق والربيع بن أنس: نزلت أوائل السورة<sup>(٢)</sup>) إلى نيف وثمانين آية في وفد نجران، وكانوا ستين راكبا، قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وفيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم، وفي الأربعة عشر ثلاثة نفرٍ إليهم يؤل أمرهم، العاقب أمير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون إلا عن رأيه، واسمه عبد المسيح والسَّيِّدُ ثمالهم<sup>(٣)</sup> وصاحب رحلهم، واسمه الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة أسقفهم وحبرهم وإمامهم وصاحب مدارسهم، وكان قد شرف فيهم ودرَسَ كُتُبَهُمْ، وكانت ملوك الروم قد شرفوه [٣] ومولوه وبنوا له الكنائس لعلمه واجتهاده، فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة ودخلوا مسجده حين صلى العصر، عليهم ثيابُ الحبرات: جُبَّبٌ وأرديةٌ في جمال لحرث بن كعب، يقول بعض من رآهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله: ما رأينا وفداً مثلهم، وقد حانت صلاتهم، فأقبلوا يضربون بالناقوس، وقاموا فصلوا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالت الصحابة: يا رسول الله هذا في مسجدك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: دعوهم، فصلوا إلى المشرق، فكلم السَّيِّدُ والعاقب رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وآله: أسلما، قالوا: قد أسلما قبلك، قال: كذبتما يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير، قالوا إن لم يكن ولد الله فمن أبوه؟ فخاصموه جميعاً في عيسى عليه السلام، فقال لهما النبي صلى الله عليه وآله: أستم تعلمون أنه لا يكون ولدٌ إلا ويشبه أباه؟ قالوا: بلى، قال: أستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت وأن عيسى يأتيه الفناء؟ قالوا: بلى، قال: أستم تعلمون أن ربنا قيِّم على كل شيء ويحفظه ويرزقه؟ قالوا: بلى، قال: فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً؟ قالوا: لا، قال:

(١) ديوان الخنساء: الخنساء: ٤٦، والبيت من البسيط، من قصيدة لها في رثاء أخيها صخر، وصدرة: (تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ، حَتَّى إِذَا اذْكَرَتْ).

(٢) ومنه في حاشية الأصل: أي: سورة آل عمران .

(٣) ومنه في حاشية الأصل: الثمال (ككتاب: الغياث الذي يقوم بأمر قومه)، القاموس المحيط: الفيروزآبادي: ٩٧٣، مادة الثملة.

ألستم تعلمون أنّ الله لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء؟ قالوا: بلى، قال: فهل يعلم عيسى من ذلك إلا ما علّم؟ قالوا: لا، قال: فإنّ ربنا صوّر عيسى في الرحم كيف شاء، وربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث قالوا: بلى، قال: ألستم تعلمون أنّ عيسى حملته أمّه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذي كما يغذي الصبيّ ثمّ كان يطعم ويشرب ويُحدّث؟ قالوا: بلى، قال فكيف يكون هذا كما زعمتم؟ فسكتوا فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم سورة آل عمران إلى بضعِ وثمانين آيةً<sup>(١)</sup> انتهى.

### المعنى:

﴿آلم﴾ قد مضى الكلام فيه ومحلّه وفي معناه من الوجوه المتكرّرة في أول سورة البقرة فليرجع إليه وفي معاني الأخبار بإسناده إلى سُفيان بن سعيد الثوريّ عن الصادق عليه السلام في حديثٍ طويلٍ يقولُ فيه: "وأما ﴿آلم﴾ في أول آل عمران فمعناه أنا الله المجيد"<sup>(٢)</sup>، ﴿الله لا إله إلا الله الحي القيوم﴾ قد مضى تفسيره في آية الكرسيّ وأقول هنا أيضاً الحيّ هو العالم المتعال المدرك وهو الحيّ بنفسه لا يجوز عليه الموت والفناء وليس بمحتاجٍ إلى حياةٍ بها يحيى والقيوم هو القائم الدائم بذاته بلا زوالٍ به قيامٌ كل موجودٍ في إيجاده وتدبيره وحفظه وأرزاقه وأجاله وأعماله وقيم كل شيءٍ بالرعاية والاصلاح والعالم بأمورهم ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾<sup>(٣)</sup>، وكذلك القيام، وفي المجمع (وروي عن ابن عباس أنّه قال: الحيّ القيوم اسم الله الأعظم وهو الذي دعا به أصف بن برخيا صاحب سليمان عليه السلام في حمل عرش بلقيس من سبأ إلى سليمان عليه السلام قبل أن يرتدّ إليه طرفه)<sup>(٤)</sup>.

وفي أنوار التنزيل روى أنّه عليه الصلاة والسلام قال: إنّ اسم الله الأعظم في ثلاث سورٍ، في سورة البقرة: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾<sup>(٥)</sup>، وفي آل عمران ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾<sup>(٦)</sup>، وفي طه ﴿وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾<sup>(٧)</sup>، فيفهم من رواية ابن عباس وآخر

(١) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٣٤/٢ - ٢٣٥ .

(٢) معاني الأخبار: الصدوق: ٢٢/١ ح .

(٣) سورة الرعد: الآية ٣٣ .

(٤) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٣٥/٢ .

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٥٥ .

(٦) سورة آل عمران: الآية ٢ .

هذه الرواية أنّ اسم الله الأعظم الحيّ القيوم لا كلمة التوحيد، ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ﴾ يا محمد، ﴿الكِتَابَ﴾ القرآن جملةً واحدةً أولاً إلى البيت المعمور ثم عليك نُجوماً في عشرين سنةً، ﴿بِالْحَقِّ﴾ حال كون ذلك الكتاب مُتَلَبِّساً بِالْعَدْلِ أو بِالْحِكْمَةِ الْمُقْتَضِيَةِ لِتَنْزِيلِهِ ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾<sup>(٣)</sup>، أو بالصدق في إخباره أو بالحجج المحققة أنّه من عند الله لا ريب في ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾<sup>(٤)</sup>، أي لما قبله من الكُتُبِ المائة والثلاثة والأنبياء والرسل فإنه يُخبرُ بصدق ما أُوتوا به من الكُتُبِ جميعاً ولا يكون مصدقاً لبعضٍ دون بعضٍ.

### دلالة الآية:

قال في المجمع (وفيه دلالة على صحّة نبوته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ لَا يَكُونُ ذَلِكَ كَذَلِكَ إِلَّا وَهُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَلَامُ الْغُيُوبِ)<sup>(٥)</sup>.

### ذكر نكت وصف القرآن بالكتاب:

وإنّما وُصِفَ الْقُرْآنُ بِالْكِتَابِ؛ لِئُفِيدَ أَنَّ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُكْتَبَ فِي الدَّفَاتِرِ وَفِي صُحُفِ الْخَوَاطِرِ لِيَقُومَ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ؛ لِعَدَمِ مَجِيءِ النَّاسِخِ لِاسْتِمْرَارِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلِيُؤَدِّنَ أَنَّهُ مَتَّفِقٌ الْآيَاتِ وَالسُّورِ وَأُنزِلَتْ فِي غَيْرِ الْأَلْوَاحِ وَالصُّحُفِ وَالْوَرَقِ بِخِلَافِ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ كَمَا يَأْتِي فِي الْخَبَرِ وَلِيُشِيرَ أَنَّ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَفْضَلُ وَأَذْكَى وَأَعْرَفُ مِنْ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ﴾ على موسى عليه السلام، ﴿وَالْإِنْجِيلَ﴾ على عيسى عليه السلام، ﴿مِنْ قَبْلِ﴾ أي من قبل تنزيل القرآن على محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

### ذكر نكتة التنزيل والإنزال وتزييفها:

قيل إنّما قال نَزَلَ الْكِتَابَ عَلَى التَّفْعِيلِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ عَلَى الْأَفْعَالِ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ نُجُوماً، وَالْكِتَابَانِ، أَي: التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ، جَمَلَةً دَفْعَةً<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة طه: الآية ١١١ .

(٢) أنوار التنزيل: البيضاوي: ٥/٢ .

(٣) سورة الإسراء: الآية ١٠٥ .

(٤) سورة الصف: الآية ٦ .

(٥) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٣٥/٢ .

(٦) ينظر: الكشاف: الزمخشري: ٢٢٧/١، أنوار التنزيل: البيضاوي: ٥/٢ .

### خدشة على الزمخشري والبيضاوي ومن يحذو حذوهما:

أقول هذه النكتة غير مطردة بل لا مساغ لها؛ لأنه سبحانه قال: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ [٤] عَلَيَّ نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ﴾<sup>(٢)</sup> الآية، وقال تعالى: ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾<sup>(٤)</sup>، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾<sup>(٥)</sup> الآية، وقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾<sup>(٦)</sup>، ومعلوم أن إنزال القرآن إليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي عَشْرِينَ سَنَةً وَمَعَ ذَلِكَ قَالَ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾، وغير ذلك من الآيات المذكورة.

### تحقيق مقام:

وفي الكافي "عَنْ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾، وَإِنَّمَا أُنزِلَ فِي عَشْرِينَ سَنَةً بَيْنَ أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: نَزَلَ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً فِي شَهْرِ رَمَضَانَ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، ثُمَّ نَزَلَ فِي طُولِ عَشْرِينَ سَنَةً، ثُمَّ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: نَزَلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَأُنزِلَتِ التَّوْرَةُ لِسِتِّ مَضِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَأُنزِلَ الْإِنْجِيلُ لِثَلَاثِ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ خَلَّتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَأُنزِلَ الرَّبُّورُ لِثَمَانِي عَشْرَةَ حَلْوَنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَأُنزِلَ الْقُرْآنُ فِي ثَلَاثِ وَعَشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ"<sup>(٧)</sup> الحديث.

فيفهم من هذا الحديث إن هذه الكُتُبَ لهؤلاء الأنبياء العظام صلوات الله عليهم نزلت في شهر رمضان واستعمل في القرآن وكلام العرب من التنزيل والإنزال مقام الآخر، فالصحيح أن كلاهما يستعمل ففي كلا المعنيين، كما في ﴿تُنَزَّلُ التَّوْرَةُ﴾، ﴿أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ

(١) سورة الإسراء: الآية ١٠٥ .

(٢) سورة آل عمران: الآية ٩٣ .

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٨٥ .

(٤) سورة البقرة: الآية ٤ .

(٥) سورة النساء: الآية ١٠٥ .

(٦) سورة النساء: الآية ١٦٢ .

(٧) الكافي: الكليني: ٢/٦٢٨ - ٦٢٩/٦ح، باب النواذر .

بِالْحَقِّ ﴿١﴾، وغيرهما ممّا مرّ، ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾<sup>(١)</sup>، أقوى شاهدٍ لذلك؛ لأنّه معلوم إنّ المطر لا ينزل من السماء كله دفعةً إلى الأرض؛ وإلاّ لخربت وهلك ما فيها، وقال تعالى: ﴿وَيُنزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾<sup>(٣)</sup>، فاستعمل سبحانه جُمْلَةً وَاحِدَةً، مع نَزَلَ، وكذا في هذه الآية التي في تفسيرها ﴿وَأَنْزَلَ الْقُرْآنَ﴾ وهو من القرآن أيضاً كما في الخبر الصحيح فلا فرق بينهما بل كلّ منهما يقام مقام الآخر في الاستعمال والمعنى، لكن في التفعيل من المبالغة ما لم يكن في الأفعال وما قالوه من الإمهال والتدريج يجيء في التَّعَلُّلِ من تَجَرَّعَتْهُ تَقَوُّتُ<sup>(٤)</sup> اللبن وتحسّيت المَرَقِ، وما نحن ليس منه ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾، لعموم الناس أو لقومهما خُصُوصاً، فهديّ إمّا مَفْعُولٌ يَغْنِي: أنزل الكتب الثلاثة دلالةً وبياناً للناس إلى فعل ما أعرفاً به وإلى تَرَكَ ما نُهُوا عَنْهُ فيهدي أهل كلّ كتابه، وأهل كلّ زمانٍ بما أنزل في زمانه، أو أنزل الكتابين لأجل الدلالة والبيان لهم، لأهل زمانهما أو حال من الكتابين، أو من الثلاثة، أو من الكتاب فقط، وأمّا خبر لمبتدأ محذوفٍ كذلك على ما مرّ في الإعراب قوله: ﴿وَأَنْزَلَ الْقُرْآنَ﴾، عطفٌ على نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابِ، من عطف الخاص على العام لمزيد الاهتمام كما مرّ مراراً في سورة البقرة يعني به القرآن بعضه الحكم واجب العمل به كما يأتي في الخبر الصحيح أو القرآن كلّهُ كما قيل فحينئذٍ يكون تكريره بما هو نعتٌ له مدحاً وتعظيماً وإظهاراً لفضله من حيث إنّه يُشَارِكُهُمَا في كونه وحياً منزلاً ويتميّز منهما بأنّه يفرّق بين الحقّ والباطل والمُحَقِّق والمُبْطِلِ، أو بين المعجزات ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ \* لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾<sup>(٥)</sup>.

### تسمية القرآن فرقاناً والفرق بينهما:

وبأنّ اختلاف الصفات وإن كانت لموصوفٍ واحدٍ يفيد كلّ واحدةٍ منهما فائدةً غير فائدةٍ الأخرى، فوصّفه بالفرقان ليفيد أنّه هو الذي يفرّق بين الحقّ والباطل فيما يحتاج إليه من أمور الدين من الصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد وغيرها، والاحتجاج على أهل الأديان

(١) سورة الفرقان: الآية ٤٨ .

(٢) سورة الأنفال: الآية ١١ .

(٣) سورة الفرقان: الآية ٣٢ .

(٤) (تَقَوُّقٌ شَرَابُهُ: شَرِبَهُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ)، لسان العرب: ابن منظور: ٣١٨/١٠، مادة فوق .

(٥) سورة فصلت: الآية ٤١ - ٤٢ .

الباطلة، والحجة القاطعة لمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي أَمْرِ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالنَّصْرُ وَظُهُورِ دِينِهِ عَلَى الْأَدْيَانِ كُلِّهَا وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَذَلِكَ كُلُّهُ فِي الْقُرْآنِ، وَوُضِعَتْهُ بِالْكِتَابِ لِيُفِيدَ أَنَّ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُكْتَبَ وَيَضْبَطَ وَيُعْمَلُ بِهِ؛ لِئَلَّا يَنْدَرَسَ، وَلَا يُمَحَقَّ، وَلَا يُنْسَى، إِلَى آخِرِ مَا مَرَّ أَنْفَاءً فِي الْكِتَابِ.

في العلل "عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قِيلَ لَهُ، لَمْ سُمِّيَ الْقُرْآنُ فِرْقَانًا: قَالَ: لِأَنَّهُ مُتَفَرِّقُ الْآيَاتِ وَالسُّورِ أَنْزِلَتْ فِي غَيْرِ الْأَلْوَاحِ وَ[غَيْرِهِ مِنْ] (١) الصُّحُفِ وَالتَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالتَّزْبُورِ [أَنْزِلَتْ] (٢) كُلُّهَا جُمْلَةً فِي الْأَلْوَاحِ وَالْوَرَقِ" (٣).

وفي المجمع وروى "عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: الفرقان هو كل آية محكمة في الكتاب وهو [جملة القرآن] (٤) الذي يصدق فيه من كان قبله من الأنبياء" (٥).

وفي الكافي "عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ سِنَانٍ أَوْ عَنْ غَيْرِهِ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الْقُرْآنِ وَالْفُرْقَانِ أَهْمَا شَيْئَانِ أَوْ شَيْءٍ وَاحِدٌ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْقُرْآنُ جُمْلَةُ الْكِتَابِ، وَالْفُرْقَانُ الْمُحْكَمُ الْوَاجِبُ الْعَمَلِ بِهِ" (٦).

وفي تفسير علي بن إبراهيم قال: "حدثني أبي، عن النضر بن سويد، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: سَأَلْتَهُ عَنِ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿الْم \* اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ \* نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ \* مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾، قَالَ الْفِرْقَانُ هُوَ كُلُّ أَمْرٍ مُحْكَمٍ، وَالْكِتَابُ هُوَ جُمْلَةُ الْقُرْآنِ الَّذِي يَصَدِّقُهُ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ" (٧)، وفي تفسير العياشي كذلك (٨).

(١) في الأصل: غير.

(٢) في المصدر: نزلت.

(٣) علل الشرائع: الصدوق: ٤٧٠/٢.

(٤) ما بين المعقوفين ليس من المصدر.

(٥) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٣٦/٢.

(٦) الكافي: الكليني: ٢/٦٣٠/ح ١١، باب النوادر.

(٧) تفسير القمي: علي بن إبراهيم: ٩٦/١.

(٨) تفسير العياشي: العياشي: ١٦٢/١.

وفي الجوامع "عن الصادق عليه السلام: الفرقان كُلّ آية مُحكّمة في الكتاب" (١)، وفي الصحيفة السجادية الكاملة في دعائه عليه السلام عند ختمه القرآن "وَفُرْقَاناً فَرَّقْتَ بِهِ بَيْنَ حَلَالِكَ وَحَرَامِكَ، وَقُرْآنًا أَعْرَبْتَ بِهِ عَن شَرَائِعِ أَحْكَامِكَ" (٢) الدعاء.

ولمّا بيّن الله سبحانه حُجْبَهُ [٥] الدالّة على وجوده وتوحيده ونفي التّعطيل والتّشبيه وتنزيهه عمّا لا يليق بذاته وعلى صدق أنبيائه ورسله عقّب ذلك بوعيد من كفر وجحد ذلك وخالفه ليتكامل به التكليف ﴿فَلْيُحَذِرِ الَّذِينَ يَخَافُونَ عَن أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ﴾ (٣)، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾، أي: بحججه ودلالته وكُتِبَ المنزلة من آدم إلى خاتمٍ وبما أظهروا من المعجزات، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ بسبب كفرهم وجحدهم وإنكارهم ما وجدوه في كُتُبِهِم من أوصاف النبي الأمي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَوَصِيَّهِ وما عرفوه من ذلك ظُهُورِهِ ودعوته مُطابِقاً لِمَا وَجَدُوهُ قَبْلُ، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾، أي: غالبٌ لا يَمُنَعُ من تعذيب الكافرين بآياته وقادرٌ لا يتمكّن أحدٌ أن يمنعه من تعذيب من يريد عذابه، والعزة الغلبة، وفي المثل يقال: مَنْ عَزَّ بَزَّ أَي: من غَلَبَ سَلَبَ (٤)، فالله سبحانه عَزِيزٌ أَي مَنِيحٌ لا يعجز شيءٌ، ﴿ذُو انْتِقَامٍ﴾، أي: ذُو قَدْرَةٍ على الانتقام، وله انتقامٌ شديدٌ من الكفار، وممّن يَسْتَحِقُّ عَذَابَ النَّارِ لا يَقْدِرُ على مثله منتقمٌ، فهذا المعنى قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِخ، وعبدٌ جيء به بعد تعزيز التوحيد والإشارة إلى ما هو العمدة في إثبات النبوة تعظيماً للأمر وزجراً عن الإعراض عنه، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾، أي: أي شيء كان أو يكون في العالم ما خَفِيَ على الأدميين والملائكة والجنّ أم لا، موجوداً أو معدوماً، بعد كونه ممكناً كلياً أو جُزئياً، صادراً عن العبد إيماناً وكُفراً، عبادةً وطاعةً، وغيرها من أفعال العباد قبل صدورِها عنهم وبعده، ولذا قال سبحانه في جواب الملائكة: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٥)، أو عن غير العبد كأفعاله سبحانه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (٦)، فيعلم كلّها علماً تفصيلياً فأنه سبحانه يعلم الأشياء قبل التكوين كما يعلمها

(١) جوامع الجامع: الطبرسي: ٢٦٤/١ .

(٢) الصحيفة السجادية: الإمام علي بن الحسين السجّاد ع: ١٧٦ .

(٣) سورة النور: الآية ٦٣ .

(٤) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ٣١٢/٥ .

(٥) سورة البقرة: الآية ٣٠ .

(٦) سورة الملك: الآية ١٤ .



بعده، يعني: لا يخفى عليه شيء في العالم فعبر عنه بالأرض والسماء؛ لأنّ الحس لا يتجاوزها.

ذكر نكتة لتقديم الأرض على السماء بوجوه ثلاثة:

وإنما قدّم الأرض؛ لكونها مقدّمة في الخلق على السماء، قال تعالى: ﴿قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا﴾<sup>(١)</sup>، إلى قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾<sup>(٢)</sup>، إلى قوله: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾<sup>(٣)</sup> الآية، وترقياً من الأدنى إلى الأعلى، ولكون المخاطبين من المكلفين فيها لكن دحا الله الأرض بعد خلق السماء لقوله تعالى: ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾<sup>(٤)</sup>، ففيه دلالة على تميّز الفانيات الممكنة وتقرّرها في علمه كما مرّ في أول سورة البقرة في تفسير قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٥)</sup>، وقوله: ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(٦)</sup>.

في دلالة الآية:

وفي المجمع ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾، لما ذكر سبحانه الوعيد على الإخلال بمعرفته، مع نصب الأدلة على توحّده، وصدق أنبيائه، اقتضى أن يذكر أنّه لا يخفى عليه شيء، فيكون في ذلك تحذير من الاغترار بالاستسرار بمعصيته؛ لأنّ المجازي لا تخفى عليه خافية، فإن قيل لم قال: ﴿لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾، ولم يقل: لا يخفى عليه شيء على وجه من الوجوه فيكون أشدّ مبالغة؟ قلنا: لأنّ الغرض أن يُعلمنا أنّه يعلم ما يُستسرّ به في الأرض أو في السماء، والإفصاح بذكر ذلك أعظم في النفس، وأهول في الصدر، مع الدلالة على أنّه عالم بكلّ شيء، فإن قيل: لم لم يقل أنّه عالم بكلّ شيء في الأرض والسماء؟ قلنا: لأنّ الوصف بأنّه لا يخفى عليه شيء، يدلّ على أنّه يعلمه من كلّ وجه يصحّ أن يعلم منه، مع ما فيه من التصرف في العبارة وإنّما لا يخفى عليه شيء؛ لأنّه عالم لنفسه، فيجب أن يعلم كلّ ما

(١) سورة فصلت: الآية ٩ .

(٢) سورة فصلت: الآية ١١ .

(٣) سورة فصلت: الآية ١٢ .

(٤) سورة النازعات: الآية ٣٠ .

(٥) سورة البقرة: الآية ١٠٦ .

(٦) سورة البقرة: الآية ٢٩ .

يصح أن يكون معلوماً، وما يصح أن يكون معلوماً لا نهايةً له، فلا يجوز أن يخفى عليه شيء بوجه من الوجوه<sup>(١)</sup>، انتهى كلامه أعلى الله مقامه.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ﴾، أي: [يَخْلُقُكُمْ]<sup>(٢)</sup>، وَيَخْلُقُ صُورَكُمْ ﴿فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ على أي صورة شاء، وعلى أي صفة، [مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى، أَوْ خُنْثَى صَبِيحٍ أَوْ قَبِيحٍ، جَمِيلٍ أَوْ دَمِيمٍ، طَوِيلٍ أَوْ قَصِيرٍ، أَبْيَضٍ أَوْ أَسْوَدَ]<sup>(٣)</sup>، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ﴾ في سلطانه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أفعاله<sup>(٤)</sup>.

**ذكر الاستدلال المروي عن جعفر بن محمد (عليه السلام):**

وَفِي الْمَجْمَعِ (وَدَلَّتْ الْآيَةُ عَلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ، وَتَمَامِ [نِعْمَتِهِ]<sup>(٥)</sup>)، حَيْثُ صَوَّرَ الْوَلَدَ فِي رَحِمِ الْأُمِّ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ، وَرَكَّبَ فِيهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْبِدَائِعِ مِنْ غَيْرِ آلَةٍ وَلَا كَلْفَةٍ، وَقَدْ تَقَرَّرَ فِي عَقْلِ كُلِّ عَاقِلٍ أَنَّ الْعَالَمَ لَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَخْلُقُوا مِنَ الْمَاءِ بَعُوضَةً، وَيَصَوِّرُوا مِنْهُ صُورَةً فِي حَالِ مَا يَشَاهِدُونَهُ وَيَصْرَفُونَهُ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى ذَلِكَ، وَلَا وَجَدُوا إِلَيْهِ سَبِيلًا، فَكَيْفَ يَقْدِرُونَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الْأَرْحَامِ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ، وَهَذَا الْاِسْتِدْلَالُ مَرْوِيٌّ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ<sup>(٦)</sup> أَنْتَهَى.

**ذكر ما ذكره من نظير ذلك الاستدلال:**

وقال تبارك وتعالى في نظير ذلك الاستدلال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاذْتَمِعُوا لَهُ﴾<sup>(٧)</sup>، استماع تفكير وتدبر، ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾<sup>(٨)</sup>، يعني: الأصنام وَمَنْ يُقْمِنُهُمْ مَقَامَهَا مِنَ الْأَنْعَامِ، ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾، لا يقدرُونَ عَلَى خَلْقِهِ مَعَ وَهْنِهِ وَصِغَرِهِ [٦] (وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ) أي: لو تعاونوا واجتمعوا لخلقِهِ، (وَإِنْ يَسْلُبُهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْفِدُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ)، فكيف يكونون آلهة قادرين على المقدرات كلها عالمين بكل شيء.

(١) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٣٦/٢ - ٢٣٧ .

(٢) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٣) في المصدر: من ذكر أو أنثى، أو صبيح أو دميم، أو طويل أو قصير .

(٤) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٣٧/٢ .

(٥) في المصدر: حكمته .

(٦) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٣٧/٢ .

(٧) سورة الحج: الآية ٧٣ .

(٨) سورة الحج: الآية ٧٣ .

### ما فعله قريش في ذلك على الأصنام الثلاثة:

في الكافي "عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: كَانَتْ قُرَيْشٌ تُلَطِّحُ الْأَصْنَامَ الَّتِي كَانَتْ حَوْلَ الْكَعْبَةِ بِالْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ وَكَانَ يَغُوثُ قِبَالَ الْبَابِ وَكَانَ يَعُوقُ عَنْ يَمِينِ الْكَعْبَةِ وَكَانَ نَسْرٌ عَنْ يَسَارِهَا وَكَانُوا إِذَا دَخَلُوا خَرُّوا سُجَّدًا لِيَغُوثَ وَلَا يَنْحَنُونَ ثُمَّ يَسْتَدِيرُونَ [عَنْ يَمِينِهَا] (١) بِحِيَالِهِمْ إِلَى يَعُوقَ ثُمَّ يَسْتَدِيرُونَ بِحِيَالِهِمْ إِلَى نَسْرٍ ثُمَّ يَلْبُونَ فَيَقُولُونَ - لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ إِلَّا شَرِيكَ هُوَ لَكَ تَمَلُّكُهُ وَمَا مَلَكَ قَالَ فَبَعَثَ اللَّهُ ذُبَابًا أَخْضَرَ لَهُ أَرْبَعَةُ أَجْنَحَةٍ فَلَمَّ يَبْقُ مِنْ ذَلِكَ الْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ شَيْئًا إِلَّا أَكَلَهُ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ﴾ إِلَى آخِرِهِ (٢).

﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾، أي: ما عرفوه حق معرفته، حيثُ أشركوا به وسمّوا باسمه ما هو أبعدُ الأشياءِ ومناسبةً، فكيف يجوز للنصارى أن يسمّوا المسيحَ اللهَ أو ابنَ اللهَ أو ثالثَ ثلاثة سبحانه وتعالى عما يُشركون مع أنه سبحانه يُصوّرُ في الأرحامِ ما يشاء، ولا يخفى عليه شيءٌ في العالمِ ولا في الأرضِ ولا في السماءِ وهو يُطعمُ ولا يُطعمُ وهو يرى ولا يرى، يرى ما في قعرِ الماءِ، يسمعُ أنفاسَ الحيتانِ في قُغورِ البحارِ، يعلمُ وزنَ السماواتِ والأرضينِ، يعلمُ وزنَ الشمسِ والقمرِ، ويعلمُ وزنَ الظلمةِ والنورِ، ووزنَ الفيءِ والهواءِ، ووزنَ الريحِ كم هي من متقالِ ذرّةٍ، لا يأكل ولا يشربُ ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾، كيف يخفى عليه ما هو خلقه، وكيف لا يحصي ما هو صنعه، وكيف يغيبُ عنه ما هو يُدبره، أو كيف يستطيعُ أن يهربَ منه من لا حياة له إلا برزقه، أو كيف ينجو منه من لا مذهب له في غير ملكه، سبحانك عجباً من عرفك كيف يخافك سبحانك أخشى خلقك لك أعلمهم بك، وأخضعهم لك، وأعملهم بطاعتك، وأهونهم عليك من أنت ترزقه وهو يعبدُ غيرك سبحانك لا ينقصُ سلطانك من أشرك بك، وكذبَ رُسلك، ولن يستطيعَ من كرهَ قضاءك أن يردَّ أمرك ولا يمتنعَ منك من كذبَ بقدرتك ولا يفوتك من عبدَ غيرك،

(١) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٢) الكافي: الكليني: ٤/٥٤٢/ح ١١، باب النوادر، واكتفى المؤلف بموضع الشاهد ولم يذكر الحديث بتمامه .

وعيسى عليه السلام بخلاف جميع ذلك لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ فِي الْمَاءِ وَيَخْفَى عَلَيْهِ جَمِيعُ مَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ إِلَّا مَا عَلَّمَهُ اللَّهُ، وَيَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَنَامُ الْخ. عدم جواز أن يقول أحدٌ لولدهِ هذا لا يشبهني ولا يشبه شيئاً من آبائي، وهو كناية عن انكار ولده ونفيه:

وفي الفقيه "عن الصادق عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقًا جَمَعَ كُلَّ صُورَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ [أبيه إلى] آدَمَ ثُمَّ خَلَقَهُ عَلَى صُورَةِ إِحْدَاهُنَّ، فَلَا يَقُولَنَّ أَحَدٌ لَوْلَدِهِ هَذَا لَا يَشْبَهَنِي وَلَا يَشْبَهُ شَيْئًا مِنْ آبَائِي" (١).

في العلل "عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقًا جَمَعَ كُلَّ صُورَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ إِلَى آدَمَ ثُمَّ خَلَقَهُ عَلَى صُورَةِ إِحْدَاهُنَّ، فَلَا يَقُولَنَّ أَحَدٌ لَوْلَدِهِ هَذَا لَا يَشْبَهَنِي وَلَا يَشْبَهُ شَيْئًا مِنْ آبَائِي" (٢).

وفي الكافي "عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ نُوحِ بْنِ شُعَيْبٍ رَفَعَهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ع قَالَ: أَتَى رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ رَسُولَ اللَّهِ ص فَقَالَ: هَذِهِ ابْنَةٌ عَمِّي وَامْرَأَتِي لَا أَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا وَقَدْ أَتَيْتَنِي بِوَلَدٍ شَدِيدِ السَّوَادِ مُنْتَشِرِ الْمَنْخَرِينَ جَعَدٍ قَطَطٍ أَفْطَسِ الْأَنْفِ لَا أَعْرِفُ شِبْهَهُ فِي أَحْوَالِي وَلَا فِي أَجْدَادِي فَقَالَ: لِامْرَأَتِهِ مَا تَقُولِينَ؟ قَالَتْ: لَا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا مَا أَفْعَدْتُ مَعْدَهُ مِنِّي مُنْذُ مَلَكَتْنِي أَحَدًا غَيْرَهُ، قَالَ: فَكَسَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ص بِرَأْسِهِ مَلِيًّا ثُمَّ رَفَعَ بَصْرَهُ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الرَّجُلِ فَقَالَ: يَا هَذَا إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بَيْنَهُ وَبَيْنَ آدَمَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ عِرْقًا كُلُّهَا تَضْرِبُ فِي النَّسَبِ فَإِذَا وَقَعَتِ النُّطْفَةُ فِي الرَّحِمِ اضْطَرَبَتْ تِلْكَ الْعُرُوقُ تَسْأَلُ اللَّهَ الشُّبْهَةَ لَهَا فَهَذَا مِنْ تِلْكَ الْعُرُوقِ الَّتِي لَمْ يُدْرِكْهَا أَجْدَاكَ وَلَا أَجْدَادُ أَجْدَادِكَ خُذْ إِلَيْكَ ابْنَكَ فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: فَرَجَّتْ عَنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ" (٣).

### شبه الولد بالأعمام والأخوال والآباء والأمهات:

وفي العلل بإسناده إلى "محمد ابن عبد الله بن زرارة، عن علي بن عبد الله، عن أبيه، عن جده، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: تعتلج النطفتان في الرحم فأيتهما كانت أكثر جاءت تشبهها، فإن كانت نطفة المرأة أكثر جاءت تشبه أخواله، وإن كانت نطفة الرجل أكثر

(١) من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ٤٨٤/٣، أضاف المؤلف عبارة (أبيه إلى) إلى الرواية، ولم تكن جزءاً منها .

(٢) علل الشرائع: الصدوق: ١٠٣/١ .

(٣) الكافي: الكليني: ٥٦١/٥ - ٥٦٢/٥ ح ٢٣، باب النوادر .

جاءت تشبه أعمامه وقال: تحول النطفة في الرحم أربعين يوماً فمن أراد أن يدعو الله عز وجل ففي تلك الأربعين قبل ان تخلق ثم يبعث الله ملك الأرحام فيأخذها فيصعد بها إلى عز وجل فيقف منه حيث يشاء الله فيقول: يا إلهي أذكر أم أنثى؟ فيوحي الله عز وجل ما يشاء ويكتب الملك ثم يقول: يا إلهي أشقي أم سعيد؟ فيوحي الله عز وجل من ذلك ما يشاء ويكتب فيقول: إلهي كم رزقه وما أجله؟ ثم يكتبه ويكتب كل شيء يصيبه في الدنيا بين عينيه ثم يرجع به فيرده في الرحم فذلك قول الله عز وجل: ﴿مَا [٧] أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ (١) (٢).

### ذكر أكثر ما تلده المرأة:

وفي الكافي في باب أكثر ما تلده المرأة "عَنْ شُعَيْبِ الْعَقْرُوفِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّ لِلرَّحِمِ أَرْبَعَةَ سُبُلٍ فِي أَيِّ سَبِيلٍ سَلَكَ فِيهِ الْمَاءُ كَانَ مِنْهُ الْوَلَدُ وَاحِدٌ وَاثْنَانِ وَثَلَاثَةٌ وَأَرْبَعَةٌ وَلَا يَكُونُ إِلَّا إِلَى سَبِيلٍ أَكْثَرَ مِنْ وَاحِدٍ" (٣)، "عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حُمْرَانَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ لِلرَّحِمِ أَرْبَعَةَ أَوْعِيَةٍ فَمَا كَانَ فِي الْأَوَّلِ فَلِلْأَبِ وَمَا كَانَ فِي الثَّانِي فَلِلْأُمِّ وَمَا كَانَ فِي الثَّلَاثِ فَلِلْعُمُومَةِ وَمَا كَانَ فِي الرَّابِعِ فَلِلْحُثُولَةِ" (٤)، "عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنِ ابْنِ رِئَابٍ، عَنْ زُرَّارَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ النُّطْفَةَ الَّتِي مِمَّا أَخَذَ عَلَيْهَا الْمِيثَاقَ فِي صُلْبِ آدَمَ أَوْ مَا يَبْدُو لَهُ فِيهِ وَيَجْعَلُهَا فِي الرَّحِمِ حَرَكَ الرَّجُلِ لِلْجَمَاعِ وَأُوْحَى إِلَى الرَّحِمِ أَنْ افْتَحِي بَابَكَ حَتَّى يَلِجَ فِيكَ خَلْفِي وَقَضَائِي النَّافِذُ وَقَدْرِي، فَتَفْتَحِ الرَّحِمُ بَابَهَا فَتَصِلُ النُّطْفَةُ إِلَى الرَّحِمِ فَتَرَدُّ فِيهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً ثُمَّ تَصِيرُ عَلَقَةً أَرْبَعِينَ يَوْماً، ثُمَّ تَصِيرُ مُضْغَةً أَرْبَعِينَ يَوْماً، ثُمَّ تَصِيرُ لَحْماً تَجْرِي فِيهِ عُرُوقٌ مُشْتَبِكَةٌ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكَينِ خَلَاقِينَ يَخْلُقَانِ فِي الْأَرْحَامِ مَا يَشَاءُ اللَّهُ فَيَقْتَحِمَانِ فِي بَطْنِ الْمَرْأَةِ مِنْ فَمِ الْمَرْأَةِ فَيَصِلَانِ إِلَى الرَّحِمِ وَفِيهَا الرُّوحُ الْقَدِيمَةُ الْمَنْثُولَةُ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ فَيَنْفُخَانِ فِيهَا رُوحَ الْحَيَاةِ وَالْبَقَاءِ وَيَشْفَقَانِ لَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَجَمِيعَ الْجَوَارِحِ وَجَمِيعَ مَا فِي الْبَطْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ ثُمَّ يُوحِي اللَّهُ إِلَى الْمَلَكَينِ اكْتُبَا عَلَيْهِ قَضَائِي وَقَدْرِي وَنَافِذَ"

(١) سورة الحديد: الآية ٢٢ .

(٢) علل الشرائع: الصدوق: الآية ٩٥ - ٩٦ .

(٣) الكافي: الكليني: ٦ / ١٦ - ١٧ / ح ١، باب أكثر ما تلده المرأة .

(٤) المصدر نفسه: ٦ / ١٧ / ح ٢، باب أكثر ما تلده المرأة .

أَمْرِي وَاشْتَرَطًا لِي الْبَدَاءَ فِيمَا تَكْتُبَانِ فَيَقُولَانِ: يَا رَبِّ مَا نَكْتُبُ؟ فَيُوحِي اللَّهُ إِلَيْهِمَا أَنْ ارْفَعَا رُؤُوسَكُمَا إِلَى رَأْسِ أُمِّهِ فَيَرْفَعَانِ رُؤُوسَهُمَا فَإِذَا اللَّوْحُ يَقْرَعُ جَنْبَهُ أُمِّهِ فَيَنْظُرَانِ فِيهِ فَيَجِدَانِ فِي اللَّوْحِ صُورَتَهُ وَزِينَتَهُ وَأَجَلَهُ وَمِيثَاقَهُ شَقِيًّا أَوْ سَعِيدًا وَجَمِيعَ شَأْنِهِ قَالَ فَيَمْلِي أَحَدُهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ فَيَكْتُبَانِ جَمِيعَ مَا فِي اللَّوْحِ وَيَشْتَرِطَانِ الْبَدَاءَ فِيمَا يَكْتُبَانِ ثُمَّ يَخْتِمَانِ الْكِتَابَ وَيَجْعَلَانِهِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ثُمَّ يُقِيمَانِهِ قَائِمًا فِي بَطْنِ أُمِّهِ، قَالَ: فَرَبَّمَا عَتَا فَاثْقَلَبَ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا فِي كُلِّ عَاتٍ أَوْ مَارِدٍ وَإِذَا بَلَغَ أَوَانُ خُرُوجِ الْوَلَدِ تَامًا أَوْ غَيْرَ تَامٍ أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى الرَّحِمِ أَنْ افْتَحِي بَابَكَ حَتَّى يَخْرُجَ خَلْقِي إِلَيَّ أَرْضِي وَيَنْفِذَ فِيهِ أَمْرِي فَقَدْ بَلَغَ أَوَانُ خُرُوجِهِ، قَالَ: فَيَفْتَحُ الرَّحِمُ بَابَ الْوَلَدِ فَيَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا يَقَالُ لَهُ: رَاجِرٌ فَيَرْجُرُهُ رَجْرَةً فَيَفْرَعُ مِنْهَا الْوَلَدَ فَيَنْقَلِبُ فَيَصِيرُ رِجْلَاهُ فَوْقَ رَأْسِهِ وَرَأْسُهُ فِي أَسْفَلِ الْبَطْنِ لِيُسَهِّلَ اللَّهُ عَلَى الْمَرْأَةِ وَعَلَى الْوَلَدِ الْخُرُوجَ، قَالَ: فَإِذَا احْتَسِبَ رَجْرَهُ الْمَلَكُ رَجْرَةً أُخْرَى فَيَفْرَعُ مِنْهَا فَيَسْقُطُ الْوَلَدُ إِلَى الْأَرْضِ بَاكِيًّا فَرِعًا مِنَ الرَّجْرَةِ<sup>(١)</sup>، "عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضِيلِ، عَنِ أَبِي حَمْرَةَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الْخَلْقِ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا خَلَقَ الْخَلْقَ مِنْ طِينٍ أَفَاضَ بِهَا كَأَفَاضَةِ الْقِدَاحِ<sup>(٢)</sup> فَأَخْرَجَ الْمُسْلِمَ فَجَعَلَهُ سَعِيدًا وَجَعَلَ الْكَافِرَ شَقِيًّا فَإِذَا وَقَعَتِ النُّطْفَةُ تَلَقَّتْهَا الْمَلَائِكَةُ فَصَوَّرُوهَا ثُمَّ قَالُوا يَا رَبِّ أَذْكَرًا أَوْ أُنْثَى فَيَقُولُ الرَّبُّ جَلَّ جَلَالُهُ أَيُّ ذَلِكَ شَاءَ فَيَقُولَانِ تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ثُمَّ تَوَضَّعُ فِي بَطْنِهَا فَتَرَدُّ تِسْعَةَ أَيَّامٍ فِي كُلِّ عِرْقٍ وَمَفْصِلٍ وَمِنْهَا لِلرَّحِمِ ثَلَاثَةُ أَفْقَالٍ فُقُلٌ فِي أَعْلَاهَا مِمَّا يَلِي أَعْلَى الصُّرَّةِ مِنَ الْجَانِبِ الْأَيْمَنِ وَالْقُفْلُ الْأَخْرُ وَسَطُهَا وَالْقُفْلُ الْأَخْرُ أَسْفَلَ مِنَ الرَّحِمِ فَيُوضَعُ بَعْدَ تِسْعَةِ أَيَّامٍ فِي الْقُفْلِ الْأَعْلَى فَيَمْكُثُ فِيهِ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ فَعِنْدَ ذَلِكَ يُصِيبُ الْمَرْأَةَ خُبْنُ النَّفْسِ وَالتَّهْوُّعُ ثُمَّ يَنْزِلُ إِلَى الْقُفْلِ الْأَوْسَطِ فَيَمْكُثُ فِيهِ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَصُرَّةَ الصَّبِيِّ<sup>(٣)</sup> فِيهَا مَجْمَعُ الْعُرُوقِ<sup>(٤)</sup> وَعُرُوقُ

(١) الكافي: الكليني: ٦/ ١٣ - ١٥، ح ٤، بَابُ بَدْءِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ وَتَقَلُّبِهِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ .

(٢) ومنه في حاشية الأصل (وفي حديث ابن عباس: "أَخْرَجَ اللَّهُ ذُرِّيَةَ آدَمَ مِنْ ظَهْرِهِ فَأَفَاضَهُمْ إِفَاضَةَ الْقِدَاحِ" هِيَ الصَّرْبُ بِهِ وَإِجَالَتُهُ عِنْدَ الْقِمَارِ، وَالْقِدَاحُ: السَّهْمُ، وَاجِدُ الْقِدَاحِ الَّتِي كَانُوا يَقَامِرُونَ بِهَا)، النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير: ٤٨٥/٣ .

(٣) (هكذا وجدت لفظة الصرة في جميع مواضع هذا الخبر على ما رأيناه من النسخ ولعلها من تصرفات النساخ والصواب السرة بالسين، كذا في هامش المطبوع)، الكافي: الكليني: هامش التحقيق ٦/١٥ .

(٤) ومنه في حاشية الأصل: سرّة الصبيّ مبتدأ، وفيها خبر مقدم، ومجمع العروق مبتدأ مؤخر، والجملة خبر المبتدأ الأول، والضمير في فيها عائد إلى سرّة الصبيّ وفيها متعلق بيدخل والهاء راجع إلى سرّة الصبيّ أيضاً .



الْمَرْأَةُ كُلُّهَا مِنْهَا يَدْخُلُ طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ مِنْ تِلْكَ الْعُرُوقِ ثُمَّ يَنْزِلُ إِلَى الْفُؤَالِ الْأَسْفَلِ فَيَمْكُثُ فِيهَا ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ فَذَلِكَ تِسْعَةُ أَشْهُرٍ ثُمَّ تُطَلِّقُ الْمَرْأَةَ<sup>(١)</sup> فَكُلَّمَا طَلَّقَتْ انْقَطَعَ عِزُّ مَنْ صُرِّهَ الصَّبِيِّ فَأَصَابَهَا ذَلِكَ الْوَجَعُ وَيَدُهُ عَلَى صُرِّهِ حَتَّى يَقَعَ إِلَى الْأَرْضِ وَيَدُهُ مَبْسُوطَةٌ فَيَكُونُ رِزْقُهُ حِينِيذٍ مِنْ فِيهِ"<sup>(٢)</sup>.

**الدعاء للحبلى أن يجعل الله ما في بطنها ذكراً سوياً:**

"عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ أَوْ غَيْرِهِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ الرَّجُلُ يَدْعُو لِلْحُبْلَى أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ مَا فِي بَطْنِهَا ذَكَرًا سَوِيًّا، قَالَ: يَدْعُو مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنَّهُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً نُطْفَةٌ، وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً عَلَقَةٌ، وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً مُضَعَّةٌ، فَذَلِكَ تَمَامُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكَيْنِ خَلَاقِيْنِ فَيَقُولَانِ: يَا رَبِّ مَا نَخْلُقُ ذَكَرًا أَمْ أَنْثَى شَقِيًّا أَوْ سَعِيدًا فَيُقَالُ: ذَلِكَ فَيَقُولَانِ: يَا رَبِّ مَا رِزْقُهُ وَمَا أَجَلُهُ وَمَا مُدَّتُهُ فَيُقَالُ ذَلِكَ وَمِيثَاقُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَلَا يَزَالُ مُنْصَبًّا فِي بَطْنِ أُمِّهِ حَتَّى إِذَا دَنَا خُرُوجُهُ بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ مَلَكًا فَرَجَرَهُ رَجْرَةً فَيَخْرُجُ وَيَنْسَى الْمِيثَاقَ"<sup>(٣)</sup>، "عَنْ زُرَّارَةَ بْنِ أَعِينٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: إِذَا وَقَعَتِ النُّطْفَةُ فِي الرَّحِمِ اسْتَقَرَّتْ فِيهَا أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَتَكُونُ عَلَقَةً أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَتَكُونُ مُضَعَّةً أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكَيْنِ خَلَاقِيْنِ فَيُقَالُ لَهُمَا: اخْلُقَا كَمَا يُرِيدُ اللَّهُ ذَكَرًا أَوْ أَنْثَى صَوْرَاهُ [٨] وَاكْتَبَا أَجَلَهُ وَرِزْقَهُ وَمَنِيَّتَهُ وَشَقِيًّا أَوْ سَعِيدًا وَاكْتَبَا لِلَّهِ الْمِيثَاقَ الَّذِي أَخَذَهُ عَلَيْهِ فِي الذَّرِّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَإِذَا دَنَا خُرُوجُهُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا يُقَالُ لَهُ زَاجِرٌ فَيَزِجُرُهُ فَيَفْرَعُ فَرَعًا فَيَنْسَى الْمِيثَاقَ وَيَقَعُ إِلَى الْأَرْضِ يَبْكِي مِنْ رَجْرَةِ الْمَلَكِ"<sup>(٤)</sup> الحديث.

**طلب الولد والدعاء في ذلك:**

في الكافي باب في طلب الولد "عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمَزَةَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا أَنْبَطَ عَلَى أَحَدِكُمْ الْوَلَدُ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ لَا تَدْرِنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ، وَحِيدًا وَخَشَاءً، فَيَقْضِرَ شُكْرِي عَنْ تَفْكَرِي، بَلْ هَبْ لِي عَاقِبَةَ صِدْقٍ ذُكُورًا وَإِنَاثًا أَنْسَ بِهِمْ مِنَ الْوَحْشَةِ، وَأَسْكُنْ إِلَيْهِمْ مِنَ الْوَحْدَةِ، وَأَشْكُرْكَ عِنْدَ تَمَامِ النِّعْمَةِ، يَا وَهَّابُ يَا عَظِيمُ يَا

(١) ومنه في حاشية الأصل: الطَّلَقُ: وجع الولادة والحمل .

(٢) الكافي: الكليني: ١٥/٦ - ١٦/٥ ح، بَابُ بَدْءِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ وَتَقْلِبِهِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ .

(٣) المصدر نفسه: ٦/١٦ ح، بَابُ بَدْءِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ وَتَقْلِبِهِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ .

(٤) المصدر نفسه: ٦/١٦ ح، بَابُ بَدْءِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ وَتَقْلِبِهِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ .



مُعْظَمٌ، ثُمَّ أَعْطِنِي فِي كُلِّ عَافِيَةٍ شُكْرًا حَتَّى تُبَلِّغَنِي مِنْهَا رِضْوَانَكَ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَوَفَاءِ بِالْعَهْدِ"<sup>(١)</sup>، عَنِ الْحَارِثِ النَّصْرِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنِّي مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ قَدْ انْفَرَضُوا وَلَيْسَ لِي وَلَدٌ، قَالَ: ادْعُ وَأَنْتَ سَاجِدٌ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، قَالَ: فَفَعَلْتُ فَوُلِدَ لِي عَلِيُّ وَالْحُسَيْنُ"<sup>(٤)</sup>، عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يُحْبَلَ لَهُ فَلْيُصَلِّ رَكَعَتَيْنِ بَعْدَ الْجُمُعَةِ يُطِيلُ فِيهِمَا الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمَا سَأَلَكُ بِهِ زَكَرِيَّا يَا رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ اللَّهُمَّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ اسْتَحَلَلْتُهَا وَفِي أَمَانَتِكَ أَخَذْتُهَا فَإِنْ قَضَيْتَ فِي رَحِمِهَا وَلَدًا فَاجْعَلْهُ غُلَامًا مُبَارَكًا زَكِيًّا وَلَا تَجْعَلْ لِلشَّيْطَانِ فِيهِ شَرِكًا وَلَا نَصِيبًا"<sup>(٥)</sup>، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ قَالَ: شَكَا الْأَبْرَشُ الْكَلْبِيُّ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ لَا يُوَلِّدُ لَهُ، فَقَالَ: لَهُ عَلَّمَنِي شَيْئًا، قَالَ: اسْتَغْفِرِ اللَّهَ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَوْ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِائَةَ مَرَّةٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا \* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا \* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾<sup>(٦)</sup><sup>(٧)</sup>، عَنِ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يُوَلِّدُ لِي، فَقَالَ: اسْتَغْفِرْ رَبَّكَ فِي السَّحَرِ مِائَةَ مَرَّةٍ فَإِنَّ نَسِيَّتَهُ فَاقْضِهِ"<sup>(٨)</sup>، عَنِ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، عَنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ شَكَا إِلَيْهِ رَجُلٌ أَنَّهُ لَا يُوَلِّدُ لَهُ، فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا جَامَعْتَ فَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ رَزَقْتَنِي ذَكَرًا سَمَّيْتَهُ مُحَمَّدًا قَالَ فَعَمَلٌ ذَلِكَ فَرَزَقَ"<sup>(٩)</sup>.

(١) الكافي: الكليني: ٦ / ٧ / ١، بَابُ الدُّعَاءِ فِي طَلْبِ الْوَلَدِ .

(٢) سورة آل عمران: الآية ٣٨ .

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٨٩ .

(٤) الكافي: الكليني: ٦ / ٨ / ٢، بَابُ الدُّعَاءِ فِي طَلْبِ الْوَلَدِ .

(٥) المصدر نفسه: ٦ / ٨ / ٣، بَابُ الدُّعَاءِ فِي طَلْبِ الْوَلَدِ .

(٦) سورة نوح: الآية ١٠ - ١٢ .

(٧) الكافي: الكليني: ٦ / ٨ / ٤، بَابُ الدُّعَاءِ فِي طَلْبِ الْوَلَدِ، اقتصِرَ المصدر على ذكر موطن الشاهد في

الآيات (١٠، ١١، ١٢) من سورة نوح المباركة، فيما ذكرها المؤلف كاملة.

(٨) المصدر نفسه: ٦ / ٩ / ٦، بَابُ الدُّعَاءِ فِي طَلْبِ الْوَلَدِ .

(٩) المصدر نفسه: ٦ / ٩ / ٧، بَابُ الدُّعَاءِ فِي طَلْبِ الْوَلَدِ .

## بدء خلق الإنسان وتقلبه في بطن أمه:

في الكافي في باب بدء خلق الإنسان وتقلبه في بطن أمه "عَنْ سَلَامِ بْنِ الْمُسْتَبِيرِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾<sup>(١)</sup>، فَقَالَ: الْمَخَلَّقَةُ هُمُ الدَّرُّ الَّذِينَ خَلَقَهُمُ اللَّهُ فِي صُلْبِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَخَذَ عَلَيْهِمِ الْمِيثَاقَ، ثُمَّ أَجْرَاهُمْ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ، وَهُمْ الَّذِينَ يَخْرُجُونَ إِلَى الدُّنْيَا حَتَّى يُسْأَلُوا عَنِ الْمِيثَاقِ، وَأَمَّا قَوْلُهُ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ فَهُمْ كُلُّ نَسَمَةٍ<sup>(٢)</sup> لَمْ يَخْلُقْهُمُ اللَّهُ فِي صُلْبِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ خَلَقَ الدَّرَّ وَأَخَذَ عَلَيْهِمِ الْمِيثَاقَ، وَهُمْ النَّطْفُ مِنَ الْعَزْلِ وَالسَّقَطُ قَبْلَ أَنْ يُنْفَخَ فِيهِ الرُّوحُ وَالْحَيَاةُ وَالنِّبَاءُ"<sup>(٣)</sup>، "عَنْ حَرِيْزٍ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ أَحَدِهِمَا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾<sup>(٤)</sup>، قَالَ: الْغَيْضُ كُلُّ حَمْلٍ دُونَ تِسْعَةِ أَشْهُرٍ وَمَا تَزْدَادُ كُلُّ شَيْءٍ يَزْدَادُ عَلَى تِسْعَةِ أَشْهُرٍ فَكُلَّمَا رَأَتْ الْمَرْأَةُ الدَّمَ الْخَالِصَ فِي حَمْلِهَا فَإِنَّهَا تَزْدَادُ بَعْدَ الْإِيَّامِ الَّتِي رَأَتْ فِي حَمْلِهَا مِنَ الدَّمِ"<sup>(٥)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾<sup>(٦)</sup> آية .

اللغة:

المُحَكَّمُ: المُتَقَنَّ، المتين، من أَحَكَمْتُ الشَّيْءَ إِذَا أَتَقَنَنْتَهُ، وَأَمْتَنْتَهُ وَأَخْرَجْتَهُ مِنَ الْإِحْتِمَالِ، وَالِاشْتِبَاهِ أَوْ مِنَ الْحِكْمَةِ وَهِيَ الْحَدِيدَةُ الَّتِي مِنْ لِجَامِ الْفَرَسِ فَإِنَّ الْمُحَكَّمَ يَمْنَعُ الْإِحْتِمَالَاتِ كَمَا أَنَّ الْحَدِيدَةَ الْمَعْرُوفَةَ تَمْنَعُ الْفَرَسَ مِنَ الْحَرَكَاتِ الْمَخْتَلِفَةِ وَغَيْرِ الْمَرْضِيَّةِ<sup>(٧)</sup>.

(١) سورة الحج: الآية ٥ .

(٢) ومنه في حاشية الأصل: النسمة محركة الإنسان، والمراد هنا مادة الإنسان، ينظر: القاموس المحيط: الفيروزآبادي: ١١٦٢ .

(٣) الكافي: الكليني: ١٢/٦/١ ح، باب بدء خلق الإنسان وتقلبه في بطن أمه .

(٤) سورة الرعد: الآية ٨ .

(٥) الكافي: الكليني: ١٢/٦ - ١٣، باب بدء خلق الإنسان وتقلبه في بطن أمه .

(٦) سورة آل عمران: الآية ٧ .

(٧) ينظر: القاموس المحيط: الفيروزآبادي: ١٠٩٥، مادة الحكم .

و﴿أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أصله، ويقال لِمَكَّةَ أُمُّ الْفُرَى، أي: أصلها، مأخوذة من أُمِّمَ بالهمزة، والميمينِ بدليل أمومة في مصدرها، وَأُمَاتٍ في جمعها، لِيَكُونَ أُمَّ عَلَى وَزْنِ فُعَلٍ، فَعَلَى هَذَا تَكُونُ الْهَاءُ فِي أُمَّهَاتٍ مَزِيدَةً غَيْرَ مَطْرُودَةٍ فَيَكُونُ وَزْنُ أُمَّهَاتٍ وَأُمَّهَاتٍ فُعَلَهَاتٍ وَفُعَلَهَاتٍ<sup>(١)</sup>.

ذَكَرَ أَصْلَ أُمِّ وَكُونَ الْهَاءُ فِي أُمَّهَاتٍ مَزِيدَةٍ أَوْ غَيْرَ مَزِيدَةٍ أَوْ كِلْتَاهُمَا نَعْتَانِ أَصْلِيَتَانِ: وَقِيلَ أَصْلُ أُمِّ أُمَّهَاتٍ بِأَصَالَةِ الْهَاءِ مِنْ تَأَمَّهْتُ بِمَعْنَى اتَّخَذْتُ أُمَّاً فَتَكُونُ أُمَّهَاتٌ فَعَلَةٌ كَاتِبَةٌ، ثُمَّ حُذِفَتِ الْهَاءُ، وَلِذَلِكَ تَجْمَعُ عَلَى أُمَّهَاتٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أُمَّهَاتُكُمْ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، فَعَلَى هَذَا تَكُونُ الْهَاءُ أَصْلِيَّةً، [٩] فَيَكُونُ وَزْنُ أُمَّ فُعَاً، وَأُمَاتٍ فُعَاتٍ بِحَذْفِ لَامِ الْكَلِمَةِ، وَقَالَ الزَّمخَشَرِيُّ فِي الْمَفْصَلِ (وَالْهَاءُ زِيدَتْ زِيَادَةَ مَطْرُودَةٍ فِي الْوَقْفِ لِبَيَانِ الْحَرَكَةِ أَوْ حَرْفِ الْمَدِّ فِي نَحْوِ كِتَابِيهِ وَثَمَهُ وَوَأَزِيدَاهُ وَوَأَغْلَامَاهُ وَوَأَغْلَامَهُوهُ وَوَأَنْقَطَاعِ ظَهْرِيهِ، وَغَيْرِ مَطْرُودَةٍ فِي جَمْعِ أُمِّ، وَقَدْ جَاءَ بِغَيْرِ هَاءٍ، وَقَدْ جَمَعَ اللَّغْتَيْنِ مِنْ قَالَ:

إِذَا الْأُمَّهَاتُ قَبِحْنَ الْوُجُوهَ فَرَجَّتِ الظَّلَامَ بِأُمَّاتِكَا<sup>(٣)</sup>.

وَقِيلَ قَدْ غَلِبَتِ الْأُمَّهَاتُ فِي النَّاسِي وَالْأُمَاتُ فِي الْبِهَائِمِ، وَقَدْ زَادَ هَاءٌ فِي الْوَاحِدِ مِنْ قَالَ: أُمَّهَاتِي خِنْدِفٌ وَالْيَاسُ أَبِي<sup>(٤)</sup>، (وَفِي كِتَابِ الْعَيْنِ أُمَّهَاتٌ وَهُوَ مُسْتَرْدَلٌ)<sup>(٥)</sup> انْتَهَى، وَقِيلَ هُمَا أَصْلَانِ نَحْوُ: دَمَتْ وَدَمَثَ وَثَرَةٌ وَثَرَاتٌ وَوَلَوْلُوْ وَوَلَأَلٌ<sup>(٦)</sup>.

وَالْمُتَشَابَهُ الَّذِي يَشْبَهُ بَعْضَهُ بَعْضاً، مَأْخُودَةٌ مِنَ الشَّبهِ، وَالشَّبْهَةُ؛ لِأَنَّهُ يَشْتَبَهُ بِهِ الْمُرَادُ<sup>(٧)</sup>. وَالزَّيْغُ: الْمَيْلُ، وَأَزَاغَهُ أَمَالَهُ، وَالتَّرَايُغُ التَّمَايُلُ فِي الْأَسْنَانِ<sup>(٨)</sup>، وَالْإِبْتِغَاءُ: التَّطَلُّبُ.

(١) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ٢٢/١٢ - ٢٩، مادة أمم .

(٢) راجع الآية ٢٣ من سورة النساء .

(٣) (البيت لمروان بن الحكم و(قبحن الوجوه) بمعنى أخرجنها وأدللنها من قولهم: قبحه يقبحه بفتح العين في الماضي والمضارع إذا أخرجها، و(فرجت الظلام) بمعنى كشفتها لغة في فرجه تعريجاً، يعني: كشفه يزيد ان أمهات الناس بالفجور فأخزين أولادهن بذلك، والاستشهاد بالبيت في قوله(أماتكا) حيث استعمل الأمات في النسان على خلاف الغالب؛ إذ الغلب استعمال الأمهات في الإنسان والأمات في البهائم)، شرح الشافية: رضي الدين الاسترآبادي: ٣٨٣/٢ .

(٤) المفصل في صنعة الإعراب: الزمخشري: ٥٠٣/١ .

(٥) المصدر نفسه: ٥٠٤/١ .

(٦) ينظر: الشافية في علم التصريف: ابن الحاجب: ٥٨/١ .

(٧) ينظر: الصحاح: الجوهري: ٢٢٣٦/٦، مادة شبه .

(٨) ينظر: المصدر نفسه: ١٣٢٠/٤، مادة زيغ .

## معاني الفتنة لغة:

والفتنة: الاختبار من فتنت الذهب بالنار أي: اختبرته وخلصته، كقوله تعالى: ﴿الْم \* أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾<sup>(١)</sup>، أي: لا يُخْتَبَرُونَ، والفتنة الكفر كقوله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾<sup>(٢)</sup>، أي: الكفر، وقد مرّ في سورة البقرة، والفتنة العذاب كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، أي: يُعَذَّبُونَ، وقوله تعالى: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾<sup>(٤)</sup>، والفتنة الحُب والعشق، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾<sup>(٥)</sup>، أي: حُب وحبوب لكم، والفتنة الجنون، ومنه قوله تعالى: ﴿بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ﴾<sup>(٦)</sup>.

والتأويل التفسير من المأل أصله المرجع، والمصير من آل أمره إلى كذا أولاً إذا صار إليه، وأولته تأويلاً إذا صيرته إليه.

والرُسُوحُ الثُّبُوثُ، والراسخون الثابتون، وأرْسَخَهُ غيرُهُ أَثْبَتَهُ.

واللُبُّ بالضمّ العقلُ، والخالِصُ من كلّ شيء جمعه أَلْبَابُ<sup>(٧)</sup> كقُفْلٍ وإِغْفَالٍ .

## الإعراب:

جملة منه آيات من المبتدأ والخبر في موضع نصب حال من الكتاب، ومحكمات صفة آيات وجملة هُنَّ أمُّ الْكِتَابِ من المبتدأ والخبر صفة، وَأَخْرُ عَطْفٌ على آيات على تقدير موصوف، والتقدير وَمِنْهُ آيَاتٌ أَخْرُ وَمُتَشَابِهَاتٌ صفة بعد صفة، وَأَخْرُ غير منصرفة للوصف والعدل؛ لأنه معدول من الآخر بالألف واللام، أو مِنْ أَخْرُ، مِنْ كذا.

ذكر (أما) على الإجمال وقد مرّ مفصله:

وأما حرف شرطٍ وتأكيديٍ وتفصيليٍ يلزمها الفاء في جوابها ويقع بينها وبين فائها ستة، المبتدأ كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ﴾<sup>(٨)</sup> الخ، وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ

(١) سورة العنكبوت: الآية ١ - ٢ .

(٢) سورة البقرة: الآية ٢١٧ .

(٣) سورة الذاريات: الآية ١٣ .

(٤) سورة الذاريات: الآية ١٤ .

(٥) سورة التغابن: الآية ١٥ .

(٦) سورة القلم: الآية ٦ .

(٧) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ٧٢٩/١، مادة لبب .

(٨) سورة آل عمران: الآية ٧ .

أَمَّنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴿١﴾، وغير ذلك كما يأتي الآن، الحَبْرُ نحو أَمَّا في الدارِ فزِيدٌ، وأَمَّا في الحجرة فَعَمْرُو، وجملة الشرط كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ \* فَرَوْحٌ﴾ (٢) الآيات، المفعول وهو اسم منصوب لفظاً أو محلاً بالجواب المذكور كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ (٣) الآيات، المفعول أيضاً لكنّه منصوب بالجواب المقدر يفسره ما بعد الفاء نحو أَمَّا زَيْدًا فَاضْرِبْهُ ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ (٤)، على نَصِبِ ثمود، والظرف المعمول لأَمَّا لما فيها من معنى الفعل، أو لِمَا بَعْدَ الفاء نحو أَمَّا يَوْمَ الجمعة فزِيدٌ منطلقٌ.

وأَمَّا اليَوْمَ فَإِنِّي ذَاهِبٌ وَقَدْ تُحَذَفُ هَذِهِ الفاءُ مَعَ القَوْلِ قِيَاسًا كقوله تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ (٥)، أي: فيقال لهم أَكْفَرْتُمْ، وبدونه شُدُودًا كقوله أَمَّا القتالُ لا قتالَ لديكم، وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: "أَمَّا بَعْدُ مَا بَالَ رِجَالٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللهِ" (٦)، وقوله عليه السلام: "أَمَّا مُوسَى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَنْحَدِرُ مِنَ الوَادِي" (٧)، أَمَّا التَّفْصِيلُ فهو غَالِبٌ حالها كما مرَّ في آية البقرة ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ﴾ الخ، وقوله هنا ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ الخ، وقوله تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ﴾ (٨)، ﴿وَأَمَّا الْعُلَامُ﴾ (٩)، ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ﴾ (١٠) الآيات، وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ (١١) الخ، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ﴾ (١٢)، وقوله أَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ الآيات، وقوله تعالى: ﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ \* فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ \*

(١) سورة البقرة: الآية ٢٦ .

(٢) سورة الواقعة: الآية ٨٨ - ٨٩ .

(٣) سورة الضحى: الآية ٩ .

(٤) سورة فصلت: الآية ١٧ .

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٠٦ .

(٦) صحيح البخاري: البخاري: ٢٩/٣، سنن ابن ماجه: ابن ماجه: ٨٤٣/٢ .

(٧) وأصل الحديث "أَمَّا مُوسَى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ إِذْ انْحَدَرَ فِي الوَادِي يُلَبِّي"، راجع: صحيح البخاري: ١٤٨/٢، فتح الباري:

ابن حجر العسقلاني: ٣٢٩/٣ .

(٨) سورة الكهف: الآية ٧٩ .

(٩) سورة الكهف: من الآية ٨٠ .

(١٠) سورة الكهف: من الآية ٨٢ .

(١١) سورة آل عمران: الآية ١٠٦ .

(١٢) سورة آل عمران: الآية ١٠٧ .

وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿١﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ  
فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَفْرَعُوا كِتَابِيَهٗ﴾ ﴿٢﴾، ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ  
كِتَابِيَهٗ﴾ ﴿٣﴾ الخ، وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى \* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى \* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى \*  
لِلْيُسْرَى \* وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾ ﴿٤﴾ الآية، قد يُترك تكرارها استغناءً بذكر أحد القسمين عن  
الآخر، أو بكلام يُذكر بعدها في موضع ذلك، القسم الأول كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ  
جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا \* فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ  
فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَقَضَلٍ﴾ ﴿٥﴾، أي: وأما الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ فَلَهُمْ كَذًا وَكَذًا مِنَ الْعَذَابِ، والثاني  
كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ إلى قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا  
تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾، أي: وأما غيرهم فَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَكُونُونَ مَعْنَاهُ إِلَى  
رَبِّهِمْ، ويدل على ذلك قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ﴾ الخ، وقد تُبدل ميمها الأولى ياءً  
للتخفيف ﴿٦﴾، كقوله:

(رَأَتْ رَجُلًا أَيَّمَا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَضْحَى وَأَيَّمَا بِالْعَشِيِّ فَيَخْصِرُ) ﴿٧﴾

وقد ذكرناها مفصلةً في آية البقرة، وقوله: ﴿ابْتِغَاءَ﴾ مفعول في الموضعين، ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾  
فاعل، ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾ عَطْفٌ عَلَى اللَّهِ فَحِينَئِذٍ يُوقَفُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿فِي الْعِلْمِ﴾،  
وجملة ﴿يَقُولُونَ﴾ حِينَئِذٍ حَالٌ مِنَ الرَّاسِخِينَ [١٠] أو استئناف بيانيٍّ لحالهم، أو ﴿الرَّاسِخُونَ  
فِي﴾ مبتدأ، وجملة ﴿أَمَّا بِهِ﴾ على التقدير مقولة القول، والوقف حِينَئِذٍ عَلَى ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾،  
﴿كُلُّ﴾ مبتدأ والتنوين عوض من المضاف إليه، و﴿مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ خبر المبتدأ .

(١) سورة الحاقة: الآية ٤ - ٦ .

(٢) سورة الحاقة: الآية ١٩ .

(٣) سورة الحاقة: الآية ٢٥ .

(٤) سورة الليل: الآية ٥ - ٨ .

(٥) سورة النساء: الآية ١٧٤ - ١٧٥ .

(٦) ينظر: مغنى اللبيب: ابن هشام الأنصاري: ٥٦/١ .

(٧) وهو بيت ينسب لعمر بن أبي ربيعة، وهو من النجر الطويل، القاموس المحيط: الفيروزآبادي: ١٠٧٧، خزنة الأدب:

الأدب: البغدادي: ٣٩١/١١ .

### المعنى:

لما تقدم بيان إنزال القرآن عقبه بذكر بعض أقسامه، فقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾، أي: القرآن، منه أي: من الكتاب أي: بعضه، ﴿آيَاتٍ مُحْكَمَاتٍ﴾ أحكمت وأتقنت؛ بأن حُفِظَتْ من الاحتمال والاشتباه، والواجب العمل بها، وهي الفرقان أو أعم منه، ﴿هُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ﴾ أي: أصله الذي يرد إليها غيرها، وتحمّل المتشابهات عليها مهما أمكن، ﴿وَأُخْرُ مُتَّشَابِهَاتٍ﴾ أي: ومنه آيات أُخْرُ متشابهات، أي: محتملات لا يتضح مقصودها؛ لأجل الإجمال والاحتمال ومخالفة الظاهر فيها إلا بالنظر الصائب والفحص الثاقب؛ ليتبين فيها فضل العلماء الذين يُتَعَبَوْنَ قرائحهم في استخراج معاني المتشابهات، ويزداد حرصهم على أن يجتهدوا في تدبرها، وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها، والتوفيق بينها وبين المحكمات؛ ليتوصلوا بها إلى معرفة الله وتوحيده، ونفي التشبيه والتجسيم والتعطيل، وعدله، وإلى معرفة أنبيائه وحججه فينالوا بها معالي الدرجات، ويستحقوا بها أعالي الجنات، آمين من الآفات.

وأما قوله تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾<sup>(١)</sup> إلخ، فمعناه حُفِظَتْ آيَاتُهُ من ركاكة اللفظ وفساد المعنى.

وأما قوله تعالى في سورة الزمر: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَّشَابِهًا﴾<sup>(٢)</sup> إلخ، فمعناه أنه يشبهه بعضه بعضاً في جزالة اللفظ وصحة المعنى، فلا منافاة، والقياس أن يقول هُنَّ أمهات الكتاب، لكنه وحّد علي تأويل كل واحدة منهن أم الكتاب، أو على أن الكل بمنزلة آية واحدة.

### ذكر معاني المحكم والمتشابه:

وفي المجمع (إنما وحّد أم الكتاب ولم يقل أمهات الكتاب لوجهين: أحدهما أنه على وجه الجواب كأنه قيل ما أم الكتاب فقال هُنَّ أم الكتاب كما يقال من نظير زيد، فيقال نحن نظير زيد، والثاني: إن الآيات مجموعها أصل الكتاب وليست كل آية مُحْكَمَةً أم الكتاب وأصله؛ لأنه جرت مجرى شيء واحد في البيان والحكمة، ومثله قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ

(١) سورة هود: الآية ١ .

(٢) سورة الزمر: الآية ٢٣ .



آيَةً ﴿١﴾، ولم يقل آيتين؛ لأنَّ شأنهما واحدٌ في أنَّها جاءت به من غيرِ ذكْرٍ، فلم تكن الآيةُ لها إلا به ولا له إلا بها، ولو أراد أن كلَّ واحدٍ منهما آيةٌ على التفصيل لقال آيتين ﴿٢﴾ انتهى.

وفي تفسير العياشي عن الصادق عليه السلام أنه سُئِلَ عن المُحكَّمِ والمُتَشابِه، فقال: "المُحكَّم ما يُعمَلُ به، والمُتَشابِه ما اشتَبَهَ على جاهلِه" ﴿٣﴾، وقد مَضَتْ أخبارٌ كثيرةٌ في تفسير المحكم والمتشابه في المقدمة الرابعة من المقدمات الأربع عشرة في أول الكتاب.

وفي تفسير العياشي أيضاً "عن الصادق عليه السلام في تأويله أن المحكمات أمير المؤمنين والأئمة من ولده عليهم السلام، والمتشابهات فلان وفلان وفلان" ﴿٤﴾.

وفي تفسير علي بن إبراهيم في هذه الآية (فأما المُحكَّم من القرآن فهو ما تأويله في تنزيهه مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ ﴿٥﴾ الآية، ومثل قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ﴾ ﴿٦﴾ إلى آخر الآية، ومثله كثيرٌ مُحكَّمٌ ممَّا تأويله في تنزيهه، وأمَّا المُتَشابِه فما كان في القرآن ممَّا لفظه واحدٌ ومعانيه مختلفة ممَّا ذكرنا من الكفر الذي هو على خمسة أوجهٍ والإيمان على وجوهٍ ومثل الفتنة والضلال الذي هو على وجوهٍ، وتفسيرُ كلِّ آيةٍ نذكره في موضعه إن شاء الله تعالى) ﴿٧﴾.

وفي أصول الكافي "عن مُحَمَّدِ بْنِ سَالِمٍ، عن أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّ نَاسًا تَكَلَّمُوا فِي هَذَا الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ إلى آخر الآية، فآلَمَسُوخَاتٌ مِنَ الْمُتَشَابِهَاتِ وَالْمُحْكَمَاتِ" ﴿٨﴾، الحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة.

(١) سورة المؤمنون: الآية ٥٠ .

(٢) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٣٩/٢ - ٢٤٠، مع تصرف يسير من المؤلف .

(٣) تفسير العياشي: العياشي: ١/١٦٣، مع تغيير يسير في الرواية .

(٤) المصدر نفسه: ١/١٦٣، مع تغيير يسير في الرواية .

(٥) سورة المائدة: الآية ٦ .

(٦) سورة النساء: الآية ٢٣ .

(٧) تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي: ٩٦/١ .

(٨) الكافي: الكليني: ٢/٢٨/ح ١، اكتفى المؤلف بموضع الشاهد من النص القرآني .

وقد سبق في أول سورة البقرة أنّ الحروف المقطّعة في أول السور أيضاً من المتشابهات في حكاية نفر من اليهود منهم حُيّي وأبو ياسر ابنا أخطب وأهل نجران حيث أتوا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وما جرى بينهم، وفي المجمع (في المحكم والمتشابه أقوال):

أحدها: أنّ المُحَكَّم ما عَلِمَ المُرَادُ بظَاهِرِهِ مِنْ غَيْرِ قَرِينَةٍ تَقْتَرِنُ إِلَيْهِ وَلَا دَلَالَةٍ تَدَلُّ عَلَى الْمُرَادِ بِهِ؛ لوضوحه نحو قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾<sup>(١)</sup>، و﴿لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾<sup>(٢)</sup>، ونحو ذلك ممّا لَا يَحْتَاجُ فِي مَعْرِفَةِ الْمُرَادِ بِهِ إِلَى دَلِيلٍ، فَالْمُتَشَابَهُ مَا لَا يُعْلَمُ الْمُرَادُ بِظَاهِرِهِ حَتَّى يَقْتَرِنَ بِهِ مَا يَدَلُّ عَلَى الْمُرَادِ مِنْهُ؛ لِالتَّبَاسُهِ نَحْوَ قَوْلِهِ: ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾<sup>(٣)</sup>، فَإِنَّهُ يَفَارِقُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾<sup>(٤)</sup>؛ لِأَنَّ إِضْلَالَ اللَّهَ لَهُمْ حَسَنٌ، وَإِضْلَالَ السَّامِرِيِّ قَبِيحٌ، وَهَذَا [مَعْنَى] <sup>(٥)</sup> قَوْلِ مُجَاهِدٍ: الْمُحَكَّمُ مَا لَمْ يَشْتَبِهْ مَعَانِيَهُ، وَالْمُتَشَابَهُ مَا اشْتَبَهَتْ مَعَانِيَهُ، وَإِنَّمَا يَقَعُ الْاِشْتِبَاهُ فِي أُمُورِ الدِّينِ كَالْتَوْحِيدِ، وَنَفْيِ التَّشْبِيهِ، وَالْجَوْرِ أَلَّا تَرَى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾<sup>(٦)</sup>، يَحْتَمِلُ فِي اللُّغَةِ أَنْ يَكُونَ كَاسْتَوَاءِ الْجَالِسِ عَلَى سَرِيرِهِ، وَأَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى الْقَهْرِ وَالِاسْتِيلَاءِ، وَالْوَجْهُ الْأَوَّلُ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ.

وثانيها: أنّ المُحَكَّم النَّاسِخُ، وَالْمُتَشَابَهُ الْمَنْسُوخُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وثالثها: أنّ المُحَكَّمُ مَا لَا يَحْتَمِلُ مِنَ التَّأْوِيلِ إِلَّا وَجْهًا وَاحِدًا، وَالْمُتَشَابَهُ مَا يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ فَصَاعِدًا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الرَّبِيعِ وَأَبِي عَلِيٍّ الْجَبَائِيِّ. [١١]

ورابعها: إنّ المُحَكَّمُ مَا لَمْ يَتَكَرَّرْ أَلْفَاظُهُ، وَالْمُتَشَابَهُ مَا تَكَرَّرَ أَلْفَاظُهُ كَقِصَّةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَغَيْرِ ذَلِكَ عَنْ ابْنِ زَيْدٍ.

وخامسها: إنّ المُحَكَّمُ مَا يُعْلَمُ تَعْيِينُ تَأْوِيلِهِ، وَالْمُتَشَابَهُ مَا لَا يُعْلَمُ تَعْيِينُ تَأْوِيلِهِ كَقِيَامِ السَّاعَةِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ<sup>(٧)</sup>، أَنَّهُى كَلَامَهُ أَعْلَى اللَّهِ مَقَامَهُ.

(١) سورة يونس: الآية ٤٤ .

(٢) سورة النساء: الآية ٤٠ .

(٣) سورة الجاثية: الآية ٢٣ .

(٤) سورة طه: الآية ٨٥ .

(٥) ما بين المعقوفين ليس من الأصل.

(٦) سورة الأعراف: الآية ٥٤ .

(٧) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٣٩/٢ .

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ أي: شكٌّ وميلٌ وعدُولٌ عن الحقِّ كالمبتدعة، والحرورية، والصابئة، والثنوية، والدهرية، والمجبرة، والمفوضة، والمعطلة والمشبهة، ومن يتبع آثارهم، وأنا يحصل الزیغ لشكٍ أو شبهةً تعین بهم، ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ أي: فيتعلقون بظاهره، ويحتجون به على أباطلهم؛ بتأويلٍ باطلٍ، وتحريفهم الكلم مواضعه.

﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾.

### ذكر المراد بالفتنة في هذه الآية:

أي: لأجل طلبهم افتتان (الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه)<sup>(١)</sup>، أي: لطلب الضلال، وإفساد الدين على الناس، والتلبيس على ضعفاء الخلق، ولطلب الشرف والمال<sup>(٢)</sup> وحبهما، ولحسدِهم الناس على ما آتاهم الله من فضله، ووضع الترهات لغرور الدفناس<sup>(٣)</sup> واختلاس قلوبهم بتأويل كلام الله سبحانه وأوليائه وتحريفه، ولسعيرهم في الأرض للإفساد وإهلاك الحرث والنسل وتقطيع الأرحام لطلب المال وحب الدنيا كما سمى الله تعالى المال فتنة في مواضع من كتابه.

### في جملة الفتنة وطلبها وتأويلها:

وقيل المراد بالفتنة هنا الكفر أي: لطلب الكفر؛ لأن الفتنة قد جاءت في القرآن بمعنى الكفر، كما مرّ آنفاً في اللغة، وهو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام ومن افتتانهم الناس تلبيتهم إياهم تنسية الأشهر الحرم، وجعل البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي وتحليل المنخقة والمؤودة واستحلال الميتة بإلقاء الشبه على ضعفاء الخلق، وقال عكرمة: (إن قوماً من مجوس فارس، كتبوا إلى مشركي قريش، وكانوا أولياءهم في الجاهلية: إن محمداً وأصحابه يزعمون أنهم يتبعون أمر الله، ثم يزعمون أن ما ذبحوه حلال، وما قتله الله حرام، وقتل الله تعالى أولى بالأكل)<sup>(٤)</sup> فوقع ذلك في نفوسهم<sup>(٥)</sup>، ﴿وابتغاء تأويله﴾ أي: لطلب تأويلهم على ما يشتهونه، وعلى خلاف الحق، فالأول للمعاند، والثاني للجاهل أو

(١) أنوار التنزيل: البيضاوي: ٦/٢، زبدة التفاسير: فتح الله الكاشاني: ٤٥١/١.

(٢) ينظر: مجمع البيان: الطبرسي: ٢٤٠/٢، توضيح آيات الأحكام: أبو الفتح الجرجاني: ٣٥/٢.

(٣) الدفناس: (الأحمق، وقيل: الأحمق البذيء)، لسان العرب: ابن منظور: ٨٥/٦، مادة دفنس.

(٤) ما بين المعقوفين ليس من المصدر.

(٥) مجمع البيان: الطبرسي: ١٥/٤.

كلاهما لكليهما، وفي المجمع (وقال الزجاج: معنى [ابتغاء تأويلهم] <sup>(١)</sup> أنهم طلبوا تأويل بعثهم وإحيائهم فأعلم الله سبحانه أن ذلك لا يعلمه إلا الله ويدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ <sup>(٢)</sup> <sup>(٣)</sup> انتهى.

وهذا يدلّ على أنّ المراد بالمتشابه ما يخصّ الله سبحانه بعلمه كما هو أحد الأقوال فيه، ثمّ قال في المجمع (واختلف في الذين عنوا بهذا فقيل عني به وفد نجران؛ لما حاجوه في أمر عيسى سألوه فقالوا: أليس هو كلمة الله وروحا منه فقال بلى فقالوا حسبنا فأنزل الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾، يعني: أنهم قالوا أنّ الروح ما فيه بقاء البدن فأجروه على ظاهره، والمسلمون يحملونه على [غير ذلك] <sup>(٤)</sup>، قد قامت الدلالة على أنّ القديم تعالى ليس بذي أجزاء وأعضاء وإنما يضاف الروح إليه تشريفاً للروح كما يضاف البيت إليه ثم أنزل ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ <sup>(٥)</sup>، عن الربيع وقيل هم اليهود طلبوا علم أجلّ هذه الأمة واستخرجه بحساب الجمل عن الكلبي، وقيل هم المنافقون عن ابن جريح، وقيل بل كل من احتج بالمتشابه لباطله والآية عامة عن قتادة <sup>(٦)</sup>، انتهى.

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾ الذي يجب أن يحمل عليه، ﴿إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ وهم الثابتون فيه، أي: الذين ثبتوا في العلم وضبطوه وتمكّنوا فيه وأتقنوه، وثبتت أقدامهم فيه كالجبال الرواسي، يعني: ما يعلم تأويل المتشابه إلا الله وإلا والرّاسخون في العلم، فإنهم يعلمونه أيضاً، فحينئذٍ يكون ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ عَطْفًا عَلَى اللَّهِ كَمَا هُوَ رَأْيُ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ <sup>(٧)</sup>، ويدلّ الأخبار المعتبرة، ويكُونُ الْوَقْفُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿فِي الْعِلْمِ﴾، ثمّ يبتدأ

(١) في المصدر: ابتغائهم تأويله.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٥٣ .

(٣) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٤٠/٢ .

(٤) في المصدر: أنّ بقاء البدن كان في وقته به، كما أنّ بقاء البدن بالروح .

(٥) سورة آل عمران: الآية ٥٩ .

(٦) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٤١/٢ .

(٧) ينظر: تفسير مجاهد: مجاهد بن جبر: ٢٤٩، تفسير فرات الكوفي: فرات الكوفي: ٦٨، النكت والعيون: الماوردي:

٣٧٢/١، المحرر الوجيز: ابن عطية: ٤٠٣/١، جوامع الجامع: الطبرسي: ٢٦٢/١ .

بقوله: ﴿يَقُولُونَ﴾، ويكون يُقُولُونَ استئنافاً لبيان حال الراسخين، أو حالاً منهم، والتقدير قائلين ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ (كقول ابن المفرغ الحميري<sup>(١)</sup>):

الرَّيْحُ تَبْكِي شَجْوَةً وَالْبَرْقُ يَلْمَعُ فِي غَمَامِهِ<sup>(٢)</sup>.

أي: والبرق يبكي أيضاً لامعاً في غمامة، وهذا قول ابن عباس والربيع، ومحمد بن جعفر بن الزبير، واختيار أبي مسلم، وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام فإنه قال: "فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَفْضَلَ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ قَدْ عَلِمَ جَمِيعَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ التَّنْزِيلِ وَالتَّأْوِيلِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُنْزَلَ شَيْئاً عَلَيْهِ لَمْ يُعَلِّمْهُ تَأْوِيلَهُ، وَهُوَ وَأَوْصِيَاؤُهُ مِنْ بَعْدِهِ يَعْلَمُونَهُ كُلَّهُ"<sup>(٣)</sup>، ومما يؤيد هذا القول إن الصحابة والتابعين أجمعوا على تفسير جميع آي القرآن، ولم نرهم توقفوا على شيء منه، ولم يفسروه بأن قالوا هذا متشابه لا يعلمه إلا الله، ومما يؤيد هذا القول أن الصحابة والتابعين أجمعوا على تفسير جميع آي القرآن، ولم ترهم توقفوا عن شيء منه ولم يفسروه بأن قالوا هذا متشابه لا يعلمه إلا الله<sup>(٤)</sup>.

والقول الآخر أن الواو في الراسخون للاستئناف والراسخون مبتدأ، وجملة يُقُولُونَ خبره، وعلى الوجهين جملة أمناً به مقول القول كما مر في الإعراب، فعلى هذا القول يكون لا يعلم تأويل المتشابه إلا الله، ويكون الوقف عند قوله: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾، ثُمَّ يُبْتَدَأُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾، وهذا قول (عروة بن الزبير، والحسن ومالك، واختيار الكسائي والفراء والجبائي، وقالوا: إن الراسخين لا يعلمون تأويله، ولكنهم يؤمنون به، فالآية راجعة على هذا التأويل إلى العلم بمدة أجل هذه الأمة، ووقت قيام الساعة، وفناء الدنيا، ووقت طلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى وخروج الدجال، ونحو [١٢] ذلك مما استأثر الله بعلمه، ويكون التأويل على هذا القول بمعنى المتأول كقوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾<sup>(٥)</sup>،

(١) (هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري)، الشعر والشعراء: ابن قتيبة الدينوري: ٣٤٨/١ .

(٢) ديوان يزيد بن مفرغ الحميري: ٢٠٨، هكذا جاء البيت في الأصل، فيما جاء في المصدر:

فَالرَّيْحُ تَبْكِي شَجْوَهَا وَالْبَرْقُ يَلْمَعُ فِي الْعَمَامَةِ .

(٣) الكافي: الكليني: ٢١٣/١، باب أن الراسخين في العلم هم الأئمة عليهم السلام، وسائل الشيعة: الحر العاملي: ١٣٢/١٨، أصل الحديث عن أبي جعفر عليه السلام إنه قال: "فَرَسُولُ اللَّهِ ص أَفْضَلُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ قَدْ عَلَّمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ جَمِيعَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ التَّنْزِيلِ وَالتَّأْوِيلِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُنْزَلَ عَلَيْهِ شَيْئاً لَمْ يُعَلِّمْهُ تَأْوِيلَهُ وَأَوْصِيَاؤُهُ مِنْ بَعْدِهِ يَعْلَمُونَهُ كُلَّهُ".

(٤) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٤١/٢ .

(٥) سورة الأعراف: الآية ٥٣ .

يعني: الموعود<sup>(١)</sup>، ونص على ذلك في المجمع، يعني: أن (من وقف على إلا أن فسّر المتشابه بما استأثر الله تعالى بعلمه، كمدّة بقاء الدنيا، ووقت قيام الساعة)<sup>(٢)</sup>، وخواص الأعداد كعدد الزبانية، وعلى التحقيق والتفصيل ووقت طلوع الشمس ومغربها، وظهور القائم عَلَيْهِ السَّلَام ونزول عيسى والدجال ونحو ذلك مما قال الله تعالى في سورة لقمان: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ﴾<sup>(٣)</sup>، (فِي إِبَانَةِ الْمُفْتَدِرِ لَهُ، وَفِي الْمَحَلِّ الْمُعَيَّنِ لَهُ فِي عِلْمِهِ)<sup>(٤)</sup>، و﴿يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾<sup>(٥)</sup>، مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى، وَقَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ، وَسَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، وَمَنْ يَكُونُ فِي النَّارِ حَطْبًا، أَوْ فِي الْجَنَّةِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقًا<sup>(٦)</sup>، كما صرّح عليه السلام بذلك في نهج البلاغة، ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾<sup>(٧)</sup>، من خيرٍ أَوْ شَرٍّ، وَرَبَّمَا تَعَزَمَ شَيْئًا فَتَفْعَلْ خَلْفَهُ، ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾<sup>(٨)</sup>، يعلم الأشياء كلّها، ﴿حَبِيرٌ﴾، يعلم بواطنها، كما يعلم ظواهرها، يعلم السرّ وأخفى، أي: وأخفى من السرّ، كون النزاع على ذلك لفظياً.

وفي تفسير علي بن ابراهيم عَن الصّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "هذه الخمسة أشياء لم يطلع عليها ملك مقرب، ولا نبي مرسل، وهي من صفات الله تعالى"<sup>(٩)</sup>، وفي نهج البلاغة "فَهَذَا عِلْمُ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ"<sup>(١٠)</sup>، وفي المجمع(جاء في الحديث أَنَّ مَفَاتِيحَ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ وَقَدْ رَوَى عَنْ أُمَّةِ الْهُدَى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إِنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الْخَمْسَةَ لَا يَعْلَمُهَا عَلَى التَّفْصِيلِ وَالتَّحْقِيقِ غَيْرُهُ تَعَالَى)<sup>(١١)</sup>، الحديث.

(١) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٤١/٢ .

(٢) زبدة التفسير: فتح الله الكاشاني: ٤٥١/١ .

(٣) سورة لقمان: الآية ٣٤ .

(٤) أنوار التنزيل: البيضاوي: ٢١٨ / ٤ .

(٥) سورة لقمان: الآية ٣٤ .

(٦) نهج البلاغة: خطب لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام): ١١/٢ .

(٧) سورة لقمان: الآية ٣٤ .

(٨) سورة لقمان: الآية ٣٤ .

(٩) تفسير القمي: القمي: ١٦٧/٢ .

(١٠) نهج البلاغة: خطب لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب(ع): ١١/٢ .

(١١) مجمع البيان: الطبرسي: ٩٦/٨، التفسير الصافي: الفيض الكاشاني: ١٥٢/٤ .

وقولهم عليهم السلام على التفصيل والتحقيق إشارة إلى أنهم عليهم السلام ربما يخبرون عن بعض هذه الخمسة ونحوها على الإجمال، وإنما كان ذلك تعلماً وتحدثاً من عالم الغيوب، ومن ذي علم كما قاله أمير المؤمنين عليهم السلام، وقال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا \* إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾<sup>(١)</sup> الآية، ﴿كُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا﴾ أي: كل واحد من المحكم والمتشابه من عند ربنا سبحانه، ولم يكن من عند غيره سبحانه، ولم يختلقه أحد من تلقاء نفسه كما حكى الله عز وجل بقوله: ﴿وَإِذَا تَنَتَّلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلُهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾<sup>(٢)</sup> الآية، ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أي: ذوو العقول، وهم أصحاب اليمين، وهم الذين أمر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله بتبشيرهم في قوله عز من قائل: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ \* الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾<sup>(٣)</sup>؛ حيث كرر اسم الإشارة ووضع الظاهر موضع الضمير؛ لبيان المناط، وللإشارة إلى أنه راجح وإشارة إلى الذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها المذكورين قبله، متصلاً به حيث قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَيَّ اللَّهُ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادَ﴾<sup>(٤)</sup>، وإيماء بأن أولئك المهديين من جملة من هو قانت آناء الليل، ساجداً وقائماً، محرز الآخرة ويرجو رحمة ربه، وبأنهم المتقون الذين قال سبحانه فيهم ووعدهم بقوله سبحانه هذه الآية: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ مَبْنِيَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾<sup>(٥)</sup>، وتعريض وإيماء بأن من تمتع بالكفر وصد العباد عن سبيل الله والانقياد له ولرسوله، ولمن حذو حذوه، وحسدوا الناس على ما آتاهم الله من فضله، هو من الطواغيت، وبأن من اتبعهم وانقاد لهم ونهض بأجنتهم هم العابدون لهم وآبائهم الذين خسروا أنفسهم وأهليهم: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾<sup>(٦)</sup>، وهم الذين نكروهم الله سبحانه قبل هذه الآية، فمدح الله سبحانه أولو الألباب بجودة الذهن

(١) سورة الجن: الآية ٢٦ - ٢٧ .

(٢) سورة يونس: الآية ١٥ .

(٣) سورة الزمر: الآية ١٧ - ١٨ .

(٤) سورة الزمر: الآية ١٧ .

(٥) سورة الزمر: الآية ٢٠ .

(٦) سورة الزمر: الآية ١٦ .



وحسن النظر واتباعهم ما هو أحسن وأنفع لهم في الدارين، وأشار إلى استعدادهم به للاهتمام إلى تأويله بتجريد عقولهم من غواشي الحس<sup>(١)</sup>.

وقال في أنوار التنزيل: (واتصال الآية بما قبلها من حيث إنها في تصوير الروح بالعلم وتربيته، وما قبلها في تصوير الجسد وتسويته، أو أنها جواب عن تشبث النصارى بنحو قوله تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾<sup>(٢)</sup>، كما أنه جواب عن قوله لا أب له غير الله، فتعين أن يكون هو أباه بأنه تعالى مصور الأجثة كيف يشاء فيصور من نطفة أب ومن غيرها، وبأنه صوره في الرحم والمصور لا يكون أب المصور)<sup>(٣)</sup> انتهى.

وفي المجمع (قيل: لم أنزل الله تعالى في القرآن المتشابه؟ وهلا جعله كله محكماً؟ فالجواب: إنه لو جعل جميعه محكماً لاتكل الناس كلهم على الخبر، واستغنوا عن النظر، وكان لا يتبين فضل العلماء على غيرهم، وكان لا يحصل لهم ثواب النظر، وإتباع الخواطر في استنباط المعاني، وقال القاضي الماوردي: قد وصف الله تعالى جميع القرآن بأنه محكم بقوله: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾<sup>(٤)</sup>، ووصف جميعه أيضاً بأنه متشابه بقوله: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾<sup>(٥)</sup>، فمعنى الإحكام: الإتيان والمنع أي: هو ممنوع بإتقانه وإحكام معانيه، عن اعتراض خلل فيه، فالقرآن كله محكم من هذا الوجه، وقوله متشابهاً أي: يشبه بعضه في الحسن والصدق والثواب، والبعد عن الخلل والتناقض، فهو كله متشابه [١٣] من هذا الوجه)<sup>(٦)</sup> انتهى.

في كمال الدين وتَمَام النعمة "عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: إِنَّ لِقِيَامِ الْقَائِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِلَامَاتٍ [تكون من الله عز وجل للمؤمنين]<sup>(٧)</sup>، قُلْتُ: وَمَا هِيَ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ؟ قَالَ: ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ يَعْنِي: الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَ خُرُوجِ الْقَائِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّمَرَاتِ وَبَشِيرِ

(١) ينظر: زبدة التفسير: فتح الله الكاشاني: ٤٥٢/١، التفسير الصافي: الفيض الكاشاني: ١٣٩/١ .

(٢) سورة النساء: الآية ١٧١ .

(٣) أنوار التنزيل: البيضاوي: ٦/٢ .

(٤) سورة هود: الآية ١ .

(٥) سورة الزمر: الآية ٢٣ .

(٦) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٤٢/٢ .

(٧) ما بين المعقوفين ليس من الأصل.

الصَّابِرِينَ ﴿١﴾، قَالَ: نَبَلُوكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ، مِنْ مَلُوكِ بَنِي فُلَانٍ فِي آخِرِ سُلْطَانِهِمْ، وَالْجُوعِ بَغْلَاءِ أَسْعَارِهِمْ، وَنَقْصِ مِنَ الْأَمْوَالِ، قَالَ: كَسَادِ التِّجَارَاتِ وَقِلَّةِ الْفَضْلِ، وَنَقْصِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ، قَالَ: مَوْتِ ذُرَيْعٍ وَنَقْصِ مِنَ الثَّمَرَاتِ قَالَ: قِلَّةِ رَيْعِ مَا يَزْرَعُ، وَبَشْرِ الصَّابِرِينَ، عِنْدَ ذَلِكَ بِتَعْجِيلِ خُرُوجِ الْقَائِمِ عَلَيْهِ السَّلَامِ، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ هَذَا تَأْوِيلُهُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾<sup>(٢)</sup> (٣).

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي بإسناده إلى محمد بن علي الباقر عليه السلام في حديث طويل يذكر فيه خطبة الغدير وفيها قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: "مَعَاشِرَ النَّاسِ، تَدَبَّرُوا الْقُرْآنَ وَأَفْهَمُوا آيَاتِهِ، وَانظُرُوا إِلَى مُحْكَمَاتِهِ وَلَا تَتَّبِعُوا مُتَشَابِهَهُ، فَوَاللَّهِ لَنْ يُبَيِّنَ لَكُمْ زَوَاجِرَهُ، وَلَنْ يُوضِحَ لَكُمْ تَفْسِيرَهُ إِلَّا الَّذِي أَنَا آخِذٌ بِيَدِهِ وَمُضْعِدُهُ إِلَيَّ وَشَائِلٌ بِعَضُدِهِ وَرَافِعُهُ بِيَدَيَّ، وَمُعَلِّمُكُمْ: أَنَّ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ، وَهُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَخِي وَوَصِيِّي، وَمَوْلَاتُهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَهَا عَلَيَّ"<sup>(٤)</sup>، وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام في حديث طويل يقول عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِلْعِلْمِ أَهْلًا، وَفَرَضَ عَلَى الْعِبَادِ طَاعَتَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾<sup>(٥)</sup>.

وفي نهج البلاغة قال عليه السلام: "أَيُّنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا، كَذِبًا وَبَغْيًا عَلَيْنَا، أَنْ رَفَعْنَا اللَّهَ وَوَضَعَهُمْ، وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ، وَأَدْخَلْنَا وَأَخْرَجَهُمْ"<sup>(٦)</sup>.

وفي الكافي "عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الْم \* غُلِبَتِ الرُّومُ \* فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾<sup>(٧)</sup>، قَالَ، فَقَالَ: يَا أَبَا عُبَيْدَةَ إِنَّ لِهَذَا تَأْوِيلًا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ"<sup>(٨)</sup>، الحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة، "عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: إِنَّ الْقُرْآنَ

(١) سورة البقرة: الآية ١٥٥ .

(٢) سورة آل عمران: الآية ٧ .

(٣) كمال الدين وتمام النعمة: الصدوق: ٦٤٩ - ٦٥٠/٣ح، باب ما روى في علامات خروج القائم عليه السلام .

(٤) الاحتجاج: الطبرسي: ٧٥/١ .

(٥) المصدر نفسه: ٣٦٩/١، وسائل الشيعة: الحر العاملي: ٥٠/١٨ .

(٦) نهج البلاغة: خطب لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): ٢٠١ .

(٧) سورة الروم: الآية ١-٣ .

(٨) الكافي: الكليني: ٣٩٧/٨/٢٦٩ح .

رَاجِرٌ وَأَمْرٌ يَأْمُرُ بِالْجَنَّةِ وَيَرْجُرُ عَنِ النَّارِ فِيهِ مُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ، فَأَمَّا الْمُحْكَمُ فَيُؤْمَنُ بِهِ وَيُعْمَلُ بِهِ [وَيُؤْمَنُ بِهِ] (١)، وَأَمَّا الْمُتَشَابِهُ فَيُؤْمَنُ بِهِ وَلَا يُعْمَلُ بِهِ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾، وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ آلُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ (٢).

فيفهم من هذه الأخبار المنقولة من هذه الكتب المعتبرة أن الراسخين في العلم هم محمدٌ صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومون من آله عليهم السلام أيضاً يعلمون تأويل المتشابه من القرآن إلا ما استأثر الله سبحانه بعلمه من الأشياء الخمسة ونحوها، ويفهم من الحديث الآخر أن بعض المتشابه مما لا يتعلق به العمل بل بحسب الإيمان والاعتقاد به، والانقياد له والطوع القلبي كالعلم واليقين بظهور القائم، ونزول عيسى، وخروج الدجال، وفناء الدنيا، وقيام الساعة، فإنه يجب الإيمان بأن كل ذلك سيقع جزماً، وأن لم يعلم وقته الذي وقته الله سبحانه.

وفي روضة الكافي أيضاً عن "عمر بن أديبة، عن بُرَيْدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، عَنْ أَحَدِهِمَا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾، قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَفْضَلُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ؛ قَدْ عَلَّمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ جَمِيعَ مَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مِنَ النَّزِيلِ وَالتَّأْوِيلِ، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُنزِلَ عَلَيْهِ شَيْئاً لَمْ يُعَلِّمَهُ تَأْوِيلَهُ وَأَوْصِيَاؤُهُ مِنْ بَعْدِهِ يَعْلَمُونَهُ" (٣).

وفي أصول الكافي "عَنْ دَاوُدَ بْنِ فَرْقَدٍ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ، عَنِ ابْنِ شُبْرُمَةَ قَالَ: مَا ذَكَرْتُ حَدِيثاً سَمِعْتُهُ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ إِلَّا كَادَ أَنْ يَتَّصِدَّ قَلْبِي، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، [قَالَ ابْنُ شُبْرُمَةَ: وَأُقْسِمُ بِاللَّهِ مَا كَذَّبَ أَبُوهُ عَلَى جَدِّهِ وَلَا جَدُّهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ] (٤): مَنْ عَمِلَ بِالْمَقَابِيسِ فَقَدْ هَلَكَ وَأَهْلَكَ وَمَنْ أَفْتَى النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ النَّاسِخَ مِنْ

(١) ما بين المعقوفين ليس من الأصل.

(٢) بحار الأنوار: العلامة المجلسي: ٢٣ / ١٩١ .

(٣) الكافي: الكليني: ٢١٣/١، بَابُ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمْ الْأَيْمَةُ ع، والرواية في المصدر (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمَّادٍ عَنْ بُرَيْدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ عَنْ أَحَدِهِمَا (الباقر والصادق) عليهم السلام).

(٤) ما بين المعقوفين ليس من الأصل.

الْمُنْسُوخِ وَالْمُحَكَّمِ مِنَ الْمُتَشَابِهِ فَقَدْ هَلَكَ وَأَهْلَكَ" (١)، عَنْ "هَشَامِ بْنِ الْحَكَمِ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو الْحَسَنِ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: يَا هَشَامُ إِنَّ اللَّهَ يَا هَشَامُ ثُمَّ ذَكَرَ أَوْلِي الْأَلْبَابِ بِأَحْسَنِ الذِّكْرِ وَحَلَّاهُمْ بِأَحْسَنِ الْحَلِيَةِ فَقَالَ: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾" (٢)، عَنْ "أَبِي الصَّبَّاحِ الْكِنَانِيِّ" (٣) قَالَ: قَالَ نَحْنُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ" (٤)، "عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: نَحْنُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ" (٥).

فيفهم من هذا الحديث أنهم عليهم السلام هم الراسخون في العلم، ويعلمون تأويل المتشابه، "عَنْ بُرَيْدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، عَنْ أَحَدِهِمَا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾، [قال: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَفْضَلُ] (٦) الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ؛ قَدْ عَلَّمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ جَمِيعَ مَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مِنَ التَّنْزِيلِ وَالتَّوْوِيلِ، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُنْزَلَ عَلَيْهِ شَيْئاً لَمْ يُعَلِّمَهُ تَأْوِيلَهُ، وَأَوْصِيَاؤُهُ مِنْ بَعْدِهِ يَعْلَمُونَهُ كُلَّهُ، وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهُ إِذَا قَالَ الْعَالِمُ فِيهِمْ يَعْلَمُ فَأَجَابَهُمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾، وَالْقُرْآنُ خَاصٌّ وَعَامٌّ، وَمُحَكَّمٌ وَمُتَشَابِهٌ، وَنَاسِخٌ وَمُنْسُوخٌ، فَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَعْلَمُونَهُ" (٧)، "عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأئِمَّةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ [١٤] مِنْ بَعْدِهِ" (٨).

(١) الكافي: الكليني: ٤٣/١، ح ٩٦، بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْقَوْلِ بِغَيْرِ عِلْمٍ .

(٢) المصدر نفسه: ١٣/١ - ١٥، ح ١٢، كتاب العقل والجهل، والحديث طويل اكتفى المؤلف بموضع الشاهد منه.

(٣) (إبراهيم بن نعيم العبدي أبو الصباح الكناني نزل فيهم فنسب إليهم، كان أبو عبد الله عليه السلام يسميه الميزان، لثقتة... رأى أبا جعفر وروى عن أبي إبراهيم)، رجال النجاشي: النجاشي: ١٩، وانظر: رجال الطوسي: الطوسي: ١٢٣ .

(٤) بصائر الدرجات: الصفار: ٢٢٤، ح ٦، باب في الأئمة عليهم السلام انهم الراسخون في العلم الذي ذكرهم الله تعالى في كتابه، والحديث طويل اكتفى المؤلف بموضع الشاهد منه.

(٥) الكافي: الكليني: ٢١٣/١، ح ١، باب أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الْأئِمَّةُ ع .

(٦) في المصدر: فرسول الله أفضل.

(٧) بصائر الدرجات: الصفار: ٢٢٤، الكافي: الكليني: ٢١٣/١، ح ٢، باب أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الْأئِمَّةُ ع، وسائل

الشيعة: الحر العاملي: ١٧٩/٢٧ .

(٨) الكافي: الكليني: ٢١٣/١، ح ٣، باب أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الْأئِمَّةُ ع، مرآة العقول: المجلسي: ٤٣٦/٢ .

وَفِي كِتَابِ التَّوْحِيدِ "عَنِ الرَّيَّانِ بْنِ الصَّلْتِ، عَنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، عَنْ أَبِيهِ، [عَنْ آبَائِهِ] (١)، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: مَا آمَنَ بِي مَنْ فَسَّرَ بَرَأْيَهُ كَلَامِي" (٢)، وَفِي خُطْبٍ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهَا "وَانْقَطَعَ دُونَ الرُّسُوحِ فِي عِلْمِهِ جَوَامِعُ التَّفْسِيرِ" (٣).

**المعني بالراسخين في العلم ووجه تسميتهم به:**

وَفِي خُطْبَةٍ أُخْرَى لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ فِي آخِرِهَا: "وَاعْلَمْنَا أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ عَنِ اقْتِحَامِ السُّدَدِ الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ فَلَزِمُوا الْإِقْرَارَ بِجُمْلَةٍ مَا جَهَلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ الْمَحْجُوبِ فَقَالُوا: ﴿أَمَّا بِهِ كُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا﴾ فَمَدَحَ اللَّهُ اعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ تَتَأَوَّلَ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْمًا، وَسَمَّى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُكَلِّفَهُمُ الْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوحًا، فَأَقْتَصَرَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا تُقَدَّرُ عَظَمَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ فَتَكُونُ مِنَ الْهَالِكِينَ" (٤)، وَفِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ مِثْلَهُ.

وَفِي الْعِيُونَ فِي بَابِ مَجْلِسِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ الْمَأْمُونِ مَعَ أَهْلِ الْمِلَلِ وَالْمَقَالَاتِ وَمَا أَجَابَ بِهِ عَلِيُّ بْنُ جَهْمٍ فِي عَصْمَةِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ يَقُولُ فِيهِ لِعَلِيِّ بْنِ جَهْمٍ "وَيْحَكَ يَا عَلِيُّ اتَّقِ اللَّهَ؛ وَلَا تَتَسَبَّ إِلَى أَنْبِيَاءِ اللَّهِ الْفَوَاحِشَ، وَلَا تَتَأَوَّلَ كِتَابَ اللَّهِ بِرَأْيِكَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ قَالَ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ﴾، وَأَمَّا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي آدَمَ" (٥) الْحَدِيثِ.

وَفِي كَمَالِ الدِّينِ وَتَمَامِ النِّعْمَةِ عَنْ "سُلَيْمِ بْنِ قَيْسِ الْهَلَالِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: مَا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ آيَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا أَقْرَأْنِيهَا، وَأَمْلَاهَا عَلَيَّ، وَكَتَبْتُهَا بِخَطِّي، وَعَلَّمَنِي تَأْوِيلَهَا وَتَفْسِيرَهَا، وَنَاسِخَهَا وَمُنْسُوخَهَا، وَمُحْكَمَهَا وَمُتَشَابِهَهَا، وَدَعَا اللَّهَ أَنْ يُعَلِّمَنِي فَهَمَّهَا وَحَفِظَهَا، فَمَا نَسِيتُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَلَا عَلِمْتُ أَمْلَاهُ عَلَيَّ فَكَتَبْتُهُ، وَمَا

(١) ما بين المعقوفين ليس من الأصل.

(٢) التوحيد: الصدوق: ٢٣/٦٨، باب التوحيد ونفي التشبيه .

(٣) الكافي: الكليني: ١/١٣٤/١، باب جوامع التوحيد، نور البراهين: نعمة الله الجزائري: ١٢٢/١ .

(٤) التوحيد: الصدوق: ٥٥ - ١٣/٥٦، باب التوحيد ونفي التشبيه .

(٥) عيون أخبار الرضا(ع): الصدوق: ١٧٠/١ - ١٧١/١، باب نكر مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المأمون مع

أهل الملل والمقالات وما أجاب به علي بن محمد بن الجهم في عصمة الأنبياء سلام الله عليهم أجمعين .

تَرَكَ شَيْئاً عَلَّمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ حَلَالٍ وَلَا حَرَامٍ، وَلَا أَمْرٍ وَلَا نَهْيٍ، وَمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ مِنْ طَاعَةٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا عَلَّمَنِيهِ وَحَفِظْتُهُ، فَلَمْ أَنْسَ حَرْفًا وَاحِدًا"<sup>(١)</sup>.

### رد المتشابه إلى المحكم:

وفي العيون "حدثني أبي رضي الله عنه قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن أبي حيون مولى الرضا عليه السلام قال: من ردّ متشابه القرآن إلى مُحكَمِهِ هُدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ فِي أَخْبَارِنَا مُتَشَابِهًا كَمُتَشَابِهَةِ الْقُرْآنِ، وَمُحَكَّمًا كَمُحَكَمِ الْقُرْآنِ، فَرُدُّوا مُتَشَابِهَهَا إِلَى مُحَكَمِهَا، وَلَا تَتَّبِعُوا مُتَشَابِهَهَا دُونَ مُحَكَمِهَا؛ فَتَضَلُّوا"<sup>(٢)</sup>.

وفي كتاب الخصال عن سليم بن قيس الهلالي عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل يقول فيه: "إِنَّ أَمْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِثْلُ الْقُرْآنِ نَاسِخٌ وَمَنْسُوخٌ، وَخَاصٌّ وَعَامٌّ، وَمُحَكَّمٌ وَمُتَشَابِهٌ، وَقَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْكَلَامُ لَهُ وَجْهَانِ كَلَامٍ عَامٍّ، وَكَلَامٍ خَاصٍّ مِثْلُ الْقُرْآنِ"<sup>(٣)</sup> الحديث.

وفي أصول الكافي في كتاب العقل "عَنْ سُلَيْمِ بْنِ قَيْسِ الْهَلَالِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنِّي سَمِعْتُ مِنْ سَلْمَانَ وَالْمِقْدَادِ وَأَبِي ذَرٍّ شَيْئاً مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَأَحَادِيثٍ عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ غَيْرَ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ، ثُمَّ سَمِعْتُ مِنْكَ تَصْدِيقَ مَا سَمِعْتُ مِنْهُمْ، وَرَأَيْتُ فِي أَيْدِي النَّاسِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَمِنَ الْأَحَادِيثِ عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنْتُمْ تُخَالِفُونَهُمْ فِيهَا وَتَرَعُمُونَ أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ بَاطِلٌ، أَفْتَرَى النَّاسُ يَكْذِبُونَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُتَعَمِّدِينَ، وَيُفَسِّرُونَ الْقُرْآنَ بِأَرَائِهِمْ؟ قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ: قَدْ سَأَلْتِ فَافْهَمِ الْجَوَابَ إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقًّا وَبَاطِلًا، وَصِدْقًا وَكُذْبًا، وَنَاسِخًا وَمَنْسُوخًا، وَعَامًّا وَخَاصًّا، وَمُحَكَّمًا وَمُتَشَابِهًا، وَحِفْظًا وَوَهْمًا، وَقَدْ كُذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى عَهْدِهِ حَتَّى قَامَ خَطِيبًا فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ الْكُذَّابَةُ فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، ثُمَّ كُذِبَ عَلَيْهِ مِنْ بَعْدِهِ، وَإِنَّمَا أَتَاكُمْ الْحَدِيثُ مِنْ أَرْبَعَةِ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ: رَجُلٌ مُنَافِقٌ يُظْهِرُ الْإِيمَانَ مُتَصَنِّعٌ بِالْإِسْلَامِ لَا يَتَأَنَّمُ وَلَا يَتَحَرَّجُ أَنْ يَكْذِبَ

(١) كمال الدين وتمام النعمة: الصدوق: ٢٨٤ - ٢٨٥/ح٣٧، باب ما روى عن النبي صلى الله عليه وآله في النص على

القائم عليه السلام وأنه الثاني عشر من الأئمة عليهم السلام

(٢) عيون أخبار الرضا(ع): الصدوق: ١/٢٦١/ح٣٩، باب فيما جاء عن الإمام علي بن موسى عليهما السلام من

الأخبار المنفرقة.

(٣) الخصال: الصدوق: ٢٥٦ - ٢٥٧/ح١٣١.



عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُتَعَمِّدًا، فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَذَّابٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ، وَلَمْ يُصَدِّقُوهُ، وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا هَذَا قَدْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَرَأَاهُ وَسَمِعَ مِنْهُ، وَأَخَذُوا عَنْهُ وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَ حَالَهُ، وَقَدْ أَخْبَرَهُ اللَّهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَهُ وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾<sup>(١)</sup>، ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ فَتَقَرَّبُوا إِلَى أَيْمَةِ الضَّلَالَةِ والدُّعَاةِ إِلَى النَّارِ؛ بِالزُّورِ والكَذِبِ والبُهْتَانِ فَوَلَّوهُمْ الأَعْمَالَ، وَحَمَلُوهُمْ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ، وَأَكَلُوا بِهِمُ الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْمُلُوكِ والدُّنْيَا إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ، فَهَذَا أَحَدُ الأَزْبَعَةِ، وَرَجُلٍ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ شَيْئًا لَمْ يَحْمِلْهُ عَلَى وَجْهِهِ وَوَهَمَ فِيهِ وَلَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِبًا، فَهُوَ فِي يَدِهِ يَقُولُ بِهِ، وَيَعْمَلُ بِهِ، وَيُرْوِيهِ، فَيَقُولُ: أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهَمٌ لَمْ يَقْبَلُوهُ، وَلَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ وَهَمٌ لَرَفَضَهُ، وَرَجُلٍ ثَالِثٍ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ شَيْئًا أَمَرَ بِهِ ثُمَّ نَهَى عَنْهُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، أَوْ سَمِعَهُ يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، فَحَفِظَ مَنْسُوحَهُ وَلَمْ يَحْفَظِ النَّاسِخَ [١٥] وَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنْسُوحٌ لَرَفَضَهُ، وَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوحٌ لَرَفَضُوهُ، وَآخَرَ رَابِعٍ لَمْ يَكْذِبْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُبْغِضٍ لِلْكَذِبِ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ وَتَعْظِيمًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمْ يَنْسَهُ؛ بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى وَجْهِهِ فَجَاءَ بِهِ كَمَا سَمِعَ لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ، وَعَلِمَ النَّاسِخَ مِنَ الْمَنْسُوحِ فَعَمِلَ بِالنَّاسِخِ وَرَفَضَ الْمَنْسُوحَ، فَإِنَّ أَمْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِثْلُ الْقُرْآنِ؛ نَاسِخٌ وَمَنْسُوحٌ، وَخَاصٌّ وَعَامٌّ، وَمُحَكَّمٌ وَمُنْتَشَابِهِ، قَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْكَلَامُ لَهُ وَجْهَانِ؛ كَلَامٌ عَامٌّ وَكَلَامٌ خَاصٌّ مِثْلُ الْقُرْآنِ، وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ: ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾<sup>(٢)</sup>، فَيَشْتَبِهَ عَلَى مَنْ لَمْ يَعْرِفْ وَلَمْ يَدْرِ مَا عَنِ اللَّهِ بِهِ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ يَسْأَلُهُ عَنِ الشَّيْءِ فَيَفْهَمُ؛ وَكَانَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْأَلُهُ وَلَا يَسْتَفْهَمُهُ حَتَّى إِنْ كَانُوا لِيُحِبُّونَ أَنْ يَجِيءَ الأَعْرَابِيُّ والطَّارِئُ فَيَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَتَّى يَسْمَعُوا، وَقَدْ كُنْتُ أَدْخُلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كُلَّ يَوْمٍ دَخَلَةً، وَكُلَّ لَيْلَةٍ دَخَلَةً فَيُخَلِّينِي فِيهَا أَدُورٌ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ، وَقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ لَمْ يَصْنَعْ ذَلِكَ بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ غَيْرِي، فَرُبَّمَا كَانَ فِي بَيْتِي يَأْتِينِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) سورة المنافقون: الآية ٤ .

(٢) سورة الحشر: الآية ٧ .



وآله أَكْثَرُ ذَلِكَ فِي بَيْتِي، وَكُنْتُ إِذَا دَخَلْتُ عَلَيْهِ بَعْضَ مَنَازِلِهِ أَخْلَانِي وَأَقَامَ عَنِّي نِسَاءَهُ، فَلَا يَبْقَى عِنْدَهُ غَيْرِي، وَإِذَا أَتَانِي لِلْخُلُوةِ مَعِي فِي مَنْزِلِي لَمْ تَقُمْ عَنِّي فَاطِمَةُ وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي، وَكُنْتُ إِذَا سَأَلْتُهُ أَجَابَنِي، وَإِذَا سَكَتُ عَنْهُ وَفَنَيْتُ مَسَائِلِي ابْتَدَأَنِي، فَمَا نَزَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا أَقْرَأْنِيهَا وَأَمْلَاهَا عَلَيَّ فَكَتَبْتُهَا بِحَطِّي، وَعَلَّمَنِي تَأْوِيلَهَا وَتَفْسِيرَهَا، وَنَاسِخَهَا وَمَنْسُوخَهَا، وَمُحْكَمَهَا وَمُتَشَابِهَهَا، وَخَاصَّهَا وَعَامَّهَا، وَدَعَا اللَّهُ أَنْ يُعْطِينِي فَهَمَّهَا وَحَفِظَهَا فَمَا نَسِيتُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَلَا عَلِمًا أَمْلَاهُ عَلَيَّ وَكَتَبْتُهُ مُنْذُ دَعَا اللَّهُ لِي بِمَا دَعَا، وَمَا تَرَكَ شَيْئًا عَلَّمَهُ اللَّهُ مِنْ حَلَالٍ وَلَا حَرَامٍ، وَلَا أَمْرٍ وَلَا نَهْيٍ كَانَ أَوْ يَكُونُ، وَلَا كِتَابٍ مُنْزَلٍ عَلَى أَحَدٍ قَبْلَهُ مِنْ طَاعَةٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا عَلَّمَنِيهِ وَحَفِظْتُهُ فَلَمْ أَنْسَ حَرْفًا وَاحِدًا، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِي وَدَعَا اللَّهُ لِي أَنْ يَمْلَأَ قَلْبِي عِلْمًا وَفَهْمًا وَحُكْمًا وَنُورًا، فَقُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مُنْذُ دَعَوْتَ اللَّهُ لِي بِمَا دَعَوْتَ لَمْ أَنْسَ شَيْئًا وَلَمْ يَفْتِنِي شَيْءٌ لَمْ أَكْتُبْهُ أَفْتَنَتْخَوْفُ عَلَيَّ النَّسِيَانَ فِيمَا بَعْدُ، فَقَالَ: لَا لَسْتُ أَتَخَوَّفُ عَلَيْكَ النَّسِيَانَ وَالْجَهْلَ" (١) الْحَدِيثُ .

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ \* رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (٢) آيتان .  
اللغة:

(الهِبَةُ: تَمْلِيكُ الشَّيْءِ مِنْ غَيْرِ مَثْمَنَةٍ، وَالهِبَةُ وَالنَّحْلَةُ وَالصَّلَةُ نِظَائِرٌ) (٣).

#### ذكر الفرق بين عند ولدى ولغاتها:

ولدن بمعنى عند لكن بينهما فرقٌ وهو أَنَّكَ تقول عندي كذا لما كان في ملكك وضبطك حضرك أو غاب عنك ولديّ كذا لما كان لا يتجاوز حضرتك، وفيها تسع لغاتٍ، لدى بالألف المقصورة، ولدن بفتح اللام وضمّ الدال وسكون النون، ولدن بضم اللام والدال معاً وسكون النون، ولدن بفتح اللام والدال معاً وسكون النون، ولدن بفتح اللام وسكون الدال وكسر النون؛ لالتقاء الساكنين، ولدن بضم اللام وسكون الدال وكسر النون لذلك، ولد بفتح اللام وضم الدال وحذف النون، ولد بفتح اللام وسكون الدال مع حذف النون، ولد بفتح اللام

(١) الكافي: الكليني: ١/ ٦٢ - ٦٤/ح ١، بَابُ اخْتِلَافِ الْحَدِيثِ .

(٢) سورة آل عمران: الآية ٨ - ٩ .

(٣) مجمع البيان: الطبرسي: ٢/ ٢٤٢ .

وسكون الدال مع حذف النون، ولد بضم اللام وسكون الدال مع حذف النون، والميعاد مصدر ميمي بمعنى: الوعد كالميقات بمعنى: الوقت .

### الإعراب:

﴿رَبَّنَا﴾ في الموضعين منادى مضاف بحذف النداء، أي: يا ربنا، وبعد ظرف لقوله ﴿لَا تُزِغْ﴾ وهو مضاف إلى إذا الظرفية فهي في محل الجر بإضافته إليها، وهي مضافة إلى جملة ﴿هَدَيْتَنَا﴾.

### كون إذ بمعنى أن:

وقيل إذ هذه بمعنى أن المصدرية أي: بعد أن هَدَيْتَنَا، واللام في ﴿لِيَوْمٍ﴾ للتعليل مثلها في قولهم: جئتكَ للسَّمْن<sup>(١)</sup>، وهي متعلّقة بجامعٍ على حذفٍ مضافٍ بمعنى: لأجل حسابٍ يومٍ وجزائه وليس بمعنى في كما قيل وجملة لا ريب فيه صفة يومٍ .  
المعنى:

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ هَذَا مَقَالٌ أُولُو الْأَبَابِ، وَمَقَالُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ، وَلَيْسَ بِاسْتِثْنَاءٍ كَمَا قِيلَ، يَعْنِي: يَتَوَلَّوْنَ يَا سَيِّدَنَا وَخَالِقَنَا لَا تَكُنَّا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةً عَيْنٍ أَبَدًا، وَلَا تُمِلْ قُلُوبَنَا عَنْ نَهْجِ الْحَقِّ وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَالَّذِينَ الْقَوِيمِ، إِلَى اتِّبَاعِ الْمُتَشَابِهِ بِتَأْوِيلٍ لَا تَرْتَضِيهِ، وَإِلَى ارْتِكَابِ الْبِدْعِ وَجَعْلِ الْهَوَىٰ إِلَهًا.

﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾، أَي: بَعْدَ إِذْ وَقَفْتَنَا وَأَرْشَدْتَنَا إِلَى الْحَقِّ وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَالْإِيمَانَ بِكُلِّ مَنْ الْمُحْكَمِ وَالْمُتَشَابِهِ، وَهَذَا دُعَاءٌ لِلتَّشْبِيهِ عَلَى الْهِدَايَةِ وَالْبَقَاءِ عَلَيْهَا عَلَى سَبِيلِ الْانْقِطَاعِ وَالِاسْتِمْدَادِ بِالْأَلطَافِ وَالتَّوْفِيقَاتِ السُّبْحَانِيَّةِ، وَأَنْشِرَاحِ الصَّدْرِ لِلْإِسْلَامِ، وَعَدَمِ الضِّيقِ وَالْحَرْجِ، وَتَطْهِيرِ الْقُلُوبِ عَنْ دَرَنِ الْمَعَاصِي، وَكُتْبِ الْإِيمَانِ فِيهَا وَالتَّوْفِيقِ لِلتَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ وَلِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَلِلْاجْتِنَابِ عَنِ الْخَطَايَا وَالْمَعَاصِي [١٦] وَرُويَ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: "قَلْبُ ابْنِ آدَمَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، إِنْ شَاءَ أَقَامَهُ عَلَى الْحَقِّ، وَإِنْ شَاءَ أَرْأَغَهُ عَنْهُ"<sup>(٢)</sup>، أَوْ لَا تَمْنَعْنَا لَطْفَكَ<sup>(١)</sup> الَّذِي تَسْتَقِيمُ مَعَهُ الْقُلُوبُ فَتَمِيلُ قُلُوبَنَا مِنَ الْإِيمَانِ وَالْهِدَايَةِ

(١) ينظر: شرح الرضي على الكافية: رضي الدين الأسترآبادي: ٢١٩/١ .

(٢) أنوار التنزيل: البيضاوي: ١٠/٢، أصل الحديث روي "عن النّوأس بن سمعان الكلابي قال: سمعت رسول الله ص قال: مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ إِنْ شَاءَ أَقَامَهُ وَإِنْ شَاءَ أَرْأَغَهُ"، راجع: سنن ابن ماجه: ابن ماجه: ٧٢/١، صحيح ابن حبان: ابن حبان: ٢٢٣/٣ .

إلى الكفر والغواية بعد إذ لطفت بنا<sup>(٢)</sup>، (ولا تختبرنا ببلايا تزيغ فيها ﴿قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾، وأرشدتنا إلى دينك، ونظيره قوله: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا﴾<sup>(٣)</sup>، فأضافوا ما يقع من زيغ القلوب إليه سبحانه لما كان عند امتحانه<sup>(٤)</sup>؛ لأنه مُسَبَّبٌ عن امتحانه وخذلانه، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾<sup>(٥)</sup>.

وهذه الآية تدلّ على احتياج الممكن في البقاء إلى المؤثر كما يحتاج إليه أولاً، وهو الحقّ من المذهب، وتجيء الإشارة إلى ذلك في حديث هشام الآتي وغيره.

﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾، أي: من عندك لطفاً ونعمة من التوفيق والمعونة وانسراح الصدر؛ نتوصّل بها إلى الثبات على الحقّ مع الصادقين وعلى الإيمان؛ إذ لا يتوصّل إلى الثبات على الحق والإيمان إلا بلطفك ونعمتك أنا فأنأ، كما لا يتوصّل إلى ابتدائه إلا بذلك، فلا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين أبداً ونخزي.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ لكلّ مسؤولٍ لا وهّابٍ إلا أنت.

**تحقيق معنى الوهّاب ولا يتحقق في غيره تعالى على الحقيقة:**

وذلك لأنّ الوهّاب من أبنية المبالغة من الهبة وهي العطيّة الخالصة من الأغراض جميعاً فإذا كثرت العطايا كذلك سمّي صاحبها وهّاباً، ولم تتصوّر الهبة المذكورة في حقّ غيره تعالى أصلاً، فلا وهّاب حقيقة إلا هو سبحانه.

وفي الكافي عن "أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام في حديث هشام: هشام إنّ الله حكى عن قوم صالحين أنّهم قالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾، حين علموا أنّ القلوب تزيغ وتعود إلى عمّاها وردّها إنّها لم يخف الله من لم يعقل عن الله ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها ويجد حقيقتها في قلبه ولا يكون أحدٌ كذلك إلا من كان قوله لفعله مصدّقاً وسرّه لعلانيته موافقاً؛ لأنّ الله تبارك اسمه لم يدلّ على الباطن الخفي من العقل إلا بظاهر منه وناطق عنه"<sup>(٦)</sup> الحديث.

(١) ومنه في حاشية الأصل: عطف على قوله: لا تُملّ قلوبنا إلخ . .

(٢) ينظر: جوامع الجامع: الطبرسي: ٢٢٦/١ .

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٤٦ .

(٤) جوامع الجامع: الطبرسي: ٢٦٦/١ .

(٥) سورة الصف: الآية ٥ .

(٦) الكافي: الكليني: ١٨/١ ح ١٢، كتاب العقل والجهل، والحديث طويل اكتفى المؤلف بموضع الشاهد منه.

وفي هذا الحديث اشعارٌ بل تَصْرِيحٌ بأنَّ قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ ليس من مقال الراسخين في العلم بل من مقال الصالحين والتابعين للراسخين في العلم المتابعين لأنارهم حذو النعل بالنعل، وهم أولوا الألباب والذي مرَّ بيانه، والمقصود منهم هو في الآية السابقة، فهم يسألون الله توفيق الاهتداء بالراسخين في العلم والثبات على كونهم معهم، وعدم الميل منهم إلى غيرهم إلى آخر ما مرَّ.

فيكون المعنى حكى الله تعالى عن قوم صالحين هم ﴿أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ بأنهم يقولون ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا عَنْ تَوْفِيقِكَ وَعَنْ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ﴾ بعد إذ هَدَيْتَنَا إليهم حين علموا أنَّ القلوب تزيع وتعود إلى عماها ورداها كما رأوا ذلك من القوم الفاسقين والغواة النَّاصِبِينَ الذي ارتدوا على أعقابهم قهقري، وتركوا الراسخين في العلم، وزالوهم عم مقامهم واتَّبَعُوا الطَّاغُوتَ، وأخذوا العجل وعبدوه وعكفوا عليه كما أَخْبَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بقوله: ﴿أَفَأَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾<sup>(١)</sup>، الآية.

وفي تفسير العياشي "عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: أَكْثَرُوا مِنْ أَنْ تَقُولُوا ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ وَلَا تَأْمَنُوا الرَّيْغَ"<sup>(٢)</sup> الحديث، وهذا الحديث صريحٌ في كونه من مقال أولو الألباب على ما مرَّ بيانهُ بدلالة تعليمه عَلَيْهِ السَّلَامُ إِيَّاهُمْ بِإِكْتَارٍ هذه المقالة .

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ﴾، أي: لأجل حسابٍ وجزائه ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، أي: وقوع هذا اليوم وتحققه وما يقع فيه من الحشر والجزاء وليس فيه موضع شكٍّ أصلاً؛ لوضوحه واستلزام التكليف ذلك على سبيل الوجوب متضمّن إقرارهم بالبعث وتبهُوا به على أنَّ مُعْظَمَ غَرَضِهِمْ مِنَ الطَّلِبَتَيْنِ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْآخِرَةِ؛ لِأَنَّهَا الْمَقْصَدُ الْأَصْلِيُّ، وَالْمَالُ وَالدُّنْيَا مَزْرَعَتَاهَا.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾، أي: الوعد الذي وَعَدَهُ عِبَادَهُ؛ لِأَنَّ الْإِلَهِيَّةَ تَنَافِيهِ وَلِلْإِشْعَارِ بِالْمَنَافَاةِ وَتَعْظِيمِ الْمَوْعُودِ غَيْرِ الْخِطَابِ، وَالْعُدُولُ مِنَ الضَّمِيرِ إِلَى الظَّاهِرِ؛ لِزِيَادَةِ التَّمَكِينِ وَإِدْخَالِ الرَّوْعِ فِي الْقُلُوبِ وَتَرْبِيَةِ الْمَهَابَةِ مَعَ تَقْوِيَةِ الدَّاعِي، وَفِيهِ التَّفَاتُ مِنَ الْخِطَابِ إِلَى الْغَيْبَةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾<sup>(٣)</sup> الآية، مكان جرين بكم.

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

(٢) تفسير العياشي: العياشي: ١٦٤/١.

(٣) سورة يونس: الآية ٢٢ .

## دلالة الآية:

فتدل هذه الآية على تحقق البعث والنشور والحساب والجنة والنار؛ لأن إيفاء الوعد واجب، واستدل الوعيدية<sup>(١)</sup> بها على خلود الفساق في النار، وقد مرّ الجواب عن أمثال هذه الآية، والأخبار مفصلاً في تفسير قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، وأيضاً وعيد الفساق مشروط بعدم التوبة أو بعدم العفو، وأيضاً خلف الوعد قبيح منافٍ للالهية دون الوعيد .

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ \* كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾<sup>(٣)</sup> آيتان . [ ١٧ ]

## اللغة:

الوقودُ بفتح الواو الحطب، وفُرى بضمها، وهو مصدرٌ بمعنى إيقاد النار وإيقادها<sup>(٤)</sup>، والدَّابُّ: العادة والاجتهاد، وهو مصدر دَابَّ يَدَابُّ في العمل إذا كدح واجتهد، يُقال: دَابَّ يَدَابُّ دَابًّا بالتحريك إذا اعتاد الشيء وتمرَّن عليه ودَابَّ يَدَابُّ دَابًّا ودُوبًا إذا اجتهد فيه وبالع، ثم نُقل إلى معنى الشأن والعادة والحالة<sup>(٥)</sup>، والدَّنبُ والجُرمُ والعِصيان نظائر .

## الإعراب:

جملة ﴿لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ﴾ خبر إن، وقال أبو عبيد من في قوله: ﴿مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ بمعنى: عند، وقال بعضهم بمعنى: البديل مثله في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾<sup>(٦)</sup>، أي: بدل الحق، والمعنى: لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من رحمة الله وطاعته شيئاً على حذف مضافٍ كما رأيت، أي: بدل رحمة الله وطاعته، ومنه قوله عليه

(١) الوعيدية: (هم فرقة قالوا بقبح خلف الوعيد كما يقبح خلف الوعد، بداهم بهذا القول عمرو بن عبيد المعتزلي، كما وقالوا بأن عذاب أصحاب الكبائر من المسلمين مؤبد لا ينقطع كالكفار، وإن الشفاعة عبارة عن استزادة الثواب للمستحقين)، أعيان الشيعة: محسن الأمين: ٤٣٨/٩ .

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٤ .

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٠ - ١١ .

(٤) ينظر: مقاييس اللغة: ابن فارس: ١٣٢/٦، مادة وَقَدَ .

(٥) ينظر: تهذيب اللغة: الأزهرى: ١٤٢/١٤، مادة دَابَّ .

(٦) سورة يونس: الآية ٣٦ .

السَّلَامُ: "وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ"<sup>(١)</sup>، والجدّ هنا الحظّ والغنى، لا ينفعه جدّه وحظّه وغناه من الدنيا بذلك بدل طاعتك وعبادتك، وإنما ينفعه الإيمان والطاعة<sup>(٢)</sup>، وقال بعضهم: (معناه من عذاب الله شيئاً)<sup>(٣)</sup>، (وقال المبرد: وهي على أصلها لابتداء الغاية وتقديره: لن تغني عنهم غناً ابتداءً وانتهاءً)<sup>(٤)</sup>، وعلى التقادير متعلّق بـ"لن تغني"، وقوله: ﴿كَذَّابٌ﴾، إمّا منصوب المحلّ متعلّق بـ"لن تغني" أو بالوقود؛ لأنّ خبر معنى الفعل، أي: تتقدّ النار بأجسامهم كما تتقدّ بأجسام آل فرعون ومن قبلهم من الأمم الماضية، وإمّا مرفوع المحلّ خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير دأب هؤلاء كذاب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ إمّا في محلّ الجرّ عطفاً على آل فرعون وحينئذٍ جملة ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ حال من آل فرعون، ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ جميعاً فيقدّر لفظ قدّ كما هو القاعدة المستمرة، أو استئناف تفسيرٍ لذابهم جميعاً، وأمّا في محلّ الرفع مُبتدأً وحينئذٍ جملة ﴿كَذَّبُوا﴾ خبره.

المعنى:

ثمّ بيّن سبحانه حال ﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زِينٌ﴾ يعرضون عن الحق والصراط المستقيم، ويرتدّوا على أعقابهم قهقري، وحال عموم الكفرة من وفد نجران واليهود ومشركي العرب وغيرهم كائناً من كان، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله وآياته وكتبه ورسوله ﴿لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ﴾، أي: لن تدفع عنهم ﴿أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾، أي: من عذاب الله شيئاً، أي: شيئاً قليلاً من عذاب الله فكيف ترفع عنهم كثيره الدائم، أو لن تنفعهم أموالهم ولا أولادهم بدل رحمة الله وطاعته شيئاً، أي: نفعاً قليلاً، فكيف بالكثير، وإمّا ينفعهم الإيمان به وبآياته وكتبه ورسوله وطاعته لو كانوا مؤمنين مطيعين مقادين لأوامره ونواهيهِ؛ لأنّ ذلك ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ \* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾<sup>(٥)</sup>، من الكفر والنفاق والحسد والشقاق، ﴿وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾، أي: حطبُ النار، أي تتقدّ النار بأجسامهم كما قال تعالى في

(١) سنن الدارمي: الدارمي: ١٣٥٢/٢، صحيح البخاري: البخاري: ١٦٨/١، ٨٤٤/٢، الأمالي: الطوسي: ٢٦٥/١٥٨.

(٢) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس: أبو بكر الأنباري: ١٨/١، الصحاح: الجوهري: ٤٥٢/٢.

(٣) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٤٤/٢.

(٤) المصدر نفسه: ٢٤٤/٢، وانظر: الجامع لأحكام القرآن: القرطبي: ٢١/٤.

(٥) سورة الشعراء: الآية ٨٨ - ٨٩.

سورة الأنبياء: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾<sup>(١)</sup>، وهو الحطب أيضاً، وقراءة عليّ عليه السلام حُطْبُ جَهَنَّمَ بالطاء كما يأتي إن شاء الله تعالى، وقوله: ﴿كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ متعلق بما قبل، أعني: لن يغني أو بالوقود على ما مرّ في الإعراب والمعنى لن تُغني عنهم أموالهم ولا أولادهم كما لم تغن عن آل فرعون وعن الذين قبلهم أموالهم ولا أولادهم أو تتقد بهم النار كما تتقد بأولئك، وذلك كما تقول إنك لتظلم الناس كذاب أبوك تريد كظلم أبوك، أي: مثل ما كان يظلمهم، وأن فلاناً لمحارف كذاب أبيه تريد كما حورف أبوه .

وفي تفسير علي بن إبراهيم قوله: ﴿كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾، أي: كفعل آل فرعون<sup>(٢)</sup>، أو خبرٌ لمبتدأ محذوف على ما مرّ أيضاً، أي: دأب هؤلاء الكفر وشأنهم وحالهم وعاداتهم في التكذيب بك يا محمدُ وبما أنزل إليك وإيثارهم الباطل على الحق، وعبادتهم الطاغوت، واتقاد النار بأجسامهم كذاب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم من كفّار الأمم الماضية والقرون السابقة في تكذيب آيات الله وكتبه ورسله، وأخذ الألهة من دون الله، وحق من له الحق، وإيثار الباطل عليه، واتقاد النار بأجسامهم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة.

﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ تفسيرٌ لدأبهم جميعاً، أو حال بتقدير قد، أي: قد كانوا مكذّبين بآياتنا، أو المعنى: اجتهد هؤلاء الكفار في نهرك وإبطال أمرك وإخماد نورك كاجتهد آل فرعون في قهر موسى عليه السلام وإبطال أمره وإخماد نوره ﴿وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾<sup>(٣)</sup>، وكذا عادة الله سبحانه ودأبه في إنزال العذاب والسنين على هؤلاء الكفرة في الدنيا، واتقاد النار بأجسامهم في البرزخ والآخرة مثل عادة الله سبحانه في أولئك حذو النعل بالنعل إلخ.

﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾، أي: فعاقبهم الله سبحانه جميعاً بذنوبهم وكفرهم وعتوهم، سمى المعاقبة مؤاخذاً؛ لأنها أخذ بالذنب، والأخذ بالذنب عقوبة.

﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن يعاقبه، فهذا تهويلٌ للمؤاخذاة، وزيادة تخويف للكفرة.

(١) سورة الأنبياء: الآية ٩٨ .

(٢) تفسير القمي: القمي: ٩٧/١ .

(٣) سورة التوبة: الآية ٣٢ .



وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْيُهُمْ لَيْسَ بِإِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾<sup>(١)</sup> الآية .

#### القراءة:

قرأ حمزة والكسائي من أهل الكوفة غير عاصم سيُغْلَبُونَ وَيُحْشَرُونَ بالياء فيهما<sup>(٢)</sup>؛ بناءً على أن الأمر بأن يحكى لهم ما أخبره به من وعيدهم بلفظه، أعني: الانتقال من خطاب المواجهة إلى الخبر بلفظ الغائب، ويؤيده قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ [١٨] آمَنُوا يُغْفَرُوا﴾<sup>(٤)</sup> الآية، قال الفراء: يقال: قل لعبد الله: إنه قائم وإِنَّكَ قائم، أي: قل لهم قولي لك أنهم سيُغْلَبُونَ وَيُحْشَرُونَ، وقيل: إن الخطاب لليهود، والضمير في سيُغْلَبُونَ وَيُحْشَرُونَ للمشركين؛ لأن اليهود أظهروا الشرور بما كان من المشركين يوم أحدٍ فعلى هذا لا يكون إلا بالياء؛ لأن المشركين غُيِّبَ وَلَيْسَ بِشَيْءٍ مِنْ وَجْهَيْنِ مِنْ جِهَةِ النَّزُولِ، وَمِنْ لُزُومِ اخْتِلَافِ الْمُقْصُودِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالتَّاءِ فِيهَا بِنَاءً عَلَى الظاهر وبدلالة قوله: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ﴾<sup>(٥)</sup> الآية.

#### اللغة:

الحشر الجمع مع سوقٍ، والحاشر الجامعُ، وقوله تعالى حكاية عن فرعون وهامان ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾<sup>(٦)</sup>، ومنه يقال للنبي صلى الله عليه وآله: الحاشر، وجهتهم من أسماء النار مأخوذة من الجهنام وهي البئر البعيدة القعر<sup>(٧)</sup>، والمهاد القرار وهو الموضع الذي يمهد للمنام<sup>(٨)</sup>.

#### الإعراب:

المَحْضُوصُ بِالذَّمِّ مَحْذُوفٌ بِدَلَالَةِ مَا قَبْلَهُ، أَي: وَبِئْسَ الْمِهَادُ جَهَنَّمَ.

(١) سورة آل عمران: الآية ١٢ .

(٢) ينظر: الكنز في القراءات العشر: أبو محمد الواسطي: ٤٣٧/٢، المكرر في ما تواتر: النَّشْرُ: ٦٥ .

(٣) سورة الأنفال: الآية ٣٨ .

(٤) سورة الجاثية: الآية ١٤ .

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٣ .

(٦) سورة الأعراف: الآية ١١١ .

(٧) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ١١٢/١٢ .

(٨) ينظر: المصدر نفسه: ٤١٠/٣ .

## النزول:

نزلت هذه الآية بعد وقعة بدر، وفي تفسير علي بن إبراهيم (أنها نزلت بعد بدر لما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من بدر أتى بني قينقاع وهو يناديهم وكان بها سوق يسمى سوق النبط فاتاهم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا معشر اليهود قد علمتم ما نزل بقريش وهم أكثر عدداً وسلاماً وكراماً [منكم] (١) فادخلوا في الإسلام، فقالوا: يا محمد إنك تحسب حربنا مثل حرب قومك؟ والله لو لقينا للقيت رجالاً، فنزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (٢).

وفي المجمع (روى محمد بن إسحاق بن يسار عن رجاله قال: لما أصاب رسول الله قريشاً ببدر، وقدم المدينة، جمع اليهود في سوق قينقاع فقال: يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر، وأسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم، وقد عرفتم أنني نبي مرسل، تجدون ذلك في كتابكم، فقالوا: يا محمد لا يعرثك أنك لقيت قوماً أغماراً، لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة، أما والله لو قاتلناك لعرفت أننا نحن الناس، فأنزل الله تعالى هذه الآية (٣)، ورواه أصحابنا أيضاً، وروي عن عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس أيضاً (٤)، وصدق الله وعده بقتل بني قريظة، وبني قينقاع، وإجلاء بني النضير، وفتح خيبر، وضرب الجزية على من عداهم.

وقيل: (نزلت في [مشركي] (٥) مكة: سَتُغْلَبُونَ يوم بدر، عن مقاتل، وقيل: بل نزلت في اليهود، لما قتل الكفار ببدر وهزموا قالت اليهود: إنه النبي الأمي الذي بشرنا به موسى، ونجده في كتابنا بنعته وصفته، وأنه لا ترد له راية، ثم قال بعضهم لبعض: لا تعجلوا حتى تنظروا إلى وقعة أخرى، فلما كان يوم أحد، ونكب أصحاب رسول الله ص، شكوا وقالوا: لا والله ما هو به، فغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا، وقد كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إلى مدة لم تنتقض، فنقضوا ذلك العهد قبل أجله، وانطلق كعب بن الأشرف

(١) ما بين المعقوفين ليس من الأصل.

(٢) تفسير القمي: القمي: ٩٧/١ .

(٣) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٤٨/٢ .

(٤) ينظر: سنن أبي داود: أبو داود: ٣٣/٢، ح ٣٠٠١، السنن الكبرى: البيهقي: ١٨٣/٩ .

(٥) ما بين المعقوفين ليس من الأصل.

إلى مكة في ستين راكبا، فوافقهم وأجمعوا أمرهم على رسول الله، لتكون كلمتنا واحدة، ثم رجعوا إلى المدينة، فأنزل الله فيهم هذه الآية، عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس<sup>(١)</sup>.

**المعنى:**

حذر الله سبحانه هؤلاء الكافرين المكذبين الكائنين في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وأوصيائه من اليهود ومشركي مكة وغيرهم من أن يحلّ بهم ما حلّ بأولئك الكفار من القرون الخالية فقال قل يا محمد ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ﴾ تصيرون مغلوبين في الدنيا ﴿وَتُحْشَرُونَ﴾ أي: مجمعون ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ في الآخرة ﴿وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ لكم ولأمثالكم جهنم وأيا ما كانوا فقد صدق الله سبحانه وعده وفعل بهم الأمرين المتعلق أحدهما بالدنيا، والآخر بالآخرة، فإن اليهود غلبوا بقتل بني قريظة، وبني قينقاع، وإجلاء بني النضير، ووضع الجزية على من بقي منهم، وضرب الذلة والمسكنة عليهم وغلب المشركون كذلك بالقتل والأمر<sup>(٢)</sup>.

**دلالة الآية:**

ففي الآية دلالة واضحة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله؛ لأنّ مخبره قد خرج على وفق خبره، فدلّ ذلك على صدقه، ولا يكون ذلك على وجه الاتّفاق؛ لأنّه بين أخباراً كثيرة من الاستقبال فخرج الجميع، فكما أنّ كلّ واحدٍ منها كان معجزاً اطلّعه الله تعالى عليه ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا \* إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾<sup>(٣)</sup> الآية، فكذلك هذه الآية، وإذا أثبت صدقه في أحد الخبرين ثبت صدقه في الخبر الآخر يقيناً، وهو أنّهم يُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ.

(١) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٤٨/٢ .

(٢) ينظر: جوامع الجامع: الطبرسي: ٢٦٨/١، التفسير الصافي: الفيض الكاشاني: ٣٢٠/١ .

(٣) سورة الجن: الآية ٢٦ - ٢٧ .

وقوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (١)، آية .

#### القراءة:

قرأ أهل المدينة والبصرة تَرَوْنَهُمْ بالتاء، والباقون بالياء (٢)، ويؤيد قراءة الياء قوله تعالى: ﴿مِثْلَيْهِمْ﴾، وإلا كان الأنسب مِثْلَيْكُمْ، وفُرِيَّ بضمها على البناء للمفعول، أي: يُرِيهِم الله، أو يُرِيكُمْ الله [١٩] .

#### اللغة:

الفِئَةُ: الطائفة من الناس، وَجَمَعَهَا فِئُونَ وَفِئَاتٌ (٣)، وقد مرَّ في قوله تعالى: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ﴾ (٤)، والالتقاء والاجتماع والتلاقي نظائر، والتأييد من الأيد مهموز الفاء ومعتل العين بالياء وهي القوة ومن قوله تعالى: ﴿وَإِذْ كُنَّا دَاوُودَ دَا الْأَيْدِ﴾ (٥)، وفعله آدَ يَبِيدُ أَيْدًا، مثل باع يبيع بيعاً، أصل آدَ أَيْدٌ قلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، أي: اشتدَّ وقوى، وأيدته مؤيدة كقاتلته مقاتلةً، وأيدته تأييداً كفرحته تفريحاً، ورجلٌ أَيْدٌ كسيدٍ، أي: قويٌّ، والعبرة والاعتبار العظة، والآية من العبور سميت الآية عبرة؛ لِأَنَّهُ يَعْبُرُ بِهَا مِنْ مَنْزِلِ الْعِلْمِ إِلَى مَنْزِلِ الْجَهْلِ، والمعتبر بالشئ تارك جهله وأصل إلى علمه بما رأى .

#### الإعراب:

في فئتين متعلق بأية أو نعت لها، وجملة ﴿التَّقَاتَا﴾ صفة ﴿فِئَتَيْنِ﴾، قوله: ﴿فِئَةٌ﴾ يجوز فيها الرفع والنصب والجر، أما الرفع فعلى أنها خبر لمبتدأ محذوف، أي: إحداهما ﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وَفِئَةٌ أُخْرَى كَافِرَةٌ، كقوله: (إِذَا مِتُّ كَانَ النَّاسُ صِنْفَانِ: شَامِتٌ وَآخَرُ مِثْنٍ بِالَّذِي كُنْتُ أَصْنَعُ) (٦).

(١) سورة آل عمران: الآية ١٣ .

(٢) ينظر: الكنز في القراءات العشر: أبو محمد الواسطي: ٤٣٧/٢، شرح طيبة النشر: ابن الجزري: ٢٠٥ .

(٣) الصحاح: الجوهري: ٦٣/١، مادة فيأ، مختار الصحاح: الرازي: ٢٤٥ .

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٤٩ .

(٥) سورة ص: الآية ١٧ .

(٦) وينسب هذا البيت للعجير السلولي (وهو العجير بن عبد الله بن عبيدة بن كعب)، الكتاب: سيبويه: ٧١/١، المؤلف

والمختلف: الأمدي: ٢١٧ .

أي: أحدهما شامت، وأما النصب فعلى الاختصاص، أي: نعني فئة، أو نخص فئة، أو على الحال من فاعل التقنا، وأما الجر فعلى أنها بدل تفصيل من فئتين كقول كثير<sup>(١)</sup>:

﴿وَكُنْتُ كَذِي رَجُلَيْنِ رَجُلٍ صَحِيحَةٍ وَرَجُلٍ رَمَى فِيهَا الزَّمَانَ فَشَلَّتِ﴾<sup>(٢)</sup>.

وَرَوَى رَجُلٌ فِي الْمَوْضِعَيْنِ بِالْجَرِّ وَالرَّفْعِ وَمَرَادُهُ بِالرَّجُلِ الصَّحِيحَةِ أَزْدَ شَنْوَةَ وَبِالَّتِي شَلَّتْ أَزْدَ عَمَّانَ، وَعَلَى التَّقَادِيرِ جُمْلَةٌ ﴿تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ صِفَةٌ فِتْنَةٌ، وَأُخْرَى صِفَتُهُ لِمَوْصُوفٍ مَحذُوفٍ عَطْفٍ عَلَى فِتْنَةِ الْمَذْكُورَةِ، أَي: وَفِتْنَةٌ أُخْرَى، وَكَافِرَةٌ صِفَةٌ بَعْدَ صِفَةٍ لَهَا، وَيَرَوْنَهُمْ بِفَتْحِ الْيَاءِ وَالتَّاءِ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ مِنْ بَابِ مَنَعَ مَتَعِدٍ إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ لِكَوْنِهِ مِنْ رُؤْيَا الْبَصْرِ مِثْل: رَأَيْتَ زَيْدًا، أَي: أَبْصَرْتَهُ، فَتَكُونُ الْوَادِ فَاعِلًا وَهُمْ مَفْعُولُهُ، وَعَلَى قِرَاءَةِ ضَمِّهِمَا عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ يَكُونُ مِنَ الْأَفْعَالِ فَيَكُونُ الْوَائِ نَائِبَ فَاعِلٍ وَهُوَ مَفْعُولُهُ الثَّانِي، وَعَلَى التَّقَادِيرِ يَكُونُ الْفَاعِلُ عِبَارَةً عَنِ الْفِتْنَةِ الْمُؤْمِنَةِ وَالْمَفْعُولُ عَنِ الْفِتْنَةِ الْكَافِرَةِ أَوْ بِالْعَكْسِ، وَعَلَى التَّقْدِيرِ مِثْلِهِمْ حَالٌ مِنَ الْمَفْعُولِ وَليس مَفْعُولًا ثَانِيًا؛ لِأَنَّ الرُّؤْيَا الْبَصْرِيَّةَ لَا تَتَعَدَّى إِلَى اثْنَيْنِ وَيُوَيِّدُ الْوَجْهَيْنِ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَنْفَالِ فِي وَقْعَةِ بَدْرٍ أَيْضًا: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ النَّفْيَتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾<sup>(٣)</sup>، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَلِيلًا﴾ حَالٌّ يَعْنِي: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾، أَي: يَبْصُرُكُمْ إِيَّاهُمْ حَالِ كَوْنِهِمْ قَلِيلِينَ<sup>(٤)</sup>.

وَإِنَّمَا قَلَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمَشْرِكِينَ فِي أَعْيُنِ الْمُؤْمِنِينَ تَصَدِيقًا لِرُؤْيَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَيْثُ قَالَ فِيهَا: ﴿إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكُمْ كَثِيرًا لَفَشَلْتُمْ﴾<sup>(٥)</sup> الْآيَةَ، وَرُؤْيَا الْمَنَامِ تَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ كَمَا رَأَى الْعَلَمِيَّةَ.

وقوله تعالى: ﴿رَأَى الْعَيْنَ﴾ مفعول مطلق ليرؤنهم على القرائتين، وهو مصدر مضاف إلى الفاعل، ويجوز أن يكون ظرف مكان ليرؤنهم أي: ترونهم أمامهم .

(١) (أبو صخر كثير بن عبد الرحمن بن أبي جمعة الأسود بن عامر بن عويمر الخزاعي)، وفيات الأعيان: ابن خلكان: ٤/١٠٦.

(٢) ديوان كثير عزة: ٦٩ .

(٣) سورة الأنفال: الآية ٤٤ .

(٤) ومنه في حاشية الأصل: والقليل والكثير مما يقع للواحد والجمع وهو كثير في القرآن.

(٥) سورة الأنفال: الآية ٤٣ .

## النزول:

(نزلت الآية في قصة بدر، وكان المسلمون ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، على [عدد]<sup>(١)</sup> أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر، سبعة وسبعون رجلاً من المهاجرين، ومائتان وستة وثلاثون رجلاً من الأنصار، وكان صاحب لواء رسول الله والمهاجرين، علي بن أبي طالب عليه السلام، وصاحب راية الأنصار سعد بن عباد، وكانت الإبل في جيش رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ سبعة وسبعين بعيراً، والخيل فرسين فرس للمقداد بن أسود، وفرس لمرثد بن أبي مرثد، وكان معهم من السلاح ستة أدرع، وثمانية سيوف، وجميع من استشهد يومئذ أربعة عشر رجلاً من المهاجرين، وثمانية من الأنصار، واختلف في [عدد]<sup>(٢)</sup> المشركين فروي عن علي عليه السلام، وابن مسعود أنهم كانوا ألفاً، وعن قتادة وعروة بن الزبير والربيع: أنهم كانوا بين تسعمائة إلى ألف، [وفي الجوامع]<sup>(٣)</sup> وكانت خيلهم مائة فرس، ورأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وكان حرب بدر أول مشهد شهده رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وكان سبب ذلك عير أبي سفيان)<sup>(٤)</sup> انتهى.

## المعنى:

(لما وعد الله سبحانه الظفر لأهل الإيمان بين ما فعله يوم بدر بأهل الكفر والطغيان فقال: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ الخطاب للمسلمين، وقيل لليهود، وقيل لقريش وقيل للمشركين من قريش واليهود)<sup>(٥)</sup>، وقيل للناس جميعاً ممن حضر وقعة بدر، وممن سمعها أي: قد كانت لكم دلالة ظاهرة وحجة وعلامة ومعجزة دالة على صدق محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحَّةِ نبوته ﴿فِي فِتْنَيْنِ﴾، أي: في فرقتين وطائفتين ﴿النَّقَاتِ﴾ اجتمعتا ببدر من المؤمنين والكافرين ﴿فِتْنَةٌ﴾ فرقة، ﴿تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في دينه وطاعته وهم الرسول ص وأصحابه ﴿وَأُخْرَى﴾، أي: وفرقة أخرى ﴿كَافِرَةٌ﴾، وهم مشركو مكة ﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ﴾، أي: يرى المؤمنون المشركين مثل عدد المؤمنين أنفسهم قللهم الله في أعينهم حتى رأوهم ستمائة وستة

(١) في المصدر: عدة.

(٢) في المصدر: عدة.

(٣) لم نجد ما أشار إليه المؤلف في كتاب (جوامع الجامع)، بل وجدناه في كتاب (مجمع البيان) كما أشير لذلك في الهامش، وإن ما بين المعقوفين ليس من المصدر.

(٤) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٤٧/٢ .

(٥) المصدر نفسه: ٢٤٧/٢ .

وعشرين رجلاً تقوية لقلوبهم؛ وذلك أن المؤمنين وعدهم الله بقوله: ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةً يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾<sup>(١)</sup>، فأراهم الله حسب ما حدّ لهم من العدد الذي يلزمهم أن يقدموا عليهم ولا يجمعوا عنهم، والحال أنهم كانوا ثلاثة أمثالهم<sup>(٢)</sup> [٢٠] أو أكثر أو (يرى المشركون المؤمنين مثلي عددِ المشركين)<sup>(٣)</sup> أنفسهم؛ ليجبئوا منهم، وذلك كان بعد ما قللهم الله سبحانه في أعينهم حتى اجتروا، أي: المشركون على المؤمنين وتوجهوا إليهم، ولا ينصرفوا فلما لا قوهم وأخذوا في القتال كثروا في أعينهم حتى غلبوا مدداً من الله للمؤمنين، وذلك أحسن أسباب النصر للمؤمنين<sup>(٤)</sup>، والخذلان للكافرين، وعن ابن مسعود أنه قال: "لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي: أتراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة، فأسرنا منهم رجلاً قللنا كم كنتم؟ قال: ألفاً"<sup>(٥)</sup>، وقلل الله المؤمنين في أعينهم (حتى قال قائل منهم: إنما هم أكلة جزور، وإنما قللهم الله في أعينهم؛ ليجتروا عليهم قبل اللقاء، ثم كثرتهم فيها بعد اللقاء؛ لتفجأهم الكثرة فيها بوا وتقل شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حسابهم، وذلك قوله تعالى: ﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾<sup>(٦)</sup>، أي: رؤية ظاهرة معاينة، ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾، كما أيد أهل بدر، و(النصر منه تعالى على الأعداء على ضربين: نصر بالغلبة، ونصر بالحجة، فالنصر بالغلبة إنما يكون بغلبة العدد القليل للعدد الكثير، على خلاف مجرى العادة، وبما أيدهم به)<sup>(٧)</sup> من الملائكة، وبما قوى به نفوسهم من تقليل العدد [الكثير الواقعي في النظر]<sup>(٨)</sup>، والنصر بالحجة، وهو وعدهم المتقدم بالغلبة لإحدى الطائفتين لا محالة، وهذا ما لا يعلمه إلا علام الغيوب)<sup>(٩)</sup>، وقد تكون الغلبة بالحجة في الاحتجاجات والمعارضات في العلم، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾، أي: في تقليل المشركين في أعين المسلمين وبالعكس ثم اراءة المسلمين كثيراً في أعين المشركين وفي ظهور المسلمين وغلبتهم مع قتلهم على المشركين مع كثرتهم ﴿لَعِبْرَةٌ﴾

(١) سورة الأنفال: الآية ٦٦ .

(٢) ينظر: مجمع البيان: الطبرسي: ٢٥٠/٢ .

(٣) أنوار التنزيل: البيضاوي: ٨/٢ .

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٨/٢ .

(٥) جوامع الجامع: الطبرسي: ٢٨/٢، تخريج الأحاديث والآثار: الزيلعي: ٣١/٢ .

(٦) المصدر نفسه: ٢٨/٢ .

(٧) في المصدر: أمدهم الله به .

(٨) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٩) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٥١/٢ .



أي: لعظة، ﴿لأولي الأبصار﴾، أي: لذوي البصائر وذوي العقول والعلوم<sup>(١)</sup>، ولا يراد بالأبصار حاسة البصر التي يشترك فيها سائر الحيوان.

ذكر مجمل وقعة بدرٍ ونذكر مفصلها في سورة الأنفال إن شاء الله تعالى:

مُجْمَلٌ وَقَعَةَ بَدْرٍ عَلَى مَا ذَكَرَهُ (أَبُو حَمِزَةَ وَعَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ فِي [تَفْسِيرِهِمَا]<sup>(٢)</sup>): [أَنَّ عِيرَ قَرِيشٍ خَرَجَتْ إِلَى الشَّامِ فِيهَا خَزَائِنُهُمْ]<sup>(٣)</sup>، وَدَخَلَ حَدِيثٌ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ: أَقْبَلَ أَبُو سُفْيَانَ بَعِيرَ قَرِيشٍ مِنَ الشَّامِ، وَفِيهَا أَمْوَالُهُمْ وَهِيَ اللَّطِيمَةُ<sup>(٤)</sup>، وَفِيهَا أَرْبَعُونَ رَاكِبًا مِنْ قُرَيْشٍ، فَدَنَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَصْحَابَهُ بِالْخُرُوجِ إِلَيْهَا لِيَأْخُذُوهَا، وَقَالَ لَعَلَّ اللَّهَ يَنْفَلِكُمُوهَا<sup>(٥)</sup>، (فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَعَدَهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ إِمَّا الْعِيرَ وَإِمَّا قَرِيشَ أَنْ ظَفَرَ بِهِمْ، فَخَرَجَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَلَمَّا قَارَبَ بَدْرًا وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ فِي الْعِيرِ، فَلَمَّا [سَمِعَ أَبُو سُفْيَانَ]<sup>(٦)</sup> أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَدْ خَرَجَ يَتَعَرَّضُ الْعِيرَ خَافَ خَوْفًا شَدِيدًا، [وَمَضَى إِلَى الشَّامِ فَلَمَّا وَافَى الْبُهْرَةَ<sup>(٧)</sup>]<sup>(٨)</sup> [اسْتَأْجَرَ]<sup>(٩)</sup> ضِمِضَمَ بْنَ عَمْرٍو الْخَزَاعِيَّ<sup>(١٠)</sup> بَعْشَرَةَ دَنَانِيرٍ وَأَعْطَاهُ قَلُوصًا<sup>(١١)</sup>، وَقَالَ لَهُ: أَمْضِ إِلَى مَكَّةَ، وَأَخْبَرَ قَرِيشًا أَنَّ مُحَمَّدًا وَالصُّبَابَةَ<sup>(١٢)</sup> مِنْ أَهْلِ يَثْرِبٍ قَدْ خَرَجُوا يَتَعَرَّضُونَ لِعَيْرِكُمْ فَأَدْرِكُوا الْعِيرَ، وَأَوْصَاهُ أَنْ يَخْرُمَ نَاقَتَهُ وَيَقْطَعَ أذْنَهَا؛ حَتَّى يَسِيلَ الدَّمُ وَيَشِقَ ثَوْبُهُ مِنْ قُبُلٍ وَدُبُرٍ، فَإِذَا دَخَلَ مَكَّةَ وَلَّى وَجْهَهُ إِلَى ذَنْبِ الْبَعِيرِ وَصَاحَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا آلَ غَالِبٍ! اللَّطِيمَةُ اللَّطِيمَةُ الْعِيرِ الْعِيرِ أَدْرِكُوا أَدْرِكُوا! وَمَا أَرَاكُمْ تَدْرِكُونَ؛ فَإِنَّ مُحَمَّدًا وَالصُّبَابَةَ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبٍ قَدْ خَرَجُوا يَتَعَرَّضُونَ

(١) ينظر: مجمع البيان: الطبرسي: ٤٧٢/٢ .

(٢) في الأصل: تفسيره، وما أثبت من المصدر .

(٣) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٤) اللَّطِيمَةُ: (العيرُ تَحْمِلُ الطَّيِّبَ وَبِزِّ النَّجَارِ)، لسان العرب: ابن منظور: ٥٤٣/١٢ .

(٥) مجمع البيان: الطبرسي: ٤٣١/٤ .

(٦) في المصدر: بلغه .

(٧) الْبُهْرَةُ: (موضع بناوحي المدينة، وموضع باليَمَامَةِ)، القاموس المحيط: الفيروزآبادي: ٣٥٥/١ .

(٨) ما بين المعقوفين ليس من الأصل، وما أثبت من المصدر .

(٩) في المصدر: اكترى .

(١٠) وقيل اسمه: (ضمرة بن عمرو الخزاعي، وقيل: ضمرة بن جندب)، اسد الغابة: ابن الأثير: ٦١/٣ .

(١١) (القُلُوصُ مِنَ الْإِبِلِ: الشَّابَّةُ، أَوِ الْبَاقِيَةُ عَلَى السَّيْرِ، أَوْ أَوَّلُ مَا يُرَكَّبُ مِنْ إِنَائِهَا إِلَى أَنْ تُنْثِي، ثُمَّ هِيَ نَاقَةٌ، وَالنَّاقَةُ

الطَّوِيلَةُ الْقَوَائِمُ، خَاصٌّ بِالْإِنَاثِ)، القاموس المحيط: الفيروزآبادي: ٦٢٨/١ .

(١٢) الصُّبَابَةُ: جمع الصابي وهو (خَرَجَ مِنْ دِينٍ إِلَى دِينٍ آخَرَ)، لسان العرب: ابن منظور: ١٠٨/١، مادة صبأ .

لعيركم، فخرج ضمضم [سريعاً]<sup>(١)</sup> إلى مكة، وكانت عاتكة بنت عبد المطلب رأت في منامها قبل مقدم ضمضم بن عمرو بثلاث ليال]<sup>(٢)</sup> أن ركباً [على بعير]<sup>(٣)</sup> قد دخل مكة ينادي بأعلى صوته: يا آل غالب يا آل غالب اغدوا إلى مصارعكم صباح ثالث، ثم وافى بجملته على أبي قبيس فأخذ حجراً فدهدهه من الجبل فما ترك [داراً]<sup>(٤)</sup> من دور قريش إلا أصابته منه فلذة، وكان وادي مكة قد سال من أسفله دماً فانتهبت [فزعة]<sup>(٥)</sup> ذعرة فأخبرت العباس بذلك وأخبر العباس عتبة بن ربيعة، فقال عتبة: هذه مصيبة تحدث في قريش، وفشت الرؤيا فيهم فبلغ ذلك أبا جهل فقال: [ما رأت عاتكة هذه الرؤيا]<sup>(٦)</sup> هذه نبية ثانية في بني عبدالمطلب، واللات والعزى لنتظرن ثلاثة أيام فإن كان ما رآته حقاً فهو كما رأت، [وإلا]<sup>(٧)</sup> لنكتبن بيننا كتاباً أنه ما من أهل بيت من العرب أكذب رجالاً ولا نساءً من بني هاشم، [فلما مضى يوم قال أبو جهل: هذا يوم قد مضى، فلما كان اليوم الثاني قال أبو جهل: هذان يومان قد مضيا]<sup>(٨)</sup>، فلما كان اليوم الثالث أتاهم ضمضم يناديهم بأعلى صوته: يا آل غالب يا آل غالب اللطيمة اللطيمة العير العير أدركوا، وما أراكم تدركون؛ إن محمداً والصبابة من أهل يثرب قد خرجوا يتعرضون لعيركم التي فيها خزائنكم، فتصايح الناس بمكة وتتهيأوا للخروج)<sup>(٩)</sup> وما بقي أحد من عظماء قريش إلا أخرج مالا لتجهيز الجيش وقالوا: من لم يخرج نهدم داره، (وخرج العباس بن عبد المطلب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وعقيل ابن أبي طالب وأخرجوا معهم القينان والقينات)<sup>(١٠)</sup> يشربون الخمر ويضربون بالدفوف، وخرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي ثَلَاث مِائَةٍ وَثَلَاثَةِ عَشْرَ رَجُلًا، فلما كان بقرب بدر على ليلة منها بعث بشير بن أبي الرعبا، ومحمد بن عمرو يتجسسان خبر العير فأتيا ماء بدر

(١) ما بين المعقوفين ليس من المصدر.

(٢) في المصدر: أيام .

(٣) ما بين المعقوفين ليس من المصدر.

(٤) ما بين المعقوفين ليس من المصدر.

(٥) ما بين المعقوفين ليس من المصدر.

(٦) ما بين المعقوفين ليس من الأصل.

(٧) في المصدر: وإن كان غير ذلك .

(٨) ما بين المعقوفين ليس من الأصل.

(٩) تفسير القمي: علي بن إبراهيم: ٢٥٦/١ - ٢٥٧ .

(١٠) القَيْنُ: العَبْدُ الْمُعْتَبِيُّ، والقَيْنَةُ: الأُمَّةُ الْمُعْتَبِيَّةُ، ينظر: القاموس المحيط: الفيروزآبادي: ١٢٢٦ .

فأناخا راحلتيهما، واستعذبا من الماء، وسمعا جاريتين قد تشبثت إحداهما بالأخرى وتطالبها بدرهم كان لها عليها فقالت: عير قريش نزلت أمس في موضع كذا وهي غداً تنزل هاهنا وأعمل لهم وأقضيك<sup>(١)</sup>، [فرجعاً]<sup>(٢)</sup> فأخبراه بما سمعا، فأقبل أبو سفيان بالعير فلما شارف بداراً تقدّم العير وأقبل وحده [٢١] حتى انتهى إلى ماء بدر وكان رجل من جهينة يقال له كسب [الجهني]<sup>(٣)</sup> فقال له: يا كسب هل لك علم بمحمّد وأصحابه؟ قال لا، قال واللات والعزى لئن كتمتتا أمر محمّد لا تزال قريش معادية لك آخر الدهر فإنّه ليس أحد من قريش إلّا وله في هذه العير نَشٌّ<sup>(٤)</sup> فصاعداً فلا تكتمني، فقال: مالي علم بمحمد وأصحابه بالتخبار إلّا إنّي رأيت في هذا اليوم راكبين أقبلا فاستعذبا من الماء وأناخا راحلتيهما ورجعا فلا أدري من هما، فجاء أبو سفيان إلى موضع مناخ إبلهما ففت أبعاد الإبل بيده فوجد فيها النوى، فقال: هذه علايف أهل يثرب هؤلاء [والله]<sup>(٥)</sup> عيون محمد فخرج مسرعاً، وأمر بالعير فأخذ بها نحو ساحل البحر، وتركوا الطريق مسرعين، ونزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ الْعَيْرَ قَدْ أَفَلَّتْ، وَأَنَّ قَرِيشًا قَدْ أَقْبَلَتْ لَتَمْنَعَنَّ عَنْ عَيْرِهَا، وَأَمْرُهُ بِالْقِتَالِ وَوَعْدُهُ النَّصْرَ، وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَازِلًا مَاءَ الصَّفْرَاءِ فَأَحَبَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنْ يَبْلُوَ الْأَنْصَارَ؛ لِأَنَّهُمْ إِثْمًا وَعَدُوهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنْ يَنْصُرُوهُ وَكَانَ فِي الدَّارِ، فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْعَيْرَ قَدْ جَاوَزَتْ وَأَنَّ قَرِيشًا قَدْ أَقْبَلَتْ لَتَمْنَعَنَّ عَنْ عَيْرِهَا، وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمْرَنِي بِمَحَارَبَتِهِمْ، فَجَزِعَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ ذَلِكَ وَخَافُوا خَوْفًا شَدِيدًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أَشِيرُوا عَلَيَّ، فَقَامَ [أبو بكر]<sup>(٦)</sup> فقال: يا رسول الله إنّها قريش وخيلاؤها، ما آمننت منذُ كفرت، ولا ذللت منذُ عزت، ولم نخرج على هيئة الحرب، فقال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: اجلس فجلس، فقال أشيروا عليّ، فقَامَ [عمر]<sup>(٧)</sup> فقال مثل

(١) ومنه في حاشية الأصل: أي: اقضي دينك .

(٢) في المصدر: فرجع أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

(٣) ما بين المعقوفين ليس من الأصل، وما أثبت من المصدر .

(٤) ومنه في حاشية الأصل: (النش: عشرون درهماً، وهو نصف أوقية؛ لأنهم يسمون الأربعين درهماً أوقية، ويسمون العشرين نشاً)، الصحاح: الجوهري: ١٠٢١/٣، وانظر: القاموس المحيط: الفيروزآبادي: ٦٠٧ .

(٥) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٦) في المصدر: الأول .

(٧) في المصدر: الثاني .

مقالة [أبي بكر] (١) فقال: اجلس، ثم قام المقداد فقال: يا رسول الله انّها قريش وخيلاؤها وقد آمنّا بك وصدقناك وشهدنا أنّ ما جئت به حقّ من عند الله ولو أمرتنا أن نخوض جمر الغضا وشوك الهراس (٢) لخصنا معك ولا نقول ما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السّلام: ﴿فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبِّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (٣)، ولكننا نقول: إمض لأمر ربك فإنّا معك مقاتلون فجزاه خيراً، [ثمّ جلس] (٤) ثمّ قال صلى الله عليه وآله: أشيروا عليّ، فقام سعد بن مَعَاذٍ، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله كأنّك أردتّنا؟ قال: نعم، قال: فلعلك خرجت على أمر قد أمرت بغيره؟ قال: نعم، قال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله إنّنا قد آمنّا بك وصدقناك وشهدنا أنّ ما جئت به حقّ من عند الله فمرنا بما شئت وخذ من أموالنا ما شئت واترك منه ما شئت والذي أخذت منه أحبّ إليّ من الذي تركت، والله لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخصناه معك، فجزاه خيراً (٥)، إلى أن قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (كأني [أنظر] (٦) بمصرع فلان ههنا، وبمصرع فلان ههنا، وبمصرع أبي جهل، وعتبة بن ربيعة، وشيبة ابن ربيعة، ومنية وبنية ابني الحجاج؛ فإنّ الله عزّ وجلّ قد وعدني إحدى الطائفتين [العير أو النفير وهي قريش] (٧) ولن يخلف الله الميعاد، فنزل جبرئيل عليه السّلام بهذه الآية ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ، إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى، وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ (٨)، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بالرحيل حتّى نزل عشاءً ماء بدر وهي العدوّة الشامية [والعدوة الدنيا] (٩)، وأقبلت قريش فنزلت بالعدوة اليمانية، وبعثت عبيدها تستعذب من الماء فأخذهم أصحاب

(١) في المصدر: الأول .

(٢) ومنه في حاشية الأصل: الهراس: (شجر ذو شوكٍ عظيم، ونبتٌ ذو شوكٍ كأنه حَسَك)، لسان العرب: ابن منظور: ٢٤٧/٦ .

(٣) سورة المائدة: الآية ٢٤ .

(٤) ما بين المعقوفين ليس من الأصل، وما أثبت من المصدر .

(٥) تفسير القميّ: علي بن إبراهيم: ٢٥٧/١ - ٢٥٩ .

(٦) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٧) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٨) سورة الأنفال: الآية ٥ - ٨ .

(٩) ما بين المعقوفين ليس من المصدر، قال تعالى في سورة الأنفال: ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّمَيِّ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ \* إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوَّةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدُوَّةِ الْقُصْوَى وَالرَّكُوبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاحْتِلَافُنْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْتِنَا وَيَحْيِيَ مَنْ حَيَّ عَن بَيْتِنَا﴾، الآية ٤١ - ٤٢ .

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَحَبَسُوهَا، فقالوا من أنتم؟ قالوا نحن عبيد قريش، قالوا فأين العير؟ قالوا لا علم لنا بالعير، فأقبلوا يضربونهم، وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَصَلِّي فانفتل<sup>(١)</sup> من صلاته فقال: إن صدقكم ضربتموهم، وإن كذبكم تركتموهم علي بهم، فاتوا بهم فقال لهم: من أنتم؟ قالوا: يا محمد نحن عبيد قريش، قال: كم القوم؟ قالوا: لا علم لنا بعددهم، قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: كم ينحرون في كل يوم جزوراً؟ قالوا تسعة إلى عشرة، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: القوم تسعمائة إلى ألف، ثُمَّ قَالَ: فمن فيهم من بني هاشم؟ قالوا: العباس بن عبدالمطلب، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وعقيل بن أبي طالب، فأمر بهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَحَبَسُوهُمْ، فبلغ ذلك قريشاً فخافوا خوفاً شديداً<sup>(٢)</sup>، إلى أن قال: (وبلغ أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كثره قريش ففزعوا فزعاً شديداً وشكوا وبكوا واستغاثوا فأنزل الله عز وجل على رسوله ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ\* وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>، فلما مشى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَجَنَّهُ الليل ألقى الله على أصحابه النَّعَاسَ حتى ناموا وأنزل الله تبارك وتعالى عليهم السماء وكان نزل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي مَوْضِعٍ لَا يَثْبُتُ فِيهِ الْقَدَمُ فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِمُ السَّمَاءَ [وليد الأرض]<sup>(٤)</sup> حتى ثبت أقدامهم وهو قول الله عز وجل: ﴿إِذْ يُعَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾<sup>(٥)</sup>، وذلك أن بعض أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ احتلم ﴿وَلِيُرِيْبَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾<sup>(٦)</sup>، وكان المطر على قريش مثل العزالي<sup>(٧)</sup>، وكان على أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رذاذاً<sup>(٨)</sup> بقدر ما تلبّد الأرض، وخافت قريش خوفاً شديداً [٢٢] فأقبلوا

(١) فتل وجهه عن القوم أي: صرفه عنهم، ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ٥١٤/١١ .

(٢) تفسير القمي: علي بن إبراهيم: ٢٥٩/١ - ٢٦٠ .

(٣) سورة الأنفال: الآية ٩ - ١٠ .

(٤) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٥) سورة الأنفال: الآية ١١ .

(٦) سورة الأنفال: الآية ١١ .

(٧) العزلي: مَصَّبُ الْمَاءِ مِنَ الرَّوَايَةِ وَنَحْوَهَا ، وَالْجَمْعُ عَزَالِي وَعَزَالِي، ينظر: القاموس المحيط: الفيروزآبادي: ١٠٣١ .

(٨) الرَّذَادُ: (الْمَطَرُ الضَّعِيفُ، أَوْ السَّاكِنُ الدَّائِمُ، الصَّغَارُ)، القاموس المحيط: الفيروزآبادي: ٣٣٣ .

يتحارسون يخافون البيات فبعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عمار بن ياسر، وعبدالله بن مسعود، وقال: ادخلا في القوم وآتيا بأخبارهم، فكانا يجولان بعسكرهم لا يرون إلا خائفاً ذعراً إذا سهل الفرس وثب على جحفلته فسمعوا مُنْبَهَ بْنِ الْحَجَّاجِ (١) يَقُولُ:

لَا يَتْرُكُ الْجُوعُ لَنَا مَيْتًا      لَا بُدَّ أَنْ نَمُوتَ أَوْ [يَمِيئًا] (٢)

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: والله كانوا شباعاً، وَلَكِنَّهُمْ مِنَ الْخَوْفِ قَالُوا هَذَا (٣)، إلى أن قال: (وتقدم عتبة، وأخوه شيبعة، وابنه الوليد، ونادى عتبة: يا محمد أخرج إلينا أكفائنا) (٤) إلى أن قال: (ثمَّ نظر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إلى عبيدة بن عبد المطلب، وكان له سبعون سنة، فقال له: فم يا عبيدة، فقام بين يديه بالسيف، ثمَّ نظر إلى حمزة بن عبدالمطلب، فقال: فم يا عم، ثمَّ نظر إلى أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَام فقال له: فم يا علي وكان أصغر القوم، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: اطلبوا بحقكم الذي جعله الله لكم، فقد جاءت قريش بخيلائها وفخرها، تريد أن تطفئ نور الله وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُنَمَّ نُورُهُ، ثمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: يا عبيدة عليك بعتبة، وقال لحمزة عليك بشيبعة، وقال لعلي عليك بالوليد بن عتبة، فمروا حتَّى انتهوا إلى القوم، فقال عتبة: من أنتم؟ انتسبوا لنعرفكم، فقال: أنا عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، فقال: كفو كريمٍ فمن هذان؟ فقال: حمزة بن عبدالمطلب، وعلي بن أبي طالب، فقال: كفوان كريمان) (٥)، إلى أن قال: (فحمل عبيدة على عتبة فضربه على رأسه ضربة ففلق هامته، وضرب عتبة عبيدة على ساقه قطعها، وسقطا جميعاً، وحمل حمزة على شيبعة فتضاربا بالسيفين حتى انثلما [وكل واحد يتقي بدرقته] (٦)، وحمل أمير المؤمنين عليه السَّلَام على الوليد فضربه على حبل عاتقه فأخرج السيف من إبطه، فقال علي عليه السلام: فأخذ يمينه المقطوعة بيساره فضرب بها هامتي فظننت أن السماء وقعت على الأرض، ثمَّ

(١) (منبه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم السهمي، أحد صناديد قريش، وممن كان يؤلب المشركين على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قتل مشركاً يوم بدر)، بهجة المحافل: العامري: ١/١٤٣ .

(٢) وفي المصدر: نميتاً.

(٣) تفسير القمي: علي بن ابراهيم: ١/٢٦٠ - ٢٦٢ .

(٤) كنز العرفان: المقداد السيوري: ١/٣٧٨ .

(٥) تفسير القمي: علي بن ابراهيم: ١/٢٦٤ .

(٦) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

اعتق حمزة وشيبة، فقال المسلمون: يا علي أما ترى الكلب قد [انهز] <sup>(١)</sup> عمك، فحمل عليه علي، ثم قال: يا عم طأطئ رأسك، وكان حمزة أطول من شيبة فأدخل حمزة رأسه في صدره فضربه أمير المؤمنين عليه السلام على رأسه فطير نصفه، ثم جاء إلى عتبة وبه رمق فأجهز عليه <sup>(٢)</sup>، إلى أن قال: (وجاء إبليس إلى قريش في صورة سراقفة بن مالك، فقال لهم: أنا جاركم ادفعوا إلي رايتمكم، فدفعوها إليه وجاء بشياطينه؛ يهول بهم على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، ويخيل إليهم ويفزعهم، وأقبلت قريش يقدمها إبليس معه الراية فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: غضوا أبصاركم وعضوا على التواجذ ولا تسلوا سيفاً حتى أذن لكم، ثم رفع يده إلى السماء فقال: يا رب إن تهلك هذه العصابة لم تعبد، وإن شئت لا تعبد لا تعبد، ثم أصابه الغشى فسرى عنه وهو يسלט العرق عن وجهه <sup>(٣)</sup> ويقول: هذا جبرئيل قد أتاكم في ألف من الملائكة مُرْدِفِينَ، قال فنظرنا فإذا بسحابة سوداء فيها برق لائح قد وقعت على عسكر رسول الله صلى الله عليه وآله وقائل يقول: أقدم حيزوم أقدم حيزوم! وسمعنا قعقعة السلاح من الجو ونظر إبليس إلى جبرئيل عليه السلام فتراجع ورمى باللواء فأخذ منبّة بن الحجاج بمجامع ثوبه، ثم قال: ويلك يا سراقفة تفت في أعضاء الناس فركله إبليس ركلة <sup>(٤)</sup> في صدره وقال: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرُونَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ وهو قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرُونَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ <sup>(٥)</sup>، ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ <sup>(٦)</sup>، [قال: <sup>(٧)</sup>] وحمل جبرئيل على إبليس فطلبه حتى غاص في البحر، وقال: رب انجز لي ما وعدتني من البقاء إلى يوم

(١) في المصدر: أبهر، وأنهزه: صَرَبَهُ، وَدَفَعَهُ، ينظر: القاموس المحيط: الفيروزآبادي: ٥٢٧ .

(٢) تفسير القمي: علي بن ابراهيم: ١ / ٢٦٥ .

(٣) ومنه في حاشية الأصل: يسלט العرق عن وجهه أي: يمسحه بيده، ومن يسלט القصة يمسحها بيده، ينظر: القاموس المحيط: الفيروزآبادي: ١٥٤ .

(٤) ومنه في حاشية الأصل: الركل: الضرب بالرجل، ينظر: القاموس المحيط: الفيروزآبادي: ١٠٠٧ .

(٥) سورة الأنفال: الآية ٤٨ .

(٦) سورة الأنفال: الآية ٥٠ .

(٧) ما بين المعقوفين ليس من الأصل، وما أثبت من المصدر .



الدين<sup>(١)</sup>، إلى أن قال: (أَنَّ قَرِيشًا لَمَّا جَاءَتْ بِخِيْلَانِهَا آتَاهُ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: خذ قبضة من تراب فأرمهم بها، فقال لعلي عليه السلام: أعطني قبضةً من [حصاة]<sup>(٢)</sup> الوادي، فأعطاه فرما بها في وجوههم وقال: شأهت الوجوه، فلم يبق مشركٌ إلا شغل بعينه فانهمزوا، وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم)<sup>(٣)</sup>، وقد أنزل الله ﴿لَمْ نَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾<sup>(٤)</sup> الآية، وسيأتي خبر وقعة بدر بتمامه في سورة الأنفال إن شاء الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَإِ﴾<sup>(٥)</sup> آية .

اللغة:

الشَّهَوَاتِ جَمْعُ شَهْوَةٍ، وهي توقان النفس واشتياقها واشتهاؤها إلى المُشْتَهَى، يقال: اشتهى فيشتهي اشتهاً وشهوةً<sup>(٦)</sup>، والشهوة من قبل أفعال الطباع لكنه ممكن دفعها بجهة من الجهات في بعض الأنام.

ذكر الحديث النبوي ومعناه على الوجوه المذكورة:

وفي حديث "شداد بن أوس عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ أَحْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الرِّيَاءَ وَالشَّهْوَةَ الْخَفِيَّةَ"<sup>(٧)</sup>، (قيل: كل شيء من المعاصي يُضْمِرُهُ صاحبه ويُصِرُّ عليه، فإنما هو الإصرار وإن لم يَعْمَلْهُ، وقيل: هو أن يرى [٢٣] جارية حَسَاءَ فيغض طرفه ثُمَّ يَنْظُرُ إِلَيْهَا بقلبه كما كان ينظر بعينه)<sup>(٨)</sup>، ولم ينسها، (وقال الأزهرى: والقول الأول أَحْسَنُ، غَيْرَ أَنِّي أَسْتَحْسِنُ أَنْ أَنْصِبَ الشَّهْوَةَ الْخَفِيَّةَ، وَأَجْعَلَ الْوَاوَ بِمَعْنَى مَعَ كَأَنَّهُ قَالَ صَلَّى

(١) تفسير القمي: القمي: ٢٦٥ / ١ .

(٢) في المصدر: حصباء، والحصباء: الحصى والحجر، ينظر: القاموس المحيط: الفيروزآبادي: ٧٥/١ .

(٣) التفسير الصافي: الفيض الكاشاني: ٢٨٧/٢ .

(٤) سورة الأنفال: الآية ١٧ .

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٤ .

(٦) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ٤٤٥/١٤ .

(٧) غريب الحديث: ابن سلام: ١٦٩/٤ ، شعب الإيمان: البيهقي: ٣٣٢/٥ .

(٨) النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير: ٥١٦/٢ .

الله عَلَيْهِ وَآلِهِ: إِنَّ أَحْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الرِّيَاءَ مَعَ الشَّهْوَةِ الخَفِيَّةِ لِلْمَعَاصِي، فَكَأَنَّهُ يُرَائِي النَّاسَ بِتَرْكِهِ الْمَعَاصِي، وَالشَّهْوَةُ فِي قَلْبِهِ مُخْفَاةٌ<sup>(١)</sup>، (وَقِيلَ: الرِّيَاءُ مَا كَانَ ظَاهِرًا مِنَ الْعَمَلِ، وَالشَّهْوَةُ الخَفِيَّةُ حُبُّ اطِّلَاعِ النَّاسِ عَلَى الْعَمَلِ)<sup>(٢)</sup>، (ويقال رجل شهوان وشهواني إذا كان شديد الشهوة، والجمع شهاوى كسكارى)<sup>(٣)</sup> وسكارى، وفي حديث آخر عنه عليه الصلاة والسلام: [إِنَّ أَحْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ] <sup>(٤)</sup> الشِّرْكَ وَالشَّهْوَةَ الخَفِيَّةَ<sup>(٥)</sup>، فَسِرَّ الشِّرْكَ بِالرِّيَاءِ كَمَا هُوَ مَنْصُوصٌ عَلَيْهِ فِي حَدِيثِ شَدَادِ بْنِ أَوْسٍ، وَفُسِّرَ الشَّهْوَةُ الخَفِيَّةُ بِأَنْ يَعْضُ لِلصَّائِمِ شَهْوَةً فَيُؤَافِقُهَا وَيَدْعُ صَوْمَهُ، وَأَحْوَفُ اسْمٌ تَفْضِيلٌ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ كَمَا شَغَلَ مِنْ ذَاتِ النَّحِيَّينِ<sup>(٦)</sup>.

### معاني القنطار وما ذكر فيه من الأقوال:

والقناطر جمع قنطار، والقنطار المال الكثير العظيم كملأ ثور ذهباً أو فضةً أو أكثر، وقيل القنطار ثمانون ألفاً، وقيل جملة كثيرة من المال<sup>(٧)</sup>، وفي الحديث: "وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقَنْطَرِينَ"<sup>(٨)</sup>؛ (أَي: أُعْطِيَ قِنْطَارًا مِنَ الْأَجْرِ)<sup>(٩)</sup>، وفي الحديث أَنَّ "القِنْطَارُ أَلْفٌ وَمِئَتَا أَوْقِيَّةٍ، الْأَوْقِيَّةُ خَيْرٌ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ"<sup>(١٠)</sup>، (وقال أبو عبيدة: القناطر: واحداً قنطار، ولا تجد العرب تعرف وزنه، ولا واحد له من لفظه)<sup>(١١)</sup>، ولذا (أختلف في أنه فعلا

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير: ٥١٦/٢، لسان العرب: ابن منظور: ٤٤٥/١٤ .

(٢) المصدر نفسه: ٥١٦/٢ .

(٣) المصدر نفسه: ٥١٦/٢ .

(٤) في المصدر: أَتَخَوَّفُ عَلَى أُمَّتِي .

(٥) مسند أحمد: أحمد بن حنبل: ٣٤٦/٢٨ ح ١٧١١٩ .

(٦) (النحي: الزق الذي فيه السمن، ذات النحيين؛ وهي امرأة من نعيم الله بن ثعلبة وكانت تبيع السمن في الجاهلية، فأتى خواتم بن جبير الأنصاري يبتاع منها سمناً فساومها، فحلت نحيماً مملوءاً، فقال: أمسكته حتى أنظر غيره، ثم حل آخر وقال لها: أمسكته، فلما شغل يديها ساورها حتى قضى ما أراد وهرب)، المعارف: ابن قتيبة الدينوري: ١٥٩، لسان العرب: ابن منظور: ٣١٢/١٥، مادة نحا .

(٧) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير: ١١٣/٤ .

(٨) سنن أبي داود: أبو داود: ٥٧/٢ ح ١٣٩٨ .

(٩) لسان العرب: ابن منظور: ١١٩/٥، مادة قنطر .

(١٠) المعجم الكبير: الطبراني: ١٨٠/٨ ح ٧٧٤٨ .

(١١) النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير: ١١٣/٤ .

أو فنعال<sup>(١)</sup>، (وقال ثعلب: المعمول عليه عند العرب الأكثر أنه أربعة آلاف دينار، فإذا قالوا قناطر مقنطرة، فهي اثنا عشر ألف دينا)<sup>(٢)</sup>، واصلة الأحكام، يقال: قنطرة الشيء أحكمته، والقنطر الداهية، وقيل أصله من القنطرة، وهو البناء المعقود للعبور.

### معاني المقنطرة:

(والمقنطرة: المَحْصَلَةُ [والمَجْعُولَةُ]<sup>(٣)</sup> قناطر كقولهم: دراهم مدرهمة، أي: مجعولة كذلك، ودنانير مدنّرة)<sup>(٤)</sup>، ولدرة مبدّرة، وفي الحديث أنّ "الأرواح جنود مجنّدة"<sup>(٥)</sup>، وقيل المقنطرة هي: القناطر المضاعفة المنضدُ بَعْضُهَا فَوْق بَعْضٍ، وقيل: إنّما ذكر المقنطرة للمبالغة والتأكيد وقد يؤتى بالمفعول والفاعل باسم التفضيل، فالمفعول مثل القناطر المقنطرة، وجنود مجنّدة، ومدرهمة، ومبدّرة، وقوله تعالى: ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾<sup>(٦)</sup>، ﴿حِجَابًا مَسْتُورًا﴾<sup>(٧)</sup>، ﴿نَسِيًّا مَنَسِيًّا﴾<sup>(٨)</sup>، والفاعل كقولهم: شعر شاعر، وسرّ كاتم، وموت مانت، واسم التفضيل نحو قوله عليه السلام: "في اللَّيْلِ اللَّيْلُ"<sup>(٩)</sup>، والغرض من الجمع بينهما المبالغة والتأكيد، والخيال: الأفراس سمّيت بها لاختيالها في مشيها من الاختيال وهو التكبر والتفاخر، أو من التخيل؛ لأنّه يتخيّل به صاحبه في صورة من هو أعظم النّاس<sup>(١٠)</sup>، والمسوّمة من السّوم وهو الرعى، أي: والخيال الراعية أو المرعيّة، يقال: سمت الماشية وأسمتها وسومتها إذا رعيها، أو من السّومة بِالضَّمِّ، أو السّيمّة بالكسر، أو السماء، أو السّيمياء بِكسرهن العلامة<sup>(١١)</sup>، يقال فلان حسن السّماء أي: المُعلّمة، قال: ﴿مِنْ طِينٍ \* مُسَوِّمَةٌ﴾<sup>(١٢)</sup>، (أي: عليها أمثال الخواتيم، أو

(١) أنوار التنزيل: البيضاوي: ٨/٢ .

(٢) المصدر نفسه: ١١٣/٤ .

(٣) في المصدر: من .

(٤) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٥٢/٢ .

(٥) من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ٥٨١٨ح/٣٨٠/٤ .

(٦) سورة الفرقان: الآية ٢٢ .

(٧) سورة الإسراء: الآية ٤٥ .

(٨) سورة مريم: الآية ٢٣ .

(٩) بحار الأنوار: المجلسي: ٣٤٠/٨٤ .

(١٠) ينظر: مقاييس اللغة: ابن فارس: ٢٣٥/٢، لسان العرب: ابن منظور: ٢٣١/١١ .

(١١) ينظر: القاموس المحيط: الفيروزآبادي: ١١٢٤/١، مادة سوم .

(١٢) سورة الذاريات: الآية ٣٣ - ٣٤ .

معلمة ببياضٍ وحمرة<sup>(١)</sup>، أو المطهمة والأنعام جمع نعيم، وهي: الإبل والبقر والغنم من الضأن والمعز بأنواعها ذكورها وإناثها من الأزواج الثمانية المذكورة في سورة الأنعام ولا يقال الجنس منها على الانفراد إلا للإبل خاصة<sup>(٢)</sup>، والحرث الزرع ويشمل ما يغرس أيضاً<sup>(٣)</sup>، والمآب المرجع من الأوب وهو الرجوع<sup>(٤)</sup>.

### الإعراب:

﴿من في من النساء﴾ للتبيين ومن النساء وما عطف عليها من المجرورات الخمسة الباقية حال ﴿من الشّهوات﴾ المرادة بها المشتهيات وهي: وإن كانت مضافة إليها لكنّها معمول للمضاف كقوله تعالى: ﴿إلى الله مرجعكم جميعاً﴾، وإضافة الحبّ إليها إضافة المصدر إلى المفعول، وإضافة مرجع إلى كم إلى الفاعل وقوله: ﴿من الذهب والفضة﴾ حالان من القناطير والباقي واضح.

### المعنى:

ذكر الله سبحانه في هذا الآية ما هو سبب وداعٍ لعدول الناس عن الحق والهدى وركونهم إلى الدنيا والناس مع الدنيا إلا من عصمه الله وحفظه منها، فقال: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبِّ الشّهوات﴾ لم يُرد بها نفس الشّهوات بل أراد بها بالمشتهيات، أي: زين لهم حبّ المشتهيات ولذا فسرها وبينها بالنساء إلى آخرها.

وإنما جعل الأعيان المشتهيات شهواتٍ وعبر عنها بالمصدر؛ مبالغةً وتأكيداً (في كونها مشتهوةً محروصاً على الاستمتاع بها، وإيماءً [إلى]<sup>(٥)</sup> أنّهم انهمكوا في محبتها، حتّى أحبّوا شهواتها)<sup>(٦)</sup> كقوله تعالى: ﴿إِنِّي أُحِبُّ حُبَّ الحَيْرِ﴾<sup>(٧)</sup>.

(١) القاموس المحيط: الفيروزآبادي: ١/١١٢٤، مادة سوم .

(٢) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ١٢/٥٨٥ .

(٣) ينظر: القاموس المحيط: الفيروزآبادي: ١/١٦٧، مادة حرث.

(٤) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ١/٢١٧ - ٢١٨، مادة أوب .

(٥) في المصدر: على .

(٦) زبدة التفاسير: فتح الله الكاشاني: ١/٤٥٦ .

(٧) سورة ص: الآية ٣٢ .

## ذكر أن المزيّن من هو:

والمُزَيّن هو الله تعالى باعتبار ما جعل في الطباع من الميل إليها؛ لأنه الخالق المقدر للدواعي، وما خلق فيها من الزينة ابتلاءً وامتحاناً وتشديداً للتكليف<sup>(١)</sup> لقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾<sup>(٢)</sup>، ولأنّها (وسيلة إلى السعادة الآخروية إذا كان حُبُّه على وجه يرتضيه الله تعالى، أو [لأنّها]<sup>(٣)</sup> من أسباب التعيش وبقاء النوع)<sup>(٤)</sup>، ولأنّها مزرعة الآخرة، فعلى العاقل اللبيب أن لا يضيع زرعها.

## معارضة على الحسن البصري:

وقال (الحسن البصري: زَيَّنَهَا الشَّيْطَانُ؛ فوالله ما أحدٌ أدمّ للدنيا مِنْ خَالِقِهَا<sup>(٥)</sup>)، (فإنّ الآية في معرض الذم)<sup>(٦)</sup>، وليس كما قال؛ لأنّه سبحانه يقول: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ [٢٤] وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ \* قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٧)</sup>، وغيرها من الآيات، فكيف تكون في معرض الذم بل في معرض التبيين والتفصيل والابتلاء والامتحان لينظر كيف يعملون.

(وفرق أبو علي الجبائي بين المباح والمحرم)<sup>(٨)</sup>، بأنّ الله سبحانه زين منها (ما يحسن، وزين الشيطان ما يقبح)<sup>(٩)</sup>، ﴿مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَيْنِ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾<sup>(١٠)</sup>، هذه الأعيان بيان للشهوات ومن الذهب والفضة بيان للقناطر كما ذكرناه في الإعراب، (قدّم سبحانه النساء؛ لأنّ الفتنة والامتحان بهنّ

(١) ينظر: أنوار التنزيل: البيضاوي: ١٤/٢ .

(٢) سورة الكهف: الآية ٧ .

(٣) في المصدر: لأنّه .

(٤) أنوار التنزيل: البيضاوي: ٨/٢ .

(٥) ينظر: أحكام القرآن: الجصاص: ٩/٢، زبدة التفسير: فتح الله الكاشاني: ٤٥٧/١ .

(٦) أنوار التنزيل: البيضاوي: ١٤/٢ .

(٧) سورة الأعراف: الآية ٣٢ - ٣٣ .

(٨) أنوار التنزيل: البيضاوي: ٨/٢ .

(٩) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٥٢/٢ .

(١٠) سورة آل عمران: الآية ١٤ .

أعظم<sup>(١)</sup>، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: "ما تركتُ بعدي فتنةً أضرتُّ على الرجالِ مِنَ النساءِ"<sup>(٢)</sup>.

### ذكر الأحاديث:

وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: "النِّسَاءُ حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ"<sup>(٣)</sup>، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: "ما أيسَّ الشَّيْطَانُ مِنْ بَنِي آدَمَ إِلَّا أَتَاهُمْ مِنْ قِبَلِ النِّسَاءِ"<sup>(٤)</sup>، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: "الْمَرْأَةُ شَرٌّ كُلُّهَا وَشَرُّ مَا فِيهَا أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْهَا، [وَهِيَ عَقْرَبَةٌ] <sup>(٥)</sup> حُلُوهُ اللَّسْعَةِ"<sup>(٦)</sup>.

وفي الكافي "عَنْ جَمِيلِ بْنِ دَرَّاجٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا تَلَدَّدَ النَّاسُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِلَذَّةٍ أَكْثَرَ لَهُمْ مِنْ لَذَّةِ النِّسَاءِ وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿رُزِقَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَيْنِينِ﴾، [إِلخ]<sup>(٧)</sup>، ثُمَّ قَالَ: وَإِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ مَا يَتَلَدَّدُونَ بِشَيْءٍ مِنَ الْجَنَّةِ أَشْهَى عِنْدَهُمْ مِنَ النِّكَاحِ لَا طَعَامٍ وَلَا شَرَابٍ"<sup>(٨)</sup>، "عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إِنَّ أَوَّلَ مَا عُصِيَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ سِتُّ: حُبُّ الدُّنْيَا، وَحُبُّ الرِّئَاسَةِ، وَحُبُّ الطَّعَامِ، وَحُبُّ النَّوْمِ، وَحُبُّ الرَّاحَةِ، وَحُبُّ النِّسَاءِ"<sup>(٩)</sup>.

وفي كتاب الخصال "عَنْ الْأَصْبَغِ بْنِ نَابَتَةَ قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْفِتْنُ ثَلَاثٌ: حُبُّ النِّسَاءِ وَهُوَ سَيْفُ الشَّيْطَانِ، وَشُرْبُ الْخَمْرِ وَهُوَ فَخُّ الشَّيْطَانِ وَحُبُّ الدُّيْنَارِ وَالدِّرْهَمِ وَهُوَ سَهْمُ الشَّيْطَانِ، [مَنْ] <sup>(١٠)</sup> أَحَبَّ النِّسَاءَ لَمْ يَنْتَفِعْ بِعَيْشِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ الْأَشْرِيَّةَ

(١) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٥٢/٢ .

(٢) المصنّف: الصنعاني: ٣٠٥/١١، صحيح البخاري: البخاري: ١٢٤/٦، السنن الكبرى: النسائي: ٣٦٤/٥، السنن الكبرى: البيهقي: ٩١/٧ .

(٣) عمدة القاري: العيني: ٨٩/٢٠ .

(٤) هو ليس بحديث لرسول الله(ص)، وإنما هو قول لسعيد بن المسيّب وورد في المصادر (ما أيسَّ الشَّيْطَانُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ قِبَلِ النِّسَاءِ)، راجع: شعب الإيمان: البيهقي: ٣٧٤/٤، وقيل: هو قول لبعض العارفين: راجع: فيض القدير: المناوي: ١٧٣/١ .

(٥) في المصدر: والمرأة عقرب .

(٦) نهج البلاغة: خطب لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام): ٥١٠ .

(٧) في المصدر: إلى آخر الآية .

(٨) الكافي: الكليني: ١٠٣٢١/٥، باب حب النساء .

(٩) المصدر نفسه: ٢٨٩/٢، وسائل الشيعة: الحر العاملي: ٣٣٩/١٥ .

(١٠) في المصدر: فمن .

حَرَمَتْ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ، وَمَنْ أَحَبَّ الدِّينَارَ والدِّرْهَمَ فَهُوَ عَبْدُ الدُّنْيَا<sup>(١)</sup>، عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى العَطَّارِ، إِلَى أَنْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "الدَّهَبُ وَالْفِضَّةُ حَجَرَانِ مَمْسُوحَانِ فَمَنْ أَحَبَّهُمَا كَانَ مَعَهُمَا"<sup>(٢)</sup> الحديث، ثُمَّ تَنَى سَبْحَانَهُ بِالْبَنِينَ؛ لِأَنَّ حُبَّهُمْ دَاعٍ إِلَى جَمْعِ الحَرَامِ<sup>(٣)</sup>، " قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِلْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ: هَلْ لَكَ مِنْ ابْنَةِ [حَمْزَةَ]<sup>(٤)</sup> مِنْ وُلْدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، لِي مِنْهَا غُلَامٌ، وَلَوَدِدْتُ أَنْ لِي بِهِ جَفْنَةٌ مِنْ طَعَامٍ، أَطْعَمَهَا مِنْ مَعِي مِنْ بَنِي جَبَلَةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: لِمَ قُلْتَ ذَلِكَ؟! إِنَّهُمْ لَتَمْرَةِ القُلُوبِ، وَفُرَّةِ الأَعْيُنِ، وَإِنَّهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَمَجْبَنَةٌ، مَبْخَلَةٌ محزنة"<sup>(٥)</sup>.

والقناطير قد مرَّ معنا وما فيه من الأقوال في اللغة، قوله ﴿مِنَ الدَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾ بيان للقناطير، فيفهم منه أنَّ مَنْ خَصَّ القناطيرَ والقنطارَ بالذهب ليس بصواب، وقال الزَّجَّاجُ: لا يصحَّ قول من قال أنه من الذهب خاصة؛ لأنه سبحانه ذَكَرَ القنطارَ فيها جميعاً<sup>(٦)</sup>، ثُمَّ رَبَّعَ بالخيل المسومة، أي: الراعية أو المرعية من سمَّت الدابة وأسمتها وسومتها، أو للمطهمة أو المعلمة الحسنة، ثمَّ خَمَسَ بالأنعام من الأزواج الثمانية، ثُمَّ سَدَسَ الحرث، أي: الزرع والمزروع والمعز، قل وهذه الأصناف كلها محببة إلى الناس كما نكره سبحانه، ثُمَّ صرَّح سبحانه (أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ مِمَّا يَتَمَتَّعُ بِهِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا، ثُمَّ يَزُولُ عَنِ صَاحِبِهِ)<sup>(٧)</sup> لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾<sup>(٨)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾<sup>(٩)</sup>، و﴿لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾<sup>(١٠)</sup>، و﴿مِلْءُ الأَرْضِ دَهَبًا﴾<sup>(١١)</sup>، وفضة

(١) الخصال: الصدوق: ١١٣ .

(٢) المصدر نفسه: ٤٣ - ٤٤، وسائل الشيعة: الحر العاملي: ٤٥/٩ .

(٣) ينظر: مجمع البيان: الطبرسي: ٢٥٢/٢ .

(٤) في المصدر: جمد .

(٥) الزهد لوكيع: وكيع الرؤاسي: ١٠١ .

(٦) ينظر: مجمع البيان: الطبرسي: ٢٥٣/٢ .

(٧) المصدر نفسه: ٢٥٣/٢ .

(٨) سورة الكهف: الآية ٨ .

(٩) سورة الأنعام: الآية ٩٤ .

(١٠) سورة الشعراء: الآية ٨٨ .

(١١) سورة آل عمران: الآية ٩١ .



بَلْ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴿١﴾، بَلْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٢﴾، وَيَنْهَشُهُ كُلُّ ذَاتِ نَابٍ بِنَابِهَا، وَيَطَأُهُمْ كُلُّ ذَاتِ ظَلْفٍ بِظَلْفِهَا؛ بَأْسٌ لِمَ يَكُونُوا مُنْفِقِينَ عَلَى الْوَجْهِ الْمَأْمُورِ بِهِ وَلَا مَخْرَجِينَ حُقُوقَهَا الْوَاجِبَةَ مِنَ الزَّكَاةِ وَالْخُمْسِ وَغَيْرِهِمَا، بَلْ يَسْأَلُونَ الرَّجْعَةَ إِلَى الدُّنْيَا لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ مَا لَمْ يَفْعَلُوا مِنْ ذَلِكَ، وَلَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ السُّؤَالُ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "مَا مِنْ ذِي مَالٍ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ يَمْنَعُ زَكَاةَ مَالِهِ إِلَّا حَبَسَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقَاعِ قَرْقَرٍ وَسَلَطَ عَلَيْهِ شُجَاعًا أَفْرَعُ يُرِيدُهُ وَهُوَ يُحِيدُ عَنْهُ فَإِذَا رَأَى أَنَّهُ لَا مَخْلَصَ لَهُ مِنْهُ أَمَكَّنَهُ مِنْ يَدِهِ فَقَضَمَهَا كَمَا يُقَضَّمُ الْفُجْلُ، ثُمَّ يَصِيرُ طَوْقًا فِي عُنُقِهِ وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، وَمَا مِنْ ذِي مَالٍ إِبِلٍ أَوْ غَنَمٍ أَوْ بَقَرٍ يَمْنَعُ زَكَاةَ مَالِهِ إِلَّا حَبَسَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقَاعِ قَرْقَرٍ يَطُوهُ كُلُّ ذَاتِ ظَلْفٍ بِظَلْفِهَا وَيَنْهَشُهُ كُلُّ ذَاتِ نَابٍ بِنَابِهَا وَمَا مِنْ ذِي مَالٍ نَخْلٍ أَوْ كَرْمٍ أَوْ زَرْعٍ يَمْنَعُ زَكَاةَهَا إِلَّا طَوَّقَهُ اللَّهُ رِيْعَةً أَرْضِهِ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ" (٣)، وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ "مَا مِنْ عَبْدٍ مَنَعَ مِنْ زَكَاةِ مَالِهِ شَيْئًا إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُعْبَانًا مِنْ نَارٍ مُطَوَّقًا فِي عُنُقِهِ يَنْهَشُ مِنْ لَحْمِهِ حَتَّى يَفْرَغَ مِنَ الْحِسَابِ، [٢٥] وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾" (٤)، وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "مَنْ مَنَعَ قَيْرَاطًا مِنَ الزَّكَاةِ فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ وَلَا مُسْلِمٍ، وَلَا تُقْبَلُ لَهُ صَلَاةٌ" (٥)، وَيَسْأَلُ الرَّجْعَةَ وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ \* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا﴾ (٦) الْآيَةَ، وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "إِنَّ اللَّهَ

(١) سورة التوبة: الآية ٣٥ .

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٨٠ .

(٣) والرواية جاءت (عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ خَلْفِ بْنِ حَمَّادٍ عَنْ حَرِيْزِ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا مِنْ ذِي مَالٍ (...), الكافي: الكليني: ٣: ٥٠٥ - ١٩٠/٥٠٦، باب منع الزكاة، ثواب الأعمال: الصدوق: ٢٣٥، روضة الواعظين: القتال النيسابوري: ٣٥٦.

(٤) من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ١٠/٢ - ١١، وسائل الشيعة: الحر العاملي: ٢٢/٩ .

(٥) وأصل الرواية عن "يونسُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ أَبِي بصيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ مَنْ مَنَعَ قَيْرَاطًا مِنَ الزَّكَاةِ فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ وَلَا مُسْلِمٍ وَهُوَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾، وفي روايةٍ أُخْرَى وَلَا تُقْبَلُ لَهُ صَلَاةٌ"، الكافي: الكليني: ٣/٥٠٣/٣، باب منع الزكاة، من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ١١/٢، مرآة العقول المجلسي: ١٤/١٦ .

(٦) سورة المؤمنون: الآية ٩٩ - ١٠٠ .

تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَرَنَ الزَّكَاةَ بِالصَّلَاةِ فَقَالَ: ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾<sup>(١)</sup>، فَمَنْ أَقَامَ الصَّلَاةَ وَلَمْ يُؤْتِ الزَّكَاةَ فَكَأَنَّهُ لَمْ يُعِمَّ الصَّلَاةَ<sup>(٢)</sup>، وقال عليه الصلاة والسلام: "زَكُّوا أَمْوَالَكُمْ تُقْبَلْ صَلَاتُكُمْ"<sup>(٣)</sup>، وقد مرَّ مفصلةً وفي أواخر سورة البقرة، ويجيء أيضاً إن شاء الله تعالى.

فهذه الأمور هي مَصْرَةُ الْمَالِ وَالْبَيْنِينَ وَالْإِبْتِلَاءِ وَالْإِمْتِحَانِ بِهِمَا، فالأجدر بالإنسان أن يَزْهَدَ فِي ذَلِكَ وَيَرْغِبَ فِيهَا عِنْدَ رَبِّهِ وَيَصْرِفَ هَذِهِ الْأَصْنَافَ عَلَى وَجْهِ يَرْضِيهِ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ وَعِيَالِهِ لَتَقْوِيَةِ الْأَبْدَانِ لِلْعِبَادَةِ، وَعَلَى السَّادَاتِ وَالْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ الْخ، حقوقهم منها فقال ﴿ذَلِكَ﴾، أي: المذكور من جميع ما سَبَقَ.

﴿مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، أي: ما يستمتع به في الحياة الدُّنْيَا<sup>(٤)</sup>، ثُمَّ يَفْنَى وَيَنْفَدُ ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾<sup>(٥)</sup>.

﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾، أي: المرجع، وهذا تحريضٌ عَلَى التَّزَهُدِ وَحَثٌّ عَلَى اسْتِبْدَالِ مَا عِنْدَهُ تَعَالَى مِنَ اللَّذَاتِ الْحَقِيقِيَّةِ الْأَبَدِيَّةِ بِالشَّهَوَاتِ الْمَخْدُجَةِ<sup>(٦)</sup> الْفَانِيَةِ<sup>(٧)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾<sup>(٨)</sup> آية .

### القراءة:

(قرأ عاصم في رواية أبي بكر رُضْوَانٌ [بضم الراء في جميع القرآن]<sup>(٩)</sup>، ما خلا الحرف الثاني في سورة المائدة وهو قوله تعالى: ﴿رِضْوَانُهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾<sup>(١٠)</sup>، والباقون بكسر

(١) سورة البقرة: الآية ٤٣، سورة النساء: الآية ٧٧، سورة الحج: الآية ٧٨ .

(٢) من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ١٠/٢، وسائل الشيعة: الحر العاملي: ٢٢/٩ .

(٣) الكافي: الكليني: ٣/٤٩٧/٢، بَابُ فَرَضِ الزَّكَاةِ وَمَا يَجِبُ فِي الْمَالِ مِنَ الْحُقُوقِ، من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ١٤/٢، والحديث طويل اكتفى المؤلف بذكر موضع الشاهد .

(٤) ينظر: مجمع البيان: الطبرسي: ١٣٥/٣ .

(٥) سورة النحل: الآية ٩٦ .

(٦) ومنه في حاشية الأصل: المخدجة: الناقصة، ينظر: القاموس المحيط: الفيروزآبادي: ١٨٥ .

(٧) ينظر: أنوار التنزيل: البيضاوي: ٨/٢، التفسير الصافي: الفيض الكاشاني: ٣٢١/١ .

(٨) سورة آل عمران: الآية ١٥ .

(٩) في المصدر: في جميع القرآن بضم الراء .

(١٠) سورة المائدة: الآية ١٦ .

(١١) أنوار التنزيل: البيضاوي: ٨/٢ .

الراء في الجميع، وهما لغتان فيه<sup>(١)</sup>، فمن كَسَرَ الرَّاء جعله كالْحِرْمَانِ، والرِّئْمَانِ، ومن ضَمَّهَا جَعَلَهُ كَالْغُفْرَانِ، والكُفْرَانِ والرُّجْحَانِ .

### الإعراب:

جملة الاستفهام والإخبار مقولة القول المذكور والمحذوف، ومنتهى الاستفهام إمّا يكون في لكم وَحِينَئِذٍ جملةٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ﴿﴾ إلى قوله ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ استئناف بياني لما هو خيرٌ من المذكورات في الآية السابقة، فعلى هذا ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ من الموصول، والصلة خبرٌ مقدّم و﴿جَنَّاتٍ﴾ مبتدأ مؤخّر، ﴿وَعِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، خبرٌ بعد خبرٍ أو متعلق بقوله: ﴿لِلَّذِينَ﴾، وأمّا أن يكون ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ فحينئذٍ يكون لِلَّذِينَ متعلقاً بخيرٍ، وكذا عند ربهم، أو صفتان له، و﴿جَنَّاتٍ﴾، على الوجه خبرٌ لمبتدأ محذوفٍ بدلالة السؤال المقدّر عليه كأنه قيل: ما ذلك الخبر؟ قال جنّاتٌ، أيّ هو جنّاتٌ، ويجوز على هذا الوجه جرُّ جنّاتٍ على البدلية من خيرٍ، وجملة ﴿مِنَ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، صفة جنّاتٍ على جميع التقادير، ﴿وَأَزْوَاجٍ﴾، عطفٌ على جنّاتٍ في وجهي إعرابها، و﴿مُطَهَّرَةٌ﴾ صفة أزواجٍ، ﴿وَرِضْوَانٌ﴾ أيضاً عطفٌ على جنّاتٍ، كذلك و﴿مِنَ اللَّهِ﴾ صفة رضوانٍ، ﴿خَالِدِينَ﴾ حال من فاعل اتقوا، و﴿فِيهَا﴾ متعلق بخالدين.

**المعنى:**

لَمَّا حَقَّرَ سبحانه الدنيا وما فيها، وزهّدَ فيها في الآية السابقة، (عظّم الأخره وشرّفها ورعّب فيها في هذه الآية)<sup>(٢)</sup>، فقال ﴿قُلْ﴾ يا محمّد لِمَنْ أُرْسِلَتْ إليهم من الأمم الأحمر والأسود ﴿أَوْبِنْتُكُمْ﴾: أَخْبِرْكُمْ ﴿بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ﴾ المذكور في الآية السابقة (من شهوات الدنيا ولذاتها وزهراتها)<sup>(٣)</sup> مِنَ النِّسَاءِ إلخ، يريد سبحانه بيان أن ثواب الله تعالى ورضوانه خيرٌ من مستلذات الدنيا بأسرها على سبيل الاستفهام التقريري، ثم استأنفَ ببيان ما هو خيرٌ من المذكورات من المستلذات الدنيوية فقال ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الله وما حرّمه عليهم، ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ﴾ هذا على تقدير كون منتهى الاستفهام قوله: ﴿مِنَ ذَلِكَ﴾، أو المعنى ﴿أَوْبِنْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ ثم ابتدأ بجواب السؤال الناشئ من الاستفهام فقال ﴿جَنَّاتٍ﴾، أي: هو جنّاتٌ تجري

(١) ينظر: أنوار التنزيل: البيضاوي: ٨/٢ .

(٢) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٥٤/٢ .

(٣) المصدر نفسه: ٢٥٤/٢ .

إلخ، أو أتى بالبدل من خير بقوله ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: من تحت أشجارها وأبنيتها الأنهار الأربعة وغيرها بين (أن أنهار الجنة جارية أبداً وليست كأنهار الدنيا [التي])<sup>(١)</sup> يجري ماؤها تارةً وينقطع أخرى<sup>(٢)</sup>؛ لأنَّ الجَنَّاتِ وَمَا فِيهَا لَا تَفْنَى وَلَا تَنْفَدُ، وَهِيَ نَعِيمٌ مُقِيمٌ ﴿أَكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُنْقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾<sup>(٤)</sup> الآية، وكل واحد من الأربعة الأصناف أنهار كما نطقت بها الآية، وغير ذلك من رحيق مختوم والسلسبيل ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾، (أي: مقيمين في تلك الجنات)<sup>(٥)</sup> أبداً ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾<sup>(٦)</sup>، ﴿وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾، أي: ولهم فيها أزواج مطهرة أو ذلك الخير الكائن لهم.

### معنى أزواج مطهرة في الجنة:

أزواج مطهرة من الحيض والنفاس والبول والغائط وجميع الأقدار والأدناس والطبائع الذميمة، والأخلاق [اللييمة]<sup>(٧)</sup> (٨) وغير ذلك مما يستقدر من النساء، وفي تفسير علي بن إبراهيم وقوله تعالى: ﴿وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ قال عليه السلام: "في الجنة لا يحضن ولا يحدثن، حدثني أبي عن إسماعيل بن إبان عن عمر بن عبد الله الثقفي"<sup>(٩)</sup> إلى آخر الحديث الذي مر ذكره في سورة البقرة في تفسير قوله تعالى: [٢٦] ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾<sup>(١٠)</sup> الآية، ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: (لهم رضوان من الله)<sup>(١١)</sup>، أو ذلك الخير الكائن لهم رضوان من الله وراء الجنات والأزواج المطهرة.

(١) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٢) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٥٤/٢ .

(٣) سورة الرعد: الآية ٣٥ .

(٤) سورة محمد: الآية ١٥ .

(٥) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٥٤/٢ .

(٦) سورة الكهف: الآية ١٠٨ .

(٧) ما بين المعقوفين ليس من الأصل، وما أثبت من المصدر يقتضيه السياق .

(٨) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٥٤/٢ .

(٩) تفسير القمي: القمي: ٩٨/١ .

(١٠) سورة البقرة: الآية ٢٥٩ .

(١١) تفسير بحر العلوم: السمرقندي: ٢٢٥/١ .

ذكر مراتب نِعَمِ الله عَزَّ وَجَلَّ في الآيتين الأولى والأوسط والأعلى:

فقد أشار سبحانه في هذه الآية وفي الآية السابقة إلى مراتب نِعَمِهِ على الإجمالِ فأدناها متاعُ الدنيا وزينتها، وأوسطها الجنة ونعيمها، وأعلىها رضوانُ لقوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾، أي: خبيرٌ عالمٌ بأعمالهم وأقوالهم وأحوالهم ونياتهم؛ فإنه يَعْلَمُ السِّرَّ وأخفى، وَيَعْلَمُ المَصْلِحَ من المَفْسِدِ، والمُحْسِنَ مِنَ المُسيءِ، والمتقين من العاصين، فيعدُّ لهؤلاء الجنان، ولهؤلاء النيران، فيثبُّ المحسنين، ويعاقب المفسدين على قدر استحقاقهم.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنا أَمَنَّا فَأَغْرِنَا دُؤُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ \* الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾<sup>(٢)</sup> آيتان .

اللغة:

المغفرة والغفران سترُ الذنبِ برفعِ تَبَعْتِهِ<sup>(٣)</sup>.

الفرق بين الذنب والجُرم، والقول والكلام:

والذنبُ والجُرمُ والعصيان نظائر، ولكن أصلُ الذنبِ الاتباعُ اشتقاقه من ذنَبِ الدَّابَّةِ، (فهو ما يتبع عَليهِ العَبْدُ من قَبِيحِ عمله كالتَّبَعَةِ، [وأصلُ الجرمِ]<sup>(٤)</sup> القطعُ فهو القبيحُ ينقطع به عن الواجب)<sup>(٥)</sup>، والفرق بين القول والكلام أن في القول معنى الحكاية، بخلاف الكلام<sup>(٦)</sup>، والصَّابِرُ الحابِسُ نفسَه على الطَّاعات، والمقيمُ على ما أوجبه الله تعالى عليه من العبادات، والحابِسُ نفسَه عن ارتكاب المعاصي<sup>(٧)</sup>؛ لأنَّ الصَّابِرَ صَبْرانٍ صَبْرٌ على الطاعة، وصَبْرٌ عن المعصية كما مرَّ في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾<sup>(٨)</sup> الآية، من الأخبار عن الأئمة الأطهار والصادقِ المُخْبِرِ بالشَّيءِ على ما هو به، والذي يُصَدِّقُ فعله قوله،

(١) سورة التوبة: الآية ٧٢ .

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٦ - ١٧ .

(٣) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ٢٥/٥، مادة غفر .

(٤) في المصدر: والجرم أصله .

(٥) الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري: ٢٤٤ .

(٦) ينظر: المصدر نفسه: ٤٣٧ - ٤٣٨ .

(٧) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ٤٣٨/٤، مادة صبر .

(٨) سورة البقرة: الآية ٤٥ .

والقانتُ المطيعُ، والقنوتُ الطّاعةُ، والأسحارُ جَمْعُ، وما بعدها نصفُ الليلِ إلى الفجرِ الكاذبِ، وأصلُه الخفاءُ مِنَ السِّحْرِ لَخفاءِ الشَّخصِ في ذلك الوقتِ عن عيونِ العبادِ ولِخفاءِ سَبَبِ السِّحْرِ.

### الإعراب:

يجوز في موضع ﴿الَّذِينَ يُقُولُونَ﴾ الجَرُّ بدلاً من اللّذين اتَّقوا أو صفةً لهم أو صفةً للعباد على وَجِهِهِ وهو أن يكون المرادُ بهم المؤمنين، والنَّصْبُ على المدح والاختصاصِ بتقدير نعني أو نخصّ اللّذين يقولون، والرَّفْعُ على أنّه خبر لمبتدأ محذوفٍ راجعٍ إلى اللّذين اتَّقوا أيضاً كما هو القاعدة في قطع الصفة عن موصوفها، أي: هُمُ اللّذين يقولون، و﴿الصّابِرِينَ﴾ أيضاً جَرُّ على البدليّة أو الصفة للّذين اتَّقوا، أو نصْبُ على المدح والاختصاصِ وكذا باقي الصّفات الأربع.

### ذكر نكته توسط الواو بين الصّفات:

وتوسط الواو بين الصّفات للدلالة على كمالهم في كلّ واحدةٍ منها، واستقلال كلّ واحدةٍ منها برأسها في الكمال، أو التغاير بين الموصوفين.

### المعنى:

ثمّ وصف سبحانه اللّذين اتَّقوا سبحانه بقوله ﴿الَّذِينَ يُقُولُونَ﴾ أي: المتقين القائلين ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا﴾ أي: صدّقناك وصدقنا رسولك، وما جله به وما أنزلته عليه وعلى من قبله ﴿فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ أي: شرّها علينا وعلى أهل الحشر وتجاوزها عنّا، ولا تفضحنا عند العباد، وعلى رؤوس الأشهاد، ﴿وَقِنَا﴾ أي: ادفع عذاب النار.

### مناقشة على البيضاوي:

وما قال في أنوار التنزيل من قوله: وفي ترتيب السؤال، بمعنى: سؤال المغفرة، على مجرد الإيمان<sup>(١)</sup>، يعني بقولهم آمنا من غير ذكر مصداقاته (دليل على أنه كاف في استحقاق المغفرة أو الاستعداد لها)<sup>(٢)</sup>، ليس بسديد؛ وإلا لزم أن يكون إيمان جبرائيل عليه السلام والأنبياء والمؤمنين المرتاضين وإيمان إبليس وأمثاله مساوياً في ترتب استحقاق

(١) ينظر: أنوار التنزيل: البيضاوي: ٩/٢ .

(٢) المصدر نفسه: ٩/٢ .

المغفرة وليس كذلك بالإجماع مع أنه سبحانه ذَكَرَ في الآيتين جميع مصداقاته من الاتقاء والتوسلات النفسية من الصبرين، والبدنية من القولية والفعلية من الصدق والقنوت الذي هو ملازمة الطاعات والمالية من الإنفاقات والطلبية من الاستغفار والتهجّد آناء الليل، والعبادة أطراف النهار، ثُمَّ وَصَفَهُمْ بِصِفَاتٍ أُخْرَ كَانَتْ فِيهِمْ فَمَدَحَهُمْ بِهَا فَقَالَ ﴿الصَّابِرِينَ﴾ على فعلٍ ما أَمَرَهُمُ اللهُ تَعَالَى بِهِ، وَعَنْ تَرَكَ مَا نَهَاكَ عَنْهُ، فَيَصْبِرُونَ عَلَى الطَّاعَاتِ وَيَصْبِرُونَ عَنِ الْمَعَاصِي وَعَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْبَأْسَاءِ ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَنِيَّاتِهِمْ، وَيُصَدِّقُ أَفْعَالَهُمْ أَقْوَالَهُمْ<sup>(١)</sup>، وَلَمْ يَكُونُوا مِثْلَ الْمُنَافِقِينَ الْقَائِلِينَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ، وَلَمْ يَقُولُوا ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>، وَلَمْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاعَاتِ وَلَمْ يَكْذِبُوا عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولِهِ، وَلَمْ يُقَدِّمُوا مَنْ لَمْ يَقْدِمَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ صَ لَمْ يَحْسُدُوا النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ، وَلَمْ يَتَصَرَّفُوا فِي أَمَانَاتِهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيَسْلَمُونَ تَسْلِيمًا، وَيَكُونُونَ مَعَ الصَّادِقِينَ، ﴿وَالْقَانِتِينَ﴾، أَي: الْمُطِيعِينَ لِلَّهِ الدَّائِمِينَ الْقَائِمِينَ عَلَى الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ الْوَاجِبَةِ وَغَيْرِهَا، ﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾، أَمْوَالُهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَوَجْهِهِ الْخَيْرِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَعِيَالِهِمْ؛ لِقُوَّةِ الْعِبَادَةِ، وَعَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالسَّادَاتِ، وَيَدْخُلُ فِي الْإِنْفَاقِ الْوَاجِبِ وَالْمَنْدُوبِ وَالزَّكَاةَ الْوَاجِبَةَ وَالْمُسْتَحَبَّةَ وَالْخُمْسَ كَمَا مَرَّ أَنْفَاءً فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ مَجْمَلًا فِي أَوَاخِرِ الْبَقْرَةِ مَفْصَلًا.

﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾، قَالَ فِي تَفْسِيرِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ وَهُمْ الدَّعَائِينَ بِالْأَسْحَارِ<sup>(٣)</sup>، وَقِيلَ: (تَنْتَهَى صَلَاتُهُمْ إِلَى وَقْتِ السَّحْرِ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُونَ)<sup>(٤)</sup>، وَفِي الْمَجْمَعِ أَي: (الْمُصَلِّينَ وَقْتِ السَّحْرِ، رَوَاهُ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ)<sup>(٥)</sup>، وَرَوَى "عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَّ مَنْ اسْتَغْفَرَ اللهُ سَبْعِينَ مَرَّةً وَهُمْ قِيَامٌ وَقَتِ السَّحْرِ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْآيَةِ"<sup>(٦)</sup>، وَرَوَى "أَنَّ بِنَ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ [٢٧] قَالَ: إِنَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: إِنِّي لَأَهْمُ بِأَهْلِ الْأَرْضِ عَذَابًا فَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى عُمَارِ بُيُوتِي، وَالْمُتَحَابِّينَ فِي،

(١) ومنه في حاشية الأصل: قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾، سورة الصف: الآية ٣ .

(٢) سورة النساء: الآية ٥١ .

(٣) ينظر: تفسير القمي: القمي: ٩٨/١ .

(٤) جوامع الجامع: الطبرسي: ٢٧٠/١، زبدة التفسير: فتح الله الكاشاني: ٤٥٩/١ .

(٥) ذكره الطبرسي في مجمع البيان: ٢/٢٥٥، ولم نجده في المصادر الحديثية .

(٦) بحار الأنوار: المجلسي: ١٢٠/٨٤ .



وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ صَرَفْتُ عَنْهُمْ<sup>(١)</sup>، عن "مفضل بن عمر قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جُعِلَتْ فِدَاكَ تَقْوَتِي صَلَاةَ اللَّيْلِ فَأُصَلِّيَ الْفَجْرَ فَلِي أَنْ أُصَلِّيَ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ مَا فَاتَنِي مِنْ [صَلَاةِ اللَّيْلِ]<sup>(٢)</sup> وَأَنَا فِي صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَلَكِنْ لَا تُعَلِّمَ بِهِ أَهْلَكَ [فَتَحَذَهُ]<sup>(٣)</sup> سُنَّةً فَيَبْطُلَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾<sup>(٤)</sup>.

وفي كتاب الخصال "عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: مَنْ قَالَ فِي وَتْرِهِ إِذَا أَوْتَرَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ سَبْعِينَ مَرَّةً وَهُوَ قَائِمٌ فَوَاطَبَ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى [تَمْضِيَ]<sup>(٥)</sup> لَهُ سَنَةٌ كَتَبَهُ اللَّهُ عِنْدَهُ مِنَ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ"<sup>(٦)</sup>.

وفي أنوار التنزيل (قوله) ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾، حَصَرَ لِمَقَامَاتِ السَّالِكِ عَلَى أَحْسَنِ تَرْتِيبٍ، فَإِنَّ مُعَامَلَتَهُ مَعَ اللَّهِ إِمَّا تَوَسُّلاً وَإِمَّا طَلَباً، وَالتَّوَسُّلُ إِمَّا بِالنَّفْسِ وَهُوَ مَنْعُهَا عَنِ الرَّذَائِلِ وَحَبْسُهَا عَلَى الْفَضَائِلِ وَالصَّبْرُ يَشْمَلُهُمَا، وَإِمَّا بِالْبَدَنِ، وَهُوَ إِمَّا قَوْلِي وَهُوَ الصِّدْقُ وَإِمَّا فِعْلِي وَهُوَ الْقَنُوتُ الَّذِي هُوَ مُلَازِمَةُ الطَّاعَةِ، وَإِمَّا بِالْمَالِ وَهُوَ الْإِنْفَاقُ فِي [سَبِيلِ]<sup>(٧)</sup> الْخَيْرِ، وَأَمَّا الطَّلَبُ [فَالِاسْتِغْفَارَ]<sup>(٨)</sup>؛ لِأَنَّ الْمَغْفِرَةَ أَعْظَمَ الْمَطَالِبِ بَلِ الْجَامِعِ لَهَا<sup>(٩)</sup>، (وتخصيص الأسحار؛ لأن الدعاء فيها أقرب إلى الإجابة؛ لأنَّ العبادة حينئذ أشق والنفس أصفى والروع أجمع [سيِّماً]<sup>(١٠)</sup> للمجتهدين)<sup>(١١)</sup>.

(١) شعب الإيمان: البيهقي: ٥٠٠/٦، كنز العمال: المتقي الهندي: ٥٧٩/٧، بحار الأنوار: المجلسي: ١٢٠/٨٤.

(٢) في المصدر: الصلاة.

(٣) في المصدر: فَيَتَحَذُوهُ.

(٤) بحار الأنوار: المجلسي: ٢٢٦/٨٤.

(٥) في المصدر: يمضي.

(٦) الخصال: الصدوق: ٥٨١.

(٧) في المصدر: سبيل.

(٨) في المصدر: فبالاستغفار.

(٩) أنوار التنزيل: البيضاوي: ٩/٢.

(١٠) ليس من المصدر.

(١١) أنوار التنزيل: البيضاوي: ٩/٢.

## فصل في ذكر نبيذ من ثواب صلاة الليل:

في الفقيه "نزل جبرائيل عليه السلام على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ لَهُ: يَا جِبْرَائِيلُ عَظْمِي، قَالَ: شَرَفُ الْمُؤْمِنِ صَلَاتُهُ بِاللَّيْلِ، وَعِزُّهُ كَفُّ الْأَذَى عَنِ النَّاسِ" (١)، و"عن الصادق عليه السلام قال: إِنَّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثَلَاثَةٌ: التَّهَجُّدُ بِاللَّيْلِ، وَإِفْطَارُ الصَّائِمِ، وَلِقَاءُ الْإِخْوَانِ" (٢)، وقال الصادق عليه السلام: "عليكم بصلاة الليل فإنها سنة نبيكم ودأب الصالحين قبلكم ومطرده الداء عن أجسادكم" (٣)، "وسأله عبد الله بن سنان عن قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾" (٤)، قال: هو السَّهْرُ فِي الصَّلَاةِ" (٥)، وقال الصادق عليه السلام: أَنْ الْبُيُوتِ الَّتِي يُصَلِّي فِيهَا بِاللَّيْلِ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ تُضِيءُ لِأَهْلِ السَّمَاءِ كَمَا تُضِيءُ نُجُومُ السَّمَاءِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ" (٦)، وقال عليه السلام في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ (٧) قال: صَلَاةُ الْمُؤْمِنِ بِاللَّيْلِ تَذْهَبُ بِمَا عَمِلَ مِنْ ذَنْبٍ بِالنَّهَارِ ومدح الله أمير المؤمنين عليه السلام [في كتابه بقيام صلاة الليل فقال عَزَّ وَجَلَّ] (٨): ﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْأَخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ (٩) وَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاعَاتِهِ" (١٠)، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: إِذَا أَرَادَ أَنْ يُصِيبَ أَهْلَ الْأَرْضِ بِعَذَابٍ، قَالَ: لَوْلَا الَّذِينَ يَتَحَابُّونَ بِحَلَالِي وَيَعْمُرُونَ مَسَاجِدِي وَيَسْتَغْفِرُونَ بِالْأَسْحَارِ لَوْلَاهُمْ لَأَنْزَلْتُ عَذَابِي" (١١)، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: مَنْ كَثُرَ صَلَاتُهُ بِاللَّيْلِ حَسُنَ وَجْهُهُ بِالنَّهَارِ" (١٢)، وجاءَ رَجُلٌ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَشَكَى إِلَيْهِ الْحَاجَةَ

(١) من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ٣٩٩/٤، والحديث طويل اكتفى المؤلف بذكر موضع الشاهد .

(٢) المصدر نفسه: ٤٧٢/١ .

(٣) ثواب الأعمال: الصدوق: ٤١، تهذيب الأحكام: الطوسي: ١٢٠/٢، روضة الواعظين: الفتال النيسابوري: ٣٢١ .

(٤) سورة الفتح: الآية ٢٩ .

(٥) من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ٤٧٣/١، روضة الواعظين: الفتال النيسابوري: ٣٢١، وسائل الشيعة: الحر العاملي:

١٥٢/٨ .

(٦) ثواب الأعمال: الصدوق: ٤٢، تهذيب الأحكام: الطوسي: ١٢٢/٢ .

(٧) سورة هود: الآية ١١٤ .

(٨) ما بين المعقوفين ليس في الأصل، وما أثبت من المصدر يقتضيه السياق .

(٩) سورة الزمر: الآية ٩ .

(١٠) من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ٤٧٣/١ .

(١١) المصدر نفسه: ٤٧٤/١ .

(١٢) المصدر نفسه: ٤٧٤/١ .

فَأَفْرَطَ فِي الشُّكَايَةِ حَتَّى [كَادَ أَنْ] <sup>(١)</sup> يَشْكُو الْجُوعَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا هَذَا أَتُصَلِّي بِاللَّيْلِ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: نَعَمْ، فَالْتَقَتْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: كَذَبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُصَلِّي بِاللَّيْلِ وَيَجُوعُ [بِالنَّهَارِ] <sup>(٢)</sup>، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ضَمِنَ صَلَاةَ اللَّيْلِ قُوَّةَ النَّهَارِ <sup>(٣)</sup>، "وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ لِأَبِي ذَرٍّ رَحِمَهُ اللهُ: يَا أَبَا ذَرٍّ احْفَظْ وَصِيَّةَ نَبِيِّكَ تَنْفَعَكَ: مَنْ خُتِمَ لَهُ بِقِيَامِ اللَّيْلِ ثُمَّ مَاتَ فَلَهُ الْجَنَّةُ وَالْحَدِيثُ فِيهِ طَوِيلٌ" <sup>(٤)</sup>، وروى "جَابِرُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قِيَامِ اللَّيْلِ بِالْقُرْآنِ، فَقَالَ لَهُ: أُبَشِّرُ، مَنْ صَلَّى مِنَ اللَّيْلِ عَشْرَ لَيْلَةٍ لِلَّهِ مُخْلِصًا ابْتِغَاءً ثَوَابِ اللَّهِ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِمَلَائِكَتِهِ: اكْتُبُوا لِعَبْدِي هَذَا مِنْ الْحَسَنَاتِ عَدَدَ مَا أَنْبَتَ فِي اللَّيْلِ مِنْ حَبَّةٍ وَوَرَقَةٍ وَشَجْرَةٍ، وَعَدَدَ كُلِّ قَصَبَةٍ وَخُوصٍ <sup>(٥)</sup> وَمَرْعَى، وَمَنْ صَلَّى تُسْعَ لَيْلَةٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ عَشْرَ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٍ، وَأَعْطَاهُ اللَّهُ كِتَابَهُ بِبَيْمِينِهِ، وَمَنْ صَلَّى تُمْنٌ لَيْلَةٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ أَجْرَ شَهِيدٍ صَابِرٍ صَادِقِ النِّيَّةِ، وَشَفَعَ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ، وَمَنْ صَلَّى سُبْعَ لَيْلَةٍ خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ يَوْمَ يُبْعَثُ وَوَجْهُهُ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ حَتَّى يَمُرَّ عَلَى الصِّرَاطِ مَعَ الْأَمِينِ، وَمَنْ صَلَّى سُدُسَ لَيْلَةٍ كُتِبَ فِي الْأَوَابِينِ <sup>(٦)</sup>، وَغُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ صَلَّى خُمُسَ لَيْلَةٍ رَاحِمَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ فِي قُبَّتِهِ، وَمَنْ صَلَّى رُبْعَ لَيْلَةٍ كَانَ فِي أَوَّلِ الْفَائِزِينَ حَتَّى يَمُرَّ عَلَى الصِّرَاطِ كَالرِّيحِ الْعَاصِفِ، وَ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَمَنْ صَلَّى ثَلَاثَ لَيْلَةٍ لَمْ يَبْقَ مَلَكٌ إِلَّا غَبَطَهُ بِمَنْزِلَتِهِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقِيلَ لَهُ ادْخُلْ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شِئْتَ، وَمَنْ صَلَّى نِصْفَ لَيْلَةٍ فَلَوْ أُعْطِيَ مِلءَ الْأَرْضِ ذَهَبًا سَبْعِينَ أَلْفَ مَرَّةٍ لَمْ يَعْدِلْ جَزَاءَهُ، وَكَانَ لَهُ بِذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَفْضَلُ مِنْ سَبْعِينَ رَقَبَةً يُعْتِقُهَا مِنْ وُلْدِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَنْ صَلَّى ثُلَاثِي لَيْلَةٍ كَانَ لَهُ مِنَ الْحَسَنَاتِ قَدْرُ رَمْلِ عَالِجٍ، أَدْنَاهَا حَسَنَةٌ أَنْتَقَلَ مِنْ جَبَلٍ أَحَدٍ عَشْرَ مَرَّاتٍ، وَمَنْ صَلَّى لَيْلَةً تَامَةً تَالِيًا لِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ رَاكِعًا وَسَاجِدًا وَذَاكِرًا أُعْطِيَ مِنَ الثَّوَابِ مَا أَدْنَاهُ يَخْرُجُ مِنَ الذُّنُوبِ [٢٨] كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، وَيُكْتَبُ لَهُ عَدَدُ مَا خَلَقَ

(١) ما بين المعقوفين ليس من الأصل.

(٢) ما بين المعقوفين ليس من الأصل.

(٣) من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ٤٧٤/١ .

(٤) المصدر نفسه: ٤٧٤/١ - ٤٧٥، تهذيب الأحكام: الطوسي: ١٢٢/٢، وسائل الشيعة: الحر العاملي: ١٥٤/٨ .

(٥) ومنه في حاشية الأصل (والخوص: ورق النخل، الواحدة خوصة)، الصحاح: الجوهري: ١٠٣٨/٣ .

(٦) ومنه في حاشية الأصل: الأواب: الرجاء، الثواب من آب إذا رجح، ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ٢١٩/١ .

اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْحَسَنَاتِ وَمِثْلَهَا دَرَجَاتٍ، وَيُنْتَبُتُ النُّورُ فِي قَبْرِهِ، وَيُنَزَّعُ الْإِثْمُ وَالْحَسَدُ مِنْ قَلْبِهِ، وَيَجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيُعْطَى بَرَاءَةً مِنَ النَّارِ، وَيُبْعَثُ مِنَ الْأَمِينِينَ، وَيَقُولُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِمَلَائِكَتِهِ: يَا مَلَائِكَتِي انظُرُوا إِلَى عَبْدِي أَحْيَا لَيْلَةً ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي، أَسْكِنُوهُ الْفِرْدَوْسَ وَلَهُ فِيهَا مِائَةٌ أَلْفَ مَدِينَةٍ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ جَمِيعُ مَا تَشْتَهِي الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ [وما لا] (١) يَخْطُرُ عَلَى بَالِ سِوَى مَا أَعَدَدْتُ لَهُ مِنَ الْكِرَامَةِ وَالْمَزِيدِ وَالْقُرْبَةِ" (٢)، "وَرَوَى أَبُو حَمْرَةَ الشَّامِيُّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: مَا نَوَى عَبْدٌ أَنْ يَفُومَ آيَةَ سَاعَةِ نَوَى فَعَلِمَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذَلِكَ مِنْهُ إِلَّا وَكَّلَ بِهِ مَلَكَ يَحْرِكُ كَانِهِ تِلْكَ السَّاعَةَ" (٣)، "وَرَوَى أَبُو عُبَيْدَةَ الْحَدَّاءُ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ (٤)، فَقَالَ: لَعَلَّكَ تَرَى أَنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَكُونُوا يَنَامُونَ؟ فَقُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ: لَا بُدَّ لِهَذَا الْبَدَنِ أَنْ تُرِيحَهُ حَتَّى [النَّفْسِ] (٥)، فَإِذَا خَرَجَ النَّفْسُ اسْتَرَاحَ [الْبَدَنُ] (٦) وَرَجَعَتِ الرُّوحُ فِيهِ وَفِيهِ قُوَّةٌ [عَلَى] (٧) الْعَمَلِ، فَإِنَّمَا ذَكَرَهُمْ فَقَالَ: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، أَنْزِلَتْ فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَتْبَاعِهِ مِنْ شِيعَتِنَا يَنَامُونَ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ فَإِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ فَرَعُوا إِلَى رَبِّهِمْ، رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ طَامِعِينَ فِيمَا عِنْدَهُ، فَذَكَرَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَخْبَرَهُمْ بِمَا أَعْطَاهُمْ وَأَنَّهُ أَسْكَنَهُمْ فِي جِوَارِهِ وَأَدْخَلَهُمْ جَنَّتَهُ، وَأَمَّنَ خَوْفَهُمْ وَ[أَسْكَنَ] (٨) رِوَعَتَهُمْ" (٩)، وَفِي الْعِلَلِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِثْلَهُ (١٠)، تَتَجَافَى أَي: تَرْتَفِعُ وَتَتَبَاعَدُ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ أَي: عَنِ الْفُرُشِ وَمَوَاضِعِ النَّوْمِ، وَهُمْ الْمُتَهَجِّدُونَ الَّذِينَ يَقُومُونَ عَنِ فُرُشِهِمْ لِلصَّلَاةِ، يَدْعُونَ رَبَّهُمْ أَي: دَاعِينَ إِيَّاهُ خَوْفًا مِنْ

(١) في المصدر: ولم .

(٢) من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ٤٧٥/١ - ٤٧٦ .

(٣) المصدر نفسه: ٤٧٩/١ .

(٤) سورة السجدة: الآية ١٦ .

(٥) في المصدر: يخرج نفسه .

(٦) ما بين المعقوفين ليس في الأصل .

(٧) ما بين المعقوفين ليس في الأصل .

(٨) في المصدر: آمن .

(٩) من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ٤٨٢/١ .

(١٠) علل الشرائع: الصدوق: ٣٦٥/٢ .

سخطه وطمعاً في رحمته ومما رزقناهم يُنفقون في وجوه الخير، فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين أي: مما تقر به عيُنهم جزاء بما كانوا يعملون.

في تفسير علي بن إبراهيم عن الصادق عليه السلام قال: "ما من عمل حسن يعملُه العبد إلا وله ثواب في القرآن إلا صلاة الليل؛ فإن الله لم يبين ثوابها لعظيم خطرها عنده، فقال: ﴿تَتَجَافَى إِلَى قَوْلِهِ يَعْمَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>، إلى آخر الحديث يأتي في تفسير سورة ألم السجدة إن شاء الله تعالى، وهذا قدر كافٍ هنا.

وقوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ \* إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾<sup>(٢)</sup>، آيتان .

#### القراءة:

روي عن ابن عباس ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ بكسر همزة إنَّه، والقراءة أَنَّهُ بفتحها، فعلى القراءة الأولى أُجْرِي شَهْدٌ مجرى قال وعلى الثانية مُجْرِي عِلْمٍ لتضمنه معنيهما كما يجيء في الإعراب.

وقرأ الكسائي ﴿إِنَّ الدِّينَ﴾ بفتح همزة أن على أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴿بَدَلِ الْكَلِّ أَوْ بَدَلِ الْاِشْتِمَالِ أَوْ عَلَى وَقْعِ شَهِدٍ عَلَيْهِ وَمَا بَيْنَهُمَا تَعْلِيلٌ لَتَعْظِيمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى تَقْدِيرِ قِرَاءَةِ أَنَّهُ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ أَوْ اعْتِرَاضِ عَلَى قِرَاءَةِ إِنَّهُ بِكْسَرِهَا، وَالْبَاقُونَ إِنَّ الدِّينَ بِكْسَرِ الْهَمْزَةِ﴾<sup>(٤)</sup> على إنَّه (جملة مستأنفة مؤكدة للأولى)<sup>(٥)</sup> كقوله تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾<sup>(٦)</sup>، لكن قوله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ مؤكدة لجملة محذوفة، أعنى: هل النفس أمارة بالسوء.

(١) راجع: سورة السجدة: الآية ١٦ - ١٧ .

(٢) تفسير القمي: القمي: ١٦٨/٢ - ١٦٩ .

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٨ - ١٩ .

(٤) ينظر: مجمع البيان: الطبرسي: ٢٥٦/٢ .

(٥) أنوار التنزيل: البيضاوي: ٩/٢، تفسير البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي: ٤٢٠/٢ .

(٦) سورة يوسف: الآية ٥٣ .

## اللغة:

(الشهادة: الإخبار بالشيء عن مشاهدة أو ما يقوم مقام المشاهدة)<sup>(١)</sup>، مع علم ومطابقة اللسان القلب، وتسمية شهادة الزور شهادة مجازاً وكذا ما ليس بمطابقة اللسان للقلب كقوله تعالى حكاية عن المنافقين ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، على تقدير كون الكذب راجعاً إلى شهادتهم، وإما على تقدير كونه راجعاً إلى قولهم: ﴿لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾<sup>(٣)</sup>، فهو حكم آخر.

## معنى الدين هنا ومشتقاته:

والدين هنا الإيمان والطاعة والانقياد والطوع القلبي والاقرار بباطن القلب بتوحيد الله تعالى وجميع لوازمه، وأصله الجزاء، سُميت الطاعة والإيمان والانقياد إلخ، ديناً لأنها للجزاء، والإسلام هنا مأخوذ من التسليم لأمر الله وهو الاقرار الباطني بتوحيد الله ولوازمه وملازمة الشريعة كما يجيء في المعنى والتسليم من السلامة؛ لأنه تأدية الشيء السلامة من الفساد والعقاب والإسلام تأدية الطاعات على السلامة.

## ذكر كون الإسلام والإيمان بمعنى واحد هنا:

والإسلام والإيمان هنا بمعنى واحد، بل الإسلام هنا من أكمل أفراد الإيمان كما يأتي آنفاً في الآيات والأخبار.

وقال في المجمع (والإسلام والإيمان بمعنى واحد عندنا وعند المعتزلة، غير أن عندهم الواجبات من أفعال الجوارح من الإيمان، وعندنا الإيمان من أفعال القلوب الواجبة وليس من أفعال الجوارح، وقد شرحناه في أول البقرة، والإسلام يفيد الانقياد لكل ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله من العبادات الشرعية، والاستسلام [له]<sup>(٤)</sup>، وترك [النكير]<sup>(٥)</sup> عليه، فإذا قلنا: دين المؤمن هو الإيمان وهو الإسلام، فالإسلام هو الإيمان، ونظير ذلك قولنا: الإنسان بشر<sup>(٦)</sup>، انتهى كلامه أعلى الله مقامه.

(١) المنتخب من تفسير القرآن: ابن ادريس الحلبي: ١١٧/١، وانظر: لسان العرب: ابن منظور: ٢٤٠/٣، مادة شهد .

(٢) سورة المنافقون: الآية ١ .

(٣) سورة المنافقون: الآية ٨ .

(٤) في المصدر: به.

(٥) في الأصل: التكبر .

(٦) الطبرسي: ٢٥٧/٢ .

وقال السيّد الأجلّ المرتضى عَمَّ الهُدَى قَدَسَ سرّه: (والإيمان يستحيل مغايرته للإسلام)<sup>(١)</sup> انتهى، وسيجيء بيان ذلك في التنبية الآتي إن شاء الله تعالى.  
**ذكر معنى آخر للإسلام:**

وقد يكون الإسلام من السِّلْم وهو المصالحة والمهادنة والدّخول في السِّلْم والخروج عن الحَرْب [٢٩] وَهَذَا الْمَعْنَى لِلْإِسْلَامِ أَعَمُّ مِنَ الْمَعْنَى الْأَوَّلِ كَايْمَانِ الْأَعْرَابِ وَإِسْلَامِهِمْ، وليس المراد بالآية هنا ذلك كما حكى الله تعالى عنهم في سورة الحجرات: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، في ادعاء الإيمان؛ لأنّ الإيمان وقَرَّ في القلب وهو الإقرار بباطن القلب بتوحيده تعالى وانقياد جميع لوازمه والاختلاف ذهابٌ أَحَدٍ إِلَى أَمْرٍ عَلَى خِلَافِ مَا ذَهَبَ لَهُ الْآخَرُ وهو الاختلاف في الأديان، وأمّا الاختلاف في الأجناس فظاهر، والبغْيُ طَلَبُ الاستِعلاء.

### الإعراب:

يجوز في مجموع قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ و﴿إِنَّ الدِّينَ﴾ على حسب العربية أربعة أوجهٍ بفتحها وكسرها جميعاً، وفتح الأولى وكسر الثانية، وكسر الأولى وفتح الثانية، فمن فَتَحَهُمَا مَعاً أَوْقَعَ الشَّهَادَةَ عَلَى الْأُولَى، وَجَعَلَ الثَّانِيَةَ بَدَلًا مِنَ الْأُولَى بَدَلَ الْكُلِّ إِنْ فُسِّرَ الْإِسْلَامُ بِالْإِيمَانِ وبما يضمنه من المصداقات كما هو الحق في هذه الآية، أو بدل الاشتمال إِنْ فُسِّرَ بِالشَّرِيعَةِ أَوْ بَدَلًا مِنَ الْقِسْطِ؛ لِأَنَّ الدِّينَ الَّذِي هُوَ الْإِسْلَامُ قِسْطٌ وَعَدْلٌ، أَوْ أَوْقَعَ الشَّهَادَةَ عَلَى الثَّانِيَةِ، أَعْنِي: أَنَّ الدِّينَ وَحَدَفَ حَرْفَ الْجَرِّ مِنَ الْأُولَى، وَالتَّقْدِيرُ شَهِدَ اللَّهُ؛ لِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ، وَمَنْ كَسَرَهُمَا مَعاً أَوْقَعَ الشَّهَادَةَ عَلَى الْأُولَى عَلَى الْحِكَايَةِ؛ لِأَنَّ شَهِدَ حِينَئِذٍ بِمَعْنَى قَالَ، قَالَ فِي الْمُؤَرَّجِ بِمَعْنَى قَالَ فِي لُغَةِ قَيْسِ بْنِ غِيلَانَ<sup>(٤)</sup>، وَجَعَلَ الثَّانِيَةَ بَدَلًا مِنَ الْأُولَى، أَوْ بَدَلَ الْإِسْتِمَالِ عَلَى مَا مَرَّ أَنْفَاءً، أَوْ أَوْقَعَ شَهِدَ بِمَعْنَى قَالَ

(١) إيضاح الفوائد: ابن العلامة: ٢٧/١ .

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٤ .

(٣) سورة الحجرات: الآية ١٥ .

(٤) ينظر: البحر المحيط في التفسير: أبو حيان الأندلسي: ٦٠/٣ .



على الثانية، وجعلَ الأولى معترضةً بينهما على التعظيم لله تعالى، ومن فَتَحَ الأولى وَكَسَرَ الثانية وهو الأجود، وعليه أكثرُ القراء أَوْقَعَ الشهادة على الأولى؛ لكونَ شَهْدَ بمعنى عَلِمَ كما ذكرناه في القراءة، وجعل الثانية مستأنفةً مؤكدةً للأولى كما ذكرناه أيضاً، ومن كَسَرَ الأولى وَفَتَحَ الثانية أَوْقَعَ الشهادة على الثانية وجعلَ الأولى معترضةً بينهما على التعظيم لله تعالى كما مرَّ أفاد قائماً نصبً على أنه حال من فاعل شَهْدَ أعنى الله، وحذَفَ الحال من المعطوفين بدلالة الحال في المعطوف عليه كما يفهم من كلام الباقر عليه السلام في تفسير العياشي "إِنَّ أَوْلِي الْعِلْمِ الْأَنْبِيَاءُ وَالْأَوْصِيَاءُ وَهُمْ قِيَامٌ بِالْقِسْطِ، وَالْقِسْطُ هُوَ الْعَدْلُ"<sup>(١)</sup>، على ما يأتي بتمامه.

**ذكر أصناف الحال المؤكدة مما يجب حذف عاملها وما لا يجب:**

والحال المؤكدة على ثلاثة أصناف:

أحدها: يجب حذف عاملها وهو الحال التي تكون مؤكدة لمضمون جملة اسمية عقدها من اسمين لا يصلحان للعمل فيها نحو: زيدٌ أبوك عطوفاً، وقوله:

(أنا ابنُ دارةٍ معروفاً لها نسبي وهَلْ بدارَةَ، يا لِلنَّاسِ، من عارٍ)<sup>(٢)</sup>.  
﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾، أي: أحقه أو أثبته .

وثانيها: ما يؤكِّد أحدَ جزئي الجملة، أعني: عاملها، كقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله تعالى: ﴿فَتَنَبَّسَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا﴾<sup>(٥)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَلَىٰ مُدْبِرًا﴾<sup>(٦)</sup>، ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾<sup>(٧)</sup> .

(١) تفسير العياشي: العياشي: ١٦٦/١ .

(٢) خزنة الأدب: البغدادي: ١٢٧/٢ .

(٣) سورة النساء: الآية ٧٩ .

(٤) سورة البقرة: الآية ٦٠، سورة الأعراف: الآية ٧٤، سورة هود: الآية ٨٥، سورة الشعراء: الآية ١٨٣، سورة العنكبوت: الآية ٣٦ .

(٥) سورة النمل: الآية ١٩ .

(٦) سورة النمل: الآية ١٠، سورة القصص: الآية ٣١ .

(٧) سورة التوبة: الآية ٢٥ .

وثالثها: ما يؤكد الجزء الآخر، أعني: الفاعل، مثلاً كما في ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾، ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾، وقولهم الله شاهدٌ قائماً بالقسط، ولا يجب حذف عاملها في الصنفين الأخيرين، وقوله تعالى: ﴿بَغِيًّا﴾ مفعول له وعامله ﴿مَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ﴾.  
**ذكر فضل آية ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾:**

**فضلها:** في المجمع (ومما جاء في فضل هذه الآية ما رواه أنس عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: من قرأ ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾<sup>(١)</sup> الآية عند منامه، خلق الله منها سبعين ألف [مَلَك] <sup>(٢)</sup> يستغفرون له إلى يوم القيامة، عن الزبير بن العوام قال: قلت لأدنون هذه العشيّة من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهي عشيّة عَرَفة، حتّى أسمع ما يقوله، فحبست ناقتي بين [يَدَي] <sup>(٣)</sup> رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وناقة رجل كان إلى جنبه، فسمعته يقول: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ الآية، فما زال يرددها حتّى رفع [عن] <sup>(٤)</sup> أبو غالب القطان قال: أتيت الكوفة في تجارة، فنزلت قريباً من الأعمش، فكنّْتُ أَخْتَلِفُ إليه، فلما كنت ذات ليلة، أردت أن أنحدرَ إلى البصرة، قام من الليل يتهجّد، فمرّ بهذه الآية ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ الآية، [ثُمَّ] <sup>(٥)</sup> قال الأعمش: وأنا أشهد بما شهد الله به، وأستودع الله هذه الشهادة، وهي لي عند الله وديعة، ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾، قالها مراراً، قلت: لقد سمع فيها شيئاً، فصليت معه وودعته، ثُمَّ قلت: آية سمعتك ترددها فما بلغك فيها؟ [ثُمَّ] <sup>(٦)</sup> قال: لا أحدثك بها إلى سنة، فكتبت على بابه ذلك اليوم [فأقمت] <sup>(٧)</sup> سنة، فلما مضت السنة، قلت: يا أبا محمّد! قد مضت السنّة، فقال: حدثني أبو وائلٍ عن عبد الله [بن مسعود] <sup>(٨)</sup> قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله تبارك وتعالى: إِنَّ لِعَبْدِي هَذَا عَهْدًا عِنْدِي، وَأَنَا أَحَقُّ مِنْ وَفَى بِالْعَهْدِ، أَدْخَلُوا عَبْدِي هَذَا الْجَنَّةَ،

(١) ما بين المعقوفين ليس في المصدر.

(٢) في المصدر: خلق .

(٣) في المصدر: ناقة .

(٤) ما بين المعقوفين ليس في المصدر.

(٥) ما بين المعقوفين ليس في الأصل.

(٦) ما بين المعقوفين ليس في الأصل.

(٧) في المصدر: وأقمت .

(٨) ما بين المعقوفين ليس في المصدر.

وقال سعيد بن جبير: كان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً، فلما نزلت شهد الله أنه لا إله إلا هو ﴿الآية، خَرَرْنَ سُجَّدًا﴾<sup>(١)</sup>.

وفي الكافي بإسناده "عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْآيَاتِ أَنْ يَهْبِطْنَ إِلَى الْأَرْضِ تَعَلَّقْنَ بِالْعَرْشِ وَقُلْنَ: أَيُّ لَرَيْنَا<sup>(٢)</sup> إِلَى أَيِّنَ تَهْبِطُنَا إِلَى أَهْلِ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبِ، فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِنَّ أَنْ اهْبِطْنَ، فَوَعَزَّتِي وَجَلَالِي لَا يَتْلُوَنَّ أَحَدٌ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ وَشِيعَتِهِمْ فِي دُبُرِ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ [مِنَ الْمَكْتُوبَةِ فِي كُلِّ يَوْمٍ]<sup>(٣)</sup> إِلَّا نَظَرْتُ إِلَيْهِ بَعِيْنِي الْمَكْنُونَةَ [٣٠] فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ نَظْرَةً أَقْضِي لَهُ فِي كُلِّ نَظْرَةٍ [سَبْعِينَ]<sup>(٤)</sup> حَاجَةً وَقَبِلْتُهُ عَلَى مَا فِيهِ مِنَ الْمَعَاصِي وَهِيَ أُمُّ الْكِتَابِ وَ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ إِلَى ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(٥)</sup> وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ، وَآيَةَ الْمُلْكِ"<sup>(٦)</sup>، وفي رواية أخرى في الكافي "إذا قرأ هذه الآيات الأربع أسكنه في حظيرة القدس مع ما فيه من المعاصي، وإن لم أفعل به ذلك أنظر إليه بنظرة خاصة من الرحمة في كل يوم سبعين نظرة، وإن لم أفعل به ذلك أقض له في كل يوم سبعين حاجة أقلها وأهونها غفران ذنوبه، وإن لم أفعل به ذلك أعيده من شرِّ عدوه، وأعينه عليه ولم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت"<sup>(٧)</sup> الحديث، وقد مرَّ في أول سورة البقرة وفي آية الكرسي أيضاً، وفي آخر سورة البقرة أيضاً .

(١) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٥٩/٢ .

(٢) في المصدر: رب .

(٣) ما بين المعقوفين ليس في الأصل.

(٤) ما بين المعقوفين ليس في الأصل.

(٥) في المصدر ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ .

(٦) الكافي: الكليني: ٢/٦٢٠/ح٢، باب فضل القرآن .

(٧) وبحودود تتبع الباحث وجد أن هذا الحديث لم يرد في كتاب الكافي، وإنما في كتاب بحار الأنوار: المجلسي: ٢٦١/٨٩، وبألفاظ مغايرة، وأصله بحسب ما جاء في المصدر روي "عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: لما أراد الله عز وجل أن ينزل فاتحة الكتاب وآية الكرسي، وشهد الله، وقل اللهم مالك الملك.. إلى قوله.. بغير حساب، تعلقن بالعرش ليس بينهن وبين الله حجاب، فقلن يا رب تهبطنا إلى دار الذنوب، وإلى من يعصيك، ونحن متعلقات بالطهور والقدس؟ فقال سبحانه: وعزتي وجلالي ما من عبد قرأكن في دبر كل صلاة إلا أسكنته حظيرة القدس، على ما كان فيه، وإلا نظرت إليه بعيني المكنونة في كل يوم سبعين نظرة، وإلا قضيت له في كل يوم سبعين حاجة أدناها المغفرة، وإلا أعدته من كل عدو، ونصرته عليه، ولا يمنعه من دخول الجنة إلا الموت" .

## المعنى:

لما ذكر سبحانه أرباب الدين وصفات المتقين أتبعه بذكر أوصاف الدين فقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، أي: بين الله سبحانه وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها من عجيب صنعه، ولطيف حكمته، وبديع خلقه، وأخبر بما يقوم مقام الشهادة على وحدانيته؛ بإنزال الآيات الناطقة بتوحيده، مثل سورة الإخلاص، وآية الكرسي، والآية التي مرّت في البقرة وهي: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ\* إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وقد مرّ الاستدلال بها وغير ذلك من الآيات في آل عمران، والأنعام، والحديد، والحشر وغيرها من السور والتلهيلات الواقعة في خمسة وثلاثين موضعاً من القرآن، ومثل العقل والنفس الناطقة، فشبهه سبحانه دلالاته على وحدانيته بالأفعال التي لا يقدر عليها غيره، والآيات الناطقة بها بشهادة الشاهد في الكشف والبيان: (وفي كل شيء له [آية] دليل على أنه واحد)<sup>(٢)</sup>.

﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾، أي: شهدت الملائكة بالإقرار والاعتراف مما عاينت من عظيم قدرته أنه لا إله إلا هو، ﴿وأولو العلم﴾، أي: شهد أولو العلم من عباده بالإيمان بوحدانيته (بأنه لا إله إلا هو ذو النعم والإحسان، والكرم والإمتنان قادرٌ أزلي، عالمٌ أبدي، حيٌّ أحدي، موجودٌ سرمدِي، سميعٌ بصيرٌ، مُريدٌ كارِهٌ، مُدركٌ صمدِي)<sup>(٤)</sup> (٥) إلخ، والاحتجاج بها وهم الأنبياء والأوصياء والأئمة المعصومين وعلماء الدين.

(١) سورة البقرة: الآية ١٦٣ - ١٦٤ .

(٢) في الأصل: شاهد.

(٣) الكشف والبيان: الثعلبي: ٣٢/٣، وهذا البيت من البحر المتقارب وهو لأبي العتاهية، راجع: ديوان أبي العتاهية:

.١٠٠

(٤) في الأصل: صمدِي مُدركٌ، مُريدٌ كارِهٌ، وما أثبت في المصدر هو الصواب .

(٥) مفتاح الجنان: المجلسي: ٤٢٢، وتجدر الإشارة إلى أنّ هذا المصدر مطبوع بخاتمة زاد المعاد للعلامة المجلسي، وهو غير مفتاح الجنان الذي هو من تأليف الشيخ عباس القمي، وما يؤيد ذلك الشيخ القمي نفسه إذ (يقول البائس الفقير المُتمسك بأحاديث أهل البيت عليه السّلام، عباس بن محمد رضا القمي ختم الله لهما بالحنى والسعادة: قد سألتني بعض الأخوان من المؤمنين أن أراجع كتاب مفتاح الجنان المُتداول بين الناس فأؤلف كتاباً على غرارهِ خلواً مما احتواه مما لم

﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ أي: حال كونه سبحانه مقيماً للعدل في حكمه وفي شهادته، وفيما يقسم بين العباد من الأرزاق والآجال، وفيما يأمرُ به عباده من الإنصافِ والعمل على التسوية فيما بينهم، ويقوم بإجراء الأمور وإمضائها، وتدبير الخلق، وجزاء الأعمال بالعدل، قامت السماوات والأرض، وحال كون الملائكة وأولي العلم قائمين بالعدل في شهاداتهم، حاكمين بالعدل، مُسَوِّينَ بين الضَّعِيفِ والشَّريفِ، والقريبِ والبعيدِ، قال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>، فَمَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ هُمُ الْأُمَّةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وإفراد الضمير في ﴿شَهِدَ﴾ بالنظر إلى لفظ مَنْ، وجمعه في ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ بالنظر إلى معناه.

وفي تفسير العياشي "عن جابر قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الآية ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، قال أبو جعفر عليه السلام: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، فإن الله تبارك وتعالى يشهد بها لنفسه [وهو]<sup>(٢)</sup> كما قال، فأما قوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾، فإنه تعالى أكرم الملائكة بالتسليم [إله]<sup>(٣)</sup> وصدقوا وشهدوا كما شهد [الله]<sup>(٤)</sup> لنفسه، وأما قوله: ﴿وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾، فإن أولي العلم الأنبياء والأوصياء وهم قيام بالقسط، والقسط هو العدل في الظاهر، والعدل في الباطن أمير المؤمنين عليه السلام<sup>(٥)</sup>، "عن [مرزبان]<sup>(٦)</sup> القمي، قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قول الله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾، قال: هو الإمام<sup>(٧)</sup>."

أعثر على سنده مقتطفاً منه ما كان له سند يدعمه مضيفاً إلى ذلك أدعية وزيارات معتبرة لم ترد في ذلك الكتاب، فأجبتهم إلى سؤالهم، فكان هذا الكتاب وسميته (مفاتيح الجنان))، مفاتيح الجنان: القمي: ٥٦ .

(١) سورة الزخرف: الآية ٨٦ .

(٢) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٣) في المصدر: لربهم .

(٤) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٥) تفسير العياشي: العياشي: ١٦٥/١ - ١٦٦ .

(٦) في الأصل: مروان، وما أثبت في المصدر هو الصواب .

(٧) تفسير العياشي: العياشي: ١٦٦/١ .

وفي بصائر الدرجات "عن أبي الحسن عليه السلام، قال: قلت: ﴿وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾، قال: الإمام" (١).

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، كَرَّرَهُ للتأكيد، ولمزيد الاعتناء بمعرفة أدلة التوحيد (٢) والحكم به بلوازمه بعد إقامة الحجة، أو لأنه بين في الأول أنه أحدي الذات، وأنه المستحق للتوحيد لا يستحقه سواه، وليس بذئ أبعاض، ولا يجوز عليه التجزئ والانقسام مطلقاً لا في وجود ولا عقل ولا وهم (٣)؛ لأنه تعالى أحدي المعنى، كما نص عليه أمير المؤمنين صلوات الله عليه وآله، وقد مر في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْهُكْمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٤)، في سورة البقرة، وبين بالثاني أنه تعالى أحدي الصفات ولا يشاركه أحد في الإلهية واستحقاق العبادة، و(أنه القائم برزق الخلائق وتدبيرهم بالعدل، لا ظلم في فعله) (٥)، (ولا جور في قضيتيه، ولا ميل في مشيئته) (٦)، (أزاح العلل في التكليف، وسوى التوفيق بين الضعيف والشريف، مكن أداء المأمور، وسهل سبيل اجتناب المحذور، لم يكلف الطاعة إلا دون الوسع والطاقة) (٧)،

(١) بحدود تتبع الباحث لم يجد هذا الحديث في بصائر الدرجات، وإنما أشير في بعض الكتب على أنه منه، ومن هذه الكتب: تفسير نور الثقلين: الحويضي: ٣٢٣/١، وتفسير كنز الدقائق: محمد المشهدي: ٥٥/٣ .

(٢) ومنه في حاشية الأصل (والمقصود منه دلائل التوحيد وهي كما بين التي تتعلق بالتوحيد أي: بالإقرار بأن لا إله إلا الله تعالى، وهذه الدلائل على أربعة أقسام؛ لأنها إما متعلقة بالجزء الوجودي للتوحيد وهو الإقرار بوجود الله تعالى، وأما متعلق بجزئية العدمي وهو الإقرار بأن الله واحد، أي: لا شريك له في الألوهية، وكل منها إما متعلقة بأحد الجزئين صريحاً، وأما متعلقة به تأويلاً بأن كون المقصود فيها بيان لازمه وإبطال منافيه مثل الكلام في علمه تعالى وقدرته، فإنه لازم لوجوده تعالى والكلام في إبطال زواله تعالى فإنه منافٍ لوجوده، ومثل الكلام في أن أزمة الأمور بيده تعالى فإنه لازم لكونه لا شريك له، والكلام في إبطال التنئية فإنه منافية لكونه لا شريك له) .

(٣) ومنه في حاشية الأصل (ومعنى قوله عليه السلام: أنه تعالى لا يقسم في وجود ولا عقل ولا وهم، أنه تعالى ليس من المعدودات والمقادير؛ لأن الانقسامات ثلاثة من خواصها كما هو مذكور في تعريف الكم بالخواص الثلاث، فإن الانقسام في الوجود هو الانقسام إلى الأجزاء المنفصلة كانقسام البيت إلى الجدران والسقف وأمثال ذلك، والانقسام في العقل هو الانقسام إلى الأجزاء المحمولة أو الأجزاء المقدرية غير المتعينة في ذهن من يقسمه كانقسام الجسم المفرد إلى نصف، ونصف الأقسام في الوهم وهو الانقسام إلى الأجزاء المتصلة المقدرية مطلقاً أو المتعينة كانقسام الجسم المفرد في الوهم على هذا النصف وذاك النصف، كما بين في موضعه، وقد مر الحديث بتمامه في سورة البقرة) .

(٤) سورة البقرة: الآية ١٦٣ .

(٥) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٥٨/٢ .

(٦) مفتاح الجنان: المجلسي: ٤٢٣ .

(٧) المصدر نفسه: ٤٢٣ .

وليبيني عليه قوله: ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، قد مضى تفسيره فَيُعْلَمُ أَنَّهُ سبحانه هو الموصوفُ بهما لا غَيْرُهُ.

### تقديم العزيز على الحكيم:

وقدّم العزيز لتقدّم العلمِ بقدرته على العلمِ بحكمته<sup>(١)</sup>، وهذه الآية دليلٌ على فضلِ علمِ أصولِ الدين، وشرفِ [٣١] أهله، (وتضمّنت الإبانة عن فضلِ العلمِ والعلماء؛ لأنّه سبحانه قرّن العلماءَ بالملائكة)<sup>(٢)</sup>، وشهادتهم بشهادتها، وشهادة كليهما بشهادته سبحانه (وحصّهم بالذكرِ كأنّه لم يعتدّ بغيرهم، والمرادُ بهذا العلمِ علمُ التّوحيد)<sup>(٣)</sup>، وما يتعلّق به من علومِ الدين لا العلمُ بالأنسابِ والفلسفة المؤدّية إلى الجبرِ والتّفويضِ والتّشبيهِ والتعطيلِ؛ (لأنّ الشّهادة وَقَعَتْ عَلَيْهِ)<sup>(٤)</sup>.

### نبذ من فضل العلم والعلماء:

وقد مرّ نبذ من الأخبارِ في فضلِ العلمِ والعلماءِ في أواخرِ سورة البقرة، وفي المجمعِ في هذه الآية (مما جاء في فضلِ العلمِ والعلماءِ من الحديثِ ما رواه جابر بن عبد الله، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: سَاعَةٌ مِنْ عَالِمٍ يَتَكَيَّ عَلَى فِرَاشِهِ، يَنْظُرُ فِي عِلْمِهِ، خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ الْعَابِدِ سَبْعِينَ عَامًا، وَرَوَى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ، فَإِنَّ تَعَلُّمَهُ لِلَّهِ حَسَنَةٌ، وَمُدَارَسَتُهُ تَسْبِيحٌ، وَالْبَحْثُ عَنْهُ جِهَادٌ، وَتَعْلِيمُهُ مَنْ لَا يَعْلَمُهُ صَدَقَةٌ، وَتَذَكُّرُهُ لِأَهْلِهِ؛ لِأَنَّهُ مَعَالِمُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَمَنَارُ سَبِيلِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَالْأَنْبِيَاءُ فِي الْوَحْشَةِ، وَالصَّاحِبُ فِي الْغُرْبَةِ، وَالْمُحَدِّثُ فِي الْخَلْوَةِ، وَالذَّلِيلُ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَالسِّلَاحُ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَالْقُرْبُ عِنْدَ الْغُرَبَاءِ، يَرْفَعُ اللَّهُ بِهِ أَقْوَامًا فَيَجْعَلُهُمْ فِي الْخَيْرِ قَادَةً يُقْتَدَى بِهِمْ، وَيُقْتَتَى بِأَثَارِهِمْ، وَيُنْتَهَى إِلَى رَأْيِهِمْ، وَتَرْغَبُ الْمَلَائِكَةُ فِي خُلَّتِهِمْ، وَبِأَجْنَحَتِهَا تَمْسَحُهُمْ، وَفِي صَلَاتِهِمْ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ، وَكُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ يَسْتَغْفِرُ لَهُمْ حَتَّى حَيَاتَانِ الْبِحَارِ وَهَوَامُهَا، وَسِبَاغُ الْأَرْضِ وَأَنْعَامُهَا، وَالسَّمَاءُ وَنُجُومُهَا، أَلَا وَإِنَّ الْعِلْمَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ، وَنُورَ الْأَبْصَارِ، وَقُوَّةَ

(١) ينظر: زبدة التفسير: فتح الله الكاشاني: ٤٦٠/١ - ٤٦١ .

(٢) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٥٨/٢ .

(٣) المصدر نفسه: ٢٥٨/٢ .

(٤) المصدر نفسه: ٢٥٨/٢ .



الأبدان، [يبلغ بالبعد منازل الأحرار]<sup>(١)</sup>، ومجالس الملوك، والفكر فيه يعدل بالصيام، ومدارسته بالقيام، وبه يُعرف الحلال والحرام، وبه تُوصل الأرحام، والعلم إمام العمل، والعمل تابعه، يُلهم [الله به]<sup>(٢)</sup> السعداء، ويحرم الأشقياء<sup>(٣)</sup>، انتهى.

ذكر ما يقول الإمام عليه السلام عند ولادته:

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة بإسناده إلى "محمّد بن عثمان العمري قدس الله روحه يقول: لما وُلِدَ الخلف المهدّي عليه السلام سَطَعَ نُورٌ مِنْ فَوْقِ رَأْسِهِ إِلَى أَعْنَانِ السَّمَاءِ، ثُمَّ سَقَطَ لَوَجْهِهِ سَاجِدًا لِرَبِّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(٤)</sup>.

وفي أصول الكافي في باب مواليد الأئمة عليهم السلام عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل فيه يقول: "وَإِذَا وَقَعَ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ وَقَعَ وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى الْأَرْضِ، رَافِعًا رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَأَمَّا وَضَعُهُ يَدَيْهِ عَلَى الْأَرْضِ؛ فَإِنَّهُ يَقْبِضُ كُلَّ عِلْمٍ لِلَّهِ أَنْزَلَهُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَأَمَّا رَفْعُهُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ؛ فَإِنَّ مُنَادِيًا يُنَادِي بِهِ مِنْ بَطْنَانِ الْعَرْشِ مِنْ قَبْلِ رَبِّ الْعِزَّةِ مِنَ الْأَفْقِ الْأَعْلَى بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ يَقُولُ: يَا فُلَانُ بَنُ فُلَانٍ اثْبُتْ تُثْبِتْ، فَلِعَظِيمِ مَا خَلَقْتِكَ أَنْتَ صَفْوَتِي مِنْ خَلْقِي، وَمَوْضِعُ سِرِّي، وَعَيْبَةُ عِلْمِي، وَأَمِينِي عَلَى وَحْيِي، وَخَلِيفَتِي فِي أَرْضِي، لَكَ وَلِمَنْ تَوَلَّكَ أَوْجَبْتُ رَحْمَتِي، وَمَنْحْتُ جَنَانِي وَأَحْلَلْتُ جَوَارِي، ثُمَّ [قَالَ]<sup>(٥)</sup>: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لِأَصْلِي مَنْ عَادَاكَ أَشَدَّ عَذَابِي، وَإِنْ وَسَعْتُ عَلَيْهِ فِي دُنْيَايَ مِنْ سَعَةِ رِزْقِي، فَإِذَا انْقَضَى الصَّوْتُ صَوْتُ الْمُنَادِي أَجَابَهُ هُوَ، وَاضِعًا يَدَيْهِ رَافِعًا رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ يَقُولُ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

(١) في الأصل: يبلغ بالعلم منازل الأبرار، وما أثبت في المصدر هو الصواب، وهو ما تناقلته الكتب، راجع: الكشف والبيان: الثعلبي: ٣٣/٣، أعلام الدين في صفات المؤمنين: أبو الحسن الديلمي: ٩٢ .

(٢) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٣) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٥٨/٢ - ٢٥٩ .

(٤) كمال الدين وتمام النعمة: الصدوق: ٤٣٣ .

(٥) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»، قَالَ: فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ أَعْطَاهُ [اللَّهُ] (١) الْعِلْمَ الْأَوَّلَ وَالْعِلْمَ الْآخِرَ، وَاسْتَحَقَّ زِيَارَةَ الرُّوحِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (٢) الْحَدِيثِ.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ مؤكدة للأولى، مفيدة للحصر، باعتبار تعريف الخبر كما هو المقرر في علم المعاني، أي: لا دين مرضي عند الله سوى الإسلام، وهو التوحيد والتسليم لأمره، والتدرع بالشرع، والتصديق لأوليائه، والعمل بالأعمال الشرعية، بمعنى: أن الإيمان والطاعة، ومناط قبول العبادة عند الله الإسلام.

وفي تفسير العياشي "عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾، قَالَ: يَعْني الدِّينَ فِيهِ الْإِيمَانُ (٣).

وفي المجمع وروى عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له أنه قال: "لأنسب الإسلام نسبة لا ينسبه أحد قبلي: الإسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين، واليقين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار، والإقرار هو الأداء، والأداء هو العمل، رواه علي بن إبراهيم في تفسيره قال: ثم قال: إن المؤمن أخذ دينه عن ربه، ولم يأخذه عن ربه: إن المؤمن يعرف إيمانه في عمله، وإن الكافر يعرف كفرانه بإنكاره، أيها الناس دينكم دينكم، [قال] (٤): فإن السيئة فيه خير من الحسنه في غيره، إن السيئة فيه تغفر، وإن الحسنه في غيره لا تقبل (٥).

وفي أصول الكافي في باب نسبة الإسلام "عده من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن بعض أصحابنا رفعه قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لأنسب الإسلام نسبة لا ينسبه أحد قبلي، ولا ينسبه أحد بعدي إلا بمثل ذلك، [إن] (٦) الإسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين، واليقين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار، والإقرار هو العمل، والعمل هو

(١) ما بين المعقوفين ليس من الأصل.

(٢) الكافي: الكليني: ٣٨٥/١ - ٣٨٦/١ ح، باب مواليد الأئمة عليهم السلام.

(٣) تفسير العياشي: العياشي: ١٦٦/١.

(٤) ما بين المعقوفين ليس من المصدر.

(٥) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٥٩/٢، وأصل الرواية: "قال أمير المؤمنين عليه السلام: لأنسب الإسلام نسبة لا ينسبه أحد قبلي، ولا ينسبه أحد بعدي إلا بمثل ذلك، إن الإسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين، واليقين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار، والإقرار هو العمل، والعمل هو الأداء"، ينظر: الكافي: الكليني: ٤٥/٢ - ٤٦/١ ح، باب نسبة الإسلام.

(٦) ما بين المعقوفين ليس من المصدر.

الأداء، [٣٢] إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَمْ يَأْخُذْ دِينَهُ عَنْ رَأْيِهِ وَلَكِنْ آتَاهُ مِنْ رَبِّهِ فَأَخَذَهُ، إِنَّ الْمُؤْمِنَ يُرَى يَقِينُهُ فِي عَمَلِهِ، وَالْكَافِرَ يُرَى انْكَارُهُ فِي عَمَلِهِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا عَرَفُوا أَمْرَهُمْ فَأَعْتَبَرُوا انْكَارَ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ بِأَعْمَالِهِمُ الْخَبِيثَةِ<sup>(١)</sup>.

### حديث نفيس وفيه بشارة عظيمة:

"عَنْ عَبْدِ الْعَظِيمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَسَنِيِّ<sup>(٢)</sup> عَنْ أَبِي جَعْفَرِ الثَّانِي عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْإِسْلَامَ فَجَعَلَ لَهُ عَرَصَةً، وَجَعَلَ لَهُ نُورًا، وَجَعَلَ لَهُ حِصْنًا، وَجَعَلَ لَهُ نَاصِرًا، فَأَمَّا عَرَصَتُهُ فَالْقُرْآنُ، وَأَمَّا نُورُهُ فَالْحِكْمَةُ، وَأَمَّا حِصْنُهُ فَالْمَعْرُوفُ، وَأَمَّا أَنْصَارُهُ فَأَنَا وَأَهْلُ بَيْتِي وَشِيعَتُنَا، فَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي وَشِيعَتَهُمْ وَأَنْصَارَهُمْ، فَإِنَّهُ لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَتَسَبَّنِي جَبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَهْلِ السَّمَاءِ، اسْتَوَدَعَ اللَّهُ حُبِّي وَحُبَّ أَهْلِ بَيْتِي وَشِيعَتِهِمْ فِي قُلُوبِ الْمَلَائِكَةِ، فَهُوَ عِنْدَهُمْ وَدِيعةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ هَبَطَ بِي إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَتَسَبَّنِي إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَاسْتَوَدَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حُبِّي وَحُبَّ أَهْلِ بَيْتِي وَشِيعَتِهِمْ فِي قُلُوبِ مُؤْمِنِي أُمَّتِي، فَمُؤْمِنُوا أُمَّتِي يَحْفَظُونَ وَدِيعَتِي [فِي أَهْلِ بَيْتِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ]<sup>(٣)</sup>، أَلَا فَلَوْ أَنَّ

(١) الكافي: الكليني: ٤٥/٢ - ٤٦/ح ١، باب نسبة الإسلام .

(٢) ومنه في حاشية الأصل (قوله عَنْ عَبْدِ الْعَظِيمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَسَنِيِّ) (عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، أبو القاسم له كتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام، قال أبو عبد الله الحسين بن عبيد الله: حدثنا جعفر بن محمد أبو القاسم قال: حدثنا علي بن الحسين السعد آبادي قال: حدثنا أحمد بن محمد بن خالد البرقي قال: كان عبد العظيم ورد الري هارياً من السلطان، وسكن سرياً في دار رجل من الشيعة في سكة الموالي، وكان يعبد الله في ذلك السرب، ويصوم نهاره، ويقوم ليله، وكان يخرج مستتراً فيزور القبر المقابل قبره، وبينهما الطريق، ويقول: هو قبر رجل من ولد موسى بن جعفر عليه السلام، فلم يزل يأوي إلى ذلك السرب، ويقع خبره إلى الواحد بعد الواحد من شيعة آل محمد عليهم السلام حتى عرفه أكثرهم، فرأى رجل من الشيعة في المنام رسول الله صلى الله عليه وآله قال له: إِنَّ رَجُلًا مِنْ وَلَدِي يَحْمِلُ مِنْ سَكَةِ الْمَوَالِي، وَيُدْفَنُ عِنْدَ شَجَرَةِ التَّفَاحِ، فِي بَاغِ عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ - وَأَشَارَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي دُفِنَ فِيهِ - فَذَهَبَ الرَّجُلُ لِيَشْتَرِيَ الشَّجَرَةَ وَمَكَانَهَا مِنْ صَاحِبِهَا، فَقَالَ لَهُ: لِأَيِّ شَيْءٍ تَطْلُبُ الشَّجَرَةَ وَمَكَانَهَا؟ فَأَخْبَرَ بِالرُّؤْيَا، فَذَكَرَ صَاحِبَ الشَّجَرَةِ أَنَّهُ كَانَ رَأَى مِثْلَ هَذِهِ الرُّؤْيَا، وَأَنَّهُ قَدْ جَعَلَ مَوْضِعَ الشَّجَرَةِ مَعَ جَمِيعِ الْبَاغِ وَقَفًّا عَلَى الشَّرِيفِ وَالشَّيْعَةِ يَدْفَنُونَ فِيهِ، فَمَرَضَ عَبْدِ الْعَظِيمِ وَمَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَلَمَّا جَرَدَ لِيُغْسَلَ وَجَدَ فِي جَيْبِهِ رَقْعَةً، فِيهَا ذَكَرَ نَسَبَهُ، فَإِذَا فِيهَا: أَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ الْعَظِيمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)، رجال النجاشي: النجاشي: ٢٤٧ - ٢٤٨، وانظر: نقد الرجال: التقرشي: ٦٩/٣.

(٣) في الأصل: ما فرّج صدره إلا عن نفاق، وما أثبت في المصدر هو الصواب .

الرَّجُلَ مِنْ أُمَّتِي عَبْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عُمَرَهُ أَيَّامَ الدُّنْيَا ثُمَّ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُبْعِضاً لِأَهْلِ بَيْتِي وَشَيْعَتِي مَا فَرَجَ اللَّهُ صَدْرَهُ إِلَّا عَنِ النَّفَاقِ" (١) الحديث، وغير ذلك مما ذكره (٢).

﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾، يعني: ما اختلف اليهود والنصارى ومن يحذوا حذوهم من المنافقين وأرباب الكتب المتقدمة والمتأخرة في دين الإسلام وحقائبه، فقال قوم منهم أنه حق، ونفاه آخرون منهم، فتركوا الإسلام والدين المرضي والتوحيد ولوازمه، وشرائطه، وأركانه (٣).

﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾، بأنه الحق والمرضي وبأنه تعالى واحد في الالوهية واستحقاق العبادة إلخ، فنلت بعض النصارى وهم الملكانية (٤) وهم الروم، وقالوا: إن الله ثالث ثلاثة أب وابن وروح القدس ثلاثة أقانيم (٥)، وقال بعضهم وهم النسطورية (٦): ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ (٧) (٨)، وقال بعضهم وهم اليعقوبية (١): ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (٢) (٣)، كما يأتي

(١) الكافي: الكليني: ٢/٤٦/٣، باب نسبة الإسلام .

(٢) ومنه في حاشية الأصل: في هذه الآية .

(٣) ومنه في حاشية الأصل: وسيجي في هذه السورة قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ \* أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ عَلَيهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ \* خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾، سورة آل عمران: الآية ٨٦ - ٨٨ .

(٤) هم أصحاب ملكا الذي ظهر بأرض الروم واستولى عليها، ومعظم الروم ملكانية، وصرحت الملكانية بأن الجوهر غير الأقانيم، وذلك كالموصوف والصفة وعن هذا صرحوا بإثبات التثليث وأخبر عنهم القرآن ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: الآية ٧٣]، وقالوا: إن المسيح ناسوت كلي، لا جزئي، وهو قديم أزلي، من قديم أزلي، وقد ولدت مريم عليها السلام إلهها أزليا، والقتل والصلب وقع على الناسوت واللاهوت معاً، وأطلقوا لفظ الأبوة والبنوة على الله عز وجل وعلى المسيح لما وجدوا في الإنجيل حيث قال: إنك أنت الابن الوحيد، الملل والنحل: الشهرستاني: ١/٢٢٢ .

(٥) ينظر: تفسير مقاتل: مقاتل بن سليمان: ٣/٨٠١، تفسير السمعاني: السمعاني: ٣/٢٩٢، المحرر الوجيز: ابن عطية: ٥/٦٣ .

(٦) هم أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون، وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه، قال: إن الله تعالى واحد، ذو أقانيم ثلاثة: الوجود، والعلم، والحياة... وزعموا أن الابن لم يزل متولداً من الأب، وإنما تجسد واتحد بجسد المسيح حين ولد،... والحدوث راجع إلى الجسد والناسوت، فهو إله وإنسان اتحداً، وهما جوهران، أقنومان، طبيعتان: جوهر قديم، وجوهر محدث، إله تام، وإنسان تام، ولم يبطل الاتحاد قدم القديم، ولا حدوث المحدث، لكنهما صاراً مسيحاً واحداً، طبيعة واحدة، الملل والنحل: الشهرستاني: ١/٢٢٥ .

(٧) سورة التوبة: الآية ٣٠ .

(٨) ينظر: تنوير المقباس: عبد الله بن عباس: ١/٤١٥، الكشف والبيان: الثعلبي: ٣/٤١٨، مجمع البيان: الطبرسي: ٣/٢٩٩ .

في آخر سورة النساء، وفي المائدة وغيرها إن شاء الله تعالى، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُرْيَرُ ابْنُ اللَّهِ﴾<sup>(٤)</sup>، واختلف في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وصدقته وقد وجدوا نعتة ووقت خُرجه في كتبهم وجاءهم العلم بأنه رسولٌ ونبيٌّ وآخر التبيين وخاتمهم كما قال تعالى: ﴿يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾<sup>(٥)</sup> الآية.

ثم أخبر سبحانه علّة اختلافهم في جميع ما مرّ فقال: ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ أي حسداً الناس على ما آتاهم من فضله، وعناداً، وطلباً للرياسة، وأخذاً لحقّ الغير، وخيانةً للأمانة، وأنفةً عن الانقياد، وعدواً بالله تعالى ورسوله لا شبهةً ولا خفاءً بالأمر؛ لأنه قد تبين الرشد من الغي، والهدى من الضلال.

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ يعني: ومن يجحدون بحججه، وبالقرآن، وسائر كتبه وما فيها من الأوامر والنواهي، وشرائع الإسلام وصدق الأنبياء والأوصياء، وصفاتهم بإنكارهم، وأخذ أماناتهم وحقوقهم وترك طاعاتهم، فإن من جحد واحداً منهم فقد جحد الله عزّ وجلّ كما يأتي آنفاً.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾، وعيدٌ لمن يكفر منهم، أي: لا يفوته شيءٌ من أعمالهم وأقوالهم، وما يعزب عن علمه شيءٌ في الأرض فيجازي كلاً بأعمالهم وأقوالهم ونيّاتهم.

**تحقيق مقام في إطلاق الإسلام على الإيمان تارةً وعلى غيره أخرى:**

**تنبيه:** إعلم أنّ الإسلام قد يُطلق على الإيمان، وعلى أعلى مراتبه وأكمل أفرادِهِ كما هو المراد به في هذه الآية وغيرها ممّا نذكرها بدلالة الحصر المستفاد من الآية، وبدلالة خبر محمد بن مسلم عن الباقر عليه السلام أنّ الإسلام في هذه الآية يعني به الإيمان كما مرّ،

(١) هم أصحاب يعقوب قالوا بالأقانيم الثلاثة، إلا أنّهم قالوا انقلبت الكلمة لحماً ودماً فصار الإله هو المسيح وهو الظاهر بجسده بل هو هو وعنهم أخبرنا القرآن الكريم ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: الآية ١٧ و٢٢]، فمنهم من قال ان المسيح هو الله تعالى، ومنهم من قال ظهر اللاهوت بالناسوت فصار الناسوت المسيح مظهر الجوهر لا على طريق حلول جزء فيه ولا على سبيل اتحاد الكلمة التي هي في حكم الصفة بل صار هو هو)، الملل والنحل: ١/٢٢٥ - ٢٢٥.

(٢) سورة المائدة: الآية ١٧ .

(٣) ينظر: تفسير السمرقندي: أبو الليث السمرقندي: ٣٨٣/١، التبيان في تفسير القرآن: الطوسي: ٦٠١/٣، تفسير البغوي: ٣٢٤/١ .

(٤) سورة التوبة: الآية ٣٠ .

(٥) سورة الأعراف: الآية ١٥٧ .

وبدلالة قوله تعالى حكاية عن إبراهيم واسماعيل عليهما السلام: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، وبدلالة قول أمير المؤمنين عليه السلام: "الإسلام هو التسليم، يعني: التسليم لله عزَّ وجلَّ ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلأوصيائه ولأوليائه وما جأؤوا به وهو اليقين، واليقين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار، والإقرار هو الأداء، والأداء هو العمل بمقتضاه"<sup>(٤)</sup>، والإقرار باطن القلب، بأن لا يجحد لازماً من لوازم توحيده؛ فإن منكر لازم الشيء منكر له في الحقيقة، ولا سيما إذا كان اللزوم واضحاً وعليه الحديث القدسي "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حِصْنِي، فَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ عَذَابِي"<sup>(٥)</sup>، حيث قال الرضا عليه السلام: بشرؤها وأنا من شروطها"<sup>(٦)</sup>، ويذلل على ذلك صريحاً ما رواه الطبرسي في الاحتجاج "وعن علي بن أبي حمزة عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن أبيه عليهم السلام قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَدَّثَنِي جِبْرِئِيلُ عَنْ رَبِّ الْعِزَّةِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ عَلِمَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدِي وَرَسُولِي، وَأَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلِيِّي وَخَلِيفَتِي [وَحَجَّتِي]<sup>(٧)</sup>، وَأَنَّ الْأئِمَّةَ مِنْ وَلَدِهِ حُجَجِي أَدْخَلْتَهُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَنَجَّيْتَهُ مِنَ النَّارِ بِعَفْوِي، وَأَبَحْتُ لَهُ جُورِي، فَأَوْجِبْتُ لَهُ كَرَامَتِي، وَأَتَمَمْتُ عَلَيْهِ نِعْمَتِي، وَجَعَلْتُهُ مِنْ خَاصَّتِي وَخَالِصَتِي، إِنْ نَادَانِي لَبِيئْتُهُ، وَإِنْ دَعَانِي أَجَبْتُهُ، وَإِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ، وَإِنْ سَكَتَ ابْتَدَأْتُهُ، وَإِنْ أَسَاءَ رَحِمْتُهُ، وَإِنْ فَرَّ مِنِّي دَعَوْتُهُ، وَإِنْ رَجَعَ إِلَيَّ قَبَلْتُهُ، وَإِنْ قَرَعَ بَابِي فَتَحْتُهُ، وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي، أَوْ شَهِدَ بِذَلِكَ وَلَمْ يَشْهَدْ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدِي وَرَسُولِي، أَوْ شَهِدَ بِذَلِكَ وَلَمْ يَشْهَدْ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ خَلِيفَتِي، أَوْ شَهِدَ بِذَلِكَ وَلَمْ يَشْهَدْ أَنَّ الْأئِمَّةَ مِنْ وَلَدِهِ حُجَجِي فَقَدْ جَحَدَ نِعْمَتِي، وَصَغَّرَ عَظْمَتِي، وَكَفَّرَ بِآيَاتِي وَكُتُبِي، إِنْ قَصَدَنِي حَجَبْتُهُ وَإِنْ

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٨ .

(٢) سورة البقرة: الآية ١٣٥، سورة آل عمران: الآية ٩٥، سورة النساء: الآية ١٢٥، سورة الأنعام: الآية ١٦١، سورة النحل: الآية ١٢٣ .

(٣) سورة الحج: الآية ٧٨ .

(٤) نقل المؤلف الرواية بتصريف، ينظر: الكافي: الكليني: ٤٥/٢ - ٤٦/ح١، باب نسبة الإسلام.

(٥) الأمالي: الصدوق: ٣٠٦، الجواهر السنوية: الحر العاملي: ٢٢٣، بحار الأنوار: المجلسي: ٧/٣ .

(٦) معاني الأخبار: الصدوق: ٣٧١، روضة الواعظين: الفتال النيسابوري: ٤٢٠، مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب: ٢٩٦/٢ .

(٧) ما بين المعقوفين ليس في المصدر.

[٣٣] سَأَلَنِي حَرَمْتُهُ، وَإِنْ نَادَانِي لَمْ أَسْمَعْ نِدَاءَهُ، وَإِنْ دَعَانِي لَمْ أُسْتَجِبْ دُعَاءَهُ، وَإِنْ رَجَانِي خَيَّبْتُهُ، وَذَلِكَ جَزَاؤُهُ مِنِّي وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ"<sup>(١)</sup>، وروى عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَيْثُ ذَكَرَ الْخُلَفَاءَ الْأَتْنِي عَشَرَ بَعْدَهُ مِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى الْحِجَّةِ ابْنِ الْحَسَنِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ<sup>(٢)</sup> إِلَى أَنْ قَالَ: " لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مَنْ طَابَتْ وِلَادَتُهُ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مَنْ خَبِثَتْ وِلَادَتُهُ، وَلَا يُوَالِيهِمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُعَادِيهِمْ إِلَّا كَافِرٌ، مَنْ أَنْكَرَ وَاحِدًا مِنْهُمْ فَقَدْ أَنْكَرَنِي، وَمَنْ أَنْكَرَنِي فَقَدْ أَنْكَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ جَدَّ وَاحِدًا مِنْهُمْ فَقَدْ جَدَّنِي، وَمَنْ جَدَّنِي فَقَدْ جَدَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، لِأَنَّ طَاعَتَهُمْ طَاعَتِي، وَطَاعَتِي طَاعَةُ اللَّهِ، وَمَعْصِيَتُهُمْ مَعْصِيَتِي، وَمَعْصِيَتِي مَعْصِيَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، [ثُمَّ قَالَ لِابْنِ مَسْعُودٍ]<sup>(٣)</sup>: يَا بْنَ مَسْعُودِ إِيَّاكَ أَنْ تَجِدَ فِي نَفْسِكَ حَرْجًا مِمَّا أَقْضِي فَتَكْفُرَ، فَوْعِزَةَ رَبِّي مَا أَنَا مِتْكَفٍ وَلَا أَنَا نَاطِقٌ عَنِ الْهَوَى فِي عَلِيٍّ وَالْأُئِمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنْ وَلَدِهِ، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَالِي خُلَفَائِي وَأُئِمَّةِ أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي وَعَادِ مِنْ عَادَاهُمْ، وَانصِرْ مِنْ نَصْرِهِمْ، وَاخْذَلْ مِنْ خِذْلِهِمْ، وَلَا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ مِنْهُمْ بِحُجَّتِكَ [أَمَّا ظَاهِرًا مَشْهُورًا أَوْ خَائِفًا مَغْمُورًا]<sup>(٤)</sup>؛ لئلا يبطل دينك وحجتك وبيناتك، ثم قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: يَا بْنَ مَسْعُودِ قَدْ جَمَعْتَ لَكُمْ فِي مَقَامِي هَذَا مَا إِنْ فَارَقْتُمُوهُ هَلَكْتُمْ وَإِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ نَجُوتُمْ"<sup>(٥)</sup>، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

ومن جملة الأداء والإقرار باطن القلب والعمل بمقتضاه عَدَمُ الْخَيْرَةِ لِأَنْفُسِهِمْ مَعَ قِضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ﴾<sup>(٦)</sup>، فَإِذَا اخْتَارُوا مَعَ ذَلِكَ غَيْرَ مَنْ اخْتَارَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ عَجَلًا أَوْ عَبْدَةً لَهُ وَعَدَمٌ وَجُودِ الضِّيقِ وَالْحَرْجِ فِي أَنْفُسِهِمْ فِيمَا حَكَّمَ اللَّهُ تَعَالَى وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَمَا قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرْجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا

(١) الاحتجاج: الطبرسي: ٨٧/١ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٨٧/١ .

(٣) ليس في المصدر .

(٤) في الأصل: ظاهر مشهور أو خاف مغمور، وما أثبت من المصدر هو الصواب .

(٥) الاحتجاج: الطبرسي: ٨٨/١ - ٨٩ .

(٦) سورة الأحزاب: الآية ٣٦ .



تَسْلِيمًا ﴿١﴾، كما قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي مَرَّ أَنْفَاءً "إِيَّاكَ أَنْ تَجِدَ فِي نَفْسِكَ حَرْجًا مِمَّا أَقْضِي فَتَكْفُرَ" الْحَدِيثُ، كَمَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ بَعْدَ قَوْلِهِ: وَالْأَدَاءُ هُوَ الْعَمَلُ "إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَمْ يَأْخُذْ دِينَهُ عَنْ رَأْيِهِ وَلَكِنْ أَتَاهُ مِنْ رَبِّهِ فَأَخَذَهُ، إِنَّ الْمُؤْمِنَ يُرَى يَقِينُهُ فِي عَمَلِهِ، وَالْكَافِرَ يُرَى إِنْكَارُهُ فِي عَمَلِهِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا عَرَفُوا أَمْرَهُمْ فَأَعْتَبَرُوا إِنْكَارَ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ بِأَعْمَالِهِمْ الْخَبِيثَةَ" (٢).

### هذه الفقرات تعريضٌ وتخريبٌ:

وهذه الفقرات تعريضٌ بأنَّ من أَخَذَ دِينَهُ أَصْلًا أَوْ فَرْعًا أَوْ هُمَا عَنْ رَأْيِهِ وَاخْتِيَارِهِ بغير ما اختاره الله ورسوله فهو كافرٌ خبيثٌ نفساً وَعَمَلًا، وَتَخْرِيْبٌ لِبِنْيَانِ مَنْ قَالَ النَّوَاصِبُ الْمُنَافِقِينَ طَاهِرُونَ فَإِنَّهُ لَمْ يَظْهَرْ عِدَاوَتُهُمْ وَإِنْكَارُهُمْ، وَلَمْ يَقُولُوا إِنَّا نُعَادِي مَنْ جَعَلَهُ اللهُ إِمَامًا؛ لِأَنَّ عِدَاوَتَهُمْ وَإِنْكَارَهُمْ يُرَى وَيُعْرَفُ بِأَعْمَالِهِمْ الْخَبِيثَةِ كَمَا صرَّحَ بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، فَمَنْ اخْتَارَ عَنْ رَأْيِهِ أَمْرًا لَيْسَ مِنَ اللهِ تَعَالَى بَلْ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ فَهَمْ كَمَنْ اتَّخَذَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ، فَكَمَا إِنَّ مَنْ اتَّخَذَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ مُشْرِكٌ نَجَسٌ خَبِيثٌ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، كَذَلِكَ مَعَ مَنْ اتَّخَذَ مَعَ مَنْ اخْتَارَهُ اللهُ غَيْرَهُ مِمَّنْ لَيْسَ مِنْ قِبَلِ اللهِ مُشْرِكٌ خَبِيثٌ كَافِرٌ نَجَسٌ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، بَلْ هُوَ أَشَدُّ إِشْرَاكًا وَكُفْرًا وَعِنَادًا مِنَ الْأَوَّلِ؛ لِأَنَّ الْمُتَّخِذَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَمْ يُخْرِجِ اللهُ مِنْ سُلْطَانِهِ وَمَالِكِيَّتِهِ وَاخْتِيَارِهِ بِالْكَلِيَّةِ، بَلْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ بِخِلَافِ الثَّانِي؛ لِأَنَّهُ أَخْرَجَهُ مِنْ سُلْطَانِهِ وَاخْتِيَارِهِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَقْبَلْ قَوْلَهُ تَعَالَى شَأْنَهُ وَقَوْلَ رَسُولِهِ فِي اخْتِيَارِهِمَا وَتَعْيِينِهِمَا مَنْ اخْتَارَاهُ، بَلْ جَعَلَ نَفْسَهُ إِلَهًا مُسْتَقِلًّا فِي الْإِخْتِيَارِ، وَتَعْيِينَ الْأَمْرِ الَّذِي لَيْسَ مِنَ اللهِ عِنَادًا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ حَسَدًا لِلنَّاسِ عَلَى مَا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ، وَتَكْذِيبًا وَكُفْرًا بِاللَّهِ وَبِآيَاتِهِ، وَجِدَادًا لِنِعْمَائِهِ كَمَا يِنَادِي بِذَلِكَ الْخَبْرَانِ الْمَذْكُورَانِ أَنْفَاءً، وَكَمَا قَالَ: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ﴾ (٣) الْآيَةَ.

(١) سورة النساء: الآية ٦٥ .

(٢) الكافي: الكليني: ٢/٤٦/ح ١، باب نسبة الإسلام، بحار الأنوار: المجلسي: ٣١١/٦٥، مرآة العقول: المجلسي: ٢٨٢/٧ .

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٩ .

## الإسلام عين الإيمان:

وروى في الكافي في باب دعائم الإسلام خمسة عشر حديثاً منها ما رواه بإسناده "عَنْ أَبِي حَمْرَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: عَلَى الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالْوَلَايَةِ، وَلَمْ يُنَادَ بِشَيْءٍ كَمَا نُودِيَ بِالْوَلَايَةِ"<sup>(١)</sup>، وإسناده "عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَجَلَانَ أَبِي صَالِحٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْفِنِي عَلَى حُدُودِ الْإِيمَانِ، فَقَالَ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَالْإِقْرَارُ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَصَلَوَاتُ الْخَمْسِ، وَأَدَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَحُجُّ الْبَيْتِ، وَوَلَايَةُ وَلِيِّنَا، وَعَدَاوَةُ عَدُوِّنَا، وَالدُّخُولُ مَعَ الصَّادِقِينَ"<sup>(٢)</sup>، ومن جملة تلك الروايات الخمس عشرة بعد ذكر الحج والولاية للأئمة الخ، وفي بعضها التسليم لأمرنا وانتظار قائمنا والاجتهاد والورع، فعبر عليه السلام في بعض تلك الأخبار بالإسلام، وفي بعضها بالإيمان، مع أنّ عنوان الباب دعائم الإسلام، وكذا حديث نسبة الإسلام عن أمير المؤمنين عليه السلام، نعلم من جميعها أنّ الإسلام هنا عين الإيمان.

وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْإِسْلَامَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾<sup>(٣)</sup>، ونحوه من الآيات هو عين الإيمان، بل أكمل أفراده وأخصّها؛ لأنّ للإيمان مراتب ودرجات وطبقات، وكذا في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾<sup>(٤)</sup>، [٣٤] وكذا قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ﴾<sup>(٥)</sup> الآية، كما مرّ، فإنّ كل ذلك مأخوذ من (التسليم، والتسليم هو اليقين، واليقين هو التصديق)<sup>(٦)</sup>، والإقرار بباطن القلب بأن لا يجحد الخ، فإن جحد واحداً ممّا مرّ من الحج وكُتِبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَأَوْصِيَانَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَهُ الْعِلْمُ، وَشَاقَّ الرَّسُولَ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَاتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ وَيُضِلُّهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا، كما يقول الله عزّ من قائل: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا

(١) الكافي: الكليني: ١٨/٢/١، باب دعائم الإسلام .

(٢) المصدر نفسه: ١٨/٢/٢، باب دعائم الإسلام .

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٩ .

(٤) سورة آل عمران: الآية ٨٥ .

(٥) سورة البقرة: الآية ١٢٨ .

(٦) حديث مرّ ذكره .

تَوَلَّى وَنُضِلَّ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا<sup>(٣)</sup>، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا \* أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا \* أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا \* أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا \* فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا \* إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا \* وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا \* إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا<sup>(٤)</sup>، الآيات، وهذا القسم من الإسلام هو عين الإيمان، بل أكمل أفرادِهِ هو مراد السيّد الأجلّ المرتضى عَلم الهدى قدس سرّه حيث قال: (نجاسة غير المؤمنين من النظر والاستدلال ومن بلغ إليه الدليل من المخالفين والمنافقين الناصبين وأهل الكتاب لا الأعمّ منه ومن المُستضعف واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ<sup>(٥)</sup>، وبقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ<sup>(٦)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ<sup>(٧)</sup>، وبأمر من الآيات من قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ<sup>(٨)</sup> إلى آخرها وغيرها ثم قال قدس سرّه: والإيمان يستحيل مغايرته للإسلام، فمن ليس بمؤمن ليس بمسلم<sup>(٩)</sup> انتهى.

(١) سورة النساء: الآية ١١٥ .

(٢) سورة النساء: الآية ١٤٥ .

(٣) سورة النساء: الآية ١٤٠ .

(٤) سورة النساء: الآية ٥١ - ٥٨ .

(٥) سورة الأنعام: الآية ١٢٥ .

(٦) لم نجد كلام السيد المرتضى قدس سرّه هذا في كتبه التي وصلت إلينا، وإنما وجدت في بعض المصادر منها: ايضاح الفوائد: ابن العلامة: ٢٧/١، وقد أشار إلى ذلك الفاضل الهندي بعد أن عرض هذا القول المنسوب للسيد المرتضى قائلاً: (لم نعثر عليه في المصادر المتوفرة لدينا)، كشف اللثام: ٤١٠/١ .

وقد يُطلق الإسلام على ما هو أدون من الإيمان، وأنزل وأخس كإسلام الأعراب في قوله تعالى حكاية عنهم: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾<sup>(١)</sup> الآيات، وهذا القسم من الإسلام مأخوذ من المسالمة، والسلم بمعنى المصالحة والمهادنة لا من التسليم والتصديق والإقرار بالتوحيد وبلوازيمه بباطن القلب بقرينة المقام وبصريح ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾.

وقال الزمخشري في الكشاف في سورة الحجرات في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾: (الإسلام: الدخول في السلم، والخروج من أن يكون حرباً للمؤمنين)<sup>(٢)</sup> انتهى.

وبهذا الإطلاق أيضاً وردت روايات في كتب الأخبار ففي الكافي "عَنْ يُونُسَ بْنِ يَعْقُوبَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّ الْإِسْلَامَ قَبْلَ الْإِيمَانِ وَعَلَيْهِ يَتَوَارَثُونَ وَيَتَنَاقِحُونَ وَالْإِيمَانُ عَلَيْهِ يُثَابُونَ"<sup>(٣)</sup>، "عَنْ حُمْرَانَ بْنِ أَعْيَنَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: الْإِسْلَامُ لَا يَشْرِكُ الْإِيمَانَ، وَالْإِيمَانُ يَشْرِكُ الْإِسْلَامَ، وَهُمَا فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ يَجْتَمِعَانِ، كَمَا صَارَتِ الْكُعْبَةُ فِي الْمَسْجِدِ، وَالْمَسْجِدُ لَيْسَ فِي الْكُعْبَةِ، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ يَشْرِكُ الْإِسْلَامَ، وَالْإِسْلَامُ لَا يَشْرِكُ الْإِيمَانَ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾<sup>(٤)</sup>، فَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَصْدَقُ الْقَوْلِ"<sup>(٥)</sup> الحديث، "عَنِ الْقَاسِمِ الصَّيْرَفِيِّ شَرِيكِ الْمُفَضَّلِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: الْإِسْلَامُ يُحَقَّنُ بِهِ الدَّمُ، وَتُؤَدَّى بِهِ الْأَمَانَةُ، وَتُسْتَحَلُّ بِهِ الْفُرُوجُ، وَالتَّوَابُ عَلَى الْإِيمَانِ"<sup>(٦)</sup>.

إذا عرفت أن الإسلام قد يُطلق على الإيمان وعلى أكمل أفراده على ما مر من الآيات والأخبار، وقد يُطلق على مثل إسلام الأعراب كما مر من الآية والأخبار، فقد علمت عدم المنافاة بين الآيات، وكذا بين الأخبار، وليس هذا الإطلاق الأخير مراد السيّد الأجلّ في استدلاله المذكور، ولا يكون الإسلام بهذا الإطلاق الأخير منافياً لما ذهب إليه من الإطلاق

(١) سورة الحجرات: الآية ١٤ .

(٢) الكشاف: الزمخشري: ٣٧٦/٤ .

(٣) الكافي: الكليني: ١/١٧٣/٤، بَابُ الْإِضْطِرَارِ إِلَى الْحُجَّةِ، والحديث طويل اكتفى المؤلف بذكر موضع الشاهد .

(٤) سورة الحجرات: الآية ١٤ .

(٥) الكافي: الكليني: ٢/٢٦/٥، بَابُ أَنَّ الْإِيمَانَ يَشْرِكُ الْإِسْلَامَ وَالْإِسْلَامَ لَا يَشْرِكُ الْإِيمَانَ، والحديث طويل اكتفى المؤلف بذكر موضع الشاهد .

(٦) المصدر نفسه: ٢/٢٤/١، بَابُ أَنَّ الْإِسْلَامَ يُحَقَّنُ بِهِ الدَّمُ وَتُؤَدَّى بِهِ الْأَمَانَةُ وَأَنَّ التَّوَابَ عَلَى الْإِيمَانِ .

الأول؛ لعدم اتخاذ الموضوع، والمعنى الحقيقي للإسلام هو ما قاله السيّد قُدس سرّه من الإطلاق الأول، وهو أكثر مواضع استعماله في القرآن المجيد مثل ما مرّ من الآيات، ومثّل قوله تعالى حكاية عن وصيّة إبراهيم ويعقوب عليهم السّلام بنيه كما قال تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(١)</sup> الآيات.

ومعلومٌ يقيناً أنّ المراد بالإسلام في هذه الآيات وأمثالها هو ما به يُثاب وهو الإيمان كما نصّوا عليهم السّلام في الأخبار السالفة، وأمّا استعمال الإسلام بمعنى المسالمة والمصالحة والمهادنة فقليل، بل لفظ الإسلام له عارية؛ فلا يكون حقيقةً بل مجازاً واستعارة، إذا عرفت هذه الدقيقة والفرق بين الإطلاقين فقد علمت أنّ اعتراضات من اعترض على كلام السيّد المرتضى قدس سرّه ساقطة بالكلية، بل الاعتراض على مثله طاب ثراه في أمثال هذه المقامات من ضيق العطن<sup>(٢)</sup> [٣٥] وسوء الفطن، ولقد أوضحنا ذلك المطلب في رسالة أخرى في بيان نجاسة النواصب وسؤرهم وأهل الكتاب مع دلائله من الآثار الصحيحة، والأخبار المعتبرة، ومن أراد الاطلاع فليرجع إليها.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾<sup>(٣)</sup> آية .

القراءة:

قَرَأَ عَاصِمٌ وَحَمْرَةُ وَالْكَسَائِيُّ ﴿اتَّبَعَنِ﴾ بحذف الياء اجتزاءً بالكسر؛ لأنّ حذف الياء مُطلقاً سواء كانت للمتكلّم أو غيره في آخر الآي أحسن؛ لأنّها تشبهه القوافي كقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرَ﴾<sup>(٤)</sup>، بعد قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ \* وَلَيَالٍ عَشْرٍ \* وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾<sup>(٥)</sup>، ويجوز الآي أيضاً وأحسنها ما كان قبلها نون وقيّة مثل قوله تعالى: ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَاسْمَعُونَ﴾، ﴿فَانْقُوتُونَ﴾، و﴿فَارْهَبُونَ﴾، وقد يحذف بدونها نحو قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ﴾

(١) سورة البقرة: الآية ١٣٢ .

(٢) ضَيْقُ الْعَطْنِ: (معناه: قليل العطاء، ضيق النفس)، الزاهر في معاني كلمات الناس: أبو بكر الأنباري: ٣٩٣/٢ .

(٣) سورة آل عمران: الآية ٢٠ .

(٤) سورة الفجر: الآية ٤ .

(٥) سورة الفجر: الآية ١ - ٣ .

ادخلوا الأرض المقدسة ﴿١﴾ الآية، ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ ﴿٢﴾، ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ﴾ ﴿٣﴾ الآية، و﴿يَوْمَ التَّنَادِ﴾ ﴿٤﴾، وقرأ الباقون ومن اتبعني بإثبات الياء كما هو الأصل ﴿٥﴾ .

### الإعراب:

من في ﴿مَنْ اتَّبَعَنِ﴾ موصول اسمي في محل الرفع عطفت على التاء في ﴿أَسْلَمْتُ﴾، وإنما حسن ذلك مع عدم وجود التأكيد بالضمير المرفوع المنفصل؛ لوجود الفاصل وإلا فالأفصح التأكيد بالمنفصل، ثم العطف كقوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ ﴿٦﴾، وقوله تعالى: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ ﴿٧﴾، ومثل أسلمت أنا ومن اتبعني، أو في محل النصب مفعول معه مصاحب للفاعل، ﴿وَالْأُمِّيِّينَ﴾ عطفت على ﴿لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾، وجملة ﴿أَسْلَمْتُمْ﴾ كقول قل، وجواب ﴿وَأَنْ تَوَلَّوْا﴾ محذوف، أي: فإن تولوا فلم يضروك، وقوله ﴿فَأِنَّمَا عَلَيْكَ﴾ تعليل للجزاء المحذوف ومثله قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ ﴿٨﴾، أي: إن يكذبوك فلا تحزن أو فاصبر فقد كذبت رسول من قبلك .

### المعنى:

لما قدم سبحانه ذكر التوحيد والإيمان والدين الحق المرضي وأنه الإسلام لا غير خاطب نبيه، وكل من يصلح للخطاب من المؤمنين فقال: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾، أي: فإن جادلَكَ وخاصمك يا محمد أهل الكتاب سيما نصارى نجران ومشركو العرب في الدين المرضي الذي هو الإسلام والإيمان والإقرار بباطن القلب بالتوحيد من غير جدٍ لازمٍ من لوازمه بعد ما جاءهم العلم وبعد ما أقمت لهم الحجج ﴿فَقُلْ﴾ يا محمد ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ﴾ أي: أخلصت نفسي وجملتي لله تعالى وحده لا أشرك فيها غيره تعالى، ولا أعبد إلا إياه، وأعرضت عن كل معبودٍ دون الله، وأقررت بتوحيده تعالى بباطن القلب، واعترفت بجميع

(١) سورة المائدة: الآية ٢١ .

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٤٣ .

(٣) سورة القصص: الآية ٢٤ .

(٤) سورة غافر: الآية ٣٢ .

(٥) ينظر: مفاتيح الغيب: الرازي: ١٧٥/٧ .

(٦) سورة المجادلة: الآية ٢١ .

(٧) سورة البقرة: الآية ٣٥، سورة الأعراف: الآية ١٩ .

(٨) سورة آل عمران: الآية ١٨٤ .

لوازمه، والمقصود أن ديني التوحيد بجميع لوازمه هو الأصل الذي يلزم جميع المكلفين الإقرار به، وبأنه الدين القويم والصرط المستقيم الذي قامت عليه الحجج، وشهد به الله والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط، ودعا إليه الآيات والبيّنات والرسل والمعجزات<sup>(١)</sup>.

### نسبة الإسلام إلى الوجه:

وإنما نسب الإسلام إلى الوجه مع إنّ المراد به الشخص كلّهُ؛ لأنّه أشرف الأعضاء الظاهرة، وهو مظهر الحواس والقوى<sup>(٢)</sup>، ومنه يظهر آية السُرور والحزن، فمن أسلم وجهه فقد أسلم كلّهُ، ومنه قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾<sup>(٣)</sup>.

### إطلاق الجزء على الكلّ وتسمية الكل باسم الجزء أمراً واحداً:

وإطلاق الجزء الذي له مدخل عظيم في الشيء على الكلّ شائع كقوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾<sup>(٤)</sup>، في مقام فتحير نَسَمَةٍ، وكإطلاقهم العين التي هي الجارحة المخصوصة على الربيّة وهي الشخص الرقيب، والعين جزء منه؛ وذلك لأنّ العين لما كانت هي المقصودة في كون الرجل ربيّة؛ لأنّ غيرها من الأعضاء ممّا لا يغني شيئاً بدونها صارت العين كأنّها الشخص كلّهُ، وكذا الرقبة؛ لأنّها لا حياة للشخص بدونها، فلا بدّ في الجزء المطلق على الكلّ من أن يكون له مزيد اختصاص بالمعنى الذي فُصِدَ بالكلّ، ويقال لإطلاق الجزء على الكلّ تسمية الكلّ باسم الجزء، وهو من جملة أنواع المجاز المرسل<sup>(٥)</sup>.

﴿وَمَنْ اتَّبَعَنِي﴾، أي: وأسلم من اتّبعتني، أي: أسلمت أنا ومن اتّبعتني من المؤمنين، أو أسلمت مع من اتّبعتني واقتدى بي في الدين من المؤمنين، فإنّهم قد أسلموا أيضاً كما أسلمت.

(١) ينظر: أنوار التنزيل: البيضاوي: ١٠/٢ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٠/٢، زبدة التفسير: فتح الله الكاشاني: ٤٦٢/١، التفسير الصافي: الفيض الكاشاني:

٣٢٣/١، تفسير كنز الدقائق: المشهدي: ٥٩/٣ .

(٣) سورة القصص: الآية ٨٨ .

(٤) سورة النساء: الآية ٩٢، سورة المجادلة: الآية ٣ .

(٥) المجاز المرسل: (هو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة ومناسبة غير المشابهة كاليد إذا استعملت في النعمة، لما جرت به العادة من صدورها عن الجارحة، وبواسطتها تصل إلى المقصود بها)، علوم البلاغة:

أحمد المراغي: ٢٤٩ .



﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ من اليهود والنصارى والمجوس ومن يحدو حذوهم واقتدى بأثارهم حدو النعل بالنعل، ﴿وَالْأُمِّيِّينَ﴾ الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب، ﴿أَسْلَمْتُمْ﴾، يعني: قد آتيناكم من البيئات ما يُوجب الإسلام فهل أسلمتم وأخلصتم لله تعالى كما أسلمت وأخلصت أنا له تعالى ومن اتبعني، أم أنتم بعدُ على كفركم وشرككم، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>، ونلفظه لفظ الاستفهام، والمراد به الأمر والتوقيف والتهديد، فيكون معناه أسلموا أنتم أيضاً كما أسلمت أنا ومن اتبعني؛ لأنه قد تبين الرشد من الغي فإن الله تبارك وتعالى أوضح السبل<sup>(٢)</sup>، (وَأَزَاحَ الْعِلَلَ فِي التَّكْلِيفِ، وَسَوَّى فِي التَّوْفِيقِ بَيْنَ الضَّعِيفِ وَالشَّرِيفِ، وَمَكَّنَ أَدَاءَ الْمَأْمُورِ، وَسَهَّلَ سَبِيلَ اجْتِنَابِ الْمَحْظُورِ)<sup>(٣)</sup>، ونظيره قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، (أي: انتهوا، وهذا كما يقول الإنسان لغيره وقد وعظه بمواعظٍ أقبلت وعظي؟ يدعوه [بذلك]<sup>(٥)</sup> إلى قبول الوعظ)<sup>(٦)</sup>، ففيه تعبير لهم بكمال البلادة أو المعاندة، ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ إلى طريق الجنة، وقد [٣٦] (نَفَعُوا أَنْفُسَهُمْ بِأَنْ أَخْرَجُوهَا مِنْ الضَّلَالِ)<sup>(٧)</sup>، وَأَنْقَذُوهَا مِنَ النَّكَالِ.

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي: أعرضوا عن الإسلام والدين المرضي، ولم يقبلوه وكفروا ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ أي: فلم يضررك شيئاً بل ضرروا أنفسهم وظلموها، فإنما عليك أن تبلغ رسالة ربك وتقيم الحجة عليهم، وأن تنبههم على طريق الرشد والهدى، وقد بلغت وأقمت الحجة، وليس عليك أن لا يتولوا وليس عليك أن تكرههم على الإيمان والهدى.

(١) سورة الزمر: الآية ٢٩ .

(٢) ينظر: مجمع البيان: الطبرسي: ٢٦١/٢ .

(٣) مفاتيح الجنان: المجلسي: ٤٢٣ .

(٤) ومنه في حاشية الأصل: في سورة المائدة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ \* إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾، سورة المائدة: الآية ٩٠ - ٩١ .

(٥) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٦) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٦١/٢ .

(٧) أنوار التنزيل: البيضاوي: ١٠/٢ .

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ \* أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾<sup>(١)</sup> آيتان .

القراءة:

قَرَأَ حَمْرَةَ ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ﴾ بالألف على باب المفاعلة للمبالغة، والباقون ﴿وَيَقْتُلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

الإعراب:

جُمْلَةٌ ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ خَبَرٌ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾؛ لِتَضَمَّنَهُ مَعْنَى الشَّرْطِ وَدُخُولِ الْفَاءِ لِشِبْهِ خَبَرِهِ بِالْجَرَاءِ عَلَى قَوْلٍ غَيْرِ سَبِيوِيهِ عَلَى قَوْلٍ، وَإِنَّمَا لَمْ يَجْزِ لَيْتَ الَّذِي يَأْتِينِي فَلَهُ دَرَاهِمٌ، وَلَعَلَّ الَّذِي يَأْتِينِي فَلَهُ دَرَاهِمٌ بِالْفَاءِ، وَجَازَ إِنَّ الَّذِي يَأْتِينِي فَلَهُ دَرَاهِمٌ بِالْفَاءِ لِأَنَّ صَحَّةَ دُخُولِ الْفَاءِ عَلَيْهِ إِتْمَا كَانَتْ لِمُشَابَهَةِ الْمَبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ لِلشَّرْطِ وَالْجَزَاءِ، وَلَيْتَ وَلَعَلَّ يَزِيلَانِ تِلْكَ الْمُشَابَهَةَ؛ لِأَنَّهُمَا يَخْرُجَانِ الْكَلَامَ مِنَ الْخَبَرِيَّةِ إِلَى الْإِنشَائِيَّةِ وَالشَّرْطِ وَالشَّرْطِ وَالْجَزَاءِ مِنْ قَبِيلِ الْأَخْبَارِ وَلَيْسَ إِنَّ كَذَلِكَ عَلَى الْأَصَحِّ؛ لِأَنَّهَا لَا تُخْرِجُ الْكَلَامَ مِنَ الْخَبَرِ إِلَى الْإِنشَاءِ وَيُوَيِّدُ هَذَا الْمَذْهَبَ الْأَصَحُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا﴾<sup>(٣)</sup>، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾<sup>(٤)</sup>، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَقْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مَلَأَقِيكُمْ﴾<sup>(٥)</sup> الْآيَةَ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿فَبَشِّرْهُمْ﴾ الْآيَةَ، لَكِنْ يَجُوزُ لِسَبِيوِيهِ أَنْ يَجْعَلَ خَبْرَانِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، جُمْلَةٌ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ وَيَجْعَلَ جُمْلَةً ﴿فَبَشِّرْهُمْ﴾ مُعْتَرِضَةً لِلتَّنْبِيهِ وَالتَّوْقِيفِ عَلَى حَدِّ قَوْلِكَ زَيْدٌ فَافْهَمَ رَجُلٌ صَالِحٌ مَعَ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُهُ مِثْلُ ذَلِكَ فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ، (وَنَقَلَ الْعَبْدِيُّ وَأَبُو الْبَقَاءِ وَابْنُ يَعِيشُ أَنَّ الْمُجَوِّزَ لِدُخُولِ الْفَاءِ عَلَى خَبَرٍ إِنَّ سَبِيوِيهِ، وَالْمَانِعَ الْأَخْفَشُ)<sup>(٦)</sup>، وَهَذَا النُّقْلُ هُوَ الْأَصْلُ، وَإِعْرَابُ الْبَاقِي وَاضِحٌ.

(١) سورة آل عمران: الآية ٢١ - ٢٢ .

(٢) ينظر: معالم التنزيل: البغوي: ٤٢٣/١ .

(٣) سورة آل عمران: الآية ٩١ .

(٤) سورة البروج: الآية ١٠ .

(٥) سورة الجمعة: الآية ٨ .

(٦) شرح الرضي على الكافية: رضي الدين الأستريادي: ٢٧١/١ .

## المعنى:

لما قدم سبحانه الاحتجاج على أهل الكتاب ومن يحذو حذوهم والأمين وحسن الوعد لهم إن أسلموا، وشدة الوعيد إن أبوا وتولوا عن الإسلام بين في هذه الآية كفرهم<sup>(١)</sup>، وسبب عذابهم فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾، يعني: إن أهل الكتاب وغيرهم الذين يكفرون ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾، أي: بحجج الله وبيئاته، وبها سيهديهم إلى الإيمان مما في أنفسهم والآفاق.

﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾، وهم الذين كانوا في عصره عليه السلام من أهل الكتاب والأمين والمنافقين وغيرهم ممن يحذو حذوهم، حيث قتل أوائلهم الأنبياء والأوصياء والمؤمنين والتابعين للأنبياء، وكان هؤلاء راضين بما فعل أولئك الأوائل وقصدوا قتل النبي والوصي والمؤمنين به، ولكن الله تعالى عصمهم كما أخبر بذلك في قوله عز من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> الآية، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْنِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾<sup>(٣)</sup> الآية، وفي قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾<sup>(٤)</sup> الآية، وفعلوا بأوصيائه ومواليهم ما فعلوا.

## ذكر أشد الناس عذاباً يوم القيامة:

وفي المجمع (فقد روي عن أبي عبيدة بن الجراح قال: قلت: يا رسول الله أيُّ النَّاسِ أَشَدُّ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فقال: رَجُلٌ قَتَلَ نَبِيًّا، أَوْ رَجُلًا أَمَرَ بِمَعْرُوفٍ، أَوْ نَهَى عَنِ مُنْكَرٍ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾، ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا أَبَا عبيدة قَتَلَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ ثَلَاثَةً وَأَرْبَعِينَ نَبِيًّا مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، فَقَامَ مِائَةَ رَجُلٍ وَاثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنْ عِبَادِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَمَرُوا مَنْ قَتَلَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهَوْهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَقَتَلُوا جَمِيعًا مِنْ آخِرِ النَّهَارِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾<sup>(٥)</sup>، أي: أخبرهم وأنذرهم بأن لهم عذاباً أليماً، ففي تنكيهه تفخيم للعذاب وتفطيع، وإنما قال: بشّرهم مقام أنذرهم على سبيل الاتساع والاستهزاء والاستعارة التهكمية

(١) ينظر: مجمع البيان: الطبرسي: ٢٦٢/٢ .

(٢) سورة المائدة: الآية ١١ .

(٣) سورة الأنفال: الآية ٣٠ .

(٤) سورة التوبة: الآية ٧٤ .

(٥) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٦٢/٢ - ٢٦٣ .

التبعية والتلميحية؛ لأن البشارة تكون في الخير دون الشر فكأن البشارة للمظلومين المقتولين من الأنبياء والأوصياء والمؤمنين، ويدخل في عذاب الأسلاف المرتكبين للقتل أعقابهم جميعاً؛ لأنهم رضوا بأفعالهم واقتدوا بهم وتواصوا بما فعلوا به.

وقوله تعالى: ﴿بَغَيْرِ حَقٍّ﴾ لا يدل على أنه في قتل النبيين ما هو حق في وقت من الأوقات، بل المراد بذلك أن قتلهم لا يكون إلا بغير حق البتة كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾<sup>(١)</sup>، إنما أراد أنه لا يكون إلا من غير برهان، والمقصود من ذلك تأكيد النفي والمبالغة فيه.

وفي كتاب الخصال "عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: قال [٣٧] النبي صلى الله عليه وآله: لن يعمل ابن آدم عملاً أعظم عند الله تبارك وتعالى من رجل قتل نبياً أو إماماً، أو هدم الكعبة التي جعلها الله عز وجل قبلة لعباده أو أفرغ مائه في امرأة حراماً"<sup>(٢)</sup>، وفيه فيما علم أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه "احذروا السفلة فإن السفلة من لا يخاف الله عز وجل، [فيهم قتلة الأنبياء وفيهم أعداؤنا]"<sup>(٣)</sup> (٤).

وفي أصول الكافي "عن يونس بن زبيان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله عز وجل يقول: وويل للذين يفتنون الدنيا بالدين، وويل للذين يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، وويل للذين يسير المؤمن فيهم بالنعية، أبي يغترون أم علي يغتروون، فبي حلفت لأتحنن لهم فتنة تترك الحليم منهم حيران"<sup>(٥)</sup>.

وفي المجمع و(استدل علي بن عيسى بهذه الآية على جواز إنكار المنكر مع خوف القتل، وبالحبر الذي رواه الحسن عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر يقتل عليه، وهذا فيه نظر؛ لأن من شرط حسن إنكار المنكر أن لا يكون فيه مفسدة، ومتى أدى إلى القتل فقد انتفى عنه هذا الشرط، فيكون قبيحاً، والوجه في الآية والأخبار التي جاءت في معناها، أن يغلب على الظن أن إنكار المنكر لا

(١) سورة المؤمنون: الآية ١١٧ .

(٢) الخصال: الصدوق: ١٢٠ .

(٣) في الأصل: فهم قتلة الأنبياء وهم أعداؤنا، وما أثبت من المصدر هو الصواب .

(٤) الخصال: الصدوق: ٦٣٥ .

(٥) الكافي: الكليني: ٢/٢٩٩/ح ١، باب احتيال الدنيا بالدين .

يُؤدِّي إِلَى مَفْسَدَةٍ، فَيَحْسُنُ ذَلِكَ، بَلْ يَجِبُ وَإِنْ تَعَقَّبَهُ الْقَتْلُ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَرْطِهِ أَنْ يَعْلَمَ ذَلِكَ، بَلْ يَكْفِي فِيهِ غَلْبَةُ الظَّنِّ (١) انتهى (٢).

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ﴾ يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حقٍّ، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فلم يحقن دماءهم وأموالهم ولم ينالوا بها الثناء والمدح في الدنيا، ولم يستحقوا بها ثوبةً في الآخرة، فصارت كأنها لم تكن؛ لأنَّ حُبُوطَ العملِ عبارةٌ عن وقوعه على خلاف الوجه المأمور به الذي يستحق عليه الثواب والأجر والمدح والثناء وحسن الذكر، ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ يَدْفَعُونَ عَنْهُمْ الْعَذَابَ.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ \* ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّبَهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ \* فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٣) ثلاث آيات .

اللغة:

النَّصِيبُ: (الْحَظُّ مِنَ الشَّيْءِ) (٤) وهو القسم المَجْعُولُ مَمَّنْ أَضِيفَ إِلَيْهِ، والدعاء واستدعاء الفعل سواء بالأمر أو بالخبر أو بالدلالة والحكم (٥)، (الخبر الذي يفصل الحق من الباطل مأخوذ من الحكمة والمنع) (٦) كما مرَّ في أواخر البقرة.

والغرور والاطماع فيما لا يصحَّ يقال: غَرَّهُ يَغُرُّهُ وَغُرُورًا فَهُوَ مَغْرُورٌ، (والغرور بالفتح الشيطان) (٧)؛ لِأَنَّهُ يَغُرُّ النَّاسَ، والغار: الغافل (٨) (٩)، (والغرارة الدنيا تغرُّ أهلها، والغر: الغمر

(١) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٦٣/٢.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: وسنذكره في هذه السورة عند تمام ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾ [سورة آل عمران: من الآية ١٠٤] الآية.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٢٣ - ٢٥ .

(٤) مقاييس اللغة: ابن فارس: ٤٣٤/٥ .

(٥) ينظر: مجمع البيان: الطبرسي: ٢٦٤/٢.

(٦) المصدر نفسه: ٢٦٤/٢.

(٧) ينظر: المخصص: ابن سيده: ٨٢/١ .

(٨) ينظر: العين: الفراهيدي: ٣٤٦/٤ .

(٩) التبيان في تفسير القرآن: الطوسي: ٤٢٦/٢ .

الذي لم يجرب الأمور ومصدره الغرارة؛ لأنَّ من شأنه أن يقبل الغرور<sup>(١)</sup>، والغرر محرّكة الخطر أخذ منه والغرّ بالكسر طي الثوب، يقال: أطوه على غرّه<sup>(٢)</sup>، أي: على آثار طيّه، والغرّ: زق الطائر فرخه<sup>(٣)</sup>.

والافتراء الكذب بالعمد قال تعالى حكاية ﴿أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾<sup>(٤)</sup>، وفري فلان كذباً يفريه فرية، والفري: الشقّ والقطع كفري الأوداج في الذبح، وقرية مفرية أي: مشقوقة<sup>(٥)</sup>.

وكَيْفَ اسم استفهام جار مجرى الظرف ومعناه السؤال عن الحال تقول: كيف زيد أي: على أي حال هو وليس بظرف حقيقة إذ يبدل منه غير الظرف نحو كيف زيد أصحيح أم سقيم وكذا يجاب بغير الظرف ويقال: كيف أنت فتقول عليل أو تقول صحيح، كقوله:  
(قَالَ لِي كَيْفَ أَنْتَ قُلْتَ عَلِيلٌ سَهْرٌ دَائِمٌ وَلَيْلٌ طَوِيلٌ)<sup>(٦)</sup>.

#### الإعراب:

﴿نَصِيْبًا﴾ مفعول ثانٍ لـ ﴿أَوْتُوا﴾، ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ صفة نصيب، وَمِنَ للتبعيض أو للتبيين وجملة ﴿يُدْعَوْنَ﴾، على البناء للمفعول حال من نائب فاعل أوتوا، وقوله: ﴿لِيَحْكُمَ﴾ أَنَّ المقدّرة مع ما بعدها في تأويل مصدرٍ مجرورٍ باللام التعليلية متعلق بـ ﴿يُدْعَوْنَ﴾، وفاعل ﴿لِيَحْكُمَ﴾ على البناء للفاعل عائدٌ إلى ﴿كِتَابِ اللَّهِ﴾، الذي هو التّوراة أو القرآن أو جنس الكتاب، وجملة ﴿يَتَوَلَّى فَرِيْقٌ﴾، عطف على جملة ﴿يُدْعَوْنَ﴾، و﴿مِنْهُمْ﴾ صفة فَرِيْقٌ، وجملة ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ حال من فاعل من ﴿يَتَوَلَّى﴾؛ لتخصّصه بالصفة قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ مبتدأ محذوف، أي: شأنهم ذلك، ثُمَّ بين العلة في قولهم وإعراضهم عن الداعي والسبب الذي جرّ أهم على الجحود والإنكار أو ذلك مبتدأ وخبره محذوف، أي: ذلك التولي ثابت لهم بسبب أنهم إلخ، أو ذلك مبتدأ خبره قوله: ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾ إلخ، و﴿أَيَّامًا﴾ ظرف لـ ﴿تَمَسَّنَا﴾، و﴿مَعْدُودَاتٍ﴾ صفة لأيام، وما في ﴿مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ مصدرية، وهي مع ما بعدها

(١) التبيان في تفسير القرآن: الطوسي: ٤٢٦/٢ .

(٢) ينظر: العين: الفراهيدي: ٣٤٥/٤ .

(٣) ينظر: الزاهر: ابن الأنباري: ٣٥٨/٢ .

(٤) سورة سبأ: الآية ٨٤ .

(٥) ينظر: مجمع البيان: الطبرسي: ٢٦٤/٢ .

(٦) الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني: ٣٨ .

فاعل ﴿غَرَّهُمْ﴾، قوله: ﴿فَكَيْفَ﴾ إمَّا خبرٌ لمبتدأ محذوفٍ، أي: فكيف حالهم، ومعناه هاهنا التنبيه بصيغة السؤال على حال من يساق إلى النار وفيه بلاغة واختصار؛ لأنَّ تقديره أيُّ حالٍ حال من اغتر بالكذب والافتراء والدعاوي الباطلة حتى أداه ذلك إلى الخلود في النار، ونظير قولك أنا أكرمك إن لم تجنني فكيف إذا جننتي، معناه فكيف إكرامي إذا جننتي تريد عظم [٣٨] الإكرام، وإمَّا ظَرْفٌ لِفِعْلِ مَحذُوفٍ أَي: فَكَيْفَ يَصْنَعُونَ إِذَا جَمَعْنَا هُمْ إِخ. المعنى:

لَمَّا قَدَّمَ سُبْحَانَهُ الْحِجَاجَ عَلَى أَحْبَارِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْأُمِّيِّينَ وَمَنْ يَحْذُو حَذْوَهُمْ مِنْ أَصْنَافِ النَّاسِ مِنَ الْأُمَمِ بَيْنَ أَنَّهُمْ إِذَا عَصَتْهُمُ الْحُجَّةُ فَرَقَ إِلَى الضَّجَّةِ وَأَعْرَضُوا عَنِ الْمَحَبَّةِ فَقَالَ: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾، أي: ألم تنظر وألم ينته علمك يا محمد ﴿إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا﴾ أي: أعطوا ﴿نَصِيبًا﴾ أي: حظاً عظيماً أو حقيراً، تَنْوِينُهُ لِلتَّعْظِيمِ أَوْ التَّخْفِيرِ، ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ مِنَ النَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ أَوْ غَيْرِهِمَا، أَوْ مِنْ جِنْسِ الْكُتُبِ الْمَنْزَلَةِ، فَمَنْ لِلتَّبَعِضِ أَوْ لِلتَّبْيِينِ كَمَا مَرَّ ﴿يُدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ﴾ الدَّاعِي هُوَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَالْمَدْعُونَ هُمْ أَحْبَارُ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَغَيْرِهِمْ.

والمراد بالكتاب في قوله ﴿إِلَى كِتَابِ اللَّهِ﴾ إمَّا التَّوْرَةَ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ دُعِيَ إِلَيْهَا الْيَهُودُ فَأَبَوْا لِعِلْمِهِمْ بَلْزُومِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ لِمَا فِيهِ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَدَقَهُ وَذَكَرَ الرَّجْمَ، وَأَمَّا الْقُرْآنُ كَمَا قَالَ غَيْرُهُ دُعُوا إِلَى الْقُرْآنِ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ مُصَدِّقٌ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ وَلِأَنَّ مَا فِي الْقُرْآنِ مُوَافِقٌ لِمَا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ مِنْ أَصُولِ الدِّينِ وَأَرْكَانِ الشَّرِيعَةِ وَفِي أَمْرِ الرَّجْمِ أَيْضاً فِي الصِّفَةِ الَّتِي تَقَدَّمَتِ الْبَشَارَةُ بِهَا.

﴿لِيَحْكُمَ﴾ أي: التَّوْرَةَ أَوْ الْقُرْآنَ ﴿بَيْنَهُمْ﴾ فِي صَدَقِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَوْصِيَانِهِ وَفِي أَمْرِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنَّهُ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ يَهُودِيّاً وَلَا نَصْرَانِيّاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ كَمَا فِي آيَةِ الْبَقْرَةِ وَيَأْتِي فِي هَذِهِ السُّورَةِ أَيْضاً وَلِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ فِي أَمْرِ الرَّجْمِ وَبَيَانِ تِلْكَ الْمَرَاتِبِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ دَخَلَ مَدَارِسَهُمْ فَدَعَاهُمْ إِلَى الدِّينِ الْقَوِيمِ وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ: عَلَى أَيِّ دِينٍ أَنْتَ؟ فَقَالَ: عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ الْإِسْلَامُ، فَقَالُوا: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ يَهُودِيّاً أَوْ نَصْرَانِيّاً، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ، فَأَبَوْا لِمَا فِيهَا مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى صِدْقِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَوْ



القرآن؛ لكونه مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ فَأَبَوْا<sup>(١)</sup>؛ لِمَا فِيهِ مِنَ الْمُوَافَقَةِ فِي أُصُولِ الدِّينِ وَأَرْكَانِ الشَّرِيعَةِ وَفِي أَمْرِ الرَّجْمِ، وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْأَدِلَّةَ السَّمْعِيَّةَ حُجَّةٌ فِي الْأُصُولِ أَيْضًا.

وَفِي الْمَجْمَعِ (وَالثَّالِثُ: مَعْنَاهُ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ فِي أَمْرِ الرَّجْمِ، فَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَجُلًا وَامْرَأَةً مِنْ أَهْلِ خَيْبَرَ زَنِيَا، وَكَانَا ذَوِي شَرَفٍ فِيهِمْ، وَكَانَ فِي كِتَابِهِمُ الرَّجْمُ، فَكْرَهُوا رَجْمَهُمَا لِشَرَفِهِمَا، وَرَجُوا أَنْ يَكُونَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ رِخْصَةً فِي أَمْرِهِمَا، فَرَفَعُوا أَمْرَهُمَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، فَحَكَمَ عَلَيْهِمَا بِالرَّجْمِ، فَقَالَ لَهُ النَّعْمَانُ بْنُ أَوْفَى، وَبِحَرِيِّ بْنِ عَمْرٍو: جُرْتَ عَلَيْهِمَا يَا مُحَمَّدُ، لَيْسَ عَلَيْهِمَا الرَّجْمُ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ص: بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ التَّوْرَةُ، قَالُوا: قَدْ أَنْصَفْتَنَا، قَالَ: فَمَنْ أَعْلَمَكُمْ بِالتَّوْرَةِ؟ قَالُوا: رَجُلٌ أَعُورٌ يَسْكُنُ فِدْكَ يُقَالُ لَهُ ابْنُ صُورِيَا، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ، وَكَانَ جِبْرَائِيلُ قَدْ وَصَفَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ص، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أَنْتَ ابْنُ صُورِيَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَنْتَ أَعْلَمُ الْيَهُودَ؟ قَالَ: كَذَلِكَ يَزْعَمُونَ، قَالَ: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِشَيْءٍ مِنَ التَّوْرَةِ فِيهَا الرَّجْمُ مَكْتُوبٌ، فَقَالَ لَهُ: إِقْرَأْ، فَلَمَّا [أَتَى]<sup>(٢)</sup> عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ، وَضَعَ كَفَّهُ عَلَيْهَا وَقَرَأَ مَا بَعْدَهَا، فَقَالَ ابْنُ سَلَامٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَدْ جَاوَزَهَا، وَقَامَ إِلَى ابْنِ صُورِيَا، وَرَفَعَ كَفَّهُ عَنْهَا، ثُمَّ قَرَأَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى الْيَهُودِ، بَأَنَّ الْمُحَصَّنَ وَالْمُحَصَّنَةَ إِذَا زَنِيَا، وَقَامَتْ عَلَيْهِمَا الْبَيِّنَةُ رَجْمًا، وَإِنْ كَانَتْ الْمَرْأَةُ حُبْلَى، انْتَهَرَ بِهَا حَتَّى تَضَعَ مَا فِي بَطْنِهَا، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالْيَهُودِيِّينَ فَرَجَمُوا، فَغَضِبَ الْيَهُودَ لِذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>، أَي: أَعْرَضَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ عَنِ الدَّاعِي ص مَعَ عِلْمِهِمْ وَمَعْرِفَتِهِمْ بِأَنَّهُ حَقٌّ، وَأَتَى بِثَمٍّ لِيُغَيِّدَ اسْتِبْعَادَ تَوَلِيهِمْ وَإِعْرَاضَهُمْ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّ الرَّجُوعَ إِلَيْهِ وَاجِبٌ، ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عَنِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ، يَعْنِي: وَالْحَالُ أَنَّهُمْ قَوْمٌ عَادَتْهُمْ الْإِعْرَاضُ.

(وقال أبو جعفر الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ وجماعة من المفسرين: إِنَّ امْرَأَةً مِنْ خَيْبَرَ ذَاتَ شَرَفٍ بَيْنَهُمْ زَنَتْ مَعَ رَجُلٍ مِنْ أَشْرَافِهِمْ، وَهُمَا مُحَصَّنَانِ، فَكْرَهُوا رَجْمَهُمَا، فَأَرْسَلُوا إِلَى يَهُودِ

(١) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: النسفي: ٢٤٥/١، جوامع الجامع: الطبرسي: ٢٧٤/١، تفسير الصّافي: الفيض الكاشاني: ٣٢٤/١ .

(٢) في الأصل: قرأ .

(٣) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٦٥/٢ .

المدينة، وكتبوا إليهم أن يسألوا النبي عن ذلك، طمعاً في أن يأتي لهم برخصة، فانطلق قوم منهم كعب بن الأشرف، وكعب بن أسيد، وشعبة بن عمرو، ومالك بن الصيف، وكنانة بن أبي الحقيق وغيرهم، فقالوا: يا محمد أخبرنا عن الزاني والزانية إذا أحصنا ما حدهما؟ فقال: وهل ترضون بقضائي في ذلك؟ قالوا: نعم، فنزل جبرائيل بالرجم فأخبرهم بذلك فأبوا أن يأخذوا به فقال جبرائيل: اجعل بينك وبينهم ابن سوريا ووصفه له، فقال النبي صلى الله عليه وآله: هل تعرفون شاباً أمرد أبيض أعور يسكن فدكاً يقال له: ابن سوريا؟ قالوا: نعم، قال فأبي رجل هو فيكم؟ قالوا: أعلم يهودي بقي على ظهر الأرض بما أنزل الله على موسى، قال: فأرسلوا إليه ففعلوا، فأتاهم عبد الله بن سوريا، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: إني أنشدك الله الذي لا إله إلا هو، الذي لا إله إلا هو أنزل التوراة على موسى، وقلق لكم البحر، وأنجأكم، وأغرق آل فرعون، وظلل عليكم العمام، وأنزل عليكم المن والسلوى، هل تجدون في كتابكم الرجم على من أحصن؟ قال ابن سوريا: نعم، والذي ذكرتني به لولا خشية أن يحرقني رب التوراة إن كذبت أو غيرت ما اعترفت لك، ولكن أخبرني كيف هي في كتابك يا محمد؟ قال: إذا شهد أربعة رهط عدول أنه قد أدخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه [٣٩] الرجم، فقال ابن سوريا: هكذا أنزل الله في التوراة على موسى، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: فما ذا كان أول ما ترخصتم به أمر الله ورَسُولِهِ؟ قال: كنا إذا زنى الشريف تركناه، وإذا زنى الضعيف أقمنا عليه الحد، فكثر الزنا في أشرافنا حتى زنى ابن عم ملك لنا فلم نرجمه، ثم زنى رجل آخر فأراد الملك رجمه، فقال له قومه: لا، حتى ترجم فلاناً - يعنون ابن عمه - فقلنا: تعالوا نجتمع فلنضع شيئاً دون الرجم، يكون على الشريف والوضيع، فوضعنا الجلد والتحميم، وهو أن يجلدا أربعين جلدة، ثم يسود وجههما ثم يحملان على حمارين، فيجعل وجهاهما من قبل دبر الحمار، ويطاف بهما، فجعلوا هذا مكان الرجم، فقالت اليهود لابن سوريا: ما أسرع ما أخبرته به! وما كنت لما أثنينا به عليك بأهل، ولكنك كنت غائباً فكرهنا أن نغتابك، فقال لهم: إنه أنشدني بالتوراة، ولولا ذلك لما أخبرته به، فأمر بهما النبي صلى الله عليه وآله وأله فرجما عند باب مسجده، وقال: أنا أول من أحيا أمرك إذا أماتوه، فأنزل الله سبحانه فيه: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾<sup>(١)</sup>، فقام ابن سوريا فوضع يديه على ركبتي

(١) سورة المائدة: الآية ١٥ .

رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثُمَّ قَالَ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِاللَّهِ وَبِكَ أَنْ تَذْكَرَ لَنَا الْكَثِيرَ الَّذِي أَمَرْتُ أَنْ تَعْفُو عَنْهُ، فَأَعْرَضَ النَّبِيُّ عَنْ ذَلِكَ، ثُمَّ سَأَلَهُ ابْنُ صُورِيَا عَنْ نَوْمِهِ، فَقَالَ: تَنَامُ عَيْنَايَ، وَلَا يَنَامُ قَلْبِي، فَقَالَ: صَدَقْتَ، فَأَخْبَرَنِي عَنْ شَبهِ الْوَلَدِ بِأَبِيهِ لَيْسَ فِيهِ مِنْ شَبهِ أُمِّهِ شَيْءٌ، أَوْ بِأُمِّهِ لَيْسَ فِيهِ مِنْ شَبهِ أَبِيهِ شَيْءٌ؟ فَقَالَ: أَيُّهُمَا عَلَا وَسَبَقَ مَأْوُهُ مَاءَ صَاحِبِهِ كَانَ الشَّبَهُ لَهُ، قَالَ: قَدْ صَدَقْتَ، فَأَخْبَرَنِي مَا لِلرَّجُلِ مِنَ الْوَلَدِ، وَمَا لِلْمَرْأَةِ مِنْهُ؟ - قَالَ - فَأُغْمِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ طَوِيلًا، ثُمَّ خَلِي عَنْهُ مُحَمَّرًا وَجْهَهُ يُفِيضُ عَرَقًا، فَقَالَ: اللَّحْمُ وَالِدَمُّ وَالظُّفْرُ وَالشَّعْرُ<sup>(١)</sup> لِلْمَرْأَةِ، وَالْعَظْمُ وَالْعَصَبُ وَالْعَرَقُ لِلرَّجُلِ، قَالَ لَهُ: صَدَقْتَ، أَمْرُكَ أَمْرُ نَبِيِّ، فَأَسْلَمَ ابْنُ صُورِيَا عِنْدَ ذَلِكَ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَنْ يَأْتِيكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ؟ قَالَ: جَبْرَائِيلُ، قَالَ: صِفْهُ لِي، فَوَصَفَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ فِي التَّوْرَةِ كَمَا قُلْتِ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، فَلَمَّا أَسْلَمَ ابْنُ صُورِيَا وَقَعَتْ فِيهِ الْيَهُودُ وَشَتَمُوهُ، فَلَمَّا أَرَادُوا أَنْ يَنْهَضُوا تَعَلَّقَتْ بَنُو فُرَيْظَةَ بِنْتِي النَّضِيرِ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ إِخْوَانُنَا بَنُو النَّضِيرِ، أَبُونَا وَاحِدٌ، وَدِينُنَا وَاحِدٌ، وَنَبِيِّنَا وَاحِدٌ، إِذَا قَتَلُوا مِنَّا قَتِيلًا لَمْ يَقْتُدُونَا، وَأَعْطُونَا دِينَهُ سَبْعِينَ وَسَقًا مِنْ تَمْرٍ، وَإِذَا قَتَلْنَا مِنْهُمْ قَتِيلًا قَتَلُوا الْقَاتِلَ، وَأَخَذُوا مِنَّا الضَّعْفَ مِائَةً وَأَرْبَعِينَ وَسَقًا مِنْ تَمْرٍ، وَإِنْ كَانَ الْقَتِيلُ امْرَأَةً قَتَلُوا بِهَا الرَّجُلَ مِنْهَا، وَبِالرَّجُلِ مِنْهُمْ الرَّجُلَيْنِ مِنْهَا، وَالْعَبِيدَ الْحُرَّ مِنْهَا، وَجِرَاحَاتُنَا عَلَى النِّصْفِ مِنْ جِرَاحَاتِهِمْ، فَأَقْضِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي الرَّجْمِ وَالْقِصَاصِ (الآيَاتِ)<sup>(٢)</sup>، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾<sup>(٣)</sup> (الآية، (أَي: يَقُولُ يَهُودُ خَيْبَرِ لِيَهُودِ الْمَدِينَةِ: إِنْ أُعْطِيتُمْ هَذَا أَي: إِنْ أَمْرُكُمْ مُحَمَّدٌ بِالْجُلْدِ [فَخُذُوهُ أَي: (٤) فَاقْبَلُوهُ، وَإِنْ لَمْ تَعْطُوهُ يَعْنِي الْجُلْدَ أَي: إِنْ أَقْتَاكُمْ مُحَمَّدٌ بِالرَّجْمِ فَاحْذَرُوهُ،] عَنِ الْحَسَنِ مَعْنَاهُ: (٥) إِنْ أُوتِيتُمْ الدِّيَةَ فَاقْبَلُوهُ، وَإِنْ أُوتِيتُمْ الْقَوْدَ فَلَا تَقْبَلُوهُ)<sup>(١)</sup>، وَيَجِيءُ فِي الْمَائِدَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

(١) فِي الْمَصْدَرِ: الشَّحْمُ، وَمَا أُثْبِتَ مِنَ الْأَصْلِ هُوَ الصَّوَابُ .

(٢) مَجْمَعُ الْبَيَانِ: الطَّبْرَسِيُّ: ٣/٣٣٣ - ٣٣٥ .

(٣) سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الْآيَةُ ٤١ .

(٤) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفِينَ لَيْسَ مِنَ الْمَصْدَرِ .

(٥) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفِينَ لَيْسَ مِنَ الْمَصْدَرِ .

قوله تعالى ﴿ذَلِكَ﴾ أي: شأنهم ذلك الإعراض والتولي عن الداعي صلى الله عليه وآله أو ذلك التولي والإعراض عن الداعي ثابت لهم ثم بين العلة في إعراضهم عنه صلى الله عليه وآله مع معرفتهم به، والسبب الذي جرّأهم على الإنكار فقال: ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ﴾ أي: لن تصيبنا نار جهنم، ﴿إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ أي: قلائل منقطعة غير دائمة، أو ذلك مبتدأ خبره قوله ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾ إلخ، والتقدير في ذلك التولي والإعراض؛ (بسبب تسهيلهم أمر العقاب على أنفسهم لهذا الاعتقاد الزائغ والطمع الفارغ)<sup>(٢)</sup>، وقال فيها قولين، أحدهما: أنها قدر (الأيام التي عبدوا فيها العجل وهي أربعون يوماً عن الربيع)<sup>(٣)</sup>، وقال الحسن سبعة أيام<sup>(٤)</sup>.

﴿وَعَرَّهْمُ فِي دِينِهِمْ﴾ أي: أطمعهم في دينهم غير مُطمع، ﴿مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي: افتراؤهم وكذبهم بأنهم أبناء الله وأحباؤه، وبأن النار لن تمسهم إلا أياماً قلائل، أو بأن آبائهم الأنبياء يشفعون لهم، أو أنه تعالى وعد يعقوب عليه السلام أن لا يعذب أولاده إلا تحلة القسم<sup>(٥)</sup>، مع أنه سبحانه يقول: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾<sup>(٦)</sup> الآيات.

وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، (استعظام لما يحق بهم في الآخرة، وتكذيب لقولهم [٤٠]: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾)<sup>(٧)</sup>، أي: فكيف يصنعون إذا جمعناهم أو فكيف حالهم في وقت جمعنا إياهم وحشرنا إياهم ليوم لا شك فيه، وفي تحققه عند العقل والنظر الأدلة العقلية والسمعية، و(روي: أن أول راية ترفع يوم القيامة من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله تعالى على رؤوس الأشهاد ثم يأمر بهم إلى النار ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾)<sup>(٨)</sup>، أي: جزاء ما اكسبه من الأعمال إن خيراً فخير

(١) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٣٦/٣ .

(٢) أنوار التنزيل: البيضاوي: ١١/٢، زبدة التفاسير: فتح الله الكاشاني: ٤٦٦/١ .

(٣) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٦٦/٢ .

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢٦٦/٢ .

(٥) أنوار التنزيل: البيضاوي: ١١/٢، زبدة التفاسير: فتح الله الكاشاني: ٤٦٦/١ .

(٦) سورة المؤمنون: الآية ١٠١ .

(٧) أنوار التنزيل: البيضاوي: ١١/٢، زبدة التفاسير: فتح الله الكاشاني: ٤٦٦/١ .

(٨) المصدر نفسه: ١١/٢، تفسير أبي السعود: أبو السعود: ٢١/٢، التفسير الصافي: الفيض الكاشاني: ٣٢٤/١ .

وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ، (وفيه دليلة على أن العبادة لا تحبط)<sup>(١)</sup>، ولقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾<sup>(٢)</sup>، وأن المؤمن لا يخلد في النار؛ لأن توفية إيمانه وعمله لا تكون في النار ولا قبل دخولها، فإذن هي بعد الخلاص منها ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، والضمير يرجع إلى كُلِّ نَفْسٍ على المعنى؛ لأنه في معنى كلِّ الناس أو كل إنسان<sup>(٤)</sup>، أي: وهم (لا ينقصون عما استحقوه من الثواب، ولا يزدادون عما استحقوه من العقاب)<sup>(٥)</sup>.

قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ \* تُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَزُرُّقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾<sup>(٦)</sup> آيتان.

القراءة:

(قرأ ابن كثير<sup>(٧)</sup> وابن عامر وأبو عمرو وأبو بكر ﴿الْمَيِّتِ﴾ بالتخفيف)<sup>(٨)</sup>، وقرأ نافع وحَمْزَةُ والكسائي وحَفْصٌ<sup>(٩)</sup> وَيَعْقُوبُ بالتشديد<sup>(١٠)</sup>، (قال المُبَرِّد: لا خلاف بين علماء البصرة أنَّهما<sup>(١١)</sup> سواءً)<sup>(١)</sup>، وَأَنْشَدَ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

(١) زبدة التفاسير: فتح الله الكاشاني: ٤٦٦/١ .

(٢) سورة الزلزلة: الآية ٧ - ٨ .

(٣) أنوار التنزيل: البيضاوي: ١١/٢، تفسير أبي السعود: أبو السعود: ٢١/٢ .

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ١١/٢ .

(٥) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٦٧/٢ .

(٦) سورة آل عمران: الآية ٢٦ - ٢٧ .

(٧) (وهو أبو معبد، وقيل أبو عبَّاد، وقيل أبو بكر، عبد الله بن كثير المكي الدَّاري، والدار بطن من لحم، وهو مولى عمرو بن علقمة الكناني...ومات بمكة سنة عشرين ومائة، وكان ورعاً زاهداً، وأجمع أهل مكة على قراءته بعد وفاة مجاهد بن جبر سنة ثلاث ومائة)، طبقات القرآن السبعة: ابن السَّلَّار: ٦٥/١ .

(٨) أنوار التنزيل: البيضاوي: ١٢/٢ .

(٩) (هو حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي الكوفي البزاز، ثاني رواة عاصم، قال أبو هشام الرفاعي: كان حفص أعلمهم بقراءة عاصم، وكان الأولون يعدونه في الحفظ فوق أبي بكر بن عياش، توفي سنة ١٨٠هـ)، الحجة للقراء السبعة: أبو علي الفارسي: ١٧٧/١ .

(١٠) ينظر: تفسير السمرقندي: السمرقندي: ٢٣٠/١، الكشف والبيان: الثعلبي: ٢٣٤/٨ .

(١١) في الأصل: أنَّ القراءتين .

إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَيِّتٌ الْأَحْيَاءُ  
إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَنْ يَعْيشُ كَثِيباً  
كَاسِفاً بَالُهُ، قَلِيلَ الرَّجَاءِ<sup>(٢)</sup>.

فجمع بين اللغتين، وَمَنْ مَاتَ وَمَنْ لَمْ يَمُتْ، في هذا الباب مستويان في الاستعمال، وقال بعضهم الميِّت بالتشديد الذي لم يَمُتْ بَعْدُ وبالتخفيف الذي قد مات كقوله:  
(وَمَنْهَلٍ فِيهِ الْغُرَابُ مَيِّتٌ سَقَيْتُ مِنْهُ الْقَوْمَ وَاسْتَقَيْتُ)<sup>(٣)</sup>.  
فهذا قد مات والصحيح الأول.

### اللغة:

النزع قَلْعُ الشَّيْءِ، والنزاع: الحنين إلى الشيء، والنزوع عن الشيء تركه<sup>(٤)</sup>، والولوج الدخول، (والإيلاج: الإدخال، يقال: أَوْلَجَهُ فَوَلَجَ وَوَلَجًا وَوَلَجًا وَلِجَةً، [والوَلِجَةُ: الدَّخِيلَةُ]<sup>(٥)</sup>، والوليجة: بطانة الرجل؛ لأنه يطلعه على دخلة أمره)<sup>(٦)</sup>، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٧)</sup>، (والتَّوَلَّجُ: كِنَاسُ الظَّنِّي)<sup>(٨)</sup>.

### الإعراب:

﴿اللَّهُمَّ﴾ مُنَادَى مُفْرَدٌ مَعْرِفَةٌ أَصْلُهُ يَا اللَّهُ، فَحُذِفَ حَرْفُ النِّدَاءِ وَعَوِّضَ عَنْهُ الْمِيمُ الْمُشَدَّدَةُ عِنْدَ الْخَلِيلِ وَسِيبِيهِ، وَلِذَا لَا يَجْتَمِعَانِ إِلَّا فِي ضَرُورَةٍ شِعْرِيَّةٍ كَقَوْلِهِ:  
(إِنِّي إِذَا مَا حَدَّثْتُ أَلْمًا دَعَوْتُ يَا اللَّهُمَّ يَا اللَّهُمَّا)<sup>(٩)</sup>.

(١) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٦٨/٢.

(٢) وينسب هذين البيتين للشاعر عدي بن الرِّعَاءِ الغساني، الأصمعيات: الأصمعي: ١٥٢.

(٣) وينسب هذا البيت للشاعر (أبو محمد عبد الله بن ربيعي الفقعسي الحذلمي)، سمط اللالي: أبو عبيد البكري: ٦٥٢/١، وأصله:

(وَمَنْهَلٍ فِيهِ الْغُرَابُ مَيِّتٌ كَأَنَّهُ مِنَ الْأَجُونِ زَيْتٌ  
سَقَيْتُ مِنْهُ الْقَوْمَ وَاسْتَقَيْتُ وَلِيْلَةً ذَاتَ نَدَى سَرِيَّتِ).

(٤) ينظر: العين: الفراهيدي: ٣٥٨/١، مادة نزع.

(٥) ما بين المعقوفين ليس من المصدر.

(٦) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٦٨/٢، منقول بتصريف من كتاب العين: للفراهيدي: ١٨٢/٦.

(٧) سورة التوبة: الآية ١٦.

(٨) لسان العرب: ابن منظور: ٢١٩/٢، مادة ولج.

(٩) ينسب هذا البيت لأمية بن أبي الصلت، قال البغدادي (وهذا البيت أيضا من الأبيات المتداولة في كتب العربية ولا يعرف قائله ولا بقیته، وزعم العيني أنه لأبي خراش الهذلي، قال: وقبله: وهذا خطأ فإن هذا البيت الذي زعم أنه قبله بيت

وَقَالَ الْفَرَّاءُ وَسَائِرُ الْكُوفِيِّينَ: (أَصْلُهُ يَا اللَّهُ أَمَّا بِالْخَيْرِ) <sup>(١)</sup>، فَخُفِّفَ بِحَذْفِ حَرْفِ النِّدَاءِ مِنْ غَيْرِ تَعْرِيبٍ وَمُتَعَلِّقَاتِ الْفِعْلِ وَهَمَزَتِهِ <sup>(٢)</sup>.

يُسْتَعْمَلُ اللَّهُمَّ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ:

ويُسْتَعْمَلُ اللَّهُمَّ عَلَى ثَلَاثَةِ أَنْحَاءٍ أَحَدُهَا النِّدَاءُ وَالِدُعَاءُ الْمَحْضُ نَحْوُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا، الثَّانِي تَمْكِينُ الْجَوَابِ وَتَوْكِيدُهُ، تَقُولُ: أَرَيْدُ قَامَ؟ فَيَقَالُ: اللَّهُمَّ نَعَمْ أَوْ اللَّهُمَّ لَا، الثَّلَاثُ اسْتِعْمَالُهُ دَلِيلًا عَلَى النُّدْرَةِ وَقِلَّةِ وَفُوعِ الْمَذْكُورِ كَقَوْلِهِمْ: مَنْ قَتَلَ عُدُونًا وَجَبَ عَلَيْهِ الْقِصَاصُ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ أَبَاهُ، وَقَوْلُهُ: مَالِكُ الْمَلِكِ مُنَادَى آخَرَ مُضَافًا عِنْدَ جُمْهُورِ النُّحَاةِ؛ لِأَنَّ الْمِيمَ فِي آخِرِ الْجَلَالَةِ تَمْنَعُ الْوَصْفِيَّةَ، وَقَالَ الرَّجَّاحُ: وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَالِكُ الْمَلِكِ صِفَةً لِقَوْلِهِ: اللَّهُمَّ؛ لِأَنَّ اللَّهُمَّ بِمَنْزِلَةِ يَا اللَّهُ <sup>(٣)</sup>، فَيَكُونُ مِثْلَ: (يَا زَيْدُ ذَا الْجِمَّةِ) <sup>(٤)</sup>، وَجُمْلَةٌ ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ﴾ إِخ، حَالٍ مِنْ ﴿اللَّهُمَّ﴾، أَوْ ﴿مَالِكِ الْمَلِكِ﴾، وَالْعَامِلُ فِي الْحَالِ حَرْفُ النِّدَاءِ الْمَحْذُوفِ، وَ﴿الْمُلْكَ﴾ مَفْعُولٌ ثَانٍ لِـ ﴿تُؤْتِي﴾، وَ﴿مَنْ تَشَاءُ﴾ مَفْعُولُهُ الْأَوَّلُ، وَمَفْعُولُ ﴿تَشَاءُ﴾ فِي الْمَوَاضِعِ الْخَمْسَةِ مَحْذُوفٌ بِدَلَالَةِ سَابِقِهِ، وَالتَّقْدِيرُ ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ أَنْ تُؤْتِيَهُ، ﴿وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ أَنْ تَنْزِعَ مِنْهُ، ﴿وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ أَنْ تُعِزَّهُ، أَي: إِعْزَارَهُ، ﴿وَتُذَلِّلُ مَنْ تَشَاءُ﴾ أَنْ تُذَلِّلَهُ، أَي: إِذْلَالَهُ، ﴿وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ﴾ أَنْ تَرْزُقَهُ أَوْ مَنْ تَشَاءُ، إِخ، وَجُمْلَةٌ ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ مِنْ الْمَبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ حَالٌ مِنْ فَاعِلِ ﴿تُؤْتِي﴾ وَتَنْزِعُ .

ذكر فضل آية الملك:

فضل الآية قد مرّ في أوّل سورة البقرة، وفي آية الكرسي، وفي آخر البقرة، وفي آية ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ <sup>(٥)</sup> أَيْضًا الْأَخْبَارَ الْوَارِدَةَ فِي الْكَافِي وَغَيْرِهِ فِي فَضْلِهَا.

مُفْرَدٌ لَا قَرِينَ لَهُ وَلَيْسَ هُوَ لِأَبِي خِرَاشٍ وَإِنَّمَا هُوَ لِأُمِيَّةِ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ قَالَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ وَقَدْ أَخَذَهُ أَبُو خِرَاشٍ وَضَمَّهُ إِلَى بَيْتِ آخَرَ وَكَانَ يَقُولُهُمَا وَهُوَ يَسْعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ وَهَمَا: لَاهِمُ هَذَا خَامِسٌ إِنْ تَمَّ، أْتَمَّهُ اللَّهُ وَقَدْ أْتَمَّ، إِنْ تَغْفَرَ اللَّهُ تَغْفِرَ جَمًّا، إِخ)، خزانة الأدب: ٢/٢٩٥ .

(١) شرح الرضي على الكافية: رضي الدين الأسترآبادي: ٣٨٤/١ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٣٨٤/١، التسهيل لعلوم التنزيل: ابن جرّي الكلبّي: ١٤٨/١، زبدة التفسير: فتح الله الكاشاني: ٤٦٧/١ .

(٣) ينظر: معاني القرآن: الرَّجَّاحُ: ٣٩٤/١ .

(٤) الكتاب: سيبويه: ١٨٤/٢ .

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٨، قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ .



وَقَالَ فِي الْمَجْمَعِ: "رَوَى جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ آبَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَنْزِلَ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ، وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ، وَشَهِدَ اللَّهُ، ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ - إِلَى قَوْلِهِ - وَتَرزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، تَعَلَّقَنَ بِالْعَرْشِ، وَلَيْسَ بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ، وَقُلْنَ: يَا رَبَّنَا! <sup>(١)</sup> تَهْبِطُنَا إِلَى دَارِ الذُّنُوبِ، وَإِلَى مَنْ يَعَصِيكَ، وَنَحْنُ مَعْلَقَاتُ بِالطُّهُورِ وَالْقُدُسِ؟!، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي مَا مِنْ عَبْدٍ قَرَأَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ إِلَّا أَسْكَنْتُهُ حَظِيرَةَ الْقُدُسِ عَلَى مَا كَانَ فِيهِ، وَإِلَّا نَظَرْتُ إِلَيْهِ بَعِينِي الْمَكْنُونَةَ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ نَظْرَةً، وَإِلَّا [٤١] قَضَيْتُ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ حَاجَةً أَدْنَاهَا الْمَغْفِرَةُ، وَإِلَّا أَعَدْتُهُ مِنْ كُلِّ عَدُوٍّ وَنَصْرْتُهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَمْنَعُهُ دُخُولُ الْجَنَّةِ إِلَّا الْمَوْتُ" <sup>(٢)</sup>، وَقَالَ مَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: "اِحْتَبَسْتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا لَمْ أَصِلْ مَعَهُ الْجُمُعَةَ، فَقَالَ: يَا مَعَاذُ مَا مَنَعَكَ مِنْ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَانَ لِيُوحِنَا [بِنِ مَارِيَا] <sup>(٣)</sup> الْيَهُودِيَّ عَلَيَّ أَوْقِيَّةً مِنْ تَبَرٍّ، وَكَانَ عَلَى بَابِي يَرِضُدُنِي، فَأَشْفَقْتُ أَنْ يَحْبِسَنِي دُونَكَ، [وَيَشْغَلَنِي عَنْ ضَيْعَتِي] <sup>(٤)</sup>، قَالَ يَا مَعَاذُ: أَتُحِبُّ أَنْ يَقْضِيَ اللَّهُ دَيْنَكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ﴿إِلَى قَوْلِهِ: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، يَا رَحْمَنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَرَحِيمَهُمَا، تُعْطَى مِنْهُمَا مَا تَشَاءُ، وَتَمْنَعُ مِنْهُمَا مَا تَشَاءُ، أَقْضِ عَنِّي دَيْنِي، فَلَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا لَأَدَّاهُ اللَّهُ عَنْكَ" <sup>(٥)</sup>، عَنْ "أَسْمَاءِ بِنْتِ زَيْدٍ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: إِسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾" <sup>(٦)</sup> .

### النُّزُولُ:

فِي الْمَجْمَعِ (قِيلَ): لَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ، وَوَعَدَ أُمَّتَهُ مُلْكَ فَارِسَ وَالرُّومِ، قَالَ الْمُنَافِقُونَ وَالْيَهُودُ: هَيْهَاتَ مِنْ أَيْنَ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مُلْكُ فَارِسَ وَالرُّومِ؟ أَلَمْ يَكْفِهِ وَالْمَدِينَةُ وَمَكَّةُ حَتَّى طَمَعَ فِي الرُّومِ وَفَارِسَ؟ وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، عَنِ

(١) فِي الْمَصْدَرِ: رَبٌّ .

(٢) مَجْمَعُ الْبَيَانِ: الطَّبْرَسِيُّ: ٢٦٧/٢ .

(٣) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفِينَ لَيْسَ مِنَ الْأَصْلِ .

(٤) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفِينَ لَيْسَ مِنَ الْأَصْلِ .

(٥) مَسْنَدُ الشَّامِيِّينَ: الطَّبْرَانِيُّ: ٣/٣١٩ - ٣٢٠/٣٢٠ ح ٢٣٩٨، حَلِيَّةُ الْأَوْلِيَاءِ: أَبُو نَعِيمٍ الْأَصْبَهَانِيُّ: ٥/٢٠٤ .

(٦) مَهْجُ الدَّعَوَاتِ: ابْنُ طَاوُوسٍ: ٣١٧ .

ابن عباس، وأنس بن مالك، وقيل: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خط الخندق [عام] (١) الأخراب، وقطع لكل عشرة أربعين ذراعاً، فاحتج المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي، وكان رجلاً قوياً، فقال المهاجرون: سلمان منا، وقال الأنصار: سلمان منا، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: سلمان منا أهل البيت، قال عمرو بن عوف: كنت أنا وسلمان، وحديفة والنعمان بن مقرن المزي، وستة من الأنصار في أربعين ذراعاً، فحفرنا حتى إذا كنا بجب ذي ناب، أخرج الله من بطن الخندق صخرة مروة كسرت حديدنا وشقت علينا، فقلنا: يا سلمان، ارق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأخبره خبر هذه الصخرة، فإما أن نعدل عنها، فإن المعدل قريب، وإما أن يأمرنا فيها بأمره (٢)، فإننا لا نحب أن نجاوز خطه، قال: فرقي سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو ضارب عليه فبه تركية، [فقال] (٣): يا رسول الله خرجت صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق، فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يحك فيها قليل ولا كثير، فمُرنا فيها بأمرك، فإننا لا نحب أن نجاوز خطك، قال: فهبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع سلمان الخندق، والتسعة على شفة الخندق، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المعول من يد سلمان، فضربها به ضربة صدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لأبتيها، حتى كان لكان مصباحاً في جوف ليل مظلم! فكبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تكبيرة فتح، وكبر المسلمون، ثم ضربها رسول الله الثانية [فكسرها] (٤)، وبرق منها برق أضاء ما بين لأبتيها، حتى لكان مصباحاً في

(١) في الأصل: في يوم .

(٢) ومنه في حاشية الأصل: (وقد مر في سورة البقرة في تفسير قوله تعالى: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ﴾ الآية، عن (علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه، رفعه إلى أبي عبد الله، قال: كان الأكل محرماً في شهر رمضان بالليل بعد النوم، وكان النكاح حراماً بالليل والنهار في شهر رمضان، وكان رجل من أصحاب رسول الله يقال له مطعم بن جبير، أخو عبد الله بن جبير، الذي كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكله بعم الشعب يوم أحد في خمسين من الرماة، وفارقه أصحابه، وبقي في اثني عشر رجلاً فقتل على باب الشعب، وكان أخوه هذا مطعم بن جبير شيخاً ضعيفاً، وكان صائماً، فأبطأت عليه أهله بالطعام، فنام قبل أن يفطر، فلما انتبه قال لأهله: قد حرم علي الأكل في هذه الليلة، فلما أصبح حضر حفر الخندق فأغمي عليه، فراه رسول الله، فرق له، وكان قوم من الشباب ينكحون بالليل سراً في شهر رمضان، فأنزل الله عز وجل هذه الآية ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ﴾ الآية فأحل النكاح بالليل في شهر رمضان والأكل بعد النوم إلى طلوع الفجر) (\*) (إلى آخر ما مر)، مجمع البيان: الطبرسي: ٢١/٢ .

(٣) في الأصل: قال سلمان: فقلت .

(٤) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

جَوْفٍ لَيْلٍ مُظْلِمٍ! فَكَبَّرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَكْبِيرَ فَتْحٍ، وَكَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ، ثُمَّ ضَرَبَهَا رَسُولَ اللَّهِ الثَّلَاثَةَ، فَكَسَرَهَا، فَبَرَقَ مِنْهَا بَرَقٌ أَضَاءَ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا، حَتَّى لَكَانَ مِصْبَاحًا فِي جَوْفِ [لَيْلٍ] (١) مُظْلِمٍ! فَكَبَّرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَكْبِيرَةَ فَتْحٍ، وَكَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ، وَأَخَذَ بِيَدِ سَلْمَانَ وَرَقِيٍّ، فَقَالَ سَلْمَانُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ رَأَيْتُ شَيْئًا مَا رَأَيْتُ مِنْكَ قَطُّ! فَالْتَقَتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْقَوْمِ وَقَالَ: رَأَيْتُمْ مَا يَفْعُلُ سَلْمَانُ؟ قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: ضَرَبْتُ ضَرْبَتِي الْأُولَى فَبَرَقَ الَّذِي رَأَيْتُمْ، أَضَاءَتْ لِي مِنْهَا قُصُورُ الْحِيرَةِ وَمَدَائِنُ كِسْرَى، كَأَنَّهَا أَنْيَابُ الْكِلَابِ، فَأَخْبَرَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّ أُمَّتِي ظَاهِرَةٌ عَلَيْهَا، ثُمَّ ضَرَبْتُ ضَرْبَتِي الثَّانِيَةَ فَبَرَقَ الَّذِي رَأَيْتُمْ، أَضَاءَتْ لِي مِنْهَا قُصُورُ الْحَمْرُ مِنْ أَرْضِ الرُّومِ، كَأَنَّهَا أَنْيَابُ الْكِلَابِ، وَأَخْبَرَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ أُمَّتِي ظَاهِرَةٌ عَلَيْهَا، ثُمَّ ضَرَبْتُ ضَرْبَتِي الثَّلَاثَةَ، فَبَرَقَ الَّذِي رَأَيْتُمْ، أَضَاءَتْ لِي مِنْهَا قُصُورُ صَنْعَاءَ كَأَنَّهَا أَنْيَابُ الْكِلَابِ، وَأَخْبَرَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ أُمَّتِي ظَاهِرَةٌ عَلَيْهَا، فَأَبَشِرُوا، فَاسْتَبَشَرَ الْمُسْلِمُونَ وَقَالُوا: الْحَمْدُ لِلَّهِ، مَوْعِدُ صِدْقٍ، وَعَدْنَا النَّصْرَ بَعْدَ الْحَصْرِ، فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ: أَلَا تَعْجَبُونَ يُمَيِّنُكُمْ وَيَعِدُكُمْ الْبَاطِلَ، وَيُخْبِرُكُمْ أَنَّهُ يُبْصِرُ مِنْ يَثْرِبَ قُصُورَ الْحِيرَةِ وَمَدَائِنَ كِسْرَى، وَأَنَّهَا تُفْتَحُ لَكُمْ، وَأَنْتُمْ إِنَّمَا تَخْفَرُونَ الْخَنْدَقَ مِنَ الْفَرَقِ، وَلَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَبْرُزُوا؟! فَتَزَلَّ الْقُرْآنُ: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (٢)، وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ﴾ الْآيَةَ، رَوَاهُ النَّعْلَبِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ (٣).

المعنى:

لَمَّا ذَكَرَ سُبْحَانَهُ مَقَالَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُنَافِقِينَ وَمَكَائِدَهُمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَّمَ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَيْفَ يُحَاجَّهُمْ، وَكَيْفَ يُجِيبُهُمْ إِذَا سَأَلُوا وَأَطَالُوا أَمْرًا فَقَالَ: ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿اللَّهُمَّ﴾، أَي: يَا اللَّهُ، ﴿مَالِكِ الْمُلْكِ﴾، أَي: تَمْتَلِكُ جِنْسَ الْمُلْكِ أَنْتَ (مَالِكِ كُلِّ مَلِكٍ [وَكُلِّ] (٤) مَلِكٍ، فَكُلُّ مَالِكٍ دُونَكَ هَالِكٌ، وَكُلُّ مَلِكٍ [٤٢] دُونَكَ

(١) في الأصل: بيت .

(٢) سورة الأحزاب: الآية ١٢ .

(٣) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٦٩/٢ - ٢٧٠ .

(٤) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

يَهْلِك<sup>(١)</sup>، أو مَالِكِ الْعِبَادِ وَمَا مَلَكُوهُ تَتَصَرَّفُ فِيهِ كَمَا يَتَصَرَّفُ الْمَلِكُ فِيمَا يَمْلِكُونَهُ، أو يَا مَالِكِ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ<sup>(٢)</sup>، أو مَالِكِ النَّبُوَّةِ وَالْإِمَامَةِ، وَمَالِكِ الرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ، ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾، أي: تُعْطِيهِ مَنْ تَشَاءُ أَنْ تُؤْتِيَهُ عَلَ مَا تُوْجِبُهُ الْحِكْمَةُ وَالْمَصْلَحَةُ، ﴿وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾، أَنْ تَنْزِعَهُ مِنْهُ عَلَ مَا تُوْجِبُهُ الْمَصْلَحَةُ وَالْحِكْمَةُ فَالْمُلْكُ الْأَوَّلُ عَامٌّ، وَالْآخِرَانِ خَاصَّانِ بَعْضَانِ مِنْهُ.

وفي المجمع (اختلف في معناه فقيل: تُؤْتِي الْمُلْكَ وَأَسْبَابُ الدُّنْيَا مُحَمَّداً وَأَصْحَابَهُ وَأُمَّتَهُ، وَتَنْزِعُهُ عَنِ صَنَادِيدِ فُرَيْشٍ، وَمِنَ الرُّومِ وَفَارِسٍ، فَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ [حَتَّى] <sup>(٣)</sup> يَفْتَحُهَا أَهْلُ الْإِسْلَامِ، عَنِ الْكَلْبِيِّ، وَقِيلَ: تُؤْتِي النَّبُوَّةَ وَالْإِمَامَةَ مَنْ تَشَاءُ مِنْ عِبَادِكَ، وَتُوَلِّيهِ النَّصْرَ فِي خَلْقِكَ وَبِلَادِكَ، وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ عَلَ هَذَا الْوَجْهِ مِنَ الْجَبَّارِينَ بِقَهْرِهِمْ، وَإِزَالَةَ أَيْدِيهِمْ، فَإِنَّ الْكَافِرَ وَالْفَاسِقَ وَإِنْ غَلَبَ أَوْ مَلَكَ فَلَيْسَ [ذَلِكَ] <sup>(٤)</sup> بِمَلَكَ يُؤْتِيهِ اللَّهُ تَعَالَى لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ <sup>(٥)</sup>، وَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ مِنْ إِيْتَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَقَدْ أَمَرَ [وَأَخْبَرَ] <sup>(٦)</sup> بِقَصْرِ يَدِهِ عَنْهُ، وَإِزَالَةِ مُلْكِهِ <sup>(٧)</sup>، وَسَيَجِيءُ فِي التَّنْبِيهِ الْآتِي تَحْقِيقُ الْمَقَامِ.

﴿وَتُعْزُ مَنْ تَشَاءُ﴾، أَنْ تُعْزَهُ بِالْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ وَاسْتِحْقَاقِ النَّبُوَّةِ وَالْإِمَامَةِ؛ لِأَنَّكَ تَعْلَمُ حَيْثُ تَجْعَلُ رِسَالَتَكَ لَا غَيْرُكَ.

﴿وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾، أَنْ تُذِلَّهُ بِالْكَفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ وَالْبَغْيِ وَالْحَسَدِ عَلَ النَّاسِ (وَقِيلَ: تُعْزُ الْمُؤْمِنَ بِتَعْظِيمِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، وَتُذِلُّ الْكَافِرَ بِالْجَزِيَّةِ وَالسَّبْيِ، وَقِيلَ: تُعْزُ مُحَمَّداً وَأَصْحَابَهُ، وَتُذِلُّ أَبَا جَهْلٍ [وَأَضْرَابَهُ] <sup>(٨)</sup> مِنَ الْمَقْتُولِينَ يَوْمَ بَدْرٍ فِي الْقَلْبِ، وَقِيلَ: تُعْزُ مَنْ تَشَاءُ مِنَ أَوْلِيَائِكَ بِأَنْوَاعِ الْعِزَّةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ مِنْ أَعْدَائِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ لِأَنَّهُ

(١) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٧٠/٢ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢٧٠/٢ .

(٣) في الأصل: إلّا .

(٤) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٥) سورة البقرة: الآية ١٢٤ .

(٦) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٧) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٧١/٢ .

(٨) في الأصل: وأحزابه .

سُبْحَانَهُ<sup>(١)</sup> لَا يُذِلُّ أَوْلِيَاءَهُ وَإِنْ أَفْقَرَهُمْ وَابْتَلَاهُمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ عَلَى سَبِيلِ الْإِذْلَالِ، بَلْ لِيُكْرِمَهُمْ بِذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ، وَيُعِزَّهُمْ وَيَجْلِّهُمْ غَايَةَ الْإِعْزَازِ وَالْإِجْلَالِ<sup>(٢)</sup>.

﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾، (تَوْتِيهِ أَوْلِيَاءَكَ عَلَى رَغَمٍ مِنْ أَعْدَائِكَ)<sup>(٣)</sup>، فاللام للجنس، يعني: أَنَّ الْخَيْرَ كُلَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ قِبَلِكَ.

### نكت ذكر الخير فقط دون الشر:

وَأَمَّا ذَكَرَ الْخَيْرَ فَقَطْ وَلَمْ يَقُلْ بِبَيْدِكَ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ لَوْجُوهٍ: أَحَدُهَا أَنَّ (الآيَةَ تَضَمَّنَتْ إِجَابَ الرِّغْبَةِ إِلَى الْخَيْرِ)<sup>(٤)</sup> فَلَا يَحْسُنُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ إِلَّا ذَكَرَ الْخَيْرَ؛ لِأَنَّ التَّرْغِيبَ لَا يَحْسُنُ<sup>(٥)</sup> إِلَّا فِي الْخَيْرِ<sup>(٦)</sup>. وَثَانِيهَا لِمُرَاعَاةِ الْأَدَبِ فِي الْخِطَابِ.

وَتَالِيَتُهَا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يُوجَدُ الْخَيْرَ وَيَرْضَى بِهِ وَيَرْضَى أَنْ يَفْعَلَهُ الْعِبَادُ بِخِلَافِ الشَّرِّ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَإِنْ كَانَ قَادِرًا عَلَيْهِ وَيَقْدِرُهُ وَيَهَيِّئُ الْعَبْدَ لَهُمَا بِإِعْطَاءِ أَسْبَابِهِمَا لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الدُّعَاءِ: "يَا مَنْ قَدَّرَ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ"<sup>(٧)</sup>، وَلِقَوْلِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "لَا يَكُونُ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ إِلَّا بِهِذِهِ الْخِصَالِ السَّبْعِ بِمَشِيئَةٍ وَإِرَادَةٍ وَقَدَرٍ وَقَضَاءٍ وَإِذْنٍ وَكِتَابٍ وَأَجَلٍ فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى نَقْضِ وَاحِدَةٍ فَقَدْ كَفَرَ"<sup>(٨)</sup> الحديث، لَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يُوجَدُ الشَّرُّ وَلَا يَرْضَى بِهِ، وَلَا يَأْمُرُ عِبَادَهُ بِهِ، وَلِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ﴾<sup>(٩)</sup>، وَمِنْهُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الدُّعَاءِ: "وَالْخَيْرُ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ"<sup>(١٠)</sup>، لِأَنَّ الشَّرَّ قَبِيحٌ لَا يَصْدُرُ مِنْهُ تَعَالَى، وَلَا يَرْضَى بِهِ، وَلَا يَصْدُرُ مِنَ الْخَيْرِ الْمَحْضِ الْحَكِيمِ الْعَالِمِ بِحَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ إِلَّا خَيْرٌ

(١) في المصدر: لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى .

(٢) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٧١/٢ .

(٣) جوامع الجامع: الطبرسي: ٢٧٥/١، التفسير الصافي: الفيض الكاشاني: ٣٢٤/١ .

(٤) في المصدر: إِلَيْهِ.

(٥) في المصدر: يَكُونُ.

(٦) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٧١/٢ .

(٧) المصباح: إبراهيم الكفعمي: ٢٥٥، بحار الأنوار: المجلسي: ٣٩٢/٩١، من دعاء الجوشن الكبير المروي عن النبي(ص) وفائدته وثواب من قرأه.

(٨) مرآة العقول: المجلسي: ١٤٩/٢ .

(٩) سورة الزمر: الآية ٧ .

(١٠) بحار الأنوار: المجلسي: ٢٠٦/٨١ .

فقط، ولا ينافي ذلك قولهم عليهم السلام في الأدعية: يا مقدر الخير والشرِّ، (ويا من قدر الخير والشرِّ) (١)، وقوله تعالى: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (٢)؛ لأنَّ معناه: اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ خَلْقَ تقديرٍ لا خَلْقَ تكوينٍ كما نَصُّوا عليهم السلام بذلك في أخبارهم من (خَلَقْتُ الأديمَ إذا قَدَرْتَهُ) (٣) لِلْقَطْعِ، وَالشَّرُّ الَّذِي يَصْدُرُ مِنَ الْعَبْدِ ففَاعِلُهُ الْعَبْدُ نَفْسُهُ وبِاخْتِيَارِهِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ شَاءَ وَأَرَادَ وَقَدَرَ وَقَضَى وَأَذِنَ مَشِيئَةً عَزَمَ، وَإِرَادَةً عَزَمَ، وَقَضَاءً عَزَمَ لا حَتْمَ؛ بِاعْتِبَارِ إِيجَادِ الأسبابِ والآلاتِ المحتاجِ إليها في التَّكْلِيفِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ (أزاح العِللِ في التَّكْلِيفِ، وَسَوَى التَّوْفِيقِ بَيْنَ الضَّعِيفِ وَالشَّرِيفِ، مَكَّنَ أَدَاءَ المَأْمُورِ، وَسَهَّلَ سَبِيلَ اجْتِنَابِ المَخْطُورِ) (٤)، وَإِلَّا لَبَطَلَ التَّكْلِيفُ فَلَمْ يَخْلُقِ العِبَادَ لِيَفْعَلُوا الشَّرَّ وَلَمْ يَأْمُرْهُمْ بِفِعْلِهِ بَلْ خَلَقَهُمْ لِيَفْعَلُوا الخَيْرَ وَأَمَرَهُمْ بِهِ، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥)، لَكِنَّهُمْ يَفْعَلُونَ الشَّرَّ وَيَرْتَكِبُونَ سُوءَ اخْتِيَارِهِمْ وَإِلَّا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ سُبْحَانَهُ ظَلَامًا مَعَ أَنَّهُ تَعَالَى ﴿لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ (٦)، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (٧)، كما قاله سبحانه وهو أَصْدَقُ القائلين، فيحتاج توضيح ذلك إلى بيان المذاهب في أفعال العباد الاختيارية ليظهر لك ما هو الحق منها.

#### ذكر المذاهب الخمسة في أفعال العباد الاختيارية:

إِغْلَمَ أَنَّ المذاهبَ في الأفعال الاختيارية للعباد خمسة، ثلاثة منها جبرٌ وواحدٌ منها تفويضٌ، وهذه الأربعة باطلة، وواحدٌ منها أمر بين الأمرين وهو الحق الصحيح.

أما الثلاثة الجبرية فأولها مذهبُ جهم بن صفوان الترمذي (٨) ومن تبعه، وهو أنه لا فرق بين نحو حركة المشي ونحو حركة المرتعش في أنهما صادران عن الله تعالى غير مجامعين لقدرة العبد وأنه لا يستحق العباد عليهما مدحاً ولا ذمّاً عقلاً، وهو غلوٌ في الجبر ومعلومُ البطلان ضرورةً.

(١) المصباح: إبراهيم الكفعمي: ٢٥٥ .

(٢) سورة الأنعام: الآية: ١٠٢، سورة الرعد: الآية ١٦، سورة الزمر: الآية ٦٢، سورة غافر: الآية ٦٢ .

(٣) الصحاح: الجوهري: ١٤٧٠/٤، مادة خلق، وانظر: مقاييس اللغة: ابن فارس: ٢١٣/٢، مادة خلق .

(٤) مفتاح الجنان: المجلسي: ٤٢٣، من دعاء العديلة الكبير .

(٥) سورة الذاريات: الآية ٥٦ .

(٦) سورة يونس: الآية ٤٤ .

(٧) سورة فصلت: الآية ٤٦ .

(٨) جهم بن صفوان أبو مخزوم الراسبي، مؤلأهم، السمرقندي، الكاتب، المتكلم، أس الصلابة، ورأس الجهمية، كان

صاحب ذكاء وجدال، سير أعلام النبلاء: الذهبي: ٢٦/٦ .

وثانيها مذهب الأشاعرة، وهو أن أفعال العباد الاختيارية صادرة عن الله تعالى أيضاً، وأنَّ الفرق بينها وبين نحو حركة المرتعش أن الأولى مُجامعةٌ لقدرة العبد غير مؤثرة فيها وعلم الله تعالى أنها تُؤثر فيها بدون وجوب سابق لو لم تُؤثر قدرة الله تعالى فيها هي أقوى منها وهذا معنى كونها مكسوبات [٤٣] للعباد، بخلاف الثاني وأنه لا يستحق العباد في أفعالهم الاختيارية مدحاً ولا ذمّاً عقلاً.

وثالثها مذهب أبي الحسين البصري من المعتزلة ومن تبعه، وهو أن أفعال العباد الاختيارية صادرة عنهم، وواجبة بالوجوب السابق بالنسبة إلى القدرة التي هي من أجزاء العلة التامة عندهم وبالذاعي الذي هو الإرادة عندهم وأنهما فعل الله تعالى في العباد وأن العباد يستحقون على بعض أفعالهم الاختيارية المدح والذم عقلاً لكن هذا قول بالجبر في صورة الاختيار ويُرد عليه التشنيع الذي يرد على الأولين بأنه يلزم الاعتراف بنفي استحقاق المدح والذم عقلاً عن أفعال العباد؛ لأنه إذا كان القدرة والذاعي فعل الله تعالى كما قاله كان العبد كالفلم في يد الكاتب وكالوتد في الحائط.

#### من الدلائل على بطلان المذاهب الثلاثة الجبرية:

ومن الدلائل على بطلان هذه المذاهب الثلاثة الجبرية أنه لا يتصور ولا يعقل لتوبة العاصي وندمه على شيء منها معنى محصل ومصدق مفيد فضلاً عن أن يأمر الله تعالى بها؛ لأنه لا يتصور ندم أحد على فعل الغير ولا على فعل نفسه إذا كانت مبادئه الموجبة بالوجوب السابق من فعل غيره أو من فعله لا باختيار سبحان من تنزه عن الفحشاء.

وأما الرابع الذي هو التفويض فهو مذهب جمهور المعتزلة، وهو أن أفعال العباد الاختيارية صادرة عنهم بقدرتهم واختيارهم بدون وجوب سابق، وهم يستحقون على بعضها مدحاً أو ذمّاً عقلاً، وأن القدرة على الفعل لا يكون إلا مع القدرة على الترك، والتفويض إقدار الله تعالى العبد على فعل قبل وقته؛ بحيث يخرج عن يده تعالى أزمه ذلك الفعل ما دام هذا الإقدار وهذا معنى استقلال العبد في القدرة فمعنى تفويض الشيء إلى العبد الإقدار المشترك بين إقدارين:

الأول: إقدار الله تعالى العبد في وقت على الشيء في ثاني الوقت فيلزمه أن يكون العبد قادراً عليه بالاستقلال بأن لا يكون له تعالى مدخل فيه أصلاً، ومنشأ هذا الإقدار توهم



المعتزلة أن قدرة العباد على أفعالهم تكون قبل أوقات تلك الأفعال، والخصلة الخامسة وهي الإذن لإبطال هذا التوهم.

الثاني: إقدار الله تعالى العبد على الشيء بحيث لا يكون تعالى قادراً على صرف العبد عن ذلك الشيء مع هذا الإقدار فيلزمه أن يصدر عن العبد وإن شاء الله تعالى أو لا يصدر عنه فلا يصدق ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن (سبحان من لا يجري في ملكه ما يشاء)<sup>(١)</sup>، وكما أنه سبحانه تنزه عن الفحشاء ومنشأ هذا الإقدار الثاني أن المعتزلة توهموا أن كل لطف ناجع<sup>(٢)</sup> واجب على الله تعالى فيلزم أنه لو كان في مقدوره تعالى بالنسبة إلى الكافر لطف ناجع لاختياره الإيمان لفعل ولم يكفر فلم يتحقق منه الكفر إلا مع عدم قدرة الله تعالى على لطف ناجع وكذا في الإيمان، والخصال الأربع، الأول أعني: المشيئة والإرادة والقدرة والقضاء لإبطال هذا التّفويض، ويسمى المفوضة قدرية<sup>(٣)</sup>، والقدريّة مجوس هذه الأمة<sup>(٤)</sup>، والخصلة السادسة لإبطال توهم الأشاعرة القائلين بعدم وجوب شيء على الله تعالى أصلاً بناءً على تفهيم التحسين والتّقيح العقليين، والخصلة السادسة والسابعة وهما الكتاب والأجل لإبطال مذهب الزنادقة القائلين بقدّم العالم وبعدم كتابة طاعة العباد ومعصيتهم في صُحف أعمالهم فلا تنقضي الأعمال ولا تقوم القيامة ولا جنة ولا نار ولا حساب.

وأما الخامس الذي هو الأمر بين الأمرين وهو الحق فهو مذهب الإمامية المفتقرين لآثار أهل العصمة والطهارة عليهم السلام وتمسكوا بذيلهم وهو أن أفعال العباد الاختيارية صادرة عنهم بقدرتهم واختيارهم وأنهم يستحقون على بعضها مدحاً أو ذمّاً وأنها غير واجبة بالنسبة إلى الآلة والداعي ونحوهما من المبادئ التي هي فعل الله تعالى في العبد، وأن القدرة على الفعل لا تكون إلا مع القدرة على الترك وأن العباد ليسوا قادرين بالاستقلال على شيء من

(١) شرح المقاصد في علم الكلام: التفتازاني: ١٤٥/٢ .

(٢) تحدّث القزويني عن مفهوم اللطف الناجع وحدوده قائلاً: بأنه (زيادة الألفاظ التي بها يثبت المكلف على الهدى ويصل إلى المطلوب ويسمى الإيصال إلى المطلوب واللطف الناجع أيضاً، وهذا المعنى ليس عامّاً لجميع المكلفين؛ لأنّ اللطف الناجع ليس بواجب على الله تعالى بالنسبة إلى جميع المكلفين، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [سورة محمد: الآية ١٧]، نور التوفيق وكشف التدقيق (مخطوط): ٢١٣/١ .

(٣) (لفظ القدريّة يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى)، الملل والنحل: الشهرستاني: ٤٣/١ .

(٤) هو حديث وتماحه: "عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعوذوهم، وإن ماتوا فلا تشهّدوهم"، سنن أبي داود: أبو داود: ٤١٠/٢، عوالي اللثالي: ابن أبي جمهور الأحسائي:

الفعل والتَّرك أضلاً بل يتوقَّف على الإذن، فقدرتُّهم واستطاعتُّهم لا تتحقَّق قبل وقتِ الفعل والتَّرك وأنَّ العباد لا يصدُر عنهم طاعةٌ ولا معصيةٌ إلا إذا شاء اللهُ مشيئةً عزمٍ وأرادَ إرادةً عزمٍ وقدَّر تقديرَ عزمٍ وقضى قضاءً عزمٍ.

### ذكر المراد بالمشيئة وغيرها:

فإنَّ لله تعالى مشيئتين؛ مشيئةً حتمٍ لا يَبقى للعباد معها اختيارٌ ومشيئةً عزمٍ واختيارٍ يَبقى معها للعباد اختيارٌ وكلاهما لا يُتخلَّف عنه ما تعلقَ به على حسبِ ما تعلقَ به وكذا البواقي فاستطاعتُّهم لا تعلقُ إلا بالواقع من الفعل والتَّرك في وقتيها لا قبلهما وفي مقدوره تعالى بالنسبة إلى كلِّ فعلٍ صادرٍ عن العبدِ وكلِّ تركٍ صادرٍ عنه ما لو فعَّله به لم يصدُر عنه ذلك الفعلُ أو التَّركُ مع بقاء قدرته تعالى عليه فلا يجب على الله تعالى كلُّ لطفٍ ناجحٍ إنَّما الواجبُ عليه تعالى اللطفُ المزيح<sup>(١)</sup> لعلَّة التَّكليف ولَمَّا كان صدورُ فعلِ العبادِ عنهم موقوفاً على تحقُّقهم وعلى أن لا يصدُرَ عيْنُهُ ولا مثلهُ ولا ما ينافيه في محلِّه في وقته اللهُ تعالى وذلك باختيارِ العبادِ لم يكونوا مستقلِّين بالقدرةِ عليه فلن تتحقَّق استطاعتُّهم له ولا قدرتُّهم عليه قبلَ وقتهِ ولَمَّا [٤٤] كان تركُّهم إيَّاه موقوفاً على تحقُّقهم لم يكونوا مُستقلِّين بالقدرةِ على التَّركِ فلم تتحقَّق استطاعتُّهم للتَّركِ، ولا قدرتُّهم عليه قبلَ وقتهِ، ولَمَّا كان فعلُ العبادِ لا يصدُرُ عنهم إلا إذا تعلقَّتْ به المشيئةُ من الله تعالى كانَ العبادُ غيرَ مُستطيعين إلا للواقع من الفعل والتَّركِ، وكانَ بيده تعالى أزيمة الأمور، ولم يجبَ عليه تعالى كلُّ لطفٍ ناجحٍ، وهذا المذهبُ ليس بجبرٍ ولا تفويضٍ بل أمرٌ بينَ الأمرين، ومن تتبَّع الآيات والأحاديث التي تمسَّكت بها المُجبرَّة على إبطالِ مذهبِ المفوضةِ والتي تمسَّكت بها المفوضةُ على إبطالِ مذهبِ المُجبرَّة علمَ أنه لا يُمكنُ الجمعُ بينَ ظاهرهما إلا بالقولِ بهذا المذهبِ الحقِّ الذي للإمامية، كما نصَّوا عليه رضوان الله عليهم، إذا عرفتَ هذه المراتب فقد

(١) بين القزويني المراد من اللطف المزيح قائلاً: (اللطف المزيح ما يقرب العبد إلى الطاعة ويبعده عن المعصية ولم يبلغ الإلجاء ولا حظاً له في التمكن؛ لأنه لو بلغ الإلجاء لكان منافياً للتكليف ولأن ما له حظاً في التمكن فليس بلطف بل هو شرط لإمكان الفعل كالآلات من الجوارح والأعضاء والقدرة، فأنزل الكتب وإرسال الرسل وتعيين الإمام العالم بجميع الأحكام وتبليغهم إلى الخلائق ما يقربهم إلى الطاعة ويبعدهم عن المعصية من اللطف المزيح فهو واجبٌ عليه تعالى؛ لتوقف الغرض عليه)، نور التوفيق وكشف التدقيق (مخطوط): ٩٨/١ .

ظَهَرَ لَكَ مَا أَفَادَهُ الْفَاضِلُ الدَّوَانِيُّ<sup>(١)</sup> وما فيه وما عليه من مذهب أستاذه وغيره حيث قال: (أقول إن أفعال العباد دائرة بحسب الاحتمال العقلي بين أمور: الأول: أن يكون حصولها بقُدرة الله تعالى وإرادته من غير مدخل لقُدرة العبد وإرادته<sup>(٢)</sup> فيه. الثاني: أن يكون حصولها بقُدرة العبد وإرادته من غير مدخل لقُدرة الله وإرادته فيها، أي: بلا واسطة؛ إذ لا ينكر عاقل أن الإقدار والتَمَكِينِ مُسْتَنَدَانِ [إليه]<sup>(٣)</sup> تعالى إما ابتداءً أو بواسطة. الثالث: أن يكون حصولها بمَجْمُوعِ الْقُدْرَتَيْنِ؛ وَذَلِكَ بِأَنْ يَكُونَ الْمُؤَثِّرُ قُدْرَةَ اللَّهِ تَعَالَى بِوَسِطَةِ قُدْرَةِ الْعَبْدِ أَوْ بِالْعَكْسِ، أَوْ يَكُونَ الْمُؤَثِّرُ مَجْمُوعَهُمَا<sup>(٤)</sup> مِنْ غَيْرِ تَخْصِيسِ أَحَدَهُمَا بِالْمُؤَثِّرِيَّةِ وَالْأُخْرَى بِالْإِلَهِيَّةِ، وَقَدْ ذَهَبَ إِلَى كُلِّ مَنِ الْإِحْتِمَالَاتِ [المذكورة]<sup>(٥)</sup> ما خلا الاحتمال الثاني من محتملات الشقِّ الثالثِ طائفةٌ .

أَمَّا الْأَوَّلُ فَقَدْ ذَهَبَ إِلَيْهِ الْأَشْعَرِيُّ وَمَنْ وَافَقَهُ، وَأَمَّا الثَّانِي فَقَدْ ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُعْتَزِلَةُ الْقَائِلُونَ بِأَنَّ الْعَبْدَ خَالِقَ لِأَفْعَالِهِ الْإِحْتِيَارِيَّةِ بِقُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ، وَإِنْ كَانَ الْإِقْدَارُ وَالتَّمَكِينُ مِنْهُ تَعَالَى وَأَنَّهُ تَعَالَى عَالِمٌ فِي الْأَزْلِ بِمَا يَفْعَلُ الْعَبْدَ، وَعِلْمُهُ بِهِ لَا يَخْرُجُهُ عَنْ كَوْنِهِ فِعْلاً اخْتِيَارِيًّا لِلْعَبْدِ كَمَا أَنَّ مَنْ أَعْطَى عَبْدَهُ سَيْفًا وَهُوَ يَعْلَمُ مَا يَصْنَعُ بِهِ الْعَبْدُ وَالْعَبْدُ صَرْفَهُ مِنْ قَتْلِ النَّفْسِ مَثَلًا لَا يَخْرُجُ فِعْلَ عَبْدِهِ هَذَا لِعِلْمِ سَيِّدِهِ عَنْ كَوْنِهِ [فِعْلاً]<sup>(٦)</sup> اخْتِيَارِيًّا لِلْعَبْدِ، وَالثَّلَاثُ<sup>(٧)</sup> مَذْهَبُ الْأُسْتَاذِ أَبِي إِسْحَاقَ الْإِسْفَرَايِينِيِّ<sup>(٨)</sup> وَمَنْ تَبِعَهُ.

وَحُجَجَ الْفِرَقِ وَمُنَاقِضَاتُهُمْ مَذْكُورَةٌ فِي الْكُتُبِ الْكَلَامِيَّةِ فَلَا نَشْتَغِلُ بِهَا، وَالَّذِي نَقُولُ هَاهُنَا: أَنَّ الْأَشْعَرِيَّ لَمَّا تَقَرَّرَ عِنْدَهُ أَنَّ لَا مُؤَثِّرَ فِي الْوُجُودِ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ مَا عَدَاهُ أَسْبَابٌ عَادِيَّةٌ،

(١) (هو جلال الدين محمد بن سعد الدواني المنتهى نسبه إلى محمد بن أبي بكر، الحكيم الفاضل الشاعر المدقق صاحب أنموذج العلوم المتوفى حدود سنة ٩١٧ أو ٩١٨، وأنه كان في أوائل أمره على مذهب أهل السنة ثم صار شيعياً وكتب بعد ذلك رسالة سماها نور الهداية وهي مصرحة بتشيعه)، الكنى والألقاب: عباس القمي: ٢٣٠/٢ .

(٢) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٣) في الأصل: إلى الله .

(٤) ومنه في حاشية الأصل: أي: القدرتين؛ قدرة الله تعالى وقدرة العبد .

(٥) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٦) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٧) ومنه في حاشية الأصل: وهو على ما قرره أن يكون حصولها بمجموع القدرتين، ويكون المؤثر قدرة الله تعالى بواسطة قدرة العبد .

(٨) ومنه في حاشية الأصل: ما ذهب إليه أستاذه أحد المذاهب الثلاثة الجبرية كما عرفنا سابقاً .

والممكنات مستندة إليه تعالى من غير واسطة، لزم على أصوله أن يكون خالق تلك الأفعال هو الله تعالى، وغاية الأمر أن يكون قدرة العبد وإرادته سبباً عادياً لها على نحو سائر الأسباب العادية ولا يلزم عليه الشناعة التي يُوردها المعتزلة عليه من أنه يلزم عليه أن لا يكون بين حركة المرتعش وحركة المختار فرق، وربما يدعون البداهة في بطلان مذهبه، حتى نقل عن أبي هذيل العلاف أنه قال: حمارٌ بشرٌ عقلٌ من بشرٍ؛ فإن حماره يفرق ما يقدر عليه وما لا يقدر عليه؛ من حيث أنه إذا وصل إلى نهر صغير [يمكنه العبور عنه يطأه]<sup>(١)</sup>، وإن وصل إلى ما لا يقدر على عبوره لا يخوض فيه وإن أوجع بالضرب، وهذا دليلٌ على أنه يفرق بين المقدور وغير المقدور<sup>(٢)</sup>، انتهى كلام الفاضل الدواني طويناه على غيره.

وفي كتاب التوحيد في الكافي في باب الجبر والقدر والأمر بين الأمرين "عن عدة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال له رجل: جعلت فداك أجبر الله العباد على المعاصي؟ فقال: الله أعدل من أن يجبرهم على المعاصي ثم يُعذبهم عليها، فقال له: جعلت فداك ففوض الله إلى العباد؟ قال: فقال: لو فوض إليهم لم يحضروهم بالأمر والنهي، فقال له: جعلت فداك فبينهما منزلة؟ قال: فقال: نعم أوسع ما بين السماء والأرض"<sup>(٣)</sup> الحديث.

قال الشارح طاب ثراه: (يعني لو فوض إليهم لجرى في ملكه تعالى ما لا يشاء فكان عاجزاً مثلهم فلم يكن رباً لهم ولم يكونوا مذبوبين له فلم يصح أمرهم ونهيهم بالأصالة إنما صح بالخلافة كما في الأنبياء والأوصياء)<sup>(٤)</sup>، قيل: (والحكمة التي اقتضت حصرهم بالأمر والنهي تتأبى عن التفويض)<sup>(٥)</sup> انتهى.

"علي بن محمد، عن سهل بن زياد وإسحاق بن محمد وغيرهما، رفعوه، قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام جالساً بالكوفة بعد منصرفه من صقيين إذ أقبل شيخ فجتأ بين يديه، ثم

(١) في الأصل: يمكن العبور عنه يطأه .

(٢) رسالة خلق الأعمال: الدواني: ٦٩ - ٧٠ .

(٣) الكافي: الكليني: ١/١٥٩/ح ١١، باب الجبر والقدر والأمر بين الأمرين .

(٤) الشافي في شرح الكافي: خليل القزويني: ٥١٦/٢ .

(٥) شرح أصول الكافي: المازندراني: ٣١/٥ .

قَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَخْبَرْنَا عَنْ مَسِيرِنَا إِلَى أَهْلِ الشَّامِ، أَبْقَضَاءِ مِنَ اللَّهِ وَقَدَرٍ<sup>(١)</sup>؟ فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَجَلٌ يَا شَيْخُ، مَا عَلَوْتُمْ تَلْعَةً<sup>(٢)</sup> وَلَا هَبَطْتُمْ بَطْنَ وَاذٍ إِلَّا بِقَضَاءِ مِنَ اللَّهِ وَقَدَرٍ، فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: عِنْدَ اللَّهِ أَحْتَسِبُ عَنَائِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ لَهُ: مَهْ يَا شَيْخُ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ عَظَّمَ [اللَّهُ]<sup>(٣)</sup> الْأَجْرَ فِي مَسِيرِكُمْ وَأَنْتُمْ سَائِرُونَ، وَفِي مَقَامِكُمْ وَأَنْتُمْ مُقِيمُونَ، وَفِي مُنْصَرَفِكُمْ وَأَنْتُمْ مُنْصَرِفُونَ، وَلَمْ تَكُونُوا فِي شَيْءٍ مِنْ حَالَاتِكُمْ مُكْرَهِينَ وَلَا إِلَيْهِ مُضْطَرِّينَ، فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: وَكَيْفَ لَمْ نَكُنْ فِي شَيْءٍ مِنْ حَالَاتِنَا مُكْرَهِينَ وَلَا إِلَيْهِ مُضْطَرِّينَ وَكَانَ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ مَسِيرِنَا وَمُنْقَلَبِنَا وَمُنْصَرَفِنَا؟ فَقَالَ لَهُ: وَتَظُنُّ أَنَّهُ كَانَ قَضَاءً حَتْمًا وَقَدْرًا لِأَزْمًا؟ إِنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَبَطَلَ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ وَالزَّجْرُ مِنَ اللَّهِ، وَسَقَطَ مَعْنَى الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، فَلَمْ تَكُنْ لَأِيْمَةً لِلْمُذْنِبِ [٤٥] وَلَا مَحْمَدَةً لِلْمُحْسِنِ، وَلَكَانَ الْمُذْنِبُ أَوْلَى بِالْإِحْسَانِ مِنَ الْمُحْسِنِ، وَلَكَانَ الْمُحْسِنُ أَوْلَى بِالْعُقُوبَةِ مِنَ الْمُذْنِبِ، تِلْكَ مَقَالَةُ إِخْوَانِ عَبْدِ الْأَوْثَانِ، وَخُصَمَاءِ الرَّحْمَنِ، وَحِزْبِ الشَّيْطَانِ، وَقَدْرِيَّةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَمَجُوسِيَّهَا، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَلَّفَ تَخْيِيرًا، وَنَهَى تَحْذِيرًا، وَأَعْطَى عَلَى الْفَلِيلِ كَثِيرًا، وَلَمْ يُعْصِ مَغْلُوبًا، وَلَمْ يُطْعِ مُكْرَهًا، وَلَمْ يَمْلِكْ مُفَوِّضًا، وَلَمْ يَخْلُقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا، وَلَمْ يَبْعَثِ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ عَبَثًا؛ ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ، فَأَنْشَأَ الشَّيْخُ يَقُولُ:

أَنْتَ الْإِمَامُ الَّذِي نَرْجُو بِطَاعَتِهِ      يَوْمَ النَّجَاةِ مِنَ الرَّحْمَنِ غُفْرَانًا  
أَوْضَحْتَ مِنْ أَمْرِنَا مَا كَانَ مُلْتَبِسًا      جَزَاكَ رَبُّكَ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا<sup>(٤)</sup>.

"عَنْ حَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ فَقَدْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ إِلَيْهِ فَقَدْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ"<sup>(٥)</sup>،

(١) ومنه في حاشية الأصل: قوله: أَبْقَضَاءِ مِنَ اللَّهِ وَقَدَرٍ، ليس المراد بالقضاء والقدر هنا ما يراد بهما في عدّ الخصال السبع فقط، بل المراد بهما هنا ما هو أعمّ من الخصال الخمس الأولى المذكورة فيه ومن المشيئة والإرادة والقدر والقضاء والإذن أعني: القدر المشترك بينهما، والقدر مطلقاً .

(٢) التلعة: ما ارتفع من الأرض، ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ٣٦/٨، مادة تلع .

(٣) في الأصل: لكم .

(٤) الكافي: الكليني: ١٥٥/١ - ١٥٦/١ ح ١، بَابُ الْجَبْرِ وَالْقَدْرِ وَالْأَمْرِ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ، الفصول المهمة: الحر العاملي:

٢٣٧/١ .

(٥) المصدر نفسه: ١٥٧/١ ح ٢، بَابُ الْجَبْرِ وَالْقَدْرِ وَالْأَمْرِ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ، بحار الأنوار: المجلسي: ١٦١/٥ .

"عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْوَشَّاءِ، عَنِ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: سَأَلْتُهُ فَقُلْتُ: اللَّهُ فَوْضَ الْأَمْرِ إِلَى الْعِبَادِ؟ قَالَ: اللَّهُ أَعَزُّ مِنْ ذَلِكَ، قُلْتُ: فَجَبَرَهُمْ عَلَى الْمَعَاصِي؟ قَالَ: اللَّهُ أَعْدَلُ وَأَحْكَمُ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: قَالَ اللَّهُ يَا ابْنَ آدَمَ أَنَا أَوْلَى بِحَسَنَاتِكَ مِنْكَ، وَأَنْتَ أَوْلَى بِسَيِّئَاتِكَ مِنِّي، عَمِلْتَ الْمَعَاصِيَ بِقُوَّتِي الَّتِي جَعَلْتُهَا فِيكَ"<sup>(١)</sup>، "عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو الْحَسَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا يُونُسُ لَا تَقُلْ بِقَوْلِ الْقَدْرِيَّةِ؛ فَإِنَّ الْقَدْرِيَّةَ لَمْ يَقُولُوا بِقَوْلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَلَا بِقَوْلِ أَهْلِ النَّارِ، وَلَا بِقَوْلِ إِبْلِيسَ؛ فَإِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ قَالُوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾<sup>(٢)</sup>، وَقَالَ أَهْلُ النَّارِ: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾<sup>(٣)</sup>، وَقَالَ إِبْلِيسُ: ﴿رَبِّ بِمَا أَعْوَيْتَنِي﴾<sup>(٤)</sup>، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ مَا أَقُولُ بِقَوْلِهِمْ، وَلَكِنِّي أَقُولُ: لَا يَكُونُ إِلَّا بِمَا شَاءَ اللَّهُ وَأَرَادَ وَقَدَّرَ وَقَضَى، فَقَالَ: يَا يُونُسُ لَيْسَ هَكَذَا، لَا يَكُونُ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَأَرَادَ وَقَدَّرَ وَقَضَى، يَا يُونُسُ تَعَلَّمْ مَا الْمَشِيئَةُ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: هِيَ الذِّكْرُ الْأَوَّلُ، فَتَعَلَّمْ مَا الْإِرَادَةُ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: هِيَ الْعَزِيمَةُ عَلَى مَا يَشَاءُ، فَتَعَلَّمْ مَا الْقَدْرُ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: هِيَ الْهَنْدَسَةُ وَوَضْعُ الْحُدُودِ مِنَ الْبَقَاءِ وَالْفَنَاءِ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: وَالْقَضَاءُ هُوَ الْإِبْرَامُ وَإِقَامَةُ الْعَيْنِ، قَالَ: فَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَقْبَلَ رَأْسَهُ، وَقُلْتُ: فَتَحَّتْ لِي شَيْئًا كُنْتُ عَنْهُ فِي غَفْلَةٍ"<sup>(٥)</sup>، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ، عَنْ حَمَادِ بْنِ عَيْسَى، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُمَرَ الْيَمَانِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فَعَلِمَ مَا هُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهِ، وَأَمْرَهُمْ وَنَهَاهُمْ، فَمَا أَمْرَهُمْ بِهِ مِنْ شَيْءٍ فَقَدْ جَعَلَ لَهُمُ السَّبِيلَ إِلَى تَرْكِهِ، وَلَا يَكُونُونَ آخِذِينَ وَلَا تَارِكِينَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ"<sup>(٦)</sup>، "عَنْ حَفْصِ بْنِ فُرْطٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ فَقَدْ كَذَّبَ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ بَعْضُ مَشِيئَةِ اللَّهِ فَقَدْ أَخْرَجَ اللَّهَ مِنْ سُلْطَانِهِ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمَعَاصِيَ بَعْضُ قُوَّةِ اللَّهِ فَقَدْ كَذَّبَ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ كَذَّبَ عَلَى اللَّهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ

(١) الكافي: الكليني: ١/١٥٧/٣، بَابُ الْجَبْرِ وَالْقَدْرِ وَالْأَمْرِ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ، عيون أخبار الرضا: الصدوق: ١/١٣١.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٤٣.

(٣) سورة المؤمنون: الآية ١٠٦.

(٤) سورة الحجر: الآية ٣٩.

(٥) الكافي: الكليني: ١/١٥٧ - ١٥٨/٤، بَابُ الْجَبْرِ وَالْقَدْرِ وَالْأَمْرِ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ.

(٦) المصدر نفسه: ١/١٥٨/٥، بَابُ الْجَبْرِ وَالْقَدْرِ وَالْأَمْرِ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ، الفصول المهمة: الحر العاملي: ١/٢٣٥.



النَّارِ" (١)، "عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عِيسَى، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَابِرٍ قَالَ: كَانَ فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْقَدْرِ وَالنَّاسِ مُجْتَمِعُونَ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا هَذَا أَسَأَلُكَ؟ قَالَ: سَلْ، قُلْتُ: يَكُونُ فِي مُلْكِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَا لَا يُرِيدُ؟ قَالَ: فَأَطْرَقَ طَوِيلًا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ فَقَالَ لِي: يَا هَذَا لَنْ يَكُونَ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يُرِيدُ إِنَّهُ لَمَقْهُورٌ، وَلَنْ يَكُونَ فِي مُلْكِهِ إِلَّا مَا يُرِيدُ أَفَرَرْتُ لَكَ بِالْمَعَاصِي، قَالَ: فَقُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: سَأَلْتُ هَذَا الْقَدْرِيَّ فَكَانَ مِنْ جَوَابِهِ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: لِنَفْسِهِ نَظَرَ أَمَا لَوْ قَالَ غَيْرَ مَا قَالَ لَهَلَّكَ" (٢)، "عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قَالَا: إِنَّ اللَّهَ أَرْحَمُ بِخَلْقِهِ مِنْ أَنْ يُجْبِرَ خَلْقَهُ عَلَى الذُّنُوبِ ثُمَّ يُعَذِّبَهُمْ عَلَيْهَا، وَاللَّهُ أَعَزُّ مِنْ أَنْ يُرِيدَ أَمْرًا فَلَا يَكُونُ، قَالَ: فَسُئِلَا عَلَيْهِمَا هَلْ بَيْنَ الْجَبْرِ وَالْقَدْرِ مَنْزِلَةٌ ثَالِثَةٌ؟ قَالَا: نَعَمْ أَوْسَعُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ" (٣)، "عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ أَبِي نَصْرِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ بَعْضَ أَصْحَابِنَا يَقُولُ بِالْجَبْرِ وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ بِالْإِسْتِطَاعَةِ، قَالَ: فَقَالَ لِي: اكْتُبْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا ابْنَ آدَمَ بِمَشِيئَتِي كُنْتَ أَنْتَ الَّذِي تَشَاءُ، وَبِقُوَّتِي أَتَيْتَ إِلَيَّ فَرَائِضِي، وَبِنِعْمَتِي قَوَيْتَ عَلَى مَعْصِيَتِي، جَعَلْتُكَ سَمِيعًا بَصِيرًا، مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ، وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ؛ وَذَلِكَ أَنِّي أَوْلَى بِحَسَنَاتِكَ مِنْكَ، وَأَنْتَ أَوْلَى بِسَيِّئَاتِكَ مِنِّي، وَذَلِكَ أَنِّي لَا أَسْأَلُ عَمَّا أَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ، قَدْ نَظَّمْتُ لَكَ كُلَّ شَيْءٍ تُرِيدُ" (٤).

وهذا القدر كافٍ في هذا المقام لردِّ تلك المذاهب الأربعة المذكورة آنفاً، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا [٤٦] بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (٥)، قَدْ مَضَى تَفْسِيرُهُ وَمَا تَدَلَّ هِيَ عَلَيْهِ فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَغَيْرِهِ مِرَارًا مِنْ ثُبُوتِ الْفَانِيَاتِ وَتَمَيِّزِهَا فِي عِلْمِهِ تَعَالَى، أَي: أَنْكَ قَادِرٌ عَلَى جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ لَا يَعْجُزُكَ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، تَقْدِرُ عَلَى إِجَادِ الْمَعْدُومِ وَإِفْنَاءِ الْمَوْجُودِ وَإِعَادَةِ الْمَعْدُومِ بِالْمَرَّةِ الَّذِي كَانَ مَوْجُودًا، وَأَنَّ الشَّيْئِيَّةَ لَا تَسَاوِقُ الْوُجُودَ عَلَى مَا مَرَّ بِيَانِهِ فِي مَوْضِعِ الْحَوَالَةِ مِنْ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ الْمَلْتِينِ وَاللُّغَةِ، ثُمَّ

(١) الكافي: الكليني: ١ / ١٥٨/٦، بَابُ الْجَبْرِ وَالْقَدْرِ وَالْأَمْرِ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ، مَرَاةُ الْعُقُولِ: الْمَجْلِسِيُّ: ١٨٩/٢ .

(٢) المصدر نفسه: ١ / ١٥٩/٧، بَابُ الْجَبْرِ وَالْقَدْرِ وَالْأَمْرِ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ .

(٣) المصدر نفسه: ١ / ١٥٩/٩، بَابُ الْجَبْرِ وَالْقَدْرِ وَالْأَمْرِ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ .

(٤) المصدر نفسه: ١ / ١٥٩ - ١٦٠/١٢، بَابُ الْجَبْرِ وَالْقَدْرِ وَالْأَمْرِ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ، مَرَاةُ الْعُقُولِ: الْمَجْلِسِيُّ: ١٩٤/٢ -

١٩٥/١٢، بَابُ الْجَبْرِ وَالْقَدْرِ وَالْأَمْرِ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ .

(٥) سورة آل عمران: الآية ٨ .



عَقَبَ ذلك المذكور ببيان قدرته معاقبه الليل والنهار والموت والحياة وسعة فضله من حيث لا نهاية له دلالة على أَنَّ مَنْ قَدَرَ على ذلك فَقَدَ قَدَرَ على معاقبة العزِّ والذلِّ وإيتاءِ المُلْكِ وَنَزَعِهِ فَقَالَ: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾، أي: (تُدْخِلُ أَحَدَهُمَا فِي الْآخَرِ بِإِتْيَانِهِ بَدَلًا مِنْهُ فِي مَكَانِهِ) (١) بالتعقيب أو تنقص من أحدهما ساعة أو ساعاتٍ أو أقلَّ أو أَكْثَرَ وَتُدْخِلُهَا فِي الْآخَرِ بِأَنْ يَقْلِبَ بَعْضَ أَجْزَاءِ اللَّيْلِ الْمَظْلَمَةِ بِأَجْزَاءِ النَّهَارِ الْمُنِيرَةِ وَيَدْخُلُهُ فِيهِ وَبِالْعَكْسِ كِنَقْصَانِ لَيْلِ الصَّيْفِ وَزِيَادَةِ نَهَارِهِ وَزِيَادَةِ لَيْلِ الشِّتَاءِ وَنَقْصَانِ نَهَارِهِ فِي أَوْقَاتِ الْفُصُولِ الْأَرْبَعَةِ، بَلْ تَفْعَلُ ذَلِكَ فِي فَصْلٍ وَاحِدٍ، بَلْ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ فِي بُلْدَانٍ مُخْتَلِفَةٍ وَبَعْضِ وَبِقَاعٍ مُخْتَلِفَاتِ الشَّمَالِيَّةِ عَنِ حَظِّ الاسْتِوَاءِ وَالْجَنُوبِيَّةِ عَنْهُ، سَوَاءً كَانَتْ مَسْكُونَةً أَمْ لَا، فَإِنَّ صَيْفَ الشَّمَالِيَّةِ شِتَاءَ الْجَنُوبِيَّةِ وَبِالْعَكْسِ، فزِيَادَةُ النَّهَارِ وَنَقْصَانُهُ وَاقْعَانِ مَعًا فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ لَكِنْ فِي تَعْقِيْبَيْنِ، وَكَذَلِكَ زِيَادَةُ اللَّيْلِ وَنَقْصَانُهُ، لَذَا قَالَ سَيِّدُ السَّاجِدِينَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ: «يُولِجُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي صَاحِبِهِ، وَيُولِجُ صَاحِبَهُ فِيهِ» (٢)، بِجَعْلِ الْوَاوِ فِي قَوْلِهِ: (وَيُولِجُ صَاحِبَهُ فِيهِ) لِلْحَالِ أَوْ لِلْعَطْفِ بِإِرَادَةِ مَعْنِيِ الْإِيْلَاجِ جَمِيعًا، وَهُمَا ادْخَالُ أَحَدِهِمَا فِي مَكَانِ الْآخَرِ بَدَلًا مِنْهُ بِالتَّعْقِيبِ أَوْ الزِّيَادَةِ وَالتَّنْقِصِ، ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾، أي: تُخْرِجُ الْمُؤْمِنَ مِنْ صُلْبِ الْكَافِرِ، وَتُخْرِجُ الْكَافِرَ مِنْ صُلْبِ الْمُؤْمِنِ، رَوَى ذَلِكَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ (٣) أَوْ تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ النُّطْفَةِ الَّتِي هِيَ مَيِّتَةٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ (٤)، عَلَى وَجْهِ تُخْرِجُ النُّطْفَةَ مِنَ الْحَيِّ وَكَذَلِكَ الدَّجَاجَةَ مِنَ الْبَيْضَةِ وَالْبَيْضَةَ مِنَ الدَّجَاجَةِ، ﴿وَتَرزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، أي: بِغَيْرِ تَقْتِيرٍ؛ (لَأَنَّ مِنْ عَادَةِ الْمُقْتَرِ أَنْ لَا يُنْفِقُ إِلَّا بِحِسَابٍ) (٥)، أَوْ (بِغَيْرِ مَخَافَةٍ نَقْصَانٍ لِمَا عِنْدَهُ فَإِنَّهُ لَا نَهَايَةَ لِمَقْدُورَاتِهِ فَمَا يُؤْخَذُ مِنْهَا لَا يَنْقُصُهَا) (٦) أَوْ تَرزُقُ مَنْ تَشَاءُ مِنْ

(١) التبيان في تفسير القرآن: الطوسي: ٤٣٢/٢ .

(٢) الصحيفة السجادية: الإمام زين العابدين (ع): ٤٨ .

(٣) ينظر: بحار الأنوار: المجلسي: ٨٧/٦٤ .

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٨ .

(٥) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٧٢/٢ .

(٦) المصدر نفسه: ٢٧٢/٢ .

أهل الخير (رزقاً لا يتناوله الحساب ولا [العد] (١)، ولا الإحصاء من حيث لا نهاية له) (٢)،  
لقوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٣).

ولا يخفى ما في تلك الفقرات الأربع من العكس والتبديل الذي هو من المحسنات  
المعنوية البديعية وهو أن يُقدّم في الكلام جزء على جزء آخر ثم يُؤخّر ذلك الجزء المتقدّم  
على الجزء المؤخّر أولاً (٤) وهو على وجوه (منها: أن يقع بين متعلّقي فعلين في جملتين) (٥)،  
كما في قوله تعالى: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَتُخْرِجُ  
الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾، فالليل والنهار متعلّقا تُولِجُ قَدَمَ أَوَّلًا اللَّيْلَ على  
النَّهَارِ وثانياً النَّهَارَ على اللَّيْلِ وكذا الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ مُتَعَلِّقًا يُخْرِجُ قَدَمَ أَوَّلًا الْحَيَّ على الْمَيِّتِ  
وثانياً عَكْسَ ومثله قول الشاعر:

(فَرَدَّ شَعُورَهُنَّ السُّودَ بِيضاً وَرَدَّ وُجُوهُنَّ الْبِيضَ سُوداً) (٦).

فالسود والبيض متعلّقا ردّ قَدَمَ أَوَّلًا السُّودَ على الْبِيضِ، وثانياً عَكْسَ، والوجه الآخر مذكورة  
في موضعها.

#### تنبيه في تحقيق المقام لتبيين المرام:

إِعلم إِنَّ الْمَلِكَ مُلْكَانَ، أَحَدُهُمَا حَقِيقَةٌ وَهِيَ النَّبُوَّةُ وَالْإِمَامَةُ وَتَوَلِيَّةُ التَّصَرُّفِ فِي خَلْقِ اللَّهِ  
وَبِلَادِهِ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَمْرِهِ وَحُكْمِهِ مِنْ غَيْرِ اخْتِيَارٍ لِلْعِبَادِ فِيهِ، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا  
مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ (٧)، وَهِيَ عَهْدُ اللَّهِ وَأَمَانَتُهُ تَعَالَى ﴿لَا  
يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (٨)، وَالْآخَرَ مَجَازٌ وَهُوَ مَلِكُ الْأَرْضِ وَزَخْرَفِيهَا قَهْرًا وَغَلْبَةً وَغَضَبًا مِنْ  
غَيْرِ رِضَى اللَّهِ تَعَالَى وَاخْتِيَارِهِ كَمَا حَكَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْ قَوْلِ مُؤْمِنٍ آلِ فِرْعَوْنَ ﴿يَا قَوْمِ لَكُمْ

(١) في الأصل: العدد .

(٢) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٧٢/٢ .

(٣) سورة غافر: الآية ٤٠ .

(٤) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني: ٣٦٣ .

(٥) المصدر نفسه: ٣٦٣ .

(٦) وينسب هذا البيت للشاعر عبد الله بن الزبير الأسدي، زهر الآداب: القيرواني: ٤٥٧/٢، نهاية الأرب: النويري:

. ١٤٤/٧ .

(٧) سورة الأحزاب: الآية ٣٦ .

(٨) سورة البقرة: الآية ١٢٤ .

الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ ﴿١﴾ (الآية، أي: قَاهِرِينَ غَالِبِينَ طُغْيَانًا مِنْ دُونِ رِضَاهِ سُبْحَانِهِ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ بِمَشِيئَتِهِ وَإِرَادَتِهِ وَقَدْرِهِ وَقَضَائِهِ مَشِيئَةً عَزَمَ وَإِرَادَةً عَزَمَ إِلَى آخِرِ مَا مَرَّ بَيَانُهُ أَنْفَاءً فِي أَعْمَالِ الْعِبَادِ الْاِخْتِيَارِيَّةِ، فالمراد بالملك في الآية المذكورة هو النُّبُوَّةُ وَالْإِمَامَةُ وَتَوَلِيَّةُ النَّصْرُفِ فِي خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى وَبِلَادِهِ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَمْرِهِ وَاخْتِيَارِهِ تَعَالَى وَحُكْمِهِ مِنْ غَيْرِ اخْتِيَارٍ لِلْعِبَادِ فِيهِ وَهِيَ الْمَعْنَى الْحَقِيقِي، كما في روضة الكافي بإسناده إلى "عَبْدِ الْأَعْلَى مَوْلَى آلِ سَامٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قُلْتُ لَهُ ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾، أَلَيْسَ قَدْ آتَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِنَبِيِّ أُمِّيَّةِ الْمُلْكِ؟ قَالَ: لَيْسَ حَيْثُ تَذَهَبُ [إِلَيْهِ] (٢)؛ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ آتَانَا الْمُلْكَ وَأَخَذْتَهُ بَنُو أُمِّيَّةٍ بِمَنْزِلَةِ الرَّجُلِ يَكُونُ لَهُ الثُّوبُ فَيَأْخُذُهُ الْآخَرُ (٣) فَلَيْسَ هُوَ لِلَّذِي أَخَذَهُ" (٤).

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي قُدِّسَ سِرُّهُ مِنْ كَلَامِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ "إِسْمَعُوا مَا أَتَلُوا عَلَيْكُمْ مِنْ كِتَابِ [٤٧] اللَّهُ الْمُنْزَلِ، عَلَى نَبِيِّهِ الْمُرْسَلِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِنَتَّعِظُوا [بِهِ] (٥)، فَإِنَّهُ وَاللَّهِ [أَبْلَغُ] (٦) عِظَةٌ لَكُمْ، فَانْتَفِعُوا بِمَوَاعِظِ اللَّهِ تَعَالَى، وَازْدَجِرُوا عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ، فَقَدْ وَعَظَكُمْ اللَّهُ بِغَيْرِكُمْ فَقَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَنْ بَعَدَ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِ لَهْمُ ابْعَثْ لَنَا مَلَكًا﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٧)، أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لَكُمْ فِي هَذِهِ [الآياتِ] (٨) عِبْرَةً؛ لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْخِلَافَةَ [وَالْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ] إِلَى الْأَنْبِيَاءِ فِي أَعْيَانِهِمْ (٩)، وَأَنَّهُ فَضَّلَ طَالُوتَ وَقَدَّمَهُ عَلَى الْجَمَاعَةِ بِاصْطِفَائِهِ إِيَّاهُ، وَزِيَادَةَ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ، فَهَلْ تَجِدُونَ أَنَّ اللَّهَ اصْطَفَى بَنِي أُمِّيَّةٍ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ، وَزَادَ مُعَاوِيَةَ

(١) سورة غافر: الآية ٢٩ .

(٢) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٣) ومنه في حاشية الأصل: غصباً وقهراً وظلماً .

(٤) الكافي: الكليني: ٢٦٦/٨/٣٨٩، في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ...﴾ [سورة آل عمران: الآية ٢٦].

(٥) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٦) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٧) سورة البقرة: الآية ٢٤٦ - ٢٤٧، وقد ذكر المصدر الآيتين كاملاً .

(٨) في الأصل: الآية .

(٩) في المصدر: والإمرة من بعد الأنبياء في أعقابهم .

عَلَى بَسْطَةِ فِي الْعِلْمِ وَالْحِسْمِ" (١) الْحَدِيثُ، وَهَذَا الْكَلَامُ مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ شِكَايَةً وَإِظْهَارًا بِأَنَّ الْمُلْكَ الْإِمَامَةَ وَالْخِلَافَةَ (٢) مِنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَبِلَادِهِ وَحَقُّ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنَّ بَنِي أُمَّيَّةٍ قَدْ ابْتَزُّوا وَغَصَبُوا بِمَنْزِلَةِ الرَّجُلِ يَكُونُ لَهُ النَّوْبُ فَيَأْخُذُهُ الْآخَرُ فَلَيْسَ هُوَ لِلَّذِي أَخَذَهُ (٣)، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ.

وَفِي الْعِيُونَ فِي (بَابِ مَا جَاءَ عَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي وَصْفِ الْإِمَامَةِ وَالْإِمَامِ) (٤)، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٥)، قَالَ: ﴿وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (٦)، أَي: أَعْطَى اللَّهُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمُلْكَ، أَي: الْخِلَافَةَ وَالْحُكْمَ بَيْنَ النَّاسِ (وَلَمْ يَكُنْ نَبِيًّا قَبْلَ قَتْلِ جَالُوتِ) (٧)، وَهَذِهِ الْأَخْبَارُ صَرِيحَةٌ فِي أَنَّ الْمُرَادَ بِالْمُلْكِ الْحَقِيقَةَ هُوَ النَّبُوَّةُ وَالْإِمَامَةُ الْخِلَافَةُ وَالتَّصَرُّفُ فِي خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى وَبِلَادِهِ بِاصْطِفَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَاخْتِيَارِهِ دُونَ اخْتِيَارِ الْخَلَائِقِ، وَقَدْ يُطْلَقُ الْمُلْكُ عَلَى نَعِيمِ الدُّنْيَا وَسِعَةِ الْمَالِ وَالْغَلْبَةِ مَجَازًا كَمَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ أَنْفَاءً كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ (٨)، أَي: (أَعْطَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَهُوَ نَعِيمُ الدُّنْيَا وَسِعَةِ الْمَحَاجَّةِ فَبَطَرَ) (٩)، وَحَمَلَهُ عَلَى مَحَاجَّةِ، أَي: لِأَنَّ آتَاهُ (الْمُلْكَ، عَلَى مَعْنَى أَنَّ إِبْتَاءَ الْمُلْكِ أَنْبَطَرُهُ وَأُورِثَهُ [الْكِبَرِ] (١٠) وَالْعُنُوتِ) (١١) وَالتَّجْبُرِ، فَحَاجَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِذَلِكَ فَوَضَعَ الْمَحَاجَّةَ فِي رَبِّهِ مَوْضِعَ مَا وَجَبَ عَلَيْهِ مِنَ الشُّكْرِ عَلَى [إِبْتَاءِ] (١٢) (الْمُلْكِ) (١٣)، أَعْنِي: نَعِيمِ الدُّنْيَا وَسِعَةِ الْمَالِ عَلَى طَرِيقَةِ الْعَكْسِ مِنْ وَضْعِ نَقِيضِ

(١) الاحتجاج: الطبرسي: ٢٥٣/١ .

(٢) ينظر: تفسير العياشي: العياشي: ٢٤٦/١، التفسير الصافي: الفيض الكاشاني: ٤٥٩/١ .

(٣) الكافي: الكليني: ٢٦٦/٨، وهو حديث طويل اكتفى المؤلف بذكر موطن الشاهد منه، وقد مر ذكره بتمامه.

(٤) عيون أخبار الرضا (ع): الصدوق: ١٧/١ .

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٤٧ .

(٦) سورة البقرة: الآية ٢٥١ .

(٧) مجمع البيان: الطبرسي: ١٥١/٢ .

(٨) سورة البقرة: الآية ٢٥٨ .

(٩) مجمع البيان: الطبرسي: ١٦٧/٢ .

(١٠) في الأصل: النَطْرُ .

(١١) مفاتيح الغيب: الرازي: ٢١/٧ .

(١٢) في الأصل: إعطاء .

(١٣) جوامع الجامع: الطبرسي: ٢٣٧/١، الكشاف: الزمخشري: ٣٨٨/١ .

المقصود مقامه، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ﴾<sup>(١)</sup>، ذَكَرَ سبحانه بَعْدَ ذِكْرِ الْحَرْثِ وَالزَّرَاعَةِ وَإِنزَالِ الْمَاءِ مِنَ السَّمَاءِ وَإِيجَادِ النَّارِ وَالشَّجَرِ وَإِنزَالِ الْقُرْآنِ وَكَوْنِهِ مُنْزَلًا مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَيْثُ يَقُولُ سبحانه: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ﴾<sup>(٢)</sup>، (أي: بِالْقُرْآنِ) ﴿أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، أي: متهاونون، ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾، أي: شَكَرَ رِزْقَكُمْ، ﴿أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ﴾، أي: بِمَنْ أَنْزَلَهُ عَلَيْكُمْ وَرَزَقَكُمْ إِيَّاهُ حَيْثُ تَتَسَبَّوْنَ الْأَشْيَاءَ إِلَى الْأَنْوَاءِ<sup>(٤)</sup>.

وفي تفسير علي بن إبراهيم عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه [قَرَأَ بِهِمُ الْوَاقِعَةَ]<sup>(٥)</sup>، [إِقْرَأ]<sup>(٦)</sup>: ﴿وَتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ﴾، فَلَمَّا انصَرَفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنِّي قَدْ عَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَقُولُ قَائِلٌ لِمَ قَرَأَ هَذَا قَرَأْتُهَا؛ لِأَنِّي قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُهَا [كَذَلِكَ]<sup>(٧)</sup>، وَكَانُوا إِذَا أُمِطُوا قَالُوا مُطِرْنَا بِنُوءٍ كَذَا وَكَذَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ: وَتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ<sup>(٨)</sup>.

وعن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾، قال: بَلْ هِيَ شُكْرُكُمْ<sup>(٩)</sup>، وَمَعْنَى ﴿أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ وجهان:

أحدهما (أَنَّهُ آتَاهُ مَا غَلَبَ بِهِ وَتَمَكَّ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْحَدَمِ وَالْأَتْبَاعِ)<sup>(١٠)</sup>، اسْتِدْرَاجًا وَامْتِحَانًا كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرْ بِالرَّحْمَنِ لِيُؤْتِيَهُمْ سُقُومًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ﴾<sup>(١١)</sup>، (وَالْمُلْكَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ [الْمَجَازِ]<sup>(١٢)</sup> جَائِزٌ أَنْ يُنْعِمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ)<sup>(١٣)</sup>؛ لِأَنَّهُ سبحانه مَالِكُ الْمُلْكِ، وَثَانِيهِمَا الْمُلْكَ بِمَعْنَى: تَمْلِيكُ الْإِمَامَةِ وَالرِّسَالَةِ وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ الشَّرْعِيِّينَ،

(١) سورة الواقعة: الآية ٨٢ .

(٢) سورة الواقعة: الآية ٨٠ - ٨١ .

(٣) سورة الواقعة: الآية ٨١ .

(٤) التفسير الصافي: الفيض الكاشاني: ١٢٩/٥ .

(٥) في الأصل: إذا وقعت الواقعة.

(٦) ما بين المعقوفين ليس من المصدر.

(٧) في الأصل: هكذا .

(٨) تفسير القمي: علي بن إبراهيم: ٣٤٩/٢ .

(٩) ينظر: المصدر نفسه: ٣٥٠/٢ .

(١٠) جوامع الجامع: الطبرسي: ٢٣٧/١ .

(١١) سورة الزخرف: الآية ٣٣ .

(١٢) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(١٣) مجمع البيان: الطبرسي: ١٦٧/٢ .

وَتَدَابِيرِ أُمُورِ النَّاسِ فِي مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ، عَلَى حَسَبِ مَا يَقْتَضِيهِ دِينُ اللَّهِ وَشَرِيْعَتُهُ (وإيجاب الطَّاعَةِ عَلَى الْخَلْقِ)<sup>(١)</sup>، فهذا الْمُلْكُ (لا يَجُوزُ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِلَّا مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الصَّلَاحِ وَالسَّدَادِ وَالرَّشَادِ، دُونَ مَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْكُفْرِ)<sup>(٢)</sup> وَالْفِسْقِ وَالْجُورِ وَالظُّلْمِ وَالْفَسَادِ وَالْهَلَاكِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ\* وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾<sup>(٣)</sup>، فَيَقُولُ النَّارُ وَلَا الْعَارُ، (وَلَا يَصِحُّ مِنْهُ سُبْحَانَهُ؛ لِعِلْمِهِ [بِالسَّرَائِرِ وَالْغُيُوبِ])<sup>(٤)</sup>،<sup>(٥)</sup> تَقْوِيضُ أَمْرِ الْوَلَايَةِ وَالْمُلْكِ بِهَذَا الْمَعْنَى إِلَى مَنْ سَبِيلُهُ ذَلِكَ؛ (لَمَّا فِي ذَلِكَ مِنَ الْاِسْتِفْسَادِ)<sup>(٦)</sup> وَالْإِغْوَاءِ وَالْإِضْلَالِ، وَلِذَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى سَبِيلِ الْإِنْكَارِ: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ﴾<sup>(٧)</sup> (يَعْنِي: لَيْسَ لَهُمْ ذَلِكَ)<sup>(٨)</sup>، ﴿فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾<sup>(٩)</sup>، يَعْنِي: لَيْسَ لَهُمْ مُلْكٌ؛ (وَلَوْ كَانَ لَهُمْ نَصِيبٌ وَحَظٌّ مِنَ الْمُلْكِ)<sup>(١٠)</sup> فَإِذَا لَا يُعْطُونَ النَّاسَ نَقِيرًا<sup>(١١)</sup>.

وَفِي الْكَافِي عَنْ أَبِي جَعْفَرِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ﴾، "يَعْنِي: الْإِمَامَةُ وَالْخِلَافَةُ"<sup>(١٢)</sup>، ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "وَنَحْنُ النَّاسُ الَّذِينَ عَنَى اللَّهُ تَعَالَى"<sup>(١٣)</sup>، بِهَذِهِ الْآيَةِ، وَقَدْ وَرَدَ عَنْهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ "نَحْنُ النَّاسُ وَشِيعَتُنَا أَشْبَاهُ النَّاسِ وَسَائِرُ النَّاسِ نَسْنَسُ، ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ [٤٨] النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾<sup>(١٤)</sup>"<sup>(١)</sup>.

(١) مجمع البيان: الطبرسي: ١٦٨/٢ .

(٢) المصدر نفسه: ١٦٨/٢ .

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٠٥ - ٢٠٦ .

(٤) في المصدر: بالغيوب والسرائر .

(٥) مجمع البيان: الطبرسي: ١٦٨/٢ .

(٦) المصدر نفسه ١٦٨/٢ .

(٧) سورة النساء: الآية ٥٣ .

(٨) التفسير الصافي: الفيض الكاشاني: ٤٥٩/١ .

(٩) سورة النساء: الآية ٥٣ .

(١٠) جامع البيان: الطبرسي: ١٤٩/٧ .

(١١) ينظر: المصدر نفسه: ١٤٩/٧ .

(١٢) الكافي: الكليني: ١/٢٠٥/ح١، بَابُ أَنَّ الْأَيْمَةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَوَلَاةُ الْأَمْرِ وَهُمْ النَّاسُ الْمَحْسُودُونَ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

(١٣) المصدر نفسه: ١/٢٠٥/ح١، بَابُ أَنَّ الْأَيْمَةَ ع وَوَلَاةُ الْأَمْرِ وَهُمْ النَّاسُ الْمَحْسُودُونَ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

(١٤) سورة النساء: الآية ٥٤ .

في الكافي والعياشي وغيرهما في عدة روايات عنهم عليهم السلام "نَحْنُ النَّاسُ الْمَحْسُودُونَ [الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى] (٢) عَلَى مَا آتَانَا اللَّهُ مِنَ الْإِمَامَةِ [دُونَ خَلْقِ اللَّهِ أَجْمَعِينَ] (٣)، ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ (٤) (٥)، عن الصادق عليه السلام "الْمَلِكُ الْعَظِيمُ الطَّاعَةُ الْمَفْرُوضَةُ، مَنْ أَطَاعَهُمْ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَاهُمْ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ" (٦)، فَهُوَ الْمَلِكُ الَّذِي اخْتَصَّ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالْأَيُّمَةَ الْمَعْصُومِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ فَيَنْدَفِعُ الْإِشْكَالُ مِنْ آيَةِ الْمَلِكِ وَغَيْرِهَا؛ لِأَنَّ الْمَلِكَ مَلَكَانَ حَقِيقَةً وَمَجَازًا، وَفِي الْمَجْمَعِ عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ الْبَلْخِيِّ أَنَّ الْهَاءَ فِي ﴿أَنَّ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ (٧)، يَعُودُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامَ، يَعْنِي: أَنَّ أُعْطِيَ اللَّهُ تَعَالَى إِبْرَاهِيمَ الْمُلْكَ يَعْنِي: النُّبُوَّةَ وَالْإِمَامَةَ (٨)، (وَيَسْأَلُ عَلَى هَذَا [فَيُقَالُ] (٩): كَيْفَ يَكُونُ الْمُلْكُ لِإِبْرَاهِيمَ وَالْحَبْسُ وَالْإِطْلَاقُ إِلَى نُمْرُودَ؟ وَجَوَابُهُ: أَنَّ الْحَبْسَ وَالْإِطْلَاقَ، وَالْأَمْرَ وَالنَّهْيَ، كَانَ مِنْ جِهَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَإِنَّمَا كَانَ نُمْرُودُ يَفْعَلُ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ الْقَهْرِ وَالْغَلْبَةِ، لَا مِنْ جِهَةِ وِلَايَةِ شَرْعِيَّةٍ (١٠)، انْتَهَى، وَيُؤَيِّدُ هَذَا مَا مَرَّ فِي رُوضَةِ الْكَافِي أَنْفَاءً عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامَ: "لَيْسَ حَيْثُ تَدَّهَبُ.. إِلَى قَوْلِهِ.. فَلَيْسَ لِلَّذِي أَخَذَهُ" (١١)، فَانْدَفَعَ الْإِشْكَالُ مِنْ آيَةِ الْمَلِكِ بِوَجْهِ آخَرَ.

(١) التفسير الصافي: الفيض الكاشاني: ١/٤٦٠، نقلاً عن الكافي: الكليني: ٨/٢٤٤ - ٢٤٥، بتصرف .

(٢) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٣) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٤) سورة النساء: الآية ٥٤ .

(٥) تفسير العياشي: العياشي: ١/٢٤٦، الكافي: الكليني: ١/٢٠٥ ح ١، بَابُ أَنَّ الْأَيُّمَةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَوَلَاةُ الْأَمْرِ وَهُمْ النَّاسُ الْمَحْسُودُونَ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

(٦) بحسب تتبعنا لم نجد حديثاً بهذه الصيغة، ولعله قصد ما روي "عن أبي خالد الكابلي عن أبي جعفر عليه السلام ﴿مُلْكًا عَظِيمًا﴾ أن جعل فيهم أئمة، من أطاعهم أطاع الله، ومن عصاهم عصى الله، فهذا ملك عظيم، ﴿وَأَتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾، تفسير العياشي: العياشي: ١/٢٤٨، بحار الأنوار: المجلسي: ٢٣/٢٩١ .

(٧) سورة البقرة: الآية ٢٥٨ .

(٨) ينظر: مجمع البيان: الطبرسي: ٢/١٦٨ .

(٩) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(١٠) مجمع البيان: الطبرسي: ٢/١٦٨ .

(١١) ينظر: الكافي: الكليني: ٨/٢٦٦ ح ٣٨٩، قد مر ذكره بتمامه .



وفي كتاب الخصال عن مُحَمَّد بن خالد البرقي "بإسناده رَفَعَهُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَام قَالَ: مَلَكَ الْأَرْضَ كُلَّهَا أَرْبَعَةً: مُؤْمِنَانِ، وَكَافِرَانِ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنَانِ فَسُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَذُو الْقَرَيْنَيْنِ، [وَأَمَّا] (١) الْكَافِرَانِ [فَنَمْرُودُ] (٢) وَبُخْتَنَصَّرُ (٣) الْحَدِيثُ.

وقد عرفتَ البيانَ في أمثال ذلك ممَّا أوضحناه آنفاً، وقد مرَّ نَبْذٌ من ذلك في سورة البقرة في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ (٤) الآية، وأنَّ في هذا القدر ﴿لِنُكْرِي لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (٥).

وقوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (٦) آية .

#### القراءة:

قَرَأَ يَعْقُوبُ وَسَهْلٌ تَقِيَّةً عَلَى وَزْنِ عَطِيَّةٍ، وَالْباقُونَ تُقَاةً عَلَى وَزْنِ هُدَاةٍ، وَأَمَالُهُ الْكِسَائِيُّ؛ لَكُونِ أَلْفِهِ مَنقَلِبَةً عَنِ الْيَاءِ، وَقَرَأَ نَافِعٌ وَحَمْرَةُ بَيْنَ تَفْخِيمِ الْأَلْفِ وَإِمَالَتِهَا، وَالْباقُونَ بِالتَّفْخِيمِ (٧)؛ فَفِيهَا قِرَاءَاتٌ، وَالْأَجُودُ فِي تَقَاةٍ تَفْخِيمٌ أَلْفِهَا؛ لِأَجْلِ الْقَافِ الَّذِي هُوَ حَرْفٌ مُسْتَعَلٍ؛ لِأَنَّ الْحُرُوفَ الْمُسْتَعَلِيَّةَ مَانِعَةً عَلَى الْإِمَالَةِ، وَأَمَّا جَارَتْ الْإِمَالَةُ وَإِنْ كَانَتْ قَبِيحَةً وَبَيْنَ بَيْنٍ وَإِنْ كَانَتْ ضَعِيفَةً لِلإِشْعَارِ بِأَنَّ أَلْفَهُ مَنقَلِبَةً عَنِ الْيَاءِ؛ لِأَنَّ الْأَلْفَ الْمَنقَلِبَةَ عَنِ الْيَاءِ تُمَالٌ إِذَا لَمْ تُوجَدِ مَوَانِعُهَا قَبْلَهَا وَلَا بَعْدَهَا كَأَلْفِ رَمِي وَفَتَى وَفَتَاةٍ، وَأَصْلُ تُقَاةٍ عَلَى وَزْنِ هُدَاةٍ وَقُضَاةٍ وَقِيَّةٍ عَلَى فُعْلَةٍ، كَمَا أَنَّ هُدَاةً وَقُضَاةً أَصْلُهَا هُدْيَةٌ وَقُضْيَةٌ فُلِبَتْ الْيَاءُ فِي جَمِيعِهَا أَلْفًا، لِتَحْرِكِهَا وَإِنْفِتَاحِ مَا قَبْلَهَا، إِلَّا أَنَّ هُدَاةً وَقُضَاةً جَمَعَا تَكْسِيرِهَا وَقَاضٍ وَتُقَاةً مَصْدَرُ اتَّقَى يَتَّقِي انْتِقَاءً وَتُقَاةً وَتَقِيَّةً وَتَقْوَى، وَالْفَاءُ فِي الْكَلِّ وَوُ، وَأَصْلُ اتَّقَى أَوْ تَقَى مِنْ وَقَى يَقِي وَقَايَةً لَفِيفٌ مَفْرُوقٌ فَاوَهُ وَوُ وَوَلَامَهُ يَاءٌ إِذَا صَانَهُ وَحَفِظَهُ وَأَصْلُ تَقَاةٍ وَقِيَّةٌ كَتَخَمَةٍ أَصْلُهَا وَخَمَةٌ فُلِبَتْ الْوَاوُ فِيهَا تَاءٌ لِانْتِضَامِهَا كَمَا هُوَ الْقَاعِدَةُ الْمُسْتَمَرُّ مِثْلُ ثُرَاتٍ وَتُجَاهٍ وَأَصْلُ تَقِيَّةٍ وَقِيَّةً، وَأَصْلُ انْتِقَاءً

(١) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٢) في المصدر: نمروود .

(٣) الخصال: الصدوق: ٢٥٥ .

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٥٨ .

(٥) سورة ق: الآية ٣٧ .

(٦) سورة آل عمران: الآية ٢٨ .

(٧) ينظر: مجمع البيان: الطبرسي: ٢٧٢/٢ .

أو تقاء وأصل تقوى وقي قُلبت الواو التي هي الفاء تاءً فصار تقيي ثم قُلبت الياء التي هي اللام واواً فصار تقوى، والألف الأخيرة للتأنيث.

اللغة:

التَّقِيَّةُ وَالتَّقَاةُ: الإِظْهَارُ بِاللِّسَانِ خِلاَفَ مَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ الْقَلْبُ لِلْخَوْفِ عَنِ النَّفْسِ، هَذَا فِي الْأَفْعَالِ، وَكَذَا الإِظْهَارُ بِالْجَوَارِحِ خِلاَفَ مَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ الْعَقِيدَةُ فِي الْأَفْعَالِ لِلْخَوْفِ مِنْ وَقْيِ يَقِي، يُقَالُ: وَقَيْتُهُ الشَّيْءَ أَقْبَاهُ إِذَا صُنَّتَهُ وَسَتَرْتَهُ، وَفِي الْحَدِيثِ: "لِيَتَّقِ" (١) أَحَدَكُمْ وَجْهَهُ النَّارَ" (٢) وَهَذَا اللَّفْظُ خَبْرٌ وَمَعْنَاهُ الْأَمْرُ، أَي: لِيَقِ أَحَدَكُمْ وَجْهَهُ النَّارَ بِالطَّاعَةِ وَالصَّدَقَةِ وَالاسْتِغْفَارِ وَالتَّحْذِيرِ وَالتَّخْوِيفِ وَالتَّبَعِيدِ.

الإعراب:

﴿الْكَافِرِينَ﴾ مفعول أول لـ ﴿يَتَّخِذِ﴾، و﴿أَوْلِيَاءَ﴾ مفعوله الثاني ومن في ﴿مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لابتداء الغاية.

تحقيق معنى (دون) أصلاً وفرعاً:

و﴿دُونِ﴾ بمعنى غير، وأصله صفة لمكان، يقال: زيدٌ دون عمرو، أي: أدنى مكانٍ من عمرو إذا كانَ أَحَطَّ منه قليلاً، ثُمَّ اسْتَعِيرَ لِلتَّفَاوُتِ فِي الْأَمْوَالِ وَالرُّتَبِ، فَقَالَ: زيدٌ دون عمرو فِي الشَّرَفِ، ثُمَّ اتَّسَعَ فِيهِ فَاسْتَعْمَلَ فِي كُلِّ تَجَاوُزٍ حَدٍّ إِلَى حَدٍّ، وَتَخَطَّى حُكْمَ إِلَى حُكْمٍ ثُمَّ اسْتَعْمَلَ بِمَعْنَى غَيْرٍ وَمُغَايِرٍ، أَي: لَا تَجْعَلُوا ابْتِدَاءَ الْوَلَايَةِ مَكَاناً دُونَ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِأَنَّ مَكَانَ الْمُؤْمِنِ أَعْلَى، وَمَكَانَ الْكَافِرِ أَدْنَى، فَهِيَ صِفَةٌ لِأَوْلِيَاءَ، أَوْ حَالٍ مِنَ الْكَافِرِينَ، أَي: أَوْلِيَاءَ غَيْرِ مُؤْمِنِينَ أَوْ مُغَايِرِينَ لِلْمُؤْمِنِينَ، ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ﴾ شَرْطٌ، وَجُمْلَةٌ ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ جَوَابُهُ، وَ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ فِي الْأَصْلِ صِفَةٌ لِقَوْلِهِ ﴿فِي شَيْءٍ﴾ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ، إِلَّا أَنَّهُ قُدِّمَ عَلَيْهِ فَصَارَ حَالاً مِنْهُ كَمَا هُوَ الْقَاعِدَةُ فِي تَقْدِيمِ وَصْفِ النَّكْرَةِ عَلَيْهَا، وَ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ﴾ مِنْ بَابِ الْإِنْتِقَاتِ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى الْخِطَابِ وَهُوَ مُسْتَنْتَى، وَالْمُسْتَنْتَى مِنْهُ مَحْذُوفٌ، أَي: فَلَيْسَ مِنْ وِلَايَةِ اللَّهِ فِي شَيْءٍ فِي وَقْتِ [٤٩] مِنْ الْأَوْقَاتِ كُلِّهَا إِلَّا فِي وَقْتِ اتِّقَائِكُمْ مِنْهُمْ فَهُوَ فِي مَحَلِّ الْجَزْرِ عَلَى الْاسْتِثْنَاءِ الْمُفْرَغِ، وَ﴿تَقَاةٌ﴾ عَلَى جَمِيعِ الْقِرَاءَاتِ الْأَرْبَعِ مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ،

(١) في الأصل: فوقى .

(٢) مسند أحمد: أحمد بن حنبل: ٢٠١/٦/٣٦٧٩، سنن الترمذي: الترمذي: ٥٣/٥/٢٩٥٣ .

وَتَوْبِينَهَا لِلنَّوْعِيَّةِ أَوْ لِلتَّعْظِيمِ، و ﴿نَفْسَهُ﴾ مفعول ثانٍ لـ ﴿يُحَذِّرُكُمْ﴾ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ، أَي: عِقَابِهِ .

### المعنى:

لَمَّا بَيَّنَّ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ مَالِكُ الْمُلْكِ، وَمَالِكُ الدُّنْيَا، وَمَالِكُ الْإِعْزَازِ وَالْإِذْلَالِ عَقَّبَهُ بِنَهْيِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ أَعَزَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ فِي الدَّارَيْنِ عَنِ أَنْ يَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ الَّذِينَ لَا عِزَّةَ لَهُمْ فِيهِمَا، مُتَجَاوِزِينَ عَنِ وِلَايَةِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَنِ كَوْنِهِمْ مَعَ الصَّادِقِينَ مُغْمَضِينَ عَنْهُمْ وَعَنِ وِلَايَتِهِمْ مَعَ أَنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ، فَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَّخِذَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالصَّادِقِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ أَوْلِيَاءَ دُونَ الْكَافِرِينَ ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾<sup>(١)</sup>، وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴿٢﴾، الْآيَةِ، ﴿قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ اتَّخَذَ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(٣)</sup>، الْآيَةِ، فَإِنَّ الْمُنْكَرَ اتَّخَذَ غَيْرَ اللَّهِ وَلِيًّا لَا اتَّخَذَ الْوَلِيَّ فَيَقَالُ: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾، أَي: لَا يَجُوزُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ الَّذِينَ هُمْ أَعْدَاءُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَوْصِيَائِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ أَوْلِيَاءَ وَأَصْدِقَاءَ لِنَفْسِهِمْ، وَأَنْ يَسْتَعِينُوا بِهِمْ وَأَنْ يَلْجَأُوا إِلَيْهِمْ وَأَنْ يُظْهِرُوا الْمَحَبَّةَ وَالْمَوَدَّةَ لَهُمْ لِقَرَابَةٍ أَوْ صَدَاقَةٍ جَاهِلِيَّةٍ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي مَوَاضِعَ عَدِيدَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾<sup>(٤)</sup>، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أَوْلِيَاءَ لَكُنْتُمْ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾<sup>(٥)</sup>.

وَكَمَا قَالَ سَيِّدُ السَّاجِدِينَ فِي الصَّحِيفَةِ الْكَامِلَةِ فِي وَصْفِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ كَمَا نَصَبَ لِأَمْرِكَ نَفْسَهُ، وَعَرَّضَ فِيكَ لِلْمَكْرُوهِ بَدَنَهُ، وَكَاشَفَ فِي

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٧ .

(٢) سورة التوبة: الآية ٧١ .

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٤ .

(٤) سورة المائدة: الآية ٥١ .

(٥) ومنه في حاشية الأصل: قوله تعالى: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾، جملة مستأنفة؛ لبيان عدم جواز اتخاذ المؤمنين آبائهم أو أَوْلِيَاءَ لِنَفْسِهِمْ .

(٦) سورة المجادلة: الآية ٢٢ .

الدُّعَاءِ إِلَيْكَ حَامَتَهُ<sup>(١)</sup>، وَحَارَبَ فِي رِضَاكَ أَسْرَتَهُ، وَقَطَعَ فِي إِحْيَاءِ دِينِكَ رَحِمَهُ، وَأَقْصَى الْأَذْنِينَ عَلَى جُحُودِهِمْ، وَقَرَّبَ الْأَقْصِينَ عَلَى اسْتِجَابَتِهِمْ لَكَ، وَوَالَى فِيكَ الْأَبْعَدِينَ، وَعَادَى فِيكَ الْأَقْرَبِينَ<sup>(٢)</sup>.

وَكَمَا قَالَ سَيِّدُ السَّاجِدِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي وَصْفِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فِيهَا: "الَّذِينَ أَبْلَوْا الْبَلَاءَ الْحَسَنَ فِي نَصْرِهِ، وَكَانَفُوهُ، وَأَسْرَعُوا إِلَيَّ وَفَادَتِهِ<sup>(٣)</sup>، [وَسَابَقُوا إِلَيَّ دَعْوَتِهِ، وَاسْتَجَابُوا لَهُ حَيْثُ أَسْمَعُهُمْ حُجَّةَ رِسَالَتِهِ]<sup>(٤)</sup>، وَفَارَقُوا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ فِي إِظْهَارِ كَلِمَتِهِ، وَقَاتَلُوا الْآبَاءَ وَالْأَبْنَاءَ فِي تَثْبِيتِ نُبُوتِهِ"<sup>(٥)</sup> الدعاء.

والحاصل أن المؤمنين نُهوا عن موالاة الكافرين من أي صنف كانوا، من الحرابي والنواصب واليهود والنصارى وغيرهم، وعن معاونتهم على المؤمنين والنصرة لهم، بل يجب على المؤمنين أن يشنأهم ويُبغضهم بالقلب واللسان على حسب المقدور؛ لوجوب النهي عن المنكر.

﴿مَنْ دُونَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، أي: مُتَجَاوِزِينَ عَنِ مَوَالَاةِ الْمُؤْمِنِينَ مُغْمِضِينَ عَنْهُمْ وَعَنِ مَوَالَاتِهِمْ مَعَ أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ مَوَالَاةُ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى وَالْمُؤْمِنُونَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ؛ لِأَنَّهُمْ أَحَقَّاءُ بِذَلِكَ دُونَ الْكَافِرِينَ، وَالْوَلِيَّ هُنَا أَعَمٌّ مِنَ الْمُحِبِّ وَالْمَعِينِ وَالتَّاصِرِ وَالْأَوْلَى بِالشَّخْصِ مِنْ نَفْسِهِ.

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾، أي: مَنْ اتَّخَذَ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونَ الْمُؤْمِنِينَ.

﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾، أي: فَلَيْسَ الْمُتَّخِذُ الْمَذْكُورُ مِنْ وِلَايَةِ اللَّهِ فِي شَيْءٍ، وَلَيْسَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، وَاللَّهُ بَرِيءٌ مِنْهُ، (يعني: أَنَّهُ مُنْسَلَخٌ عَنِ وِلَايَةِ اللَّهِ رَأْسًا)<sup>(٦)</sup>، فَلَا يَصِحُّ أَنْ يُسَمَّى

(١) ومنه في حاشية الأصل: أي: حميمته وخاصته وأقربائه.

(٢) الصحيفة السجادية: الإمام زين العابدين (ع): ٣٤، من دعائه عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ .

(٣) ومنه في حاشية الأصل: النَّصْدِيقُ بِرِسَالَتِهِ .

(٤) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٥) الصحيفة السجادية: الإمام زين العابدين (ع): ٤٢، مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الصَّلَاةِ عَلَى أَتْبَاعِ الرُّسُلِ وَمُصَدِّقِيهِمْ.

(٦) جوامع الجامع: الطبرسي: ٢٧٦/١ .

وَلِيًّا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ؛ فَإِنَّ مَوَالَاةَ الْمُتَعَادِيَيْنِ مُمْتَنَعَةٌ لِاجْتِمَاعِ وَ(مُصَادِقَةُ الصِّدِّيقِ، وَمُصَادِقَةُ عَدُوِّهِ [مُتَنَافِيَتَانِ] (١) (٢)، كَمَا قَالَ:

(تَوَدُّ عَدُوِّي ثُمَّ تَزْعَمُ أَنَّي صَدِيقُكَ، إِنَّ الرَّأْيَ [عَنكَ] (٣) لَعَارِبٌ) (٤).

ثُمَّ اسْتَنَتِي سُبْحَانَهُ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾، أَي: إِلَّا أَنْ تَخَافُوا مِنْ جِهَتِهِمْ أَمْرًا يَجِبُ اتِّقَاؤُهُ، يَعْنِي: وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنْ وِلَايَةِ اللَّهِ وَمَحَبَّتِهِ فِي شَيْءٍ فِي وَقْتٍ مِنْ الْأَوْقَاتِ كُلِّهَا، إِلَّا فِي وَقْتِ اتِّقَائِكُمْ مِنْهُمْ؛ بَأَنْ يَكُونَ الْكُفَّارُ غَالِبِينَ وَالْمُؤْمِنُونَ مَعْلُوبِينَ فَيَخَافُهُمُ الْمُؤْمِنُونَ إِنْ لَمْ يُظْهِرُوا مُوَافَقَتَهُمْ، وَلَمْ يُحْسِنُوا الْعِشْرَةَ مَعَهُمْ، يَعْنِي: فَعِنْدَ ذَلِكَ يَجُوزُ إِظْهَارُ مَوَالَاتِهِمْ وَمَوَدَّتِهِمْ بِاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ فَقَطْ دُونَ الْقَلْبِ؛ تَقِيَّةً مِنْهُمْ، وَدَفْعًا عَنِ أَنْفُسِهِمْ وَعَرَضِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَسَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْتَقِدُوا ذَلِكَ بَاطِنًا، كَمَا قَالَ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: (كُنْ وَسَطًا وَامْشِ جَانِبًا) (٥).

وَكَمَا فِي الْفَقِيهِ فِي كِتَابِ الصَّلَاةِ قَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِرَيْدِ الشَّحَامِ: "يَا زَيْدُ خَالِقُوا النَّاسَ بِأَخْلَاقِهِمْ، صَلُّوا فِي مَسَاجِدِهِمْ، وَعُودُوا مَرْضَاهُمْ، وَاشْهَدُوا جَنَائِزَهُمْ، وَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَكُونُوا الْأَيْمَةَ وَالْمُؤَدِّينَ فَافْعَلُوا؛ فَإِنَّكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ قَالُوا: هُوَ لِأَجْلِ الْجَعْفَرِيِّ؛ رَحِمَ اللَّهُ جَعْفَرًا مَا كَانَ أَحْسَنَ مَا يُؤَدِّبُ أَصْحَابَهُ، وَإِذَا تَرَكْتُمْ ذَلِكَ قَالُوا: هُوَ لِأَجْلِ الْجَعْفَرِيِّ فَعَلَّ اللَّهُ بِجَعْفَرٍ مَا كَانَ أَسْوَأَ مَا يُؤَدِّبُ أَصْحَابَهُ" (٦)، وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ "لَا دِينَ لِمَنْ لَا تَقِيَّةَ لَهُ" (٧)، وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ "تِسْعَةَ أَعْشَارِ الدِّينِ فِي التَّقِيَّةِ" (٨)، وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "التَّقِيَّةُ دِينِي وَدِينُ آبَائِي" (٩).

(١) في المصدر: متنافيان .

(٢) جوامع الجامع: الطبرسي: ٢٧٦/١ .

(٣) في الأصل: منك، وما أثبت من المصدر هو الصواب .

(٤) وهذا البيت من الطويل، ينسب للعتابي (أبو عمرو كلثوم بن عمرو بن أيوب التغلبي (ت ٣٢٢هـ))، ينظر: كتاب الحيوان: الجاحظ: ٤٧٦/٧، عيون الأخبار: ابن قتيبة الدينوري: ٩/٣، العقد الفريد: ابن عبد ربه الأندلسي: ٢٢٧/٢ .

(٥) المجالسة وجواهر العلم: أبو بكر الدينوري: ٤٧٨/٣ .

(٦) من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ١/٣٨٣/ح ١١٢٨ .

(٧) المصدر نفسه: ١٢٨/٢ ح ١٩٢٨ .

(٨) الكافي: الكليني: ٢/٢١٧/ح ٢، باب التقية، والحديث طويل اكتفى المؤلف بموضع الشاهد منه .

(٩) وسائل الشيعة: الحر العاملي: ١٦/٢١٠/ح ٢١٣٧٩، باب وجوب التقية مع الخوف إلى خروج صاحب الزمان عليه السلام.

وفي كتاب الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل يقول بعض اليونانيين: "وأمرك أن تستعمل التقية في دينك، فإن الله عز وجل يقول: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ [٥٠] من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة" (١)، [وإياك ثم إياك أن تتعرض للهلاك، وأن تترك التقية التي أمرتك بها؛ فإنك شائط بدمك ودم إخوانك، معرض لنعيمك ولنعيمهم للزوال، مذل لك] (٢) ولهم في أيدي أعداء الله وقد أمرك الله بإعزازهم] (٣) (٤).

وفي تفسير العياشي (عن الحسين بن زيد بن علي، عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: لا إيمان لمن لا تقية له، ويقول: قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ (٥).

وفي أصول الكافي "عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن إسماعيل الجعفي ومعمّر بن يحيى بن سام ومحمد بن مسلم وزرارة قالوا: سمعنا أبا جعفر عليه السلام يقول: التقية في كل شيء يضطر إليه ابن آدم فقد أحله الله له" (٦)، عن حريز عن أبي عبد الله عليه السلام يقول: "يقول: التقية في كل شيء يضطر إليه ابن آدم فقد أحله الله له" (٧)، "عن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال: التقية ترس الله بينه وبين خلقه" (٨)، والأخبار في وجوب استعمال التقية كثيرة.

(١) سورة آل عمران: الآية ٢٨ .

(٢) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٣) ما بين المعقوفين ليس من المصدر؛ وإنما من كتاب: تفسير كنز الدقائق: المشهدي: ٦٦/٣ .

(٤) الاحتجاج: الطبرسي: ٣٥٤/١ .

(٥) تفسير العياشي: العياشي: ١٦٧/١ .

(٦) الكافي: الكليني: ٢/٢٢٠/١٨، باب التقية .

(٧) بحسب تتبعنا لم نجد الرواية بهذا الإسناد، بل رويت (عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن إسماعيل الجعفي ومعمّر بن يحيى بن سام ومحمد بن مسلم وزرارة قالوا: سمعنا أبا جعفر عليه السلام)، ينظر: الكافي: الكليني: ٢/٢٢٠/١٨، باب التقية .

(٨) بحسب تتبعنا لم نجد أن الرواية رويت عن زرارة، وإنما عن (علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس عن ابن مسكان، عن حريز، عن أبي عبد الله عليه السلام)، ينظر: الكافي: الكليني: ٢/٢٢٠/١٩، باب التقية، وسائل الشيعة: الحر العاملي: ١٦/٢٠٧/٢١٣٦٨، باب وجوب التقية مع الخوف إلى خروج صاحب الزمان عليه السلام .

وفي تفسير علي بن إبراهيم قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾، (فإن هذه الآية رخصة ظاهرها خلاف باطنها، يُدان بظاهرها ولا يُدان بباطنها إلا عند التقيّة، وإن التقيّة رخصة للمؤمن أن [يدين بدين] (١) الكافر فيصلي بصلاته ويصوم بصيامه إذا اتقاه في الظاهر وفي الباطن يدين الله بخلاف ذلك) (٢) انتهى.

### دلالة الآية على التقيّة ورجحان وجوبها بدلالة الأخبار:

(ففي هذه الآية دلالة على أن التقيّة جائزة في الدين عند الخوف على النفس) (٣) والعرض والإخوان، بل المال أيضاً، (وقال أصحابنا إنها جائزة في الأقوال) (٤) كلها عند الضرورة، وربما وجبت لضرب من اللطف والاستصلاح؛ [لأنها كالتوبة] (٥)، وليس تجوز من الأفعال في قتل المؤمن) (٦) وشرب الخمر.

وفي المجمع (قال المفيد رحمه الله: إنها قد تجب أحياناً وتكون فرضاً، ويجوز أحياناً) (٧) من غير وجوب [دائماً] (٨)، وتكون في وقت أفضل من تركها، وقد يكون تركها أفضل، وإن كان فاعلها معذوراً ومعفوياً عنه، مُتَقَضِّلاً عَلَيْهِ بِتَرْكِ اللَّوْمِ عَلَيْهَا) (٩).

وقال الشيخ أبو جعفر الطوسي قدس سره: إن (ظاهر الروايات تدل على أنها واجبة عند الخوف على النفس، وقد روي رخصة في جواز الإفصاح بالحق عنده، [وروى الحسن أن] (١٠) مُسَيِّمَةَ الْكُذَّابِ أَخَذَ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِأَحَدِهِمَا: أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَفَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، ثُمَّ دَعَا بِالْآخَرِ فَقَالَ: أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، ثُمَّ قَالَ: أَفَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟

(١) في الأصل: تراه يلي.

(٢) تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي: ١٠٠/١.

(٣) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٧٣/٢.

(٤) في المصدر: الأحوال.

(٥) ما بين المعقوفين ليس من المصدر.

(٦) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٧٣/٢.

(٧) ما بين المعقوفين ليس من الأصل، وما أثبت من المصدر يقتضيه السياق.

(٨) ما بين المعقوفين ليس من المصدر.

(٩) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٧٤/٢.

(١٠) في الأصل: وروي بأن.



فَقَالَ: إِنِّي أَصَمُّ قَالَهَا ثَلَاثًا، كُلَّ ذَلِكَ يَجِيبُهُ [بِمِثْلِ الْأَوَّلِ] (١)، فَضَرَبَ عُنُقَهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ [إِلَى] (٢) رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَمَّا [هَذَا] (٣) الْمَقْتُولُ فَمَضَى عَلَى صِدْقِهِ وَيَقِينِهِ، وَأَخَذَ بِفَضْلِهِ، فَهَنِيئًا لَهُ، وَأَمَّا الْأَخْرُ فَقَبِلَ رُحْصَةَ اللَّهِ، فَلَا تَبِعَةَ عَلَيْهِ، فَعَلَى هَذَا تَكُونُ التَّقِيَّةُ رُحْصَةً وَالْإِفْصَاحُ بِالْحَقِّ فَضِيلَةً (٤) انْتَهَى.

وَالْأَجُودُ وَالْأَحْوَطُ وَجُوبُ التَّقِيَّةِ عِنْدَ الْخَوْفِ عَلَى النَّفْسِ وَعَلَى الْإِخْوَانِ عَلَى مَا مَرَّ مِنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "لَا دِينَ لِمَنْ لَا تَقِيَّةَ لَهُ" وَحَدِيثُ الْاِحْتِجَاجِ وَغَيْرِهِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (٥)، نَصَّ فِيهَا ذِكْرَنَا مِنَ الْوَجُوبِ عَلَى مَا مَرَّ فِي الْبَقْرَةِ وَيَجِيءُ فِي سُورَةِ النَّحْلِ ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ (٦)، (وَلَمْ تَتَّعِرْ عَقِيدَتَهُ، ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا﴾ (٧)، اعْتَقَدَهُ وَطَابَ بِهِ نَفْسًا، ﴿فَعَلَيْنَهُمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٨)؛ إِذْ لَا جُرْمَ أَعْظَمَ مِنْ جُرْمِهِ (٩)، قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾، (هُوَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ أَخَذَتْهُ قُرَيْشٌ فَعَذَّبُوهُ بِالنَّارِ حَتَّى أَعْطَاهُمْ بِلِسَانِهِ مَا أَرَادُوا، ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا﴾، فَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ بْنِ الْحَارِثِ [مِنْ بَنِي لُؤَيٍّ] (١٠) (١١)، (كَانَ [عَامِلًا لِعُثْمَانَ] (١٢) بْنِ عَفَّانَ عَلَى مِصْرٍ) (١٣).

(١) في الأصل: بمثله .

(٢) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٣) في المصدر: ذلك .

(٤) التبيان في تفسير القرآن: الطوسي: ٤٣٥/٢ .

(٥) سورة البقرة: الآية ١٩٥ .

(٦) سورة النحل: الآية ١٠٦ .

(٧) سورة النحل: الآية ١٠٦ .

(٨) سورة النحل: الآية ١٠٦ .

(٩) التفسير الصافي: الفيض الكاشاني: ١٥٧/٣ .

(١٠) في الأصل: بن لؤي .

(١١) تفسير القمي: القمي: ٣٩٠/١ .

(١٢) في الأصل: عامل عثمان .

(١٣) التفسير الصافي: الفيض الكاشاني: ١٥٧/٣ .

قصة عمّار وأبويه ياسر وسمية:

و(قصة عمّار على ما رواها المُفسِّرون في [شأن نزول هذه الآية]<sup>(١)</sup> إنَّ فُرَيْشاً أَكْرَهُهُ وَأَبُوَيْه يَاسِرٌ وَسُمَيَّةٌ عَلَى الْإِزْتِدَادِ فَأَبَى أَبَوَاهُ فَقَتَلُوهُمَا وَهُمَا أَوْلَى قَتِيلَيْنِ فِي الْإِسْلَامِ وَأَعْطَاهُمُ عَمَّارٌ بِلِسَانِهِ مَا أَرَادُوا مُكْرَهًا، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ عَمَّارًا كَفَرَ، فَقَالَ: كَلَّا إِنَّ عَمَّارًا مَلِيٌّ إِيْمَانًا مِنْ قَرْنِهِ إِلَى قَدَمِهِ وَاخْتَلَطَ الْإِيْمَانُ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ، فَأَتَى عَمَّارٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَبْكِي فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَمْسَحُ عَيْنَيْهِ وَقَالَ: مَا لَكَ إِنْ عَادُوا لَكَ فَعُدْ لَهُمْ بِمَا قُلْتَ)<sup>(٢)</sup> الْحَدِيثُ، وَهَذَا الْخَبَرُ لَا يُنَافِي الْوُجُوبَ؛ لِأَنَّ أَبَوَيْ عَمَّارٍ لَمْ يَكُونَا عَالِمِينَ بِوُجُوبِ التَّقِيَّةِ وَلَمْ تَصِلْهُمَا الرُّخْصَةُ فِيهَا، وَكَذَا غَيْرُهُ مِنَ الْأَخْبَارِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي مِثَالِ ذَلِكَ.

وَفِي الْكَافِي "قِيلَ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ النَّاسَ يَزُورُونَ أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ عَلَى مِنْبَرِ الْكُوفَةِ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ سَتُدْعَوْنَ إِلَى سَبِّي فَسُبُّونِي، ثُمَّ تُدْعَوْنَ إِلَى الْبِرَاءَةِ مِنِّي فَلَا تَبَرُّوْا مِنِّي، فَقَالَ: مَا أَكْثَرَ مَا يَكْذِبُ النَّاسُ عَلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا قَالَ: إِنَّكُمْ سَتُدْعَوْنَ إِلَى سَبِّي فَسُبُّونِي، ثُمَّ سَتُدْعَوْنَ إِلَى الْبِرَاءَةِ مِنِّي وَإِنِّي لَعَلَى دِينِ مُحَمَّدٍ، وَلَمْ يُعَلِّمْ: لَا تَبَرُّوْا مِنِّي، فَقَالَ لَهُ السَّائِلُ: أَرَأَيْتَ إِنْ اخْتَارَ الْقَتْلَ دُونَ الْبِرَاءَةِ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا ذَلِكَ عَلَيْهِ وَمَا لَهُ إِلَّا مَا مَضَى عَلَيْهِ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ حَيْثُ [أَكْرَهَهُ أَهْلُ مَكَّةَ]<sup>(٣)</sup> [٥١] وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ﴾، فَقَالَ لَهُ: النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهَا: يَا عَمَّارُ إِنْ عَادُوا فَعُدْ فَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عُذْرَكَ وَأَمَرَكَ أَنْ تَعُودَ إِنْ عَادُوا"<sup>(٤)</sup>.

وَفِي تَفْسِيرِ الْعِيَّاشِيِّ (عَنِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِثْلَهُ، وَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ سُئِلَ مَدُّ الرِّقَابِ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ الْبِرَاءَةُ مِنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: الرُّخْصَةُ أَحَبُّ إِلَيَّ أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّهِ فِي عَمَّارٍ ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ﴾)<sup>(٥)</sup>، وَفِي مَعْنَاهُ أَخْبَارٌ أُخْرَى.

(١) في الأصل: نزول الآية .

(٢) التفسير الصافي: الفيض الكاشاني: ١٥٧/٣ .

(٣) في الأصل: أكره .

(٤) الكافي: الكليني: ٢/٢١٩/١٠٠، باب التقية .

(٥) التفسير الصافي: الفيض الكاشاني: ١٥٨/٣، نقلاً عن تفسير العياشي: العياشي: ٢٧٢، بتصرف .

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ الْمَصِيرُ﴾، (فَلَا تَتَعَرَّضُوا لِسَخَطِهِ بِمُخَالَفَةِ أَحْكَامِهِ وَمُؤَالَاةِ أَعْدَائِهِ)<sup>(١)</sup>، (وَهَذَا تَهْدِيدٌ عَظِيمٌ وَوَعِيدٌ شَدِيدٌ)<sup>(٢)</sup>، (مُشْعِرٌ بِتَنَاهِي الْمَنْهِي عَنْهُ فِي الْقُبْحِ)<sup>(٣)</sup>، وَالْأَصْلُ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ إِيَّاهُ، (فَوَضَعَ نَفْسَهُ مَكَانَ إِيَّاهُ، وَمَعْنَاهُ: وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ عِقَابَهُ عَلَى اتِّخَاذِكُمُ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ)<sup>(٤)</sup>، (وَعَلَى سَائِرِ الْمَعَاصِي وَذَكَرَ نَفْسَهُ؛ لِتَحْقِيقِ الْإِضَافَةِ)<sup>(٥)</sup> لِيَعْلَمَ أَنَّ الْمَحَذَّرَ مِنْهُ عِقَابٌ يَصْدُرُ مِنْهُ تَعَالَى فَلَا يَزِدُّهُ عَنْهُ أَوْلِيَاؤُهُ مِنَ الْكُفْرَةِ، (كَمَا يُقَالُ: اخْذِرِ الْأَسَدَ، أَي: صَوْلَتَهُ وَافْتِرَاسَهُ)<sup>(٦)</sup> لَا عَيْنَهُ، وَمَعْنَى: ﴿وَاللَّهُ الْمَصِيرُ﴾، وَاللَّهُ جَزَائِهِ وَاللَّهُ حُكْمِهِ الْمَرْجِعُ لَا إِلَى جَزَاءٍ غَيْرِهِ.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُعَلِّمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٧)</sup> آية .  
الإعراب:

﴿إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾، شَرْطٌ، ﴿أَوْ تُبْدُوهُ﴾ عَطْفٌ عَلَيْهِ، وَ﴿يُعَلِّمُهُ﴾ بِالْجَزْمِ جَوَابُ الشَّرْطِ، وَجُمْلَةٌ ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ اسْتِنْفَافٌ لِبَيَانِ التَّعْمِيمِ، وَشَمُولِ عِلْمِهِ تَعَالَى غَيْرَ مَا تُخَفُونَهُ فِي صُدُورِكُمْ وَمَا تُبْدُونَهُ.  
المعنى:

لَمَّا نَهَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ اتِّخَاذِ الْكُفَّارِ أَوْلِيَاءَ خَوَّفَهُمْ مِنْ إِبْطَانِهِمْ بِخِلَافِ الْإِظْهَارِ فِيمَا نُهُوا عَنْهُ مِنْ مُؤَالَاةِ الْكُفَّارِ فَقَالَ: ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدٌ ﴿إِنْ تَخَفُوا﴾، أَي: أَنْ تُسِرُّوا ﴿مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾، أَي: مَا فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ مُؤَالَاةِ الْكُفَّارِ وَمَحَبَّتِهِمْ، ﴿أَوْ تُبْدُوهُ﴾، أَي: تُظْهِرُوهُ، ﴿يُعَلِّمُهُ اللَّهُ﴾ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ (يَعْلَمُ ضَمَائِرَكُمْ مِنْ وِلَايَةِ الْكُفَّارِ وَغَيْرِهَا)<sup>(٨)</sup> مِمَّا لَا يَرْضَى اللَّهُ تَعَالَى أَنْ تُخْفَوْهَا أَوْ تُبْدَوْهَا، وَلَمْ يَخَفْ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ ﴿يَعْلَمُ مَا

(١) أنوار التنزيل: البيضاوي: ١٢/٢ .

(٢) التفسير الصافي: الفيض الكاشاني: ٣٣١/١ .

(٣) السراج المنير: الخطيب الشربيني: ٢٠٨/١ .

(٤) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٧٤/٢ .

(٥) المصدر نفسه: ٢٧٤/٢ .

(٦) المصدر نفسه: ٢٧٤/٢ .

(٧) سورة آل عمران: الآية ٢٩ .

(٨) أنوار التنزيل: البيضاوي: ١٢/٢ .

فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴿١﴾، فَيَعْلَمُ سِرِّكُمْ وَعَلَانِيَتَكُمْ، وَيَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى، ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، فَهُوَ قَادِرٌ (عَلَى عُقُوبَتِكُمْ إِنْ لَمْ تَنْتَهُوا عَمَّا نُهَيْتُمْ عَنْهُ) (١)، وَهَذِهِ الْآيَةُ بَيَانٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ (٢)، (وَهِيَ ذَاتُهُ الْمُتَمَيِّزَةُ مِنْ سَائِرِ الذَّوَاتِ الْقَادِرَةِ الْعَالِمَةِ، فَلَا تَخْتَصُّ بِمَقْدُورٍ دُونَ مَقْدُورٍ وَلَا بِمَعْلُومٍ دُونَ مَعْلُومٍ، [فَكَانَ] (٣) أَحَقُّ بِأَنْ يُنْقَى وَيُحَذَرَ) (٤)، (فَكَانَتْهُ قَالَ: [وَيُحَذِّرُكُمُ نَفْسَهُ] (٥)؛ لِأَنَّهَا مُتَّصِفَةٌ بِعِلْمِ ذَاتِيَّ مُحِيطٍ بِالْمَعْلُومَاتِ كُلِّهَا، وَقُدْرَةٍ ذَاتِيَّةٍ تَعَمُّ الْمَقْدُورَاتِ [بِأَسْرَهَا] (٦)، فَلَا تَجَسَّرُوا عَلَى عِضْيَانِهِ [وَمُخَالَفَةِ أَحْكَامِهِ] (٧)؛ إِذْ مَا مِنْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا وَهُوَ مُطَّلَعٌ عَلَيْهَا، قَادِرٌ عَلَى الْعِقَابِ بِهَا) (٨).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمِمَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٩) آيَةٌ .

القراءة:

فُرِي وَدَّتْ فِي مَوْضِعِ تَوَدُّ (١٠) فَعَلَى هَذَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَا فِي ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ﴾ شَرْطِيَّةً أَيْضًا مُبْتَدِئَةً خَبَرَهُ كَلِمَةُ وَدَّتْ، وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ تَوَدُّ .

اللغة:

السُّوءُ ضِدُّ الْخَيْرِ وَهُوَ التَّسْتَرُّ وَصَفَهُ بِالْمَصْدَرِ لِلْمُبَالَغَةِ (١١)، وَأَمَدُ الشَّيْءِ غَايَتُهُ الَّتِي يَنْتَهِي إِلَيْهَا وَالْأَمَدُ الْمَسَافَةُ (١٢).

(١) أنوار التنزيل: البيضاوي: ١٢/٢ .

(٢) سورة آل عمران: الآية ٢٨ .

(٣) في الأصل: فهو .

(٤) جوامع الجامع: الطبرسي: ٢٧٧/١، وانظر: تفسير البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي: ٤٤٤/٢ .

(٥) في الأصل: وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ.

(٦) في الأصل: بحدافيرها .

(٧) ما بين المعقوفين ليس من المصدر.

(٨) أنوار التنزيل: البيضاوي: ١٢/٢، زبدة التفسير: فتح الله الكاشاني: ٤٧٢/١.

(٩) سورة آل عمران: الآية ٣٠ .

(١٠) انفرد بهذه القراءة عبد الله بن مسعود، أنظر: معاني القرآن: الفراء: ٢٠٧/١ .

(١١) ينظر: الصحاح: الجوهري: ٥٦/١، مادة سوا .

(١٢) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ٧٤/٣، مادة أمد .

## الإعراب:

﴿يَوْمَ﴾ مَفْعُولٌ بِهِ لِأَذْكَرَ أَوْ اذْكَرُوا مَحذُوفًا مُفْرَدًا بِدَلَالَةِ ﴿قُلْ﴾ وَجَمْعًا بِدَلَالَةِ ﴿وَيُحَذِّرُكُمْ﴾،  
 وَ﴿إِنْ تَحْفُوا﴾، أَي: اذْكَرْ أَوْ اذْكَرُوا يَوْمَ تَجِدُ أَوْ ظَرْفٌ لِيُحَذِّرُكُمْ الْآتِي، أَي: وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ  
 نَفْسَهُ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ أَوْ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَى اللَّهُ الْمَصِيرُ﴾<sup>(١)</sup> أَي: وَالَى اللَّهُ الْمَصِيرُ يَوْمَ  
 تَجِدُ إِيخ، أَوْ ظَرْفٌ لِتَوَدُّ، أَي: وَتَتَمَّى كُلُّ نَفْسٍ يَوْمَ تَجِدُ صَحَائِفَ أَعْمَالِهَا أَوْ أَعْمَالَهَا نَفْسَهَا  
 أَوْ جِزَاءَ أَعْمَالِهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ حَاضِرَةً ﴿لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا﴾، أَي: بَيْنَ النَّفْسِ وَبَيْنَهُ، أَي: بَيْنَ مَا  
 عَمَلْتَهُ مِنْ سُوءٍ أَوْ بَيْنَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَهَوْلِهِ أَمَدًا بَعِيدًا، وَعَلَى التَّقَايِيرِ جُمْلَةً ﴿تَجِدُ﴾ مُضَافٌ  
 إِلَيْهَا لِيَوْمٍ وَ﴿مَا﴾ مَوْصُولَةٌ إِسْمِيَّةٌ مَفْعُولٌ أَوَّلُ ﴿تَجِدُ﴾، وَجُمْلَةٌ ﴿عَمِلْتَ﴾ صِلَةٌ مَا، وَالْعَائِدُ  
 مَحذُوفٌ، أَي: مَا عَمَلْتَهُ، وَمِنْ فِي ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾، لِلتَّبْيِينِ حَالٍ مِنَ الضَّمِيرِ الْمَحذُوفِ أَوْ مِنْ  
 مَا، وَ﴿مُحْضَرًا﴾ مَفْعُولُهُ الثَّانِي إِذَا جَعَلْتَهُ مِنَ الْوُجْدَانِ الْعِلْمِيِّ، وَأَمَّا إِذَا جَعَلْتَهُ مِنْ وَجَدْتِ  
 الضَّالَّةَ مُحْضَرًا حَالٌ مِنْ مَفْعُولٍ تَجِدُ، أَعْنِي: مَا، أَوْ مِنَ الْعَائِدِ الْمَحذُوفِ، ﴿وَمَا عَمِلْتَ مِنْ  
 سُوءٍ﴾ عَطْفٌ عَلَى ﴿مَا عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ﴾ عَلَى الْوَجْهِ الْأَخْسَنِ الْأَقْوَى لَفْظًا وَمَعْنَى، وَالْمَفْعُولُ  
 الثَّانِي أَوْ الْحَالُ مَحذُوفٌ بِدَلَالَةِ مَا قَبْلَهُ، أَي: تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلْتَ مِنْ سُوءٍ مُحْضَرًا  
 أَيْضًا، وَحِينَئِذٍ جُمْلَةٌ ﴿تَوَدُّ﴾ حَالٌ مِنْ فَاعِلٍ عَمِلْتَ الثَّانِي، أَي: وَادَّةً تَبَاعَدَ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ،  
 وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَا مَصْدَرِيَّةً أَيْضًا، أَي: تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ عَمَلَهَا مُحْضَرًا سِيَّمَا عَلَى تَقْدِيرِ  
 تَجَسَّمِ الْأَعْمَالِ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَا فِي ﴿مَا عَمِلْتَ مِنْ سُوءٍ﴾ مَرْفُوعَ الْمَحَلِّ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ  
 وَحِينَئِذٍ جُمْلَةٌ ﴿تَوَدُّ﴾ خَبَرُهُ، أَي: وَالَّذِي عَمَلْتَهُ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ هِيَ لَوْ تَبَاعَدَ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ، وَمَا  
 حِينَئِذٍ مَوْصُولَةٌ إِسْمِيَّةٌ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ حِينَئِذٍ شَرْطِيَّةً أَيْضًا مُبْتَدَأَةً وَلَا سِيَّمَا عَلَى قِرَاءَةِ وَدَّتْ  
 وَجُمْلَةٌ ﴿تَوَدُّ﴾ جَوَابُ الشَّرْطِ وَخَبَرُ الْمُبْتَدَأِ، وَكَذَا جُمْلَةٌ وَدَّتْ عَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ، وَ﴿لَوْ﴾  
 مَصْدَرِيَّةٌ أَوْ حَرْفٌ تَمَنٍّ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>،  
 وَ﴿بَيْنَهَا﴾ خَبَرٌ أَنَّ وَبَيْنَهُ عَلَى عَطْفِ بَيْنَهَا، وَالضَّمِيرُ فِي بَيْنَهَا لِلنَّفْسِ وَفِي بَيْنَهُ لِمَا عَمِلْتَ  
 مِنْ سُوءٍ وَهُوَ الْأَصَحُّ وَقِيلَ ضَمِيرٌ بَيْنَهُ لِلْيَوْمِ، ﴿وَأَمَدًا﴾ إِسْمٌ أَنْ، وَ﴿بَعِيدًا﴾ نَعْتٌ لِأَمَدًا، أَي:  
 لَوْ ثَبَّتَ أَنْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا عَمَلْتَهُ مِنْ سُوءٍ أَوْ بَيْنَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَهَوْلِهِ أَمَدًا وَهِيَ مَعَ مَا  
 بَعْدَهَا [٥٢] مَفْعُولٌ تَوَدُّ، أَوْ مَفْعُولٌ تَوَدُّ مَحذُوفٌ بِدَلَالَةِ ذَلِكَ عَلَيْهِ.

(١) سورة آل عمران: الآية ٢٩ .

(٢) سورة الحجر: الآية ٢ .

### المعنى:

لَمَّا نَهَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ اتِّخَاذِهِمُ الْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَحَدَّرَهُمْ عَنِ سَائِرِ الْمَعَاصِي، وَعَنْ عِقَابِهِ عَقَبَهُ بِنِّيَانٍ وَقَتِ الْعِقَابِ فَقَالَ: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمِمَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾<sup>(١)</sup>، أي: اذْكُرُوا ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ﴾، أي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿مِمَّا عَمِلَتْ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ وَطَاعَةِ ﴿مُحْضَرًا﴾ مُجَسَّمًا مَوْجُودًا عِنْدَهَا بِدَلَالَةِ ظَاهِرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾<sup>(٢)</sup>، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مِمَّا أَحْضَرَتْ﴾<sup>(٣)</sup>.

### ذكر دلالة الآية على تجسيم الأعمال:

فَتَدَلَّ عَلَى تَجْسِيمِ الْأَعْمَالِ كَمَا زَهَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْأَصْحَابِ وَيُؤَيِّدُهُ مَا وَرَدَ فِي الْأَخْبَارِ مَجِيءُ الْقُرْآنِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ بِصُورَةِ شَخْصٍ حَسَنِ الْوُجْهِ حَسَنِ السَّمْتِ طَيِّبِ الرِّيحِ، وَالْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِصُورَةِ شَخْصٍ كَرِيهِ الْمَنْظَرِ مُنْتَنِ الرِّيحِ أَوْ يَتَمَنَّى كُلُّ نَفْسٍ يَوْمَ تَجِدُ صَحَائِفَ أَعْمَالِهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ حَاضِرَةً مُتَطَايِرَةً أَوْ تَجِدُ جَزَاءَ أَعْمَالِهَا مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ حَاضِرًا عِنْدَهَا وَادَّةً لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا أَي: بَيْنَ النَّفْسِ وَبَيْنَهُ، أَي: وَبَيْنَ مَا عَمَلْتَهُ مِنْ سُوءٍ أَوْ بَيْنَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَهَوْلِهِ أَمَدًا بَعِيدًا، أَي: مَسَافَةً بَعِيدَةً، أَي: بُعْدَ الْمَشْرِقِينَ فَبِئْسَ الْقَرِينِ، وَهَذَا التَّقْدِيرُ عِنْدَ مَنْ لَا يَقُولُ بِتَجْسِيمِ الْأَعْمَالِ، وَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: الْأَعْمَالُ أَعْرَاضٌ قَدْ بَطَلَتْ وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهَا الْإِعَادَةُ فَتَسْتَحِيلُ أَنْ تُرَى مُحْضَرَةً وَفِيهِ مَا فِيهِ، ﴿وَيُحَدِّثُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾، كَرَّرَهُ لِلتَّوَكِيدِ وَالْمَبَالِغَةِ فِي التَّحْذِيرِ وَالتَّخْوِيفِ، ﴿وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ ذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ، تُرَجَى رَحْمَتُهُ وَيُخْشَى عِقَابُهُ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ إِنَّمَا نَهَاهُمْ عَنِ الْمَعَاصِي وَاتِّخَاذِ الْكُفَّارِ أَوْلِيَاءَ وَحَدَّرَهُمْ عَنِ ذَلِكَ وَعَنْ نَفْسِهِ وَعِقَابِهِ؛ رَأْفَةً بِهِمْ وَمُرَاعَاةً لِصَلَاحِهِمْ فِي الدِّينِ وَالدَّارَيْنِ.

(١) ما بين المعقوفين ليس من المصدر.

(٢) سورة الكهف: الآية ٤٩ .

(٣) سورة التكويد: الآية ١٤ .

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ\* قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(١)</sup> آيتان.  
اللغة:

المَحَبَّةُ والحب والإرادة وميل النفس إلى الشيء لكمال أدركته فيه، والحبُّ الوداد كالحباب، والحب بالكسر المحبوب والحنة بالتاء المحبوبة، يقال أحببته فهو محبوب<sup>(٢)</sup> على غير قياس ومحب قليل لكنه قياس وحببته أحبه بالكسر شاذ حباً بالضم والكسر وهي ضد البغض وفي حديث أحدٍ (هُوَ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ)<sup>(٣)</sup>، ومحبة الله تعالى للعبد إرادة ثوابه ومحبة العبد لله تعالى هي إرادته لطاعته.

في تفسير علي بن إبراهيم (حبُّ الله للعباد رحمة منه لهم وحب العباد لله طاعتهم له)<sup>(٤)</sup> انتهى.  
والطَّاعَةُ اتِّبَاعُ الدَّاعِي فيما دعي إليه بأمره وإرادته ولذلك قد يكون الإنسان مطيعاً للشيطان فيما يدعوه إليه وإن لم يقصد أن يطيعه؛ لأنَّه إذا أماله مع ما يجده في نفسه الدَّعَاءُ إِلَى المَعْصِيَةِ فقد أطاع الداعي إليها، ولا يجوز في القياس ادغام الرَاء في اللَام من نحو يغفر لكم كما جاز العكس من ادغام اللَام في الرَاء من قوله: (جاءوا بصيِّح)<sup>(٥)</sup> هل رأيت الذئب قط؟<sup>(٦)</sup>؛ لأنَّ الرَاء حرف مكرر ولا يدغم الزائد في الناقص للإخلال به .

### الإعراب:

قوله: ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾ جواب الشرط، ودخول الفاء في مثله واجب، وقوله: ﴿يُحِبُّكُمُ اللَّهُ﴾ بفتح الإِدْغَامِ مجزومٌ في جواب الأمر بإضمار إن الشرطية ومدخولها ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ يحتمل أن يكون ماضياً، وأن يكون مضارعاً بمعنى: فَإِنْ تَتَوَلَّوْا، ويدخل في جملة ما يقوله الرسول

(١) سورة آل عمران: الآية ٣١ - ٣٢ .

(٢) ومنه في حاشية الأصل: قوله فهو محبوب إلخ، فكأنهم استغنوا بمحبوبٍ عن محبٍ، كما استغنوا بأحببت عن حببت، وقال عنتره: وَلَقَدْ نَزَلْتُ فَلَا تَنْظِي غَيْرَهُ، مَنَى بِمَنْزِلَةِ المَحَبِّ المُكْرَمِ، ديوان عنتر بن شداد: عنتر بن شداد: ١٢، وانظر: مجمع البيان: الطبرسي: ٢٧٦/٢ .

(٣) صحيح البخاري: البخاري: ١٤٦/٤ ح/٣٣٦٧، عوالي اللئالي: ابن أبي جمهور الأحسائي: ١/١٧٧ ح/٢١٩، وأصل الحديث روي (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، طَلَعَ لَهُ أَحَدٌ فَقَالَ: هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ، اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ، وَإِنِّي أَحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا).

(٤) تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي: ١/١٠٠ .

(٥) الصَّيِّحُ: (الْبَلْبُنُ الرَّقِيقُ الكَثِيرُ المَاءِ)، لسان العرب: ابن منظور: ٥٢٧/٢، مادة صيِّح .

(٦) وينسب هذا القول لرؤية بن العجاج (ت ١٤٥هـ)، خزنة الأدب: البغدادي: ٩٥/٢ .



صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَهُمْ فَحَذَفَتْ إِحْدَى التَّائِينَ كَمَا هُوَ الْقَاعِدَةُ الْمُسْتَمَرَّةُ، وَجُمْلَةٌ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ جَوَابُ الشَّرْطِ وَدُخُولُ الْفَاءِ فِي مِثْلِهِ وَاجِبٌ أَيْضاً أَوْ الْجَوَابُ مَحذُوفٌ وَهَذَا تَعْلِيلٌ لَهُ تَقْدِيرُهُ فَإِنَّ تَتَوَلَّوْا يَبْغُضُكُمُ اللَّهُ أَوْ يَعْذِبُكُمُ اللَّهُ، أَوْ فَإِنَّ تَوَلَّوْا يَبْغُضُهُمُ اللَّهُ أَوْ يَعْذِبُهُمْ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ .

### النزول:

في المجمع (قال محمد بن جعفر بن الزبير: نزلت الآياتان في وفد نجران من النصارى لما قالوا: إنا نعظم المسيح حباً لله)<sup>(١)</sup>، وقيل: (نزلت الآية في قوم من أهل الكتاب قالوا: نحن أحبنا الله، فجعل الله سبحانه مصداق ذلك أتباع رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)<sup>(٢)</sup>، ومن يحذو حذوه من أوصيائه المعصومين فقال: ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدٌ لِلْأُمَّمِ الْمَوْجُودِينَ فِي زَمَنِكَ مِنَ الْخَلَائِقِ ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ أي: تحبون دين الله أو ذاته المقدسة إن كنتم صادقين في دعوة محبة الله وإرادتكم طاعته وكونكم على دينه كما تزعمون ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾ في ديني وفي أقوالي وأعمال غير المختصة بي فَإِنَّ الْمَحَبَّةَ مِيلَ الطَّبَاعِ وَالنُّفُوسِ إِلَى الشَّيْءِ؛ لِكَمَالِ ادْرَكَتِهِ فِيهِ بَحِيثٌ يَحْمِلُهَا عَلَى مَا يَقْرِبُهَا إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ الْعَبْدَ إِذَا عَلِمَ أَنَّ الْكَمَالَ الْحَقِيقِي لَيْسَ لِشَيْءٍ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِنَّ كُلَّ مَا يَرَاهُ كَمَالاً مِنْ نَفْسِهِ أَوْ غَيْرِهِ فَهُوَ مِنَ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَاللَّهُ لَمْ يَكُنْ حَبَّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَفِي اللَّهِ، وَذَلِكَ يَقْتَضِي إِرَادَةَ طَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ، وَالرَّغْبَةَ فِيَمَا يَقَرُّ بِهِ إِلَيْهِ، وَاتِّبَاعَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ وَعِبَادَتِهِ وَالْحَرَصَ عَلَى مَطَاوَعَتِهِ، وَاتِّبَاعَ مَنْ أَوْجَبَ اللَّهُ تَعَالَى وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ اتِّبَاعَهُ، وَفَرْضَ طَاعَتِهِ وَوِلَايَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ.

﴿يُحِبُّكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ الفعلان مجزومان بجواب الأمر، أي: يرض الله تعالى عنكم، ويكشف الحجب والغطاء التعامي عن قلوبكم، ويغفر ذنوبكم، ويستتر عيوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه، ويوئلكم في حظيرة [٥٣] قدسه، عبّر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة أو المشاكلة.

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، أي: كثير المغفرة والرحمة لمن يحبب إليه بطاعته وكمال معرفته، واتباع نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، واتباع من أمر الله تعالى ونبيه باتباعه من الأئمة

(١) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٧٧/٢ .

(٢) جوامع الجامع: الطبرسي: ٢٧٨/١ .

المفترضة الطاعة والاتباع والحب، كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾<sup>(١)</sup>، وغير ذلك مما يأتي ومرّ، ثمّ أكّد سبحانه تلك المحبّة وذلك الاتّباع بقوله: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾، أي: قل يا محمّد إنّ كنتم تحبون الله كما تدعون فأظهروا دلالة صدق المحبّة بطاعة الله، وطاعة رسوله، وطاعة من أمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلّم بطاعته، فذلك أماره صدق دعوكم.

في روضة الكافي بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل يقول فيه عليه السلام: "ومن سرّه أن يعلم أنّ الله يحبّه فليعمل بطاعة الله وليتبعنا، ألم يسمع قول الله عزّ وجلّ لنبيه صلى الله عليه وآله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾؟ والله لا يطيع الله عبداً أبداً إلا أدخل الله عليه في طاعته اتّباعاً ولا والله لا يتبعنا عبداً أبداً إلا أحبّه الله ولا والله لا يدع أحدٌ اتّباعاً أبداً"<sup>(٢)</sup> إلا أبغضنا ولا والله لا يبغضنا أحدٌ أبداً إلا عصى الله ومن مات عاصياً لله"<sup>(٣)</sup> أخزاه الله وأكبّه على وجهه في النار والحمد لله ربّ العالمين"<sup>(٤)</sup>، وفيها خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام وهي خطبة الوسيلة يقول فيه عليه السلام بعد أن ذكر النبي صلى الله عليه وآله: "فقال تبارك وتعالى في التحريض على اتّباعه والترغيب في تصديقه والقبول بدعوته: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، فاتّباعه صلى الله عليه وآله محبّة الله ورضاه غفران الذنوب وكمال الفوز ووجوب الجنة"<sup>(٥)</sup>، وفيها قال الصادق عليه السلام لحفص بن غياث: "يا حفص الحُبُّ أفضل من الخوف، ثمّ قال: والله ما أحبّ الله من أحبّ الدنيا ووالى غيرنا ومن عرف حقنا وأحبّنا فقد أحبّ الله تبارك وتعالى"<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة الشورى: الآية ٢٣ .

(٢) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٣) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٤) الكافي: الكليني: ١٤/٨/١ ح .

(٥) المصدر نفسه: ٢٦/٨/٤ ح، خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام وهي خطبة الوسيلة .

(٦) المصدر نفسه: ١٢٩/٨/٩٨ ح .

وفي كتاب الخصال "عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هَلِ الدِّينُ إِلَّا الْحُبُّ؟ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾<sup>(١)</sup>، و"عَنْ يُونُسَ بْنِ ظَبْيَانَ قَالَ: الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَعَفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قَالَ: إِنَّ النَّاسَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ: فَطَبَقَةٌ يَعْبُدُونَهُ رَغْبَةً فِي ثَوَابِهِ فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْحُرِّصَاءِ وَهُوَ الطَّمَعُ، وَآخَرُونَ يَعْبُدُونَهُ فَرَقًا مِنَ النَّارِ فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ، وَهِيَ رَهْبَةٌ، وَكَأَنِّي أَعْبُدُهُ حُبًّا لَهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْكِرَامِ وَهُوَ الْأَمْنُ، لِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهُمْ مِنْ فِرْعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وَلِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ فَمَنْ أَحَبَّ اللَّهُ أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كَانَ مِنَ الْأَمِينِينَ"<sup>(٣)</sup>.

في تفسير العياشي "عَنْ زِيَادٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ الْحَدَّاءِ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقُلْتُ: يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي رَبُّمَا خَلَا بِي الشَّيْطَانُ فَحَبَّبْتَ نَفْسِي، ثُمَّ نَكَرْتُ حُبِّي إِيَّاكُمْ وَأَنْقَطَاعِي إِلَيْكُمْ فَطَابَتْ نَفْسِي، فَقَالَ: يَا زِيَادُ وَيْحَكَ وَمَا الدِّينُ إِلَّا الْحُبُّ إِلَّا تَرَى إِلَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾<sup>(٤)</sup>، "عَنْ بَشِيرِ الدَّهَّانِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَدْ عَرَفْتُمْ فِي مُنْكَرِينَ كَثِيرٍ، وَأَحْبَبْتُمْ فِي مَبْغُضِينَ كَثِيرٍ، وَقَدْ يَكُونُ حُبًّا لِلَّهِ فِي اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَحُبًّا فِي الدُّنْيَا، فَمَا كَانَ فِي اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَثَوَابُهُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَمَا كَانَ فِي الدُّنْيَا فَلَيْسَ فِي شَيْءٍ، ثُمَّ نَقَضَ يَدَهُ"<sup>(٥)</sup>، "ثُمَّ تَلَا: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾<sup>(٦)</sup>، ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾<sup>(٧)</sup>، ﴿وَمَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾<sup>(٨)</sup>، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾<sup>(٩)</sup>، "عَنْ بُرَيْدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حَدِيثٍ قَالَ: وَاللَّهِ لَوْ أَحْبَبْنَا حَجَرَ حَشَرَهُ اللَّهُ مَعَنَا، وَهَلِ الدِّينُ إِلَّا الْحُبُّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، وَقَالَ: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ

(١) الخصال: الصدوق: ٢١/٧٤، الدين هو الحب .

(٢) سورة النمل: الآية ٨٩ .

(٣) الخصال: الصدوق: ١٨٨/٢٥٩، الناس يعبدون الله عز وجل على ثلاثة أوجه .

(٤) تفسير العياشي: العياشي: ١/١٦٧ .

(٥) المصدر نفسه: ١/١٦٧ .

(٦) سورة النساء: الآية ٥٩ .

(٧) سورة الحشر: الآية ٧ .

(٨) سورة النساء: الآية ٨٠ .

(٩) تفسير العياشي: العياشي: ١/١٦٧ .

هَاجَرَ إِلَيْهِمْ<sup>(١)</sup>، وَهَلِ الدِّينُ إِلَّا الحُبُّ<sup>(٢)</sup>، "عَنْ رُبْعِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قِيلَ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ جُعِلَتْ فِدَاكَ إِنَّا نُسَمِّي بِأَسْمَائِكُمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِكُمْ فَيَنْفَعُنَا ذَلِكَ؟ فَقَالَ: إِي وَاللَّهِ، وَهَلِ الدِّينُ إِلَّا الحُبُّ؟ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾<sup>(٣)</sup> الحديث.

وَمَحَبَّةُ أُولِي الْأَمْرِ وَطَاعَتُهُمْ هِيَ مَحَبَّةُ الرَّسُولِ وَطَاعَتُهُ، وَهِيَ مَحَبَّةُ اللَّهِ وَطَاعَتُهُ؛ بِدَلَالَةِ الْآيَةِ وَالْأَخْبَارِ؛ فَكَمَا يَجِبُ مَحَبَّةُ اللَّهِ تَعَالَى وَطَاعَتُهُ تَجِبُ مَحَبَّةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَطَاعَتُهُ، وَكَمَا تَجِبُ مَحَبَّتُهُمَا وَطَاعَتُهُمَا تَجِبُ مَحَبَّةُ مَنْ أَمَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مَحَبَّتَهُمْ وَطَاعَتَهُمْ وَاتِّبَاعُهُمْ كَمَا مَرَّ آفَاءً، وَإِلَّا لَمْ تَكُنْ مَحَبَّةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَطَاعَتُهُمَا مَحَبَّةً وَطَاعَةً، وَلَا يَكُونُ لَهُمَا مِصْدَاقٌ أَضْلاً وَقَالَ تَعَالَى أَيْضاً: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾<sup>(٤)</sup> الْآيَةَ.

"وَفِي الْمَحَاسِنِ عَنِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ، فَقَالَ: هِيَ وَاللَّهُ فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ [فِي أَهْلِ بَيْتِهِ]<sup>(٥)</sup> <sup>(٦)</sup>، وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "وَلَوْ أَنَّ عَبْدًا عَبْدَ اللَّهِ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ أَلْفَ عَامٍ، ثُمَّ أَلْفَ عَامٍ، ثُمَّ أَلْفَ عَامٍ<sup>(٧)</sup> حَتَّى يَصِيرَ كَالشَّنِّ<sup>(٨)</sup> الْبَالِي، ثُمَّ لَمْ يُدْرِكْ مَحَبَّتَنَا أَكْبَهُ اللَّهُ عَلَى مَنْخَرِيهِ فِي النَّارِ ثُمَّ تَلَا [هَذِهِ الْآيَةَ]<sup>(٩)</sup>: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾<sup>(١٠)</sup> الْآيَةَ.

وَفِي الْكَافِي عَنِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْهَا فَقَالَ: [٥٤] "هُمُ الْأَيْمَةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ"<sup>(١١)</sup>.

(١) سورة الحشر: الآية ٩ .

(٢) تفسير نور الثقلين: الحويزي: ٣٢٧/١ .

(٣) المصدر نفسه: ٣٢٧/١ .

(٤) سورة الشورى: الآية ٢٣ .

(٥) في الأصل: وأهل بيته .

(٦) التفسير الصافي: الفيض الكاشاني: ٣٧٣/٤، نقلاً عن: المحاسن: البرقي: ١/٤٤٤، (بتصرف) .

(٧) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٨) الشَّنُّ: هي (القربة، والخَلْقُ من كل أنية صُنِعَتْ من جلد)، لسان العرب: ابن منظور: ٢٤١/١٣، مادة شنن .

(٩) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(١٠) بحار الأنوار: المجلسي: ٢٣/٢٣٠، باب أن مودتهم أجر الرسالة، وسائر ما نزل في مودتهم .

(١١) الكافي: الكليني: ١/٤١٣/ح٧، باب فيه نُكَّتْ وَتُنَّتْ مِنَ التَّنْزِيلِ فِي الْوَلَايَةِ .

وفي الخصال "عَنْ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: مَنْ لَمْ يُحِبَّ عَتْرَتِي فَهُوَ لِأَحَدِي ثَلَاثَ إِمَامًا: مُنَافِقٌ، وَإِمَامٌ لِزَنِيَّةٍ، وَإِمَامٌ [أَمْرِي] حَمَلَتْ بِهِ أُمَّهُ" (١) فِي غَيْرِ طَهْرٍ" (٢).

وَفِي ذَلِكَ أَخْبَارٌ لَا تُحْصَى كَثْرَةً، وَقَوْلُهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي الْأَخْبَارِ الْمَذْكُورَةِ: (وَمَا الدِّينُ إِلَّا الحُبُّ)، (وَهَلِ الدِّينُ إِلَّا الحُبُّ) عَلَى مَا مَرَّ مَرَارًا، وَقَوْلُهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: (الحُبُّ أَفْضَلُ مِنَ الخَوْفِ) يُعْطِي أَنَّ حُبَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَحُبَّ أَهْلِ بَيْتِهِ المَعْصُومِينَ هُوَ الدِّينُ المَرْضِيُّ عِنْدَ اللَّهِ، وَهُوَ الإِسْلَامُ المَسَاوِقُ لِلإِيمَانِ، بَلْ هُوَ الإِسْلَامُ الَّذِي أَكْمَلُ أَفْرَادَ الإِيمَانِ عَلَى مَا مَرَّ مِنَ البَيَانِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلَامُ﴾ (٣)، فِي الحَصْرِ المَسْتَفَادِ مِنْ تَعْرِيفِ الخَبَرِ لَا كإِسْلَامِ الأَعْرَابِيِّ عَلَى مَا مَرَّ أَيْضًا.

فِيكون المعنى ما الدين إلا الإسلام، وما الدين إلا الحُبُّ في الإسلام، وإلا الحُبُّ، أي: حُبُّ الرُّسُولِ وَعَتْرَتِهِ المَعْصُومِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَقَدْ مَرَّ أَيْضًا فِي مَوْضِعِ الحَوَالَةِ.

"عَنْ أَبِي حَمَزَةَ الثَّمَالِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: عَلَى الصَّلَاةِ، وَالتَّوَكُّفِ، وَالصَّوْمِ، وَالحَجِّ، وَالتَّوَالِيَةِ، وَلَمْ يُنَادَ بِشَيْءٍ كَمَا نُودِيَ بِالتَّوَالِيَةِ" (٤)، وَهِيَ حُبُّ الرُّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ المَعْصُومِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الكَثِيرَةِ المَفِيدَةِ وَالمَصْرُوحَةِ بِأَنَّ مَنْ لَمْ يَحِبَّهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ وَلَا مُؤْمِنٍ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الإِسْلَامِ نَصِيبٌ، بَلْ كَافِرٌ خَبِيثٌ نَجِسٌ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، بَلْ هُوَ أَشَدُّ إِشْرَاكًا وَكُفْرًا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَشَدُّ عِنَادًا لَهُمَا مِمَّنْ اتَّخَذَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ عَلَى مَا مَرَّ بَيَانُهُ فِي آيَةِ شَهَادَةِ اللَّهِ، وَذَكَرْنَاهُ مُبَيَّنًّا مُفَصَّلًا فِي رِسَالَةٍ أُخْرَى، وَلَقَدْ أَكَّدَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَجُوبَ حُبِّهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَلَى عُمُومِ العِبَادِ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ مِنَ القُرْآنِ العَظِيمِ مِنَ الآيَاتِ وَالتَّوَكُّفِ الحَكِيمِ، وَالأَحَادِيثِ القُدْسِيَّةِ بِتَأَكِيدَاتٍ عَظِيمَةٍ، وَقَدْ مَرَّ نَبْذُ مَنَاهَا فِي مَوْضِعِ الحَوَالَةِ وَفِي سُورَةِ البَقَرَةِ مَرَارًا، وَكَذَا أَكَّدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَجُوبَ حُبِّهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَاتِّبَاعِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي مَقَامَاتٍ لَا تُحْصَى كَثْرَةً، وَلَا سِيَّمَا فِي خُطْبَةٍ كَبِيرَةٍ خَطَبَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

(١) فِي الأَصْلِ: حَمَلَتْ أُمَّهُ .

(٢) الخصال: الصدوق: ١١٠/٨٢.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٩ .

(٤) الكافي: الكليني: ١٨/٢، باب دَعَائِمِ الإِسْلَامِ .

يَوْمَ الْغَدِيرِ، كَمَا سَنَذَكُرْهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي مَوْضِعِهَا فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ، وَقَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "لَمَّا فَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ هَذِهِ الْخُطْبَةِ [رُئِيَ فِي النَّاسِ] (١) رَجُلٌ جَمِيلٌ [بِهَيْ] (٢) طَيِّبُ الرِّيحِ فَقَالَ: تَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ [مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ] (٣) كَالْيَوْمِ قَطُّ، مَا أَشَدَّ مَا يُؤَكِّدُ لَابِنِ عَمِّهِ وَأَنَّهُ لَعَقَدَ عَقْدًا لَا يَحُلُهُ إِلَّا كَافِرٌ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَرَسُولِهِ، وَوَيْلٌ طَوِيلٌ لِمَنْ حَلَّ عَقْدَهُ، قَالَ: وَالتَّقَتَّ إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ حِينَ سَمِعَ كَلَامَهُ فَأَعْجَبَتْهُ هَيَأْتُهُ، ثُمَّ التَّقَتَّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَقَالَ: أَمَا سَمِعْتَ مَا قَالَ هَذَا الرَّجُلُ، قَالَ كَذَا وَكَذَا؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنْ ذَلِكَ الرَّجُلُ؟ قَالَ: لَا، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: ذَلِكَ الرُّوحُ الْأَمِينُ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَحُلَّهُ، فَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَلَائِكَتَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ مِنْكَ بَرَاءٌ" (٤) الْحَدِيثُ.

وَشَرَطُ مِصْدَاقِ حُبِّ اللَّهِ حُبَّ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَحُبُّ أَوْصِيَاءِهِ الْاِثْنَيْ عَشَرَ، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ مُحِبًّا لِلَّهِ، بَلْ هُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ، كَمَا أَنَّ مَنْ شَهِدَ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَمْ يَشْهَدْ بِأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ لَمْ يَكُنْ إِقْرَارُهُ وَشَهَادَتُهُ بِاللَّهِ شَهَادَةً بَلْ هُوَ كَافِرٌ، وَمَنْ شَهِدَ بِاللَّهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَشَهِدَ بِأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَلَمْ يَشْهَدْ بِوَصِيٍّ مِنْ أَوْصِيَاءِهِ الْاِثْنَيْ عَشَرَ فِي مَرْتَبَتِهِ لَمْ تَكُنْ شَهَادَتُهُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ شَهَادَةً، وَلَمْ يَكُنْ مُؤْمِنًا بَلْ كَافِرًا حَقًّا كَمَا مَرَّ فِي آيَةِ ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ مِنَ الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ عَنِ الصَّادِقِ عَنِ آبَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَدَّثَنِي جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ رَبِّ الْعِزَّةِ جَلَّ جَلَالُهُ إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا مَرَّ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ وَيَجِيءُ فِي مَوْضِعِهِ.

ذَكَرَ مَا هُوَ الْمُرَادُ مِنْ اتِّبَاعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

فَالْمُرَادُ بِاتِّبَاعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْمَأْمُورُ بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، اتِّبَاعُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي حُبِّ أَهْلِ بَيْتِهِ الْمَعْصُومِينَ وَفِيمَا أَوْصَى بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ اتِّبَاعِ أَوْصِيَاءِهِ الْاِثْنَيْ عَشَرَ وَمَحَبَّتِهِمْ وَتَقْدِيمِهِمْ وَفَرْضِ طَاعَتِهِمْ، وَرَدِّ الْأُمُورِ الْمَتَنَازِعِ فِيهَا إِلَيْهِمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَاتِّبَاعِ أَثَارِهِمْ وَالْعَمَلِ بِمَا يَأْمُرُونَهُ وَاتِّبَاعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي

(١) في المصدر: رأى الناس.

(٢) في المصدر: بها، وما أثبت من الأصل يقتضيه السياق وهو الصواب.

(٣) ما بين المعقوفين ليس من الأصل.

(٤) الاحتجاج: الطبرسي: ٨٤/١، بحار الأنوار: المجلسي: ٢١٩/٣٧.

الدِّينِ وَاتِّبَاعُهُ فِي الْمَعْتَدَاتِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ وَالْأَعْمَالِ الْمُشْتَرَكَةِ بَيْنَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَبَيْنَهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَبَيَّنَ غَيْرِهِمْ دُونَ الْمُخْتَصَّةِ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَبِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾، أَي: فَإِنْ أَعْرَضُوا أَوْ فَإِنْ تَوَلَّوْا، أَي: فَإِنْ تَعَرَّضُوا عَنِ حُبِّ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَحُبِّ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَطَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِهِ بِمَا مَرَّ مِنَ الْمَرَاتِبِ.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾، بَلْ (يُبْغِضُهُمْ وَلَا يُرِيدُ ثَوَابَهُمْ، فَذَلَّ بِالنَّفْيِ عَلَى الْإِثْبَاتِ وَذَلِكَ أَبْلَغُ؛ لِأَنَّهُ لَوْ قَالَ [فَإِنَّ اللَّهَ] (١) يُبْغِضُهُمْ لَجَازَ أَنْ يَتَوَهَّمُ أَنَّهُ تَعَالَى يُبْغِضُهُمْ مِنْ وَجْهِ وَيُحِبُّهُمْ مِنْ وَجْهِ) (٢)، وَإِنَّمَا لَمْ يَقُلْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّهُمْ، أَي: لَا يَرْضَى عَنْهُمْ وَلَا يُرِيدُ ثَوَابَهُمْ لِقَصْدِ الْعُمُومِ وَلِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ التَّوَلَّى كُفْرٌ، وَعَلَى أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يُحِبُّهُمْ وَلَا يَرْضَى عَنْهُمْ وَلَا يُرِيدُ ثَوَابَهُمْ مِنْ أَجْلِ كُفْرِهِمْ، فَوَضَعَ الظَّاهِرَ مَوْضِعَ الضَّمِيرِ لِهَذِهِ الْمَعَانِي؛ لِأَنَّ تَعْلِيْقَ الْحُكْمِ بِالْوَصْفِ مَشْعُرٌ بِالْعِلِّيَّةِ وَإِنَّ مَحَبَّتَهُ تَعَالَى مُخْتَصَّةٌ بِالْمُؤْمِنِينَ لَا يَتَجَاوَزُهُمْ إِلَى الْكَافِرِينَ، ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ (٣).

قَالَ فِي الْمَجْمَعِ (وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى بَطْلَانِ مَذْهَبِ الْمُجْبِرَةِ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى إِذَا لَمْ يُحِبِّ الْكَافِرِينَ مِنْ أَجْلِ كُفْرِهِمْ، وَلَمْ يُرِدْ ثَوَابَهُمْ لِذَلِكَ، فَلَا يُرِيدُ إِذَا كُفْرَهُمْ، لِأَنَّهُ لَوْ أَرَادَهُ لَمْ يَكُنْ نَفْيَ مَحَبَّتِهِ لَهُمْ لِكُفْرِهِمْ) (٤) انْتَهَى كَلَامَهُ أَعْلَى اللَّهُ مَقَامَهُ.

أَقُولُ: لَا يَخْفَى مَا فِي ظَاهِرِ قَوْلِهِ قُدْسَ سِرِّهِ فَلَا يُرِيدُ إِذَا كُفْرَهُمْ؛ لِأَنَّهُ لَوْ أَرَادَهُ [٥٥] لَمْ يَكُنْ نَفْيَ مَحَبَّتِهِ إِخ.

مِنَ الْمُنَاقَشَةِ لِمَا مَرَّ مِنْ أَنَّ الْحَقَّ مِنَ الْمَذْهَبِ أَنَّهُ لَا يَكُونُ شَيْءٌ مِنَ الْأَفْعَالِ الْاِخْتِيَارِيَّةِ لِلْعِبَادِ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ مِنْ طَاعَةٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا بِهَذِهِ الْخِصَالِ السَّبْعِ: بِمَشِيئَةٍ، وَإِرَادَةٍ، وَقَدَرٍ، وَقَضَاءٍ، وَإِذْنٍ، وَكِتَابٍ، وَأَجَلٍ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى نَقْضِ وَاحِدَةٍ فَقَدْ كَفَرَ (٥) الْحَدِيثُ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ كُفْرَهُمْ بِإِرَادَةٍ عَزَمَ كَمَا شَاءَهُ بِمَشِيئَةٍ عَزَمَ وَقَدَرَهُ تَقْدِيرَ

(١) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٢) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٧٧/٢ .

(٣) سورة محمد: الآية ١١ .

(٤) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٧٧/٢ .

(٥) الكافي: الكليني: ١/١٥٠/ح١، مرآة العقول: المجلسي: ٢/١٥٠/ح١، باب في أَنَّهُ لَا يَكُونُ شَيْءٌ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا بِسَبْعَةٍ .



عَزِمَ وَقَضَاهُ قَضَاءً عَزِمَ إِلَى آخِرِ مَا مَرَّ فِي تَفْسِيرِ آيَةِ الْمَلِكِ فِي ذِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ إِلَى آخِرِ التَّفْصِيلِ، فَكَأَنَّهُ قَدَّسَ سِرَّهُ أَرَادَ بِقَوْلِهِ وَلَوْ أَرَادَهُ إِيجَادَ الْكُفْرِ وَاحْدَاتِهِ فِيهِمْ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ بِذَلِكَ أَهْلَ الْحَقِّ لَكِنَّهُ مُوَافِقٌ لِمَذْهَبِ الْمُجَبِّرَةِ وَتَكُونُ الْآيَةُ رَدًّا لَهُمْ، وَالصَّوَابُ أَنْ يُرَادَ بِقَوْلِهِ قَدَّسَ سِرَّهُ فَلَا يُرِيدُ إِذَا كُفِرْهُمْ لِأَنَّهُ لَوْ أَرَادَهُ إِخ، أَنَّهُ سَبْحَانَهُ لَا يَرْضَى كُفْرَهُمْ لِأَنَّهُ لَوْ رَضِيَهُ لَمْ يَكُنْ إِخ، فَحِينَئِذٍ صَحَّ الرَّدُّ أَيْضًا، قَالَ: أَنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾<sup>(١)</sup>، وَقَدْ مَرَّ بِيَانِهِ أَيْضًا فِي مَوْضِعِ الْحَوَالَةِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ<sup>(٢)</sup> آيتان .

اللغة:

الاصْطِفَاءُ وَالاجْتِبَاءُ وَالاخْتِيَارُ وَالانْتِخَابُ نَظَائِرٌ، وَالاصْطِفَاءُ مِنَ الصَّفْوَةِ وَأَصْلُهُ الْاصْتِفَاءُ فَلَبِتِ النَّاءُ طَاءً؛ لوجودِ الْمُطَبَّقَةِ الْمُسْتَعْلِيَةِ وَهِيَ الصَّادُ قَبْلَهَا عَلَى مَا هُوَ الْقَاعِدَةُ الْمُسْتَمَرَّةُ، وَالصَّفْوَةُ الْخَالِصُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ<sup>(٣)</sup> وَهُوَ مِنْ بَابِ تَمَثِيلِ الْمَعْلُومِ بِالْمُرْتَبِيِّ وَهُوَ الصَّافِي مِنْ شَائِبِ الْكَدْرِ فِيمَا يَشَاهِدُ فَمَثَلُ اللَّهِ سَبْحَانَهُ خُلُوصَ هَوْلَاءٍ مِنَ الْفَسَادِ بِخُلُوصِ الصَّافِي مِنَ شَوَائِبِ الْأَدْناسِ<sup>(٤)</sup>، وَقَدْ مَرَّ أَصْلُ آلٍ وَمَعْنَاهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾<sup>(٥)</sup>، وَكَذَا الذُّرِّيَّةُ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾<sup>(٦)</sup>.

الإعراب:

﴿آدَمَ﴾ مَفْعُولُ اصْطَفَى، وَكَذَا ﴿نُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ﴾، وَذَكَرُ آلَ عِمْرَانَ بَعْدَ آلَ إِبْرَاهِيمَ مِنْ بَابِ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ لِمَزِيدِ الْإِهْتِمَامِ كَمَا تَعْرِفُهُ فِي الْمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿ذُرِّيَّةً﴾ حَالٌ مِنْ نُوحٍ وَمِنَ الْآلِينَ، وَعَامِلُ الْحَالِ ﴿اصْطَفَى﴾ أَوْ بَدَلٌ مِنْ مَفْعُولِ اصْطَفَى وَجُمْلَةٌ ﴿بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ مِنَ الْمَبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ صِفَةُ ذُرِّيَّةٍ.

المعنى:

(١) سورة الزمر: الآية ٧ .

(٢) سورة آل عمران: الآية ٣٣ - ٣٤ .

(٣) ينظر: الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري: ٢٨٥ .

(٤) ينظر: مجمع البيان: الطبرسي: ٤٤٠/٢ .

(٥) سورة البقرة: الآية ٤٩ .

(٦) سورة البقرة: الآية ١٢٤ .

لَمَّا أَوْجِبَ اللَّهُ تَعَالَى طَاعَةَ الرُّسُلِ وَالْقَائِمِينَ مَقَامَهُمْ مِنَ الْأَوْصِيَاءِ وَبَيَّنَّ أَنَّهَا الْجَالِبَةُ لِمَحَبَّةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بَلْ هِيَ عَيْنُهَا عَقَبَ ذَلِكَ بَيَانِ مَنَاقِبِهِمْ وَالْإِخْبَارِ بِمَا يَكُونُ مِنْ شَمَائِلِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَالتَّشْوِيقِ إِلَيْهِمْ؛ بِذِكْرِ مَا يَكُونُ مِنْ أَقْدَارِهِمْ وَرَفَعَةِ دَرَجَاتِهِمْ تَحْرِيصًا عَلَى مَحَبَّتِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ<sup>(١)</sup>، وَتَشْوِيقًا إِلَى اتِّبَاعِ آثَارِهِمْ فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى﴾، أَي: اخْتَارَ وَاجْتَبَى وَانْتَخَبَ ﴿آدَمَ﴾ بِأَنْ خَلَقَهُ بِيَدِ قُدْرَتِهِ (مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ، وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ، وَأَسْجَدَ لَهُ مَلَائِكَتُهُ، وَأَرْسَلَهُ إِلَى الْمَلَائِكَةِ وَالْإِنْسِ)<sup>(٢)</sup>، وَجَعَلَهُ نَبِيًّا صَفِيًّا حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ، وَ﴿نُوحًا﴾، أَي: (وَاخْتَارَ وَاجْتَبَى نُوحًا بِالنُّبُوَّةِ وَطُولِ الْعُمُرِ)<sup>(٣)</sup>، وَشَيْخَ الْمُرْسَلِينَ وَأَوَّلَ أَوْلِيَاءِ الْعِزْمِ وَاجَابَةِ الدُّعَاءِ وَغَرَقِ قَوْمِهِ الْكَافِرِينَ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ دَيَّارٌ وَنَجَاتُهُ فِي السَّفِينَةِ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ<sup>(٤)</sup>.

﴿وَالْإِبْرَاهِيمَ﴾، أَي: وَاخْتَارَ وَاجْتَبَى إِبْرَاهِيمَ نَفْسَهُ بِالْخَلَّةِ وَالنُّبُوَّةِ وَالْإِمَامَةِ وَتَبْرِيدِ النَّارِ وَإِهْلَاكِ نُمْرُودِ<sup>(٥)</sup>، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾<sup>(٦)</sup> الْآيَةَ، وَاخْتَارَ وَاجْتَبَى أَيْضًا آلَ إِبْرَاهِيمَ وَهُمْ أَوْلَادُهُ إِسْمَاعِيلُ وَإِسْحَاقُ وَيَعْقُوبُ وَيُوسُفُ وَدَاوُدُ وَسُلَيْمَانُ وَيُونُسُ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَنَبِيْنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَآلِ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ؛ لِأَنَّ مُحَمَّدًا وَآلَهُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنْ وُلْدِ إِبْرَاهِيمَ.

﴿وَالْأَمْرَانَ﴾، أَي: وَاخْتَارَ أَيْضًا آلَ عِمْرَانَ وَهُمْ أَيْضًا مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ فِيهِمْ (مُوسَى وَهَارُونَ أَبَا عِمْرَانَ بَنِي يَصْهَرَ بَنِي قَاهُثَ بَنِي لَأوِي بَنِي يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ)<sup>(٧)</sup> أَوْ الْمَرَادُ بِآلِ عِمْرَانَ (عِيسَى وَأُمُّهُ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ بَنِي مَاتَانَ بَنِي أَبِي عَازِزَ أَوْ بَنِي أَبِي يُوَزَ بَنِي رَبِيئِيلَ بَنِي شَالِيَانَ بَنِي يُوحَنَّا بَنِي أَوْشَانَ بَنِي أَمُوزَانَ بَنِي مِيشَكَنَ بَنِي خَازِفَارَ بَنِي إِخَاذَ بَنِي يُوَثَانَ بَنِي عَزْرِيَانَ بَنِي يُوَارِمَ بِنْتُ سَاقِطَ بَنِي إِيشَانَ بَنِي آيِنَانَ بَنِي رَاجِعِيمَ بَنِي سُلَيْمَانَ بَنِي دَاوُودَ)<sup>(٨)</sup> (بَنِي إِيشَانَ بَنِي عُوَيْدَ بَنِي سَلْمُونَ بَنِي يَاعَرَ بَنِي نَخْشُونَ بَنِي [عَمِيَادَ]<sup>(٩)</sup> بَنِي رَامَ بَنِي حَصْرُونَ بَنِي فَارِضَ بَنِي يَهُودَانَ بَنِي

(١) ينظر: أنوار التنزيل: البيضاوي: ١٣/٢ .

(٢) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٧٨/٢ .

(٣) المصدر نفسه: ٢٧٨/٢ .

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢٧٨/٢ .

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٢٧٨/٢ .

(٦) سورة البقرة: الآية ١٣٠ .

(٧) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٧٨/٢ .

(٨) أنوار التنزيل: البيضاوي: ١٣/٢، وانظر: قصص الأنبياء: ابن كثير: ٣٦٨/٢ .

(٩) في المصدر: عمي ناذب .

يعقوب عليهم السلام<sup>(١)</sup>، فهم أيضاً من آل إبراهيم وبين العمرانيين ألف وثمانمائة سنة وعلى التقديرين مُحَمَّدٌ وَآلُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ داخلون في آل إبراهيم كما قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: "إِنِّي دَعَوْتُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ"<sup>(٢)</sup>، كما في سورة البقرة في تفسير قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(٣)</sup>، قوله فيهم، أي: في هذه الذرية المسلمة المشار إليهم بقول إبراهيم وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَبْلَ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ \* رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾<sup>(٤)</sup> الآية، ولم يبعث من هذه صورته إلا مُحَمَّدًا كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: "أَنَا دَعَوْتُ إِبْرَاهِيمَ وَبِشَارُهُ عِيسَى"<sup>(٥)</sup> في قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾<sup>(٦)</sup> كَذَا فِي تَفْسِيرِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ وَالْمَجْمَعِ أَيْضًا، ثُمَّ قَالَ فِي تَفْسِيرِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ: أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ وُلْدِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ<sup>(٧)</sup>.

وفي المجمع أيضاً (وهذا لأنَّ الدعاء صَدَرَ مِنْ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَعَلِمَ بِذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ الْمَدْعُوبَ بِهِ مِنْ وُلْدِهِ، لَا مِنْ وُلْدِ إِسْحَاقَ، وَلَمْ يَكُنْ فِي وُلْدِ إِسْمَاعِيلَ نَبِيٍّ غَيْرَ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ)<sup>(٨)</sup> انتهى، وَفِي الْمَجْمَعِ فِي [٥٦] قَرَأَ أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ وَآلَ مُحَمَّدٍ عَلَى الْعَالَمِينَ<sup>(٩)</sup>، وَقَالَ الْعَالِمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "إِنزَلَ هَكَذَا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ"<sup>(١٠)</sup> وَآلَ عِمْرَانَ وَآلَ مُحَمَّدٍ عَلَى الْعَالَمِينَ، فَاسْقَطُوا آلَ مُحَمَّدٍ مِنَ الْكِتَابِ"<sup>(١١)</sup>.

(١) الإكمال: ابن ماكولا: ١٧٢/١ .

(٢) فتح الباري: ابن حجر: ٥٨٣/٦ .

(٣) سورة البقرة: الآية ١٢٩ .

(٤) سورة البقرة: الآية ١٢٨ - ١٢٩ .

(٥) شعب الإيمان: البيهقي: ١٣٢٢ح/٥١٠/٢، مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب: ١٩٩/١ .

(٦) سورة الصف: الآية ٦ .

(٧) ينظر: تفسير القمي: علي بن إبراهيم: ١٨٠/٢ .

(٨) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٩٤/١ .

(٩) ينظر: المصدر نفسه: ٢٧٨/٢ .

(١٠) ما بين المعقوفين ليس من المصدر.

(١١) تفسير القمي: علي بن إبراهيم: ١٠٠/١ .

وفي تفسير العياشي "عن الصادق عليه السلام قال: وآل إبراهيم وآل مُحَمَّدٍ فَمَحَوَهَا"<sup>(١)</sup>،  
 "عن هشام بن سالم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ  
 وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، فقال: هو آل إبراهيم وآل مُحَمَّدٍ على  
 العالمين، فَوَضَعُوا اسْمًا مَكَانَ اسْمِ"<sup>(٣)</sup>، "وعنه عليه السلام أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: مَا الْحُجَّةُ فِي كِتَابِ  
 اللَّهِ أَنَّ آلَ مُحَمَّدٍ هُمْ أَهْلُ بَيْتِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ؟ قال: قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى  
 آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ وَآلَ مُحَمَّدٍ﴾ هَكَذَا نَزَلَتْ"<sup>(٤)</sup> الحديث.

فعلى هذا يكون عطف آل مُحَمَّدٍ على آل إبراهيم من باب عطف الخاص على العام؛  
 لمزيد الاهتمام كما مر مراراً في سورة البقرة، كما أن (عطف آل عمران بكلام معنيته على آل  
 إبراهيم)<sup>(٥)</sup>، كذلك بقوله: ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾، على عالمي زمانهم، بل على عالمين جميع  
 الأزمنة بالنسبة إلى آل مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، يعني: أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُصْطَفَيْنِ مِنْ آدَمَ عَلَيْهِ  
 السَّلَامُ إِلَى خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَأَوْصِيَاءِهِ الْمَرْضِيِّينَ فَضَّلَهُمُ اللَّهُ وَاجْتَبَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ حَتَّى فَاقَ  
 فَضْلُهُمْ عَلَى فَضْلِ الْعَالَمِينَ مِنَ الْجِنِّ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ؛ بِالْعُلُومِ الْجَلِيلَةِ، وَالْأُمُورِ  
 الْجِسْمِيَّةِ، وَالْمَرَاتِبِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي رَتَّبَهُمْ بِهَا، وَالْمَقَامَاتِ وَالدرَجَاتِ الرَّفِيعَةِ الَّتِي اخْتَصَّهُمْ بِهَا،  
 فَاصْطَفَاهُمْ بِالرِّسَالَةِ وَالْإِمَامَةِ، (وَالْخَصَائِصِ الرُّوحَانِيَّةِ، وَالْفَضَائِلِ الْجِسْمَانِيَّةِ)<sup>(٦)</sup>، وَجَعَلَ فِيهِمْ  
 خَمْسَةَ أَرْوَاحٍ، وَلِهَذِهِ الْمَرَاتِبِ (قَوُوا عَلَى مَا لَمْ يَقْوِ عَلَيْهِ غَيْرُهُمْ)<sup>(٧)</sup>، فَجَعَلَ فِيهِمْ: (رُوحَ الْقُدْسِ،  
 وَبِهَا بُعِثُوا أَنْبِيَاءٌ مُرْسَلِينَ وَغَيْرَ مُرْسَلِينَ [وَأئمة هادين]<sup>(٨)</sup> وَبِهَا عِلْمُوا الْأَشْيَاءِ، وَرُوحَ الْإِيمَانِ،  
 وَبِهَا عَبَدُوا اللَّهَ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَرُوحَ الْقُوَّةِ، وَبِهَا جَاهَدُوا عَدُوَّهُمْ وَعَالَجُوا مَعَاشَهُمْ، وَرُوحَ  
 الشَّهْوَةِ، وَبِهَا صَابُوا لَدَيْذِ الطَّعَامِ وَنَكَحُوا الْحَالَالَ مِنْ شَبَابِ النِّسَاءِ، وَرُوحَ الْبَدَنِ، وَبِهَا دَبُّوا

(١) تفسير العياشي: العياشي: ١/١٦٩، وأصل الرواية (عن أيوب قال: سمعني أبو عبد الله عليه السلام وأنا أقرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ  
 اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ فقال لي: وآل مُحَمَّدٍ كانت فمحوها وتركوا آل إبراهيم وآل  
 عمران).

(٢) سورة آل عمران: الآية ٣٣ .

(٣) تفسير العياشي: العياشي: ١/١٦٨ .

(٤) المصدر نفسه: ١/١٦٩ .

(٥) التفسير الصافي: الفيض الكاشاني: ١/٣٢٩ .

(٦) زبدة التفاسير: فتح الله الكاشاني: ١/٤٧٥ .

(٧) التفسير الصافي: الفيض الكاشاني: ١/٣٢٨ .

(٨) ما بين المعقوفين ليس من المصدر.

وَدَرَجُوا، وَأَمَّا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا جَعَلَ اللَّهُ فِيهِمْ أَرْبَعَةً أَرْوَاحٍ: رُوحَ الْإِيمَانِ، وَرُوحَ الْقُوَّةِ، وَرُوحَ الشَّهْوَةِ، وَرُوحَ الْبَدَنِ<sup>(١)</sup>، (وَأَمَّا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ فَهُمْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، جَعَدُوا مَا عَرَفُوا ابْتِلَاهُمْ اللَّهُ بِذَلِكَ فَسَلَبَهُمْ رُوحَ الْإِيمَانِ وَأَسْكَنَ أَبْدَانَهُمْ ثَلَاثَةَ أَرْوَاحٍ: رُوحَ الْقُوَّةِ، وَرُوحَ الشَّهْوَةِ، وَرُوحَ الْبَدَنِ، ثُمَّ أَضَافَهُمْ إِلَى الْأَنْعَامِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>،<sup>(٣)</sup> هذا الحديث مذكور في مجمع البحرين طويل أخذنا منه موضع الحاجة.

وفي أصول الكافي "عَنْ جَابِرِ الْجُعْفِيِّ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا جَابِرُ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً\* فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ\* وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ\* وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ\* أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، فَالسَّابِقُونَ هُمْ رُسُلُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَخَاصَّةُ اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ، جَعَلَ فِيهِمْ خَمْسَةَ أَرْوَاحٍ أَيْدَهُمْ بِرُوحِ الْقُدُسِ فِيهِ عَرَفُوا الْأَشْيَاءَ، وَأَيْدَهُمْ بِرُوحِ الْإِيمَانِ فِيهِ خَافُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَأَيْدَهُمْ بِرُوحِ الْقُوَّةِ فِيهِ قَدَرُوا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَأَيْدَهُمْ بِرُوحِ الشَّهْوَةِ فِيهِ اشْتَهَوْا طَاعَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَكَرِهُوا مَعْصِيَتَهُ، وَجَعَلَ فِيهِمْ رُوحَ الْمَدْرَجِ الَّذِي بِهِ يَذْهَبُ النَّاسُ وَيَجِيئُونَ، وَجَعَلَ فِي الْمُؤْمِنِينَ وَأَصْحَابِ الْمَيْمَنَةِ رُوحَ الْإِيمَانِ فِيهِ خَافُوا اللَّهَ، وَجَعَلَ فِيهِمْ رُوحَ الْقُوَّةِ فِيهِ قَدَرُوا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَجَعَلَ فِيهِمْ رُوحَ الشَّهْوَةِ فِيهِ اشْتَهَوْا طَاعَةَ اللَّهِ، وَجَعَلَ فِيهِمْ رُوحَ الْمَدْرَجِ الَّذِي بِهِ يَذْهَبُ النَّاسُ وَيَجِيئُونَ"<sup>(٥)</sup>، "عَنْ جَابِرِ الْجُعْفِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ عِلْمِ الْعَالِمِ، فَقَالَ لِي: يَا جَابِرُ إِنَّ فِي الْأَنْبِيَاءِ [وَالْأَوْصِيَاءِ]<sup>(٦)</sup> خَمْسَةَ أَرْوَاحٍ: رُوحَ الْقُدُسِ وَرُوحَ الْإِيمَانِ وَرُوحَ الْحَيَاةِ وَرُوحَ الْقُوَّةِ وَرُوحَ الشَّهْوَةِ، فَبِرُوحِ الْقُدُسِ يَا جَابِرُ عَرَفُوا مَا تَحْتَ الْعَرْشِ إِلَى مَا تَحْتَ التَّرَى، ثُمَّ قَالَ: يَا جَابِرُ إِنَّ هَذِهِ الْأَرْبَعَةَ أَرْوَاحٍ يُصِيبُهَا الْحَدَثَانُ إِلَّا رُوحَ الْقُدُسِ فَإِنَّهَا لَا تَلْهُو وَلَا تَلْعَبُ"<sup>(٧)</sup>، "عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ عِلْمِ الْإِمَامِ بِمَا فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ مُرْحَى

(١) مجمع البحرين: الطريحي: ١٨١/٥ .

(٢) سورة الفرقان: الآية ٤٤ .

(٣) مجمع البحرين: الطريحي: ١٨١/٥ .

(٤) سورة الواقعة: الآية ٧ - ١١ .

(٥) الكافي: الكليني: ٢٧١/١ - ٢٧٢/١ ح ١، بَابٌ فِيهِ ذِكْرُ الْأَرْوَاحِ الَّتِي فِي الْأَيْمَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

(٦) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٧) الكافي: الكليني: ٢٧٢/١ ح ٢، بَابٌ فِيهِ ذِكْرُ الْأَرْوَاحِ الَّتِي فِي الْأَيْمَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

عَلَيْهِ سِرُّهُ، فَقَالَ: يَا مُفَضَّلُ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ فِي النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَمْسَةَ أَرْوَاحٍ: رُوحَ الْحَيَاةِ فِيهِ دَبٌّ وَدَرَجٌ، وَرُوحَ الْقُوَّةِ فِيهِ نَهَضٌ وَجَاهَدٌ، وَرُوحَ الشَّهْوَةِ فِيهِ أَكَلٌ وَشَرِبٌ وَأَتَى النِّسَاءَ مِنَ الْحَلَالِ، وَرُوحَ الْإِيمَانِ فِيهِ آمَنٌ وَعَدَلٌ، وَرُوحَ الْقُدْسِ فِيهِ حَمَلُ النُّبُوَّةِ فَإِذَا قُبِضَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ انْتَقَلَ رُوحُ الْقُدْسِ فَصَارَ إِلَى الْإِمَامِ، وَرُوحُ الْقُدْسِ لَا يَنَامُ وَلَا يَغْفُلُ وَلَا يَلْهُو وَلَا يَزْهُو، وَالْأَرْبَعَةُ الْأَرْوَاحُ تَنَامُ وَتَغْفُلُ وَتَزْهُو وَتَلْهُو، وَرُوحُ الْقُدْسِ كَانَ يَرَى بِهِ<sup>(١)</sup> الْحَدِيثَ.

فَوَجِبَ أَنْ يَكُونَ الْمُصْطَفَوْنَ الْأَخْيَارَ مَعْصُومِينَ مُطَهَّرِينَ مُنْزَهِينَ عَنِ الْقَبَائِحِ؛ لِيَكُونُوا صَالِحِينَ لِعَهْدِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ الْأَمَانَةُ وَالرِّسَالَةُ، وَقَالَ فِي الْمَجْمَعِ: (وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ الَّذِينَ اصْطَفَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مُطَهَّرِينَ مُنْزَهِينَ عَنِ الْقَبَائِحِ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى لَا يَخْتَارُ وَلَا يَصْطَفِي لِذَلِكَ إِلَّا مَنْ كَانَ كَذَلِكَ، وَيَكُونُ ظَاهِرُهُ مِثْلَ بَاطِنِهِ فِي الطَّهَارَةِ وَالْعِصْمَةِ، فَعَلَى هَذَا يَخْتَصُّ الْاصْطِفَاءَ بِمَنْ كَانَ مَعْصُومًا مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ وَآلِ عِمْرَانَ، سِوَاهُ كَانِ نَبِيًّا أَوْ إِمَامًا، وَيُقَالُ الْاصْطِفَاءَ عَلَى وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا: إِنَّهُ اصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ أَي: جَعَلَهُ خَالِصًا [٥٧] لَهُ، يَخْتَصُّ بِهِ، وَالثَّانِي: إِنَّهُ اصْطَفَاهُ عَلَى غَيْرِهِ أَي: اخْتَصَّهُ بِالتَّفْضِيلِ عَلَى غَيْرِهِ)<sup>(٢)</sup>.

دَلَالَةُ الْآيَةِ عَلَى أَفْضَلِيَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأئِمَّةِ (ع) عَلَى جَمِيعِ الْمَخْلُوقِينَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْجِنِّ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ:

(وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى تَفْضِيلِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَجْمَعِينَ؛ لِأَنَّ الْعَالَمِينَ تَعَمَّ الْمَلَائِكَةُ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ وَقَدْ فَضَّلَهُمْ سُبْحَانَهُ وَخَتَّارَهُمْ عَلَى الْكُلِّ)<sup>(٣)</sup>.

وَفِي تَفْسِيرِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ لَفْظُ الْآيَةِ (عَامٌ وَمَعْنَاهُ خَاصٌّ وَإِنَّمَا [اخْتَارَهُمْ]<sup>(٤)</sup> وَفَضَّلَهُمْ عَلَى عَالَمِي رَمَانَهُمْ)<sup>(٥)</sup> انْتَهَى مُرَادُهُ قُدْسَ سِرُّهُ.

أَنَّ لَفْظَ آلِ إِبْرَاهِيمَ وَآلِ عِمْرَانَ عَامٌ يَشْمَلُ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ نَبِيًّا وَإِمَامًا وَمَنْ لَيْسَ كَذَلِكَ مِنْ مُؤْمِنِي آلِهِمَا، لَكِنْ مَعْنَاهُ خَاصٌّ بِمَنْ كَانَ نَبِيًّا وَإِمَامًا دُونَ غَيْرِهِمَا، وَقَوْلُهُ قُدْسَ سِرُّهُ إِنَّمَا

(١) الكافي: الكليني: ١/٢٧٢/٣، بَابٌ فِيهِ يَكْرُ الْأَرْوَاحِ الَّتِي فِي الْأئِمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

(٢) مجمع البيان: الطبرسي: ٢/٢٧٨ .

(٣) المصدر نفسه: ٢/٢٧٩ .

(٤) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٥) تفسير القمي: علي بن إبراهيم: ٢/٢٩٢ .

فَضَّلَهُمْ عَلَى عَالَمِي زَمَانِهِمْ، يَعْنِي: بِالنِّسْبَةِ إِلَى آدَمَ وَنُوحَ وَإِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَمُوسَى وَعِيسَى  
إِلْحَ، وَأَمَّا نَبِينَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَأَوْصِيَاؤُهُ مِنَ الْأَيْمَةِ الْمَعْصُومِينَ، فَهُمْ أَفْضَلُ عَلَى  
عَالَمِي جَمِيعِ الْأَزْمِنَةِ، كَمَا مَرَّ مِرَارًا فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَفِي هَذِهِ السُّورَةِ أَيْضًا، وَيَجِيءُ أَنْفَاءً فِي  
الْأَخْبَارِ الْآتِيَةِ، وَفِي مَوَاضِعَ مِنَ الْقُرْآنِ أَيْضًا.

وَقَوْلُهُ: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾، قَدْ مَرَّ فِي الْإِعْرَابِ أَنَّهَا حَالٌ أَوْ بَدَلٌ، أَي: حَالٌ  
كَوْنُهُمْ ذُرِّيَّةٌ وَاحِدَةٌ مُتَّسِعَةٌ (بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ فِي التَّنَاسُلِ وَالتَّوَالِدِ) (١) وَالتَّنَاصُرِ وَالتَّعَاوُدِ  
لِلدِّينِ الْحَنِيفِ، يَعْنِي: أَوْلَادًا وَأَعْقَابًا مِنْ سِلْسِلَةٍ وَاحِدَةٍ مُتَّعِلَّةٍ، مِنْ أَصْلَابٍ طَاهِرَةٍ، إِلَى أَرْحَامِ  
مُطَهَّرَةٍ، إِلَى أَنْ انْتَهَى الْأَمْرُ إِلَى خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَسَيِّدِ الْأَوْصِيَاءِ وَأَوْلَادِهِ الصَّفْوَةِ الْمَعْصُومِينَ  
صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ (فَإِنَّهُمْ ذُرِّيَّةُ آدَمَ ثُمَّ ذُرِّيَّةُ نُوحٍ ثُمَّ ذُرِّيَّةُ إِبْرَاهِيمَ وَهُوَ الْمَرْوِيُّ عَنْ أَبِي  
عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ) (٢)، وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "الَّذِينَ اصْطَفَاهُمْ اللَّهُ بَعْضُهُمْ مِنْ نَسْلِ  
بَعْضٍ" (٣)؛ فَهُمْ مِنْ سِلْسِلَةٍ وَاحِدَةٍ؛ فَإِنَّ آلَ عِمْرَانَ سَوَاءٌ كَانِ الْمُرَادُ بِهِ مُوسَى وَهَارُونَ أَوْ  
عِيسَى وَأُمُّهُ مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ كَمَا مَرَّ أَنْفَاءً، وَإِبْرَاهِيمَ مِنْ آلِ نُوحٍ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ بَعْدَ الطُّوفَانِ سِوَى  
مَنْ كَانُوا مَعَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي السَّفِينَةِ وَهُمْ أَيْضًا مَاتُوا سِوَى ثَلَاثَةِ نَفَرٍ مِنْ أَوْلَادِ نُوحٍ: سَامٌ  
وَكَامٌ وَيَافِثٌ كَمَا يَأْتِي فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

### معنى الذرية واشتقاقها ووزنها:

و(الذرية) ﴿الذرية﴾ الولد، تَفَعَّ عَلَى الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ (٤)، وَزَنْهَا فُعْلِيَّةٌ مِنَ الذَّرِّ؛ لظهورهم مِنْ  
صُلْبِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَالذَّرَّةِ أَوْ فُعُولَةٍ مِنَ الذَّرَاءِ مِنْ ذَرَّةٍ بِمَعْنَى خَلَقَ كَوَّرَ عَيْنُهُ لِلْمُبَالَغَةِ؛  
لِأَنَّهُمْ خُلِقُوا مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَصْلُهَا ذُرْوَةٌ قُلِبَتْ هَمْزُهَا يَاءً فَصَارَتْ ذُرْوِيَّةً فَاجْتَمَعَتِ الْوَاوُ  
وَالْيَاءُ وَسَبِقَتْ إِحْدَاهُمَا بِالسُّكُونِ قُلِبَتْ الْوَاوُ يَاءً وَأُدْغِمَتْ (٥).

وَفِي تَفْسِيرِ الْعِيَّاشِيِّ قَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "لَا تَكُونُ الذُّرِّيَّةُ مِنَ الْقَوْمِ إِلَّا نَسْلُهُمْ مِنْ  
أَصْلَابِهِمْ" (٦).

(١) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٧٩/٢ .

(٢) بحار الأنوار: المجلسي: ٢١٣/٢٣ .

(٣) المصدر نفسه: ٢١٣/٢٣ .

(٤) زبدة التفاسير: فتح الله الكاشاني: ٤٧٦/١، نقلًا عن: لسان العرب: ابن منظور: ٨٠/١، (بتصرف) .

(٥) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ٨٠/١، مادة ذرأ .

(٦) تفسير العياشي: العياشي: ١٧٠/١ .



وَعَلَى جَمِيعِ التَّقَادِيرِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَلِ مُحَمَّدٍ دَاخِلُونَ فِي آلِ إِبْرَاهِيمَ وَفِي ذُرِّيَّتِهِ الْمَعْصُومِينَ، وَعَنْ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ فَقَالَ: نَحْنُ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ بَقِيَّةُ تِلْكَ الْعِتْرَةِ<sup>(١)</sup>.

وَفِي الْمَجَالِسِ "عَنْ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَشْعَثَ الْكِنْدِيِّ لِلْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا حُسَيْنَ بْنَ فَاطِمَةَ أَيُّهُ حُرْمَةٌ لَكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَيْسَتْ لِعَيْرِكَ؟ فَتَلَا الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ \* ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴿<sup>(٢)</sup> الْآيَةَ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَمِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِنَّ الْعِتْرَةَ الْهَادِيَةَ لَمِنْ آلِ مُحَمَّدٍ<sup>(٣)</sup>.

وَفِي الْعُيُونِ فِي مَجْلِسِ الرِّضَا "فَقَالَ الْمَأْمُونُ: هَلْ فَضَّلَ اللَّهُ الْعِتْرَةَ عَلَى سَائِرِ النَّاسِ؟ فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَبَانَ فَضْلَ الْعِتْرَةِ عَلَى سَائِرِ النَّاسِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ، فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ: أَيْنَ ذَلِكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ؟ فَقَالَ لَهُ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، وَفِيهِ أَيْضًا (فِي مَجْلِسِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ الْمَأْمُونِ مَعَ أَهْلِ الْمَلَلِ وَالْمَقَالَاتِ، وَمَا أَجَابَ [إِيَّاهُ]<sup>(٥)</sup> عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْجَهْمِ فِي عِصْمَةِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي حَدِيثٍ يَقُولُ فِيهِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ)<sup>(٦)</sup>: أَمَا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي آدَمَ: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾<sup>(٧)</sup>، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ حُجَّةً فِي أَرْضِهِ وَخَلِيفَتَهُ فِي بِلَادِهِ لَمْ يَخْلُقْهُ لِلْجَنَّةِ، وَكَانَتْ الْمَعْصِيَةُ مِنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْجَنَّةِ لَا فِي الْأَرْضِ، وَعِصْمَتُهُ تَجِبُ أَنْ يَكُونَ فِي الْأَرْضِ؛ لِتَتِمَّ مَقَادِيرُ أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلَمَّا أَهْبَطَ إِلَى الْأَرْضِ وَجَعَلَ حُجَّتَهُ وَخَلِيفَتَهُ عَصَمَ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ

(١) تفسير العياشي: العياشي: ١٧٠/١ .

(٢) سورة آل عمران: الآية ٣٣ - ٣٤ .

(٣) التفسير الصافي: الفيض الكاشاني: ٣٢٨/١، نقلاً عن: الأمالي: الصدوق: ٢٢١ .

(٤) عيون أخبار الرضا: الصدوق: ٢٠٨/١-٢٠٩/١ ح١، ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع المأمون في الفرق بين العترة والأمة.

(٥) ما بين المعقوفين ليس من المصدر.

(٦) هذا النص ورد في نور الثقلين: الحويزي: ٣٢٨/١ .

(٧) سورة طه: الآية ١٢١ .

اضطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ﴿<sup>(١)</sup>﴾، وفي "مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المأمون في عصمة الأنبياء عليهم السلام في حديث طويل وفيه يقول عليه السلام: "وكان ذلك من آدم عليه السلام قبل النبوة، ولم يكن ذلك بذنب كبير استحق به دخول النار، وإنما كان من الصغائر الموهوبة التي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم، فلما اجتباها الله تعالى وجعله نبياً كان معصوماً لا يذنب صغيرة ولا كبيرة، قال الله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى \* ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ <sup>(٢)</sup>، وقال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ <sup>(٣)</sup>.

وفي كتاب الخصال "عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله تبارك وتعالى اختار من كل شيء أربعة إلى أن قال: واختار من البيوت أربعة، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ <sup>(٤)</sup>، "وعن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، عن جدّه عن علي بن أبي طالب عليهم السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال في وصية له: يا علي إن الله عز وجل أشرف على الدنيا فاخترني منها على رجال العالمين، ثم اطلع الثانية فاخترك [٥٨] على رجال العالمين بعدي، ثم اطلع الثالثة فاختر الأئمة من ولدك على رجال العالمين بعدك، ثم اطلع الرابعة فاختر فاطمة على نساء العالمين" <sup>(٥)</sup>.

(١) عيون أخبار الرضا: الصدوق: ١٧٠/١ - ١٧١/ح١، باب ذكر مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المأمون مع أهل الملل والمقاتلات وما أجاب به علي بن محمد بن الجهم في عصمة الأنبياء سلام الله عليهم أجمعين .

(٢) سورة طه: الآية ١٢١ - ١٢٢ .

(٣) عيون أخبار الرضا: الصدوق: ١٧٤/١ - ١٧٥/ح١، ذكر مجلس آخر للرضا عليه السلام عن المأمون في عصمة الأنبياء عليهم السلام .

(٤) ومنه في حاشية الأصل: "تمام الحديث، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله تبارك وتعالى اختار من كل شيء أربعة: إختار من الملائكة جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليهم السلام، وإختار من الأنبياء أربعة لسيف: إبراهيم وداود وموسى وأنا، وإختار من البيوت أربعة، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾، وإختار من البلدان أربعة، فقال عز وجل: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾، فالتين المدينة، والزيتون بيت المقدس، وطور سينين الكوفة، وهذا البلد الأمين مكة، وإختار من النساء أربعاً: مريم وآسية وخديجة وفاطمة، وإختار من الحج أربعة: الشج والعمج والإحرام والطواف، فأما الشج فالنحر، والعمج صجيج الناس بالتلبية، وإختار من الأشهر أربعة: رجب وشوال وذو القعدة وذو الحجة، وإختار من الأيام أربعة: يوم الجمعة ويوم التروية ويوم عرفة ويوم النحر، الخصال: الصدوق: ٢٢٥ .

(٥) المصدر نفسه: ٢٠٦ - ٢٠٧/ح٢٥.

وفي كمال الدين وتمام النعمة "بإسناده إلى مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضِيلِ، عَنْ أَبِي حَمْرَةَ الثَّمَالِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ الْبَاقِرِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ يَقُولُ فِيهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَلَمَّا قَضَى مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نُبُوتَهُ وَاسْتَكْمَلَ أَيَّامَهُ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ: أَنْ يَا مُحَمَّدُ قَدْ قَضَيْتَ نُبُوتَكَ وَاسْتَكْمَلْتَ أَيَّامَكَ، فَاجْعَلِ الْعِلْمَ الَّذِي عِنْدَكَ وَالْإِيمَانَ وَالْإِسْمَ الْأَكْبَرَ وَمِيرَاتِ الْعِلْمِ وَأَثَارَ عِلْمِ النُّبُوتِ عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنِّي لَنْ أَقْطَعَ الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ وَالْإِسْمَ الْأَكْبَرَ وَمِيرَاتِ الْعِلْمِ وَأَثَارَ عِلْمِ النُّبُوتِ مِنَ الْعَقَبِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ، كَمَا لَمْ أَقْطَعْهَا مِنْ بُيُوتَاتِ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَبِيكَ آدَمَ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

وفي روضة الكافي "عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَمَّادٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شَمْرٍ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾<sup>(٢)</sup>، فَأَصْلُ الشَّجَرَةِ الْمُبَارَكَةِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾<sup>(٣)</sup>، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، أَي: سَمِيعٌ بِأَقْوَالِ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَنُوحِ الْإِنْسَانِ، عَلِيمٌ بِأَعْمَالِهِمْ، (فَيَصْطَفِي مِنْهُمْ مَنْ كَانَ [سَابِقًا بِالْخَيْرَاتِ])<sup>(٥)</sup> مَسْتَقِيمَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ أَوْ سَمِيعٌ بِقَوْلِ امْرَأَةِ عِمْرَانَ عَلِيمٌ بِبَيْتِهَا<sup>(٦)</sup> عَلَى تَقْدِيرِ كَوْنِ إِذٍ فِي إِذٍ قَالَتْ امْرَأَتُ عِمْرَانَ ﴿ظَرْفًا لِقَوْلِهِ: ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، أَوْ لِقَوْلِهِ: ﴿اصْطَفَى﴾، عَلَى وَجْهِ، وَهُوَ كَوْنُ آلِ عِمْرَانَ عَيْسَى وَأُمَّهُ مَرْيَمَ.

وَفِي كِتَابِ الْمَنَاقِبِ لِابْنِ شَهْرٍ أَشُوبَ "مُحَمَّدُ بْنُ [سَيْرِينَ]<sup>(٧)</sup>: أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِابْنِهِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِجْمَعِ النَّاسَ، فَاجْتَمَعُوا، فَأَقْبَلْ وَخَطَبْ النَّاسَ فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ

(١) نور الثقلين: الحويضي: ٣٢٩/١، نقلاً عن: كمال الدين وتمام النعمة: الصدوق: ٢١٧/٢، باب اتصال الوصية من

لدى آدم عليه السلام وأن الأرض لا تخلو من حجة لله عز وجل على خلقه إلى يوم القيامة، (بتصرف) .

(٢) سورة النور: الآية ٣٥ .

(٣) سورة هود: الآية ٧٣ .

(٤) الكافي: الكليني: ٥٧٤/٣٨١/٨، الحديث طويل أخذ منه المؤلف موطن الشاهد .

(٥) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٦) أنوار التنزيل: البيضاوي: ١٣/٢، التفسير الأصفى: الفيض الكاشاني: ١٤٧/١ .

(٧) في الأصل: بشر .

وَتَشْهَدُ ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اخْتَارَنَا لِنَفْسِهِ، وَارْتَضَانَا لِدِينِهِ، وَاصْطَفَانَا عَلَى خَلْقِهِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابَهُ وَوَحْيَهُ، وَأَيُّمُ اللَّهِ! لَا يَنْقُضُنَا أَحَدٌ مِنْ حَقِّنَا شَيْئاً إِلَّا أَنْقَضَهُ اللَّهُ مِنْ حَقِّهِ، فِي عَاجِلِ دُنْيَاهُ وَأَخْرَجْتَهُ، وَلَا يَكُونُ عَلَيْنَا دَوْلَةٌ إِلَّا كَانَتْ لَنَا الْعَاقِبَةُ ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾<sup>(١)</sup>، ثُمَّ نَزَلَ فَجَمَعَ بِالنَّاسِ، وَبَلَغَ أَبَاهُ فَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ثُمَّ قَالَ: بِأَبِي وَأُمِّي ﴿ذُرِّيَّةَ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup> (٣) الحديث .

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ \* فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾<sup>(٤)</sup> آيتان .

#### القراءة:

(قرأ ابنُ عامرٍ<sup>(٥)</sup> وأبو بكر، عن عاصمٍ ويعقوب: بما وضعت بضم التاء)<sup>(٦)</sup>، على صيغة المتكلم الماضي، وهو المروي عن عليٍّ عليه السلام أيضاً، وقرأ الباقر بإسكانها<sup>(٧)</sup>، وقرأ أيضاً بكسر التاء على أنه خطاب الله تعالى لها، (من قرأ بضم التاء جعله من كلام [امرأة عمران]<sup>(٨)</sup> أم مريم)<sup>(٩)</sup>، ومن قرأه بإسكانها وكسرهما جعله من كلام الله تعالى<sup>(١٠)</sup>، و(يقوي قول من أسكن التاء ﴿والله أعلم﴾)<sup>(١١)</sup>؛ لأنه لو كان من كلام أم مريم الأنسب أن تقول وأنت أعلم بما وضعت؛ لأنها تخاطب الله تعالى)<sup>(١٢)</sup>.

(١) سورة ص: الآية ٨٨ .

(٢) سورة آل عمران: الآية ٣٤ .

(٣) مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب: ١٧٨/٣ .

(٤) سورة آل عمران: الآية ٣٥ - ٣٦ .

(٥) (هو عبد الله بن عامر اليحصبي، ويحصب فخذ من حمير وكنيته أبو نعيم، وقيل: أبو عمران، وقيل غير ذلك، إمام مسجد دمشق وقاضيها تابعي لقي واثلة بن الأسقع ونعمان بن بشير، وقال يحيى بن الحارث الذماري: إنه قرأ على عثمان رضي الله عنه، وقرأ عثمان على رسول الله ص، وتوفي بدمشق يوم عاشوراء سنة ثمان مائة ومولده سنة إحدى وعشرين)، المكرر في ما تواتر: النُّشَار: ٢١-٢٢ .

(٦) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٨٠/٢ .

(٧) ينظر: حقائق التأويل: الشريف الرضي: ٨٧، جوامع الجامع: الطبرسي: ٢٨١/١ .

(٨) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٩) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٨٠/٢ .

(١٠) ينظر: المصدر نفسه: ٢٨٠/٢ .

### اللغة:

التَّحْرِي إِمَّا مَأْخُودٌ مِنَ الْحُرِّيَّةِ وَهُوَ الْإِعْتَاقُ، يُقَالُ: حَرَّرْتَهُ تَحْرِيراً إِذَا أَعْتَقْتَهُ، أَي: جَعَلْتَهُ حُرّاً، وَأَمَّا مِنْ تَحْرِيرِ الْكِتَابِ وَالْكَلَامِ وَهُوَ إِخْلَاصُهُ مِنَ الْحَشْوِ وَالْفَسَادِ، فَيُقَالُ: حَرَّرْتُ الْكِتَابَ وَالْكَلَامَ تَحْرِيراً إِذَا أَخْلَصْتَهُ مِنَ الْفَسَادِ وَأَصْلَحْتَهُ<sup>(٣)</sup>، وَالثَّانِي أَنْسَبَ فِي الْآيَةِ، وَالتَّقْبِيلُ أَخْذُ الشَّيْءِ عَلَى الرِّضَا بِهِ كَتَقَبَّلَ الْقَرِيبَانَ وَالْهَدِيَّةَ، وَأَصْلُ الْوَضْعِ الْحَطُّ، يُقَالُ: فَلَانَةُ وَضَعْتُ الْوَلَدَ أَي: وَلَدْتَهُ، وَالشَّيْطَانَ الرَّجِيمَ قَدْ مَرَّ تَفْسِيرُهَا.

### الإعراب:

قوله: ﴿إِذْ قَالَتْ﴾ أَمَّا مَفْعُولٌ بِهِ لِإِذْكَرٍ مَحْدُوفًا كَمَا قَالَه الْأَخْفَشُ وَالْمَبْرَدُ، أَوْ ظَرْفٌ لِاصْطَفَى عَلَى وَجْهِ كَمَا قَالَه الزَّجَاجُ، أَوْ ظَرْفٌ لِسَمِيعٍ عَلِيمٍ، كَمَا قَالَه عَلِيُّ بْنُ عِيسَى كَمَا ذَكَرْنَاهُ أَنْفَاءً، وَمَعْنَى ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، أَي: وَاللَّهُ (سَمِيعٌ لِقَوْلِ امْرَأَةِ عِمْرَانَ عَلِيمٌ بِنَيْتِهَا)<sup>(٤)</sup> إِذْ قَالَتْ إِيحَى، وَ﴿مُحَرَّرًا﴾ حَالٌ مِنَ مَفْعُولِ ﴿نَذَرْتُ﴾، أَعْنِي: ﴿مَا﴾، وَ﴿أُنْتَى﴾ حَالٌ مِنَ الْهَاءِ فِي ﴿وَضَعْتُهَا﴾، وَهِيَ رَاجِعَةٌ إِلَى مَا فِي بَطْنِهَا، أَوْ تَأْنِيثٌ لِلضَّمِيرِ؛ لِكَوْنِهِ أُنْتَى.

### التنزيل:

وفي تفسير علي بن إبراهيم "وَحَدَّثَنِي أَبِي، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ، عَنِ ابْنِ رَبَائِبٍ، عَنِ أَبِي بَصِيرٍ، عَنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى عِمْرَانَ أَنِّي وَاهِبٌ لَكَ ذَكَرًا سَوِيًّا مُبَارَكًا، يُبْرَأُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَيُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ، وَجَاعِلُهُ رَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَحَدَّثَ عِمْرَانُ امْرَأَتَهُ حَنَّةَ بِذَلِكَ وَهِيَ أُمُّ مَرْيَمَ، فَلَمَّا حَمَلَتْ بِهَا كَانَ حَمْلُهَا عِنْدَ نَفْسِهَا غُلَامًا، ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْتَى﴾، ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْتَى﴾، أَي: [لِأَنَّ] الْبِنْتَ لَا تَكُونُ رَسُولًا<sup>(٥)</sup> يُقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾، فَلَمَّا وَهَبَ اللَّهُ تَعَالَى لِمَرْيَمَ عِيسَى كَانَ هُوَ الَّذِي [٥٩] بَشَّرَ بِهِ عِمْرَانَ وَوَعَدَهُ إِيَّاهُ، فَإِذَا قُلْنَا فِي الرَّجُلِ مِمَّا شَيْنًا وَكَانَ فِي وِلْدِهِ أَوْ وِلْدِ وِلْدِهِ فَلَا تُتَكْرَمُوا ذَلِكَ<sup>(٦)</sup> الْحَدِيثُ، (وَرُوِيَ إِنَّهَا كَانَتْ عَاقِرًا عَجُوزًا،

(١) حقائق التأويل: الشريف الرضي: ٨٨ .

(٢) المصدر نفسه: ٨٨ .

(٣) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ٤/١٨١ - ١٨٢، مادة حرر .

(٤) أنوار التنزيل: البيضاوي: ١٣/٢ .

(٥) في المصدر: لَا تَكُونُ الْبِنْتُ رَسُولًا .

(٦) تفسير القمي: علي بن إبراهيم: ١/١٠١ .

فَبَيْنَمَا هِيَ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ إِذْ رَأَتْ طَائِرًا يُطْعِمُ فَرْخَهُ فَحَنَّتْ إِلَى الْوَلَدِ وَتَمَنَّتْهُ فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنَّ لَكَ عَلَيَّ نَذْرًا إِنْ رَزَقْتَنِي وَلَدًا أَنْ أَتَصَدَّقَ بِهِ [قُرْبَةً] <sup>(١)</sup> عَلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ فَيَكُونَ مِنْ وَحْدَمِهِ، فَحَمَلَتْ بِمَرْيَمَ [وَوَهَلَك] <sup>(٢)</sup> عِمْرَانَ، وَكَانَ هَذَا النَّذْرُ مَشْرُوعًا فِي عَهْدِهِمْ فِي الْغِلْمَانِ <sup>(٣)</sup>.

المعنى:

لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ اصْطَفَى آلَ عِمْرَانَ عَقِبَهُ بِذِكْرِ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ وَأُمِّهَا حُنَّةَ زَوْجَةِ عِمْرَانَ فَقَالَ: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾، أَي: أَنْكَرُ يَا مُحَمَّدُ إِذْ قَالَتْ امْرَأَةٌ أَوْ ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى﴾، ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾، أَوْ وَاللَّهِ (سَمِعَ لِقَوْلِ امْرَأَةِ عِمْرَانَ عَلِيمَ بِنِيَّتِهَا) <sup>(٤)</sup>، ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾ (بن ماثان أم مريم البتول جدَّة عيسى عليه السلام) <sup>(٥)</sup>، اسْمُهَا حُنَّةٌ، وَكَانَتْ لِحُنَّةَ أُخْتٌ اسْمُهَا حنانة، وَهِيَ امْرَأَةُ زَكْرِيَّا، وَلَدَتْ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقِيلَ: اسْمُ حنانة ايشاع زَوْجَةُ زَكْرِيَّا أُمَّ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَاسْمُ أَبِيهَا فَاؤُودُ بْنُ قَبِيلٍ، وَمَرْيَمَ وَيَحْيَى ابْنَا خَالَةَ.

وفي رواية العياشي عن أبي جعفر عليه السلام: "زَوْجَةُ زَكْرِيَّا أُمَّ يَحْيَى أُخْتُ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ" <sup>(٦)</sup>.

فَعَلَى هَذَا عَيْسَى وَيَحْيَى ابْنَا خَالَةَ، وَالْمَشْهُورُ مَا ذَكَرْنَاهُ آنِفًا وَيَأْتِي أَيْضًا، وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِعِمْرَانَ هُنَا عِمْرَانَ بْنَ يَصْهَرَ أَبَا مُوسَى وَهَارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَمَنْ قَالَ أَنَّهُ كَانَ لِعِمْرَانَ بْنَ يَصْهَرَ بِنْتُ اسْمِهَا مَرْيَمَ أَكْبَرَ مِنْ هَارُونَ فَظَنَّ أَنَّهُ الْمُرَادُ هُنَا زَوْجَتَهُ فَقَدْ يَرِدُهُ كَقَالَةِ زَكْرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّهُ كَانَ مُعَاَصِرًا لِعِمْرَانَ بْنَ مَآثَانَ وَلَيْسَ مُعَاَصِرًا لِعِمْرَانَ بْنَ يَصْهَرَ وَقَدْ مَرَّ <sup>(٧)</sup> أَنَّ بَيْنَ الْعِمْرَانِيِّينَ أَلْفَ وَثَمَانِمِائَةَ سَنَةً.

(١) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٢) في نسخة الأصل: ومات .

(٣) أنوار التنزيل: البيضاوي: ١٤/٢ .

(٤) المصدر نفسه: ١٣/٢ .

(٥) تفسير الكشاف: الزمخشري: ٣٥٥/١ .

(٦) بحدود تتبعنا لم نجد هذه الرواية في تفسير العياشي، وربما قصد ما ورد في تفسير القمي عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام: "وكانت امرأة زكريا أخت مريم بنت عمران بن ماثان"، راجع: تفسير القمي: علي بن إبراهيم: ٤٨/٢ .

(٧) ومنه في حاشية الأصل: في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ﴾، [سورة آل عمران: الآية ٣٣] .

وفي قصص الأنبياء للراوندي رحمه الله "عن ابن بابويه، حدّثنا مُحَمَّد بن مُوسَى بن الْمُتَوَكِّل، حدّثنا عَبْدُ اللَّهِ بن جَعْفَر الجَمِيرِي، عَن أَحْمَد بن مُحَمَّد بن عِيْسَى، حدّثنا الحَسَن بن مَحْبُوب، عَن عَلِيّ بنِ رِثَابٍ، عَن أَبِي بَصِير، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَر عَلَيْهِ السَّلَام عَنْ عِمْرَانَ أَكَانَ نَبِيًّا؟ فَقَالَ: نَعَمْ كَانَ نَبِيًّا مُرْسَلًا إِلَى قَوْمِهِ، وَكَانَتْ حُنَّةُ امْرَأَةَ عِمْرَانَ وَحَنَانَةَ امْرَأَةَ زَكَرِيَّا أُخْتَيْنِ، فَوُلِدَ لِعِمْرَانَ مِنْ حُنَّةَ مَرْيَمَ، وَوُلِدَ لِرُكَيْيَا مِنْ حَنَانَةَ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَام، وَوُلِدَتْ مَرْيَمَ عِيْسَى عَلَيْهِ السَّلَام، وَكَانَ عِيْسَى ابْنَ بِنْتِ خَالَتِهِ وَكَانَ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَام ابْنَ خَالَةِ مَرْيَمَ، وَخَالَةَ الْأُمِّ بِمَنْزِلَةِ الْخَالَةِ"<sup>(١)</sup> انتهى.

وَفِي الْكَافِي عَنِ الْكَاطِمِ عَلَيْهِ السَّلَام أَنَّهُ قَالَ لِنَصْرَانِي: "أَمَّا أُمُّ مَرْيَمَ فَاسْمُهَا مَرْثَا وَهِيَ وَهَيْبَةٌ بِالْعَرَبِيَّةِ"<sup>(٢)</sup>، وَهَذَا لَا يَنَافِي مَا مَرَّ؛ لِأَنَّ أَحَدَهُمَا لَقَبٌ لِحَنَّةَ، ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾، (أَي: مُعْتَقًا لِخِدْمَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ)<sup>(٣)</sup> وَأَهْلُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَخَادِمًا لِلْبَيْعَةِ وَالْكَنِيْسَةِ وَأَهْلِيهَا مِنَ الْعِبَادِ<sup>(٤)</sup>، وَلَا أَشْغَلُهُ بِشَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا، وَ(لَا) اسْتَعْمَلُهُ فِي مَنَافِعِي، وَلَا أَصْرِفُهُ فِي الْحَوَائِجِ<sup>(٥)</sup>.

وَفِي الْمَجْمَعِ(قَالُوا: وَكَانَ الْمُحَرَّرُ إِذَا حُرِّرَ جُعِلَ فِي الْكِنِيْسَةِ يُقَوْمُ عَلَيْهَا، وَيَكْنِسُهَا وَيَخْدُمُهَا، لَا يَبْرَحُ حَتَّى يَبْلُغَ الْحُلْمَ، ثُمَّ يُخَيَّرُ فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يُقِيمَ فِيهِ أَقَامَ، وَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَذْهَبَ ذَهَبَ حَيْثُ شَاءَ، قَالُوا: وَكَانَتْ حُنَّةُ [أُمِّ مَرْيَمَ]<sup>(٦)</sup> قَدْ أُمِسِكَ عَنْهَا الْوَلَدُ، [فَدَعَتِ]<sup>(٧)</sup> حَتَّى [أَيَسَّتِ]<sup>(٨)</sup>، فَبَيْنَمَا هِيَ تَحْتَ شَجَرَةٍ، إِذْ رَأَتْ طَائِرًا يَزِقُّ فَرْخًا لَهُ، فَتَحَرَّكَتْ نَفْسُهَا [لِلْوَلَدِ]<sup>(٩)</sup>، فَدَعَتِ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَرْزُقَهَا وَوَلَدًا، فَحَمَلَتْ بِمَرْيَمَ، "وَرُوِيَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَام قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى عِمْرَانَ أَنِّي وَاهِبٌ لَكَ ذَكَرًا مُبَارَكًا؛ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُحْيِي الْمَوْتَى

(١) قصص الأنبياء: الراوندي: ٢١٦.

(٢) الكافي: الكليني: ٤٧٩/١ ح ٤، بَابُ مَوْلِدِ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الْحَدِيثُ طَوِيلٌ أَخَذَ مِنْهُ الْمُؤَلَّفُ مَوْطِنُ الشَّاهِدِ .

(٣) جوامع الجامع: الطبرسي: ٢٨٠/١.

(٤) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: الطوسي: ٤٤٣/٢.

(٥) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٨١/٢ .

(٦) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٧) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٨) في الأصل: أسنت .

(٩) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .



بِإِذْنِ اللَّهِ، وَجَاعِلُهُ رَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَحَدَّثَ عِمْرَانُ امْرَأَتَهُ حَنَّةَ بِذَلِكَ وَهِيَ أُمُّ مَرْيَمَ، فَلَمَّا حَمَلَتْ بِهَا قَالَتْ: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾<sup>(١)</sup>.

وفي تفسير العياشي عن الصادق عليه السلام "المحرر يكون في الكنيسة لا يخرج منها، فلما وضعتها [أنثى]"<sup>(٢)</sup> ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾، أن الأنثى تحيض فتخرج من المسجد"<sup>(٣)</sup>، "عن أحدهما عليهما السلام قال: نذرت ما في بطنها للكنيسة أن تخدم العباد، وليس الذكر كالأنثى في الخدمة، قال: فشبت وكانت تخدمهم وتناولهم حتى بلغت، فأمر زكريا عليه السلام أن يتخذ لها حجاباً دون العباد، وكان يدخل عليها فيرى عندها ثمرة الشتاء في الصيف وثمره الصيف في الشتاء، فهناك [دعا وسأل ربه زكرياً]"<sup>(٤)</sup> فوهب له يحيى"<sup>(٥)</sup>.

﴿فَتَقَبَّلَ مِنِّي﴾، (أي: نذري قبولاً رضاً)<sup>(٦)</sup>.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾، بما أقول، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما أنوي<sup>(٧)</sup>.

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾، أي: وضعت ما في بطنها، أي: مريم البثول قد مر أن عمران مات وهي حامل بمریم فولدت مريم بعد موت أبيها عمران، (وكانت ترجو أن يكون ما في بطنها غلاماً، فلما وضعتها خجلت واستحييت)<sup>(٨)</sup>.

﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا﴾، يعني: إنها إنما قالت ذلك (تحسراً وتحزناً إلى ربها)<sup>(٩)</sup>، أي:

[٦٠] (إظهاراً للتحسر على خيبة رجائها وعكس تقديرها والتحزن إلى ربها)<sup>(١٠)</sup>، فليست

(١) بحار الأنوار: المجلسي: ٢٠٣/١٤ .

(٢) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٣) تفسير العياشي: العياشي: ١٧٠/١ .

(٤) في الأصل: دعا زكريا وسأل ربه أن يهب له ذكراً .

(٥) تفسير العياشي: العياشي: ١٧٠/١، بحار الأنوار: المجلسي: ٢٠٥/١٤ .

(٦) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٨١/٢ .

(٧) ينظر: المصدر نفسه: ٢٨١/٢ .

(٨) المصدر نفسه: ٢٨١/٢ .

(٩) أنوار التنزيل: البيضاوي: ١٤/٢ .

(١٠) في الأصل: خالها، وما أثبت من المصدر الصواب .

(١١) المطول مع حاشية المؤول: التفتازاني: ١٨٩ .

بصدد الإخبار؛ (لأنها كانت ترجو أن تلد ذكراً، ولذلك ندرت تحريره)<sup>(١)</sup>؛ لأنه كثيراً ما تُوردُ الجملة الخبرية لأغراضٍ أُخرٍ من غير قصد الإخبار ودون إفادة الحكم ولأزمه كقوله تعالى حكاية عن زكريا: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾<sup>(٢)</sup>، إظهاراً للضعف والتخشع دون قصد الإخبار ودون إفادة الحكم ولأزمه<sup>(٣)</sup>.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾، أي: بالشيء وضعتُه (وما علّق به من عظام الأمور)<sup>(٤)</sup>، وهي لا تعلم فهو حينئذٍ استئنافٌ ومن كلام الله تعالى تعظيماً لموضوعها أو تجهيلاً لامرأة عمران بشأنها، وأمّا على قراءة ابن عامر، وأبي بكر عن عاصم، ويعقوب ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾ بضمّ التاء<sup>(٥)</sup> فهو من كلامها قالت تسليّةً لنفسها، يعني: إنها تقول: لعَلَّ لله تعالى فيه سرّاً وحكمةً، ولعلَّ هذه الأنثى تكون خيراً من الذكر، وعلى قراءة الخطّاب بالتاء المكسورة فمعناه ظاهر، ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ بيان لقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾ على قراءة اسكان التاء، أي: وليس الذكر الذي طلبته امرأة عمران كالأنثى التي وهبت لها، واللام فيهما حينئذٍ للعهد الخارجي، ويجوز أن يكون هذا أيضاً من قولها بمعنى: وليس الذكر والأنثى سيئين؛ لأنّ لا تصلح لما يصلح له الذكر من كونه نبياً أو خادماً، وإنّما يجوز التحرير في الذكر دون الأنثى؛ لأنها لا تصلح لخدمة بيت المقدس وأهله؛ لما يلحقها من الحيض والنفاس والصيانة عن التبرج للناس، فتكون اللام حينئذٍ فيهما للجنس كما في قولهم: الرجل خير من المرأة، وأنّ الذكر أفضل من الأنثى على العموم، وأصلح للأشياء على الشمول، ثمّ قالت: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾، أي: وإنّي جعلت اسمها مريمَ وهي بلغة أهل ذلك الزمان العابدة، فهو عطفٌ على قولها: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾، فهو من مقالها أيضاً وما بينهما اعتراضٌ على وجهٍ وإنّما ذكرت ذلك لربها؛ تقرّباً إليه تعالى وطلباً لأنّ يعصمها ويصلحها؛ حتّى يكون فعلها مطابقاً لاسمها؛ فإنّ مريمَ في لغتهم بمعنى: العابدة، وفيه دلالة على إنّ الاسم والمسمى والتسمية أمورٌ متغايرة كما هو الحقّ.

(١) أنوار التنزيل: البيضاوي: ١٤/٢ .

(٢) سورة مريم: الآية ٤ .

(٣) ينظر: المطول مع حاشية المؤول: التفازاني: ١٨٩ .

(٤) تفسير الكشاف: الزمخشري: ٣٥٦/١ .

(٥) ينظر: الكنز في القراءات العشر: أبو محمد الواسطي: ٤٣٨/٢ .

وَفِي الْمَجْمَعِ (وَكَانَتْ مَرْيَمُ أَفْضَلَ النِّسَاءِ فِي وَقْتِهَا وَأَجْلَهُنَّ) <sup>(١)</sup>، وَرَوَى الثَّعْلَبِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ أَرْبَعٌ: مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَأَسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ" <sup>(٢)</sup> انتهى.

﴿وَإِنِّي أَعِيدُهَا بِكَ﴾، أَي: (أَجِيرُهَا بِحِفْظِكَ) <sup>(٣)</sup>، ﴿وَذُرِّيَّتَهَا﴾، أَي: وَأَعِيدُ ذُرِّيَّتَهَا ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾، المطرود المرجوم.

وَفِي الْمَجْمَعِ (خَافَتْ عَلَيْهَا مَا يَغْلِبُ عَلَى النِّسَاءِ مِنَ الْآفَاتِ، فَقَالَتْ ذَلِكَ، وَقِيلَ: إِنَّمَا اسْتَعَادَتْهَا مِنْ طَعْنَةِ الشَّيْطَانِ [الَّتِي مِنْ جِهَتِهَا يَسْتَهْلُ] <sup>(٤)</sup> الصَّبِيَّ صَارِحًا، فَوَقَّاهَا اللَّهُ تَعَالَى [فَوَلَدًا] <sup>(٥)</sup> عَيْسَى مِنْهُ بِحَبَابٍ) <sup>(٦)</sup>، فَقَدْ رُوِيَ: "أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا وَالشَّيْطَانُ يَمْسُهُ حِينَ يُوَلَّدُ، فَيَسْتَهْلُ صَارِحًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ إِيَّاهُ، إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا" <sup>(٧)</sup>، "عَنْ سَعْدِ الْإِسْكَافِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: لَقِيَ إِبْلِيسَ عَيْسَى بْنَ مَرْيَمَ فَقَالَ: هَلْ نَأَلْنِي مِنْ حَبَائِكَ شَيْءٌ؟ قَالَ: حَدَّثْتُكَ الَّتِي قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أَنْثَى﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَإِنِّي أَعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾" <sup>(٨)</sup>.

(وَفِي أَمَالِي شَيْخِ الطَّائِفَةِ قَدَّسَ سِرَّهُ بِإِسْنَادِهِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ يُذَكِّرُ فِيهِ تَرْوِيجَ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ وَمَا أَكْرَمَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَفِيهِ يَقُولُ: "ثُمَّ أَتَانِي فَأَخَذَ بِيَدِي فَقَالَ: فَمَ بِسْمِ اللَّهِ وَقُلْ عَلَى بَرَكَاتِهِ، وَمَا شَاءَ اللَّهُ، لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ ثُمَّ جَاءَنِي [حَتَّى] <sup>(٩)</sup> أَقْعَدَنِي عِنْدَهَا عَلَيْهَا

(١) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٨٢/٢ .

(٢) تفسير الثعلبي: الثعلبي: ٥٥/٣ .

(٣) زبدة التفسير: فتح الله الكاشاني: ٤٧٨/١ .

(٤) في المصدر: فِي جَنْبِهَا الَّتِي لَهَا يَسْتَهْلُ .

(٥) في المصدر: وَوَلَدَهَا .

(٦) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٨٢/٢ .

(٧) صحيح البخاري: البخاري: ٤٥٤٨ح/٣٤/٦ .

(٨) تفسير نور الثقلين: الحويزي: ٣٣٣/١ .

(٩) في المصدر: حِينَ .

السَّلَام، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّهُمَا أَحَبُّ خَلْقِكَ إِلَيَّ فَأُحِبَّهُمَا وَبَارِكْ فِي ذُرِّيَّتَهُمَا وَاجْعَلْ عَلَيْهِمَا مِنْكَ حَافِظًا، وَإِنِّي أُعِيدُهُمَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهُمَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ" (١) / (٢).

وقوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٣) آية .

القراءة:

قَرَأَ أَهْلُ الْكُوفَةِ حَمْزَةً وَالْكَسَائِي وَعَاصِمٌ وَأَبُو بَكْرٍ وَغَيْرُهُمْ ﴿كَفَّلَهَا﴾ بِالتَّشْدِيدِ وَقَصَرُوا زَكَرِيَّا غَيْرَ عَاصِمٍ وَأَبِي بَكْرٍ، وَالْباقُونَ عَلَى أَنَّ فَاعِلَ كَفَّلَهَا هُوَ اللَّهُ وَزَكَرِيَّا مَقْصُورًا وَمَمْدُودًا مَفْعُولَ كَفَّلَ، وَقَرَأَ الْباقُونَ كَفَّلَهَا بِالتَّخْفِيفِ بِدَلَالَةِ أَيُّهُمْ ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ (٤)، وَمَدُّوا زَكَرِيَّا مَرْفُوعًا عَلَى أَنَّهُ فَاعِلُ كَفَّلَهَا (٥).

اللغة:

التَّقبُّلُ: أَخَذُ الشَّيْءِ عَلَى الرِّضَا بِهِ كَمَا مَرَّ، وَالقبُولُ بِفَتْحِ القَافِ مَصْدَرٌ، وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو الجَرْمِيُّ: لَا نَظِيرَ لِقَبُولٍ فِي المَصَادِرِ بِفَتْحِ فَاءِ الكَلِمَةِ وَالنَّابِ كُلهُ مَضْمُومِ القَاءِ كَالدَّخُولِ والخُرُوجِ والقُعُودِ والجُلُوسِ [٦١] وَنَحْوَهَا (٦).

وَقَالَ سيبويه: جَاءَتْ حَمْسَةٌ مَصَادِرَ عَلَى وَزْنِ فَعُولٍ بِالفَتْحِ وَهِيَ: قَبُولٌ وَوَضُوءٌ وَطَهُورٌ وَوُلُوعٌ وَوُقُودٌ، إِلَّا أَنَّ الْأَكْثَرَ الوُقُودُ بِالضَّمِّ إِذَا أُريدَ المَصْدَرُ، وَأَجَازَ الزَّجَّاجُ فِي قَبُولِ الضَّمِّ، وَأَكْثَرُ مَا يَجِيءُ فَعُولٌ بِالفَتْحِ اسْمٌ مَصْدَرٌ واسمٌ مَا يُفَعَّلُ بِهِ كَالسُّعُوطِ لِمَا يُسْعَطُ بِهِ وَالوَجُورِ لِمَا يُوجَرُ بِهِ فِي الحَلْقِ، وَالوُقُودِ لِمَا يُوقَدُ بِهِ أعني: الحَطَبِ، وَكَذَا القَبُولُ عَلَى وَجْهِهِ.

وَالكَفَالَةُ: الضَّمَانُ وَالتَّعَهُدُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّكْفِيلُ: التَّضْمِينُ، أَي: جَعَلَهُ ضَامِنًا، وَالكَفِيلُ: الضَّمِينُ وَهُوَ الضَّامِنُ، وَالمُتَكَفِّلُ: المَتَوَجِّهُ لِمَصَالِحِ الأُمُورِ، يُقَالُ: كَفَلْتُهُ أَكْفَلُهُ كَفْلًا وَكُفُولًا

(١) الأمالي: الطوسي: ٤٠/٤٤ ح .

(٢) تفسير كنز الدقائق: المشهدي: ٨١/٣ .

(٣) سورة آل عمران: الآية ٣٧ .

(٤) سورة آل عمران: الآية ٤٤ .

(٥) ينظر: شرح طيبة النشر: ابن الجزري: ٢٠٦ .

(٦) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ٥٤٠/١١، مادة قبل .

وَكَفَّالَةٌ مِنْ بَابِ نَصْرٍ فَأَنَا كَافِلٌ إِذَا تَكَلَّمْتَ مُؤَنَّتَهُ<sup>(١)</sup>، وَفِي الْحَدِيثِ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ"<sup>(٢)</sup>، (لَهُ وَلِغَيْرِهِ، وَالْكَافِلُ: الْقَائِمُ بِأَمْرِ الْيَتِيمِ الْمُرْتَبِي لَهُ، وَهُوَ مِنْ الْكَفِيلِ: الضَّمِينِ، وَالضَّمِيرُ فِي (لَهُ) وَ (لِغَيْرِهِ) رَاجِعٌ إِلَى الْكَافِلِ: [يَعْنِي] (٣) أَنَّ الْيَتِيمَ سَوَاءً كَانَ لِلْكَافِلِ مِنْ دَوِي رَحِمِهِ وَأَنْسَابِهِ، أَوْ كَانَ أَجْنَبِيًّا لِغَيْرِهِ، تَكَلَّفَ بِهِ)<sup>(٤)</sup>، فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَقَوْلُهُ: (كَهَاتَيْنِ)، إِشَارَةٌ إِلَى أَصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوَسْطَى، وَمِنْهُ (الرَّابُّ كَافِلٌ) ، وَالرَّابُّ: رَوْحُ أُمِّ الْيَتِيمِ؛ لِأَنَّهُ يَكْفُلُ تَرْبِيَّتَهُ وَيَقُومُ بِأَمْرِهِ مَعَ أُمِّهِ، وَمِنْهُ حَدِيثٌ وَقَدْ هَوَّازَنَ (وَأَنْتَ حَيْرُ الْمَكْفُولِينَ)<sup>(٥)</sup> يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أَي: إِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَيْرٌ مَنْ كُفِّلَ فِي صِغَرِهِ)<sup>(٦)</sup>؛ لِأَنَّ كَفِيلَهُ عَمَّهُ أَبُو طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (وَأَرْضِعْ وَرَبِّي حَتَّى نَشَأَ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَيْتِ سَعْدِ بْنِ بَكْرِ)<sup>(٧)</sup>، وَ (فِي) [اصْطِلَاحِ] أَرْبَابِ<sup>(٨)</sup> [الْفِقْهُ الْمَكْفُولُ عَنْهُ هُوَ الَّذِي عَلَيْهِ الدِّينُ، وَالْمَكْفُولُ لَهُ هُوَ الَّذِي لَهُ الدِّينُ، وَالْمَكْفُولُ بِهِ هُوَ الدِّينُ]<sup>(٩)</sup>، وَالْكَفِيلُ وَالْكَافِلُ هُوَ الضَّامِنُ لِذَيْنِ الْمَكْفُولِ لَهُ أَوْ لِنَفْسِ الْمَكْفُولِ عَنْهُ.

#### اشتقاق المحراب ومعناه:

(وَالْمِحْرَابُ مَقَامُ الْإِمَامِ مِنَ الْمَسْجِدِ، وَأَصْلُهُ أَكْرَمُ مَوْضِعٍ فِي الْمَجْلِسِ وَأَشْرَفُهُ، وَقَالَ الرَّجَّاجُ: هُوَ الْمَكَانُ الْعَالِي الشَّرِيفُ)<sup>(١٠)</sup>، وَيُقَالُ لِلْمَسْجِدِ أَيْضًا مِحْرَابٌ، وَقِيلَ: أَنَّ الْمِحْرَابَ مَأْخُودٌ مِنَ الْحَرْبِ؛ لِأَنَّهُ يَحَارِبُ مِنْهُ الشَّيْطَانُ<sup>(١١)</sup>، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ

(١) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ٥٨٩/١١، مادة كفل .

(٢) سنن الترمذي: الترمذي: ٣/٣٨٥/ح١٩١٨، السنن الكبرى: البيهقي: ٦/٤٦٣/ح١٢٦٦٢ .

(٣) في المصدر: أي .

(٤) النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير: ٤/١٩٢ .

(٥) المعجم الكبير: الطبراني: ٥/٢٧٠/ح٥٣٠٤، وهو حديث طويل أخذ منه المؤلف موطن الشاهد .

(٦) النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير: ٤/١٩٢ .

(٧) المصدر نفسه: ٤/١٩٢ .

(٨) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٩) مجمع البيان: الطبرسي: ٢/٢٨٣ .

(١٠) المصدر نفسه: ٢/٢٨٣ .

(١١) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ١/٣٠٥، مادة حرب .

مَحَارِبٍ ﴿١﴾، أَي: مَسَاجِدٍ أَوْ قُصُورًا حَصِينَةً وَمَسَاكِينَ عَالِيَةً سُمِّيَتْ بِهَا؛ لِأَنَّهَا يَذِبُ عَنْهَا وَيُحَارِبُ عَلَيْهَا، وَقَدْ مَرَّ تَحْقِيقَ مَعْنَى الرِّزْقِ فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ ﴿٢﴾.

### الإعراب:

﴿وَجَدَ جَوَابٌ﴾ وَنَاصِبُهُ أَيْضًا، وَإِعْرَابُ الْبَاقِي وَاضِحٌ .

### المعنى:

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾، أَي: فَرَضِيَ رَبُّهَا سَبْحَانَهُ بِهَا فِي النَّذْرِ الَّذِي نَذَرْتَهُ حَتَّى أُمَّ مَرْيَمَ لِلْعِبَادَةِ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَالْخِدْمَةِ مَعَ أَنْوُثَتِهَا وَلَمْ يَتَقَبَّلْ قَبْلَهَا أَنْثَى فِي ذَلِكَ الْمَعْنَى أَوْ تَقَبَّلَ تَرْبِيَّتَهَا وَالْقِيَامَ بِشَانِهَا ﴿٣﴾ بَحِيثٍ (مَا عَرَّتْهَا عَلَّةٌ سَاعَةً مِنْ لَيْلٍ وَنَهَارٍ، ﴿بِقَبُولِ حَسَنِ﴾، أَصْلُهُ بِتَقَبُّلِ حَسَنِ لَكِنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى [مَعْنَى] ﴿٤﴾ فَيَتَقَبَّلُهَا قَبُولًا حَسَنًا) ﴿٥﴾ كَمَا فِي أَنْبَتِهَا نَبَاتًا حَسَنًا، أَوْ فَتَقَبَّلَهَا بِذِي قَبُولٍ، أَي: بِأَمْرِ ذِي قَبُولٍ حَسَنِ وَهُوَ الْاِخْتِصَاصُ ﴿٦﴾ بِمَا فَعَلَ بِهَا وَسَلَّكَ بِهَا طَرِيقَ السُّعْدَاءِ وَأَخَذَهَا فِي أَوَّلِ أَمْرِهَا حِينَ وُلِدَتْ ﴿بِقَبُولِ حَسَنِ﴾، هَذَا إِذَا كَانَ الْقَبُولُ مَصْدَرًا، وَأَمَّا إِذَا كَانَ اسْمًا مَا يُقْبَلُ بِهِ الشَّيْءُ كَمَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ فِي اللَّعَةِ يَكُونُ الْمَعْنَى فَتَقَبَّلَهَا بِوَجْهِ حَسَنِ يُقْبَلُ بِهِ النَّذْرُ وَهُوَ إِقَامَتُهَا مَقَامَ الذَّكْرِ أَوْ تَسَلُّمُهَا عَقِيبَ وِلادَتِهَا قَبْلَ أَنْ تَكْبَرَ وَتَصْلُحَ لِلِسَدَانَةِ.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ كِنَايَةٌ عَنْ تَرْبِيَّتِهَا بِمَا يُصْلِحُهَا فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهَا بِأَنْ جَعَلَ نُشُوءَهَا نُشُوءًا حَسَنًا فَكَانَتْ تَنْبُتُ فِي يَوْمٍ مَا يَنْبِتُ غَيْرَهَا فِي شَهْرٍ وَفِي شَهْرٍ مَا يَنْبِتُ غَيْرَهَا فِي عَامٍ، وَجَعَلَ غِذَاءَهَا غِذَاءً حَسَنًا ﴿٧﴾ يَأْتِي مِنَ الْجَنَّةِ (وَلَمَّا بَلَغَتْ تِسْعَ سِنِينَ صَامَتِ النَّهَارَ، وَقَامَتِ اللَّيْلَ، وَتَبَتَّلَتْ إِلَى رَبِّهَا) ﴿٨﴾ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ وَعَلِمَتِ الْأَحْبَارَ ﴿٩﴾ (وَكَانَتْ

(١) سورة سبأ: الآية ١٣ .

(٢) سورة البقرة: الآية ٣ .

(٣) ينظر: مجمع البيان: الطبرسي: ٢٨٣/٢ .

(٤) في المصدر: قوله .

(٥) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٨٣/٢ .

(٦) ومنه في حاشية الأصل: لاختصاصه لها بإقامتها مقام الذكر ولم يقبل قبلها أنثى في ذلك .

(٧) ينظر: مجمع البيان: الطبرسي: ٢٨٣/٢ .

(٨) المصدر نفسه: ٢٨٣/٢ .

(٩) ومنه في حاشية الأصل: جمع خبر وهو العالم .

أَجْمَلَ النِّسَاءِ تُصَلِّيَ فَيُضِيءُ المِحْرَابَ لِثُورِهَا فَدَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا فَإِذَا عِنْدَهَا فَأَكْبَهُهُ الشِّتَاءِ فِي الصَّيْفِ وَأَفَاكِبَهُ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ فَقَالَ: ﴿أَتَى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾، على قراءة تشديد كَفَّلَهَا وَنَصَبِ زَكَرِيَّا عَلَى المَفْعُولِيَّةِ، أَي: (ضَمَّهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِلَى زَكَرِيَّا وَجَعَلَهُ كَافِلًا لَهَا)<sup>(٢)</sup> ضَامِنًا لِمَصَالِحِهَا، وَعَلَى قِرَاءَةِ التَّخْفِيفِ وَرَفَعَ زَكَرِيَّا عَلَى الفَاعِلِيَّةِ، أَي: (ضَمَّهَا زَكَرِيَّا إِلَى نَفْسِهِ)<sup>(٣)</sup>، وَجَعَلَ نَفْسَهُ كَفِيلًا ضَمِينًا لَهَا، وَضَمِنَ القِيَامَ بِأَمْرِهَا لَمَّا مَرَّ مِنْ أَنَّ أَبَاهَا عِمْرَانَ قَدْ مَاتَ وَهِيَ فِي أُمِّهَا حُنَّةَ (رُوي أَنَّ حُنَّةَ لَمَّا وَلَدَتْهَا لَقَّئَتْهَا فِي خِرْقَةٍ وَحَمَلَتْهَا إِلَى المَسْجِدِ وَوَضَعَتْهَا عِنْدَ الأَحْبَارِ وَقَالَتْ: دُونَكُمْ [خُذُوا]<sup>(٤)</sup> النَّذِيرَةَ، فَتَنَافَسَ فِيهَا الأَحْبَارُ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ بِنْتِ إِمَامِهِمْ وَصَاحِبِ قُرْبَانِهِمْ، فَإِنَّ بَنِي مَائَانَ كَانُوا رُؤُوسَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمُلُوكُهُمْ فَقَالَ لَهُمْ زَكَرِيَّا: أَنَا أَحَقُّ بِهَا [مِنْكُمْ]<sup>(٥)</sup> وَعِنْدِي خَالَتُهَا)<sup>(٦)</sup>، وَقَالَتِ الأَحْبَارُ: إِنَّهَا (لَوْ تَرَكْتُ لِأَحَقِّ النَّاسِ لَتَرَكْتُ لِأُمِّهَا الَّتِي وَلَدَتْهَا، وَلَكِنَّا نَقْتَرِعُ فَتَكُونُ عِنْدَ مَنْ خَرَجَ سَهْمُهُ [بِهَا]<sup>(٧)</sup>، فَاَنْطَلَقُوا وَكَانُوا تِسْعَةَ وَعِشْرِينَ رَجُلًا مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى نَهْرِ جَارِ)<sup>(٨)</sup> (فَأَلْفَقُوا أَقْلَامَهُمْ فَارْتَكَزَ قَلَمُ زَكَرِيَّا وَارْتَفَعَ فَوْقَ المَاءِ وَرَسَبَتْ أَقْلَامُهُمْ)<sup>(٩)</sup>، أَي: (ثَبَّتَ قَلَمُ زَكَرِيَّا وَقَامَ فَوْقَ المَاءِ، كَأَنَّهُ فِي طِينٍ وَجَرَّتْ أَقْلَامُهُمْ مَعَ جَرِي المَاءِ)<sup>(١٠)</sup> فَتَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا وَكَانَ زَكَرِيَّا رَأْسَ الأَحْبَارِ [٦٢] وَنَبِيِّهِمْ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾، وَكَانَ (زَكَرِيَّا مِنْ وُلْدِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ)<sup>(١١)</sup>، فَلَمَّا ضَمَّهَا زَكَرِيَّا إِلَى نَفْسِهِ (ضَمَّهَا إِلَى خَالَتِهَا أُمِّ يَحْيَى، حَتَّى إِذَا شَبَّتْ)<sup>(١٢)</sup> وَبَلَغَ تِسْعَ سِنِينَ، (بَنَى لَهَا مِحْرَابًا [أَي: غُرْفَةً وَمَكَانًا عَالِيًا شَرِيفًا]<sup>(١٣)</sup> فِي المَسْجِدِ،

(١) تفسير العياشي: العياشي: ١٧٠/١، التفسير الأصفى: الفيض الكاشاني: ١٤٩/١ .

(٢) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٨٣/٢ .

(٣) المصدر نفسه: ٢٨٣/٢ .

(٤) في المصدر: هذه .

(٥) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٦) أنوار التنزيل: البيضاوي: ١٤/٢ .

(٧) ما بين المعقوفين ليس ما الأصل .

(٨) لباب التأويل: الخازن: ٢٤١/١ .

(٩) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٨٣/٢ .

(١٠) المصدر نفسه: ٢٨٣/٢ .

(١١) المختصر في أخبار البشر: أبو الفداء: ٣٤/١ .

(١٢) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٨٤/٢ .

(١٣) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .



وَجَعَلَ [بَابِهَا] (١) فِي وَسْطِهَا، لَا يُرْقَى إِلَيْهَا إِلَّا بِسَلْمٍ مِثْلَ بَابِ الْكَعْبَةِ، وَلَا يَصْعَدُ إِلَيْهَا غَيْرُهُ (٢)، وَإِذَا خَرَجَ أَعْلَقَ عَلَيْهَا الْبَابَ وَقِيلَ سَبْعَةَ أَبْوَابٍ (٣).

﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾، أي: وَجَدَ زَكَرِيَّا عِنْدَهَا فِي الْمِحْرَابِ رِزْقًا يَأْتِيهَا مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَجِدُ عِنْدَهَا (فَاكِهَةً فِي غَيْرِ حِينِهَا، فَاكِهَةَ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ وَفَاكِهَةَ الشِّتَاءِ [فِي الصَّيْفِ] (٤)، غَضًّا طَرِيًّا) (٥)، (وَقِيلَ: تَكَلَّمَتْ صَغِيرَةٌ كَعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَمْ تَرَضَعْ نَدِيًّا قَطُّ، وَكَانَ رِزْقُهَا يَنْزِلُ عَلَيْهَا مِنَ الْجَنَّةِ) (٦).

﴿قَالَ﴾ أي: زَكَرِيَّا مُتَعَجِّبًا مِنْ ذَلِكَ، ﴿يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا﴾ أي: (مَنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا الرِّزْقُ الْآتِي فِي غَيْرِ أَوَانِهِ، وَالْأَبْوَابُ مَغْلُقَةٌ عَلَيْكَ) (٧)، ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، أي: مِنَ الْجَنَّةِ، فَلَا تَسْتَبْعِدُ، (وَهَذِهِ تَكْرِمَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لَهَا، وَإِنْ كَانَ [ذَلِكَ] (٨) خَارِقًا لِلْعَادَةِ) (٩)، (وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ الْكِرَامَةِ لِلْأَوْلِيَاءِ) (١٠).

دلالة الآية على جواز الكرامة للأولياء:

وقال في المجمع: (فإنَّ عندنا يجوز أن تظهر الآيات الخارقة للعادات على غير الأنبياء من الأولياء والأصفياء، ومن منع ذلك من المعتزلة قالوا فيه قولين أحدهما: إنَّ ذلك كان تأسيساً لنبوّة عيسى عليه السلام، عن البلخي، والآخر: إنَّه كان بدعاء زكريّا لها بالرزق في الجملة، وكانت معجزة له، عن الجبائي) (١١) انتهى.

ويبعد القول الآخر قول زكريّا ﴿أَنَّى لَكَ هَذَا﴾، على وجه التّعجب والسؤال، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، أي: بِغَيْرِ تَقْيِيرٍ؛ لكثيرته، أو بغير استحقاقٍ عملي؛ تفضلاً به كما

(١) في المصدر: بابه .

(٢) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٨٤/٢ .

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: الرزقي: ٣١/٨، زبدة التفاسير: فتح الله الكاشاني: ١٦٨/٤ .

(٤) ما بين المعقوفين ليس من الأصل.

(٥) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٨٤/٢ .

(٦) أنوار التنزيل: البيضاوي: ١٥/٢ .

(٧) التفسير الصافي: الفيض الكاشاني: ٣٣٢/١، تفسير كنز الدقائق: المشهدي: ٨٢/٣ .

(٨) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٩) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٨٤/٢ .

(١٠) زبدة التفاسير: فتح الله الكاشاني: ٤٧٩/١ .

(١١) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٨٤/٢ .

مرّ في آية المُلْكِ، فيحتمل أن يكون هذا أيضاً من كلام مَرِيَمَ، فيكون معناه بغير استحقاقِ عملٍ، بل هو تفضّلٌ يبتدئ به اللهُ سبحانه من يشاء من خلقه، وأن يكون من كلام الله سبحانه على جهة الإخبار، فتكون مستأنفةً.

وفي كتاب الكشاف وأنوار التنزيل "عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه جاع في زمن قحط، فأهدت له فاطمة رغيين وبضعة لحم آثرته بها، فرجع بها إليها، وقال: هلمّي يا بنية فكشفت عن الطبق، فإذا هو مملوء خبزاً ولحمًا، فبهتت، وعلمت أنها نزلت من عند الله، فقال لها صلى الله عليه وسلم: ﴿أنتى لك هذا﴾ فقالت: ﴿هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ فقال النبي عليه السلام: الحمد لله الذي جعلك شبيهة بسيدة نساء بني إسرائيل، ثم جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب، والحسن، والحسين، وجميع أهل بيته عليه حتى شبعوا، وبقي الطعام كما هو، فأوسعت فاطمة على جيرانها<sup>(١)</sup> انتهى، فهذا الخبر يدل على أن قوله: ﴿إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ من كلام مريم كما كان من كلام فاطمة عليها السلام.

وفي تفسير العياشي "عن سيف، عن نجم، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: إن فاطمة عليها السلام ضمنت لعلي عليه السلام عمل البيت والعجين والخبز وقم البيت<sup>(٢)</sup>، وضمن لها علي عليه السلام ما كان خلف الباب؛ نقل الحطب، وأن يجيء بالطعام، فقال لها يوماً: يا فاطمة، هل عندك شيء؟ قالت: لا، والذي عظم حنك، ما كان عندنا منذ ثلاثة أيام شيء نقرئك به، قال: أفلا أخبرتي؟ قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله نهاني أن أسألك شيئاً، فقال: لا تسألي ابن عمك شيئاً، إن جاءك بشيء عفوًا، وإلا فلا تسأليه، قال: فخرج صلوات الله عليه فلقني رجلاً فاستقرض منه ديناراً، ثم أقبل به وقد أمسى، فلقني المقداد بن الأسود، فقال للمقاد: ما أخرجك في هذه الساعة؟ قال: الجوع، والذي عظم حنك يا أمير المؤمنين قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ورسول الله صلى الله عليه وآله حي؟ قال: ورسول الله صلى الله عليه وآله حي، قال عليه وآله حي، فهو أخرجني وقد استقرضت ديناراً وسأوترك به؛ فدفعه إليه فأقبل فوجد رسول الله صلى الله عليه وآله جالساً وفاطمة تُصلي وبينهما شيء مُعطى، فلما فرغت أخصرت ذلك الشيء فإذا جفنة من خبز ولحم قال: يا

(١) الكشاف: الزمخشري: ٣٥٨/١، أنوار التنزيل: البيضاوي: ١٥/٢ .

(٢) قم البيت (أي: كيس)، مقاييس اللغة: ابن فارس: ٤/٥، مادة قم .

فَاطِمَةُ، أَنَّى لَكَ هَذَا؟ قَالَتْ: هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أَلَا أُحَدِّثُكَ [بِمَثَلِهَا] <sup>(١)</sup>؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: مَثَلُ زَكَرِيَّا إِذْ دَخَلَ عَلَى مَرْيَمَ الْمِحْرَابِ فَوَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ: ﴿يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، فَأَكَلُوا مِنْهَا شَهْرًا، وَهِيَ الْجَفْنَةُ الَّتِي يَأْكُلُ مِنْهَا الْقَائِمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهِيَ عِنْدَنَا <sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ \* فَنادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ <sup>(٣)</sup> آيتان .

#### القراءة:

قرأ أهل الكوفة غير عاصم فنأداه الملائكة بالتذكير، والإمالة للتأنيث المجازي؛ ولكون ألفها منطرفة منقلبة عن الياء، والباقون فنأدته بالتاء لتأنيث الملائكة؛ باعتبار الجماعة وإن كان مجازياً، كما يقال: قام الرجال، وقامت الرجال، وقرأ ابن عامر وحزمة ﴿إِنَّ﴾ بكسر الهمزة على تقدير القول، أي: فنأدته الملائكة فقالت إن الله يبشرك، فحذف قالت، كما حذف في قول من كسر الهمزة في قوله تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ [٦٣] فَأَنْتَصِرُ﴾ <sup>(٤)</sup>، أو لأن النداء نوع من القول، وقرأ الباقيون بفتحها على حذف الجار، أي: فنأدته الملائكة بأن الله يبشرك، وقرأ حمزة والكسائي يبشرك بفتح الياء حرف المضارعة والتخفيف من باب نصر وَعَلِمَ وَضَرَبَ مِنْ بَشَرَةٍ يَبْشُرُهُ، والباقيون بضم الياء والتشديد من باب التفعيل <sup>(٥)</sup>.

#### اللغة:

البشارة: هي الإخبار بما يسر المخبر به إذا كان سابقاً لكل خبر سواه؛ لأن الثاني لا يسمى بشارة، مأخوذة من البشرة وهي ظاهر الجلد لتغيرها بأول خبر، وتبأشير الصبح أوله <sup>(٦)</sup>، وقد مر في سورة البقرة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

(١) في الأصل: بمثلها ومثلك، وما أثبت من المصدر الصواب .

(٢) تفسير العياشي: العياشي: ١٧١/١ - ١٧٢ .

(٣) سورة آل عمران: الآية ٣٨ - ٣٩ .

(٤) سورة القمر: الآية ١٠ .

(٥) ينظر: سراج القارئ المبتدي: ابن القاصح: ١٧٨ - ١٧٩ .

(٦) ينظر: الصحاح: الجوهري: ٥٩٠/٢، مادة بشر، الفروق اللغوية: العسكري: ٢٦٤ .

أَنَّ لَهُمْ جَنَاتٍ ﴿١﴾ والآية، والهبة تَمْلِكُ الشَّيْءَ مِنْ غَيْرِ تَمَنٍ ﴿٢﴾، والسَّيِّدُ رأسُ القومِ وهو الَّذِي يَجِبُ طَاعَتُهُ مأخوذٌ من سوادِ الشَّخْصِ ﴿٣﴾، والحَصُورُ الْمُتَمَتِّعُ نَفْسَهُ عَنِ الشَّهَوَاتِ وَالْأَبَاطِيلِ وَاللَّعِبِ وَالْجِمَاعِ ﴿٤﴾.

### الإعراب:

﴿هُنَالِكَ﴾ اسم إشارة للمكان ظرف لـ ﴿دَعَا﴾، وجملة ﴿وَهُوَ قَائِمٌ﴾ حال من مفعول نادته، وكذا جملة ﴿يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾، ويحتمل التداخل ﴿٥﴾ والترادف، ويجوز أن تكون جملة ﴿يُصَلِّي﴾ صفة ﴿قَائِمٌ﴾، أو خبر بعد خبر لـ ﴿هُوَ﴾، وقد مرَّ إعراب ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ بكسر الهمزة وفتحها في اللغة آنفاً، و﴿يَحْيَى﴾ متعلق بقوله: ﴿يُبَشِّرُكَ﴾ وهو غير منصرفِ البتَّة، فَإِنْ كَانَ عَرَبِيًّا فَللتعريف ووزن الفعل، وَإِنْ كَانَ عَجَمِيًّا فَللتعريف والعجمة مع كونه أكثر من ثلاثة كموسى وعيسى، و﴿مُصَدِّقًا﴾ حال من يَحْيَى، و﴿بِكَلِمَةٍ﴾ متعلق بـ ﴿مُصَدِّقًا﴾، و﴿مِنَ اللَّهِ﴾ صفة كَلِمَةٍ، وقوله: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ كُلُّهَا أحوال من يَحْيَى مترادفة أو متداخلة.

### المعنى:

في تفسير علي بن ابراهيم والعياشي (فَلَمَّا بَلَغَتْ مَرِيْمُ صَارَتْ فِي الْمِحْرَابِ وَأَرْخَتْ عَلَى نَفْسِهَا سِتْرًا وَكَانَ لَا يَرَاهَا أَحَدٌ، وَكَانَ يَدْخُلُ عَلَيْهَا زَكْرِيَّا الْمِحْرَابَ فَيَجِدُ عِنْدَهَا فَاكِهَةَ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ، وَفَاكِهَةَ الشِّتَاءِ فِي الصَّيْفِ، فَكَانَ يَقُولُ: ﴿أَنْتَى لَكَ هَذَا؟﴾ فَنَقُولُ: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾) ﴿٦﴾.

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكْرِيَّا رَبَّهُ﴾، أي: دعا زكريَّا عليه السلام في ذلك المكان الذي رأى فيه فاكهة الشِّتَاءِ فِي الصَّيْفِ، وفاكهة الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ على خلاف ما جرت به العادة أو في ذلك الوقت رأى ذلك الخارق للعادة والأصل في هنا الإشارة إلى المكان، لكنَّهُ قد يُسْتَعَارَ هو وثَمَّ وَحَيْثُ لِلزَّمَانِ كَمَا أَنَّ الْمِيقَاتِ الَّذِي هُوَ الْوَقْتُ الْمَضْرُوبُ لِلْفِعْلِ يَسْتَعَارُ لِلْمَكَانِ

(١) سورة القمر: الآية ٢٥ .

(٢) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ٦٥٠/١١ .

(٣) ينظر: الصحاح: الجوهري: ٤٩١/٢، مادة سود .

(٤) ينظر: مقاييس اللغة: ابن فارس: ٧٢/٢، مادة حَصَرَ .

(٥) ومنه في حاشية الأصل: بأن يكون حالاً من الضمير المستتر في قائم .

(٦) تفسير القمي: علي بن ابراهيم: ١٠١/١، تفسير العياشي: العياشي: ١٧٠/١ .

كقولهم عليهم السلام: "المواقيت التي وقفتها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم" (١) لأهل الآفاق، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: "هنن لهنن، ولمن أتى عليهن من غير أهلهن" (٢)، (ستة ذو الخليفة [وهو مسجد الشجرة] (٣) للمدينة، والجحفة للشام، ويلملم لليمن، وقرن المنازل للطائف، والعقيق للعراق) (٤) إلخ، (أي: لما رأى زكريا كرامة مريم البتول ومنزلتها من الله تعالى) (٥)، و (رأى [تلك] (٦) الفواكه في غير أوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ) (٧)، (فسأل ربه بأن) ﴿قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة﴾، كما وهبتها لحنّة العجوز العاقر (٨)، من عمران الشيخ؛ لأنه لم يكن على الوجوه المعتادة، وبالأسباب المعهودة. قوله: ﴿طيبة﴾، أي: مباركة تقية نقيّة، وإنما أنت طيبة ولم يقل طيباً مع أنه إنما سأل ولداً ذكراً حيث قال: ﴿وإني خفت الموالى من ورأيي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنك ولياً \* يرثني﴾ (٩) الآية، حملاً على لفظ الذرية، وقد مر أن لفظ الذرية يقع الواحد والجمع. ﴿إنك سميع الدعاء﴾، أي: مجيبه كما في قولهم عليهم السلام: "سمع الله لمن أي: استجاب الله له.

﴿فنادته الملائكة﴾، أي: جبرائيل عليه السلام الذي هو من جنسهم، وإنما جمع للتعظيم، ولهذه الدقيقة أيضاً قرأ حمزة والكسائي فناداه الملائكة بالتذكير كما مر بيانه. ﴿وهو قائم يصلي في المحراب﴾، أي: في المسجد أو في محراب المسجد كما مر في اللغة أنفاً، وفي الفقيه قال الصادق عليه السلام: إن طاعة الله عز وجل خدمته في الأرض، وليس شيء من خدمته يعدل الصلاة، فمن ثم نادى الملائكة زكريا عليه السلام وهو قائم يصلي في المحراب" (١).

(١) الكافي: الكليني: ٤/٣١٨/١، باب مواقيت الإحرام، والحديث طويل أخذ منه المؤلف موطن الشاهد .

(٢) صحيح البخاري: البخاري: ٢/١٣٤/١٥٢٦، سنن أبي داود: أبو داود: ٢/١٤٣/١٧٣٨ .

(٣) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٤) اللعة الدمشقية: الشهيد الأول: ٥٨ .

(٥) أنوار التنزيل: البيضاوي: ٢/٣٥ .

(٦) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٧) أنوار التنزيل: البيضاوي: ٢/٣٥ .

(٨) تفسير كنز الدقائق: المشهدي: ٣/٨٦ .

(٩) سورة مريم: الآية ٥ - ٦ .

(١٠) الكافي: الكليني: ٢/٥٠٣/١، باب التخميد والتمجيد .

﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى﴾، أي: بأن الله يبشرك على قراءة فتح همزة أن، وأما على قراءة كسرهما فعلى إضمار القول إلى آخر ما مرّ في القراءة آنفاً، أي: فنادته الملائكة فقالت الملائكة، أو فنادته الملائكة، أي: فقالت الملائكة إن الله يبشرك بيحيى سمّاه الله عزّ وجلّ بهذا الاسم، ولم يسمّ قبله أحداً بيحيى كما في الأخبار كالحسين عليه السلام، فيحيى به عقر أمه أيضاً، ويحيى قلبه بالنبوة<sup>(٢)</sup>.

﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾، أي حال كون يحيى مصدقاً بعيسى عليه السلام ومخبراً بوجوده ومؤمناً به قبل كلّ أحد كما يأتي آنفاً، وإنما سمّي عيسى كلمة الله وروح الله، لأنّه وُجد بكلمته وبأمره كوّن من غير أبٍ ومن غير سببٍ آخر<sup>(٣)</sup>، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(٤)</sup>، كما سمّي روح الله تشريفاً وتعظيماً لشأنه، ولحصوله من روح خلقه الله تعالى بلا توسطٍ بشريّ، كما قال تعالى: ﴿فَنفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾<sup>(٥)</sup>، وكقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾<sup>(٦)</sup>، فنقل روح الأمين جبرائيل عليه السلام في جيبها الحديث، نذكره في هذه السورة في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ﴾<sup>(٧)</sup> الآية، (وكان يحيى أكبر سنّاً من عيسى عليه السلام بسنة أشهر، وكلف التصديق به، وكان أول [٦٤] من صدّقه وشهد أنّه كلمة الله وروحه، [من غير أب] <sup>(٨)</sup>، وكان ذلك إحدى معجزات عيسى عليه السلام وأقوى الأسباب لإظهار أمره، فإنّ الناس [كانوا] <sup>(٩)</sup> يقبلون قول يحيى لمعرفتهم بصدقه وزهده <sup>(١٠)</sup>، ولوجه

(١) من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ٢٠٨/١/٦٢٣، باب فضل الصلاة .

(٢) ينظر: مجمع البيان: الطبرسي: ٢٨٦/٢ .

(٣) ينظر: جوامع الجامع: الطبرسي: ٤٦٤/١ .

(٤) سورة آل عمران: الآية ٥٩ .

(٥) سورة التحريم: الآية ١٢ .

(٦) سورة مريم: الآية ١٧ .

(٧) سورة آل عمران: الآية ٤٥ .

(٨) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٩) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(١٠) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٨٧/٢ .

يجيء في تفسير الإمام عليه السلام أو مُصَدِّقاً بكتابِ اللهِ عَلَى قَوْلِ أَبِي عُبَيْدَةَ فِي اِطْلَاقِ كَلِمَةِ اللَّهِ عَلَى كِتَابِهِ<sup>(١)</sup>.

﴿وَسَيِّدًا﴾، أي: وَحَالَ كَوْنِ يَحْيَى سَيِّدًا مُطَاعًا يَسُودُ قَوْمَهُ وَيَفُوقُهُمْ فِي الْعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَالْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ وَالنُّقَى وَالزُّهْدِ وَ(كَرِيمًا عَلَى رَبِّهِ)<sup>(٢)</sup> فَإِنْفَاقًا عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ وَمَا هُمْ بِمَعْصِيَةٍ قَطُّ.

﴿وَحَصُورًا﴾ لا يَأْتِي النِّسَاءَ وَلَا يَقْرُبُهَا مَعَ قُدْرَتِهِ بِهِ وَلَمْ يَكُنْ عَيْنِيًّا، مُبَالِغًا فِي حَصْرِ نَفْسِهِ وَمَنْعِهَا مِنَ الشَّهَوَاتِ وَالْمَلَاهِي، وَيَقُولُ لِلصِّبْيَانِ: مَا خُلِقْتُ لِلْعِبِّ<sup>(٣)</sup>.  
﴿وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، أي: رَسُولًا شَرِيفًا رَفِيعَ الْقَدْرِ وَالْمَنْزِلَةِ، كَائِنًا مِنْ جُمْلَةِ الْأَنْبِيَاءِ، وَمِنْ عِدَادِ مَنْ لَمْ يَأْتِ كَبِيرَةً وَلَا صَغِيرَةً طَرْفَةَ عَيْنٍ.

وَفِي تَفْسِيرِ الْإِمَامِ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿وَاسْتَشْهَدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾<sup>(٤)</sup>، مَا أَحَقَّ اللَّهُ صِبْيَانًا بِرِجَالِ كَامِلِي [الْعُقُولِ]<sup>(٥)</sup> إِلَّا هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةَ: عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ، وَيَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا، وَالْحَسَنَ، وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ثُمَّ ذَكَرَ قِصَّتَهُمْ<sup>(٦)</sup>، ثُمَّ قَالَ: "وَكَانَ أَوَّلُ تَصَدِيقِ يَحْيَى بِعَيْسَى أَنْ زَكَرِيَّا كَانَ لَا يَصْعَدُ إِلَى مَرْيَمَ فِي تِلْكَ الصَّوْمَعَةِ غَيْرُهُ يَصْعَدُ إِلَيْهَا بِسَلْمٍ، فَإِذَا نَزَلَ أَقْفَلَ عَلَيْهَا ثُمَّ فَتَحَ لَهَا مِنْ فَوْقِ الْبَابِ كُوَّةً صَغِيرَةً يَدْخُلُ عَلَيْهَا مِنْهَا الرِّيحُ، فَلَمَّا وَجَدَ مَرْيَمَ وَقَدْ حَبَلَتْ سَاءَهُ ذَلِكَ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: مَا كَانَ يَصْعَدُ إِلَى هَذِهِ أَحَدٌ غَيْرِي وَقَدْ حَبَلْتُ، وَالْآنَ أَفْتَضِحُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا يَشْكُونَ أَنِّي أَحْبَلْتُهَا، فَجَاءَ إِلَى امْرَأَتِهِ فَقَالَ لَهَا ذَلِكَ، فَقَالَتْ: يَا زَكَرِيَّا لَا تَخَفْ فَإِنَّ اللَّهَ لَنْ يَصْنَعَ بِكَ إِلَّا خَيْرًا، وَابْتَنِي بِمَرْيَمَ أَنْظُرْ إِلَيْهَا وَأَسْأَلْهَا عَنْ حَالِهَا، فَجَاءَ بِهَا زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَكَفَى اللَّهُ مَرْيَمَ مَثْوًى الْجَوَابِ عَنِ السُّؤَالِ، فَلَمَّا دَخَلَتْ إِلَى أُخْتِهَا - وَهِيَ الْكُبْرَى، وَمَرْيَمُ الصُّغْرَى - لَمْ تَقُمْ إِلَيْهَا امْرَأَةً زَكَرِيَّا، فَأَذِنَ اللَّهُ لِيَحْيَى وَهُوَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ فَخَسَّ فِي بَطْنِهَا وَأَرْعَجَهَا وَنَادَى أُمَّهُ: تَدْخُلِي إِلَيْكِ سَيِّدَةٌ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مُشْتَمَلَةٌ عَلَى سَيِّدِ رِجَالِ الْعَالَمِينَ فَلَا تَقُومِينَ إِلَيْهَا؟! فَانزَعَجَتْ وَقَامَتْ إِلَيْهَا، وَسَجَدَ يَحْيَى

(١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: الطوسي: ٤٥١/٢ .

(٢) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٨٧/٢ .

(٣) ينظر: بحار الأنوار: المجلسي: ١٨٥/١٤ .

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٨٢ .

(٥) في الأصل: العقل، وما أثبت من المصدر الصواب .

(٦) التفسير الصافي: الفيض الكاشاني: ٣٣٤/١ .



وَهُوَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ لِعَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَذَلِكَ أَوَّلُ تَصَدِيقِهِ، فَكَذَلِكَ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: إِنَّهُمَا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ ابْنِي الْخَالَةِ يَحْيَى وَعَيْسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ<sup>(١)</sup> الحديث، أَنَّ مَرْيَمَ وَامْرَأَةَ زَكَرِيَّا كَانَتَا أُخْتَيْنِ كَمَا مَرَّتِ الْإِشَارَةُ إِلَى ذَلِكَ أَيْضاً إِلَّا أَنْ يَرْتَكِبَ فِي ذَلِكَ مَجَازاً.

وفي الكافي "مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يُحْبَلَ لَهُ فَلْيُصَلِّ رَكَعَتَيْنِ بَعْدَ الْجُمُعَةِ يُطِيلُ فِيهِمَا الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمَا سَأَلْتُكَ بِهِ زَكَرِيَّا إِذْ قَالَ: رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ اللَّهُمَّ هَبْ لِي ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ، اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ اسْتَحْلَلْتُهَا، وَفِي أَمَانَتِكَ أَخَذْتُهَا، فَإِنْ قَضَيْتَ فِي رَحِمِهَا وَلِداً فَاجْعَلْهُ غُلاماً وَلَا تَجْعَلْ لِلشَّيْطَانِ فِيهِ نَصيباً وَلَا شُرْكَاءً"<sup>(٢)</sup>، وقد ذكرنا هذا الدعاء وغيره من أنواع الأدعية والآداب في أول هذه السورة في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾<sup>(٣)</sup> الآية.

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾<sup>(٤)</sup> آية.

اللغة:

العاقِرُ من الرجال: الَّذِي لَا يُوَلِّدُ، وَمِنَ النِّسَاءِ: الَّتِي لَا تَلِدُ، مِنَ الْعَقْرِ وَهُوَ الْقَطْعُ مِنَ عَقْرِ النَّخْلِ وَالشَّجَرِ إِذَا قَطَعْتَهَا، (وَأَصْلُ الْعَقْرِ ضَرْبُ قَوَائِمِ الْبَعِيرِ أَوْ الشَّاةِ بِالسَّيْفِ، وَهُوَ قَائِمٌ)<sup>(٥)</sup>، وَمِنَ الْحَدِيثِ: (لَا تَعْقِرَنَّ شاةً وَلَا بَعيراً إِلَّا لِمَاكَلَةٍ)<sup>(٦)</sup>، (وَإِنَّمَا نُهِيَ عَنْهُ لِأَنَّهُ مُثَلَّةٌ وَتَعْدِيبٌ لِلْحَيَوَانَ)<sup>(٧)</sup>، وَمِنْهُ قَوْلُ جَرِيرٍ:

(١) تفسير الإمام العسكري: المنسوب للإمام العسكري: ٦٦٢ - ٦٦٣ .

(٢) الكافي: الكليني: ٣/٤٨٢/٣، بَابُ صَلَاةٍ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْحُلَ بِأَهْلِهِ وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَزَوَّجَ.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٦ .

(٤) سورة آل عمران: الآية ٤٠ .

(٥) النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير: ٣/٢٧١ .

(٦) معرفة السنن والآثار: البيهقي: ٢٤٣/١٣، وهو قول لأبي بكر، وليس لرَسُولِ اللَّهِ (ص) .

(٧) النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير: ٣/٢٧١ .

(تَعُدُّونَ عَقْرَ النَّيْبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ<sup>(١)</sup> بَنِي صَوْطَرَى لَوْلَا الْكَمِيُّ الْمُقَنَّعَا<sup>(٢)</sup>)<sup>(٣)</sup> .

وَعَقْرُ الدِّيَارِ بِالضَّمِّ أَصْلُهَا، وَالْعَقْرُ بِالضَّمِّ أَيْضاً دِيَّةٌ فَرَجَ الْمَرَأةُ، وَمَحَلَّةُ الْقَوْمِ وَالْغُلَامُ الشَّابُّ مِنَ النَّاسِ، وَالْعُلْمَةُ وَالِاغْتِلَامُ كَثْرَةُ الشَّهْوَةِ وَشِدَّةُ طَلْبِ النِّكَاحِ<sup>(٤)</sup> .

### الإعراب:

﴿أَنْى﴾ خبر ﴿يَكُونُ﴾، مقدّم عليه، و﴿غُلَامٌ﴾ اسمُهُ، و﴿لِي﴾ حال من غلام، وهو في الأصل صفة له، فلما قُدِّمَ عليه صار حالاً منه كما هو القاعدة في صفة النكرة، أو خبر لـ ﴿يَكُونُ﴾، و﴿أَنْى﴾ متعلّق به، وجملة ﴿وَقَدْ بَلَغَنِى الْكِبْرُ﴾ حال من الياء في ﴿لِي﴾، وكذا جملة ﴿وَأَمْرَاتِي عَاقِرٌ﴾، و﴿كَذَلِكَ﴾ خبر مقدّم، و﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ مؤخّر، أي: الله على مثل هذه الصفة، وجملة ﴿يَفْعَلُ﴾ حال من المستتر في ﴿كَذَلِكَ﴾، أو استئنافٌ بيانيٌّ لهذه الصِّفَةِ، أو ﴿كَذَلِكَ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، أي: الأمرُ كذلك، و﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ خبره ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾، والجملة بيان لقوله: ﴿كَذَلِكَ﴾.

### المعنى:

﴿قَالَ﴾ زكريّا ﴿رَبِّ﴾، أي: يا ربّ، ﴿أَنْى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾، أي: من أين يكون أو كيف يكون لي ولدٌ، ﴿وَ﴾ الحال أنّي ﴿قَدْ بَلَغَنِى الْكِبْرُ﴾ أي أصابني الشَّيْبُ، وَنَالَنِي الْهَرَمُ، وَأَدْرَكَنِي كِبَرُ السِّنِّ، وَأَثَرَ فِي قُورِي وَأَضَعَفَنِي، ﴿وَأَمْرَاتِي عَاقِرٌ﴾ عقيمٌ ذاتُ عَقْرِ مِنَ الْأَوْلَادِ لَا تَلِدُ، وَكَانَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ سَنَةً، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ كَانَ لَهُ (مَائَةٌ وَعِشْرُونَ

(١) في المصدر: سعيكم.

(٢) ومنه في حاشية الأصل: (قوله النيب: جمع ناب، وهو الحسن من الإبل، والضيطر: الرّجل الضّخم لا غناء عنده، وكذلك الضواطر والضوطري، قال صاحب الكتاب: العرب تقول: يا بن الضوطري، أي: يا ابن الأمة، وقال ابن يسعون في شرح أبيات الإيضاح: الضوطري: المرأة الحمقاء، وزنها فوعلي كخوزلي، رماهم بالحمق؛ لأنّ أمهم مُحْمِقَةٌ، الكميّ: الشجاع، يقال: كميّ الشيء إذا ستره، فعيل بمعنى مفعول، أي: مسثور بالسلاح ومسثور الشجاعة، المقنّع: المغطّم الذي عليه المغفر والبيضة والدرع، وعقر النيب مفعول تعدون، وأفضل مجدكم مفعوله الثاني، وبني صوطرى نداء ومضاف حذف حرف النداء، ولولا حرف تخصيص، والكمي مفعول فعل محذوف، والمقنّع صفة الكميّ، والتقدير لولا تعدون عقر الكميّ المقنّع أفضل مجدكم، أو لولا تلقون الكميّ المقنّع، أو لولا تبارزون الكميّ المقنّع المكمل بالسلاح، تعدون من أفعال القلوب، أي: تحسون)، ينظر: العين: الفراهيدي: ٤١٩/٥، غريب الحديث: إبراهيم الحربي: ٤٨٢/٢، باب كمه، جمهرة اللغة: ابن دريد: ٩٤٣/٢، مادة عنق، الصحاح: الجوهري: ٢٣٠/١، مادة نيب، المخصص: ابن سيده: ٣٦٥/١ .

(٣) ديوان جرير: ٢٦٥.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة: الأزهرى: ١٣٦/٨، مادة غلم، لسان العرب: ابن منظور: ٤٣٩/١٢، مادة غلم.

سَنَةً، وَلَا مَرَاتَهُ ثَمَانٍ وَتِسْعُونَ سَنَةً<sup>(١)</sup>، وَإِنَّمَا قَالَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَلِكَ وَرَاجِعَ هَذِهِ الْمَرَاةَ وَقَدْ بَشَّرَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِالْوَلَدِ الطَّيِّبِ الْمُبَارَكِ السَّيِّدِ الْحَصُورِ النَّبِيِّ الصَّالِحِ بَعْدَ أَنْ سَأَلَهُ ذَلِكَ مِنْهُ تَعَالَى اسْتِعْظَامًا وَاسْتِيعَادًا مِنْ [٦٥] حَيْثُ الْعَادَةُ أَوْ تَعْجَبًا أَوْ اسْتِفْهَامًا عَنْ كَيْفِيَّةِ حَدُوثِ ذَلِكَ الْوَلَدِ أَيْعْطِيهِمَا اللَّهُ تَعَالَى إِيَّاهُ وَهُمَا عَلَى مَا كَانَا عَلَيْهِ مِنَ الْهَرَمِ وَالشَّيْخُوخَةِ وَالْعَقْرِ، أَمْ يَصْرِفُهُمَا إِلَى حَالِ الشَّبَابِ ثُمَّ يَرْزُقُهُمَا الْوَلَدَ، أَمْ يَعْطِيهِ مِنْ امْرَأَةٍ أُخْرَى شَابَّةٍ يَخْبِرُهُ نِكَاحِهَا أَوْ طَمَعُ أَنْ يَخْبِرَ لَهُ تَزْوِيجَ مَرْيَمَ عَلَى تَقْدِيرِ كَوْنِهَا بِنْتُ أُخْتِ زَوْجَتِهِ مَعَ اجْزَاتِهَا فِي نِكَاحِهَا<sup>(٢)</sup> كَمَا هُوَ الْمَشْهُورُ، وَكَمَا مَرَّ مِنْ رِوَايَةِ الرَّوَنْدِيِّ قَدَّسَ سِرَّهُ فِي قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ عَنْ ابْنِ بَابُوَيْهِ قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾<sup>(٣)</sup>.

وَفِي الْمَجْمَعِ أَيْضًا فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ أَيْضًا حَيْثُ قَالَ: اسْمُ امْرَأَةِ عِمْرَانَ حَنَّةٌ وَهِيَ (جَدَّةُ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَانَتَا أُخْتَيْنِ إِحْدَاهُمَا عِنْدَ عِمْرَانَ)<sup>(٤)</sup>، (وَالْأُخْرَى عِنْدَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاسْمُهَا إِشَاعٌ، وَاسْمُ أَبِيهَا فَاقُوزَابِينَ قَبِيلًا)<sup>(٥)</sup>، فَيَحْيَى وَمَرْيَمُ ابْنَا خَالَةٍ<sup>(٦)</sup> انْتَهَى.

وَأَمَّا عَلَى رِوَايَةِ الْعِيَّاشِيِّ وَعَلَى تَفْسِيرِ مَا مَرَّ أَنْفًا مِنْ كَوْنِ مَرْيَمَ أُخْتًا لَزَوْجَةِ زَكَرِيَّا فَلَا يَجُوزُ<sup>(٧)</sup> ذَلِكَ، ﴿قَالَ﴾ اللَّهُ تَعَالَى رَفَعًا لَتَعْجَبِهِ وَاسْتِعْظَامِهِ وَاسْتِيعَادِهِ، ﴿كَذَلِكَ﴾ أَي: الْأَمْرُ كَذَلِكَ، أَي: يَعْطِيكُمَا الْوَلَدَ عَلَى مَا كُنْتُمَا عَلَيْهِ، وَعَلَى تِلْكَ الْحَالِ مِنَ الشَّيْخُوخَةِ وَالْعَقْرِ، ثُمَّ بَيَّنَّ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ مِنَ الْعَجَائِبِ مِثْلَ ذَلِكَ الْفِعْلِ وَهُوَ انْشَاءُ الْوَلَدِ مِنْ شَيْخٍ فَإِنَّ وَعَجُوزٍ عَاقِرٍ، يَعْني أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَرْزُقُ الْوَلَدَ مِنْهَا، فَإِنَّهُ عَلَيْهِ هَيِّنٌ كَمَا أَنْشَأَكُمَا وَلَمْ تَكُونَا شَيْئًا مَذْكَورًا، كَمَا قَالَ فِي سُورَةِ مَرْيَمَ بَعْدَ سُؤْلِ زَكَرِيَّا الْوَلَدَ ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا \* قَالَ رَبِّ إِنِّي لَأَكُونُ لِي غُلَامًا وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا \* قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ

(١) جوامع الجامع: الطبرسي: ٢٨٥/١ .

(٢) ومنه في حاشية الأصل: قيد لقوله بنت أخت زوجته .

(٣) سورة آل عمران: الآية ٣٥ .

(٤) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٨٠/٢ .

(٥) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٦) جوامع الجامع: الطبرسي: ٢٨٠/١ .

(٧) ومنه في حاشية الأصل: تزويج في حال حياة اختها .

شَيْئًا<sup>(١)</sup>، هذا إذا كان ﴿كَذَلِكَ﴾ خبراً لمبتدأ محذوف، أو المعنى لو ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ﴾، أي: الله على مثل هذه الصفة هذا إذا كان ﴿كَذَلِكَ﴾ خبراً مقدماً و﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ مؤخرًا، ثم بين الصفة بقوله: ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (من الأفعال العجيبة الخارقة للعادة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد بين الشيخ الفاني والعجوز العاقِر)<sup>(٢)</sup> وغيره من الأفعال .

وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تَكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾<sup>(٣)</sup> آية .

اللغة:

الآية: العلامة، أصلها آيئة أو أويئة على وزن فعلة قلبت عينه ألفاً على جهة الشذوذ، ونظر آية زاية وطاية وغاية، والقياس إذا كان الفعل أو الاسم لفيفاً مفروناً قلب لأمه ألفاً مثل: حياة ونواة وطوى وشوى لا عينه<sup>(٤)</sup>.

والرمز: الإيماء بالشفقتين، وقد يستعمل في الإيماء بالحاجب والعين والرأس واليد والأول هو الأغلب<sup>(٥)</sup>.

والعشي من حين زوال الشمس إلى غروبها، والعشاء بالكسر والمد من لذن غروب الشمس إلى أن يمضي ربع الليل، والعشاء بالفتح طعام العشي، والعشا بالفتح مقصوراً ضعف العين وأصل الباب الظلمة<sup>(٦)</sup>.

والإبكار من حين طلوع الفجر إلى وقت الضحى وأصله التعجيل، يقال: أبكر أبكاراً وبكر بكرة ومنه الباكورة<sup>(٧)</sup>.

المعنى:

ثم سأل الله تعالى زكرياً عليه السلام أن يجعل له علامة يعرف بها وقت حبل امرأته؛ ليزيد بذلك شكراً ويقيناً، ويستعجل به السرور قال ﴿زكرياً﴾ ﴿رب اجعل لي آية﴾، أي: علامة

(١) سورة مريم: الآية ٧ - ٩ .

(٢) جوامع الجامع: الطبرسي: ٢٨٥/١ .

(٣) سورة آل عمران: الآية ٤١ .

(٤) ينظر: الصحاح: الجوهري: ٢٢٧٥/٦ - ٢٢٧٦، مادة أيا .

(٥) ينظر: العين: الفراهيدي: ٣٦٦/٧، مادة رمز .

(٦) ينظر: مقاييس اللغة: ابن فارس: ٣٢٢/٤، مادة عشو .

(٧) ينظر: القاموس المحيط: الفيروزآبادي: ٣٥٣ - ٣٥٤، مادة البكرة .

أَعْرِفُ بِهَا حَبْلَ امْرَأَتِي، وَأَتَلَّقِي هَذِهِ النِّعْمَةَ إِذَا جَاءَتْ بِالذِّكْرِ، وَأَسْتَقْبِلُهَا بِالشُّكْرِ وَالْبَشَاشَةِ وَالِاسْتِيقَانِ ﴿قَالَ أَيْتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾، أَي: عَلَامَتُكَ، لِذَلِكَ أَنْ لَا تَقْدِرَ عَلَى تَكْلِيمِ النَّاسِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مَعَ لِيَالِيهَا.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: (فخرس ثلاثة أيام)<sup>(١)</sup>، وَإِنَّمَا خَصَّ تَكْلِيمَ النَّاسِ خَاصَّةً؛ لِیُعْلِمَهُ أَنَّ حَبْسَ لِسَانِهِ عَنِ مَكَالِمَتِهِمْ خَاصَّةً، وَيَكُونُ قَادِرًا عَلَى التَّكْلِيمِ بِذِكْرِ وَتَسْبِيحِهِ لِيُخْلِصَ الْمَدَّةَ لِیُشْكِرَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَذِكْرَهُ وَتَسْبِيحِهِ وَتَنْزِيهِهِ؛ فَضَاءً لِحَقِّ تِلْكَ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ، وَالْعَطِيَّةِ الْجَسِيمَةِ، فَكَانَتْهُ قَالَ: تَحْبِيسُ لِسَانِكَ عَنِ التَّلْفِظِ بِكُلِّ شَيْءٍ إِلَّا عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ وَشُكْرِهِ ﴿إِلَّا رَمَزًا﴾، أَي: إِلَّا إِيمَاءً وَإِشَارَةً بِشَفَةِ أَوْ عَيْنٍ أَوْ حَاجِبٍ أَوْ يَدٍ أَوْ بَرَأْسٍ، وَفِي تَفْسِيرِ الْعِيَّاشِيِّ عَنْ أَحَدِهِمَا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: "فَكَانَ يَوْمِي بِرَأْسِهِ"<sup>(٢)</sup>، وَالِاسْتِثْنَاءُ مَنْقُطِعٌ فَيَكُونُ الْمُرَادُ بِهِ مَا دَلَّ عَلَى الضَّمِيرِ لَا الْكَلَامَ اللَّفْظِي، وَقَرِئَ رَمَزًا مُحَرَّكَةً جَمَعَ رَامِزٌ كَخَدَمٍ فِي خَادِمٍ، وَرَمَزًا جَمَعَ رَمُوزٌ كَرَسَلٍ فِي رَسُولٍ، فَيَكُونُ حِينئِذٍ حَالًا مِنْهُ<sup>(٣)</sup>، وَمِنَ النَّاسِ جَمِيعًا، أَي: إِلَّا مُتْرَامِزِينَ كَقَوْلِ عَنْتَرَةَ:

(مَتَى مَا تَلَقَّنِي فَرْدَيْنِ تَرَجُّفٍ رَوَانِفُ أَلَيْتَيْكَ وَتُسْتَطَارًا)<sup>(٤)</sup>.

وَهَذِهِ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَةِ، وَفِي تَفْسِيرِ الْعِيَّاشِيِّ عَنِ الصَّادِقِ "قَالَ: إِنَّ زَكَرِيَّا لَمَّا دَعَا رَبَّهُ أَنْ يَهَبَ لَهُ وَوَدَّأَ فَوَدَّأَتْهُ الْمَلَائِكَةُ بِمَا نَادَتْهُ بِهِ أَحَبُّ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ ذَلِكَ الصَّوْتُ مِنَ اللَّهِ، فَأَوْحَى إِلَيْهِ أَنَّ آيَةَ ذَلِكَ أَنْ يَمْسَكَ لِسَانَهُ عَنِ الْكَلَامِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، قَالَ: فَلَمَّا أَمْسَكَ لِسَانَهُ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ عِلْمٌ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ أَيْتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا﴾"<sup>(٥)</sup>.

﴿وَأَذْكَرَ رَبِّكَ كَثِيرًا﴾، أَي: فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ الثَّلَاثَةِ الْحَبْسَةِ، وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ اعْتَقَلَ لِسَانَهُ مِنَ الْكَلَامِ وَلَمْ يَعْتَقِلْ مِنَ الذِّكْرِ وَالتَّسْبِيحِ جَزْمًا بِالْمَطْلُوبِ، وَذَلِكَ مُؤَكِّدٌ لِمَا قَبْلَهُ مَبِينٌ لِلْغَرَضِ مِنْهُ. ﴿وَسَبِّحْ﴾، أَي: نَزَّ اللَّهُ وَسَبِّحْهُ بِالتَّسْبِيحِ الْمَعْرُوفِ، وَصَلَّ كَمَا يُقَالُ فَرَعْتُ مِنْ سُبْحَتِي، أَي: مِنْ صَلَوَاتِي.

(١) تفسير القمي: علي بن إبراهيم: ١٠٢/١.

(٢) تفسير العياشي: العياشي: ١٧٢/١.

(٣) ومنه في حاشية الأصل: أي: من زكريا.

(٤) ديوان عنتر بن شداد: عنتر بن شداد: ١٠٥.

(٥) تفسير العياشي: العياشي: ١٧٢/١.

﴿بِالْعَشِيِّ﴾، أي: من [٦٦] الزوال إلى الغروب، أو من العصر إلى الغروب، أو من الغروب إلى زهابِ صدرِ الليل، ﴿وَالْإِبْكَارِ﴾ من طلوع الفجر إلى الضحى، وفُرى بالأبكار بفتح الهمزة جمع بكرٍ محرّكة كسحرٍ وأسحارٍ.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ \* يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾<sup>(١)</sup> آيتان .  
اللغة:

قد مرّ في البقرة أنّ القنوت الطّاعة، والدّوام على أمرٍ واحدٍ، والدّعاء في حال القيام<sup>(٢)</sup>.

الإعراب:

﴿وَإِذْ﴾ على إذ السابغة وهو مفعول به لأدكر محدوفاً، ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ هنا بكسر الهمزة لا غير؛ لوقوعها بعد صريح القول بخلاف ما تقدّم؛ فإنّها وقعت بعد النّداء، وفي ﴿وَاسْجُدِي وَارْكَعِي﴾ تقدّم وتأخير.

المعنى:

لما قدّم سبحانه ذكر امرأة عمران وفضل بنتها مريم البتول في الجملة<sup>(٣)</sup> ذكر هنا تفصيل تلك الجملة فقال: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾، أي: أذكر الوقت الذي قالت الملائكة، أي: جبرائيل، وحده لمريم، وإتما جمعه تعظيماً له أو هو ورفقاؤه بأن قالوا لها: ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾، أي: كلّموها حديثاً لها فإنّها المحدثّة العليمة كفاطمة البتول بنت خير الرسل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، أو الهاماً لها للإجماع بأنّه تعالى لم يجعل المرأة نبيّة لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ﴾<sup>(٤)</sup>، أو كلّموها شفاهاً؛ كرامة لها، ومن أنكر الكرامة لغير الأنبياء زعم أنّ كان ذلك معجزة لزرّكياً وتأسيساً لنبوّة عيسى عليه السّلام كما مرّ آنفاً في تفسير قوله تعالى: ﴿أَنَّى لَكَ هَذَا﴾، يعني: أنّهم - الملائكة - قالت لمريم إنّ الله اختاركِ بتقبلكِ من أمك ولم يتقبّل قبلها أنثى، وبتفريغك للعبادة، وبإغنائك برزق الجنّة عن الكسب<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة آل عمران: الآية ٤٢ - ٤٣ .

(٢) ينظر: غريب الحديث: ابن قتيبة الدّينوري: ١٧١/١ .

(٣) ينظر: مجمع البيان: الطبرسي: ٢٩٠/٢ .

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٧ .

(٥) ينظر: أنوار التنزيل: البيضاوي: ١٦/٢ .

﴿وَطَهَّرَكَ﴾ عَمَّا يُسْتَقْذَرُ مِنَ النِّسَاءِ مِنَ الْأَدْناسِ مِنَ الْحَيْضِ وَالنِّفَاسِ وَالسِّفَاحِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ، وَالطَّبَائِعِ الرَّدِيَّةِ، حَتَّى صَارَتْ صَالِحَةً لِحِدْمَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ (١).

﴿وَاضْطَفَاكَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ أَي: اخْتَارَكَ عَلَى نِسَاءِ عَالَمِي زَمَانِكَ؛ بِهَدَايَتِهِ تَعَالَى إِيَّاكَ، وَارْسَالَ الْمَلَائِكَةِ إِلَيْكَ، وَتَخْصِيصَهُ تَعَالَى إِيَّاكَ بِالْكَرَامَةِ السَّنِيَّةِ كَوْلَادَةِ عِيسَى مِنْكَ مِنْ غَيْرِ أَبِي وَقَحْلٍ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لِأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ وَبِتَبَرُّتِكَ مِمَّا قَدَفْتَكِ الْيَهُودُ؛ بِإِنْطَاقِ يَحْيَى فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَأَنْطَاقِ عِيسَى فِي بَطْنِكَ وَفِي حَالِ الطُّفُولِيَّةِ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا وَبِجَعْلِهِ تَعَالَى إِيَّاكَ وَابْنَكَ آيَةً لِلْعَالَمِينَ فَلَا تَكَرَّرَ؛ لِأَنَّ الْاِصْطِفَاءَ الْأَوَّلَ هُوَ تِلْكَ الْأُمُورُ الثَّلَاثَةُ الْمَذْكُورَةُ، وَالثَّانِي هُوَ هَذِهِ الْأَرْبَعَةُ الْمَذْكُورَةُ، وَإِنَّمَا قُلْنَا عَلَى نِسَاءِ عَالَمِي زَمَانِكَ؛ لِأَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هِيَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ جَمِيعًا كَمَا يَأْتِي فِي الْأَخْبَارِ الْآتِيَةِ.

وفي المجمع "وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَعْنَى الْآيَةِ اضْطَفَاكَ مِنْ ذُرِّيَّةِ الْأَنْبِيَاءِ، وَطَهَّرَكَ مِنَ السِّفَاحِ، وَاضْطَفَاكَ لَوْلَادَةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ غَيْرِ فَحْلٍ، وَخَرَجَ بِهِدًا مِنْ أَنْ يَكُونَ تَكَرِيرًا؛ إِذْ يَكُونُ الْاِصْطِفَاءُ عَلَى مَعْنَيَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ" (٢) انتهى.

وفي تفسير علي بن إبراهيم "قال عليه السلام: اضْطَفَاها مَرَّتَيْنِ: أَمَّا الْأُولَى اضْطَفَاها، أَي: اخْتَارَها، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَإِنَّها حَمَلَتْ مِنْ غَيْرِ فَحْلٍ فَاضْطَفَاها بِذَلِكَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ" (٣) انتهى.

قوله تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ أمرٌ لها بالصَّلَاةِ بِذِكْرِ بعضِ أركانها مُبَالَغَةً فِي الْاهْتِمَامِ بِهَا، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا، وَتَقْدِيمِ السُّجُودِ عَلَى الرُّكُوعِ لِأُمُورٍ لِلإِشْعَارِ بِأَنَّ الْوَأُو لَا تُوجِبُ التَّرْتِيبَ (٤)، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي قِصَّةِ وَاحِدَةٍ تَارَةً: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً﴾ (٥)، وَأُخْرَى ﴿وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ (٦)، وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ (٧)، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ (٨)،

(١) ينظر: مجمع البيان: الطبرسي: ٢٩٠/٢ .

(٢) المصدر نفسه: ٢٩١/٢ .

(٣) تفسير القمي: علي بن إبراهيم: ١٠٢/١ .

(٤) ينظر: مجمع البيان: الطبرسي: ٢٩١/٢، زبدة النعاسير: فتح الله الكاشاني: ٤٨٣/١ .

(٥) سورة البقرة: الآية ٥٨ .

(٦) سورة الأعراف: الآية ١٦١ .

(٧) سورة الأنعام: الآية ١٥١ .



والمطلب واحد، ولأن الخُضوع والإخبات فيه أكثر، وليفترن اركعي بالراكعين ويحصل التناوب بين الآيتين (وللايدان بأن من ليس في صلاتهم ركوع ليسوا بمُصلين) (٢)، يعني: يا مريم (انظمي نفسك في جملة المُصلين، وكوني في عدادهم) (٣)، واعلمي (كما يعمل الساجدون والراكعون، لا أن يكون ذلك أمرًا لها بأن تعمل السجود والركوع معهم في الجماعة) (٤).

وفي تفسير علي بن ابراهيم (قوله تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾، وإنما هو واركعي واسجدي) (٥) انتهى.

وقيل معنى الآية ﴿واسجدي﴾، لله شكرًا، ﴿واركعي مع الراكعين﴾، أي: صلي كما يصلي المُصلون أو معهم جماعة، وقيل: أراد بالقنوت إدامة الطاعة، أي: أديمي الطاعة (وأطيلي القيام في الصلاة) (٦)، والدعاء فيها كقوله تعالى: ﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ (٧)، وبالسجود الصلاة، كقوله تعالى: ﴿وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ (٨)، أي: الصلاة (وبالركوع الخُشوع والإخبات) (٩).

وفي أمالي الصدوق بإسناده إلى النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: " فَأَيُّمَا امْرَأَةٍ صَلَّتْ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ حَمَسَ صَلَوَاتٍ، وَصَامَتْ شَهْرَ رَمَضَانَ، وَحَجَّتْ بَيْنَ اللَّهِ الْحَرَامَ، وَرَكَتْ مَالَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا، وَوَالَتْ عَلِيًّا بَعْدِي، دَخَلَتْ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ ابْنَتِي فَاطِمَةَ، وَإِنَّهَا لَسَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَهِيَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ عَالَمِهَا؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: ذَاكَ مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، فَأَمَّا ابْنَتِي فَاطِمَةُ فَهِيَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مِنَ الْأُولِيِّينَ وَالْآخِرِينَ، وَإِنَّهَا لَتَقُومُ فِي مِحْرَابِهَا فَيَسَلُّمُ عَلَيْهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ،

(١) سورة الإسراء: الآية ٣١ .

(٢) زبدة التفاسير: فتح الله الكاشاني: ٤٨٣/١ .

(٣) تفسير الكشاف: الزمخشري: ٣٦٢/١ .

(٤) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٩١/٢ .

(٥) تفسير القمي: علي بن إبراهيم: ١٠٢/١ .

(٦) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٩١/٢ .

(٧) سورة الزمر: الآية ٩ .

(٨) سورة ق: الآية ٤٠ .

(٩) زبدة التفاسير: فتح الله الكاشاني: ٤٨٣/١ .

وَيُنَادُونَهَا بِمَا نَادَتْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ مَرْيَمُ، فَيَقُولُونَ: يَا فَاطِمَةُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ  
وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ" (١)، [٦٧] وَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ أَخَذْنَا مِنْهُ مَوْضِعَ الْحَاجَةِ.

وفي الفقيه "وروى المعلى بن محمد البصري، عن جعفر بن سليمان، عن عبد الله بن  
الحكم، عن أبيه، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس قال: قال: النبي صلى الله عليه وآله:  
إِنَّ عَلِيًّا وَصِيِّي وَخَلِيفَتِي، وَرَوْجَتَهُ فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ابْنَتِي" (٢)، وَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ.

وَفِي أَصُولِ الْكَافِي بِإِسْنَادِهِ إِلَى "مُحَمَّدِ الْهَرْمَزَانِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ  
عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: لَمَّا قُبِضَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ دَفَنَهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ سِرًّا وَعَفَا عَلَى  
مَوْضِعِ قَبْرِهَا، ثُمَّ قَامَ فَحَوْلَ وَجْهَهُ إِلَى قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ  
يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنِّي وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ عَنِ ابْنَتِكَ وَزَائِرَتِكَ وَالْبَائِتَةِ فِي الثَّرَى بِبُقْعَتِكَ وَالْمُخْتَارِ اللَّهُ  
لَهَا سُرْعَةَ اللَّحَاقِ بِكَ، قَلَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي وَعَفَا عَنْ سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ  
تَجَلْدِي" (٣) وَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ.

وفي نهج البلاغة في كتابة له عليه السلام إلى معاوية جواباً "وَمِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ  
وَمِنْكُمْ حَمَالَةُ الْحَطَبِ" (٤).

### ذكر علة كون فاطمة عليها السلام محدثة في الأحاديث:

وفي علل الشرائع في (باب العلة التي من أجلها سُميت فاطمة عليها السلام محدثة) (٥)  
بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: "إِنَّمَا سُمِّيَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ مُحَدَّثَةً؛ لِأَنَّ  
الْمَلَائِكَةَ كَانَتْ تَهْبِطُ مِنَ السَّمَاءِ فَتُنَادِيهَا كَمَا تُنَادِي مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ، فَتَقُولُ: يَا فَاطِمَةُ، إِنَّ  
اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، يَا فَاطِمَةُ، أَفْنَتِي لِرَبِّكِ وَأُسْجُدِي  
وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ، فَتُحَدِّثُهُمْ وَيُحَدِّثُونَهَا، فَقَالَتْ لَهُمْ ذَاتَ لَيْلَةٍ: أَلَيْسَتْ الْمُفَضَّلَةُ عَلَى نِسَاءِ  
الْعَالَمِينَ مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ؟ فَقَالُوا: إِنَّ مَرْيَمَ كَانَتْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ عَالَمِهَا، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ  
جَعَلَكَ سَيِّدَةَ نِسَاءِ عَالَمِكَ وَعَالَمِهَا، وَسَيِّدَةَ نِسَاءِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ" (٦)، وفيه " قَالَ: مُحَمَّدُ بْنُ

(١) الأملالي: الصدوق: ٥٧٥/ح ٧٨٧.

(٢) من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ١٧٩/٤ ح ٥٤٠٤، باب الوصية من لدن آدم عليه السلام.

(٣) الكافي: الكليني: ١/٤٥٩/ح ٣، باب مؤلدة الزهراء فاطمة عليها السلام.

(٤) نهج البلاغة: خطب لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب (ع): ٣٨٧.

(٥) علل الشرائع: الصدوق: ١/١٨٢.

(٦) المصدر نفسه: ١/١٨٢/ح ١، باب العلة التي من أجلها سُميت فاطمة عليها السلام محدثة.

أَبِي بَكْرٍ لَمَّا قَرَأَ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ وَلَا مُحَدَّثٍ، قُلْتُ: وَهَلْ يُحَدِّثُ الْمَلَائِكَةُ إِلَّا الْأَنْبِيَاءَ؟ قَالَ: مَرْيَمَ لَمْ تَكُنْ نَبِيَّةً وَكَانَتْ مُحَدَّثَةً، وَأُمُّ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ كَانَتْ مُحَدَّثَةً وَلَمْ تَكُنْ نَبِيَّةً، وَسَارَةَ امْرَأَةَ إِبْرَاهِيمَ قَدْ عَايَنَتِ الْمَلَائِكَةَ فَبَشَّرُوهَا بِإِسْحَاقَ، وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ وَلَمْ تَكُنْ نَبِيَّةً، وَفَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَتْ مُحَدَّثَةً وَلَمْ تَكُنْ نَبِيَّةً<sup>(١)</sup>، ثُمَّ قَالَ ابْنُ بَابُوَيْهٍ رَحِمَهُ اللَّهُ<sup>(٢)</sup> (قَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ: بِأَنَّهُ مَا أُرْسِلَ مِنَ النِّسَاءِ أَحَدًا إِلَى النَّاسِ فِي قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ﴾<sup>(٣)</sup>، وَلَمْ يُقَلِّ نِسَاءً، وَالْمُحَدَّثُونَ لَيْسُوا بِرُسُلٍ وَلَا أَنْبِيَاءَ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ كَانَ مُحَدَّثًا، فَسُئِلَ الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ ذَلِكَ وَقِيلَ لَهُ مَنْ كَانَ يُحَدِّثُهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَآمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّمَا صَارَ مُحَدَّثًا دُونَ غَيْرِهِ مِمَّنْ كَانَ يُحَدِّثَانِهِ؛ لِأَنَّهُمَا كَانَا يُحَدِّثَانِهِ بِمَا لَا يَحْتَمِلُهُ غَيْرُهُ مِنْ مَخْرُوفٍ [عِلْمٍ]<sup>(٤)</sup> اللَّهُ وَمَكُونِهِ<sup>(٥)</sup>).

ذكر علّة تسميتها عليها السّلام زهراء من الأحاديث الشّريفة:

وَفِيهِ - فِي كِتَابِ الْعِلَلِ - فِي (بَابِ الْعِلَّةِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا سُمِّيَتْ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ عَلَيْهَا السَّلَامُ زَهْرَاءً)<sup>(٦)</sup>، بِإِسْنَادِهِ إِلَى "عَمْرٍو بْنِ شِمْرٍ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قُلْتُ لَهُ لِمَ سُمِّيَتْ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ عَلَيْهَا السَّلَامُ زَهْرَاءً؟ فَقَالَ: لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَهَا مِنْ نُورٍ عَظَمَتِهِ، فَلَمَّا أَشْرَقَتْ أَضَاءَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ بِنُورِهَا، وَعَشِيَتْ أَبْصَارُ الْمَلَائِكَةِ، وَخَرَّتِ الْمَلَائِكَةُ لِلَّهِ سَاجِدِينَ، وَقَالُوا: إِلَهَنَا وَسَيِّدَنَا مَا لِهَذَا النُّورِ؟ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِمْ: هَذَا نُورٌ مِنْ نُورِي، أَسْكَنْتُهُ فِي سَمَائِي، خَلَقْتُهُ مِنْ عَظَمَتِي، أَخْرَجْتُهُ مِنْ صُلْبِ نَبِيِّ مِنْ أَنْبِيَائِي أَفْضَلُهُ عَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَخْرَجُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ أَيْمَةً يَقُومُونَ بِأَمْرِي، يَهْدُونَ إِلَى حَقِّي، وَأَجْعَلُهُمْ خُلَفَائِي فِي أَرْضِي بَعْدَ انْقِضَاءِ وَحْيِي"<sup>(٧)</sup>، "عَنْ أَبَانَ بْنِ تَغْلِبٍ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ لِمَ سُمِّيَتْ الزَّهْرَاءُ عَلَيْهَا السَّلَامُ زَهْرَاءً؟ فَقَالَ: لِأَنَّهَا تَزْهَرُ لِآمِيرِ

(١) علل الشرائع: الصدوق: ١/١٨٣/٢ح، باب العلة التي من أجلها سُميت فاطمة عليها السّلام مُحَدَّثَةً .

(٢) ومنه في حاشية الأصل: في علل الشرائع في آخر الحديث المذكور .

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٧ .

(٤) ما بين المعقوفين ليس من الأصل، وما أثبت من المصدر الصواب ويقتضيه السياق .

(٥) علل الشرائع: الصدوق: ١/١٨٣/٢ح، باب العلة التي من أجلها سُميت فاطمة عليها السّلام مُحَدَّثَةً .

(٦) المصدر نفسه: ١/١٧٩ .

(٧) المصدر نفسه: ١/١٧٩ - ١/١٨٠ح، باب العلة التي من أجلها سُميت فاطمة الزّهراء عليها السّلام زهراء .

المؤمنين عليه السلام في النهار ثلاث مرات، بالنور كان يزهر نور وجهها صلاة الغداة والناس في فرشهم، فيدخل بياض ذلك النور إلى حُجراتهم بالمدينة فتبيض حيطانهم فيعجبون من ذلك فيأتون النبي صلى الله عليه وآله فيسألونه عما رأوا، فيرسلهم إلى منزل فاطمة عليها السلام فيأتون منزلها فيرونها قاعدة في محرابها تصلي والنور يسطع من محرابها من وجهها فيعلمون أن الذي رأوه كان من نور فاطمة، فإذا نصف النهار [وترتبت] (١) للصلاة زهر وجهها عليها السلام بالصفرة فتدخل الصفرة حُجرات الناس فتصفر ثيابهم وألوانهم فيأتون النبي صلى الله عليه وآله فيسألونه عما رأوا، فيرسلهم إلى منزل فاطمة عليها السلام فيرونها قائمة في محرابها وقد زهر نور وجهها عليها السلام، فإذا كان آخر النهار وغربت الشمس احمر وجه فاطمة عليها السلام، فأشرق وجهها بالحُمْرة فرحاً وشكراً لله عز وجل، فكان يدخل حُمْرة وجهها حُجرات القوم وتحمر حيطانهم، فيعجبون من ذلك، ويأتون النبي صلى الله عليه وآله ويسألونه عن ذلك، فيرسلهم إلى منزل فاطمة عليها السلام فيرونها جالسة، تسبح الله وتمجده، ونور وجهها يزهر بالحُمْرة، فيعلمون أن الذي رأوا كان من نور وجه فاطمة عليها السلام، فلم يزل [٦٨] ذلك النور في وجهها حتى ولد الحسين عليه السلام فهو ينقلب في وجوهنا إلى يوم القيامة في الأئمة منا أهل البيت إمام بعد إمام (٢)، و"عن جعفر بن محمد بن عمارة، عن أبيه، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن فاطمة لم سميت الزهراء؟ فقال: لأنها كانت إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء كما تزهر نور الكواكب لأهل الأرض" (٣).

ذكر علّة تسمية فاطمة عليها السلام البنول، وكذلك مريم عليها السلام في الحديث:

وفيه - أي: العلل - أيضاً في (باب العلة التي من أجلها سميت فاطمة عليها السلام البنول، وكذلك مريم عليها السلام) (٤)، بإسناده إلى "عيسى بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام، عن آبائه، عن عمر بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام، أن النبي صلى الله عليه وآله سئل ما البنول فإنا

(١) في الأصل: ترتبت، وما أثبت من المصدر الصواب .

(٢) علل الشرائع: الصدوق: ١٨٠/١ - ١٨١/٢، باب العلة التي من أجلها سميت فاطمة الزهراء عليها السلام زهراء .

(٣) المصدر نفسه: ١٨١/١، باب العلة التي من أجلها سميت فاطمة الزهراء عليها السلام زهراء .

(٤) المصدر نفسه: ١٨١/١ .

سَمِعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَقُولُ إِنَّ مَرْيَمَ بَتُولَ وَفَاطِمَةَ بَتُولٌ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: الْبَتُولُ  
الَّتِي لَمْ تَرَ حُمْرَةً قَطُّ، أَيُّ: لَمْ تَحِضْ، فَإِنَّ الْحَيْضَ مَكْرُوهٌ فِي بَنَاتِ الْأَنْبِيَاءِ" (١).

ذكر علة تسميتها عليها السلام فاطمة من الأحاديث الشريفة:

وفيه - أي: العلة - أيضاً في (باب العلة التي من أجلها سُمِّيَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ  
فَاطِمَةَ) (٢)، "بَشْرُ بِنِّ إِبْرَاهِيمَ الْأَنْصَارِيِّ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ أَبِيهِ،  
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: إِنَّمَا سُمِّيَتْ فَاطِمَةُ فَاطِمَةَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَطَمَ مَنْ أَحَبَّهَا مِنَ النَّارِ" (٣)،  
"عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ، قَالَ: قَالَ لِي أَبُو الْحَسَنِ: لِمَ سُمِّيَتْ فَاطِمَةُ فَاطِمَةَ [قُلْتُ فَرَقًا  
بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَسْمَاءِ] (٤)، قَالَ: إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ الْأَسْمَاءِ، وَلَكِنَّ الْإِسْمَ الَّذِي سُمِّيَتْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ  
وَتَعَالَى عَلِمَ مَا كَانَ قَبْلَ كَوْنِهِ فَعَلِمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَتَزَوَّجُ [فِي الْأَحْيَاءِ] (٥)،  
وَأَتَّهُمْ يَطْمَعُونَ فِي وِرَاثَةِ هَذَا الْأَمْرِ فِيهِمْ مِنْ قَبْلِهِ، فَلَمَّا وُلِدَتْ فَاطِمَةُ سَمَّاها اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى  
فَاطِمَةَ؛ لِمَا أَخْرَجَ مِنْهَا وَجَعَلَ فِي وُلْدِهَا، فَفَطَمَهُمْ عَمَّا طَمَعُوا، فَبِهَذَا سُمِّيَتْ فَاطِمَةَ؛ لِأَنَّهَا  
فَطَمَتْ طَمَعَهُمْ، وَمَعْنَى فَطَمَتْ: قَطَعَتْ" (٦)، "الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ بْنِ ظَبْيَانَ، قَالَ:  
قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لِفَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ تِسْعَةُ أَسْمَاءٍ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَاطِمَةُ،  
وَالصِّدِّيقَةُ، وَالْمُبَارَكَةُ، وَالطَّاهِرَةُ، وَالزَّكِيَّةُ، وَالرَّاضِيَّةُ، وَالْمَرْضِيَّةُ، وَالْمُحَدَّثَةُ، وَالزَّهْرَاءُ، ثُمَّ قَالَ:  
أَتَدْرِي أَيُّ شَيْءٍ تَفْسِيرُ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ؟ قُلْتُ: أَخْبِرْنِي يَا سَيِّدِي، قَالَ: فُطِمَتْ مِنَ الشَّرِّ،  
قَالَ: ثُمَّ قَالَ: لَوْ لَا أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَزَوَّجَهَا مَا كَانَ لَهَا كُفُوفٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ  
عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ" (٧)، "عَنْ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: لَمَّا وُلِدَتْ  
فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى مَلِكٍ فَأَنْطَقَ [بِهِ] (٨) لِسَانَ مُحَمَّدٍ، فَسَمَّاها فَاطِمَةَ،  
ثُمَّ قَالَ: إِنِّي فَطَمْتُكَ بِالْعِلْمِ، وَفَطَمْتُكَ عَنِ الطَّمْتِ، ثُمَّ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَاللَّهِ لَقَدْ

(١) علل الشرائع: الصدوق: ١/١٨١/١ ح، باب العلة التي من أجلها سُمِّيَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ الْبَتُولُ، وَكَذَلِكَ مَرْيَمُ  
عَلَيْهَا السَّلَامُ .

(٢) المصدر نفسه: ١/١٧٨ .

(٣) المصدر نفسه: ١/١٧٨/١ ح، باب العلة التي من أجلها سُمِّيَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ فَاطِمَةَ .

(٤) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٥) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٦) علل الشرائع: الصدوق: ١/١٧٨/٢ ح، باب العلة التي من أجلها سُمِّيَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ فَاطِمَةَ .

(٧) المصدر نفسه: ١/١٧٨ .

(٨) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

فَطَمَهَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالْعِلْمِ، وَعَنِ الطَّمْثِ بِالْمِيثَاقِ" (١)، "مَحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ النَّصْرِيُّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: يَا فَاطِمَةُ أَتَدْرِينَ لِمَ سُمِّيتِ فَاطِمَةَ؟ فَقَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ سُمِّيتِ؟ قَالَ: لِأَنَّهَا فُطِمَتْ هِيَ وَشِيعَتُهَا مِنَ النَّارِ" (٢)، "عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ لِفَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ: وَقَفَّةٌ عَلَى بَابِ جَهَنَّمَ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كُتِبَ بَيْنَ عَيْنَيْ كُلِّ رَجُلٍ مُؤْمِنٍ أَوْ كَافِرٍ فَيُؤَمَّرُ بِمِحْبٍ قَدْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ إِلَى النَّارِ، فَتَقْرَأُ فَاطِمَةُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُحِبًّا، فَتَقُولُ: إِلَهِي وَسَيِّدِي سَمَّيْتَنِي فَاطِمَةَ وَفَطَمْتَ بِي مَنْ تَوَلَّانِي وَتَوَلَّى ذُرِّيَّتِي مِنَ النَّارِ، وَوَعَدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: صَدَقْتَ يَا فَاطِمَةُ، إِنِّي سَمَّيْتُكَ فَاطِمَةَ، وَفَطَمْتُ بِكَ مَنْ أَحَبَّكَ وَتَوَلَّاكَ وَأَحَبَّ ذُرِّيَّتِكَ وَتَوَلَّاهُمْ مِنَ النَّارِ، وَوَعَدِي الْحَقُّ وَأَنَا لَا أُخْلِفُ الْمِيعَادَ، وَإِنَّمَا أَمَرْتُ بِعَبْدِي هَذَا إِلَى النَّارِ؛ لِتَشْفَعِي فِيهِ، فَأَشْفَعَكَ، وَلِيَتَّبِعَنَّ لِمَالِكَيْتِي، وَأَنْبِيَائِي، وَرُسُلِي، وَأَهْلَ الْمُؤَقَفِ مُؤَقَفِكَ مِنِّي، وَمَكَانَتِكَ عِنْدِي، فَمَنْ قَرَأَتْ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُؤْمِنًا فَخِذِي بِيَدِهِ، وَأَدْخِلِيهِ الْجَنَّةَ" (٣).

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرِيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (٤)، آية .

اللغة:

الأنباءُ بِفَتْحِ الهمزة جَمْعُ نَبَأٍ كَالأَخْبَارِ بِفَتْحِهَا جَمْعُ خَبْرٍ وَزناً وَمَعْنَى مُفْرَداً وَجَمْعاً (٥).  
والإيحاء: (إلقاء المعنى إلى الغير على وجه يخفى، والإيحاء: الإرسال إلى الأنبياء) (٦)،  
يقال: أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، (أَي: أُرْسِلَ إِلَيْهِ مَلَكًا، وَالإيحاءُ: الإلهامُ) (٧)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ (٨) الآية،

(١) علل الشرائع: الصدوق: ١/١٧٩/٤، باب العلة التي من أجلها سُمِّيتِ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ فَاطِمَةَ .

(٢) المصدر نفسه: ١/١٧٩/٥، باب العلة التي من أجلها سُمِّيتِ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ فَاطِمَةَ .

(٣) المصدر نفسه: ١/١٧٩/٦، باب العلة التي من أجلها سُمِّيتِ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ فَاطِمَةَ .

(٤) سورة آل عمران: الآية ٤٤ .

(٥) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ١/١٦٢، مادة نبأ .

(٦) مجمع البيان: الطبرسي: ٢/٢٩١ .

(٧) المصدر نفسه: ٢/٢٩١ .

(٨) سورة النحل: الآية ٦٨ .



وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾<sup>(١)</sup> الآية، ألهمناها، أو كلمتها ملائكتنا،  
وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيَنَّكَ رُبُّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾<sup>(٢)</sup>، أي: للأرض، معناه: ألقى إليها معنى ما أراد منها،  
قال العجاج<sup>(٣)</sup>:

(أَوْحَىٰ لَهَا الْفَرَارَ فَاسْتَقَرَّتْ وَشَدَّهَا بِالرَّاسِيَاتِ الثُّبَّتِ)<sup>(٤)</sup>.

والإيحاء: الإيماء (الكتابة والخط)، يقال: وحيث الكتاب وحيًا، فأنا واح<sup>(٥)</sup>، أي: كاتب،  
فقد يقع الوحي على الكتابة، والإشارة، والرّسالة، والإلهام، والكلام الخفي، يقال: وحيث إليه  
الكلام وأوحيث<sup>(٦)</sup>، [٦٩] (والقلم: الذي يكتب به)<sup>(٧)</sup>، (والذي يجال بين القوم)<sup>(٨)</sup>، (وهو  
القدح، والقلم: قس الظفر، ومقالم الرّمح [كعوبه])<sup>(٩)</sup>، وأصله: قطع طرف الشيء<sup>(١٠)</sup>.  
الإعراب:

﴿ذَلِكَ﴾ مبتدأ خبره ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْعَيْبِ﴾، وجُملة ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ خبرٌ بعد خبر أو حال من  
المستتر في ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْعَيْبِ﴾، وعاملها اسم إشارة أو ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْعَيْبِ﴾ باعتبار المتعلق  
ومّا نافية، و﴿لَدَيْهِمْ﴾ خبر ﴿كُنْتَ﴾، و﴿إِذْ﴾ ظرف لـ ﴿كُنْتَ﴾، وجملة ﴿يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ﴾  
مضاف إليه لإذ، و﴿أَيْهِمْ﴾ مبتدأ، وجملة ﴿يَكْفُلُ مَرِيْمَ﴾ خبره، وجملة المبتدأ والخبر قائم مقام  
مفعولي العلم المحذوف الذي علّق لفظاً بأي الاستهامية كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا لَهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ  
الْحَزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾<sup>(١١)</sup>، لأنّ التعلّيق: هو إبطال عمل أفعال القلوب لفظاً لا  
معنى، وما ألحق بها في التعلّيق كنظر وأبصر وتفكر وسأل واستنّبأ وبلا كقوله

(١) سورة القصص: الآية ٧ .

(٢) سورة الزلزلة: الآية ٥ .

(٣) العجاج: هو (عبد الله بن ربيعة بن لبيد بن صخر، والعجاج لقب له؛ لشرط قاله في أرجوزة له؛ يفخر فيها بقومه وينكر

أيامهم، حيث يقول: حتّى يعجّ نخناً من عجعجا) ديوان العجاج: العجاج: ٥ - ٦ .

(٤) المصدر نفسه: ٢٦١ .

(٥) لسان العرب: ابن منظور: ٣٨٠/١٥، مادة وحي .

(٦) النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير: ١٦٣/٥ .

(٧) مختار الصحاح: الرازي: ٢٥٩، مادة قلم .

(٨) لسان العرب: ابن منظور: ٤٩٠/١٢، مادة قلم .

(٩) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(١٠) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٩١/٢ .

(١١) سورة الكهف: الآية ١٢ .



تَعَالَى: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا وَأَضَعَفُ جُنْدًا﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، وكقوله تعالى: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾<sup>(٥)</sup>، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ حِنَّةٍ﴾<sup>(٦)</sup>، وقوله تعالى: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ \* بِأَيِّكُمْ الْمَقْتُولُونَ﴾<sup>(٧)</sup>، على تقدير عدم زيادة الباء، وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾<sup>(٨)</sup>، ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي﴾<sup>(٩)</sup>، وقوله تعالى: ﴿لِنَبَلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾<sup>(١٠)</sup>، كما بيّناه مفصلاً في شرحنا المسمى بزينة السالك.

والتقدير فيما نحن فيه إذ يُقَوَّنَ أَقْلَامَهُمْ؛ لِيَعْلَمُوا أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ، أو لِيَنْظُرُوا أَيُّهُمْ يَكْفُلُهَا، أي: لِيَنْظُرُوا أَيُّهُمْ يَظْهَرُ قُرْعَتُهُ لِيَكْفُلَ مَرْيَمَ، أو جُمْلَةً ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ من المبتدأ والخبر مقولة لِقَوْلٍ مَحذُوفٍ، أي: يقولون ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾، أو ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ﴾ عند قولهم: أَيُّهُمْ يَكْفُلُهَا، وإذ الثانية، أعني: ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ إِمَّا ظَرْفٌ لـ ﴿كُنْتَ﴾ الثانية، أو بدلٌ من إذ الأولى، أعني: ﴿إِذْ يُلْقُونَ﴾ إذا كان زمانا إلقاءِ الاقلامِ والاختصاصِ واحداً، أو متسعا متصلاً، وأمّا إذ الثالثة الآتية، أعني قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ﴾<sup>(١١)</sup>، فهي إمّا بدلٌ من إذ الأولى، أعني قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ الآية، وما بينهما اعتراضٌ، وأمّا بدلٌ من ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ إذا كان

- (١) سورة الجن: الآية ٢٤ .
- (٢) سورة مريم: الآية ٧٥ .
- (٣) سورة الأنبياء: الآية ١٠٩ .
- (٤) سورة الكهف: الآية ١٩ .
- (٥) سورة النمل: الآية ٣٣ .
- (٦) سورة الأعراف: الآية ١٨٤ .
- (٧) سورة القلم: الآية ٥ - ٦ .
- (٨) سورة القيامة: الآية ٦ .
- (٩) سورة يونس: الآية ٥٣ .
- (١٠) سورة الكهف: الآية ٧ .
- (١١) سورة آل عمران: الآية ٤٥ .

وقوع الاختصاص والبشارة في زمانٍ واحدٍ، أو زمانٍ متّسعٍ متّصلٍ كقولك: لَقَيْتُهُ شَنْتَ كَذَا<sup>(١)</sup>، وإِذَا ظَرَفْتُ لَكَ كُنْتُ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَمَا كُنْتُ لَدَيْهِمْ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ إِخ .

المعنى:

﴿ذَلِكَ﴾ إِشَارَةٌ إِلَى جَمِيعِ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ مِنْ حَدِيثِ امْرَأَةِ عِمْرَانَ - أُمِّ مَرْيَمَ الْبَتُولِ -، وَحَدِيثِ مَرْيَمَ، وَذِكْرِ زَكْرِيَّا وَيَحْيَى جَمِيعًا مِنَ الْقِصَصِ الْمَذْكُورَةِ، ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ مِنَ الْأَخْبَارِ الْمُعَيَّبَةِ عَنْكَ وَعَنْ قَوْمِكَ لَمْ تَعْرِفْهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ، إِلَّا مِنَ الْوَحْيِ وَبِالْقَائِنَا إِيَّاهَا إِلَيْكَ مَعْجَزَةٌ مَلَكَ (وَتَذَكِيرًا، وَتَبْصِرَةً وَمَوْعِظَةً وَعِبْرَةً، وَوَجْهَ الْإِعْجَازِ فِيهِ أَنْ مَا غَابَ عَنِ الْإِنْسَانِ يُمَكِّنُ أَنْ يَحْضَلَ عِلْمُهُ بِدِرَاسَةِ الْكُتُبِ، أَوْ التَّعْلَمِ، أَوْ الْوَحْيِ، وَنَبِيَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمْ يُشَاهِدْ هَذِهِ الْقِصَصَ، وَلَا قَرَأَهَا مِنَ الْكُتُبِ، وَلَا تَعَلَّمَهَا [مِنْ أَحَدٍ]<sup>(٢)</sup>، إِذْ كَانَ نَشْؤُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَيْنَ أَهْلِ مَكَّةَ، وَهُمْ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَ كِتَابٍ)<sup>(٣)</sup>، فَلَمْ يَكُنْ عِلْمُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَّا مِنْ جِهَةِ الْوَحْيِ فَوَضَّحَ أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ أَوْحَى إِلَيْهِ بِهَا، وَذَلِكَ دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى صِحَّةِ نُبُوَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

﴿وَمَا كُنْتُ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَفْلَامَهُمْ﴾ (الَّتِي كَانُوا يَكْتُبُونَ بِهَا التَّوْرَةَ تَبْرُكًا)<sup>(٤)</sup>، أَوْ أَفْدَاحَهُمُ الَّتِي أَخَذَهَا لِلْإِقْتِرَاعِ، فَهَذَا تَقْرِيرٌ لِكُونِهَا مُعْجَزَةٌ وَبَيَانٌ لِكُونِهَا (وَحْيًا عَلَى سَبِيلِ التَّهَكُّمِ بِمُنْكَرِيهِ، فَإِنَّ طَرِيقَ مَعْرِفَةِ الْوَقَائِعِ الْمَشَاهِدَةِ، وَالسَّمَاعِ، وَعَدَمِ السَّمَاعِ مَعْلُومٌ لَا شُبْهَةَ فِيهِ عِنْدَهُمْ، فَبَقِيَ أَنْ يَكُونَ الْإِتِّهَامُ بِإِحْتِمَالِ الْعِيَانِ وَلَمْ يَطْنُ بِهِ عَاقِلٌ)<sup>(٥)</sup>، أَوْ بِإِحْتِمَالِ التَّعْلَمِ أَوْ بِمُدَارَسَةِ الْكُتُبِ، وَقَدْ نَفَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿وَمَا كُنْتُ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَازَتْكَ الْمُنْبَطِلُونَ﴾<sup>(٦)</sup>، وَقَالَ: ﴿مَا كُنْتُ تَعَلَّمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ﴾<sup>(٧)</sup>، فَلَمَّا أَلْفَوْا أَفْلَامَهُمُ الَّتِي

(١) ينظر: أنوار التنزيل: البيضاوي: ١٧/٢ .

(٢) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٣) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٩٢/٢ .

(٤) أنوار التنزيل: البيضاوي: ١٧/٢ .

(٥) المصدر نفسه: ١٧/٢ .

(٦) سورة العنكبوت: الآية ٤٨ .

(٧) سورة هود: الآية ٤٩ .

يَقْرَعُونَ بِهَا عَلَى مَرْيَمَ فَازْتَرَّتْ (١) قَلَمٌ زَكْرِيَّا وَارْتَفَعَ، وَرَسَبَتْ أَقْلَامُ الْبَاقِينَ (٢)، وفي تفسير العياشي "عَنْ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقْرَعُونَ بِهَا حِينَ إِيْتِمَتْ مِنْ أَبِيهَا" (٣).

وقوله: ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ متعلق بمحذوفٍ كما بيّنا في الإعراب، أي: إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ؛ لِيَعْلَمُوا أَيُّهُمْ يَكْفُلُهَا، أَوْ لِيَنْظُرُوا أَيُّهُمْ يَكْفُلُهَا، أَوْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ عِنْدَ قَوْلِهِمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُهَا، أَوْ يَقُولُونَ أَيُّهُمْ يَكْفُلُهَا، أي: قَائِلِينَ أَيُّهُمْ يَكْفُلُهَا.

وفي المجمع (وهذا تعجيب من الله نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ شِدَّةِ حَرْصِهِمْ عَلَى كِفَالَةِ مَرْيَمَ، وَالْقِيَامِ بِأَمْرِهَا، عَنْ قِتَادَةِ، وَقِيلَ: هُوَ تَعْجِيبٌ مِنْ تَدَافُعِهِمْ لِكِفَالَتِهَا؛ لِشِدَّةِ الْأُرْمَةِ الَّتِي لَحِقَتْهُمْ، حَتَّى وَفَّقَ لَهَا حَيْرَ الْكُفَلَاءِ [لَهَا] (٤) زَكْرِيَّا) (٥) انتهى.

وَقَوْلُ هَذَا الْقِيلِ لَيْسَ بِشَيْءٍ؛ لِأَنَّ الْأَخْبَارَ الْمُعْتَبَرَةَ تُتَادِي بِبُطْلَانِهِ مِمَّا مَرَّ، وَمِمَّا يَأْتِي. ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (تَنَافُسًا فِي كِفَالَتِهَا) (٦)، وَقِيلَ: تَدَافُعًا عَلَى مَا مَرَّ (٧)، وَالأَوَّلُ هُوَ الصَّحِيحُ، وَظَاهِرُ الْخُصُومَةِ أَيْضًا يَدْفَعُ الثَّانِي.

وَقَالَ فِي الْمَجْمَعِ وَ(فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُمْ قَدْ بَلَغُوا فِي التَّشَاحِ (٨) عَلَيْهَا إِلَى حَدِّ الْخُصُومَةِ، وَفِي وَفْتِ التَّشَاحِ قَوْلَانِ أَحَدُهُمَا: حِينَ وِلَادَتِهَا، وَحَمَلِ أُمِّهَا إِيَّاهَا [٧٠] إِلَى الْكَنِيسَةِ، تَشَاحُوا فِي الَّذِي يَحْضُنُهَا، وَيَكْفُلُ تَرْبِيَّتَهَا، وَهَذَا [قَوْل] (٩) الْأَكْثَرُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَ ذَلِكَ وَفْتِ كِبَرِهَا وَعَجَزِ زَكْرِيَّا عَنْ تَرْبِيَّتِهَا) (١٠) انتهى.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا وُلِدَتْ اخْتَصَمَ آلُ عِمْرَانَ فِيهَا وَكُلُّهُمْ قَالُوا: نَحْنُ نَكْفُلُهَا، فَخَرَجُوا وَضَرَبُوا بِالسَّهَامِ بَيْنَهُمْ، فَخَرَجَ

(١) أي: ثبت، ينظر: الصحاح: الجوهري: ٨٧٩/٣، مادة (رزز).

(٢) ينظر: جوامع الجامع: الطبرسي: ٢٨٧/١.

(٣) تفسير العياشي: العياشي: ١٧٣/١.

(٤) ما بين المعقوفين ليس من الأصل.

(٥) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٩٢/٢.

(٦) أنوار التنزيل: البيضاوي: ١٧/٢.

(٧) ينظر: تفسير السمعاني: السمعاني: ٣١٩/١.

(٨) ومنه في حاشية الأصل: أي: التنازع.

(٩) في الأصل: عليه.

(١٠) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٩٢/٢.

سَهُمْ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَام فَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَام" (١) انتهى، وهذا نص صريح في بطلان التَّدافُع، وقد مرَّ آنفاً في تفسير العياشي "عَنْ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَام يَقْرَعُونَ بِهَا حِينَ إِيْتِمَتْ مِنْ أَبِيهَا" (٢).

**دلالة الآية على مشروعية القرعة وذكر الحديث فيها:**

وَقَالَ فِي الْمَجْمَعِ: (وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ لِلْقُرْعَةِ مَدْخَلَ فِي تَمْيِيزِ الْحُقُوقِ، "وَقَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَام: مَا تَقَارَعَ قَوْمٌ فَفَوَّضُوا أَمْرَهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا خَرَجَ سَهُمُ الْمُحِقِّ" (٣)، وقال: "أَيُّ قَضِيَّةٍ أَعْدَلَ مِنَ الْقُرْعَةِ إِذَا فُوِّضَ الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، أَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ (٤) (٥)، وقال الباقر عليه السلام: أَوَّلُ مَنْ سُوِّهِمَ عَلَيْهِ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ثُمَّ تَلَا: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ﴾، الآية، وَالسَّهَامُ سِنَّةٌ ثُمَّ اسْتَهَمُوا فِي يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَام، ثُمَّ كَانَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ وُلْدًا لَهُ تِسْعَ بَنِينَ فَنَدَرَ فِي الْعَاشِرِ إِنْ رَزَقَهُ اللَّهُ غُلَامًا أَنْ يَذْبَحَهُ، فَلَمَّا وُلِدَ عَبْدُ اللَّهِ لَمْ يَكُنْ يَقْدِرُ أَنْ يَذْبَحَهُ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي صَلْبِهِ، فَجَاءَ بَعْشَرٍ مِنَ الْإِبِلِ فَسَاهَمَ عَلَيْهَا، وَعَلَى عَبْدِ اللَّهِ، فَخَرَجَتِ السَّهَامُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ، فَزَادَ عَشْرًا فَلَمْ تَزَلِ السَّهَامُ تَخْرُجُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ وَيَزِيدُ عَشْرًا، فَلَمَّا أَنْ خَرَجَتْ مِائَةٌ خَرَجَتِ السَّهَامُ عَلَى الْإِبِلِ، فَقَالَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ: مَا أَنْصَفْتُ رَبِّي، فَأَعَادَ السَّهَامَ ثَلَاثًا فَخَرَجَتْ عَلَى الْإِبِلِ، فَقَالَ: الْآنَ عَلِمْتُ أَنَّ رَبِّي قَدْ رَضِيَ، فَحَرَّهَا (٦) (٧) انتهى.

(١) تفسير القمي: علي بن إبراهيم: ١٠٢/١ .

(٢) تفسير العياشي: العياشي: ١٧٣/١ .

(٣) من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ٩٢/٣/٣٣٩٠، باب الحكم بالقرعة .

(٤) سورة الصافات: الآية ١٤١ .

(٥) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٩٢/٢ .

(٦) ينظر: الخصال: الصدوق: ١٥٦ - ١٥٧، ح ١٩٨، مع تغيير يسير في الألفاظ .

(٧) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٩٢/٢ - ٢٩٣ .

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ \* وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾<sup>(١)</sup> آيتان .

اللغة:

﴿الْمَسِيحُ﴾ فَعِيلٌ بِمَفْعُولٍ، وَأَصْلُهُ مِنْ مُسِحَ مِنَ الْأَقْدَارِ وَطَهَّرَ وَشَرَّفَ، وَهُوَ لَقَبٌ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ مِنَ الْأَلْقَابِ الْمَشْرُفَةِ كَعَلِيٍّ وَالصِّدِّيقِ، وَأَصْلُهُ بِالْعِبْرِيَّةِ مَشِيحًا، وَمَعْنَاهُ الْمُبَارَكُ، وَعِيسَى مَعْرَبٌ أَيُّشُوعَ<sup>(٢)</sup>، وَقِيلَ: أَنَّ الْمَسِيحَ مُشْتَقٌّ مِنَ الْمَسْحِ؛ لِأَنَّهُ مُسِحَ بِالْبَرَكَةِ وَبِمَا طَهَّرَهُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَمَسَحَهُ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَوْ مَسَحَ هُوَ الْأَرْضَ، أَي: قَطَعَهَا<sup>(٣)</sup> وَلَمْ يَقُمْ فِي مَوْضِعٍ.

وَأَنَّ ﴿عِيسَى﴾ مِنَ الْعِيسِ وَهُوَ بَيَاضٌ تَعْلُوهُ حُمْرَةٌ، هَذَا كُلُّهُ إِذَا كَانَا عَرَبِيَّيْنِ، وَإِلَّا فَلَا حَاجَةَ إِلَى هَذِهِ التَّكَلُّفَاتِ، وَقِيلَ إِنَّمَا سُمِّيَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْمَسِيحِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ لَا يَمْسَحُ ذَا عَاهَةٍ إِلَّا بَرِيءًا<sup>(٤)</sup>.

وَالْمَسِيحُ أَيضًا الَّذِي أَحْدُ شَقِيٍّ وَجْهَهُ مَمْسُوحٌ لَا عَيْنَ لَهُ وَلَا حَاجِبَ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ الدَّجَالُ بِالْمَسِيحِ<sup>(٥)</sup>، وَفِي نَهَايَةِ ابْنِ الْأَثِيرِ (وَأَمَّا الدَّجَالُ فَسُمِّيَ بِهِ؛ لِأَنَّ عَيْنَهُ الْوَاحِدَةَ مَمْسُوحَةٌ، وَيُقَالُ: رَجُلٌ مَمْسُوحُ الْوَجْهِ وَمَسِيحٌ، وَهُوَ أَلَّا يَبْقَى عَلَى أَحَدٍ شَقِيٍّ وَجْهَهُ عَيْنٌ وَلَا حَاجِبٌ إِلَّا اسْتَوَى)<sup>(٦)</sup>، وَقِيلَ: الْمَسِيحُ الَّذِي هُوَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بَفَتْحِ الْمِيمِ وَالتَّخْفِيفِ وَهُوَ الصِّدِّيقُ وَالمُبَارَكُ، وَالْمَسِيحُ بِكَسْرِ الْمِيمِ وَتَشْدِيدِ السِّينِ عَلَى وَزْنِ سَكَيْتٍ وَشَرِيرٍ وَهُوَ الدَّجَالُ وَهُوَ الَّذِي مُسِحَ حَلْفُهُ، أَي: شُوِّهَ<sup>(٧)</sup>، عَنِ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ وَأَبِي الْهَيْثَمِ، وَلَيْسَ بِشَيْءٍ<sup>(٨)</sup>، وَقَوْلُ الشَّاعِرِ: (إِذَا الْمَسِيحُ يُقْتَلُ الْمَسِيحَا)<sup>(٩)</sup>، يَدْفَعُهُ أَيضًا.

(١) سورة آل عمران: الآية ٤٥ - ٤٦ .

(٢) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير: ٣٢٧/٤ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٣٢٧/٤ .

(٤) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ٥٩٤/٢، مادة مسح .

(٥) ينظر: العين: الفراهيدي: ١٥٦/٣، مادة مسح .

(٦) النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير: ٣٢٧/٤ .

(٧) المصدر نفسه: ٣٢٧/٤ .

(٨) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ٥٩٥/٢، مادة مسح .

(٩) كتاب العين: الفراهيدي: ١٥٦/٣، مادة مسح .

و(الوجيه: الكريم على من يسأله [فلا] (١) يرده لكرم وجهه) (٢)، يقال: وجه فلان يوجهه  
وجاهة كشرف يشرف شرافة، وكرم يكرم كرامة وزناً ومعنى فهو وجيه ككريم وشريف وله  
وجاهة وجاه عند الناس، أي: منزلة رفيعة، والكهل ما بين الشاب والشيخ، ومنه اكتهل التبت  
إذا طال وقوي، والمرأة كهلة (٣)، قال الشاعر:

(ولا أعود بعدها كرياً أمارس الكهلة والصبياً) (٤).

ومنه الكاهل لما فوق الظهر إلى ما يلي العنق، وكاهل القوم عمدتهم وسندهم،  
ويقولون: (مضر كاهل العرب) (٥)، والكهل من الرجال من زاد ثلاثين سنة إلى الأربعين، وإلى  
تمام الخمسين (٦).

### الإعراب:

قوله: ﴿إِذْ قَالَتْ﴾ قَدْ مَرَّ أَنْ إِذْ هَذِهِ إِمَّا بَدَلٌ مِنْ ﴿إِذْ قَالَتْ﴾ الْأُولَى وَمَا بَيْنَهُمَا اعْتِرَاضٌ أَوْ  
بَدَلٌ مِنْ ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ عَلَى وَجْهِهِ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَفْعُولًا بِهَا لِفِعْلِ مَحْذُوفٍ عَلَى مَا مَرَّ،  
أَي: اذْكَرُ إِذْ قَالَتْ، وَ﴿بِكَلِمَةٍ﴾ مُتَعَلِّقَةٌ بِ﴿يُبَشِّرُكَ﴾، وَ﴿مِنْهُ﴾ صِفَةٌ كَلِمَةٍ، ﴿اسْمُهُ  
الْمَسِيحِ﴾ مُبْتَدَأٌ وَخَبْرٌ، وَالْجُمْلَةُ صِفَةٌ بَعْدَ صِفَةٍ كَلِمَةٍ أَوْ حَالٍ مِنْهَا، وَتَذَكِيرُ الضَّمِيرِ بِاعْتِبَارِ  
الْمَعْنَى، وَ﴿عِيسَى﴾ خَبَرٌ ثَانٍ لِاسْمِهِ أَوْ خَبْرٌ لِمُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، أَي: هُوَ عِيسَى، وَ﴿ابْنُ  
مَرْيَمَ﴾ صِفَةٌ عِيسَى، وَهَمَزَتُهُ وَاجِبَةٌ الْحَذْفِ كَمَا هُوَ الْقَاعِدَةُ الْمُسْتَمْرَةِ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ  
الْمَوَاضِعِ، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ وَلَمْ يَقُلْ عِيسَى ابْنُكَ وَالْخِطَابُ لَهَا تَعْلِيمٌ لِلْأَنَامِ أَنْ  
يَقُولُوا كَذَلِكَ، وَ(تتبيهاً على أنه يولد من غير أب إذ الأولاد تُنسب إلى الآباء ولا تُنسب  
إلى [الأمهات] (٧) إِلَّا إِذَا قُتِدَ الْأَبُ) (٨) رَأْسًا، وَ﴿وَجِيهًا﴾، أَيْضًا حَالٌ مُفَدَّرَةٌ مِنْ كَلِمَةٍ، وَكَذَا  
قَوْلُهُ: ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾، وَجُمْلَةُ ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ﴾ حَالَانِ مِنْهَا، وَيَجُوزُ التَّدَاخُلُ أَيْضًا كَمَا يَجُوزُ

(١) في المصدر: لأنه لا .

(٢) التبيان في تفسير القرآن: الطوسي: ٤٦١/٢ .

(٣) ينظر: غريب الحديث: ابن سلام: ٣٢٢/١ .

(٤) وينسب هذا البيت لعذافر الكندي (ورد بن سعد بن عبد الصمد العمي، من بني العم، من تميم، يعرف بأبي

العذافر (ت ٢٠٠هـ))، لسان العرب: ابن منظور: ٦٠٠/١١، مادة كهل، الأعلام: الزركلي: ١١٤/٨ .

(٥) النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير: ٢١٤/٤ .

(٦) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ٦٠٠/١١، مادة كهل .

(٧) في المصدر: الأم .

(٨) أنوار التنزيل: البيضاوي: ١٧/٢ .

التَّرَادُفِ، وَ﴿فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ حَالَانِ مِنْ فَاعِلٍ يُكَلِّمُ، ﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أَيْضاً حَالٍ مِنْ كَلِمَةٍ أَوْ مِنْ فَاعِلٍ يُكَلِّمُ، وَالْوَاوُ [٧١] فِي ﴿وَيُكَلِّمُ﴾ لِلْعَطْفِ لَا لِلْحَالِيَّةِ، وَيَجُوزُ عَطْفُ الْفِعْلِ الْوَاقِعِ حَالاً عَلَى شَبْهِ الْفِعْلِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الطَّيْرُ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾، أَي: وَقَابِضَاتٍ؛ فَإِنَّ ﴿صَافَاتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾ حَالَانِ مِنَ الطَّيْرِ<sup>(١)</sup>، وَإِنَّمَا عَدَلَ مِنْ قَوْلِهِ وَمُتَكَلِّماً إِلَى صِيغَةِ الْمُضَارِعِ تَنْبِيهاً عَلَى تَجَدُّدِهِ، وَإِلَّا يَجِبُ تَقْدِيرٌ مُبْتَدَأً، أَي: وَهُوَ يُكَلِّمُ، أَوْ تَقْدِيرٌ قَدْ كَمَا هُوَ الْمَذْكُورُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَمْ تُؤَدُّونِي وَقَدْ تَعَلَّمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> الْآيَةَ.

عَلَى مَا فَصَّلْنَاهُ فِي شَرْحِنَا الْمُشَارِ إِلَيْهِ، وَفِي ذِكْرِ أَحْوَالِهِ الْمُخْتَلِفَةِ الْمُتَنَافِيَةِ؛ إِرْشَادٌ إِلَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعِيدٌ عَنِ الْإِلَوهِيَّةِ الَّتِي تَوْهَّمَهَا النَّصَارَى لَهُ.

### المعنى:

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ﴾، أَي: يُخْبِرُكِ بِمَا يَسُرُّكِ، ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾، قَدْ مَرَّ عَطْفُهُ وَتَقْدِيرُهُ، وَمَنْ هُوَ الْمُرَادُ بِالْمَلَائِكَةِ، وَمَعْنَى كَوْنِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَلِمَةً مِنَ اللَّهِ أَيْضاً، وَلِتَكُونِيهِ مِنْ كَلِمَةٍ مِنْ غَيْرِ أَبِي وَهِيَ قَوْلُهُ كُنْ فَيَكُونُ كَمَا يَجِيءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(٣)</sup>، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾<sup>(٤)</sup>.

﴿اسْمُهُ﴾، أَي: لَقَبُهُ الْمَشْرَفُ الْمُعْظَمُ، ﴿الْمَسِيحُ﴾ الْمُبَارَكُ كَمَا يَجِيءُ فِي قَوْلِهِ: وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا<sup>(٥)</sup>، هُوَ ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾، (فَهَذِهِ ثَلَاثَةٌ أَشْيَاءَ: وَالِاسْمُ مِنْهَا عِيسَى، وَالْمَسِيحُ [لِقَب] <sup>(٦)</sup> مِنَ أَلْقَابِهِ الشَّرِيفَةِ)<sup>(٧)</sup>، وَابْنُ مَرْيَمَ صِفَتُهُ فَكَأَنَّ (مَجْمُوعَ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ هُوَ الَّذِي يُمَيِّزُ بِذَلِكَ مِنْ غَيْرِهِ)<sup>(٨)</sup>، وَيَخْرُجُ مِنْ تَوْهَمِ الْإِلَوهِيَّةِ أَيْضاً، وَإِنَّمَا ذَكَرَ الضَّمِيرَ فِي اسْمِهِ مَعَ أَنَّهُ عَائِدٌ إِلَى كَلِمَةٍ حَمَلاً عَلَى الْمَعْنَى وَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُسْحَ بِالْبَرَكَةِ وَالْيُمْنِ وَالتَّطْهِيرِ مِنْ

(١) ومنه في حاشية الأصل: أي: جمع طائر .

(٢) سورة الصف: الآية ٥ .

(٣) سورة آل عمران: الآية ٥٩ .

(٤) سورة النساء: الآية ١٧١ .

(٥) سورة مريم: الآية ٣١ .

(٦) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٧) جوامع الجامع: الطبرسي: ٢٨٧/١ .

(٨) زبدة التفسير: فتح الله الكاشاني: ٤٨٦/١ .



الذُّنُوبِ وَالْعُيُوبِ، وَبِذَهْنِ زَيْتِ بُورِكَ فِيهِ، وَمَسَحَهُ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِجِنَاحِيهِ وَقَتَّ وِلَادَتِهِ؛ لِيَكُونَ عَوْدَةً مِنَ الشَّيْطَانِ، وَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَمَسَحُ رُؤُوسَ الْيَتَامَى، وَيَمَسَحُ عَيْنَ الْأَعْمَى فَيُبْصِرُ، وَيَمَسَحُ ذَا عَاهَةِ فَيَبْرُهُ، وَنَسَبَتْهُ إِلَى أُمِّهِ رَدًّا عَلَى النَّصَارَى كَمَا مَرَّ فِي الْإِعْرَابِ أَيْضًا.

﴿وَجِيهًا﴾، أي: حال كونه ذا جاهٍ عظيمٍ وقدرٍ جسيمٍ ومنزلٍ كريمٍ، ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ بِالنُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ وَالرِّيَاسَةِ الْعَامَّةِ، ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بِالشَّفَاعَةِ وَعُلُوِّ الْمَرْتَبَةِ.

﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾، أي: حال كونه من المقربين من الله عزَّ وجلَّ برفعه إلى السماء، وضحبتة الملائكة الكرام، وعلاء درجته في دار السلام.

﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾، أي: والحال أنه عليه السلام يكلمهم حال كونه صغيراً رضيعاً في المهدي كلام الأنبياء عليهم السلام بالوحي، وحال كونه كهلاً بالوحي أيضاً من غير تفاوتٍ بين الحالتين، يعني: أنه عليه السلام يتكلم حالة صغره بوحى من الله سبحانه، كما يتكلم في حالة كهولته بوحى من الله سبحانه من غير فرقٍ بين الحالتين كما حكاه الله سبحانه في قوله: ﴿فَأَنْتَ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾<sup>(١)</sup>، (وهو في صدرها [وأقبلن])<sup>(٢)</sup> مؤمنات بني إسرائيل يبيزن في وجهها، فلم تكلمهن حتى دخلت في محرابها فجاء إليها بنو إسرائيل [وزكرياً]<sup>(٣)</sup> فقالوا [لها]<sup>(٤)</sup>: ﴿يا مريم لقد جننت شيئاً فريراً﴾<sup>(٥)</sup>، أي: بديعاً منكراً، ﴿يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوءٍ وما كانت أمك بغياً﴾ فأشارت إليه<sup>(٦)</sup>، أي: إلى عيسى عليه السلام، أي: كلموه ليحيبكم جواب الأنبياء بالوحي والإلهام، ﴿قالوا كيف نكلم من كان في المهدي صبياً﴾ قال إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبياً \* وجعلني مباركاً أين ما كنت<sup>(٧)</sup> الآية، فنطق عليه السلام بالوحي، وما نطق عن الهوى، وفي ذلك إغجاز له؛ لكون

(١) سورة مريم: الآية ٢٧ .

(٢) في الأصل: وأقبلت .

(٣) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٤) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٥) سورة مريم: الآية ٢٧ .

(٦) تفسير القمي: علي بن إبراهيم: ٥٠/٢ .

(٧) سورة مريم: الآية ٢٨ - ٢٩ .

(٨) سورة مريم: الآية ٢٩ - ٣١ .

المُخْبِرِ عَلَى وَفْقِ الْخَبْرِ، وَرَدَّ قَاطِبَةَ النَّصَارَى مِنَ الْأَصْنَافِ الثَّلَاثَةِ: الْمَلَكَانِيَّةِ، وَالْيَعْقُوبِيَّةِ، وَالنَّسْطُورِيَّةِ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابُ﴾ الْآيَةَ، يُنَافِي قَوْلَهُمُ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، وَقَوْلُهُمْ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ، وَقَوْلُهُمْ أَنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَهَلًا﴾ دَلَالَةٌ عَلَى نَزُولِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ (لَأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رُفِعَ قَبْلَ أَنْ يَكْتَهَلَ) (١).

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ الَّتِي نَحْنُ فِي تَفْسِيرِهَا رَدُّ عَلَى قَاطِبَةَ النَّصَارَى أَيْضًا لِمَا ذُكِرَ فِيهَا مِنْ تَقَلُّبِ أَحْوَالِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مُنَافٍ لِصَفَةِ الْأَلُوْهِيَّةِ كَمَا مَرَّتِ الْإِشَارَةُ إِلَى ذَلِكَ فِي إِعْرَابِ الْآيَةِ أَيْضًا.

﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾، أَي: حَالُ كَوْنِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الصَّالِحِينَ كَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ لِكَوْنِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَبِيًّا فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا وَمُتَكَلِّمًا بِالْوَحْيِ فِيهِمَا مِنْ غَيْرِ تَفَاوُتٍ كَمَا أَخْبَرَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِذَلِكَ فِي الْمَهْدِ، وَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ بِمَا تَكَلَّمَ بِهِ كَمَا حَكَاهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾، الْآيَةَ، فَتَكُونُ الْآيَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي سُورَةِ مَرْيَمَ هُنَا أَيْضًا مُعْجَزَةً لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَقْرُونَةٌ بِنُبُوتِهِ، وَكَرَامَةً لِمَرْيَمَ الْبَتُولِ عَلَيْهَا السَّلَامُ دَالَّةٌ عَلَى طَهَارَتِهَا وَبِرَاءَةِ سَاحَتِهَا عَمَّا نَسَبَتْهُ إِلَيْهَا الْيَهُودُ مِنَ الْبُهْتَانِ الْعَظِيمِ، وَالْبَغْيِ وَالْفَحْشَاءِ، وَإِنَّمَا جَدَّدَتِ النَّصَارَى أَكْثَرَهُمْ كَلَامَ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمَهْدِ مَعَ كَوْنِهِ مُعْجَزَةً لَهُ وَكَرَامَةً لِأُمِّهِ لِمَا ذَلِكَ إِبْطَالُ مَذْهَبِهِمْ (٢)؛ لِأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ الْآيَةَ، وَهَذَا يُنَافِي أَقْوَالَهُمُ الثَّلَاثَةَ عَلَى مَا مَرَّ أَنْفَاءً، فَاسْتَمَرُّوا عَلَى تَكْذِيبِ مَنْ شَاهَدَهُ كَذَلِكَ.

وَفِي الْكَافِي عَنِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ سُئِلَ "أَكَانَ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ تَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ حُجَّةَ اللَّهِ عَلَى أَهْلِ زَمَانِهِ؟ فَقَالَ: كَانَ يَوْمَئِذٍ نَبِيًّا حُجَّةَ اللَّهِ غَيْرَ مُرْسَلٍ أَمَا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِ حِينَ قَالَ: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابُ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ الْآيَةَ (٣)، قُلْتُ: فَكَانَ يَوْمَئِذٍ حُجَّةَ اللَّهِ عَلَى زَكْرِيَّا فِي تِلْكَ الْحَالِ وَهُوَ فِي الْمَهْدِ؟ فَقَالَ: كَانَ عَيْسَى فِي تِلْكَ الْحَالِ آيَةً لِلنَّاسِ، وَرَحْمَةً مِنَ اللَّهِ لِمَرْيَمَ؛ [حِينَ] (٤) تَكَلَّمَ فَعَبَّرَ عَنْهَا، وَكَانَ نَبِيًّا حُجَّةَ اللَّهِ عَلَى مَنْ سَمِعَ كَلَامَهُ [٧٢] فِي تِلْكَ [الْحَالِ] (٥)، ثُمَّ صَمَتَ فَلَمْ يَتَكَلَّمْ حَتَّى مَضَتْ لَهُ سَنَتَانِ، وَكَانَ زَكْرِيَّا الْحُجَّةَ لِلَّهِ

(١) أنوار التنزيل: البيضاوي: ١٤٩/٢ .

(٢) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: الطوسي: ٤٦٣/٢، مجمع البيان: الطبرسي: ٢٩٥/٢ .

(٣) اكتفى المؤلف بذكر الآية ٣٠ من سورة مريم، فيما جاء في المصدر الآية ٣٠ و ٣١ .

(٤) ما بين المعقوفين ليس من الأصل.

(٥) ما بين المعقوفين ليس من الأصل، وما أثبت من المصدر يقتضيه السياق .

عَزَّ وَجَلَّ [عَلَى النَّاسِ] (١) بَعْدَ صَمْتِ عَيْسَى بِسِنَّتَيْنِ، ثُمَّ مَاتَ زَكْرِيَّا فَوَرِثَهُ ابْنُهُ يَحْيَى الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَهُوَ صَبِيٌّ صَغِيرٌ، أَمَا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ (٢)، فَلَمَّا بَلَغَ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ سَبْعَ سِنِينَ تَكَلَّمَ بِالنُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ حِينَ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ، فَكَانَ عَيْسَى الْحُجَّةَ عَلَى يَحْيَى وَعَلَى النَّاسِ أَجْمَعِينَ (٣) الْحَدِيثَ، وَعَنْ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ "قَدْ قَامَ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْحُجَّةِ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِ سِنِينَ" (٤) الْحَدِيثَ .  
قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٥) آية .

الإعراب:

إعراب ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ مثل ما قَدَّ مَرَّ مِنْ قَوْلِ زَكْرِيَّا ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾، وجملة ﴿وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ حال من الياء في ﴿لِي﴾ وقوله: ﴿فَيَكُونُ﴾ هنا واجب الرفع، ولا يجوز نصبه؛ لأنه لا يصلح أن يكون جواباً للأمر الذي هو قوله: ﴿كُنْ﴾، كما يكون جواباً في قولهم زُرْنِي فَأَكْرِمَكَ بِالنَّصَبِ؛ لأنَّ الجوابَ يَجِبُ بِوَجُوبِ الْأَوَّلِ كَمَا فِي زُرْنِي فَأَكْرِمَكَ؛ لِأَنَّ التَّقْدِيرَ زُرْنِي فَإِنَّكَ إِنْ تَزُرْنِي أَكْرِمَكَ، وَلَا يَجُوزُ نَحْوُ: قَمِ فَيَقُومَ بِالنَّصَبِ؛ لِأَنَّهُ لَا مَعْنَى لَهُ قُمْ فَإِنَّكَ إِنْ تَقُمْ يَقُمْ، وَلَكِنَّ الْوَجْهَ الرَّفْعُ عَلَى الْإِخْبَارِ بِأَنَّهُ سَيَقُومُ، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٦)، فَإِنَّهُ يَجُوزُ فِيهِ نَصَبُ فَيَكُونُ أَيْضًا عَطْفًا عَلَى يَقُولَ .

المعنى:

﴿قَالَتْ مَرْيَمُ﴾ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ، أَي: مِنْ أَيْنَ وَكَيْفَ يَكُونُ لِي وَلَدٌ ﴿وَالْحَالُ أَنَّهُ﴾ لَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ، لَمْ تَقُلْ ذَلِكَ اسْتِنكَارًا؛ بَلْ قَالَتْ اسْتِعْظَامًا وَاسْتِيعَادًا عَنْ غَيْرِ الْمُعْتَادِ؛ لِأَنَّ (طَبَعَ الْبَشَرَ التَّعَجُّبُ مِمَّا خَرَجَ عَنِ الْمُعْتَادِ) (٧)، أَوْ اسْتِفْهَامًا عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهَا

(١) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٢) سورة مريم: الآية ١٢ .

(٣) الكافي: الكليني: ٣٨٢/١ - ٣٨٣/١ ح، بَابُ خَالَاتِ الْأَيْمَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي السِّنِّ .

(٤) المصدر نفسه: ٣٨٣/١ ح، بَابُ خَالَاتِ الْأَيْمَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي السِّنِّ .

(٥) سورة آل عمران: الآية ٤٧ .

(٦) سورة يس: الآية ٨٢ .

(٧) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٩٦/٢ .

وَلَدٍ بَتَزْوِجٍ أَوْ غَيْرِهِ، أَي: (لِتَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَرْزُقُهَا الْوَلَدَ، وَهِيَ عَلَى حَالَتِهَا، لَمْ يَمَسْسْهَا بَشَرٌ، أَوْ يَقْدِرُ لَهَا زَوْجًا، ثُمَّ يَرْزُقُهَا الْوَلَدَ عَلَى مَجْرَى الْعَادَةِ)<sup>(١)</sup>.

﴿قَالَ﴾ أَي: اللَّهُ سُبْحَانَهُ، أَوْ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَمْرِ تَعَالَى.

﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾، إِعْرَابُهُ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾<sup>(٢)</sup>، مِنْ الْوُجُوهِ الْمَذْكُورَةِ، وَ﴿كَذَلِكَ﴾ إِشَارَةٌ إِلَى حِكَايَةِ مَا قَالَ لَهَا الْمَلَكُ بَأَنَّهُ تَعَالَى: (يَرْزُقُكَ الْوَلَدَ وَأَنْتِ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ، لَمْ يَمَسْسْكَ بَشَرٌ)<sup>(٣)</sup>.

﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا﴾، أَي: قَدَّرَ أَمْرًا، وَأَرَادَهُ، وَحَكَمَ بِتَكْوِينِهِ.

﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، لِأَنَّ إِرَادَتَهُ تَعَالَى شَيْئًا إِحْدَاثُهُ وَإِيجَادُهُ مِنْ غَيْرِ انْتِظَارٍ وَعِلَاجٍ وَكُلْفَةٍ وَتَوَسُّطِ آلَةٍ وَإِرَادَتُهُ تَعَالَى مِنْ صِفَاتِ الْفِعْلِ عَلَى مَا هُوَ الْحَقُّ مِنَ الْمَذْهَبِ عَلَى مَا مَرَّ بَيَانُهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنَ الْأَخْبَارِ الصَّحِيحَةِ الصَّرِيحَةِ فِي ذَلِكَ، رَدًّا عَلَى أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَمَنْ تَبِعَهُ؛ حَيْثُ جَعَلُوا إِرَادَتَهُ تَعَالَى مِنْ صِفَاتِ الذَّاتِ وَالْعِلْمِ بِالْأَصْلِحِ الَّذِي هُوَ مِنْ صِفَاتِ ذَاتِهِ تَعَالَى، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، (إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ تَعَالَى كَمَا يَقْدِرُ أَنْ يَخْلُقَ الْأَشْيَاءَ مَدْرَجًا بِأَسْبَابٍ وَمَوَادِّ، [كَذَلِكَ]<sup>(٤)</sup> يَقْدِرُ أَنْ يَخْلُقَهَا دَفْعَةً مِنْ غَيْرِ ذَلِكَ)<sup>(٥)</sup>، فَهُوَ (إِخْبَارٌ بِسُرْعَةِ حُصُولِ مُرَادِهِ سُبْحَانَهُ فِي [كُلِّ]<sup>(٦)</sup> شَيْءٍ أَرَادَ حُصُولَهُ مِنْ غَيْرِ مُهْلَةٍ وَمُعَانَاةٍ، وَلَا تَكْلَفٍ سَبَبٍ، وَلَا أَدَاةٍ، وَإِنَّمَا كُنِيَ بِهَذَا اللَّفْظِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ فِي وَهْمِ الْعِبَادِ شَيْءٌ أَسْرَعُ مِنْ [لَفْظِ]<sup>(٧)</sup> كُنْ فَيَكُونُ)<sup>(٨)</sup>، (وَإِنَّمَا اسْتَعْمَلَ لَفْظَ الْأَمْرِ فِيمَا لَيْسَ بِأَمْرٍ هُنَا، لِيُذَلَّ [بِذَلِكَ]<sup>(٩)</sup> عَلَى أَنَّ فِعْلَهُ بِمَنْزِلَةِ فِعْلِ الْمَأْمُورِ، فِي أَنَّهُ لَا كُلْفَةَ فِيهِ عَلَى الْأَمْرِ)<sup>(١٠)</sup>، بَلِ الْأَشْيَاءَ بِمَشِيئَتِهِ سُبْحَانَهُ دُونَ قَوْلِهِ مُؤْتَمِرَةً، وَإِرَادَتِهِ دُونَ نَهْيِهِ مُنْزَجِرَةً، كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(١) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٩٦/٢ .

(٢) سورة آل عمران: الآية ٤٠ .

(٣) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٩٦/٢ .

(٤) ما بين المعقوفين ليس من المصدر.

(٥) زبدة التفاسير: فتح الله الكاشاني: ٤٨٧/١ .

(٦) ما بين المعقوفين ليس من الأصل.

(٧) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٨) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٩٦/٢ .

(٩) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(١٠) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٩٦/٢ .

فِي الصَّحِيفَةِ الْكَامِلَةِ: "وَتَسَبَّبَتْ بِطُغْيِكِ الْإِسْبَابُ، وَجَرَى بِقُدْرَتِكَ الْقَضَاءُ، وَمَصَّتْ عَلَى إِرَادَتِكَ الْأَشْيَاءَ، فَهِيَ بِمَشِيَّتِكَ دُونَ قَوْلِكَ مُؤْتَمِرَةٌ، وَإِرَادَتِكَ دُونَ نَهْيِكَ مُنْزَجِرَةٌ"<sup>(١)</sup>.  
 وقوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ\* وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ\* وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا رَسُولَهُ﴾<sup>(٢)</sup> أَرْبَعُ آيَاتٍ، (عَدَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ [التَّوْرَةَ]<sup>(٣)</sup> وَالْإِنْجِيلَ آيَةً، وَلَمْ يَعُدُّوا بَنِي إِسْرَائِيلَ آيَةً لِتَنَكُّبِ الْإِسْتِنَافِ بِأَنَّ الْمَفْتُوحَةَ<sup>(٤)</sup>، وَغَيْرَهُمْ عَدَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ آيَةً وَلَمْ يَعُدُّوا الْإِنْجِيلَ)<sup>(٥)</sup> آيَةً.

#### القراءة:

قَرَأَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ كَنَافِعَ وَمِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ عَاصِمٌ وَيَعْقُوبُ وَسَهْلٌ ﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ بِالْيَاءِ الْمَثْنَاءِ التَّحْتَانِيَّةِ، وَالْبَاقُونَ بِالنُّونِ، وَقَرَأَ ﴿إِنِّي أَخْلَقُ﴾ بِكَسْرِ هَمْزَةٍ إِنِّي، وَالْبَاقُونَ بِفَتْحِهَا<sup>(٦)</sup>، وَقَرَأَ بَعْضُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ هُنَا فَيَكُونُ طَائِرًا، وَفِي الْمَائِدَةِ أَيْضًا بِالْأَلْفِ، وَقَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ الْقَعْقَاعِ الْمَدَنِيَّ ﴿كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ فِيهِمَا بِغَيْرِ أَلْفٍ، وَالْبَاقُونَ فَيَكُونُ طَيْرًا بِغَيْرِ أَلْفٍ<sup>(٧)</sup>.

#### اللغة:

قَدْ مَرَّ الْحِكْمَةُ لُغَةً وَاشْتِقَاقًا وَمَعْنَى فِي الْبَقْرَةِ، وَالطِّينُ مَعْرُوفٌ، وَالْهَيْئَةُ الشَّكْلُ وَالصُّورَةُ الظَّاهِرَةُ<sup>(٨)</sup>، وَالْكَمَةُ مَحْرَكَةٌ كَفَرَحِ الْعَمَى، يُقَالُ: كَمَهُ يَكْمُهُ كَمَهَا، كَعَمِيَ يَعْمَى عَمَى وَزناً وَمَعْنَى<sup>(٩)</sup>، وَالْإِدْخَارُ: اِفْتِعَالٌ مِنَ الدَّخْرِ بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ، أَصْلُهُ [٧٣] وَمَا تَدَّخِرُونَ، قُلِبَتْ

(١) الصحيفة السجادية الكاملة: الإمام زين العابدين (ع): ٥٤، مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا عَرَضَتْ لَهُ مُهِمَّةٌ أَوْ نَزَلَتْ بِهِ، مَلَمَّةٌ وَعِنْدَ الْكُرْبِ .

(٢) سورة آل عمران: الآية ٤٨ - ٥٠ .

(٣) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٤) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: الطوسي: ٤٦٦/٢ .

(٥) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٩٦/٢ .

(٦) ينظر: سراج القارئ: ابن القاصح: ١٨٠ .

(٧) ينظر: المكرر في ما تواتر من القراءات: النشار: ٧١ .

(٨) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ١٨٩/١، مادة هيا .

(٩) ينظر: المصدر نفسه: ٥٣٦/١٣، مادة كمه .

تاء افتعل دالاً<sup>(١)</sup>، كما هو القاعدة المستمرة في أمثال هذه المواضع<sup>(٢)</sup>، ثم أبدلت الذال المعجمة دالاً وأدغمت هذا هو الأفسح والأفيس، كقوله تعالى: ﴿وَأَذَكَّرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله تعالى: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾<sup>(٤)</sup>، ويجوز العكس<sup>(٥)</sup>، على قلّة نحو: تذخرون ويجوز الإظهار<sup>(٦)</sup> على الأصل كقولهم: يذخرون .

### الإعراب:

﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ فيمن قرأه بالياء التحتانية فاعله ضمير الله إمّا معطوف على يبشرك أو على يخلق أو على وجيهاً وعلى الأخير يكون حالاً، أي: ومعلماً، وإتّما عدل إلى المضارع تنبيهاً على تجده كما مرّ في ويكلم الناس، وأمّا كلامٌ مستأنفٌ فلا محل لها حينئذٍ من الإعراب، أو عطف على جملة لا محل لها من الإعراب، وهي جملة ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾، وإتّما ذكر ذلك (تطبيياً [لقلب مريم البتول])<sup>(٧)</sup> وإزاحة لما همّها من خوف اللوم؛ لما علّمت أنّها تلد من غير زوج<sup>(٨)</sup>، وأمّا على قراءة من قرأ نعلّمه بالنون فهو مستأنف لا غير لأجل النكته المذكورة، والمنصوبات الأربعة مفعول ثانٍ ليعلمه على القراءتين ورسولاً منصوب بمضمر، أي: ونجعله رسولاً أو نرسله، أو بتقدير القول إذا كان في ذلك من كلام عيسى عليه السلام، أي: ويقول عيسى عليه السلام أرسلت رسولاً بأبيّ قد جنّتكم إلخ، أي: قائلاً ذلك أو بالعطف على الأحوال المتقدمة متضمناً معنى النطق كأنه قال ناطقاً إلى بني إسرائيل بأبيّ قَدْ جِنُّكُمْ<sup>(٩)</sup> إلخ، وقال الزجاج: ويكلمهم رسولاً بأبيّ قَدْ جِنُّكُمْ إلخ.

ويجوز كسر همزة ﴿إِنِّي قَدْ جِنُّكُمْ﴾ على تقدير وأرسلت رسولاً أقول إِنِّي قَدْ جِنُّكُمْ، أو يقول: إِنَّ قَدْ جِنُّكُمْ.

و﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ صفة آية.

- (١) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ٣٠٢/٤، مادة نخر .
- (٢) ومنه في حاشية الأصل: المواضع التي وقعت تاء افتعل فيها ذالاً أو دالاً أو زاياً .
- (٣) سورة يوسف: الآية ٤٥ .
- (٤) سورة القمر: الآية ١٥ .
- (٥) ومنه في حاشية الأصل: بقلب الدال المهمله ذالاً معجمة، ثم ادغمت الذال المعجمة في الذال المعجمة .
- (٦) ومنه في حاشية الأصل: أي: عدم الإدغام .
- (٧) في المصدر: لقلبها .
- (٨) أنوار التنزيل: البيضاوي: ١٨/٢ .
- (٩) ينظر: تفسير البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي: ٤٨٦/٢ .

وأما ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ﴾ على قراءة فتح همزة أني فهي في موضع نصب بدل من قوله: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ﴾، بفتح الهمزة أيضاً، أو في موضع جرّ بدل من آية كأنه قيل: قَدْ جِئْتُكُمْ بِأَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ إِيخ، أو في موضع رفع لمبتدأ محذوف على تقدير هي أَنِّي أَخْلُقُ، أي: أَقْدَرُ وَأَصَوِّرُ، وَأَمَّا عَلَى قِرَاءَةِ نَافِعٍ ﴿إِنِّي أَخْلُقُ﴾ بكسر الهمزة فهي على وجهين: أحدهما الاستئناف وقطع الكلام عما قبله، والآخر أنه فسّر الآية بقوله: أَنِّي أَخْلُقُ كَمَا فَسَّرَ الْوَعْدَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾<sup>(١)</sup>، بقوله تعالى: ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾<sup>(٢)</sup> إِيخ، وفسّر المثل في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ آدَمَ﴾<sup>(٣)</sup>، بقوله: ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾<sup>(٤)</sup> إِيخ، كما يأتي، وهذا الوجه أحسن؛ لكونه في المعنى كمن فتحها وجعلها بدلاً من آية. **﴿وَمُصَدِّقًا﴾** حال من فاعل ﴿جِئْتُكُمْ﴾ المقدر بدلالة المذكور، أي: جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ وَجِئْتُكُمْ مُصَدِّقًا، نظيره قولهم: (جئتكم بما يجب ومعرفةً له)<sup>(٥)</sup>، أو عطف على رسولاً على بعض الوجوه المذكورة.

﴿وَلِأَجْلِ﴾ مفعول له لفعل محذوف بدلالة ما قبله، أي: جِئْتُكُمْ لِأَجْلِ أَوْ أُرْسَلْتُ إِلَيْكُمْ لِأَجْلِ لَكُمْ إِيخ، أو محمول على قوله بآية، أي: جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَلِأَجْلِ لَكُمْ، أو معطوف على مُصَدِّقًا، نظير قولهم: (جئتكم معترداً ولأطيب قلبك)<sup>(٦)</sup>.

#### المعنى:

﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ﴾، أي: الكِتَابَةَ وَالخَطَّ، قَالَ ابْنُ جَرِيحٍ: إِنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أُعْطِيَ تِسْعَةَ أَجْزَاءٍ مِنَ الْخَطِّ، وَسَائِرِ النَّاسِ جِزْءًا وَاحِدًا، أَوْ يَعْلَمُهُ جِنْسَ الْكِتَابِ الْمُنَزَّلِ عَلَى أَنْبِيَاءِ اللَّهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ سِوَى التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ كَصَحْفِ آدَمَ وَشِيثَ وَإِدْرِيسَ وَإِبْرَاهِيمَ وَزُبُورَ دَاوُدَ مِنَ الْكُتُبِ الْأَرْبَعَةِ وَالْمَائَةِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى مَا مَرَّ، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾، الْفِقْهُ وَعِلْمُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ، ﴿وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾، مِنْ بَابِ ذِكْرِ الْخَاصِّ بَعْدَ الْعَامِ؛ لِمَزِيدِ الْإِهْتِمَامِ، وَلِلتَّنْبِيهِ عَلَى جَلَالَتَهُمَا، وَعَظْمِ مَوْقِعَهُمَا، كَمَا مَرَّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَلَأْنَاهُ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ﴾

(١) سورة المائدة: الآية ٩ .

(٢) سورة المائدة: الآية ٩ .

(٣) سورة آل عمران: الآية ٥٩ .

(٤) سورة آل عمران: الآية ٥٩ .

(٥) التبيان في تفسير القرآن: الطوسي: ٤٧٠/٢ .

(٦) أنوار التنزيل: البيضاوي: ١٨/٢ .



وَمِكَالٌ ﴿١﴾، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ ﴿٢﴾، وَغَيْرَهَا مِنْ الْآيَاتِ.

﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ﴾، أَي: وَيَجْعَلُهُ رَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ نَاطِقًا بِأَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ، أَوْ يَقُولُ عِيسَى وَأَرْسَلْتُ رَسُولًا بِأَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ أَوْ أَرْسَلْتُ رَسُولًا أَقُولُ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ، ﴿بِآيَةٍ﴾ أَي: بِدَلَالَةٍ وَحِجَّةٍ وَعَلَامَةٍ وَمُعْجَزَةٍ شَاهِدَةٍ عَلَى صِحَّةِ نُبُوتِي، وَكُونِي عَبْدًا لِلَّهِ، ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾، مِنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ بِالْوَحْيِ دَالَّةٌ عَلَى عِبُودِيَّتِي وَنُبُوتِي لَا مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي. ﴿أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾، أَي: هَذِهِ الْآيَةُ أَنِّي أَقْدِرُ وَأُصَوِّرُ لَكُمْ مِثْلَ شَكْلِ الطَّيْرِ وَصُورَتِهِ، وَالطَّيْرِ يَسْتَعْمَلُ جَمْعًا كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الطَّيْرُ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾ ﴿٣﴾، وَمَفْرَدًا كَمَا هُنَا.

﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾، تَذَكِيرُ الضَّمِيرِ الْمَجْرُورِ؛ بِاعْتِبَارِ عَوْدِهِ إِلَى الْمَخْلُوقِ الْمُقَدَّرِ الْمَصُورِ مِنَ الطِّينِ الْمَفْهُومِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾، وَفِي مَوَاضِعٍ آخَرَ مِنَ الْقُرْآنِ ﴿فَتَنْفُخُ فِيهَا﴾ ﴿٤﴾، أَي: فِي الْهَيْئَةِ الْمَقَدَّرَةِ.

﴿فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، أَي: فَيَصِيرُ حَيًّا طَائِرًا بِقُدْرَةِ اللَّهِ وَأَمْرِهِ، وَوَصَلَ قَوْلُهُ: ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بِقَوْلِهِ: ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا﴾، وَقِيْدُهُ بِهِ تَنْبِيْهُاً عَلَى أَنَّ إِحْيَاءَهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لَا مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِخِلَافِ مَا قَبْلَهُ؛ لِأَنَّ تَصْوِيرَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ وَالنَّفْخُ فِيهِ مِمَّا يَدْخُلُ تَحْتَ مَقْدُورِ الْعَبْدِ، وَأَمَّا جَعْلُ الطِّينِ طَيْرًا حَقِيقِيًّا لَحْمًا وَدَمًا وَخَلْقُ الْحَيَاةِ، [٧٤] فِيهِ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ.

﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ﴾، الَّذِي وَلَدَ أَعْمَى أَوْ الْأَعْمَ مِنْهُ ﴿٥﴾، ﴿وَالْأَبْرَصَ﴾، الَّذِي بِهِ وَضَحٌ مَعْرُوفٌ.

وَفِي الْمَجْمَعِ وَغَيْرِهِ (قَالَ وَهْبٌ: رُبَّمَا اجْتَمَعَ عَلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْمَرَضِ فِي الْيَوْمِ خَمْسُونَ أَلْفًا، مِنْ أَطَاقِ مَنْهُمْ أَنْ يَأْتِيَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَاهُ، وَمَنْ لَمْ يَطِقْ أَتَاهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَمِشِي إِلَيْهِ، وَمَا يُدَاوِي أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا بِالدُّعَاءِ) ﴿١﴾.

(١) سورة البقرة: الآية ٩٨ .

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٣٨ .

(٣) سورة الملك: الآية ١٩ .

(٤) سورة المائدة: الآية ١١٠ .

(٥) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ٥٣٦/١٣، مادة كمه .

﴿وَأَحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، كَرَّرَ بِإِذْنِ اللَّهِ تَأَكِيدًا وَدَفْعًا لَوْهَمِ اللاهوتية (فَإِنَّ الْإِحْيَاءَ لَيْسَ مِنْ جِنْسِ الْأَفْعَالِ الْبَشَرِيَّةِ) (٢)، و(إِنَّمَا أَضَافُ الْإِحْيَاءَ [أَوَّلًا] (٣) إِلَى نَفْسِهِ عَلَى وَجْهِ الْمَجَازِ وَالتَّوَسُّعِ) (٤)؛ بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ (تَعَالَى كَانَ يَحْيِي الْمَوْتَى عِنْدَ دَعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ) (٥)؛ إِظْهَارًا لِمُعْجَزَتِهِ فَجَعَلَ قَوْلَهُ: ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ قَرِينَةً لِذَلِكَ الْمَجَازِ .

وقال في المجمع (وقيل: إنه أحيى أربعة أنفس: عازر وكان صديقا له، وكان قد مات منذ ثلاثة أيام فقال لأخته: انطلي بنا إلى قبره، ثم قال: اللهم رب السماوات السبع، ورب الأرضين السبع، إنك أرسلتني إلى بني إسرائيل، أَدْعُوهُمْ إِلَى دِينِكَ، وَأَخْبِرْهُمْ بِأَنِّي أَحْيِي الْمَوْتَى، فَأَحْيَى عَازِرَ فَقَامَ فَخَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ، وَبَقِيَ وَوُلِدَ لَهُ، وَابْنُ الْعَجُوزِ مَرَّ بِهِ مِيتًا عَلَى سَرِيرِهِ، فَدَعَا اللَّهَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَجَلَسَ عَلَى سَرِيرِهِ، وَنَزَلَ عَنْ أَعْنَاقِ الرِّجَالِ، وَلَبَسَ ثِيَابَهُ، وَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَبَقِيَ وَوُلِدَ لَهُ، وَابْنَةُ الْعَاشِرِ قِيلَ لَهُ: أَتَحْيِيهَا وَقَدْ مَاتَتْ أَمْسَ؟ فَدَعَا اللَّهَ [فَقَامَتْ] (٦)، وَبَقِيَتْ، وَوُلِدَتْ، وَسَامُ بْنُ نُوحٍ: دَعَا عَلَيْهِ بِاسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ، فَخَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ وَقَدْ شَابَ نِصْفَ رَأْسِهِ، فَقَالَ: قَدْ قَامَتْ الْقِيَامَةُ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنِّي دَعَوْتُكَ بِاسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ، قَالَ: وَلَمْ يَكُونُوا يَشِيْبُونَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، لِأَنَّ سَامَ بْنَ نُوحٍ قَدْ عَاشَ خَمْسَ مِائَةِ سَنَةٍ، وَهُوَ شَابٌ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: مَتَّ، قَالَ: بِشَرَطِ أَنْ يَعْيِدَنِي اللَّهُ مِنْ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ فَدَعَا اللَّهَ ففَعَلَ، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: كَانَ [عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ] (٧) يَحْيِي الْأَمْوَاتَ بِيَا حَيٍّ يَا قَيُّومَ، وَإِنَّمَا خَصَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَذِهِ الْمَعْجَزَاتِ؛ لِأَنَّ الْغَالِبَ كَانَ فِي زَمَانِهِ الطَّبْ، فَأَرَاهُمُ اللَّهُ الْآيَاتِ مِنْ جِنْسِ مَا هُمْ عَلَيْهِ، لِتَكُونَ الْمَعْجَزَةُ أَظْهَرَ، كَمَا أَنَّ الْغَالِبَ لَمَّا كَانَ فِي زَمَنِ مُوسَى السِّحْرِ، أَتَاهُمْ مِنْ جِنْسِ ذَلِكَ بِمَا أَعْجَزَهُمْ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ، وَكَانَ الْغَالِبُ فِي زَمَانِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْبَيَانَ وَالبَلَاغَةَ وَالفَصَاحَةَ، فَأَرَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى الْمَعْجَزَةَ بِالْقُرْآنِ الَّذِي بَهَرَهُمْ مَا فِيهِ مِنْ

(١) مجمع البيان: الطبرسي: ٢/٢٩٩، كنز الدقائق: المشهدي: ٣/١٠١، مع اختلاف يسير في الألفاظ .

(٢) زبدة التفاسير: فتح الله الكاشاني: ١/٤٨٨ .

(٣) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٤) مجمع البيان: الطبرسي: ٢/٢٩٩ .

(٥) المصدر نفسه: ٢/٢٩٩ .

(٦) في المصدر: فعاشت .

(٧) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

عجائب النظم، وغرائب البيان، ليكون أبلغ في باب الإعجاز بأن يأتي كلاً من [الأمم]<sup>(١)</sup> بمثل ما هم عليه، ويعجزون عن الإتيان بمثله، إذ لو اتاهم بما لا يعرفونه، لكان يجوز أن يخطر ببالهم أن ذلك مقدور للبشر، غير أنهم لا يهتدون إليه<sup>(٢)</sup> انتهى.

وَقَدْ مَرَّ الْخَبْرُ الصَّحِيحُ عَنِ ابْنِ السَّكَيْتِ وَغَيْرِهِ فِي ذَلِكَ فِي أَوَائِلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾<sup>(٣)</sup> الآية.

﴿وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، في تفسير علي بن إبراهيم" عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ فَإِنَّ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ وَ﴿أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ﴾، الأكمه هو الأعمى، [وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِ اللَّهِ]<sup>(٤)</sup>، قالوا: ما نرى الذي تصنع إلا سحراً فأرنا آية نعلم أنك صادق، قال: رأيتم ان أخبرتكم ﴿بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ﴾، [يقول ما أكلتم]<sup>(٥)</sup>، ﴿فِي بُيُوتِكُمْ﴾، قبل ان تخرجوا وما ذخرتم الليل، تعلمون اني صادق؟ قالوا: نعم، فكان يقول للرجل اكلت كذا وكذا وشربت كذا وكذا ورفعت كذا وكذا فممنهم من يقبل منه فيؤمن ومنهم من [يكفر]<sup>(٦)</sup>، [وكان ذلك لهم آية كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾]<sup>(٧)</sup>»<sup>(٨)</sup>.

وَرَوَى الْعِيَّاشِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ مَقْطُوعاً قَالَ: مَكَثَ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّىٰ بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ أَوْ ثَمَانَ سِنِينَ فَجَعَلَ يُخْبِرُهُمْ بِمَا يَأْكُلُونَ وَمَا يَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِهِمْ، فَأَقَامَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ يُخْبِي الْمَوْتَىٰ وَيُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُعَلِّمُهُمُ التَّوْرَةَ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْإِنْجِيلَ لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حُجَّةً<sup>(٩)</sup>، وَمَرْفُوعاً قَالَ: إِنَّ أَصْحَابَ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ سَأَلُوهُ أَنْ يُخْبِي لَهُمْ مَيِّتاً، قَالَ:

(١) في المصدر: أمم الأنبياء .

(٢) مجمع البيان: الطبرسي: ٢٩٩/٢ .

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٣ .

(٤) ما بين المعقوفين ليس من المصدر

(٥) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٦) في المصدر: ينكر فيكفر .

(٧) في المصدر: وكان لهم في ذلك آية ان كانوا مؤمنين .

(٨) تفسير القمي: علي بن ابراهيم: ١٠٢/١ .

(٩) تفسير العيَّاشي: العيَّاشي: ١٧٤/١ .

فَأَتَى بِهِمْ إِلَى قَبْرِ سَامِ بْنِ نُوحٍ، فَقَالَ لَهُ: قُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ يَا سَامُ بْنُ نُوحٍ، قَالَ: فَاَنْشَقَّ الْقَبْرَ، ثُمَّ أَعَادَ الْكَلَامَ فَتَحَرَكَ، ثُمَّ أَعَادَ الْكَلَامَ فَخَرَجَ سَامُ بْنُ نُوحٍ، فَقَالَ لَهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَيُّهُمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ: تَبَقَى أَوْ تَعُودُ؟ قَالَ: فَقَالَ: يَا رُوحَ اللَّهِ بَلْ أَعُودُ؛ إِنِّي لِأَجِدُ حُرْقَةَ الْمَوْتِ أَوْ قَالَ: لَدَغَةَ الْمَوْتِ فِي جَوْفِي إِلَى يَوْمِي هَذَا<sup>(١)</sup>.

وَفِي الْكَافِي وَالْعِيَّاشِي "عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ سُئِلَ هَلْ كَانَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَحْيَا أَدْبًا بَعْدَ مَوْتِهِ حَتَّى كَانَ لَهُ أَكْلٌ وَرِزْقٌ وَمُدَّةٌ وَوَلَدٌ؟ فَقَالَ: نَعَمْ إِنَّهُ كَانَ لَهُ صَدِيقٌ مُوَخٍ لَهُ فِي اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَكَانَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَمُرُّ بِهِ وَيَنْزِلُ عَلَيْهِ، وَإِنَّ عِيسَى غَابَ عَنْهُ حِينًا ثُمَّ مَرَّ بِهِ لِيَسَلِّمَ عَلَيْهِ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ أُمُّهُ فَسَأَلَهَا عَنْهُ، فَقَالَتْ: مَاتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: أَفْتُحِبِّينَ أَنْ تَرَيْنَهُ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهَا: فَإِذَا كَانَ غَدًا فَاتِيكِ حَتَّى أُحْيِيَهُ لَكَ بِإِذْنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَاهَا فَقَالَ لَهَا: [٧٥] انْطَلِقِي مَعِيَ إِلَى قَبْرِهِ فَاَنْطَلِقَا حَتَّى أَتِيَا قَبْرَهُ فَوَقَّفَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ثُمَّ دَعَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَاَنْفَرَجَ الْقَبْرَ وَخَرَجَ ابْنُهَا حَيًّا، فَلَمَّا رَأَتْهُ أُمُّهُ وَرَأَاهَا بَكِيًّا فَرَحِمَهُمَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ لَهُ: أَتُحِبُّ أَنْ تَبَقَى مَعَ أُمِّكَ فِي الدُّنْيَا؟ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ بِأَكْلِ وَرِزْقٍ وَمُدَّةٍ أَمْ بَعِيرٍ أَكْلٍ وَلَا رِزْقٍ وَلَا مُدَّةٍ؟ فَقَالَ لَهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: بِأَكْلِ وَرِزْقٍ وَمُدَّةٍ وَتُعَمَّرُ عِشْرِينَ سَنَةً وَتَزُوجُ وَيُولَدُ لَكَ، قَالَ: نَعَمْ إِذَا، قَالَ: فَدَفَعَهُ عِيسَى إِلَى أُمِّهِ فَعَاشَ عِشْرِينَ سَنَةً وَوُلِدَ لَهُ<sup>(٢)</sup> الْحَدِيثُ.

ذَكَرَ مَا صَدَرَ مِنْ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنَ الْفَضَائِلِ:

وَلَقَدْ صَدَرَ عَنْ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمْ أَمْثَالُ مَا صَدَرَ عَنْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَأَكْثَرَ مِنْهَا وَأَعْجَبَ كَمَا رَوَى الطَّبْرَسِيُّ قَدَسَ سِرَّهُ فِي كِتَابِ الْاِحْتِجَاجِ مِنْ جُمْلَةِ اِحْتِجَاجَاتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْثُ قَالَ: "اِحْتِجَاجُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى [بَعْضِ] <sup>(٣)</sup> الْيَهُودِ مِنْ أَحْبَابِهِمْ مِمَّنْ قَرَأَ الصُّحُفَ وَالْكُتُبَ فِي مُعْجَزَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَكَثِيرٍ مِنْ فَضَائِلِهِ<sup>(٤)</sup>"، نَعَمْ مَا قَالَ حَسَّانُ:

(١) تفسير العيَّاشي: العيَّاشي: ١٧٤/١ .

(٢) الكافي: الكليني: ٥٣٢/٨/٣٣٧، حديث الذي أحياه عيسى عليه السلام، تفسير العيَّاشي: العيَّاشي: ١٧٤/١ - ١٧٥ .

(٣) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٤) الاحتجاج: الطبرسي: ٣١٤/١ .

(لِكُلِّ نَبِيٍّ فِي الْأَنَامِ فَضِيلَةٌ وَجُمَلَتْهَا مَجْمُوعَةً لِمُحَمَّدٍ)<sup>(١)</sup>.

رُويَ عَنْ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ آبَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّ يَهُودِيًّا مِنْ يَهُودِ الشَّامِ وَأَخْبَارِهِمْ كَانَ قَدْ قَرَأَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالزَّبُورَ وَصُحُفَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَعَرَفَ دَلَائِلَهُمْ، جَاءَ إِلَى مَجْلِسٍ فِيهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَفِيهِمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَأَبُو سَعِيدٍ<sup>(٢)</sup> الْجُهَنِيُّ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ مَا تَرَكْتُمْ لِنَبِيِّ دَرَجَةً، وَلَا لِمُرْسَلٍ فَضِيلَةً، إِلَّا أَنْحَلْتُمُوهَا نَبِيَّكُمْ، فَهَلْ تُجِيبُونِي عَمَّا أَسْأَلُكُمْ عَنْهُ؟ فَكَاعَ الْقَوْمُ عَنْهُ<sup>(٣)</sup>، فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: نَعَمْ مَا أَعْطَى اللَّهُ نَبِيًّا دَرَجَةً، وَلَا مُرْسَلًا فَضِيلَةً إِلَّا وَقَدْ جَمَعَهَا لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَزَادَ مُحَمَّدًا عَلَى الْأَنْبِيَاءِ أضعافاً مضاعفةً، فَقَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ فَهَلْ أَنْتَ مُجِيبِي؟ قَالَ لَهُ: نَعَمْ سَأَذْكَرُ لَكَ الْيَوْمَ مِنْ فَضَائِلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَا يُقَرُّ اللَّهُ بِهِ عَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَكُونُ فِيهِ إِزَالَةٌ لِشَكِّ الشَّاكِّينَ فِي فَضَائِلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، إِنَّهُ كَانَ إِذَا ذَكَرَ لِنَفْسِهِ فَضِيلَةً قَالَ: وَلَا فخرَ وَأَنَا أَذْكَرُ لَكَ فَضَائِلَهُ غَيْرَ مُزِرٍ بِالْأَنْبِيَاءِ، وَلَا مُنْقِصٍ لَهُمْ، وَلَكِنْ شُكْرًا لِلَّهِ عَلَى مَا أَعْطَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِثْلَ مَا أَعْطَاهُمْ، وَمَا زَادَهُ اللَّهُ وَمَا فَضَّلَهُ عَلَيْهِمْ، قَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: إِنِّي أَسْأَلُكَ فَأَعِدَّ لَهُ جَوَابًا، قَالَ لَهُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هَاتِ، قَالَ الْيَهُودِيُّ: هَذَا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَسَجَدَ لِلَّهِ لَهُ مَلَائِكَتُهُ، فَهَلْ فَعَلَ لِمُحَمَّدٍ شَيْئًا مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، أَسَجَدَ اللَّهُ لِآدَمَ مَلَائِكَتُهُ فَإِنَّ سُجُودَهُمْ لَهُ لَمْ يَكُنْ سُجُودَ طَاعَةٍ، وَأَنْهُمْ عَبَدُوا آدَمَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَكِنْ اعْتَرَفُوا [لِآدَمَ]<sup>(٤)</sup> بِالْفَضِيلَةِ، وَرَحْمَةً مِنَ اللَّهِ لَهُ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أُعْطِيَ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ صَلَّى عَلَيْهِ فِي جَبْرُوتِهِ وَالْمَلَائِكَةُ بِأَجْمَعِهَا، وَتَعَبَّدَ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ فَهَذِهِ زِيَادَةٌ لَهُ يَا يَهُودِيُّ، قَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: فَإِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَعْدَ خَطِيئَتِهِ؟ قَالَ لَهُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَمُحَمَّدٌ نَزَلَ فِيهِ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْ هَذَا مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ أَتَى، قَالَ اللَّهُ عَزَّ

(١) لم نجد هذا البيت في ديوان حسان بن ثابت، ولم يعرف قائله، ينظر: روح البيان: إسماعيل حقي الاستانبولي:

١٠٦/١٠.

(٢) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٣) كاع القوم عنه: هابوه وجنبوا، ينظر: مختار الصحاح: الرازي: ٢٧٥، مادة كوع .

(٤) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

وَجَلَّ: ﴿لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾<sup>(١)</sup>، إِنَّ مُحَمَّدًا غَيْرُ مُوَافٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَوَازِرٍ، وَلَا مَطْلُوبٍ فِيهَا بِذَنْبٍ، قَالَ الْيَهُودِيُّ: فَإِنَّ هَذَا إِدْرِيسُ رَفَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿مَكَانًا عَلِيًّا﴾<sup>(٢)</sup>، وَأَطْعَمَهُ مِنْ ثَحْفِ الْجَنَّةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ؟ قَالَ لَهُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أُعْطِيَ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَالَ فِيهِ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾<sup>(٣)</sup> فَكَفَى بِهَذَا مِنَ اللَّهِ رِفْعَةً، وَلَيْسَ أُطْعِمَ إِدْرِيسُ مِنْ ثَحْفِ الْجَنَّةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا أُطْعِمَ فِي الدُّنْيَا فِي حَيَاتِهِ: بَيْنَمَا يَتَصَوَّرُ جُوعًا فَأَتَاهُ جَبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِجَامٍ مِنَ الْجَنَّةِ فِيهِ ثُخْفَةٌ، فَهَلَّلَ الْجَامُ وَهَلَّلَتِ الثُّخْفَةُ فِي يَدِهِ، وَسَبَّحَا، وَكَبَّرَا، وَحَمَّدَا، فَنَاقَلَهَا أَهْلُ بَيْتِهِ، فَفَعَلَتِ الْجَامُ [كَذَلِكَ لَهُ]<sup>(٤)</sup>، فَهَمَّ أَنْ يُنَاقِلَهَا بَعْضُ أَصْحَابِهِ فَتَنَاقَلَهَا جَبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ لَهُ: كُلْهَا فَإِنَّهَا ثُخْفَةٌ مِنَ الْجَنَّةِ أَتَحَفَّكَ اللَّهُ بِهَا، وَإِنَّهَا لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِنَبِيِّ أَوْ وَصِيِّ نَبِيِّ، فَأَكَلَ مِنْهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَكَلْنَا مَعَهُ، وَإِنِّي لِأَجِدُ حَلَاوَتَهَا سَاعَتِي هَذِهِ، قَالَ الْيَهُودِيُّ: فَهَذَا نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ صَبَرَ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، فَأَعَذَرَ قَوْمَهُ إِذْ كُذِّبَ؟ قَالَ لَهُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ صَبَرَ فِي ذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَأَعَذَرَ قَوْمَهُ إِذْ كُذِّبَ، وَشُرِّدَ، وَحُصِبَ بِالْحَصَى، وَعَلَاهُ أَبُو لَهَبٍ بِسِلَاقٍ [نَاقَةٍ]<sup>(٥)</sup> وَشَاةٍ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى جَابِيلَ مَلِكِ الْجِبَالِ، أَنْ شَقَّ الْجِبَالَ وَأَنْتَهَ إِلَى أَمْرِ مُحَمَّدٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنِّي أَمَرْتُ لَكَ بِالطَّاعَةِ فَإِنْ أَمَرْتُ أَنْ أُطَبِقَ عَلَيْهِمُ الْجِبَالَ فَأَهْلَكْتُهُمْ بِهَا، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً رَبِّ أِهْدِ أُمَّتِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَيَحْكُ يَا يَهُودِيُّ إِنَّ نُوحًا لَمَّا شَاهَدَ غَرَقَ قَوْمَهُ رَقَّ عَلَيْهِمْ رِقَّةَ الْقُرْبَةِ، وَأَظْهَرَ عَلَيْهِمْ شَفَقَةً فَقَالَ: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾<sup>(٦)</sup> فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ [٧٦] أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾<sup>(٧)</sup> أَرَادَ جَلَّ ذِكْرُهُ أَنْ يُسَلِّبَهُ بِذَلِكَ، وَمُحَمَّدٌ ص لَمَّا غَلَبَتْ عَلَيْهِ مِنْ قَوْمِهِ الْمُعَانِدَةُ شَهَرَ عَلَيْهِمْ سَيْفَ النَّقْمَةِ، وَلَمْ تُدْرِكْ فِيهِمْ رِقَّةَ الْقُرْبَةِ، وَلَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهِمْ بَعَيْنِ رَحْمَةٍ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: فَإِنَّ نُوحًا دَعَا رَبَّهُ، فَهَطَلَتِ السَّمَاءُ ﴿بِمَاءٍ

(١) سورة الفتح: الآية ٢ .

(٢) سورة مريم: الآية ٥٧ .

(٣) سورة الشرح: الآية ٤ .

(٤) في المصدر: مِثْلَ ذَلِكَ .

(٥) ما بين المعقوفين ليس من الأصل.

(٦) سورة هود: الآية ٤٥ .

(٧) سورة هود: الآية ٤٦ .



مُنْهَمِرٍ ﴿١﴾؟ قَالَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَكَانَتْ دَعْوَتُهُ دَعْوَةَ غَضَبٍ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هَطَلَتْ لَهُ السَّمَاءُ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ رَحْمَةً؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَّا هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ أَتَاهُ أَهْلُهَا فِي يَوْمٍ جُمُعَةٍ فَقَالُوا لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ احْتَبَسَ الْقَطْرُ، وَاصْفَرَ الْعُودُ، وَتَهَافَتَ الْوَرَقُ، فَرَفَعَ يَدَهُ الْمُبَارَكَةَ حَتَّى رُئِيَ بَيَاضُ إِبْطِهِ، وَمَا تَرَى فِي السَّمَاءِ سَحَابَةً، فَمَا بَرِحَ حَتَّى سَقَاهُمُ اللَّهُ حَتَّى [إِنَّ] (٢) الشَّابَّ الْمُعْجَبَ بِشَبَابِهِ [لَهَمَّتُهُ] (٣) نَفْسُهُ فِي الرَّجُوعِ إِلَى مَنْزِلِهِ فَمَا يَغْدُرُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ شِدَّةِ السَّيْلِ، فَدَامَ أُسْبُوعًا، فَأَتَوْهُ فِي الْجُمُعَةِ الثَّانِيَةِ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَهَدَّمَتِ الْجُدُرُ، وَاحْتَبَسَ الرَّكْبُ وَالسَّفَرُ، فَضَحِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَقَالَ: هَذِهِ سُرْعَةٌ [مَلَالَةٌ] (٤) ابْنِ آدَمَ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا اللَّهُمَّ فِي أُصُولِ الشَّيْخِ (٥) وَمَرَاتِعِ الْبُقَعِ (٦)، فَرُئِيَ حَوَالِي الْمَدِينَةِ الْمَطْرُ يَقْطُرُ قَطْرًا، وَمَا يَقَعُ بِالْمَدِينَةِ قَطْرَةٌ؛ لِكِرَامَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: فَإِنَّ هَذَا هُوَ قَدْ انْتَصَرَ اللَّهُ لَهُ مِنْ أَعْدَائِهِ بِالرَّيْحِ، فَهَلْ فَعَلَ لِمُحَمَّدٍ ص شَيْئًا مِنْ هَذَا؟ قَالَ لَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أُعْطِيَ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ انْتَصَرَ لَهُ مِنْ أَعْدَائِهِ بِالرَّيْحِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ؛ إِذْ أُرْسِلَ عَلَيْهِمْ رِيحًا تَذْرُو الْحَصَى، وَجُنُودًا لَمْ يَرَوْهَا، فَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِثَمَانِيَةِ أَلْفِ مَلَكٍ، وَفَضَّلَهُ عَلَى هُودٍ، بِأَنَّ رِيحَ عَادٍ رِيحٌ سَخَطٍ، وَرِيحَ مُحَمَّدٍ رِيحٌ رَحْمَةٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ (٧)، قَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: فَهَذَا صَالِحٌ أَخْرَجَ اللَّهُ لَهُ نَاقَةً جَعَلَهَا لِقَوْمِهِ عِبْرَةً؟ قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أُعْطِيَ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؛ إِنَّ نَاقَةَ صَالِحٍ لَمْ تَكَلِّمْ صَالِحًا، وَلَمْ تُنَاطِقْهُ وَلَمْ تَشْهَدْ لَهُ بِالنُّبُوءَةِ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَهُ فِي

(١) سورة القمر: الآية ١١ .

(٢) ما بين المعقوفين ليس من الأصل، وما أثبت من المصدر .

(٣) في الأصل: لتهمته .

(٤) ما بين المعقوفين ليس من الأصل، وما أثبت من المصدر يقتضيه السياق .

(٥) الشَّيْخُ: (نَبَاتٌ سُهْلِيٌّ يُنْحَدُّ مِنْ بَعْضِهِ الْمَكَانِسُ، وَهُوَ مِنَ الْأَمْرَارِ، لَهُ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ وَطَعْمٌ مُرٌّ)، لسان العرب: ابن

منظور: ٥٠٢/٢، مادة شيخ .

(٦) مرتع البقع: المكان الخصب (الذي يُنْبِتُ مَا تَرْتَعُ فِيهِ الْإِبِلُ)، المصدر نفسه: ١٠٤/٨ .

(٧) سورة الأحزاب: الآية ٩ .



بَعْضِ غَزَوَاتِهِ إِذْ هُوَ بِبَعِيرٍ قَدْ دَنَا، ثُمَّ رَغَا فَأَنْطَقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فُلَانٌ اسْتَعْمَلَنِي حَتَّى كَبِرْتُ، وَيُرِيدُ نَحْرِي، فَأَنَا أَسْتَعِيدُ بِكَ مِنْهُ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى صَاحِبِهِ فَاسْتَوْهَبَهُ مِنْهُ، فَوَهَبَهُ لَهُ وَخَلَاهُ، وَلَقَدْ كُنَّا مَعَهُ فَإِذَا نَحْنُ بِأَعْرَابِيٍّ مَعَهُ نَاقَةٌ لَهُ يَسُوقُهَا، وَقَدْ اسْتَسْلَمَ لِلْقَطْعِ لِمَا زُوِرَ عَلَيْهِ مِنَ الشُّهُودِ فَنَطَقَتِ النَّاقَةُ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فُلَانًا مَنِّي بَرِيءٌ، وَإِنَّ الشُّهُودَ يَشْهَدُونَ عَلَيْهِ بِالزُّورِ، وَإِنَّ سَارِقِي فُلَانٌ الْيَهُودِيُّ، قَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: فَإِنَّ هَذَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ تَيَقَّظَ بِالاعْتِبَارِ عَلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَحَاطَتْ دَلَالَتُهُ بِعِلْمِ الْإِيمَانِ؟ قَالَ لَهُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَأُعْطِيَ مُحَمَّدٌ أَفْضَلَ مِنْهُ، وَتَيَقَّظَ إِبْرَاهِيمُ وَهُوَ ابْنُ خَمْسِ عَشْرَةَ سَنَةً وَمُحَمَّدٌ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ، قَدِمَ تِجَارٌ مِنَ النَّصَارَى فَنَزَلُوا بِتِجَارَتِهِمْ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ فَعَرَفَهُ بِصِفَتِهِ وَرَفَعْتَهُ، وَخَبَرَ مَبْعَثِهِ وَآيَاتِهِ، فَقَالُوا: يَا غَلَامُ مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالُوا: مَا اسْمُ أَبِيكَ؟ قَالَ: عَبْدُ اللَّهِ، قَالُوا: مَا اسْمُ هَذِهِ؟ وَأَشَارُوا بِأَيْدِيهِمْ إِلَى الْأَرْضِ، قَالَ: الْأَرْضُ، قَالُوا: وَمَا اسْمُ هَذِهِ؟ وَأَشَارُوا بِأَيْدِيهِمْ إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: السَّمَاءُ، قَالُوا: فَمَنْ رَبُّهُمَا؟ قَالَ: اللَّهُ، ثُمَّ انْتَهَرَهُمْ وَقَالَ: أَتَشْكُرُونِي فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟! وَيَحْكُ يَا يَهُودِيٍّ لَقَدْ تَيَقَّظَ بِالاعْتِبَارِ عَلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَعَ كُفْرِ قَوْمِهِ إِذْ هُوَ بَيْنَهُمْ: يَسْتَقْسِمُونَ بِالْأَزْلَامِ، وَيَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، وَهُوَ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حُجِبَ عَنْ نُمْرُودَ بِحُجُبٍ ثَلَاثٍ؟ قَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حُجِبَ عَمَّنْ أَرَادَ قَتْلَهُ بِحُجُبٍ خَمْسٍ، فَثَلَاثَةٌ بِثَلَاثَةٍ وَاثْنَانِ فَضْلًا، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ يَصِفُ أَمْرَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾<sup>(١)</sup>، فَهَذَا الْحِجَابُ الْأَوَّلُ، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾<sup>(٢)</sup>، فَهَذَا الْحِجَابُ الثَّانِي، ﴿فَأَغَشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، فَهَذَا الْحِجَابُ الثَّلَاثُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾<sup>(٤)</sup>، فَهَذَا الْحِجَابُ الرَّابِعُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾، فَهَذِهِ حُجُبُ خَمْسٍ، قَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: فَإِنَّ هَذَا إِبْرَاهِيمَ قَدْ بَهَتَ الَّذِي كَفَرَ بِبُرْهَانِ نُبُوَّتِهِ قَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَتَاهُ مُكَذِّبٌ بِالْبَعْثِ

(١) سورة يس: الآية ٩ .

(٢) سورة يس: الآية ٩ .

(٣) سورة يس: الآية ٩ .

(٤) سورة الإسراء: الآية ٤٥ .

بَعْدَ الْمَوْتِ وَهُوَ: أَبِي بَنُ خَلْفِ الْجَمْحِيِّ مَعَهُ عَظْمٌ نَخِرٌ فَفَرَكَهُ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدٌ ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>؟ فَأَنْطَقَ [الله] <sup>(٢)</sup> مُحَمَّدًا بِمُحْكَمِ آيَاتِهِ، وَبَهْتَهُ بِبُرْهَانِ نُبُوتِهِ، فَقَالَ: ﴿يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>، فَاَنْصَرَفَ مَبْهُوتًا، قَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: [٧٧] [إِنَّا هَذَا] <sup>(٤)</sup> إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَذَّ أَصْنَامَ <sup>(٥)</sup> قَوْمِهِ غَضَبًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَدْ نَكَسَ عَنِ الْكَعْبَةِ ثَلَاثِمِائَةً وَسِتِّينَ صَنَمًا، وَنَقَاها عَنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَأَدَّلَّ مَنْ عَبَدَهَا بِالسَّيْفِ، قَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ قَدْ أَضْجَعَ وَلَدَهُ ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾<sup>(٦)</sup>؟ فَقَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَلَقَدْ أُعْطِيَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَ الْإِضْطِجَاعِ الْفِدَاءَ، وَمُحَمَّدٌ أُصِيبَ بِأَفْجَعِ مِنْهُ فَجِيعَةً إِنَّهُ وَقَفَ عَلَى عَمِّهِ حَمْرَةَ أَسَدِ اللَّهِ، وَأَسَدِ رَسُولِهِ وَنَاصِرِ دِينِهِ، وَقَدْ فُرِقَ بَيْنَ رُوحِهِ وَجَسَدِهِ، فَلَمْ يُبْنِ عَلَيْهِ حُرْقَةً، وَلَمْ يُفِضْ عَلَيْهِ عَبْرَةً، وَلَمْ يَنْظُرْ إِلَى مَوْضِعِهِ مِنْ قَلْبِهِ وَقُلُوبِ أَهْلِ بَيْتِهِ؛ لِيُرْضِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِصَبْرِهِ وَيَسْتَسْلِمَ لِأَمْرِهِ فِي جَمِيعِ الْفِعَالِ، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: لَوْ لَا أَنْ تَحْزَنَ صَفِيَّةُ؛ لَتَرَكْتُهُ حَتَّى يُحْشَرَ مِنْ بَطُونِ السَّبَاعِ، وَحَوَاصِلِ الطَّيْرِ، وَلَوْ لَا أَنْ يَكُونَ سَنَةً بَعْدِي لَفَعَلْتُ ذَلِكَ، قَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ أَسْلَمَهُ قَوْمُهُ إِلَى الْحَرِيقِ فَصَبَرَ فَجَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ ﴿بَرْدًا وَسَلَامًا﴾<sup>(٧)</sup>، فَهَلْ فَعَلَ بِمُحَمَّدٍ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ لَهُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَّا نَزَلَ بِخَبِيرِ سَمْنَهُ الْخَبِيرِيَّةُ فَصَبَرَ اللَّهُ السَّمَّ فِي جَوْفِهِ بَرْدًا وَ سَلَامًا إِلَى مُنْتَهَى أَجَلِهِ، فَالَسَّمُ يُحْرِقُ إِذَا اسْتَقَرَّ فِي الْجَوْفِ كَمَا أَنَّ النَّارَ تُحْرِقُ، فَهَذَا مِنْ قُدْرَتِهِ لَا تُنْكَرُهُ، قَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: فَإِنَّ هَذَا يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَعْظَمُ فِي الْخَيْرِ نَصِيبًا إِذْ جُعِلَ الْأَسْبَاطُ مِنْ سُلَالَةِ صُلَيْبِهِ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ مِنْ بَنَاتِهِ؟ قَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَعْظَمُ فِي الْخَيْرِ نَصِيبًا؛ إِذْ جُعِلَ

(١) سورة يس: الآية ٧٨.

(٢) ما بين المعقوفين ليس من المصدر.

(٣) سورة يس: الآية ٧٩ .

(٤) في المصدر: فهذا .

(٥) جذ أصنامهم: استأصلها إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾، أي: فتاتا مستأصلين، ينظر: لسان العرب: ابن

منظور: ٤٧٩/٣، مادة جذذ .

(٦) سورة الصافات: الآية ١٠٣ .

(٧) سورة الأنبياء: الآية ٦٩ .

فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مِنْ بَنَاتِهِ، وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ مِنْ حَفَدَتِهِ، قَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: فَإِنَّ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ صَبَرَ عَلَى فِرَاقِ وَلَدِهِ حَتَّى كَادَ يَحْرَضُ<sup>(١)</sup> مِنَ الْحُزَنِ؟

قَالَ لَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، حَزَنَ يَعْقُوبُ حُزْنًا بَعْدَهُ تَلَاقٍ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قُبُضَ وَلَدُهُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فُرَّةً عَيْنِهِ فِي حَيَاتِهِ مِنْهُ، فَخَصَّهُ بِالِاخْتِيَارِ؛ لِيَعْلَمَ لَهُ الْإِدْحَارَ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: يَحْزَنُ النَّفْسُ، وَيَجْرَعُ الْقَلْبُ، وَإِنَّا عَلَيْكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ، وَلَا نَقُولُ مَا يُسْحِطُ الرَّبَّ، فِي كُلِّ ذَلِكَ يُؤَثِّرُ الرِّضَا عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالِاسْتِسْلَامَ لَهُ فِي جَمِيعِ الْفِعَالِ، قَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: فَإِنَّ هَذَا يُوسُفُ قَاسَى مَرَارَةَ الْفُرْقَةِ، وَحُبْسَ فِي السِّجْنِ؛ تَوْقِيًا لِلْمَعْصِيَةِ، وَأُلْقِي فِي الْجُبِّ وَحِيدًا؟ قَالَ لَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَاسَى مَرَارَةَ الْغُرْبَةِ، وَفِرَاقِ الْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ وَالْمَالِ؛ مُهَاجِرًا مِنْ حَرَمِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَمْنِهِ، فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كَاتِبَتَهُ وَاسْتَشْعَارَهُ وَالْحُزْنَ، أَرَاهُ تَبَارَكَ اسْمُهُ رُؤْيَا نُؤَازِي رُؤْيَا يُوسُفَ فِي تَأْوِيلِهَا وَأَبَانَ لِلْعَالَمِينَ صِدْقَ تَحْقِيقِهَا، فَقَالَ: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وَلَئِنْ كَانَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حُبْسَ فِي السِّجْنِ، فَلَقَدْ حَبَسَ رَسُولُ اللَّهِ نَفْسَهُ فِي الشَّعْبِ ثَلَاثَ سِنِينَ، وَقَطَعَ مِنْهُ أَقَارِبُهُ وَدَوُو الرِّجَمِ وَالْأَجْنُوهُ إِلَى أَضْيَقِ الْمَضِيقِ، وَلَقَدْ كَادَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نِكْرُهُ لَهُ كَيْدًا مُسْتَبِينًا؛ إِذْ بَعَثَ أضعفَ خَلْقِهِ فَأَكَلَ عَهْدَهُمُ الَّذِي كَتَبُوهُ بَيْنَهُمْ فِي قَطِيعَةِ رَحْمِهِ، وَلَئِنْ كَانَ يُوسُفُ أُلْقِيَ فِي الْجُبِّ، فَلَقَدْ حَبَسَ مُحَمَّدٌ نَفْسَهُ؛ مَخَافَةَ عَدُوِّهِ فِي الْغَارِ حَتَّى قَالَ: ﴿لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾<sup>(٣)</sup>، وَمَدَحَهُ إِلَيْهِ بِذَلِكَ فِي كِتَابِهِ، فَقَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: فَهَذَا مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ آتَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ النُّورَةَ الَّتِي فِيهَا حُكْمُهُ؟ قَالَ لَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَمُحَمَّدٌ صَ أُعْطِيَ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ؛ أُعْطِيَ مُحَمَّدٌ الْبَقْرَةَ وَسُورَةَ الْمَائِدَةِ بِالْإِنْجِيلِ، وَطَوَاسِينَ وَطَةَ وَنِصْفَ الْمُفْصَلِ وَالْحَوَامِيمَ بِالنُّورَةِ، وَأُعْطِيَ نِصْفَ الْمُفْصَلِ وَالتَّسَابِيحَ بِالزُّبُورِ، وَأُعْطِيَ سُورَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبِرَاءَةَ بِصُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَزَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُحَمَّدًا السَّبْعَ الطُّوَالَ، وَفَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ، وَأُعْطِيَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، قَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: فَإِنَّ مُوسَى نَاجَاهُ اللَّهُ عَلَى طُورِ سَيْنَاءَ؟ فَقَالَ لَهُ

(١) يحرض: يهلك، ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ١٣٣/٧، مادة حرض .

(٢) سورة الفتح: الآية ٢٧ .

(٣) سورة التوبة: الآية ٤٠ .

عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَلَقَدْ أُوْحِيَ اللَّهُ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، فَمَقَامُهُ فِي السَّمَاءِ مَحْمُودٌ، وَعِنْدَ مُنْتَهَى الْعَرْشِ مَذْكُورٌ، قَالَ الْيَهُودِيُّ: فَلَقَدْ أَلْقَى اللَّهُ عَلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ مَحَبَّةً مِنْهُ؟ قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَقَدْ أُعْطِيَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؛ لَقَدْ أَلْقَى اللَّهُ مَحَبَّةً مِنْهُ؛ فَمَنْ هَذَا الَّذِي يَشْرِكُهُ فِي هَذَا الْإِسْمِ إِذْ تَمَّ مِنَ اللَّهِ بِهِ الشَّهَادَةُ؛ فَلَا تَتِمُّ الشَّهَادَةُ إِلَّا أَنْ يُقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، يُنَادَى بِهِ عَلَى الْمَنَابِرِ فَلَا يُرْفَعُ صَوْتُ بِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا رُفِعَ [٧٨] بِذِكْرِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَعَهُ، قَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: فَلَقَدْ أُوْحِيَ اللَّهُ إِلَى أُمِّ مُوسَى لِفَضْلِ مَنْزِلَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ لَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَلَقَدْ لَطَفَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاهُ لِأُمِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؛ بِأَنْ أُوصَلَ إِلَيْهَا اسْمُهُ حَتَّى قَالَتْ: أَشْهَدُ وَالْعَالَمُونَ: أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ مُنْتَظَرٌ وَشَهِدَ الْمَلَائِكَةُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ أَنَّهُمْ أَثْبَتُوهُ فِي الْأَسْفَارِ، وَبَلُطَفٍ مِنَ اللَّهِ سَاقَهُ إِلَيْهَا، وَأُوصَلَ إِلَيْهَا اسْمُهُ لِفَضْلِ مَنْزِلَتِهِ عِنْدَهُ، حَتَّى رَأَتْ فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ قِيلَ لَهَا: إِنَّ مَا فِي بَطْنِكَ سَيِّدٌ، فَإِذَا وَلَدْتَهُ فَسَمِّهِ مُحَمَّدًا، فَاشْتَقَّ اللَّهُ لَهُ اسْمًا مِنْ أَسْمَائِهِ؛ فَاللَّهُ الْمَحْمُودُ وَهَذَا مُحَمَّدٌ، قَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: فَإِنَّ هَذَا مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ قَدْ أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى فِرْعَوْنَ وَرَأَاهُ ﴿الْآيَةُ الْكُبْرَى﴾<sup>(١)</sup>؟ قَالَ لَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَمُحَمَّدٌ أُرْسِلَ إِلَى فِرْعَوْنَ شَتَّى، مِثْلُ: أَبِي جَهْلٍ بْنِ هِشَامٍ، وَعُثْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ، وَأَبِي الْبَخْرِيِّ، وَالنَّضْرِ بْنِ الْحَرْثِ، وَأَبِي بِنِ حَلْفٍ، وَمُنْبَهٍ وَنَبِيهِ ابْنِي الْحَجَّاجِ، وَالِي الْخَمْسَةِ الْمُسْتَهْزِئِينَ: الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةَ الْمُخْرُومِيَّ، وَالْعَاصِمِ بْنِ وَائِلِ السَّهْمِيِّ، وَالْأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَعُوثَ الزُّهْرِيِّ، وَالْأَسْوَدِ بْنِ الْمُطَّلِبِ، وَالْحَارِثِ بْنِ الطَّلَاطِلَةِ، فَأَرَاهُمْ الْآيَاتِ ﴿فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾<sup>(٢)</sup>، قَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: لَقَدْ انْتَقَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمُوسَى مِنْ فِرْعَوْنَ؟ قَالَ لَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَلَقَدْ انْتَقَمَ اللَّهُ جَلَّ اسْمُهُ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنَ الْفِرْعَانَةِ، فَأَمَّا الْمُسْتَهْزِئُونَ فَقَالَ اللَّهُ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾<sup>(٣)</sup>؛ فَقَتَلَ اللَّهُ خَمْسَتَهُمْ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِغَيْرِ قِتْلَةٍ صَاحِبِهِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، فَأَمَّا الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةَ: فَمَرَّ بِنَبْلِ لِرَجُلٍ مِنْ خُرَاعَةَ قَدْ رَاشَهُ<sup>(٤)</sup>

(١) سورة النازعات: الآية ٢٠ .

(٢) سورة فصلت: الآية ٥٣ .

(٣) سورة الحجر: الآية ٩٥ .

(٤) رَاشَ السَّهْمِ: (الزَّقَ عَلَيْهِ الرِّيشَ)، مختار الصحاح: الرازي: ١٣٢، مادة ريش .

وَوَضَعَهُ فِي الطَّرِيقِ فَأَصَابَهُ شَظِيَّةٌ مِنْهُ فَأَنْقَطَعَ أَكْحُلُهُ حَتَّى أَدْمَاهُ، فَمَاتَ وَهُوَ يَقُولُ: قَتَلَنِي رَبُّ مُحَمَّدٍ، وَأَمَّا الْعَاصُ بْنُ وَايِلِ السَّهْمِيِّ: فَإِنَّهُ خَرَجَ فِي حَاجَةٍ لَهُ إِلَى مَوْضِعٍ فَتَدَهَّدَهُ تَحْتَهُ حَجْرٌ، فَسَقَطَ فَتَقَطَّعَ قِطْعَةً قِطْعَةً، فَمَاتَ وَهُوَ يَقُولُ: قَتَلَنِي رَبُّ مُحَمَّدٍ، وَأَمَّا الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَعُوثَ: فَإِنَّهُ خَرَجَ يَسْتَقْبِلُ ابْنَهُ زَمْعَةَ، فَاسْتَظَلَّ بِشَجَرَةٍ، فَأَتَاهُ جَبْرِئِيلُ فَأَخَذَ رَأْسَهُ فَنَطَحَ بِهِ الشَّجَرَةَ، فَقَالَ لِغُلَامِهِ: امْنَعْ هَذَا عَنِّي، فَقَالَ: مَا أَرَى أَحَدًا يَصْنَعُ شَيْئًا إِلَّا نَفْسَكَ، فَقَتَلَهُ وَهُوَ يَقُولُ: قَتَلَنِي رَبُّ مُحَمَّدٍ، وَأَمَّا الْأَسْوَدُ بْنُ الْحَرِثِ: فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ دَعَا عَلَيْهِ أَنْ يُعْمِيَ اللَّهُ بَصَرَهُ، وَأَنْ يُتْكَلَّهُ وُلْدُهُ، فَلَمَّا كَانَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ خَرَجَ حَتَّى صَارَ إِلَى مَوْضِعٍ أَتَاهُ جَبْرِئِيلُ بِوَرَقَةٍ خَضْرَاءَ فَضْرَبَ بِهَا وَجْهَهُ فَعَمِيَ، فَبَقِيَ حَتَّى أَتْكَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وُلْدَهُ، وَأَمَّا الْحَارِثُ بْنُ الطَّلَاطَلَةِ: فَإِنَّهُ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ فِي السَّمُومِ فَتَحَوَّلَ حَبَشِيًّا، فَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ فَقَالَ: أَنَا الْحَارِثُ، فَعَضِبُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ وَهُوَ يَقُولُ: قَتَلَنِي رَبُّ مُحَمَّدٍ، وَرَوِي أَنَّ الْأَسْوَدَ بْنَ الْحَرِثِ أَكَلَ حُوتًا مَالِحًا فَأَصَابَهُ [غَلْبَةٌ] (١) الْعَطَشِ، فَلَمْ يَزَلْ يَشْرَبُ الْمَاءَ حَتَّى انشَقَّ بَطْنُهُ، فَمَاتَ وَهُوَ يَقُولُ: قَتَلَنِي رَبُّ مُحَمَّدٍ، كُلُّ ذَلِكَ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّدُ نَنْتَظِرُ بِكَ إِلَى الظُّهْرِ فَإِنْ رَجَعْتَ عَنْ قَوْلِكَ وَإِلَّا قَتَلْنَاكَ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَنْزِلَهُ فَأَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ مُغْتَمًّا لِقَوْلِهِمْ، فَأَتَاهُ جَبْرِئِيلُ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ سَاعَتِهِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ السَّلَامُ يَفْرَأُ [عَلَيْكَ] (٢) السَّلَامَ وَهُوَ يَقُولُ لَكَ: ﴿فَاصْذَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٣)، يَعْنِي: أَظْهَرَ أَمْرَكَ لِأَهْلِ مَكَّةَ، وَادْعُهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ، قَالَ: يَا جَبْرِئِيلُ كَيْفَ أَصْنَعُ بِالْمُسْتَهْزِئِينَ وَمَا أُوْعِدُونِي؟ قَالَ لَهُ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ (٤)، قَالَ: يَا جَبْرِئِيلُ كَانُوا السَّاعَةَ بَيْنَ يَدَيْ، قَالَ: كُفَيْتُهُمْ، وَأَظْهَرَ أَمْرَهُ عِنْدَ ذَلِكَ، وَأَمَّا بَقِيَّةُ الْفَرَاعِنَةِ: فُقِتَلُوا يَوْمَ بَدْرِ بِالسَّيْفِ (٥)، فَهَزَمَ اللَّهُ الْجَمِيعَ وَوَلَّوْا الدُّبْرَ، قَالَ لَهُ

(١) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٢) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٣) سورة الحجر: الآية ٩٤ .

(٤) سورة الحجر: الآية ٩٥ .

(٥) "عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي إِلَى ظِلِّ الْكُعْبَةِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: وَنَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقَدْ نُحِرَتْ جُرُورٌ مِنْ نَاحِيَةِ مَكَّةَ، فَبَعَثُوا فَجَاءُوا مِنْ سَلَاهَا فَطَرَحُوهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، فَجَاءَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ فَطَرَحَتْهُ عَنْهُ، فَلَمَّا انْصَرَفَ وَكَانَ يُسْتَحَبُّ ثَلَاثًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ عَلَيكَ بِقُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيكَ بِقُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيكَ بِأَبِي جَهْلٍ بْنِ هِشَامٍ، وَبِعَنْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَبِشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَبِأُمِّيَةَ بْنِ خَلْفٍ، وَبِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَلَقَدْ رَأَيْتُهُمْ قَتَلَى فِي قَلْبِ بَدْرِ"، السنن الكبرى: النسائي: ٤٩/٨، ح ٨٦١٦، وانظر: الاحتجاج: الطبرسي: ٣٢٣/١ .

اليهودي: فَإِنَّ هَذَا مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ قَدْ أُعْطِيَ الْعَصَا فَكَانَ تَحَوَّلَ ثُعْبَانًا؟ قَالَ لَهُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أُعْطِيَ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؛ إِنَّ رَجُلًا كَانَ يُطَالِبُ أَبَا جَهْلٍ بِدَيْنِ ثَمَنِ جُرُورٍ قَدْ اشْتَرَاهُ، فَاشْتَعَلَ عَنْهُ وَجَلَسَ يَشْرَبُ، فَطَلَبَهُ الرَّجُلُ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْمُسْتَهْزِئِينَ: مَنْ تَطْلُبُ؟ فَقَالَ: عَمْرُو بْنُ هِشَامٍ - يَعْنِي أَبَا جَهْلٍ - لِي عَلَيْهِ دَيْنٌ، قَالَ: فَأَذُوكَ عَلَى مَنْ يَسْتَخْرِجُ مِنْهُ الْحُقُوقَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَذَلَّهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَكَانَ أَبُو جَهْلٍ يَقُولُ: لَيْتَ لِمُحَمَّدٍ إِلَيَّ حَاجَةٌ فَأَسْحَرَ بِهِ وَأَرَدَهُ، فَأَتَى الرَّجُلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ بَلِّغْنِي أَنْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَمْرُو بْنِ هِشَامٍ حُسْنٌ [صَدَاقَةٌ] <sup>(١)</sup>، وَأَنَا أَسْتَشْفِعُ بِكَ إِلَيْهِ، فَقَامَ مَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَأَتَى بَابَهُ، فَقَالَ لَهُ: فَمَنْ يَا أَبَا جَهْلٍ فَأَدَّ إِلَى الرَّجُلِ حَقَّهُ، وَإِنَّمَا كُنَّا بِأَبِي جَهْلٍ ذَلِكَ الْيَوْمَ، فَقَامَ مُسْرِعًا حَتَّى آدَى إِلَيْهِ حَقَّهُ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى مَجْلِسِهِ قَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: [فَعَلْتَ ذَلِكَ] <sup>(٢)</sup> فَرَقًا <sup>(٣)</sup> مِنْ مُحَمَّدٍ؟ قَالَ: وَيَحْكُمُ اعْذِرُونِي، إِنَّهُ لَمَّا أَقْبَلَ رَأَيْتُ عَنْ يَمِينِهِ رِجَالًا مَعَهُمْ حِرَابٌ تَتَلَأَلُ، وَعَنْ يَسَارِهِ ثُعْبَانَيْنِ تَضْطَكُ أَسْنَانُهُمَا، وَتَلْمَعُ النَّيِّرَانُ مِنْ أَبْصَارِهِمَا، لَوْ امْتَنَعْتُ [٧٩] لَمْ آمَنْ أَنْ يَبْعَجُوا <sup>(٤)</sup> بِالْحِرَابِ بَطْنِي وَتَقْضَمَنِي الثُّعْبَانَانِ، هَذَا أَكْبَرُ مِمَّا أُعْطِيَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ [ثُعْبَانٌ بِثُعْبَانِ مُوسَى] <sup>(٥)</sup> وَزَادَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ثُعْبَانًا وَثَمَانِيَةَ أَمْلَاكٍ مَعَهُمُ الْحِرَابُ، وَلَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يُؤْذِي قُرَيْشًا بِالْأُدْعَاءِ <sup>(٦)</sup>، فَقَامَ يَوْمًا فَسَفَّهَ أَحْلَامَهُمْ، وَعَابَ دِينَهُمْ، وَشَتَمَ أَصْنَامَهُمْ، وَضَلَّ آبَاءَهُمْ، فَاعْتَمُوا مِنْ ذَلِكَ غَمًّا شَدِيدًا، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: وَاللَّهِ لِلْمَوْتِ خَيْرٌ لَنَا مِنَ الْحَيَاةِ، فَلَيْسَ فِيكُمْ مَعَاشِرَ قُرَيْشٍ أَحَدٌ يَقْتُلُ مُحَمَّدًا فَيُقْتَلَ بِهِ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَأَنَا أَقْتُلُهُ فَإِنْ شَاءَتْ بَنُو عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَتَلُونِي بِهِ، وَإِلَّا تَرَكَونِي، قَالُوا: إِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ اصْطَنَعْتَ إِلَى أَهْلِ الْوَادِي مَعْرُوفًا لَا تَرَالُ تُذَكَّرُ بِهِ، قَالَ: إِنَّهُ كَثِيرُ السُّجُودِ حَوْلَ الْكَعْبَةِ فَإِذَا جَاءَ وَسَجَدَ أَخَذْتُ حَجْرًا فَشَدَخْتُهُ <sup>(٧)</sup> بِهِ فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَطَافَ بِالْبَيْتِ

(١) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٢) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٣) فرقا: فرعا، ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ٣٠٤/١٠، مادة فرق .

(٤) يبعجوا: يشقوا، ينظر: مقاييس اللغة: ابن فارس: ٣٦٦/١، مادة بعج .

(٥) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٦) ما بين المعقوفين ليس من الأصل، وما أثبت من المصدر يقتضيه السياق .

(٧) الشدخ: (كسر الشيء الأجوف كالرأس ونحوه)، كتاب العين: الفراهيدي: ١٦٦/٤، مادة شدخ .



أُسْبُوعاً، ثُمَّ صَلَّى وَأَطَالَ السُّجُودَ، فَأَخَذَ أَبُو جَهْلٍ حَجْرًا فَأَتَاهُ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ، فَلَمَّا أَنْ قَرَّبَ مِنْهُ أَقْبَلَ فَحَلَّ مِنْ قِبَلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَأَغْرَأَ فَاهُ نَحْوَهُ، فَلَمَّا أَنْ رَأَهُ أَبُو جَهْلٍ فَرَعَ مِنْهُ وَارْتَعَدَتْ يَدُهُ، وَطَرَحَ الْحَجَرَ فَشَدَخَ رِجْلَهُ، فَرَجَعَ مُدْمَى، مُتَغَيِّرَ اللَّوْنِ، يُفِيضُ عَرَقًا، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: مَا رَأَيْنَاكَ كَالْيَوْمِ؟ قَالَ: وَيَحْكُمُ اعْدُرُونِي؛ فَإِنَّهُ أَقْبَلَ مِنْ عِنْدِهِ فَحَلَّ فَأَغْرَأَ فَاهُ فَكَادَ يَبْتَلُعُنِي، فَرَمَيْتُ بِالْحَجَرِ فَشَدَخْتُ رِجْلِي، قَالَ الْيَهُودِيُّ: فَإِنَّ مُوسَى قَدْ أُعْطِيَ الْيَدَ الْبَيْضَاءَ فَهَلْ فَعَلَ بِمُحَمَّدٍ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ لَهُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أُعْطِيَ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؛ إِنَّ نُورًا كَانَ يُضِيءُ عَنْ يَمِينِهِ حَيْثُمَا جَلَسَ، وَعَنْ يَسَارِهِ حَيْثُمَا جَلَسَ، وَكَانَ يَرَاهُ النَّاسُ كُلَّهُمْ، قَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: فَإِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ ضُرِبَ لَهُ طَرِيقٌ فِي الْبَحْرِ فَهَلْ فَعَلَ بِمُحَمَّدٍ شَيْءٌ مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَمُحَمَّدٌ أُعْطِيَ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؛ حَرَجْنَا مَعَهُ إِلَى حُنَيْنٍ فَإِذَا نَحْنُ بَوَادٍ يَشْحُبُ، فَقَدَّرْنَاهُ فَإِذَا هُوَ أَرْبَعُ عَشْرَةَ قَامَةً، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْعَدُوُّ وَرَاءَنَا وَالْوَادِي أَمَامَنَا، كَمَا قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى: ﴿إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾<sup>(١)</sup>، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ جَعَلْتَ لِكُلِّ مُرْسَلٍ دَلَالَةً، فَأَرِنِي قُدْرَتَكَ، وَرَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَعَبَّرَتِ الْخَيْلُ لَا تَنْدَى حَوَافِرُهَا، وَالْإِبِلُ لَا تَنْدَى أَحْقَافُهَا، فَرَجَعْنَا فَكَانَ فَتْحُنَا، قَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: فَإِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ أُعْطِيَ الْحَجَرَ ﴿فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾<sup>(٢)</sup>، قَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَّا نَزَلَ الْحُدَيْبِيَّةَ وَحَاصِرَهُ أَهْلُ مَكَّةَ، قَدْ أُعْطِيَ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؛ وَذَلِكَ أَنَّ أَصْحَابَهُ شَكُّوا إِلَيْهِ الظَّمَّ وَأَصَابَهُمْ ذَلِكَ حَتَّى انْتَفَتَّ حَوَاصِرُ الْخَيْلِ، فَذَكَرُوا لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَدَعَا بِرُكُوتٍ يَمَانِيَّةٍ ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ الْمُبَارَكَةَ فِيهَا، فَتَفَجَّرَتْ مِنْ بَيْنِ [أَصَابِعِهِ]<sup>(٣)</sup> عَيُْونُ الْمَاءِ، فَصَدَرْنَا وَصَدَرَتِ الْخَيْلُ [رِوَاءً]<sup>(٤)</sup>، وَمَلَأْنَا كُلَّ مَرَادَةٍ وَسِقَاءٍ، وَلَقَدْ كُنَّا مَعَهُ بِالْحُدَيْبِيَّةِ فَإِذَا نَمَّ قَلْبِي جَافَّةً، فَأَخْرَجَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ فَنَاوَلَهُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ وَقَالَ لَهُ: اذْهَبْ بِهَذَا السَّهْمِ إِلَى تِلْكَ الْقَلْبِ الْجَافَّةِ فَأَغْرِسْهُ فِيهَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ فَتَفَجَّرَتْ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا مِنْ تَحْتِ السَّهْمِ، وَلَقَدْ كَانَ

(١) سورة الشعراء: الآية ٦١ .

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٦٠ .

(٣) في الأصل: أصحابه، وما أثبت من المصدر هو الصواب .

(٤) في الأصل: ورداً فرووا .



يَوْمَ الْمِيضَاءِ<sup>(١)</sup> عِبْرَةً وَعَلَامَةً لِلْمُنْكَرِينَ لِنُبُوتِهِ، كَحَجْرِ مُوسَى حَيْثُ دَعَا بِالْمِيضَاءِ فَنَصَبَ يَدَهُ فِيهَا فَعَاظَتْ الْمَاءَ وَارْتَفَعَ، حَتَّى [تَوَضَّأَ]<sup>(٢)</sup> مِنْهُ ثَمَانِيَةَ آلَافِ رَجُلٍ فَشَرِبُوا حَاجَتَهُمْ، وَسَقَوْا دَوَابَّهُمْ، وَحَمَلُوا مَا أَرَادُوا، قَالَ الْيَهُودِيُّ: فَإِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أُعْطِيَ ﴿الْمَنَ وَالسَّلْوَى﴾<sup>(٣)</sup>، فَهَلْ أُعْطِيَ لِمُحَمَّدٍ نَظِيرٌ هَذَا؟ قَالَ لَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أُعْطِيَ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؛ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَحَلَّ لَهُ الْعَنَائِمَ وَالْأُمَّتَهُ، وَلَمْ تَحِلَّ الْعَنَائِمُ لِأَحَدٍ غَيْرِهِ قَبْلَهُ، فَهَذَا أَفْضَلُ مِنَ الْمَنِّ وَالسَّلْوَى، ثُمَّ زَادَهُ أَنْ جَعَلَ النَّبِيَّةَ لَهُ وَأُمَّتِهِ [بِلَا عَمَلٍ]<sup>(٤)</sup> عَمَلًا صَالِحًا وَلَمْ يَجْعَلْ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَّمِ ذَلِكَ قَبْلَهُ؛ فَإِذَا هُمْ أَحَدُهُمْ بِحَسَنَةٍ وَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ فَإِنَّ عَمَلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرَةٌ، قَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ ظَلَلَ عَلَيْهِ الْعَمَامُ؟ قَالَ لَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَقَدْ فُعِلَ ذَلِكَ بِمُوسَى فِي النَّبِيِّ، وَأُعْطِيَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَفْضَلَ مِنْ هَذَا؛ إِنَّ الْعِمَامَةَ كَانَتْ تُظَلُّهُ مِنْ يَوْمٍ وُلِدَ إِلَى يَوْمٍ قُبِضَ فِي حَضْرِهِ وَأَسْفَارِهِ، فَهَذَا أَفْضَلُ مِمَّا أُعْطِيَ مُوسَى، قَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: فَهَذَا دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ لَيَّنَ اللَّهُ لَهُ الْحَدِيدَ فَعَمِلَ مِنْهُ الدُّرُوعَ؟ قَالَ لَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَدْ أُعْطِيَ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؛ إِنَّهُ لَيَّنَ اللَّهُ لَهُ الصُّمَّ الصُّخُورَ الصَّلَابَ وَجَعَلَهَا غَارًا، وَلَقَدْ غَارَتِ الصَّخْرَةُ تَحْتَ يَدِهِ بِنَيْتِ الْمَقْدِسِ لِيَنَّهُ حَتَّى صَارَتْ كَهَيْئَةِ الْعَجِينِ، وَقَدْ رَأَيْنَا ذَلِكَ وَالتَّمَسْنَاهُ تَحْتَ رَأْيَتِهِ، قَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: هَذَا دَاوُدُ بَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ حَتَّى سَارَتِ الْجَبَلُ مَعَهُ لِحَوْفِهِ، قَالَ لَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَمُحَمَّدٌ ص أُعْطِيَ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؛ إِنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ سَمِعَ لِيَصْدْرِهِ وَجَوْفِهِ أَرْزِيْرٌ كَأَرْزِيْرِ<sup>(٥)</sup> الْمَرْجَلِ<sup>(٦)</sup> عَلَى الْأَثَافِيِّ<sup>(٧)</sup> مِنْ شِدَّةِ الْبُكَاءِ، وَقَدْ آمَنَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عِقَابِهِ، فَأَرَادَ أَنْ يَتَخَشَّعَ لِرَبِّهِ بِبُكَائِهِ فَيَكُونُ إِمَامًا لِمَنْ اقْتَدَى بِهِ، وَلَقَدْ قَامَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَشْرَ

(١) (الميضأة مطهرة، وهي التي يتوضأ منها أو فيها)، أو (الموضع الذي يتوضأ فيه)، لسان العرب: ابن منظور: ١٩٥/١، مادة وضأ .

(٢) ما بين المعقوفين ليس من الأصل، وما أثبت من المصدر يقتضيه السياق.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٦٠ .

(٤) ما بين المعقوفين ليس من الأصل.

(٥) الأريز: (صوت الرعد، وصوت غليان القدر)، الصحاح: الجوهري: ٨٦٤/٣، مادة أزر .

(٦) المرجل: (بكسر الميم فذر من نحاس)، مختار الصحاح: الرازي: ١١٩، مادة رجل .

(٧) الأثافي: الأحجار التي يوضع عليها القدر، ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ١٢٣/٢، مادة ثلث .

سِنِينَ عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِهِ [٨٠] حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ وَاصْفَرَ وَجْهُهُ، يَوْمَ اللَّيْلِ أَجْمَعَ، حَتَّى غُوِّبَ فِي ذَلِكَ فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿طَه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾<sup>(١)</sup>، بَلْ لِتَسَعَدَ بِهِ، وَلَقَدْ كَانَ يَبْكِي حَتَّى يُغْشَى عَلَيْهِ، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَيْسَ اللَّهُ غَفَرَ لَكَ ﴿مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾<sup>(٢)</sup>؟ قَالَ: بَلَى أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا، وَلَئِنْ سَارَتِ الْجِبَالُ وَسَبَّحَتْ مَعَهُ لَقَدْ عُمِلَ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا: إِذْ كُنَّا مَعَهُ عَلَى جَبَلٍ حِرَاءٍ إِذْ تَحَرَّكَ الْجَبَلُ فَقَالَ لَهُ: قَرِّ فَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ شَهِيدٌ، فَفَرَّ الْجَبَلُ [مُطِيعًا]<sup>(٣)</sup> لِأَمْرِهِ وَمُنْتَهِيًّا إِلَى طَاعَتِهِ، وَلَقَدْ مَرَرْنَا مَعَهُ بِجَبَلٍ وَإِذَا الدُّمُوعُ تَخْرُجُ مِنْ بَعْضِهِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: مَا يُبْكِيكَ يَا جَبَلُ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَانَ الْمَسِيحُ مَرَّ بِي وَهُوَ يُخَوِّفُ النَّاسَ مِنْ نَارٍ ﴿وَفُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾<sup>(٤)</sup>، وَأَنَا أَخَافُ أَنْ أَكُونَ مِنْ تِلْكَ الْحِجَارَةِ، قَالَ لَهُ: لَا تَخَفْ تِلْكَ الْحِجَارَةُ الْكَبِيرَةُ، فَفَرَّ الْجَبَلُ وَسَكَنَ وَهَذَا وَأَجَابَ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، قَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: فَإِنَّ هَذَا سُلَيْمَانُ أُعْطِيَ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أُعْطِيَ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؛ إِنَّهُ هَبَطَ إِلَيْهِ مَلَكٌ لَمْ يَهْبِطْ إِلَى الْأَرْضِ قَبْلَهُ، وَهُوَ: مِيكَائِيلُ فَقَالَ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ عِشْ مَلِكًا مُنْعَمًا وَهَذِهِ مَفَاتِيحُ خَزَائِنِ الْأَرْضِ مَعَكَ، وَيَسِيرُ مَعَكَ جِبَالُهَا ذَهَبًا وَفِضَّةً، وَلَا يَنْقُصُ لَكَ مِمَّا انْخَرَّ لَكَ فِي الْأَخِرَةِ شَيْءٌ، فَأَوْمَى إِلَى جَبْرَائِيلَ - وَكَانَ خَلِيلَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ - فَأَشَارَ عَلَيْهِ، أَنْ تَوَاضَعَ فَقَالَ لَهُ: بَلْ أَعِيشْ نَبِيًّا [عَبْدًا]<sup>(٥)</sup> أَكُلُ يَوْمًا وَلَا أَكُلُ يَوْمَيْنِ، وَالْحَقُّ بِإِخْوَانِي مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَرَزَادَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْكَوْثَرَ، وَأَعْطَاهُ الشَّفَاعَةَ، وَذَلِكَ أَعْظَمُ مِنْ مُلْكِ الدُّنْيَا مِنْ أَوْلَاهَا إِلَى آخِرِهَا سَبْعِينَ مَرَّةً، وَوَعَدَهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُنْعِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْعَرْشِ، فَهَذَا أَفْضَلُ مِمَّا أُعْطِيَ سُلَيْمَانُ، قَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: فَإِنَّ هَذَا سُلَيْمَانُ قَدْ سُخِّرَتْ لَهُ الرِّيَّاحُ فَسَارَتْ بِهِ فِي بِلَادِهِ ﴿عُدُّوْهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾<sup>(٦)</sup>؟ قَالَ لَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أُعْطِيَ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؛ إِنَّهُ سُرِّيَ بِهِ ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ

(١) سورة طه: الآية ١ - ٢ .

(٢) سورة الفتح: الآية ٢ .

(٣) في الأصل: مجيباً .

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٤ .

(٥) ما بين المعقوفين ليس من الأصل.

(٦) سورة سبأ: الآية ١٢ .

الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ﴿١﴾ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَعُرِجَ بِهِ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ مَسِيرَةَ خَمْسِينَ أَلْفَ عَامٍ، فِي أَقَلِّ مِنْ ثَلَاثِ لَيْلَةٍ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَاقِ الْعَرْشِ فَ﴿دَنَا﴾ بِالْعِلْمِ، ﴿فَتَدَلَّى﴾ [فَدَلَّى لَهُ] ﴿٢﴾ مِنَ الْجَنَّةِ رَفْرَفٌ أَخْضَرُ، وَعَشِي النَّورُ بَصْرَهُ فَرَأَى عَظَمَةَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِفُؤَادِهِ، وَلَمْ يَرَهَا بِعَيْنِهِ، ﴿فَكَانَ﴾ كَقَابِ ﴿قَوْسَيْنِ﴾ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا ﴿أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى﴾ اللَّهُ ﴿إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ ﴿٣﴾، وَكَانَ فِيهَا أَوْحَى إِلَيْهِ: الْآيَةُ الَّتِي فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ قَوْلُهُ: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوُا يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٤﴾، وَكَانَتْ الْآيَةُ قَدْ عُرِضَتْ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ مِنْ لَدُنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أَنْ بَعَثَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَعُرِضَتْ عَلَى الْأُمَّمِ فَأَبَوْا أَنْ يَقْبَلُوهَا [مِنْ ثَقَلَهَا] ﴿٥﴾، وَقَبِلَهَا رَسُولُ اللَّهِ وَعَرَضَهَا عَلَى أُمَّتِهِ فَقَبِلُوهَا، فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهُمْ الْقَبُولَ عَلِمَ أَنَّهُمْ لَا يُطِيقُونَهَا، فَلَمَّا أَنْ سَارَ إِلَى سَاقِ الْعَرْشِ كَرَّرَ عَلَيْهِ الْكَلَامَ لِيُفْهَمَهُ، فَقَالَ: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ ﴿٦﴾، فَأَجَابَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُجِيبًا عَنْهُ وَعَنْ أُمَّتِهِ ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ ﴿٧﴾، فَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: لَهُمُ الْجَنَّةُ وَالْمَغْفِرَةُ عَلَيَّ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أَمَّا إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ بِنَا، فَ﴿غُفْرَانِكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ ﴿٨﴾، يَعْنِي الْمَرْجِعَ فِي الْآخِرَةِ، قَالَ: فَأَجَابَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ فَعَلْتَ ذَلِكَ بِكَ وَبِأُمَّتِكَ، ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: أَمَّا إِذَا قَبِلْتَ الْآيَةَ بِتَشَدِيدِهَا وَعَظَمِ مَا فِيهَا وَقَدْ عَرَضْتَهَا عَلَى الْأُمَّمِ فَأَبَوْا أَنْ يَقْبَلُوهَا وَقَبِلْتَهَا أُمَّتَكَ حَقًّا عَلَيَّ أَنْ أَرْفَعَهَا عَنْ أُمَّتِكَ وَقَالَ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ ﴿٩﴾، مِنْ خَيْرٍ ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ ﴿١٠﴾، مِنْ شَرِّ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - لَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ -:

(١) سورة الإسراء: الآية ١ .

(٢) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٣) سورة النجم: الآية ٨ - ١٠، وهو قوله تعالى: ﴿دَنَا فَتَدَلَّى \* فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى \* فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ .

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٨٤ .

(٥) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٦) سورة البقرة: الآية ٢٨٥ .

(٧) سورة البقرة: الآية ٢٨٥ .

(٨) سورة البقرة: الآية ٢٨٥ .

(٩) سورة البقرة: الآية ٢٨٦ .

(١٠) سورة البقرة: الآية ٢٨٦ .

أَمَا إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ بِي وَبِأُمَّتِي فَرِدْنِي قَالَ: سَلْ، قَالَ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ  
 أَخْطَأْنَا﴾<sup>(١)</sup>، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: لَسْتُ أُؤَاخِذُ أُمَّتَكَ بِالنِّسْيَانِ وَالْخَطَا لِكِرَامَتِكَ عَلَيَّ، وَكَانَتْ  
 الْأُمَّمُ السَّالِفَةُ إِذَا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحَتْ عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ الْعَذَابِ، وَقَدْ رَفَعْتَ ذَلِكَ عَنْ أُمَّتِكَ  
 وَكَانَتْ الْأُمَّمُ السَّالِفَةُ إِذَا أَخْطَأُوا أُخِدُوا بِالْخَطَا وَعُوقِبُوا عَلَيْهِ، وَقَدْ رَفَعْتَ ذَلِكَ عَنْ أُمَّتِكَ  
 لِكِرَامَتِكَ عَلَيَّ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: اللَّهُمَّ إِذَا أَعْطَيْتَنِي ذَلِكَ فَرِدْنِي، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ  
 وَتَعَالَى لَهُ: سَلْ، قَالَ: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾<sup>(٢)</sup>، يَعْنِي  
 بِالْإِصْرِ، الشَّدَائِدَ الَّتِي كَانَتْ عَلَى مَنْ كَانَ مِنْ قَبْلِنَا، فَأَجَابَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى ذَلِكَ، وَقَالَ  
 تَبَارَكَ اسْمُهُ: قَدْ رَفَعْتَ عَنْ أُمَّتِكَ الْأَصَارَ الَّتِي كَانَتْ عَلَى الْأُمَّمِ [٨١] السَّالِفَةِ كُنْتُ لَا أَقْبَلُ  
 صَلَاتَهُمْ إِلَّا فِي بَقَاعِ مَعْلُومَةٍ مِنَ الْأَرْضِ اخْتَرْتُهَا لَهُمْ وَإِنْ بَعُدَتْ، وَقَدْ جَعَلْتُ الْأَرْضَ كُلَّهَا  
 لِأُمَّتِكَ مَسْجِدًا وَطَهُورًا فَهَذِهِ مِنَ الْأَصَارِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى الْأُمَّمِ قَبْلَكَ فَرَفَعْتُهَا عَنْ أُمَّتِكَ،  
 وَكَانَتْ الْأُمَّمُ السَّالِفَةُ إِذَا أَصَابَهُمْ أَدَى مِنْ نَجَاسَةٍ قَرُصُوهُ مِنْ أَجْسَادِهِمْ، وَقَدْ جَعَلْتُ الْمَاءَ  
 لِأُمَّتِكَ طَهُورًا، فَهَذَا مِنَ الْأَصَارِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَرَفَعْتُهَا عَنْ أُمَّتِكَ، وَكَانَتْ الْأُمَّمُ السَّالِفَةُ  
 تَحْمِلُ قَرَابِينَهَا عَلَى أَعْنَاقِهَا إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَمَنْ قَبِلْتُ ذَلِكَ مِنْهُ أَرْسَلْتُ عَلَيْهِ نَارًا فَأَكَلَتْهُ  
 فَرَجَعَ مَسْرُورًا، وَمَنْ لَمْ أَقْبَلْ مِنْهُ ذَلِكَ رَجَعَ مَثْبُورًا<sup>(٣)</sup>، وَقَدْ جَعَلْتُ قُرْبَانَ أُمَّتِكَ فِي بُطُونِ  
 قُرَائِمِهَا وَمَسَاكِينِهَا، فَمَنْ قَبِلْتُ ذَلِكَ مِنْهُ أَضَعْتُ ذَلِكَ لَهُ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً، وَمَنْ لَمْ أَقْبَلْ ذَلِكَ  
 مِنْهُ رَفَعْتُ عَنْهُ عُقُوبَاتِ الدُّنْيَا، وَقَدْ رَفَعْتُ ذَلِكَ عَنْ أُمَّتِكَ وَهِيَ مِنَ الْأَصَارِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى  
 الْأُمَّمِ [مَنْ كَانَ مِنْ] <sup>(٤)</sup> قَبْلِكَ، وَكَانَتْ الْأُمَّمُ السَّالِفَةُ صَلَوَاتُهَا مَفْرُوضَةً عَلَيْهَا فِي ظُلْمِ اللَّيْلِ  
 وَأَنْصَافِ النَّهَارِ، وَهِيَ مِنَ الشَّدَائِدِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ، فَرَفَعْتُهَا عَنْ أُمَّتِكَ وَفَرَضْتُ صَلَاتَهُمْ  
 فِي أَطْرَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَفِي أَوْقَاتِ نَشَاطِهِمْ، وَكَانَتْ الْأُمَّمُ السَّالِفَةُ قَدْ فَرَضْتُ عَلَيْهِمْ  
 خَمْسِينَ صَلَاةً فِي خَمْسِينَ وَقْتًا وَهِيَ مِنَ الْأَصَارِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ، فَرَفَعْتُهَا عَنْ أُمَّتِكَ  
 وَجَعَلْتُهَا خَمْسًا فِي خَمْسَةِ أَوْقَاتٍ، وَهِيَ إِحْدَى وَخَمْسُونَ رُكْعَةً، وَجَعَلْتُ لَهُمْ أَجْرَ خَمْسِينَ  
 صَلَاةً، وَكَانَتْ الْأُمَّمُ السَّالِفَةُ حَسَنَتُهُمْ بِحَسَنَةِ وَسَيِّئَتُهُمْ بِسَيِّئَةِ وَهِيَ مِنَ الْأَصَارِ الَّتِي كَانَتْ

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٦ .

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٦ .

(٣) المثبور: الخائب والخاسر، ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ٩٩/٤، مادة ثبر .

(٤) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

عَلَيْهِمْ، فَرَفَعْتُهَا عَنْ أُمَّتِكَ وَجَعَلْتُ الْحَسَنَةَ بَعْشَرَةَ وَالسَّيِّئَةَ بِوَاحِدَةٍ وَكَانَتِ الْأُمَّمُ السَّالِفَةُ إِذَا نَوَى أَحَدُهُمْ حَسَنَةً فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ لَهُ، وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، وَإِنْ أُمَّتِكَ إِذَا هُمْ أَحَدُهُمْ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرَةٌ، وَهِيَ مِنَ الْأَصَارِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَرَفَعْتُهَا عَنْ أُمَّتِكَ، وَكَانَتِ الْأُمَّمُ السَّالِفَةُ إِذَا هُمْ أَحَدُهُمْ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ، وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ عَلَيْهِ سَيِّئَةٌ، وَإِنْ أُمَّتِكَ إِذَا هُمْ أَحَدُهُمْ بِسَيِّئَةٍ ثُمَّ لَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، وَهَذِهِ مِنَ الْأَصَارِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَرَفَعْتُهَا عَنْ أُمَّتِكَ، وَكَانَتِ الْأُمَّمُ السَّالِفَةُ إِذَا أَدْنَبُوا كُتِبَتْ [ذُنُوبُهُمْ] <sup>(١)</sup> عَلَى أَبْوَابِهِمْ، وَجَعَلْتُ تَوْبَتَهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ: أَنْ حَرَمْتُ عَلَيْهِمْ بَعْدَ التَّوْبَةِ أَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِمْ، وَقَدْ رَفَعْتُ ذَلِكَ عَنْ أُمَّتِكَ وَجَعَلْتُ ذُنُوبَهُمْ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ وَجَعَلْتُ عَلَيْهِمْ سُتُورًا كَثِيفَةً، وَقَبِلْتُ تَوْبَتَهُمْ بِلَا عُقُوبَةٍ، وَلَا أَعَاقِبُهُمْ بِأَنْ أُحَرِّمَ عَلَيْهِمْ أَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِمْ، وَكَانَتِ الْأُمَّمُ السَّالِفَةُ يَتُوبُ أَحَدُهُمْ إِلَى اللَّهِ مِنَ الذَّنْبِ الْوَاحِدِ مِائَةَ سَنَةٍ، أَوْ ثَمَانِينَ سَنَةً، أَوْ خَمْسِينَ سَنَةً، ثُمَّ لَا أَقْبَلُ تَوْبَتَهُ دُونَ أَنْ أَعَاقِبَهُ فِي الدُّنْيَا بِعُقُوبَةٍ، وَهِيَ مِنَ الْأَصَارِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَرَفَعْتُهَا عَنْ أُمَّتِكَ، وَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أُمَّتِكَ لِيُذْنِبُ عِشْرِينَ سَنَةً، أَوْ ثَلَاثِينَ سَنَةً، أَوْ أَرْبَعِينَ سَنَةً، أَوْ مِائَةَ سَنَةٍ، ثُمَّ يَتُوبُ وَيَتَذَمُّ طَرْفَةَ عَيْنٍ فَأَغْفِرَ ذَلِكَ كُلَّهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إِذَا أَعْطَيْتَنِي ذَلِكَ كُلَّهُ فَرِذْنِي، قَالَ: سَلْ، قَالَ: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ <sup>(٢)</sup>، قَالَ تَبَارَكَ اسْمُهُ: قَدْ فَعَلْتُ ذَلِكَ بِأُمَّتِكَ، وَقَدْ رَفَعْتُ عَنْهُمْ عِظَمَ بَلَايَا الْأُمَّمِ، وَذَلِكَ حُكْمِي فِي جَمِيعِ [الْأُمَّمِ] <sup>(٣)</sup>: أَنْ لَا أَكْلِفَ خَلْقًا فَوْقَ طَاقَتِهِمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ <sup>(٤)</sup>، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: قَدْ فَعَلْتُ ذَلِكَ بِتَائِبِي أُمَّتِكَ، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: ﴿فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ <sup>(٥)</sup>، قَالَ اللَّهُ جَلَّ اسْمُهُ: إِنَّ أُمَّتَكَ فِي الْأَرْضِ كَالشَّامَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، هُمْ الْقَادِرُونَ، وَهُمْ الْقَاهِرُونَ، يَسْتَخْدِمُونَ وَلَا يُسْتَخْدَمُونَ؛ لِكِرَامَتِكَ عَلَيَّ، [وَحَقُّ عَلَيَّ أَنْ أُظْهِرَ دِينَكَ عَلَى الْأَدْيَانِ] <sup>(٦)</sup>؛ حَتَّى لَا يَبْقَى فِي شَرْقِ الْأَرْضِ وَغَرْبِهَا دِينَ إِلَّا دِينِكَ، وَيُؤَدُّونَ إِلَى أَهْلِ دِينِكَ الْجَزِيَةَ، قَالَ

(١) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٦ .

(٣) ما بين المعقوفين ليس من الأصل، وما أثبت من المصدر يقتضيه السياق .

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٨٦ .

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٨٦ .

(٦) في الأصل: ولكرامة دينك على الأديان، وما أثبت من المصدر هو الصواب .

اليهودي: فَإِنَّ هَذَا سُلَيْمَانُ سُخِّرَتْ لَهُ الشَّيَاطِينُ ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَتَمَاثِيلٍ﴾<sup>(١)</sup>؟ قَالَ لَهُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَلَقَدْ أُعْطِيَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَفْضَلَ مِنْ هَذَا؛ إِنَّ الشَّيَاطِينَ سُخِّرَتْ لِسُلَيْمَانَ وَهِيَ مُقِيمَةٌ عَلَى كُفْرِهَا، وَلَقَدْ سُخِّرَتْ لِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الشَّيَاطِينُ بِالْإِيمَانِ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ مِنَ الْجَنَّةِ التَّسْعَةَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ، وَاحِدٌ مِنْ جِنِّ نَصِيبِينَ، وَالثَّمَانُ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ مِنَ الْأَحْجَّةِ<sup>(٢)</sup> مِنْهُمْ شِضَاءُ، وَمِضَاءُ، وَالْمَهْلَكَانُ، وَالْمَرْزُبَانُ، وَالْمَأْزَمَانُ، وَنِضَاءُ، وَهَاضِبٌ، وَهَضْبٌ، وَعَمْرُو، وَهُمْ الَّذِينَ يُقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ اسْمُهُ فِيهِمْ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾<sup>(٣)</sup>، وَهُمْ التَّسْعَةُ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ الْجِنُّ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِبَطْنِ النَّحْلِ فَاعْتَدَرُوا بِأَنَّهُمْ ﴿ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾<sup>(٤)</sup>، وَلَقَدْ أَقْبَلَ إِلَيْهِ أَحَدٌ وَسَبْعُونَ أَلْفًا مِنْهُمْ فَبَايَعُوهُ عَلَى: الصَّوْمِ، وَالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَالْجِهَادِ، وَنُصْحِ الْمُسْلِمِينَ، وَاعْتَدَرُوا [٨٢] بِأَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾<sup>(٥)</sup>، وَهَذَا أَفْضَلُ مِمَّا أُعْطِيَ سُلَيْمَانَ، فَسُبْحَانَ مَنْ سَخَّرَهَا لِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ تَتَمَرَّدُ، وَتَزْعُمُ أَنَّ لِلَّهِ وَلَدًا، وَلَقَدْ شَمَلَ مَبْعُثُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ مَا لَا يُحْصَى، قَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: هَذَا يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقَالُ: إِنَّهُ أُوتِيَ الْحُكْمَ صَبِيًّا، وَالْحِلْمَ، وَالْفَهْمَ، وَإِنَّهُ كَانَ يَبْكِي مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ، وَكَانَ يُوَاصِلُ الصَّوْمَ؟ قَالَ لَهُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أُعْطِيَ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؛ إِنَّ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا كَانَ فِي عَصْرِ لَا أُوثَانَ فِيهِ وَلَا جَاهِلِيَّةَ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أُوتِيَ الْحُكْمَ وَالْفَهْمَ صَبِيًّا بَيْنَ عِبْدَةِ الْأَوْثَانِ، وَحِزْبِ الشَّيْطَانِ، فَلَمْ يَرْغَبْ لَهُمْ فِي صَنْمٍ قَطُّ، وَلَمْ يَنْشُطْ لِأَعْيَادِهِمْ، وَلَمْ يَرِ مِنْهُ كَذِبٌ قَطُّ، وَكَانَ أَمِينًا، صَدُوقًا، حَلِيمًا، وَكَانَ يُوَاصِلُ الصَّوْمَ الْأَسْبُوعَ وَالْأَقْلَ وَالْأَكْثَرَ فَيَقَالُ لَهُ فِي ذَلِكَ فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ كَأَحَدِهِمْ، إِنِّي أَظَلُّ عِنْدَ رَبِّي، فَيَطْعُمُنِي، وَيَسْقِينِي، وَكَانَ يَبْكِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَتَّى تَبْتَلَّ مُصَلَّاهُ خَشْيَةً مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ غَيْرِ جُزْمٍ، قَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: فَإِنَّ هَذَا عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ يَزْعُمُونَ: أَنَّهُ تَكَلَّمَ ﴿فِي

(١) سورة سبأ: الآية ١٣ .

(٢) الأحجة: جمع حجيج، أي: الذين يقيمون الحج، ينظر: الصحاح: الجوهري: ٣٠٣، مادة حجج .

(٣) سورة الأحقاف: الآية ٢٩ .

(٤) سورة الجن: الآية ٧ .

(٥) سورة الجن: الآية ٤ .



الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿١﴾؟ قَالَ لَهُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ سَقَطَ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ وَاضِعاً يَدَهُ الْيُسْرَى عَلَى الْأَرْضِ، وَرَافِعاً يَدَهُ الْيُمْنَى إِلَى السَّمَاءِ، يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ بِالتَّوْحِيدِ وَبَدَا مِنْ فِيهِ نُورٌ رَأَى أَهْلُ مَكَّةَ مِنْهُ: قُصُورَ بُصْرَى مِنَ الشَّامِ وَمَا يَلِيهَا، وَالْقُصُورَ الْحُمْرَ مِنْ أَرْضِ الْيَمَنِ وَمَا يَلِيهَا، وَالْقُصُورَ الْبَيْضَ مِنْ إِصْطَخَرَ وَمَا يَلِيهَا، وَلَقَدْ أَضَاءَتِ الدُّنْيَا لَيْلَةَ وُلْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَتَّى فَرَزَعَتِ الْجِنَّ وَالْإِنْسُ وَالشَّيَاطِينُ، وَقَالُوا حَدَّثَ فِي الْأَرْضِ حَدَثٌ، وَلَقَدْ رُئِيَ الْمَلَائِكَةُ لَيْلَةَ وُلْدِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَصْعَدُ، وَتَنْزِلُ، وَتُسَبِّحُ، وَتُقَدِّسُ، وَتَضْطَرِبُ النُّجُومُ وَتَتَسَاقَطُ، عَلَامَةٌ لِمِيلَادِهِ، وَلَقَدْ هَمَّ إِبْلِيسُ بِالظَّنِّ فِي السَّمَاءِ لِمَا رَأَى مِنَ الْأَعَاجِبِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَكَانَ لَهُ مَفْعَدٌ فِي السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ، وَالشَّيَاطِينُ يَسْتَرْفُونَ السَّمْعَ، فَلَمَّا رَأُوا الْعَجَائِبَ أَرَادُوا أَنْ يَسْتَرْفُوا السَّمْعَ، فَإِذَا هُمْ قَدْ حُجِبُوا مِنَ السَّمَاوَاتِ كُلِّهَا، وَرُمُوا بِالشُّهْبِ، جَلَالَةَ لِنُبُوتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، قَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: فَإِنَّ عِيسَى يَزْعُمُونَ: أَنَّهُ خَلَقَ ﴿مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ ﴿٢﴾ فَنَفَخَ فِيهِ فَكَانَ ﴿طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ﴿٣﴾؟ فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَدْ فَعَلَ مَا هُوَ شَبِيهُ لِهَذَا؛ إِذْ أَخَذَ يَوْمَ حُنَيْنٍ حَجْرًا فَسَمِعْنَا لِلْحَجَرِ تَسْبِيحًا وَتَقْدِيسًا، ثُمَّ قَالَ لِلْحَجَرِ: انْفَلِقْ فَاَنْفَلَقَ ثَلَاثَ فَلَاقٍ، نَسَمِعُ لِكُلِّ فَلَاقَةٍ مِنْهَا تَسْبِيحًا لَا يُسْمَعُ لِأُخْرَى، وَلَقَدْ بَعَثَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى شَجَرَةِ يَوْمِ الْبَطْحَاءِ فَأَجَابَتْهُ، وَلِكُلِّ غُصْنٍ مِنْهَا تَسْبِيحٌ وَتَهْلِيلٌ وَتَقْدِيسٌ، ثُمَّ قَالَ لَهَا: انشَقِي، فَاَنْشَقَتْ نِصْفَيْنِ، ثُمَّ قَالَ لَهَا: التَّرْقِي، فَاَلْتَرَقَتْ، ثُمَّ قَالَ لَهَا: اشْهَدِي لِي بِالنُّبُوءَةِ، فَشَهِدَتْ، ثُمَّ قَالَ لَهَا: ارْجِعِي إِلَى مَكَانِكَ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّقْدِيسِ فَفَعَلَتْ، وَكَانَ مَوْضِعُهَا حَيْثُ الْجَزَارِيْنَ بِمَكَّةَ، قَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: فَإِنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَزْعُمُونَ: أَنَّهُ قَدْ أَبْرَأَ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِ اللَّهِ؟ فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أُعْطِيَ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؛ أَبْرَأَ ذَا الْعَاهَةِ مِنْ عَاهَتِهِ، وَبَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِذْ سَأَلَ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ قَدْ صَارَ مِنَ الْبَلَاءِ كَهَيْئَةِ الْفَرْخِ الَّذِي لَا رِيْشَ عَلَيْهِ، فَأَتَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَإِذَا هُوَ كَهَيْئَةِ الْفَرْخِ مِنْ شِدَّةِ الْبَلَاءِ، فَقَالَ لَهُ: قَدْ كُنْتَ تَدْعُو فِي صِحَّتِكَ دُعَاءً؟ قَالَ: نَعَمْ كُنْتُ أَقُولُ: يَا رَبِّ أَيُّمَا عُقُوبَةٍ أَنْتَ مُعَاقِبِي بِهَا

(١) سورة مريم: الآية ٢٩ .

(٢) سورة آل عمران: الآية ٤٩ .

(٣) سورة آل عمران: الآية ٤٩ .



فِي الْأَخِرَةِ فَاجْعَلْهَا لِي فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أَلَا قُلْتَ: اللَّهُمَّ ﴿آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾<sup>(١)</sup>، فَقَالَهَا الرَّجُلُ فَكَأَنَّمَا نَشَطَ مِنْ عِقَالٍ، وَقَامَ صَاحِبًا وَخَرَجَ مَعَنَا، وَلَقَدْ أَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ جُهَيْنَةَ أَجْذَمٌ يَتَّقَعُ مِنَ الْجُدَامِ فَشَكَا إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَأَخَذَ قَدْحًا مِنْ مَاءٍ فَتَقَلَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: امْسَحْ جَسَدَكَ فَفَعَلَ فَبِرًّا حَتَّى لَمْ يُوجَدَ [فِيهِ]<sup>(٢)</sup> شَيْءٌ، وَلَقَدْ أَتَى النَّبِيَّ بِأَعْرَابِيٍّ أَبْرَصَ فَتَقَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ فِيهِ عَلَيْهِ فَمَا قَامَ مِنْ عِنْدِهِ إِلَّا صَاحِبًا، وَلَئِنْ رَعِمْتَ أَنْ عَيْسَى أَبْرَأَ ذَا الْعَاهَاتِ مِنْ عَاهَاتِهِمْ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَيْنَمَا هُوَ فِي أَصْحَابِهِ إِذْ هُوَ بِامْرَأَةٍ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ ابْنِي قَدْ أَشْرَفَ عَلَى حِيَاضِ الْمَوْتِ كُلَّمَا أَتَيْتُهُ بِطَعَامٍ وَقَعَ عَلَيْهِ التَّثَاؤُبُ، فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَفُئِمْنَا مَعَهُ فَلَمَّا أَتَيْنَاهُ قَالَ لَهُ: جَانِبِ يَا عَدُوَّ اللَّهِ وَوَلِيَّ اللَّهِ، فَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ، فَجَانِبُهُ الشَّيْطَانُ فَقَامَ صَاحِبًا وَهُوَ مَعَنَا فِي عَسْكَرِنَا، وَلَئِنْ رَعِمْتَ أَنْ عَيْسَى أَبْرَأَ الْعُمَيَّانَ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ فَعَلَ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ: إِنَّ قَتَادَةَ بْنَ رَيْعٍ كَانَ رَجُلًا صَاحِبًا، فَلَمَّا أَنْ كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ أَصَابَتْهُ طَعْنَةٌ فِي عَيْنِهِ فَبَدَرَتْ [حَدَقَتْهُ]<sup>(٣)</sup>، فَأَخَذَهَا بِيَدِهِ ثُمَّ [٨٣] أَتَى بِهَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ امْرَأَتِي الْآنَ تُبْغِضُنِي، فَأَخَذَهَا رَسُولُ اللَّهِ مِنْ يَدِهِ ثُمَّ وَضَعَهَا مَكَانَهَا فَلَمْ تَكُنْ تُعْرِفُ إِلَّا بِفَضْلِ حُسْنِهَا وَفَضْلِ صَوْنِهَا عَلَى الْعَيْنِ الْأُخْرَى، وَلَقَدْ جُرِحَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبِيدٍ<sup>(٤)</sup> وَبَانَتْ يَدُهُ يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَمَسَحَ عَلَيْهِ يَدَهُ فَلَمْ تَكُنْ تُعْرِفُ مِنَ الْيَدِ الْأُخْرَى، وَلَقَدْ أَصَابَ مُحَمَّدَ بْنَ مُسْلِمٍ يَوْمَ كَعْبِ بْنِ أَشْرَفٍ<sup>(٥)</sup> مِثْلُ ذَلِكَ فِي عَيْنِهِ وَيَدِهِ، فَمَسَحَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَلَمْ تَسْتَبِينَا، وَلَقَدْ

(١) سورة البقرة: الآية ٢٠١ .

(٢) في المصدر: عَلَيْهِ .

(٣) ما بين المعقوفين ليس من الأصل.

(٤) والأصوب هو: عبد الله بن عتيك، بدري، من أصحاب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ينظر: رجال الطوسي:

الطوسي: ٧٢، نقد الرجال: التقرشي: ١٢١/٣ .

(٥) هو (أحد بني النضير أو فيهم) قد أدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجاء وركب إلى قريش فاستغواهم، وقال له أبو سفيان وهو بمكة: أناشدك أدينا أحب إلى الله أم دين محمد وأصحابه، وأينا أهدى في رأيك وأقرب إلى الحق؟ إنا نطعم الجوزور الكوماء ونسقي اللبن على الماء ونطعم ما هبت الشمال. فقال له كعب بن الأشرف: أنتم أهدى منهم سبيلاً. قال فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ألم تر إلى الذين أتونا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً\* أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله قلن تجد له نصيراً﴾، [سورة النساء:

أَصَابَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ أَنَيْسٍ مِثْلُ ذَلِكَ فِي عَيْنِهِ، فَمَسَحَهَا فَمَا عُرِفَتْ مِنَ الْأُخْرَى، فَهَذِهِ كُلُّهَا دَلَالَةٌ لِنُبُوتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، قَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: فَإِنَّ عَيْسَى يَزْعُمُونَ: أَنَّهُ أَحْيَا ﴿الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>؟ قَالَ لَهُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَمُحَمَّدٌ سَبَحَتْ فِي يَدِهِ تِسْعُ حَصِيَّاتٍ تُسْمَعُ نَغَمَاتُهَا فِي جُمُودِهَا، وَلَا رُوحَ فِيهَا لِتَمَامِ حُجَّةِ نُبُوتِهِ، وَلَقَدْ كَلَّمَهُ الْمَوْتَى مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِمْ، وَاسْتَعَاثُوهُ مِمَّا خَافُوا تَبِعَتَهُ، وَلَقَدْ صَلَّى بِأَصْحَابِهِ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: مَا هَاهُنَا مِنْ بَنِي النَّجَارِ أَحَدٌ وَصَاحِبُهُمْ مُحْتَبَسٌ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ بِثَلَاثَةِ دَرَاهِمٍ لِفُلَانِ الْيَهُودِيِّ، وَكَانَ شَهِيدًا، وَلَئِنْ زَعَمْتَ أَنَّ عَيْسَى كَلَّمَ الْمَوْتَى فَلَقَدْ كَانَ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَا هُوَ أَعْجَبُ مِنْ هَذَا: إِنَّ النَّبِيَّ لَمَّا نَزَلَ بِالطَّائِفِ وَحَاصَرَ أَهْلَهَا، بَعَثُوا إِلَيْهِ بِشَاةٍ مَسْلُوحَةٍ مَطْلِيَّةٍ بِسِمٍّ، فَنَطَقَ الدِّرَاعُ مِنْهَا فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا تَأْكُلْنِي فَإِنِّي مَسْمُومَةٌ، فَلَوْ كَلَّمْتَهُ الْبَهِيمَةَ وَهِيَ حَيَّةٌ لَكَانَتْ مِنْ أَعْظَمِ حُجَجِ اللَّهِ عَلَى الْمُنْكَرِينَ لِنُبُوتِهِ، فَكَيْفَ وَقَدْ كَلَّمْتَهُ مِنْ بَعْدِ ذَبْحِ وَسَلْخِ وَشَيْ<sup>(٢)</sup>! وَلَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَدْعُو بِالشَّجَرَةِ فَنُحِيبُهُ، وَتُكَلِّمُهُ الْبَهِيمَةَ، وَتُكَلِّمُهُ السَّبَاعُ، وَتَشْهَدُ لَهُ بِالنُّبُوَّةِ، وَتُحَدِّرُهُمْ عِصْيَانَهُ، فَهَذَا أَكْثَرُ مِمَّا أُعْطِيَ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: إِنَّ عَيْسَى يَزْعُمُونَ: أَنَّهُ أَنْبَأَ قَوْمَهُ بِمَا يَأْكُلُونَ وَمَا يَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِهِمْ؟ قَالَ لَهُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَمُحَمَّدٌ كَانَ لَهُ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا؛ إِنَّ عَيْسَى أَنْبَأَ قَوْمَهُ بِمَا كَانَ مِنْ وَرَاءِ الْحَائِطِ وَمُحَمَّدٌ أَنْبَأَ عَنْ مُؤْتَةٍ<sup>(٣)</sup> وَهُوَ عَنْهَا غَائِبٌ وَوَصَفَ حَرْبَهُمْ وَمَنْ اسْتَشْهَدَ مِنْهُمْ وَبَيْنَهُمْ مَسِيرَةٌ شَهْرٍ، وَكَانَ يَأْتِيهِ الرَّجُلُ يُرِيدُ أَنْ يَسْأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَيَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: تَقُولُ أَوْ أَقُولُ؟ فَيَقُولُ: بَلْ قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَيَقُولُ: جِئْتَنِي فِي كَذَا وَكَذَا حَتَّى يَفْرُعَ مِنْ حَاجَتِهِ، وَلَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يُخْبِرُ أَهْلَ مَكَّةَ بِأَسْرَارِهِمْ بِمَكَّةَ حَتَّى لَا يَتْرُكُ مِنْ أَسْرَارِهِمْ شَيْئًا، مِنْهَا: مَا كَانَ بَيْنَ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ وَبَيْنَ عُمَيْرِ بْنِ وَهَبٍ، إِذْ أَنَاهُ عُمَيْرٌ فَقَالَ: جِئْتُ فِي فَكَالِكَ ابْنِي فَقَالَ لَهُ: كَذِبْتَ بَلْ قُلْتُ لَصَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ وَقَدْ اجْتَمَعْتُمْ

الآية ٥١ - ٥٢]، (وقدم المدينة يُعلن بالعداوة ويُحرض الناس على الحرب ولم يخرج من مكة حتى أجمع أمرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)، البداية والنهاية: ابن كثير: ٦/٤ .

(١) سورة آل عمران: الآية ٤٩ .

(٢) شَيء: أي: من بعد ما صار مشويًا مطبوخًا، ينظر: مقاييس اللغة: ابن فارس: ٢٢٤/٣، مادة شوي .

(٣) مُؤْتَةٌ: (قرية من قرى البلقاء في حدود الشام، وقيل: مؤتة من قرى البلقاء في حدود الشام، وقيل: مؤتة من مشارف الشام وبها كانت تطبع السيوف وإليها تنسب المشرفية من السيوف)، (بها قبر جعفر ابن أبي طالب)، معجم البلدان: ياقوت الحموي: ٢٢٠/٥ .

فِي الْحَظِيمِ وَذَكَرْتُمْ قَتْلِي بَدْرٍ وَقُلْتُمْ: وَاللَّهِ لَلْمَوْتُ أَهْوَنُ عَلَيْنَا مِنَ الْبَقَاءِ مَعَ مَا صَنَعَ مُحَمَّدٌ بِنَا، وَهَلْ حَيَاةٌ بَعْدَ أَهْلِ الْقَلِيبِ، فَقُلْتَ أَنْتَ: لَوْلَا عِيَالِي، وَدَيْنُ عَلِيٍّ لِأَرْحُكَ مِنْ مُحَمَّدٍ، فَقَالَ صَفْوَانُ: عَلِيٌّ أَنْ أَقْضِيَ دَيْنَكَ، وَأَنْ أَجْعَلَ بَنَاتِكَ مَعَ بَنَاتِي يُصِيبُهُنَّ مَا يُصِيبُهُنَّ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، فَقُلْتَ أَنْتَ: فَاکْتُمَهَا عَلِيٍّ وَجَهْرُنِي حَتَّى أَذْهَبَ فَأَقْتُلَهُ، فَجِئْتَ لِقَتْلِي، فَقَالَ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّا أَشْهَدُ: أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَشْبَاهُ هَذَا مِمَّا لَا يُحْصَى، قَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: فَإِنَّ عَيْسَى يَزْعُمُونَ: أَنَّهُ كَانَ سَيَّاحًا؟ قَالَ لَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ، وَمُحَمَّدٌ كَانَتْ سِيَاحَتُهُ فِي الْجِهَادِ، وَاسْتَنْفَرَ فِي عَشْرِ سِنِينَ مَا لَا يُحْصَى مِنْ حَاضِرٍ وَبَادٍ، وَأَفْنَى فِنَامًا<sup>(١)</sup> مِنَ الْعَرَبِ، مِنْ مَنْعُوتٍ بِالسَّيْفِ لَا يُدَارِي بِالْكَلامِ وَلَا يَتَأَمَّرُ إِلَّا عَنْ دَمٍ، وَلَا يُسَافِرُ إِلَّا وَهُوَ مُتَجَهِّزٌ لِقِتَالِ عَدُوِّهِ، قَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: فَإِنَّ عَيْسَى يَزْعُمُونَ: أَنَّهُ كَانَ زَاهِدًا؟ قَالَ لَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَرْهَدُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: كَانَ لَهُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ زَوْجَةً سِوَى مَنْ يُطِيفُ بِهِ مِنَ الْإِمَاءِ، مَا رُفِعَتْ لَهُ مَائِدَةٌ قَطُّ وَعَلَيْهَا طَعَامٌ، وَلَا أَكَلَ خُبْزَ بُرٍّ قَطُّ، وَلَا شَبِعَ مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ ثَلَاثَ لَيَالٍ مُتَوَالِيَاتٍ قَطُّ، تُؤْفَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِأَرْبَعَةِ دَرَاهِمٍ، مَا تَرَكَ صَفْرَاءً وَلَا بَيْضَاءً مَعَ مَا وَطِئَ لَهُ<sup>(٢)</sup> مِنَ الْبِلَادِ، وَمُكِّنَ لَهُ مِنْ غَنَائِمِ الْعِبَادِ، وَلَقَدْ كَانَ يُقْسِمُ فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ الثَّلَاثِمِائَةَ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةَ أَلْفٍ وَيَأْتِيهِ [السَّائِلُ]<sup>(٣)</sup> بِالْعَشِيِّ فَيَقُولُ: وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ مَا أَمْسَى فِي آلِ مُحَمَّدٍ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ، وَلَا صَاعٌ مِنْ بُرٍّ، وَلَا دِرْهَمٌ وَلَا دِينَارٌ، قَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَأَشْهَدُ أَنَّهُ مَا أُعْطِيَ اللَّهُ نَبِيًّا دَرَجَةً وَلَا مُرْسَلًا فَضِيلَةً إِلَّا وَقَدْ جَمَعَهَا لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَزَادَ مُحَمَّدًا عَلَى الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ أضعافَ ذَلِكَ دَرَجَاتٍ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَشْهَدُ يَا أَبَا الْحَسَنِ أَنَّكَ مِنَ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ، فَقَالَ: وَيْحَكَ وَمَا لِي لَا أَقُولُ مَا قُلْتُ فِي نَفْسِي مَنْ اسْتَعْظَمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي عَظَمَتِهِ [٨٤] فَقَالَ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(٤)</sup> (١).

(١) الفئام - بالكسر مهموزاً -: الجماعة الكثيرة وقد فسر في بعض الأخبار بمائة ألف، ينظر: لسان العرب: ابن منظور:

٤٤٨/١٢، مادة فأم .

(٢) وَطِئَ لَهُ: مهد وذلل ويسر، ينظر: مقاييس اللغة: ابن فارس: ٣٤٥/٢، مادة ذل .

(٣) ما بين المعقوفين ليس من الأصل، وما أثبت من المصدر يقتضيه السياق .

(٤) سورة القلم: الآية ٤ .

وفي أصول الكافي "عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ مِثْنَى الْحَنَاطِ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقُلْتُ لَهُ: أَنْتُمْ وَرِثَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَارِثُ الْأَنْبِيَاءِ عِلْمَ كُلِّ مَا عَلِمُوا: قَالَ لِي: نَعَمْ، قُلْتُ: فَأَنْتُمْ تَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ تُحْيُوا الْمَوْتَى وَتُبْرِئُوا الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ؟ قَالَ: نَعَمْ بِإِذْنِ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ لِي: ادْنُ مِنِّي يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَمَسَحَ عَلَيَّ وَجْهِي وَعَلَى عَيْنَيَّ فَأَبْصَرْتُ الشَّمْسَ وَالسَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَالنُّبُوتَ وَكُلَّ شَيْءٍ فِي الْبَلَدِ، ثُمَّ قَالَ لِي: أَتُحِبُّ أَنْ تَكُونَ هَكَذَا وَلَكَ مَا لِلنَّاسِ وَعَلَيْكَ مَا عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْ تَعُودَ كَمَا كُنْتَ وَلَكَ الْجَنَّةُ خَالِصًا؟ قُلْتُ: أَعُودُ كَمَا كُنْتُ، فَمَسَحَ عَلَيَّ عَيْنَيَّ فَعُدْتُ كَمَا كُنْتُ، قَالَ: فَحَدَّثْتُ ابْنَ أَبِي عُمَيْرٍ بِهَذَا، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ هَذَا حَقٌّ كَمَا أَنَّ النَّهَارَ حَقٌّ" (٢).

وفي كتاب التَّوْحِيدِ فِي بَابِ مَجْلِسِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ أَهْلِ الْأَدْيَانِ وَالْمَقَالَاتِ "قَالَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَسَأَلُوهُ أَنْ يُحْيِيَ لَهُمْ مَوْتَاهُمْ، فَوَجَّهَ مَعَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ: أَذْهَبَ إِلَى الْجَبَانَةِ فَنَادِ بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ الرَّهْطِ الَّذِينَ يَسْأَلُونَ عَنْهُمْ بِأَعْلَى صَوْتِكَ يَا فُلَانُ وَيَا فُلَانُ وَيَا فُلَانُ يَقُولُ لَكُمْ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: فُومُوا بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، [فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَلِكَ] (٣) فَقَامُوا يَنْفُضُونَ التُّرَابَ عَنْ رُؤُوسِهِمْ، فَأَقْبَلَتْ قُرَيْشٌ تَسْأَلُهُمْ عَنْ أُمُورِهِمْ، ثُمَّ أَخْبَرُوهُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا قَدْ بُعِثَ نَبِيًّا، وَقَالُوا: وَدِدْنَا أَنَّا أَدْرَكْنَاهُ فَنُؤْمِنُ بِهِ، [قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:] (٤) وَلَقَدْ أَبْرَأَ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَالْمَجَانِينَ، وَكَلَّمَهُ الْبَهَائِمُ، وَالطَّيْرُ، وَالْحِجْنُ، وَالشَّيَاطِينَ، وَلَمْ نَتَّخِذْهُ رَبًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ" (٥) الحديث.

وقوله تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ﴾، قَدْ مَرَّ أَنَّهُ حَالَ مِنْ فَاعِلٍ جِئْتُكُمْ الْمُقَدَّرَ بِدَلَالَةِ مَا قَبْلَهُ، وَالتَّقْدِيرُ وَالْمَعْنَى يَقُولُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: وَجِئْتُكُمْ ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ﴾، أَي: لِمَا أَنْزَلَ قَبْلِي ﴿مِنَ التَّوْرَةِ﴾ وَمَا فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ، وَمِنْ

- (١) الاحتجاج: الطبرسي: ٣١٤ - ٣٣٥، مع تقديم وتأخير يسير في بعض الفقرات .  
 (٢) الكافي: الكليني: ١/٤٧٠/٣، بَابُ مَوْلِدِ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ .  
 (٣) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .  
 (٤) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .  
 (٥) التَّوْحِيدُ: الصدوق: ٤٢٣ .

البشارة بي ومن أرسل قبلي من الأنبياء<sup>(١)</sup>، ومن يُرسل بعدي من هو خاتم الأنبياء والأوصياء.

﴿وَلأَحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾، تَعْلِيلٌ مُتَعَلِّقٌ بِعَامِلٍ مُصَدِّقًا، أَي: وَجِئْتُكُمْ لِأَحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ فِي شَرِيعَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا كُلَّهُ كَالشُّحُومِ وَالثُّرُوبِ وَالسَّمَكِ وَبَعْضِ الطُّيُورِ وَلُحُومِ الإِبِلِ وَالْعَمَلِ فِي السَّبْتِ<sup>(٢)</sup>، وَمَا قَالَهُ فِي الْمَجْمَعِ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَلأَحِلَّ لَكُمْ﴾، مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿مُصَدِّقًا﴾، بِحَسَبِ الْمَعْنَى<sup>(٣)</sup>، (وَتَقْدِيرُهُ: وَلأَصْدَقَ لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ، وَلأَحِلَّ لَكُمْ، كَمَا تَقُولُ: جِئْتُهُ مُعْتَذِرًا وَلأَجْتَلِبَ [إِحْسَانَهُ]<sup>(٤)</sup>)<sup>(٥)</sup>، فَهُوَ رَاجِعٌ إِلَى مَا قُلْنَاهُ.

ذكر ما قاله أبو عبيدة والزجاج وما هو الحق من القولين:

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: عَنِ بَقْوَلِهِ: ﴿الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ كُلِّ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ، وَاسْتَشْهَدَ لِكَوْنِ الْبَعْضِ بِمَعْنَى الْكُلِّ<sup>(٦)</sup> بِقَوْلِ لَبِيدٍ<sup>(٧)</sup>:

(تَرَكَ أَمَكِنَةً إِذَا لَمْ أَرْضَهَا  
أَوْ يَعْتَلِقُ بَعْضَ النُّفُوسِ حِمَامُهَا)<sup>(٨)</sup>

(قَالَ: مَعْنَاهُ أَوْ يَعْتَلِقُ كُلَّ النُّفُوسِ حِمَامُهَا، وَأَنْكَرَ الرَّجَّاجُ ذَلِكَ، وَقَالَ: مَعْنَاهُ أَوْ يَعْتَلِقُ نَفْسِي حِمَامُهَا، وَخَطَأً أَبَا عُبَيْدَةَ مِنْ وَجْهَيْنِ، أَحَدُهُمَا: إِنَّ الْبَعْضَ لَا يَكُونُ بِمَعْنَى الْكُلِّ، وَالثَّانِي: إِنَّهُ لَا يَجُوزُ تَحْلِيلُ جَمِيعِ الْمُحَرَّمَاتِ؛ لِأَنَّهُ يَدْخُلُ الْكُذْبُ وَالظُّلْمُ)<sup>(٩)</sup> وَالزَّنَا وَالْقَتْلُ وَنِكَاحُ الْمَحَارِمِ الْمُحَرَّمَةِ وَنَحْوَهَا فِي ذَلِكَ، مَعَ أَنَّهُ لَمْ يُحَلِّ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فِي شَرِيعَةِ مَنْ الشَّرَائِعِ، فَمَا قَالَهُ الرَّجَّاجُ هُوَ الْحَقُّ.

(١) ينظر: مجمع البيان: الطبرسي: ٣٠١/٢.

(٢) ينظر: أنوار التنزيل: البيضاوي: ١٨/٢، زبدة التفاسير: فتح الله الكاشاني: ٤٩٠/١.

(٣) ينظر: مجمع البيان: الطبرسي: ٣٠١/٢.

(٤) في المصدر: عطفه.

(٥) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٠١/٢.

(٦) ينظر: المصدر نفسه: ٣٠١/٢.

(٧) (لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن زبيدة بن عامر بن صعصعة الشاعر، ويكنى أبا عقيل، قديم على رسول الله ص فأسلم ورجع إلى بلاد قومه ثم هاجر إلى الكوفة فنزلها ومعه بنون له، ومات بها)، الطبقات الكبرى: ابن سعد: ١٠٧/٦.

(٨) ديوان لبيد: لبيد بن ربيعة: ١١٣.

(٩) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٠١/٢.

وفي تفسير العياشي "عَنْ مُحَمَّدِ الْحَلْبِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: كَانَ بَيْنَ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرْبَعُمِائَةِ سَنَةٍ، وَكَانَ شَرِيعَةُ عِيسَى أَنَّهُ بُعِثَ بِالتَّوْحِيدِ وَالْإِخْلَاصِ، وَبِمَا أَوْصَى بِهِ نُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَأُنزِلَ عَلَيْهِ الْإِنْجِيلُ، وَأُخِذَ عَلَيْهِ الْمِيثَاقُ الَّذِي أُخِذَ عَلَى النَّبِيِّينَ، وَشُرِّعَ لَهُ فِي الْكِتَابِ إِقَامُ الصَّلَاةِ مَعَ الدِّينِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَحْرِيمُ الْحَرَامِ، وَتَحْلِيلُ الْحَلَالِ، وَأُنزِلَ عَلَيْهِ فِي الْإِنْجِيلِ مَوَاعِظُ وَأَمْثَالٌ وَلَيْسَ فِيهَا قِصَاصٌ وَلَا أَحْكَامٌ حُدُودٍ، وَلَا فَرَضٌ مَوَارِيثَ، وَأُنزِلَ عَلَيْهِ تَخْفِيفُ مَا كَانَ نَزَلَ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي التَّوْرَةِ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ فِي الَّذِي قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿وَلَا جِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾، وَأَمَرَ عِيسَى مَنْ مَعَهُ مِمَّنِ اتَّبَعَهُ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِشَرِيعَةِ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ" (١).

وَفِي قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ لِلرَّوَنْدِيِّ "عَنْ الْحَلْبِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: كَانَ بَيْنَ دَاوُدَ وَعِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَرْبَعُمِائَةِ سَنَةٍ وَتَمَانُونَ سَنَةً، وَأُنزِلَ عَلَى عِيسَى فِي الْإِنْجِيلِ مَوَاعِظُ وَأَمْثَالٌ وَحُدُودٌ" (٢) إِلَى آخِرِهِ.

﴿وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، أَي: بِحُجَّةٍ أُخْرَى أَلْهَمْنِيهَا رَبُّكُمْ غَيْرَ مَا مَرَّ شَاهِدَةٍ عَلَى صِدْقِي وَصَحَّةِ نُبُوتِي، وَهُوَ أَنِّي عَبْدُ اللَّهِ، وَأَنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ، وَمَالِكِي وَمَالِكُكُمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ دَعْوَةُ الْحَقِّ الْمُجْمَعِ عَلَيْهَا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ الْفَارِقِ بَيْنَ النَّبِيِّ وَالسَّاجِرِ، فَلَا تَنْسُبُونِي كَمَا قَالَتْهُ النَّصَارَى: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ (٣)، وَقَالَتْهُ أَيْضًا طَائِفَةٌ أُخْرَى مِنْهُمْ: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (٤)، وَأُخْرَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ (٥)، وَمَا بَيْنَهُمَا (٦)، أَعْنِي قَوْلَهُ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَوْسِيَاءَهُ﴾، اعْتِرَاضٌ فَلَا تَكَرَّرَ حِينَئِذٍ، وَقَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ إِنَّمَا كَرَّرَ قَوْلَهُ: ﴿وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾؛ (لِأَنَّ الْأَوَّلَ كَانَ تَمْهِيدًا لِلْحُجَّةِ، وَالثَّانِي تَقْرِيبًا لِلْحُكْمِ، وَلِهَذَا رَتَّبَ عَلَيْهِ مَا بَعْدَهُ

(١) تفسير العياشي: العياشي: ١٧٥/١ .

(٢) قصص الأنبياء: الراوندي: ٢٦٦ .

(٣) سورة التوبة: الآية ٣٠ .

(٤) سورة المائدة: الآية ١٧ و ٧٢ .

(٥) سورة المائدة: الآية ٧٣ .

(٦) ومنه في حاشية الأصل: أي: بين قوله: ﴿وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، وبين قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ .



بِالْفَاءِ<sup>(١)</sup>، أعني: قوله: ﴿فَانفُوا اللَّهَ﴾، في مُخَالَفَتِهِ وَمُخَالَفَتِي وَتَكْذِيبِي؛ (لَمَّا جِئْتُكُمْ بِالْمُعْجَزَاتِ الْقَاهِرَةِ وَالآيَاتِ الْبَاهِرَةِ)<sup>(٢)</sup>، ﴿وَأَطِيعُونَ﴾ فِيمَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ وَأْمُرْكُمْ بِهِ.

﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾، [٨٥] أَي: مَالِكِي وَمَالِكِكُمْ، وَأَنَا وَأَنْتُمْ مَرْبُوبُونَ، وَلَسْتُ رَبًّا وَلَا إِلَهًا لَكُمْ، وَلَا ابْنَ إِلَهٍ، وَلَا ثَالِثَ ثَلَاثَةٍ، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ رَدًّا عَلَى النَّصَارَى فِي قَوْلِهِمْ: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾، وَقَوْلِهِمْ: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾، وَقَوْلِهِمْ: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾، وَالْمَعْنَى: لَا تَنْسُبُونِي إِلَيْهِ تَعَالَى؛ فَإِنِّي عَبْدٌ لَهُ تَعَالَى كَمَا أَنْتُمْ عِبِيدٌ لَهُ، وَلَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِلَّا أَنِّي نَبِيُّ اللَّهِ وَرَسُولُهُ إِلَيْكُمْ قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ وَمُعْجَزَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، وَلَأُبَيِّنَ لَكُمْ الْحَقَّ، وَلَأَتِمَّ الْحُجَّةَ عَلَيْكُمْ، فَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى اسْتِكْمَالِ الْعِلْمِ وَالْقُوَّةِ النَّظَرِيَّةِ؛ بِالْاِعْتِقَادِ الْحَقِّ الَّذِي غَايَتُهُ التَّوْحِيدُ.

﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ وَخَدَهُ؛ إِشَارَةٌ إِلَى اسْتِكْمَالِ الْقُوَّةِ الْعَمَلِيَّةِ؛ بِمَلَازِمَةِ الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ الَّتِي هِيَ الْإِتْيَانُ بِالْأَوْامِرِ وَالْإِنْتِهَاءُ عَنِ الْمَنَاهِي، وَإِيمَاءٌ إِلَى أَنَّ الْإِيمَانَ وَالتَّوْحِيدَ، وَالْاِعْتِقَادَ الْحَقَّ لَا يَتَحَقَّقُ وَلَا يُنْمَرُ إِلَّا بِالْعَمَلِ، وَبِأَدَاءِ مُضْدَاقَاتِهِ، وَالْعَمَلِ بِشَرَائِطِهِ كَمَا مَرَّ فِي آيَةِ ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾، وَهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنْ شَرَائِطِهِ أَيْضًا، ثُمَّ قَرَّرَ ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾، أَي: الْجَمْعُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ، وَهُمَا: مَعْرِفَةُ اللَّهِ وَتَوْحِيدُهُ وَكُونُهُ رَبًّا لِي وَلَكُمْ، وَعِبَادَتُهُ بِالْإِخْلَاصِ وَعَدَمِ إِشْرَاكِ أَحَدٍ مَعَهُ مَعَ شَرَائِطِهِمَا هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَالطَّرِيقُ الْمَشْهُودُ لَهُ بِالْاِسْتِقَامَةِ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الطَّرِيقِ.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ\* رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ\* وَمَكْرُوهَا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup> ثلاث آيات. اللغة:

الإحساس: الإدراك بإحدى الحواس<sup>(٤)</sup>، والحس: القتل<sup>(٥)</sup>؛ لِأَنَّهُ يَحْسُ بِالْمِهِ، وَالْحِسُّ: الْعَطْفُ؛ لِإِحْسَاسِ الرِّقَّةِ عَلَى صَاحِبِهِ<sup>(٦)</sup>.

(١) التفسير الصافي: الفيض الكاشاني: ٣٣٩/١ .

(٢) زبدة التفاسير: فتح الله الكاشاني: ٤٩٠/١ .

(٣) سورة آل عمران: الآية ٥٢ - ٥٤ .

(٤) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ٤٩/٦، مادة حسس .

(٥) ينظر: الصحاح: الجوهري: ٩١٧/٣، مادة حسس .

(٦) ينظر: المصدر نفسه: ٩١٧/٣، مادة حسس .



وَالْأَنْصَارُ: جَمْعُ نَصِيرٍ كَشَرِيفٍ وَأَشْرَافٍ، أَوْ جَمْعُ نَاصِرٍ كَطَاهِرٍ وَأَطْهَارٍ، وَصَاحِبٍ وَأَصْحَابٍ<sup>(١)</sup>، وَالْحَوَارِيُّ مِنَ الْحُورِ وَهُوَ شِدَّةُ الْبَيَاضِ فِي الثَّوْبِ وَغَيْرِهِ<sup>(٢)</sup>، وَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ حِلْزَةَ<sup>(٣)</sup>:

فَقُلْ لِلْحَوَارِيَّاتِ يَبْكِينَ غَيْرِنَا وَلَا تَبْكِنَا إِلَّا الْكِلَابُ النَّوَابِجُ<sup>(٤)</sup>.

يَعْنِي: النِّسَاءَ لِشِدَّةِ بَيَاضِهِنَّ<sup>(٥)</sup>، (وَالشَّاهِدُ: هُوَ الْمُخْبِرُ بِالشَّيْءِ عَن مَشَاهِدَةٍ هَذَا حَقِيقَتُهُ)<sup>(٦)</sup>، وَقَدْ يُتَوَسَّعُ فِيهِ، (فَيُقَالُ: البُرْهَانُ شَاهِدٌ بِحَقِّ، أَي: هُوَ بِمَنْزِلَةِ الْمُخْبِرِ بِهِ عَن مَشَاهِدَةٍ)<sup>(٧)</sup>.

### الفرق بين المكر والحيلة:

وَالْمَكْرُ: الِاتِّفَاتُ، وَالْحِيَلَةُ أَعَمُّ مِنْهُ؛ لِأَنَّ الْحِيَلَةَ قَدْ تَكُونُ لِإِظْهَارِ مَا تَعَسَّرَ مِنَ الْفِعْلِ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ إِلَى الْإِضْرَارِ بِالْعَبْدِ، وَالْمَكْرُ حِيَلَةٌ عَلَى الْعَبْدِ تَوَقُّعُهُ فِي الْأَمْرِ<sup>(٨)</sup>، فِي الْأَمْرِ الْمُضِرِّ كَالْوَهْقِ وَالْقَتْلِ غِيْلَةً.

### الإعراب:

﴿إِلَى اللَّهِ﴾ بِمَعْنَى مَعَ اللَّهِ، وَأَفَادَ مَفَادَهُ فَيَكُونُ حَالًا، أَوْ بِمَعْنَى فِي، أَوْ اللَّامُ، أَي: مَنْ أَنْصَارِي فِي اللَّهِ أَوْ لِلَّهِ أَوْ بِمَعْنَاهَا الْأَصْلِي عَلَى أَنْصَارِي مَعْنَى الْإِضَافَةِ، فَعَلَى هَذِهِ الْأَوْجُهَةِ الثَّلَاثَةِ يَكُونُ مُتَعَلِّقًا بِأَنْصَارِي.

(١) ينظر: المصباح المنير: الفيومي: ٦٠٧/٢، مادة نصر .

(٢) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ٢١٩/٤، مادة حور .

(٣) هو(الحارث بن حلزة بن مكروه بن يزيد بن عبد الله بن مالك بن عبد بن سعد بن جشم بن ذبيان بن كنانة بن يشكر بن بكر بن وائل، شاعر جاهلي مشهور وصاحب إحدى المعلقات في الجاهلية هو يقابل عمرو بن كلثوم الشاعر الآخر ينتميان إلى وائل)، شرح المعلقات التسع: الشيباني: ٣٥٢، شرح المعلقات السبع: الزُّورَنِي: ٢٦٧ .

(٤) وهذا البيت ليس للحارث بن حلزة؛ بل هو لأبي جلدة بن عبيد بن منفذ البشكري، والذي عرف عنه بأنه شاعر خبيث اللسان، وكان من خواص الحجاج الثقفي، لكنه خرج عليه مع ابن الأشعث فقتله الحجاج، ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس: ابن الأنباري: ٢٨/١، البداية والنهاية: ابن كثير: ٥٩/٩ .

(٥) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ١٩/٤، مادة حور .

(٦) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٠٢/٢، القاموس المحيط: الفيروزآبادي: ٢٩٢، مادة شهد .

(٧) التبيان: الطوسي: ٤٧٥/٢، ينظر: المصباح المنير: الفيومي: ٣٢٤/١، مادة شهد .

(٨) ينظر: الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري: ٢٦٠/١، الفرق بين الحيلة والمكر .

المعنى:

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ﴾، أي: سَمِعَ وَأَبْصَرَ وَرَأَى وَوَجَدَ وَعَلِمَ عَلِمًا لَا شُبْهَةَ فِيهِ كَعِلْمِ مَا يُدْرِكُ بِالْحَوَاسِ، ﴿عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ﴾.

وفي تفسير العياشي عن ابن أبي عمير، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام: في قول الله: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ﴾، أي: لَمَّا سَمِعَ وَرَأَى أَنَّهُمْ يَكْفُرُونَ<sup>(١)</sup> الحديث، يعني: أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا رَأَى وَسَمِعَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكُفْرَ وَأَنَّهَمْ لَا يَزِيدُونَ إِلَّا إِضْرَارًا عَلَى الْكُفْرِ، وَإِلَّا عَزَمًا عَلَى قَتْلِهِ بَعْدَ ظُهُورِ الْآيَاتِ الْبَاهِرَاتِ وَالْمُعْجَزَاتِ الْقَاهِرَاتِ، (امْتَحَنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ قَوْمِهِ بِالسُّؤَالِ وَالتَّعْرِيفِ عَمَّا فِي اعْتِقَادِهِمْ [مِنَ الْحَقِّ]<sup>(٢)</sup> وَمِنْ نُصْرَتِهِ)<sup>(٣)</sup>.

﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾، أي: (مَنْ أَعْوَانِي عَلَى هَوْلَاءِ الْكُفَّارِ، مَعَ مَعُونَةِ اللَّهِ)<sup>(٤)</sup>، أَوْ مُلْتَجًا إِلَى اللَّهِ أَوْ ذَاهِبًا إِلَيْهِ أَوْ ضَامًا إِلَيْهِ أَوْ مِنَ الَّذِينَ يَضِيفُونَ أَنْفُسَهُمْ إِلَى اللَّهِ فِي نُصْرَتِي، وَإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَى هَوْلَاءِ الْكُفَّارِ؛ لِيَتَمَيَّزَ الْمُوَافِقُ وَالْمُخَالِفُ، وَمَنْ يَكُونُ أَنْصَارِي فِي اللَّهِ أَوْ لِلَّهِ فِي إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَى هَوْلَاءِ الْكُفْرَةِ وَدَفْعِهِمْ عَنِّي.

﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾، أي: قَالَ حَوَاصُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَخُلَفَاؤُهُ وَأَصْفِيَاؤُهُ، ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾، أي: أَنْصَارُ دِينِهِ وَرَسُولِهِ.

ذكر وجوه تسمية الحواريين بالحواريين:

حَوَارِي الرَّجُلِ صَفْوَتُهُ وَخَالِصَتُهُ مِنَ الْحُورِ وَهُوَ الْبَيَاضُ الْخَالِصُ<sup>(٥)</sup>، سُمِّيَ حَوَاصُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْحَوَارِيِّينَ؛ لِتَقَاءِ ثِيَابِهِمْ وَنِظَافَتِهَا، وَيُقَالُ لِلنِّسَاءِ الْحَضْرِيَّاتِ الْحَوَارِيَّاتِ؛ لِنِظَافَتِهِنَّ وَخُلُوصِ أَلْوَانِهِنَّ، أَوْ تَقَاوَةِ قُلُوبِهِمْ وَخُلُوصِ نِيَّاتِهِمْ وَصَفَاءِ عَقِيدَتِهِمْ كَمَا يُنْقَى الثَّوْبُ بِالتَّحْوِيرِ، أَوْ لِكُونِهِمْ قَصَّارِينَ يَحَوِّرُونَ الثِّيَابَ يُبَيِّضُونَهَا، أَوْ لِكُونِهِمْ نَاصِرِينَ؛ لِأَنَّ الْحَوَارِيَّ النَّاصِرَ، وَالْحَوَارِيُّونَ الْأَنْصَارُ، أَوْ لِكُونِهِمْ نَوْرَانِيِّينَ<sup>(٦)</sup>، (وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: سُمُّوا

(١) لم نجد هذا الحديث في تفسير العياشي، ووجدناه في تفسير القمي: علي بن إبراهيم: ١٠٣/١ .

(٢) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٣) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٠٢/٢ .

(٤) المصدر نفسه: ٣٠٣/٢ .

(٥) ينظر: العين: الفراهيدي: ٢٨٨/٣، مادة حور .

(٦) ينظر: زبدة التقاسير: فتح الله الكاشاني: ٤٩٢/١ .

حَوَارِيِّينَ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا نَوْرَانِيِّينَ، عَلَيْهِمْ أَثَرُ الْعِبَادَةِ وَنُورُهَا وَحُسْنُهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾<sup>(١)</sup>/<sup>(٢)</sup>، أَوْ لِكُونِهِمْ رَبَّانِيِّينَ عَلَيْهِمْ أَثَرُ الْعِبَادَةِ.

وَفِي الْعِيُونَ عَنِ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ سُئِلَ لِمَ سُمِّيَ الْحَوَارِيُّونَ الْحَوَارِيِّينَ؟ قَالَ: أَمَّا عِنْدَ النَّاسِ فَإِنَّهُمْ سُمُّوا حَوَارِيِّينَ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا قَصَّارِينَ<sup>(٣)</sup> يُخَلِّصُونَ الثِّيَابَ مِنَ الْوَسَخِ بِالْغَسْلِ وَهُوَ اسْمٌ مُشْتَقٌّ مِنَ الْخُبْزِ الْحَوَارِ<sup>(٤)</sup>، وَأَمَّا عِنْدَنَا فَسُمِّيَ الْحَوَارِيُّونَ الْحَوَارِيِّينَ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا مُخْلِصِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ، وَمُخْلِصِينَ لِعَيْرِهِمْ مِنْ أَوْسَاخِ الذُّنُوبِ بِالْوَعْظِ وَالتَّذْكِيرِ<sup>(٥)</sup>.

وَفِي كِتَابِ التَّوْحِيدِ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّهُمْ "كَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، وَكَانَ أَفْضَلُهُمْ وَأَعْلَمُهُمْ [٨٦] أُلُوقًا"<sup>(٦)</sup>/<sup>(٧)</sup>.

﴿أَمَّا بِاللَّهِ﴾، أَي: قَائِلِينَ: أَمَّا بِاللَّهِ وَصَدَّقْنَا بِأَنَّهُ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنْتَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ. ﴿وَاشْهَدْ﴾ يَا عِيسَى، ﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾، أَي: كُنْ أَنْتَ شَهِيدًا لَنَا عِنْدَ اللَّهِ بِإِسْلَامِنَا حِينَ يَشْهَدُ الرَّجُلُ لِقَوْمِهِ وَعَلَيْهِمْ وَإِنَّمَا طَلَبُوا شَهَادَتَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لِأَنَّ الرُّسُلَ يَشْهَدُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِقَوْمِهِمْ وَعَلَيْهِمْ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَيَوْمَ نَبَعَثَ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾<sup>(٨)</sup>.

﴿رَبَّنَا﴾، أَي: قَائِلِينَ أَيْضًا: يَا رَبَّنَا، ﴿أَمَّا بِمَا أَنْزَلْتَ﴾، عَلَى عِيسَى وَعَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ، ﴿وَاتَّبَعْنَا الرُّسُولَ﴾، أَي: عِيسَى وَغَيْرَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَيَجُوزُ كَوْنُ اللَّامِ فِي الرُّسُولِ لِلْعَهْدِ الْخَارِجِيِّ وَلِلِاسْتِغْرَاقِ، ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾، أَي: فِي جُمْلَةِ الشَّاهِدِينَ بِوَحْدَانِيَّتِكَ وَبِجَمِيعِ مَا أَنْزَلْتَ مِنَ الْكُتُبِ وَبِجَمِيعِ مَنْ أَرْسَلْتَ مِنَ الرُّسُلِ؛ لِنُقَوِّزَ بِمَا فَازُوا بِهِ وَنَنَالَ مَا نَالُوهُ مِنْ كَرَامَتِكَ، أَوْ فَاكْتُبْنَا مَعَ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ لِأُمَّمِهِمْ، أَوْ فَاكْتُبْنَا وَاجْعَلْنَا مَعَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَآلِهِ وَأُمَّتِهِ؛ لِأَنَّهُمْ يَكُونُونَ شُهَدَاءَ عَلَى سَائِرِ النَّاسِ، وَيَكُونُ آلُهُ

(١) سورة الفتح: الآية ٢٩ .

(٢) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٠٣/٢ .

(٣) قَصَّارٌ بِالْفَتْحِ وَالتَّشْدِيدِ: مَحْوَرُ الثِّيَابِ وَمَبِيضُهَا، يَنْظُرُ: جَمَهْرَةُ اللُّغَةِ: ابْنُ دَرِيدٍ: ٥٢٥/١، مَادَةٌ حَوْر .

(٤) الْخُبْزُ الْحَوَارُ: نُخْلٌ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، النِّهَايَةُ: ابْنُ الْأَثِيرِ: ٤٥٨/١، مَادَةٌ حَوْر .

(٥) عِيُونَ أَخْبَارِ الرَّضَا (ع): الصَّدُوقُ: ١٠٥/٢ ح/١٠٥، بَابٌ فِي ذِكْرِ مَا جَاءَ عَنِ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْعِلَلِ .

(٦) (فِي الْإِنْجِيلِ الْمَوْجُودِ الْيَوْمَ: لَوْقَا بَدُونَ الْأَلْفِ فِي أَوَّلِهِ)، يَنْظُرُ: التَّوْحِيدُ: الصَّدُوقُ: ٤٢١، الْهَامِشُ .

(٧) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ: ٤٢١ .

(٨) سُورَةُ النَّحْلِ: الْآيَةُ ٨٤ .

عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الَّذِينَ هُمْ الْأَيْمَةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ شُهَدَاءَ عَلَيْهِمْ وَيَكُونُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ شَهِيداً عَلَيْهِمْ، هَذَا كُلُّهُ حِكَايَةٌ قَوْلِ الْحَوَارِيِّينَ.

من جملة معاجز عيسى عليه السلام:

وَفِي الْمَجْمَعِ "وَرُوي أَنَّهُمْ اتَّبَعُوا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَانُوا إِذَا جَاعُوا قَالُوا: يَا رُوحَ اللَّهِ جُعْنَا، فَيَضْرِبُ بِيَدِهِ عَلَى الْأَرْضِ - سَهْلاً كَانَ أَوْ جَبَلاً - فَيُخْرِجُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ رَغِيفِينَ يَأْكُلُهُمَا، وَإِذَا عَطِشُوا قَالُوا: يَا رُوحَ اللَّهِ عَطِشْنَا، فَيَضْرِبُ بِيَدِهِ عَلَى الْأَرْضِ - سَهْلاً كَانَ أَوْ جَبَلاً - فَيُخْرِجُ مَاءً فَيَشْرَبُونَ، قَالُوا: يَا رُوحَ اللَّهِ، مَنْ أَفْضَلُ مِنَّا؟ إِذَا شَبْنَا أَطَعَمْتَنَا، وَإِذَا شَبْنَا سَقَيْتَنَا، وَقَدْ آمَنَّا بِكَ وَاتَّبَعْنَاكَ؟ قَالَ: أَفْضَلُ مِنْكُمْ مَنْ يَعْمَلُ بِيَدِهِ، وَيَأْكُلُ مِنْ كَسْبِهِ، فَصَارُوا يَغْسِلُونَ الثِّيَابَ بِالْكَرَاءِ"<sup>(١)</sup> انتهى.

﴿وَمَكَرُوا﴾، الْوَاوُ لِكُفَّارِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ أَحَسَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهُمْ الْكُفْرَ مِنْ الْيَهُودِ، يَعْنِي: أَنَّ هَؤُلَاءِ الْكُفْرَةَ دَبَّرُوا لِقَتْلِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَوَكَّلُوا بِهِ مَنْ يَقْتُلُهُ غِيْلَةً، ﴿وَمَكَرَ اللَّهُ﴾، أَي: جَارَاهُمْ بِمَكْرِهِمْ؛ (بِأَنَّ رَفَعَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى السَّمَاءِ وَالْقَى شَبَّهُهُ عَلَى مَنْ أَرَادَ اغْتِيَالَهُ حَتَّى قُتِلَ)<sup>(٢)</sup>، وَسُمِّيَ جَزَاءَ الْمَكْرِ مَكْرًا، كَمَا سُمِّيَ جَزَاءُ الْاسْتِهْزَاءِ وَالْاِعْتِدَاءِ اسْتِهْزَاءً وَاعْتِدَاءً كَمَا مَرَّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى حِكَايَةَ عَنْهُمْ: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّمَا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ \* اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾<sup>(٣)</sup>، فَسُمِّيَ جَزَاءُ الْاسْتِهْزَاءِ اسْتِهْزَاءً كَمَا سُمِّيَ جَزَاءُ السِّيئَةِ سَيِّئَةً كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾<sup>(٤)</sup>، مَعَ أَنَّ الثَّانِي لَيْسَ بِسَيِّئَةٍ وَلَا اِعْتِدَاءً، وَإِنَّمَا هُوَ جَزَاءٌ.

وَفِي الْعِيُونِ فِي حَدِيثِ طَوِيلٍ عَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: "وَسَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَخَّرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾"<sup>(٥)</sup>، وَعَنْ قَوْلِهِ: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾"<sup>(٦)</sup>، وَعَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾"<sup>(٧)</sup>، وَعَنْ قَوْلِهِ: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾"<sup>(٨)</sup>، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَسْخَرُ، وَلَا

(١) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٠٤/٢ .

(٢) جوامع الجامع: الطبرسي: ٢٩١/١ .

(٣) سورة البقرة: الآية ١٤ - ١٥ .

(٤) سورة البقرة: الآية ١٩٤ .

(٥) سورة التوبة: الآية ٧٩ .

(٦) سورة البقرة: الآية ١٥ .

(٧) سورة آل عمران: الآية ٥٤ .

يَسْتَهْزِئُ، وَلَا يَمْكُرُ، وَلَا يُخَادِعُ، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى يُجَازِيهِمْ جَزَاءَ السُّخْرِيَّةِ، وَجَزَاءَ الْإِسْتِهْزَاءِ، وَجَزَاءَ الْمَكْرِ الْخَدِيعَةِ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلوًّا كَبِيرًا<sup>(٢)</sup> الْحَدِيثُ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَكْرَ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ فِي الْأَصْلِ حِيلَةٌ يَجْلِبُ بِهَا غَيْرُهُ إِلَى مَضَرَّةٍ لَا يَسْنَدُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا عَلَى سَبِيلِ الْمُشَاكَلَةِ وَالْمُقَابَلَةِ وَالْإِزْوَاجِ وَالْمُجَازَاةِ.

﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾، أَي: أَقْوَاهُمْ مَكْرًا وَأَنْفَذُهُمْ كَيْدًا وَأَقْدَرُهُمْ عَلَى الْعِقَابِ وَإِصَالِ الضَّرْرِ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ الْمَاكِرُ وَلَا يَحْتَسِبُ وَلَا يَشْعُرُ الْمَعْقَبُ، أَوْ (أَنْصَفُ الْمَاكِرِينَ وَأَعْدَلُهُمْ؛ لِأَنَّ مَكْرَهُمْ ظَلَمٌ وَمَكْرَهُ تَعَالَى عَدْلٌ وَانْتِصَافٌ)<sup>(٣)</sup>.

ذكر مكر بني إسرائيل على عيسى عليه السلام ومكر الله عليهم:

وَقَالَ فِي الْمَجْمَعِ: (وَجَاءَ فِي التَّفْسِيرِ أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ إِخْرَاجِ قَوْمِهِ إِيَّاهُ [وَأُمَّهُ]<sup>(٤)</sup> مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ، عَادَ إِلَيْهِمْ مَعَ الْحَوَارِيِّينَ، وَصَاحَ فِيهِمْ بِالِدَّعْوَةِ، فَهَمُّوا بِقَتْلِهِ، وَتَوَاطَفُوا عَلَى الْفَتْكِ بِهِ، فَذَلِكَ مَكْرُهُمْ بِهِ، وَمَكْرُ اللَّهِ تَعَالَى بِهِمُ الْفَاؤُهُ الشَّبَهَ عَلَى صَاحِبِهِمُ الَّذِي وَرَادَ قَتْلَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّى قُتِلَ وَصُلِبَ، وَرُفِعَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى السَّمَاءِ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمَّا أَرَادَ مَلِكُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَتْلَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، دَخَلَ حَوْحَةً، وَفِيهَا كُوَّةٌ، فَرَفَعَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْكُوَّةِ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ الْمَلِكُ لِرَجُلٍ مِنْهُمْ خَبِيثٍ: ادْخُلْ عَلَيْهِ فَاقْتُلْهُ، فَدَخَلَ الْحَوْحَةَ فَأَلْقَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ شِبَهَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَخَرَجَ إِلَى أَصْحَابِهِ يُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْبَيْتِ، فَقَتَلُوهُ وَصَلَبُوهُ وَظَنُّوا أَنَّهُ عِيسَى، وَقَالَ وَهْبٌ: أَسْرُوهُ، وَنَصَبُوا خَشَبَةً لِيَصْلُبُوهُ، فَأَظْلَمَتِ الْأَرْضُ، وَأَرْسَلَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ، فَحَالُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، فَأَخَذُوا رَجُلًا يُقَالُ لَهُ يَهُودَا، وَهُوَ الَّذِي دَلَّهُمْ عَلَى عِيسَى، وَذَلِكَ أَنَّ عِيسَى جَمَعَ الْحَوَارِيِّينَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَأَوْصَاهُمْ، ثُمَّ قَالَ: لِيَكْفُرَنَّ بِي أَحَدُكُمْ قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ الدِّيكُ فَيَبِيعُنِي بِدِرَاهِمَ بَيْسِيرَةٍ، فَخَرَجُوا وَتَفَرَّقُوا، وَكَانَتِ الْيَهُودُ تَطْلُبُهُ، فَأَتَى أَحَدُ الْحَوَارِيِّينَ إِلَيْهِمْ، وَقَالَ: مَا تَجْعَلُونَ لِي إِنْ دَلَلْتُكُمْ عَلَيْهِ؟ فَجَعَلُوا لَهُ ثَلَاثِينَ دِرْهَمًا، فَأَخَذَهَا وَدَلَّهُمْ عَلَيْهِ، فَأَلْقَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ شِبَهَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَمَّتْ دَخَلَ الْبَيْتَ وَرُفِعَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، [٨٧] فَأَخَذَ وَقَالَ: أَنَا الَّذِي دَلَلْتُكُمْ عَلَيْهِ!

(١) سورة النساء: الآية ١٤٢ .

(٢) عيون أخبار الرضا(ع): الصدوق: ١/١١٥/١٩ح، باب ما جاء عن الرضا علي بن موسى عليه السلام من الأخبار في التوحيد.

(٣) مجمع البيان: الطبرسي: ٢/٣٠٥ .

(٤) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

فَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى قَوْلِهِ، وَصَلَبُوهُ وَهُمْ يَطْنُونَ أَنَّهُ عِيسَى، فَلَمَّا صَلِبَ شَبَهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَتَى عَلَى ذَلِكَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِعِيسَى: اهِبْطِ عَلَى مَرْيَمَ ثُمَّ لِيَجْمَعْ لَكَ الْحَوَارِيِّينَ، وَبُنْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ دُعَاءً، فَهَبَطَ عَلَيْهَا وَاشْتَعَلَ الْجَبَلُ نُورًا، فَجَمَعَتْ لَهُ الْحَوَارِيِّينَ، فَبَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ دُعَاءً، ثُمَّ رَفَعَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ، وَتِلْكَ اللَّيْلَةُ هِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي تَدَخَّنَ فِيهَا النَّصَارَى، فَلَمَّا أَصْبَحَ الْحَوَارِيُّونَ حَدَّثَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بَلَدَةً مَن أَرْسَلَهُ عِيسَى إِلَيْهِمْ فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾<sup>(١)</sup> انتهى.

وَفِي تَفْسِيرِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ "حَدَّثَنِي أَبِي، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ جَمِيلِ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ حُمْرَانَ بْنِ أَعْيَنَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَدَّ أَصْحَابَهُ لَيْلَةَ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ عِنْدَ الْمَسَاءِ وَهُمْ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا فَأَدْخَلَهُمْ بَيْتًا، ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِمْ مِنْ عَيْنٍ فِي زَاوِيَةِ الْبَيْتِ وَهُوَ يَنْفُضُ رَأْسَهُ مِنَ الْمَاءِ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ رَافِعِي إِلَيْهِ السَّاعَةَ، وَمُطَهِّرِي مِنَ الْيَهُودِ، فَأَيْكُمُ يُلْقَى عَلَيْهِ شَبْحِي، فَيُقْتَلُ وَيُصَلَّبُ وَيَكُونُ مَعِي فِي دَرَجَتِي؟ فَقَالَ شَابٌّ مِنْهُمْ: أَنَا يَا رُوحَ اللَّهِ، قَالَ: فَأَنْتَ هُوَ ذَا، فَقَالَ لَهُمْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَمَا إِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ يَكْفُرُ بِي قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ كُفْرَةً، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ: أَنَا هُوَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ فَقَالَ عِيسَى: إِنَّ تَحْسَّ بِذَلِكَ فِي نَفْسِكَ فَلْتَكُنْ هُوَ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَمَا إِنَّكُمْ سَتَفْتَرِقُونَ بَعْدِي عَلَى ثَلَاثِ فِرَقٍ: فِرْقَتَيْنِ مُفْتَرِئَتَيْنِ عَلَى اللَّهِ فِي النَّارِ، وَفِرْقَةٍ تَتَّبِعُ شَمْعُونَ صَادِقَةً عَلَى اللَّهِ فِي الْجَنَّةِ، ثُمَّ رَفَعَ اللَّهُ عِيسَى إِلَيْهِ مِنْ زَاوِيَةِ الْبَيْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ الْيَهُودَ جَاءَتْ فِي طَلَبِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ لَيْلَتِهِمْ فَأَخَذُوا الرَّجُلَ الَّذِي قَالَ لَهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ يَكْفُرُ بِي مِنْ قَبْلِ أَنْ يُصْبِحَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ كُفْرَةً، وَأَخَذُوا الشَّابَّ الَّذِي أُلْقِيَ عَلَيْهِ شَبْحُ عِيسَى فَقَتَلَ وَصَلَّبَ، وَكَفَرَ الَّذِي قَالَ لَهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ تَكْفُرُ قَبْلَ أَنْ تُصْبِحَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ كُفْرًا"<sup>(٢)</sup>.

وَفِي كِتَابِ كَمَالِ الدِّينِ وَتَمَامِ النِّعْمَةِ بِإِسْنَادِهِ إِلَى "مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْقُرَشِيِّ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ أَبِيهِ أَبِي رَافِعٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إِنَّ جَبْرَيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَزَلَ عَلَيَّ بِكِتَابٍ فِيهِ حَبْرُ الْمُلُوكِ - مَلُوكِ الْأَرْضِ - [قَبْلِي]<sup>(٣)</sup>

(١) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٠٤/٢ - ٣٠٥.

(٢) تفسير القمي: علي بن إبراهيم: ١٠٣/١.

(٣) ما بين المعقوفين ليس من الأصل، وما أثبت من المصدر.

وَحَبَّرَ مَنْ بُعِثَ قَبْلِي مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ [وَهُوَ حَدِيثٌ طَوِيلٌ أَخَذْنَا مِنْهُ مَوْضِعَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ، قَالَ] (١): لَمَّا مَلَكَ أَشْجُ بْنُ أَشْجَانَ وَكَانَ يُسَمَّى الْكَيْسَ، وَكَانَ قَدْ مَلَكَ مَائَتَيْنِ وَسِتِّينَ سَنَةً، فَفِي سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ مِنْ مُلْكِهِ بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَاسْتَوْدَعَهُ النُّورَ وَالْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ وَجَمِيعَ عُلُومِ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ، وَزَادَهُ الْإِنْجِيلَ، وَبَعَثَهُ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ يَدْعُوهُمْ إِلَى كِتَابِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَإِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَأَبَى أَكْثَرُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا وَكُفْرًا، فَلَمَّا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ دَعَا رَبُّهُ وَعَزَمَ عَلَيْهِ، فَمَسَحَ مِنْهُمْ شَيَاطِينَ لِيُرِيَهُمْ آيَةً؛ فَيَعْتَبِرُوا، فَلَمْ يَزِدْهُمْ ذَلِكَ إِلَّا طُغْيَانًا وَكُفْرًا، فَأَتَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَمَكَثَ يَدْعُوهُمْ وَيُرْغِبُهُمْ فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً حَتَّى طَلَبَتْهُ الْيَهُودُ، وَادَّعَتْ أَنَّهَا عَذَّبَتْهُ وَدَفَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ حَيًّا، وَادَّعَى بَعْضُهُمْ أَنَّهُمْ قَتَلُوهُ وَصَلَبُوهُ، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَجْعَلَ لَهُمْ سُلْطَانًا عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا شَبَّهَهُ لَهُمْ، وَمَا قَدَرُوا عَلَى عَذَابِهِ وَدَفْنِهِ وَلَا عَلَى قَتْلِهِ وَصَلْبِهِ لِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (٢)، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى قَتْلِهِ وَصَلْبِهِ؛ لِأَنَّهُمْ لَوْ قَدَرُوا عَلَى ذَلِكَ كَانَ تَكْذِيبًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ (٣)، بَعْدَ أَنْ تَوَفَّاهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَرْفَعَهُ أَوْحَى إِلَيْهِ أَنْ يَسْتَوْدِعَ نُورَ اللَّهِ وَحِكْمَتَهُ وَعِلْمَ كِتَابِهِ شَمْعُونَ بْنَ حَمُونَ الصَّفَا خَلِيفَتَهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فَفَعَلَ (٤).

وَفِي كِتَابِ الْخِصَالِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ يَذْكَرُ فِيهِ الْأَغْسَالُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ "وَأَلْيَلَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَهِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي مَاتَ فِيهَا أَوْصِيَاءُ النَّبِيِّينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفِيهَا رُفِعَ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ" (٥).

وَفِي قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ لِلرَّاوَنْدِيِّ "عَنِ ابْنِ بَابُوَيْهِ، حَدَّثَنَا حَمْرَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعُلَوِيِّ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ يُوْسَعٍ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَرِيرِيِّ، حَدَّثَنَا حَمْرَةُ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ عُمَرَ، عَنْ جَعْفَرٍ، عَنْ آبَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: لَمَّا اجْتَمَعَتِ الْيَهُودُ إِلَى عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِيَقْتُلُوهُ بِزَعْمِهِمْ، أَتَاهُ جَبْرِئِيلُ عَلَيْهِ

(١) في الأصل: إلى أن قال.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٥٥ .

(٣) سورة النساء: الآية ١٥٨ .

(٤) كمال الدين وتمام النعمة: الصدوق: ٢٢٤ - ٢٢٥/٢٠٥، باب اتصال الوصية من لدن آدم عليه السلام وأن الأرض

لا تخلو من حجة لله عز وجل على خلقه إلى يوم القيامة .

(٥) الخصال: الصدوق: ١٠٨/٥٠٨.



السَّلَامُ فغشاه بِجَنَاحِهِ، وَطَمَحَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِبَصَرِهِ، فَإِذَا هُوَ بِكِتَابٍ فِي جَنَاحِ جِبْرِئِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَدْعُوكَ بِاسْمِكَ الْوَاحِدِ الْأَعَزُّ، وَأَدْعُوكَ اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ الصَّمَدِ، وَأَدْعُوكَ اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ الْعَظِيمِ الْوَتْرِ، وَأَدْعُوكَ اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ الَّذِي ثَبَّتَ أَرْكَانَكَ كُلَّهَا أَنْ تَكْشِفُ عَنِّي مَا أَصْبَحْتَ وَأَمْسَيْتَ فِيهِ، فَلَمَّا دَعَا بِهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى جِبْرِئِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَرْفَعَهُ إِلَى عِنْدِي، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ سَلُوا رَبِّكُمْ بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا دَعَا بِهِنَّ عَبْدٌ بِإِخْلَاصٍ وَنِيَّةٍ إِلَّا اهْتَزَّ لَهُ الْعَرْشُ، وَإِلَّا قَالَ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ: اشْهَدُوا أَنِّي قَدْ اسْتَجَبْتُ لَهُ بِهِنَّ وَأَعْطَيْتُهُ سُؤْلَهُ فِي عَاجِلِ دُنْيَاهُ وَآجِلِ آخِرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: سَلُوا بِهَا وَلَا تَسْتَبْطِنُوا الْإِجَابَةَ" (١) الحديث.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قُمْ فَاذْعَبْ وَارْفَعْكَ إِلَى مَتَابَعِ الْأَعْيُنِ وَمَنْ عَادَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ يُرْمَى إِلَى مَا يُرْمَى﴾ [٨٨] فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٢﴾، آيَةٌ .

الإعراب:

﴿إِذْ﴾ ظرفٌ لِقَوْلِهِ: وَمَكَرُوا أَوْ مَكَرَ اللَّهُ أَوْ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ، وَالتَّقْدِيرُ وَمَكَرُوا إِذْ قَالَ اللَّهُ، أَوْ مَكَرَ اللَّهُ إِذْ قَالَ، أَوْ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ، أَوْ ظَرْفٌ لِفِعْلِ مُضْمَرٍ، أَي: وَقَعَ ذَلِكَ إِذْ قَالَ اللَّهُ، أَوْ خَبَرٌ لِمُبْتَدَأٍ مَحذُوفٍ، أَي: ذَلِكَ إِذْ قَالَ اللَّهُ إِخ، أَوْ ظَرْفٌ لِمَحذُوفٍ هُوَ خَبَرٌ لِمُبْتَدَأٍ وَالتَّقْدِيرُ تَمَثَّلَهُ ذَلِكَ وَقَعَ إِذْ قَالَ، ثُمَّ حُذِفَ وَقَعَ وَهُوَ الْعَامِلُ فِي إِذْ وَأُقِيمَتْ إِذْ مَقَامَهُ مَقَامَهُ، وَ﴿عِيسَى﴾ مُنَادَى مُفْرَدٌ مَعْرِفَةٌ مَضْمُومٌ تَقْدِيرًا وَهُوَ غَيْرُ مُنْصَرَفٍ؛ لِلْعَجْمَةِ وَالتَّعْرِيفِ كَمَا مَرَّ سَابِقًا فِي يَحْيَى .

المعنى:

لَمَّا بَيَّنَّ سَبْحَانَهُ مَا هَمَّ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ قَوْمَ عِيسَى مِنَ الْمَكْرِ بِهِ وَقَتْلَهُ عَقْبَهُ بِذِكْرِ مَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ مِنْ حَسَنِ التَّدْبِيرِ وَلَطْفِ التَّقْدِيرِ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ عَلَيْهِ سُلْطَانًا فَقَالَ: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قُمْ فَاذْعَبْ وَارْفَعْكَ إِلَى مَتَابَعِ الْأَعْيُنِ وَمَنْ عَادَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ يُرْمَى إِلَى مَا يُرْمَى﴾، أَي: وَمَكَرَ اللَّهُ بِهِمْ إِخ، إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قُمْ فَاذْعَبْ وَارْفَعْكَ إِلَى مَتَابَعِ الْأَعْيُنِ وَمَنْ عَادَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ يُرْمَى إِلَى مَا يُرْمَى، وَمُؤْخَرُكَ إِلَى أَجْلِ مُسَمَّى كَتَبْتُهُ لَكَ مُمِيتُكَ بَعْدَ

(١) قصص الأنبياء: الراوندي: ٢٧٤ - ٢٧٥/ح ٣٦٠ .

(٢) سورة آل عمران: الآية ٥٥ .

ذَلِكَ<sup>(١)</sup> حَتَفَ أَنْفَكَ لَا قِتْلًا بِأَيْدِيهِمْ، أَوْ قَابِضُكَ تَامًّا سَالِمًا بَرَفَعَكَ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ مِنْ غَيْرِ رِفَاتٍ تَمُوتُ بِهِ، فَعَلَى هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ يَكُونُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِهِمْ تَوَفَّيْتُ مَالِي، أَيْ: اسْتَوْفَيْتَهُ كَامِلًا تَامًّا، ﴿وَرَفَعَكَ إِلَيَّ﴾، فِي الْيَقِظَةِ إِلَى سَمَائِي وَكَرَامَتِي وَمَقَرِّ مَلَائِكَتِي سَالِمًا لَمْ يَنَالُوا مِنْكَ شَيْئًا مِمَّا قَصَدُوهُ مِنْ قِتْلِكَ وَلَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ عَلَيْكَ سُلْطَانًا، أَوْ مُتَوَفِّيكَ وَفَاةَ النَّوْمِ وَرَفَعَكَ نَائِمًا إِلَى سَمَائِي وَكَرَامَتِي كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾<sup>(٢)</sup>، أَيْ: يَمِيتُكُمْ؛ لِأَنَّ النَّوْمَ أَحُ الْمَوْتِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ﴾<sup>(٣)</sup>، أَيْ: النَّائِمَةَ إِلَىٰ بَدَنِهَا عِنْدَ الْيَقِظَةِ إِلَىٰ أَجْلِ مَسْمَىٰ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَمِتْ لِمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ: "عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَمُتْ وَأَنَّهُ رَاجِعٌ إِلَيْكُمْ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ"<sup>(٤)</sup>، وَقَدْ صَحَّ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ: "كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ؟" رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ<sup>(٥)</sup>، وَمُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحِ<sup>(٦)</sup>.

فَعَلَىٰ هَذَا يَكُونُ الْمُرَادُ بِالتَّوَفِّي الْقَبْضُ وَالْأَخْذُ مِنَ الْأَرْضِ مِنْ غَيْرِ وَفَاةٍ يَمُوتُ بِهِ، أَوْ يَمِيتُكَ عَنِ الشَّهَوَاتِ الْمَانِعَةِ عَنِ الْعُرُوجِ إِلَىٰ عَالَمِ الْمَلَكَوْتِ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَوَهْبٌ: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ وَفَاةٌ مَوْتٍ فِي ثَلَاثِ سَاعَاتٍ<sup>(٧)</sup>، وَقِيلَ: سَبْعَ سَاعَاتٍ وَإِلَيْهِ ذَهَبَ النَّصَارَىٰ<sup>(٨)</sup>، وَقَالَ بَعْضُ النَّحَاةِ الْمُرَادُ بِالتَّوَفِّي هُوَ الْمَوْتُ الْحَقِيقِيُّ، وَأَنَّ الْوَاوَ لَا تَفِيدُ التَّرْتِيبَ، وَفِي الْآيَةِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي رَافِعُكَ إِلَىٰ السَّمَاءِ وَمُطَهِّرُكَ بِإِخْرَاجِكَ مِنْ بَيْنِ هَؤُلَاءِ الْكُفْرَةِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْآنَ وَمُمِيتُكَ وَقَابِضُ رُوحِكَ بِالْمَوْتِ بَعْدَ نُزُولِكَ مِنَ السَّمَاءِ عِنْدَ تَمَامِ أَجْلِكَ.

(١) ومنه في حاشية الأصل: عند نزوله إلى الأرض .

(٢) سورة الأنعام: الآية ٦٠ .

(٣) سورة الزمر: الآية ٤٢ .

(٤) بحار الأنوار: المجلسي: ٣٤٤/١٤ .

(٥) صحيح البخاري: البخاري: ٣٤٤٩/٤١٦٨/٤، بَابُ نُزُولِ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ .

(٦) صحيح مسلم: مسلم: ١/١٣٦/١، بَابُ نُزُولِ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ حَاكِمًا بِشَرِيعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٧) ينظر: بحار الأنوار: المجلسي: ٣٤٤/١٤ .

(٨) ينظر: الكامل في التاريخ: ابن الأثير: ٢٨٤/١ .

وقوله: ﴿وَمُطَهَّرِكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أي: إني مُطَهَّرُكَ مِنْ سُوءِ جَوَارِهِمْ وَقَصْدِهِمْ قَتْلَكَ؛ بِإِخْرَاجِي إِيَّاكَ مِنْ بَيْنِهِمْ وَأَنْجَائِكَ مِنْهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ أَرْجَاسٌ أَنْجَاسٌ لَا تَجُوزُ مُجَاوَرَتُهُمْ وَمُلَاقَاتُهُمْ.

﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، أي: وَإِنِّي جَاعِلُ الَّذِينَ آمَنُوا بِكَ، وَبِمُحَمَّدٍ وَأَوْصِيَاءِهِ، وَاتَّبَعُوكَ فِي الْإِيمَانِ كَمَا أَنَّكَ آمَنْتَ بِمُحَمَّدٍ وَأَوْصِيَاءِهِ، وَبَشَّرْتَهُمْ بِهِ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِكَ وَبِاتِّبَاعِكَ، وَكَذَّبُوا عَلَيْكَ، وَكَذَّبُوكَ فِي بَشَارَتِكَ إِيَّاهُمْ بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِكَ اسْمُهُ أَحْمَدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِأَنْ يَغَالِبُوهُمْ فِي الْعِزِّ وَالْعَلْبَةِ وَالْقَهْرِ وَالظَّفَرِ وَالنُّصْرَةِ وَالْبُرْهَانِ وَالْحُجَّةِ وَالسَّيْفِ، وَاتَّبَعُوا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَنْ آمَنَ بِهِ وَبَنِيوتِهِ وَبِكِتَابِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَنَّهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالنَّصَارَى وَالْإِنَّمَا لَمْ تَسْمَعْ غَلْبَةَ الْيَهُودِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ تَتَّفِقْ لَهُمْ مَلِكٌ وَدَوْلَةٌ، وَلِهَذَا لَا تَرَى الْيَهُودَ حَيْثُ كَانُوا إِلَّا أَدَلَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ اتَّبَعَ عِيسَى الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَوْصِيَاءِهِ، وَلِذَا أزالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمَلِكَ عَنِ الْيَهُودِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَإِنْ كَانَ ثَابِتًا فِي بِلَادِ الرُّومِ لِلنَّصَارَى، فَالنَّصَارَى أَعَزَّ مِنَ الْيَهُودِ وَفَوْقَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا مِنْ آيَاتِهِ وَمَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ فَاسْتَكْبَرُوا﴾ (١) وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بَأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَّيْنَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ \* وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ \* فَأَتَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٢)، كما في سورة المائدة إن شاء الله تعالى وكذلك مَنْ آمَنَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَوْصِيَاءِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنَ الْيَهُودِ كَمَا يَجِيءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾ إلخ، ترغيب في الإسلام ودلالة على أَنَّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَكُونُونَ ظَاهِرِينَ، أَي: غَالِبِينَ فِي الْحُجَّةِ وَالْبُرْهَانِ وَالْقُوَّةِ وَالشُّوْكَةِ وَالتَّأْيِيدِ بِالسَّيْفِ عَلَى غَيْرِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّ مُؤْمِنِي أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ آمَنُوا بِمُوسَى، وَعِيسَى، وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَوْصِيَاءِهِ، يَكُونُونَ ظَاهِرِينَ عَلَى

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩٩ .

(٢) سورة المائدة: الآية ٨٢ - ٨٥ .

كَفَرْتِهِمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: [٨٩] ﴿فَأَمَنْتَ طَائِفَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتَ طَائِفَةٌ فَأَيْدِنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عُدُوتِهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾، أي: مَصِيرُكُمْ وَمَعَادُكُمْ، ﴿فَأَحْكُمُ﴾، أي: فَأَقْضِي، ﴿بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾، من أمر الدين وأمر عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وضمير المخاطبين في ﴿مَرْجِعُكُمْ﴾، و﴿بَيْنَكُمْ﴾، و﴿كُنْتُمْ﴾، لعيسى ومن تبعه ولمن كفر به، أي: زمانٍ حاضرين أو غائبين، وغلب سبحانه المخاطبين ثم فسّر سبحانه الحُكْمَ المذكورَ وَفَصَّلَهُ بِأَمَّا التَّفْصِيلِيَّةَ الْمُفِيدَةَ لِلتَّأْكِيدِ فِي آيَتَيْنِ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بعيسى وبما جاء وبمن بشر به أعني: مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَوْصِيَانَهُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ﴿فَأَعَذَّبْنَاهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا﴾ بالمشخ والسيف واستيلاء بخت نصر عليهم وقتلهم وسبي ذراريهم ونسائهم وغير ذلك، ﴿وَالْآخِرَةِ﴾، بنار جهنم والخلود في السعير وبئس المصير، ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾، في الدارين.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾، قَرَأَ حَفْصٌ وَرُوَيْسٌ عَنِ يَعْقُوبَ ﴿فَيُوَفِّيهِمْ﴾ بالياء، والباقون بالنون<sup>(٢)</sup>، مطابقاً لقوله: ﴿فَأَعَذَّبْنَاهُمْ﴾، و﴿نَتْلُوهُ﴾، في التكلم، والإعراب والمعنى واضحان، ومعنى ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾، لا يحب كل واحدٍ واحدٍ منهم، ولا يريد تعظيمهم وإثابتهم ولا يرحمهم، فهو تقريرٌ لعذاب الَّذِينَ كَفَرُوا، وتعميمٌ بعد تَخْصِيصٍ.

وَقَالَ فِي الْمَجْمَعِ: (هَذِهِ الْآيَةُ حُجَّةٌ عَلَى مَنْ قَالَ بِالْإِحْبَابِ؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَعَدَّ بِتَوْفِيَةِ الْأَجْرِ [وَعَدَا]<sup>(٣)</sup>)، وَهُوَ النَّوَابِ، وَالتَّوْفِيَةُ مُنَافِيَةٌ لِلْإِحْبَابِ<sup>(٤)</sup> انتهى.

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾<sup>(٥)</sup> آية .

الإعراب:

﴿ذَلِكَ﴾، اسم إشارة مبتدأ خبره جملة ﴿نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾، و﴿مِنَ الْآيَاتِ﴾، خبرٌ بعد خبرٍ، وَكَذَا ﴿وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾، أو ﴿مِنَ الْآيَاتِ﴾، وَمَا عُطِفَ عَلَيْهِ خَبْرٌ لِمُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، أَوْ حَالٌ

(١) سورة الصف: الآية ١٤ .

(٢) ينظر: السبعة في القراءات: ابن مجاهد: ٢٠٦ .

(٣) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٤) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٠٨/٢ .

(٥) سورة آل عمران: الآية ٥٨ .

مِنَ الْهَاءِ فِي ﴿نَتْلُوهُ﴾، أَوْ تَكُونُ جُمْلَةً ﴿نَتْلُوهُ﴾ حَالًا، وَالْخَبْرُ ﴿مِنَ الْآيَاتِ﴾، وَعَامِلِ الْحَالِ اسْمُ الْإِشَارَةِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿ذَلِكَ﴾ مَنْصُوبًا بِفِعْلِ مُضْمَرٍ يُفَسِّرُهُ ﴿نَتْلُوهُ﴾، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿ذَلِكَ﴾ اسْمُ مَوْصُولٍ بِمَعْنَى الَّذِي كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْكُوفِيُّونَ، وَيَكُونُ مُبْتَدَأً، وَجُمْلَةً ﴿نَتْلُوهُ﴾ صَلْتَةً، وَ﴿مِنَ الْآيَاتِ﴾ خَبْرُ الْمُبْتَدَأِ عَلَى حَدِّ قَوْلِ يَزِيدِ بْنِ رَبِيعَةَ الْحَمِيرِيِّ<sup>(١)</sup> وَكَانَ يَصْحَبُ عَبَادًا أَخَا مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ:

(عَدَسٌ مَا لَعِبَادٍ عَلَيْكَ إِمَارَةٌ أَمِنْتَ وَهَذَا تَحْمِلِينَ طَلِيقٌ)<sup>(٢)</sup>.

أَي: وَالَّذِي تَحْمِلِينَهُ طَلِيقٌ أَرَادَ بِهِ نَفْسَهُ، وَمِنْهُ<sup>(٣)</sup> قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾<sup>(٤)</sup>، أَي: أَنْتُمْ الَّذِينَ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ كَمَا مَرَّ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾<sup>(٥)</sup> الْآيَةَ، عَلَى مَذْهَبِ الْكُوفِيِّينَ كَمَا سَنُشِيرُ إِلَى ذَلِكَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

المعنى:

﴿ذَلِكَ﴾ إِشَارَةٌ إِلَى نَبَأِ عِيسَى وَرَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَغَيْرِهِمْ، ﴿نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾، أَي: نَقْرَأُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدٌ وَنُكَلِّمُكَ بِهِ أَوْ نَأْمُرُ جِبْرَائِيلَ أَنْ يَتْلُوهُ عَلَيْكَ، ﴿مِنَ الْآيَاتِ﴾، أَي: مِنْ جُمْلَةِ الْآيَاتِ الْوَاضِحَاتِ وَالْحُجَجِ الْقَاطِعَاتِ عَلَى صِدْقِ نُبُوتِكَ، وَعَلَى كَوْنِ عِيسَى عَبْدًا مَخْلُوقًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَعَلَى عَدَمِ كَوْنِهِ إِلَهًا وَابْنًا إِلَهًا، ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾<sup>(٦)</sup>، كَمَا يَأْتِي فِي آخِرِ سُورَةِ النَّسَاءِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، كَمَا اعْتَرَفَ هُوَ نَفْسُهُ بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾<sup>(٧)</sup>، كَمَا مَرَّ

(١) هو (يزيد بن زياد بن ربيعة الملقب بمفرغ الحميري، شاعر غزل، كان هجاء مقذعا، وله مديح، صحب عبادة بن زياد، ولم يحسن صحبته فهجاه وسجنه عباد مدة، توفي سنة ٦٩هـ)، المجموع اللغيف: ابن هبة الله: ٣٢٩.

(٢) ديوان يزيد بن مفرغ الحميري: يزيد بن مفرغ الحميري: ١٧٠.

(٣) ومنه في حاشية الأصل: أي من كون لفظ اسم الإشارة موصولة عند الكوفيين وهؤلاء في هذه الآية على ما مر في سورة البقرة وقوله تعالى: ﴿ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم﴾ الآية [سورة آل عمران: الآية ٦٦]، على ما يأتي في هذه السورة.

(٤) سورة البقرة: الآية ٨٥.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٦٦.

(٦) سورة النساء: الآية ١٧٢.

(٧) سورة عمران: الآية ٥١.

قُبِيلَ ذَلِكَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، وَيَأْتِي فِي آخِرِ الْمَائِدَةِ، (إِذَا عَلِمْتَهُمْ بِمَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا قَارِئُ كِتَابٍ، أَوْ مُعَلِّمٌ، وَلَسْتَ بِوَاحِدٍ مِنْهَا، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْتَ عَرَفْتَهُ) <sup>(١)</sup> بِطَرِيقِ الْوَحْيِ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ.

﴿وَالذِّكْرُ الْحَكِيمُ﴾، أي: والقرآن المحكم الممتنع من تطرّق الخلل والشبهة إليه الناطق بالحكمة؛ لأنه بما فيه من الحكمة ينطق بالحكمة فَسَمِيَ حَكِيمًا كَمَا تَسْمَى الدَّلَالَةُ دَلِيلًا، وَإِنْ كَانَ الدَّلِيلُ فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ الدَّالُّ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ\* الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ\* فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ <sup>(٢)</sup> ثلاث آياتٍ.

اللغة:

الْمَثَلُ: الشَّبَهُ وَزِنًا وَمَعْنَى، مَثَلُ الشَّيْءِ شَبَهُهُ، وَالْمَثَلُ ذَكَرٌ سَائِرٌ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ سَبِيلَ الثَّانِي سَبِيلُ الْأَوَّلِ، وَ﴿تَعَالَوْا﴾ أَمْرٌ مِنَ الْعُلُوِّ، يُقَالُ: تَعَالَيْتُ أَتَعَالَى، أَي: جِئْتُ، وَأَصْلُهُ الْمَجِيءُ إِلَى ارْتِفَاعٍ إِلَّا كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ حَتَّى صَارَ بِمَعْنَى هَلُمَّ اللَّازِمِ <sup>(٣)</sup> مَعَ الرَّأْيِ وَالْعَزْمِ، وَالْمَبَاهَلَةُ: الْمَلَاعَنَةُ <sup>(٤)</sup> مُفَاعَلَةٌ مِنَ الْبُهْلَةِ وَهِيَ اللَّعْنَةُ، وَهِيَ (أَنْ يَجْتَمِعَ الْقَوْمُ إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ فَيَقُولُوا: لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِ مَثًا) <sup>(٥)</sup>، وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ: "مَنْ شَاءَ بَاهَلْتُهُ أَنْ الْحَقَّ مَعِيَ" <sup>(٦)</sup>، وَفِي الْحَدِيثِ: "مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ شَيْئًا فَلَمْ يُعْطِهِمْ كِتَابَ اللَّهِ فَعَلَيْهِ بَهْلَةٌ اللَّهِ" <sup>(٧)</sup>، أَي لَعْنَةُ اللَّهِ، وَتَضَمَّ بِأَوْهَا وَتَفْتَحُ <sup>(٨)</sup>، (ثُمَّ اسْتُعْمِلَ فِي كُلِّ دُعَاءٍ يُجْتَهَدُ فِيهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنِ التَّعَانًا) <sup>(٩)</sup>، وَفِي حَدِيثِ الدُّعَاءِ.

(١) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٠٨/٢ .

(٢) سورة آل عمران: ٥٩ - ٦١ .

(٣) ومنه في حاشية الأصل: لا المتعدّي؛ لأن المتعدّي بمعنى: أَحْضَرُوا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ﴾ [من سورة الأنعام: الآية ١٥٠]، أَي: أَحْضَرُوهُمْ .

(٤) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير: ١٦٧/١ .

(٥) لسان العرب: ابن منظور: ٧٢/١١، مادة بهل .

(٦) النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير: ١٦٧/١، مرآة العقول: المجلسي: ١٢/١٨٥/ح١، باب المباهلة .

(٧) المصدر نفسه: ١٦٧/١ .

(٨) ينظر: المصدر نفسه: ١٦٧/١ .

(٩) مجمع البحرين: الطريحي: ٢٨٤/٢ .

## كيفية الابتهاال:

"والابتهاال أن تمد يدك جميعاً"<sup>(١)</sup>، كما يجيء هنا، (وأصله التضرع والمبالغة في السؤال)<sup>(٢)</sup>، والابتهاال في الآية الافتعال بمعنى التفاعل، يقال: ابتهلوا: أي تلاعنوا<sup>(٣)</sup> كاختصموا واجتوروا واشتوروا بمعنى تخاصموا وتجاوزوا وتشاوروا، وبمعنى الدعاء عليهم بالهلاك، قال لبيد: (انظر)<sup>(٤)</sup> الدهر إليهم فابتهل<sup>(٥)</sup>، أي: دعا عليهم بالهلاك، والبهل بالضم والفتح: اللعن والمباعدة من رحمة الله عقاباً على معصيته، ولذلك لا يجوز أن يلعن من [٩٠] ليس عاصياً كالطفل والبهيمة أو نحوهما.

## الاعراب:

مثل عيسى كمثل آدم اسم إن وخبرها، وجُملة ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ مفسرة للمثل المذكور، والجملة المفسرة من الجمل السبع التي لا محل من الإعراب، قوله: ﴿فَيَكُونُ﴾ مرفوع خبر لمبتدأ محذوف، أي: فهو يكون، ﴿الْحَقُّ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، أي: ذلك الإخبار في أمر عيسى الحق كقولهم الهلال والله، أي: هذا الهلال والله<sup>(٦)</sup>، (وكقول أهل خيبر: مُحَمَّدٌ وَالْحَمِيسُ)<sup>(٧)</sup>، أي: هذا محمد صلى الله عليه وآله وهذه العساكر، و﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ حال من الحق، وعامل الحال اسم الإشارة المحذوف مثل قوله تعالى: ﴿وَهَذَا بَعْلي شَيْخًا﴾<sup>(٨)</sup>، أي: ذلك الإخبار في أمر عيسى الحق كائناً أو صادراً من ربك أو صفة للحق، أي: الحق الكائن من ربك أو ﴿الْحَقُّ﴾ مبتدأ، و﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ خبره، أي: الحق المذكور صادراً من ربك، ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ﴾ من شرطية مبتدأ، وجملة ﴿فَقُلْ﴾ إلخ، جواب الشرط وخبر المبتدأ، ﴿نَدْعُ﴾ مجزوم بجواب الأمر، و﴿نَبْتَهُنَّ﴾ بالجرم عطف على المجزوم، وكذا ﴿فَنَجْعَلُ﴾ إلخ، عطف على المجزوم مفيد بيان للابتهاال المذكور.

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير: ١٦٧/١.

(٢) لسان العرب: ابن منظور: ٧٢/١١، باب بهل .

(٣) ينظر: القاموس المحيط: الفيروزآبادي: ٩٧٠، مادة البهل .

(٤) في الأصل: هطل، وما أثبت من المصدر هو الصواب .

(٥) ديوان لبيد بن ربيعة: ٩٧.

(٦) ينظر: مجمع البيان: الطبرسي: ٣٠٩/٢ .

(٧) جوامع الجامع: الطبرسي: ٢٩٣/١ .

(٨) سورة هود: الآية ٧٢ .



النزول<sup>(١)</sup>:

في المجمع (قيل نزلت الآيات في وفد نجران: العاقب والسيد ومن معهما، قالوا لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: هل رأيت ولدا من غير ذكر؟ فنزل: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ﴾ الآيات، فقرأها عليهم، [عن ابن عباس وقادة والحسن]<sup>(٢)</sup>، فلما دعاهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إلى المباهلة، استنظروه إلى صبيحة غد من يومهم ذلك، فلما رجعوا إلى رجالهم، قال لهم الأسقف: انظروا مُحَمَّداً في غد، فإن جاء غداً بولده وأهله، فاحذروا مباهلتة، وإن غدا بأصحابه فباهلوه، فإنه على غير شيء، فَلَمَّا كَانَ الْغَدَ جَاءَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَخْذاً بِيَدِهِ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

(١) ومنه في حاشية الأصل: وقد مرّ في أول السورة أنه (نزلت أوائل السورة إلى نيف وثمانين آية في وفد نجران، وكانوا ستين راكباً، قدموا على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وفيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم، وفي الأربعة عشر ثلاثة نفر يؤول إليهم أمرهم: العاقب أمير القوم، وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون إلا عن رأيه، واسمه عبد المسيح، والسيد ثمالهم، وصاحب رحلهم، واسمه الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة أسقفهم وحرهم وإمامهم، وصاحب مدارسهم، وكان قد شرف فيهم، ودرس كتبهم، وكانت ملوك الروم قد شرفوه ومولوه، وبنوا له الكنائس، لعلمه واجتهاده، فقدموا على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ المدينة، ودخلوا مسجده حين صلى العصر، عليهم ثياب الحبرات، جيب وأردية في جمال بن كعب، يقول بعض من رآهم من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: ما رأينا وفداً مثلهم، وقد حانت صلاتهم فأقبلوا يضربون بالناقوس، وقاموا فصلوا في مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فقالت الصحابة: يا رسول الله! هذا في مسجدك؟ فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: دعوهم فصلوا إلى المشرق، فتكلم السيد والعاقب إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فقال لهما رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أسلما، قالوا: قد أسلمنا قبلك، قال: كذبتما يمنعكما من الإسلام دعائكما لله ولداً، وعبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير، قالوا: إن لم يكن ولد الله، فمن أبوه؟ وخاصموه جميعاً في عيسى، فقال لهما النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا ويشبه أباه؟ قالوا: بلى، قال: أستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت، وأن عيسى يأتي عليه الفناء؟ قالوا: بلى، قال: أستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شيء ويحفظه ويرزقه؟ قالوا: بلى، قال: فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً؟ قالوا: لا، قال: أستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض، ولا في السماء؟ قالوا: بلى، قال: فهل يعلم عيسى من ذلك إلا ما علم؟ قالوا: لا، قال: فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء، وربنا لا يأكل، ولا يشرب، ولا يحدث، قالوا: بلى، قال: أستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة، ثم وضعت كما تضع المرأة ولدها، ثم غذي كما يغذي الصبي، ثم كان يطعم ويشرب ويحدث؟ قالوا: بلى، قال: فكيف يكون هذا كما زعمتم؟ فسكتوا، فأنزل الله فيهم صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية)\*، ثم ذكر ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ الآيات، كل ذلك بعد أن بعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إليهم رسولاً وطلب منهم الإيمان والإسلام، فرجعوا إلى كتبهم ووجدوا أوصاف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مطابقاً، وجاءوا بجيش عظيم وسبعين نفرأ من علمائهم وشاهدوا صفاته عليه السلام موجودة كما كانت في كتب الأنبياء ولم يؤمنوا؛ خبأً للرئاسة والتزموا الجزية، \*مجمع البيان: الطبرسي: ٢٣٤/٢ - ٢٣٥، (مع اختلاف يسير في العبارات) .

(٢) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

يمشيان بين يديه، وفاطمة عليها السلام تمشي خلفه، وخرج النصارى يقدمهم أسقفهم، فلما رأى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَدْ أَقْبَلَ بِنْتَهُ مَعَهُ سَأَلَ عَنْهُمْ، فَقِيلَ لَهُ: هَذَا ابْنُ عَمَةٍ، وَزَوْجُ ابْنَتِهِ، وَأَحِبُّ الْخَلْقِ إِلَيْهِ، وَهَذَا ابْنُ ابْنَتِهِ مِنْ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهَذِهِ الْجَارِيَةُ بِنْتُهُ فَاطِمَةُ، أَعَزُّ النَّاسِ عَلَيْهِ، وَأَقْرَبُهُمْ إِلَى قَلْبِهِ، وَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَجَثَا عَلَى رِكْبَتَيْهِ، قَالَ أَبُو حَارِثَةَ الْأَسْقَفُ: جَثَا وَاللَّهِ كَمَا جَثَا الْأَنْبِيَاءُ لِلْمَبَاهِلَةِ فَكَعُ<sup>(١)</sup> وَلَمْ يَقْدَمْ عَلَى الْمَبَاهِلَةِ، فَقَالَ السَّيِّدُ: أَدْنِ يَا أَبَا حَارِثَةَ لِلْمَبَاهِلَةِ، فَقَالَ: لَا إِنِّي لِأَرَى رَجُلًا جَرِيئًا عَلَى الْمَبَاهِلَةِ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ صَادِقًا، وَلَئِنْ كَانَ صَادِقًا لَمْ يَحِلَّ وَاللَّهِ عَلَيْنَا الْحَوْلُ، وَفِي الدُّنْيَا نَصْرَانِي يَطْعَمُ الْمَاءَ! فَقَالَ الْأَسْقَفُ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ! إِنَّا لَا نُبَاهِلُكَ، وَلَكِنْ نُصَالِحُكَ فَصَالِحِنَا عَلَى مَا يَنْهَضُ بِهِ، فَصَالِحَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى أَلْفِي حُلَّةٍ مِنْ حُلَلِ الْأَوَاقِي، قِيَمَةُ كُلِّ حُلَّةٍ أَرْبَعُونَ دِرْهَمًا، فَمَا زَادَ أَوْ نَقَصَ، فَعَلَى حِسَابِ ذَلِكَ، وَعَلَى عَارِيَةِ ثَلَاثِينَ دِرْعًا، وَثَلَاثِينَ رُمْحًا، وَثَلَاثِينَ فَرَسًا، إِنْ كَانَ بِالْيَمَنِ كَيْدٌ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ضَامِنٌ حَتَّى يُوَدِّيَهَا، وَكُتِبَ لَهُمْ بِذَلِكَ كِتَابًا، وَرُوِيَ أَنَّ الْأَسْقَفَ قَالَ لَهُمْ: إِنِّي لِأَرَى وُجُوهًا لَوْ سَأَلُوا اللَّهَ أَنْ يُزِيلَ جَبَلًا مِنْ مَكَانِهِ لِأَزَالَهُ، فَلَا تَبَاهُلُوا فَتَهْلِكُوا، وَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ نَصْرَانِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَاعَنُونِي لَمْ سِخُوا قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ، وَلَا ضَطَّرَمَ الْوَادِي عَلَيْهِمْ نَارًا، وَلَمَّا حَالَ الْحَوْلُ عَلَى النَّصَارَى حَتَّى يَهْلِكُوا كُلَّهُمْ! قَالُوا: فَلَمَّا رَجَعَ وَفَدَ نَجْرَانَ لَمْ يَلْبَثِ السَّيِّدُ وَالْعَاقِبُ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى رَجَعَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَأَهْدَى الْعَاقِبُ لَهُ حِلَّةً وَعَصَا وَقَدْحًا وَنَعْلَيْنِ، وَأَسْلَمَا<sup>(٢)</sup> أَنْتَهَى.

### اعتراف النصارى بنبوّة مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

وقال في الجوامع (نزلت الآيات في وفد نجران: العاقب والسيد ومن معهما، ولما دعاهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى الْمَبَاهِلَةِ قَالُوا: حَتَّى نَرْجِعَ وَنَنْظُرَ، فَلَمَّا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا لِلْعَاقِبِ وَكَانَ ذَا رَأْيِهِمْ: يَا عَبْدَ الْمَسِيحِ مَا تَرَى؟ قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفْتُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَبِيُّ مُرْسَلٍ، وَلَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْفُضْلِ مِنْ أَمْرِ صَاحِبِكُمْ، وَاللَّهُ مَا بِأَهْلِ قَوْمٍ نَبِيًّا قَطُّ فَعَاشَ كَبِيرُهُمْ وَلَا نَبَتْ صَغِيرُهُمْ، فَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا أَلْفَ دِينَكُمْ فَوَادِعُوا الرَّجُلَ وَأَنْصَرِفُوا إِلَى بِلَادِكُمْ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ غَدَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَخْذًا بِيَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ

(١) كع: ضعف وجبن، ينظر: الصحاح: الجوهري: ١٢٧٧/٣، مادة كع .

(٢) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٠٩/٢ - ٣١٠ .

والحسن والحسين عليهما السلام بين يديه وفاطمة عليها السلام خلفه، وخرج النصارى يقدمهم أسقفهم أبو حارثة، فقال الأسقف: إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يُزِيلَ جَبَلًا مِنْ مَكَانِهِ لِأَزَالَهُ بِهَا فَلَا تَبَاهِلُوا فَتَهْلِكُوا وَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ نَصْرَانِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّا لَا نَبَاهِلُكَ وَلَكِنْ نُصَالِحُكَ، فَصَالِحَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى أَنْ يُؤَدُّوا إِلَيْهِ كُلَّ عَامٍ أَلْفِي حَلَّةٍ: أَلْفٌ فِي صَفْرٍ وَأَلْفٌ فِي رَجَبٍ، وَعَلَى [عَارِيَةَ] (١) ثَلَاثِينَ دِرْعًا [وَعَارِيَةَ] (٢) ثَلَاثِينَ فَرَسًا وَثَلَاثِينَ رُمْحًا إِنْ وَقَعَ [بِالْيَمَنِ كَيْدًا] (٣)، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الْهَلَاكَ قَدْ تَدَلَّى عَلَى أَهْلِ نَجْرَانَ، وَلَوْ لَاعَنُوا لَمْسُخُوا قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ، وَلَا ضَطْرَمَ عَلَيْهِمُ الْوَادِي نَارًا، وَلَمَّا حَالَ الْحَوْلُ عَلَى النَّصَارَى كُلِّهِمْ حَتَّى يَهْلِكُوا، وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ أَوْضَحَ دَلَالَةَ عَلَى فَضْلِ أَصْحَابِ الْكِسَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَعَلَوْ دَرَجَتَهُمْ وَبَلُوغَ مَرْتَبَتِهِمْ فِي الْكَمَالِ إِلَى حَدِّ لَا يَدَانِيهِمْ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ (٤) أَنْتَهَى.

وَفِي تَفْسِيرِ الْبَيْضَاوِيِّ رَوَى (أَنَّهُمْ لَمَّا دَعُوا إِلَى الْمَبَاهِلَةِ قَالُوا حَتَّى نَنْظُرَ فَلَمَّا تَخَالَوْا قَالُوا لِلْعَاقِبِ: وَكَانَ ذَا رَأْيُهُمْ: مَا تَرَى؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفْتُمْ نُبُوته، وَلَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْفَصْلِ فِي أَمْرِ صَاحِبِكُمْ، وَاللَّهِ مَا بَاهَلَ قَوْمٌ نَبِيًّا إِلَّا هَلَكُوا، فَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا إِلْفَ دِينِكُمْ فَوَادَعُوا الرَّجُلَ [٩١] وَانصرفوا، فأتوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَقَدْ غَدَا مُحْتَضِنًا الْحَسِينَ آخِذًا بِيَدِ الْحَسَنِ، وَفَاطِمَةَ تَمْشِي خَلْفَهُ، وَعَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَلْفَهَا، وَهُوَ يَقُولُ، إِذَا أَنَا دَعَوْتُ فَأَمِنُوا، فَقَالَ أَسْقِفُهُمْ: يَا مَعْشَرَ النَّصَارَى، إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله تعالى أن يُزِيلَ جَبَلًا مِنْ مَكَانِهِ لِأَزَالَهُ، فَلَا تَبَاهِلُوا فَتَهْلِكُوا، فَأَذَعَنُوا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَبَدَلُوا لَهُ الْجَزِيَةَ أَلْفِي حَلَّةٍ حَمْرَاءَ وَثَلَاثِينَ دِرْعًا مِنْ حَدِيدٍ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ تَبَاهَلُوا لَمْسُخُوا قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ، وَلَا ضَطْرَمَ عَلَيْهِمُ الْوَادِي نَارًا، وَلَا سَتَأَصَلَ اللَّهُ نَجْرَانَ وَأَهْلَهُ، حَتَّى الطَّيْرُ عَلَى الشَّجَرِ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى نُبُوته وَفَضْلٍ مِنْ أَتَى بِهِمْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ (٥) أَنْتَهَى، هَذَا هُوَ النَّطْقُ بِالْحَقِّ، وَلَا يَجُوزُ تَقْدِيمُ الْمَفْضُولِ عَلَى الْفَاضِلِ مُطْلَقًا.

(١) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٢) في الأصل: عادية، وما أثبت من المصدر هو الصواب .

(٣) في المصدر: كيد باليمن .

(٤) جوامع الجامع: الطبرسي: ١/٢٩٤ .

(٥) أنوار التنزيل: البيضاوي: ٢/٢٠-٢١ .

وَفِي تَفْسِيرِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ﴾ الْآيَةَ، "حَدَّثَنِي أَبِي، عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنِ ابْنِ سِنَانٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ نَصَارَى نَجْرَانَ لَمَّا وَقَدُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَكَانَ سَيِّدُهُمُ الْأَهْتَمَ وَالْعَاقِبَ وَالسَّيِّدَ وَحَضَرَتْ صَلَاتُهُمْ فَأَقْبَلُوا بِالنَّافُوسِ وَصَلُّوا، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: هَذَا فِي مَسْجِدِكَ! فَقَالَ: دَعُوهُمْ، فَلَمَّا فَرَعُوا دَنَوْا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالُوا: إِلَى مَا تَدْعُونَ؟ فَقَالَ: إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدٌ مَخْلُوقٌ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيُحْدِثُ، قَالُوا: فَمَنْ أَبُوهُ؟ فَزَلَّ الْوَحْيُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ: قُلْ لَهُمْ مَا تَقُولُونَ فِي آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَكَانَ عَبْدًا مَخْلُوقًا يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَنْكِحُ؟ فَسَأَلَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَقَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ: فَمَنْ أَبُوهُ؟ فَبُهِتُوا فَبَقُوا سَاكِتِينَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَجَعَلْنَا لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: فَبَاهِلُونِي فَإِنْ كُنْتُ صَادِقًا أَنْزَلَتِ اللَّعْنَةُ عَلَيْكُمْ وَإِنْ كُنْتُ كَاذِبًا نَزَلَتْ عَلَيَّ، فَقَالُوا: أَنْصَفْتَ فَتَوَاعَدُوا لِلْمُبَاهَلَةِ، فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ قَالَ رُؤَسَاؤُهُمُ السَّيِّدُ وَالْعَاقِبُ وَالْأَهْتَمُ: إِنْ بَاهَلْنَا بِقَوْمِهِ بَاهِلْنَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ بِنَبِيِّ، وَإِنْ بَاهَلْنَا بِأَهْلِ بَيْتِهِ خَاصَّةً فَلَا نُبَاهِلُهُ؛ فَإِنَّهُ لَا يُقَدِّمُ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ إِلَّا وَهُوَ صَادِقٌ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا جَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَمَعَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَقَالَ النَّصَارَى: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَقِيلَ لَهُمْ: هَذَا ابْنُ عَمِّهِ وَوَصِيِّهِ وَحَتَّتُهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَهَذِهِ بِنْتُهُ فَاطِمَةُ، وَهَذَانِ ابْنَاهُ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَعَرَفُوا وَقَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: نُعْطِيكَ الرِّضَى فَاغْنِنَا مِنَ الْمُبَاهَلَةِ، فَصَالَحَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى الْجِزْيَةِ وَأَنْصَرَفُوا" (١) انتهى.

وَفِي الْعُيُونِ عَنِ الْكَاطِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ "وَلَمْ يَدَّعِ أَحَدٌ أَنَّهُ أَدْخَلَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَحْتَ الْكِسَاءِ عِنْدَ الْمُبَاهَلَةِ لِلنَّصَارَى إِلَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَفَاطِمَةُ، وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَكَانَ تَأْوِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَبْنَاؤُنَا﴾ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ، ﴿وَنِسَاءُنَا﴾ فَاطِمَةُ، ﴿وَأَنْفُسَنَا﴾ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ" (٢).

(١) تفسير القمي: علي بن إبراهيم: ١٠٤/١.

(٢) عيون أخبار الرضا (ع): الصدوق: ١/٨١/٩، باب جمل من أخبار موسى بن جعفر عليهما السلام مع هارون

الرشيد ومع موسى بن المهدي .

وَفِي تَفْسِيرِ الْعِيَّاشِيِّ "عَنْ حَرِيْزٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سُئِلَ عَنْ فَضَائِلِهِ فَذَكَرَ بَعْضَهَا، ثُمَّ قَالُوا لَهُ: زِدْنَا، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَتَاهُ حَبْرَانِ مِنْ أَحْبَابِ النَّصَارَى مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ، فَتَكَلَّمَا فِي أَمْرِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَفَاطِمَةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ثُمَّ خَرَجَ وَرَفَعَ كَفَّهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَفَرَّجَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الْمُبَاهَلَةِ، قَالَ: وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَكَذَلِكَ الْمُبَاهَلَةُ يُشَبِّكُ يَدَهُ فِي يَدِهِ ثُمَّ يَرْفَعُهُمَا إِلَى السَّمَاءِ فَلَمَّا رَأَى الْحَبْرَانِ، قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: وَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا لَنَهْلِكَنَّ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ نَبِيٍّ كَفَانَا قَوْمُهُ، فَكَفَا وَانْصَرَفَا" (١)، "عَنْ أَبِي جَعْفَرِ الْأَحْوَلِ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا تَقُولُ فَرِيْشُ فِي الْخُمْسِ؟ قَالَ: قُلْتُ: تَزْعُمُ أَنَّهُ لَهَا، قَالَ: مَا أَنْصَفُونَا وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مُبَاهَلَةً لَيُبَاهِلُنَّ بَنَاءً، وَلَئِنْ كَانَ مُبَارَزَةً لَيُبَارِزُنَّ بَنَاءً ثُمَّ نَكُونُ وَهُمْ عَلَى سَوَاءٍ" (٢).

وَفِي رَوْضَةِ الْكَافِي "عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ خَالِدٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ ظَرِيْفٍ، عَنْ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنْ أَبِي الْجَارُودِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا أَبَا الْجَارُودِ مَا يَقُولُونَ لَكُمْ فِي الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ؟ قُلْتُ: يُنْكِرُونَ عَلَيْنَا أَنَّهُمَا ابْنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، قَالَ: فَأَيُّ شَيْءٍ احْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ؟ قُلْتُ: احْتَجَجْنَا عَلَيْهِمْ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ (٣)، وَالْحَدِيثَ طَوِيلٌ أَخَذْنَا مِنْهُ مَوْضِعَ الْحَاجَةِ.

وَفِي الْمَجْمَعِ "قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إِنَّ كُلَّ بَنِي بِنْتٍ يُنْتَسِبُونَ إِلَيَّ أَبِيهِمْ إِلَّا أَوْلَادَ فَاطِمَةَ فَإِنِّي أَنَا أَبُوهُمْ" (٤) انتهى، وَذَكَرْتُ هَذَا الْحَدِيثَ فِي شَرْحِنَا بِزِيَّةِ السَّالِكِ بِطَرِيقٍ آخَرَ، فَهَذَا الْحَدِيثُ مُخَصَّصٌ لِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

(بُنُونًا بَنُو أَبْنَائِنَا وَبَنَاتِنَا  
بُنُوهُنَّ أَبْنَاءُ الرِّجَالِ الْأَبَاعِدِ) (١).

(١) تفسير العياشي: العياشي: ١٧٥/١ - ١٧٦.

(٢) المصدر نفسه: ١٧٦/١.

(٣) الكافي: الكليني: ٨/٣١٧/ح ٥٠١.

(٤) مجمع البيان: الطبرسي: ٨/١٦٥.

كَمَا نَصَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى التَّخْصِيسِ الْمَذْكَورِ، وَصَرَّحَ بِهِ بِقَوْلِهِ: "يُنْتَسَبُونَ إِلَى أَبِيهِمْ إِلَّا أَوْلَادَ فَاطِمَةَ" إِلَى آخِرِهِ، وَلِهَذَا الدَّقِيقَةُ لَمْ يَسْتَحِقَّ الْخُمْسَ مَنْ كَانَ أُمُّهُ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>، بِخِلَافِ أَوْلَادِ فَاطِمَةَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهَا وَعَلَيْهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ يَسْتَحِقُّونَ مِنَ الْجِهَتَيْنِ مَعًا؛ بِالِاسْتِغْلَالِ مِنْ جِهَةِ الْآبِ، وَمِنْ جِهَةِ الْأُمِّ.

وَفِي الْعُيُونِ فِي بَابِ جَمَلٍ مِنْ أَخْبَارِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مَعَ هَارُونَ الرَّشِيدِ إِلَى قَوْلِهِ: "لَمْ جَوَزْتُمْ لِلْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ أَنْ يَنْسَبُوكُمْ [٩٢] إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَيَقُولُونَ لَكُمْ: يَا بَنِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَنْتُمْ بَنُو عَلِيٍّ وَإِنَّمَا يُنْسَبُ الْمَرْءُ إِلَى أَبِيهِ وَفَاطِمَةَ إِنَّمَا هِيَ وَعَاءٌ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ جَدُّكُمْ مِنْ قَبْلِ أُمَّكُمْ؟ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَشَرَ<sup>(٣)</sup> فَحَطَبَ إِلَيْكَ كَرِيمَتِكَ هَلْ كُنْتَ تُحِبُّهُ؟ فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَلِمَ لَا أَحِبُّهُ؟ بَلْ أَفْتَخِرُ عَلَى الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَقُرَيْشٍ بِذَلِكَ فَقُلْتُ لَهُ: لَكِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَا يَحْطُبُ إِلَيَّ وَلَا أَرْوِجُهُ، فَقَالَ: وَلِمَ؟ فَقُلْتُ: لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَوَلَدَنِي وَلَمْ يَلِدْكَ، فَقَالَ: أَحْسَنْتَ يَا مُوسَى، ثُمَّ قَالَ: كَيْفَ قُلْتُمْ: إِنَّا ذُرِّيَّةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمْ يُعْقِبْ وَإِنَّمَا الْعَقِبُ لِلذَّكَرِ لَا لِلْأُنثَى وَأَنْتُمْ وُلْدُ الْبِنْتِ وَلَا يَكُونُ لَهَا عَقِبٌ؟! فَقُلْتُ: أَسَأَلُكُمْ بِحَقِّ الْقَرَابَةِ وَالْقَبْرِ وَمَنْ فِيهِ إِلَّا مَا أَعْفَيْتَنِي عَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فَقَالَ: لَا أَوْ تُخْبِرَنِي<sup>(٤)</sup> بِحُجَّتِكُمْ فِيهِ يَا وُلْدَ عَلِيٍّ وَأَنْتَ يَا مُوسَى يَعْسُوبُهُمْ<sup>(٥)</sup> وَإِمَامَ زَمَانِهِمْ كَذَا أَنُهِيَ إِلَيَّ وَلَسْتُ أُعْفِيكَ فِي كُلِّ مَا أَسَأَلُكَ عَنْهُ حَتَّى تَأْتِيَنِي فِيهِ بِحُجَّةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنْتُمْ تَدْعُونَ مَعَشَرَ وُلْدِ عَلِيٍّ أَنَّهُ لَا يَسْقُطُ عَنْكُمْ مِنْهُ شَيْءٌ أَلْفٌ وَلَا وَاوٌ إِلَّا وَتَأْوِيلُهُ عِنْدَكُمْ وَاحْتَجَجْتُمْ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>(٦)</sup>، وَقَدْ اسْتَعْنَيْتُمْ عَنْ رَأْيِ الْعُلَمَاءِ وَقِيَّاسِهِمْ فَقُلْتُ: تَأْذُنُ لِي فِي الْجَوَابِ؟ قَالَ: هَاتِ، فَقُلْتُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ

(١) لم نعتز على قائل هذا البيت على الرغم من شهرته، حتى قال عنه البغدادي: (وهذا البيت لا يعرف قائله مع شهرته في كتب النحاة وغيرهم، قال العيني: وهذا البيت استشهد به النحاة على جواز تقديم الخبر، والفرضيون على دخول أبناء الأبناء في الميراث وأن الانتساب إلى الأباء، والفقهاء كذلك في الوصية، وأهل المعاني والبيان في التشبيه، ولم أر أحدًا منهم عزاه إلى قائله)، خزانة الأدب: البغدادي: ٤٤٥/١ .

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٥ .

(٣) أي: بعث وأحيا ورجع الى الدنيا، ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ٢٠٧/٥، مادة نشر .

(٤) ومنه في حاشية الأصل: قوله: أَوْ تُخْبِرَنِي، أَوْ بِمَعْنَى إِلَّا أَنْ، وَلِذَا نَصَبَ الْمَضَارِعَ بِهِ كَمَا هُوَ الْقَاعِدَةُ .

(٥) النيسوب: (السيد والرئيس والمقدم)، لسان العرب: ابن منظور: ٥٩٩/١، مادة عَسَبَ .

(٦) سورة الأنعام: الآية ٣٨ .



الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ \* وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ﴾<sup>(١)</sup>، مَنْ أَبُو عَيْسَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ: لَيْسَ لِعَيْسَى أَبٌ فَقُلْتُ: إِنَّمَا أَلْحَقْنَا بِذُرَارِيِّ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنْ طَرِيقِ مَرِيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ وَكَذَلِكَ أَلْحَقْنَا بِذُرَارِيِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ قَبْلِ أُمِّنَا فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ أَرَيْدُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: هَاتِ، قُلْتُ: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَلْتَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، وَلَمْ يَدَّعِ أَحَدٌ أَنَّهُ أَدْخَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَحْتَ الْكِسَاءِ عِنْدَ الْمُبَاهَلَةِ لِلنَّصَارَى إِلَّا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ فَكَانَ تَأْوِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَبْنَاءَنَا﴾ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، ﴿وَنِسَاءَنَا﴾ فَاطِمَةَ، ﴿وَأَنْفُسَنَا﴾ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَلَى أَنَّ الْعُلَمَاءَ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ جَبْرِئِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ يَوْمَ أُحُدٍ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ هَذِهِ لَهِيَ الْمُوَاسَاةُ مِنْ عَلِيٍّ، قَالَ: لِأَنَّهُ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، فَقَالَ جَبْرِئِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَأَنَا مِنْكُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثُمَّ قَالَ: لَا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْفَقَارِ وَلَا فَتَى إِلَّا عَلِيٌّ<sup>(٣)</sup> الْحَدِيثُ طَوِيلٌ أَخَذْنَا مِنْهُ قَدْرَ الْحَاجَةِ، وَقَدْ ذَكَرْنَا بَعْضَ الْحَدِيثِ آتِيفًا، وَفِيهِ أَيْضًا فِي (بَابِ ذِكْرِ مَجْلِسِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ الْمَأْمُونِ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الْعِتْرَةِ وَالْأُمَّةِ)<sup>(٤)</sup> فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ وَفِيهِ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ وَفِيهِ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ: فَأَخْبَرْنَا هَلْ فَسَّرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْإِصْطِفَاءَ فِي الْكِتَابِ؟ فَقَالَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَسَّرَ الْإِصْطِفَاءَ فِي الظَّاهِرِ سِوَى الْبَاطِنِ فِي اثْنَيْ عَشَرَ مَوْطِنًا وَمَوْضِعًا، فَأَوْلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾<sup>(٥)</sup>، وَرَهْطَكَ الْمُخْلِصِينَ، هَكَذَا فِي قِرَاءَةِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ وَهِيَ ثَابِتَةٌ فِي مُصْحَفِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَهَذِهِ مَنْزِلَةٌ رَفِيعَةٌ، وَفَضْلٌ عَظِيمٌ، وَشَرَفٌ عَالٍ؛ حِينَ عَنَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِذَلِكَ الْأَلِّ فَذَكَرَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَهَذِهِ وَاحِدَةٌ، وَالآيَةُ الثَّانِيَةُ فِي الْإِصْطِفَاءِ قَوْلُهُ عَزَّ

(١) سورة الأنعام: الآية ٨٤ - ٨٥ .

(٢) سورة آل عمران: الآية ٦١ .

(٣) عيون أخبار الرضا(ع): الصدوق: ٨٠/١ - ٨١/٩، بَابِ جَمَلٍ مِنْ أَخْبَارِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مَعَ هَارُونَ

الرَّشِيدِ وَمَعَ مُوسَى بْنِ الْمُهْدِيِّ .

(٤) المصدر نفسه: ٢٠٧/١ .

(٥) سورة الشعراء: الآية ٢١٤ .



وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ النَّبِيِّ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾<sup>(١)</sup>، وَهَذَا الْفَضْلُ الَّذِي لَا يَجْهَلُهُ أَحَدٌ إِلَّا مُعَانِدًا أَصْلًا؛ لِأَنَّهُ فَضْلٌ بَعْدَ طَهَارَةٍ تُنْتَظَرُ فَهَذِهِ الثَّانِيَةُ، وَأَمَّا الثَّلَاثَةُ فَحِينَ مَيَّرَ اللَّهُ الطَّاهِرِينَ مِنْ خَلْقِهِ فَأَمَرَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْمُبَاهَلَةِ بِهِمْ فِي آيَةِ الْإِبْتِهَالِ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ يَا مُحَمَّدٌ: ﴿فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، فَأَبْرَزَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلِيًّا وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَقَاطِمَةَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَقَرَنَ أَنْفُسَهُمْ بِنَفْسِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَهَلْ تَذَرُونَ مَا مَعْنَى قَوْلِهِ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ؟ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ: عَنَى بِهِ نَفْسَهُ، فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ عَلِطْتُمْ، إِنَّمَا عَنَى بِهَا عَلِيٌّ بَنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حِينَ قَالَ: لَيَنْتَهِيَنَّ بَنُو وَلِيْعَةَ<sup>(٣)</sup> أَوْ لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْهِمْ رَجُلًا كَنَفْسِي، يَعْنِي: عَلِيٌّ بَنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَعَنَى بِالْأَبْنَاءِ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَعَنَى بِالنِّسَاءِ قَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، فَهَذِهِ خُصُوصِيَّةٌ لَا يَتَقَدَّمُ فِيهَا أَحَدٌ، وَفَضْلٌ لَا يَلْحَقُهُمْ فِيهِ بَشَرٌ، وَشَرَفٌ لَا يَسْبِقُهُمْ إِلَيْهِ خَلْقٌ؛ إِذْ جَعَلَ نَفْسَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَنَفْسِهِ [٩٣] فَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ، وَأَمَّا الرَّابِعَةُ<sup>(٤)</sup>، إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ، وَفِيهِ أَيْضًا فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ يَقُولُ فِيهِ: "يَا عَلِيُّ مَنْ قَتَلَكَ فَقَدْ قَتَلَنِي، وَمَنْ أَبْغَضَكَ فَقَدْ أَبْغَضَنِي، وَمَنْ سَبَكَ فَقَدْ سَبَّنِي؛ لِأَنَّكَ مِنِّي كَنَفْسِي، رُوحَكَ مِنْ رُوحِي، وَطِينَتَكَ مِنْ طِينَتِي"<sup>(٥)</sup>.

وَفِي كِتَابِ الْخِصَالِ فِي اخْتِجَاجِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ قَالَ: فَأَنْشُدُكَ بِاللَّهِ أَبِي بَرَزَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَبِأَهْلِ بَيْتِي وَوُلْدِي فِي مُبَاهَلَةِ الْمُشْرِكِينَ مِنَ النَّصَارَى أَمْ بِكَ وَبِأَهْلِكَ وَوُلْدِكَ؟ قَالَ: بِكُمْ<sup>(٦)</sup>، وَفِيهِ مَنَاقِبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَعَادُلُهَا وَأَمَّا

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٣ .

(٢) سورة آل عمران: الآية ٦١ .

(٣) بنو وليعة: حَيٌّ مِنْ كِنْدَةَ، يَنْظُرُ: مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ: يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ: ٢/٢٧٠، لِسَانُ الْعَرَبِ: ابْنُ مَنْظُورٍ: ٨/٤١١، مَادَّةٌ وَوَلَعٌ .

(٤) عيون أخبار الرضا(ع): الصدوق: ١/٢٠٩ - ١/٢١٠ ح/١، بَابِ ذِكْرِ مَجْلِسِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ الْمَأْمُونِ فِي الْفَرَقِ بَيْنَ الْعِتْرَةِ وَالْأُمَّةِ .

(٥) المصدر نفسه: ١/٢٦٦ ح/٥٣، بَابِ فِيمَا جَاءَ عَنِ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مِنَ الْأَخْبَارِ الْمَتَفَرِّقَةِ .

(٦) الخصال: الصدوق: ٥٥٠ ح/٣٠، بَابِ اخْتِجَاجِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ بِثَلَاثِ وَأَرْبَعِينَ خِصْلَةً .

الرَّابِعَةُ وَالثَّلَاثُونَ فَإِنَّ النَّصَارَى ادَّعَوْا أَمْرًا فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾، فَكَانَتْ نَفْسِي نَفْسَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَالنِّسَاءُ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، وَالْأَبْنَاءُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، ثُمَّ نَدِمَ الْقَوْمُ فَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْإِعْفَاءَ فَأَعْفَاهُمْ، وَقَالَ: وَالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى وَالْفُرْقَانَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَوْ بَاهَلُونَا لَمَسَحُوا قَرْدَهُ وَخَنَازِيرَ<sup>(١)</sup>.

وَفِي الْعِلَلِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الثَّانِي عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ نَذَّرَهُ تَمَامَهُ فِي سُورَةِ يُونُسَ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ شَيْءٍ فَمِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَكِنْ قَالَتِ الْجَهْلَةُ: كَيْفَ لَا يَبْعَثُ إِلَيْنَا نَبِيًّا مِنَ الْمَلَائِكَةِ؟ إِنَّهُ لَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ فِي الْإِسْتِعْنَاءِ عَنِ الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ وَالْمَشْيِ فِي الْأَسْوَاقِ، فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: ﴿فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَفْرَعُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾<sup>(٢)</sup>، بِمَحْضَرٍ مِنَ الْجَهْلَةِ، هَلْ يَبْعَثُ اللَّهُ رَسُولًا قَبْلَكَ إِلَّا وَهُوَ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ وَلَكَ بِهِمْ أَسْوَةٌ، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ شَيْءٍ فَمِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَكِنْ لِيَتَّبِعَهُمْ﴾<sup>(٣)</sup> كَمَا قَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾، وَلَوْ قَالَ: تَعَالَوْا نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ لَمْ يَكُونُوا يُجِيبُونَ لِلْمَبَاهِلَةِ، وَقَدْ عَرَفَ [اللَّهُ تَعَالَى]<sup>(٤)</sup> أَنَّ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُؤَدِّ عَنهُ رِسَالَتَهُ وَمَا هُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ، وَكَذَلِكَ عَرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ صَادِقٌ فِيمَا يَقُولُ وَلَكِنْ أَحَبَّ أَنْ يُنْصِفَ مِنْ نَفْسِهِ<sup>(٥)</sup>.

(١) الخصال: الصدوق: ٥٧٦/ح١، أبواب السبعين وما فوقه لأمير المؤمنين عليه السلام سبعون منقبة لم يشركه فيها أحد من الأئمة، والحديث طويل أخذ منه المؤلف موطن الشاهد .

(٢) سورة يونس: الآية ٩٤ .

(٣) سورة يونس: الآية ٩٤ .

(٤) في الأصل: يعفهم .

(٥) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٦) علل الشرائع: الصدوق: ١/٢٩/ح١، العلة التي من أجلها قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وآله: ﴿فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ شَيْءٍ فَمِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يُفْرَعُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [سورة يونس: الآية ٩٤].

وَفِي مَعَانِي الْأَخْبَارِ بِإِسْنَادِهِ إِلَى "عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَخِيهِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: التَّبْتُلُ أَنْ تُقَلِّبَ كَفَيْكَ فِي الدَّعَاءِ إِذَا دَعَوْتَ، وَالْإِبْتِهَالُ أَنْ تُقَدِّمَهُمَا وَتَبْسُطَهُمَا" (١) (٢).

### ذكر كيفية الابتهاال:

وَفِي أَصُولِ الْكَافِي بِإِسْنَادِهِ إِلَى أَبِي إِسْحَقَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ "وَهَكَذَا الْإِبْتِهَالُ وَمَدَّ يَدَهُ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ إِلَى الْقِبْلَةِ وَلَا يَبْتَهُلُ حَتَّى تَجْرِيَ الدَّمْعَةُ" (٣)، "عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ فَضَالَةَ، عَنِ الْعَلَاءِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَالْإِبْتِهَالُ تَبْسُطُ يَدَيْكَ وَزِرَاعَيْكَ إِلَى السَّمَاءِ، وَالْإِبْتِهَالُ حِينَ تَرَى أَسْبَابَ الْبُكَاءِ" (٤)، وَبِإِسْنَادِهِ إِلَى "أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَأَمَّا الْإِبْتِهَالُ فَرَفْعُ يَدَيْكَ تُجَاوِزُ بِهِمَا رَأْسَكَ" (٥)، وَبِإِسْنَادِهِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ وَزُرَّارَةَ قَالَا: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "وَالْإِبْتِهَالُ أَنْ تَمُدَّ يَدَيْكَ جَمِيعاً" (٦)، "عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِي مَسْرُوقٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قُلْتُ: إِنَّا نُكَلِّمُ النَّاسَ فَنَحْتَجُّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (٧)، فَيَقُولُونَ نَزَلَتْ فِي أَمْرَاءِ السَّرَايَا، فَنَحْتَجُّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ﴾ (٨) الْآيَةَ، فَيَقُولُونَ: نَزَلَتْ فِي الْمُؤْمِنِينَ، وَنَحْتَجُّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (٩)، فَيَقُولُونَ: نَزَلَتْ فِي قُرْبَى الْمُسْلِمِينَ، قَالَ: فَلَمْ أَدْعُ شَيْئاً مِمَّا حَضَرَنِي ذِكْرُهُ مِنْ هَذِهِ وَشِبْهِهِ إِلَّا ذَكَرْتُهُ، فَقَالَ لِي: إِذَا كَانَ ذَلِكَ فَادْعُهُمْ إِلَى الْمُبَاهَلَةِ، قُلْتُ: وَكَيْفَ أَصْنَعُ؟ قَالَ: أَصْلِحْ نَفْسَكَ ثَلَاثاً وَأَظْنُهُ قَالَ: وَصُمْ وَاغْتَسِلْ وَابْرُزْ أَنْتَ وَهُوَ إِلَى الْجَبَانِ فَشَبِّكَ أَصَابِعَكَ مِنْ يَدِكَ الْيُمْنَى فِي أَصَابِعِهِ، ثُمَّ

(١) في المصدر: تَبْسُطَهُمَا وَتَقَدِّمَهُمَا .

(٢) معاني الأخبار: الصدوق: ١/٣٧٠ ح .

(٣) الكافي " الكليني: ٢/٤٨٠ ح / ٣، بَابُ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ وَالتَّضَرُّعِ وَالتَّبْتُلِ وَالْإِبْتِهَالِ وَالِاسْتِعَادَةَ وَالْمَسْأَلَةَ .

(٤) المصدر نفسه: ٢/٤٨٠ ح / ٤، بَابُ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ وَالتَّضَرُّعِ وَالتَّبْتُلِ وَالْإِبْتِهَالِ وَالِاسْتِعَادَةَ وَالْمَسْأَلَةَ .

(٥) المصدر نفسه: ٢/٤٨٠ - ٤٨١ ح / ٥، بَابُ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ وَالتَّضَرُّعِ وَالتَّبْتُلِ وَالْإِبْتِهَالِ وَالِاسْتِعَادَةَ وَالْمَسْأَلَةَ .

(٦) المصدر نفسه: ٢/٤٨١ ح / ٧، بَابُ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ وَالتَّضَرُّعِ وَالتَّبْتُلِ وَالْإِبْتِهَالِ وَالِاسْتِعَادَةَ وَالْمَسْأَلَةَ .

(٧) سورة النساء: الآية ٥٩ .

(٨) سورة المائدة: الآية ٥٥ .

(٩) سورة الشورى: الآية ٢٣ .

أَنْصِفُهُ وَابْدَأُ بِنَفْسِكَ وَقُلِ: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبَّ الْأَرْضِينَ السَّبْعِ، عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ، إِنْ كَانَ أَبُو مَسْرُوقٍ جَدَّ حَقًّا وَادَّعَى بَاطِلًا فَأَنْزِلْ عَلَيْهِ حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ عَذَابًا أَلِيمًا، ثُمَّ رَدَّ الدَّعْوَةَ عَلَيْهِ فَقُلْ: وَإِنْ كَانَ فُلَانٌ جَدَّ حَقًّا وَادَّعَى بَاطِلًا فَأَنْزِلْ عَلَيْهِ حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ عَذَابًا أَلِيمًا، ثُمَّ قَالَ لِي: فَإِنَّكَ لَا تَلْبِثُ أَنْ تَرَى ذَلِكَ فِيهِ، فَوَاللَّهِ مَا وَجَدْتُ خَلْقًا يُجِيبُنِي إِلَيْهِ" (١)، "عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمُبَاهَلَةِ قَالَ: تَشَبَّكَ أَصَابِعَكَ فِي أَصَابِعِهِ ثُمَّ تَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ فُلَانٌ جَدَّ حَقًّا، وَأَقْرَبَ بِبَاطِلٍ، فَأَصِبْهُ بِحُسْبَانٍ مِنَ السَّمَاءِ أَوْ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِكَ، وَتُلَاعِنُهُ سَبْعِينَ مَرَّةً" (٢)، "مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ، عَنْ أَبِي جَمِيلَةَ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ قَالَ: إِذَا جَدَّ الرَّجُلُ الْحَقَّ فَإِنْ أَرَادَ أَنْ تُلَاعِنَهُ قُلْ: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبَّ [٩٤] الْأَرْضِينَ السَّبْعِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، إِنْ كَانَ فُلَانٌ جَدَّ الْحَقَّ وَكَفَّرَ بِهِ فَأَنْزِلْ عَلَيْهِ حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ عَذَابًا أَلِيمًا" (٣).

#### ذكر وقت المباهلة:

"عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مِهْرَانَ، عَنْ مَخْلَدِ أَبِي الشُّكْرِ، عَنْ أَبِي حَمَزَةَ الثَّمَالِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: السَّاعَةُ الَّتِي تُبَاهَلُ فِيهَا مَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ" (٤).

#### المعنى:

ثُمَّ رَدَّ سُبْحَانَهُ عَلَى النَّصَارَى قَوْلَهُمْ فِي الْمَسِيحِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ إِنَّهُ ابْنُ اللَّهِ، وَقَوْلَهُمْ: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (٥)، وَقَوْلَهُمْ أَنَّهُ تَالِثُ ثَلَاثَةٍ، وَقَوْلَهُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ ابْنُ اللَّهِ فَمَنْ أَبُوهُ وَغَيْرَ ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾، أَي: إِنْ مَثَلَ عِيسَى وَشَأْنُهُ الْغَرِيبِ الْبَدِيعِ الْعَجِيبِ فِي خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى إِيَّاهُ مِنْ غَيْرِ أَبِي كَمَثَلِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَشَأْنِهِ الْغَرِيبِ فِي خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ غَيْرِ أَبِي وَلَا أُمَّ فَلَيْسَ هَذَا بِأَبْدَعٍ وَأَغْرَبٍ وَأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ، فَكَيْفَ تُتَكْرَمُونَ هَذَا أَيُّهَا النَّصَارَى وَتُقَرُّونَ بِذَلِكَ مَعَ أَنَّ الْوُجُودَ مِنْ غَيْرِ أَبِي وَلَا أُمَّ أَغْرَبٌ وَأَدْخَلُ فِي خَرْقٍ

(١) الكافي: الكليني: ٥١٣/٢ - ٥١٤/١، بَابُ الْمُبَاهَلَةِ .

(٢) المصدر نفسه: ٥١٤/٢، بَابُ الْمُبَاهَلَةِ .

(٣) المصدر نفسه: ٥١٥/٢، بَابُ الْمُبَاهَلَةِ .

(٤) المصدر نفسه: ٥١٤/٢، بَابُ الْمُبَاهَلَةِ .

(٥) سورة المائدة: الآية ١٧ .

العَادَةُ مِنَ الْوُجُودِ مِنْ غَيْرِ أَبِي فَقَطْ، ثُمَّ فَسَّرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ التَّمَثِيلَ الْمَذْكُورَ بِقَوْلِهِ: ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ هذا التفسير مُبَيِّنٌ لِمَا لَهُ الشَّبَهُ وَهُوَ أَنَّهُ بِلَا أَبِي كَمَا خُلِقَ آدَمُ مِنَ التُّرَابِ بِلَا أَبِي وَأَمَّ شَبَهُ حَالِهِ بِمَا هُوَ أَعْرَبُ وَأَعْجَبُ إِفْحَامًا لِلْخَصْمِ وَإِبْهَاتًا لَهُمْ وَقَطْعًا لِمَوَادِّ الشُّبْهِ، وَهَذَا إِخْبَارٌ عَنِ خَلْقِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ وَأَنْشَأَ جَسَدَهُ وَقَالَ بِهِ مِنَ التُّرَابِ. ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ﴾ أَي: أَنْشَأَهُ بَشَرًا بِأَنْ قَالَ لَهُ كُنْ حَيًّا بَشَرًا سَوِيًّا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾<sup>(١)</sup>، أَوْ قَدَّرَ تَكْوِينَهُ مِنَ التُّرَابِ ثُمَّ كَوَّنَهُ.

﴿فَيَكُونُ﴾، (أَي: فَكَانَ فِي الْحَالِ عَلَى مَا أَرَادَ)<sup>(٢)</sup>، فَقَوْلِهِ: ﴿فَيَكُونُ﴾ حِكَايَةٌ حَالٍ مَاضِيَةٍ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ثُمَّ هُنَا اسْتِعَارَةٌ لِلتَّرْقِيِ وَالتَّفَاوُتِ وَبَعْدِ الْمَرْتَبَةِ بَيْنَ الْخَلْقَيْنِ خَلْقِهِ مِنْ تُرَابٍ، وَخَلْقِهِ بَشَرًا حَبًّا سَوِيًّا، يَعْنِي: خَلَقَ اللَّهُ عَيْسَى مِنَ الرِّيحِ، وَلَمْ يَخْلُقْ أَحَدًا قَبْلَهُ مِنَ الرِّيحِ فَقَطْ، كَمَا خَلَقَ آدَمَ مِنَ التُّرَابِ، وَلَمْ يَخْلُقْ أَحَدًا قَبْلَهُ مِنَ التُّرَابِ.

وَقَالَ فِي الْمَجْمَعِ (وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى صِحَّةِ النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى اخْتَجَّ بِهِ عَلَى النَّصَارَى، وَدَلَّ عَلَى جَوَازِ خَلْقِ عَيْسَى مِنْ غَيْرِ أَبِي وَلَا أُمِّ)<sup>(٣)</sup>.

﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ أَي: هَذَا الْإِخْبَارُ الْمَذْكُورُ فِي أَمْرِ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ الْحَقُّ كَائِنًا وَصَادِرًا وَنَازِلًا مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ، وَلَسْتَ افْتَرَحْتَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِكَ، إِضَافَةً سُبْحَانَهُ إِلَى نَفْسِهِ تَأَكِيدًا وَتَعْلِيلًا، أَي: ذَلِكَ هُوَ الْحَقُّ؛ لِأَنَّهُ مِنْ رَبِّكَ، هَذَا إِذَا كَانَ الْحَقُّ خَبْرًا لِمُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْحَقُّ مُبْتَدَأً وَمِنْ رَبِّكَ خَبْرًا يَكُونُ الْمَعْنَى: الْحَقُّ الْمَوْصُوفُ الْمَذْكُورُ مِنْ رَبِّكَ.

﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾، (خَطَابٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى طَرِيقَةِ التَّهْيِيجِ [وَالْإِلْهَابِ])<sup>(٤)</sup>؛ لِزِيَادَةِ الطَّمَأْنِينَةِ وَالْيَقِينِ وَالتَّثَابِتِ أَوْ لِكُلِّ سَامِعٍ<sup>(٥)</sup>، أَي: فَلَا تَكُنْ أَيُّهَا السَّامِعُ مِنَ الشَّاكِّينَ.

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ﴾، أَي: فَمَنْ جَادَلَكَ وَخَاصَمَكَ يَا مُحَمَّدُ مِنَ النَّصَارَى<sup>(٦)</sup>، ﴿فِيهِ﴾، أَي: فِي أَمْرِ عَيْسَى وَقِصَّتِهِ الْعَجِيبَةِ، أَوْ فِي مَا هُوَ الْحَقُّ، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾، أَي: مِنْ

(١) سورة المؤمنون: الآية ١٤ .

(٢) مجمع البيان: الطبرسي: ٣١٠/٢ .

(٣) المصدر نفسه: ٣١٠/٢ .

(٤) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٥) زبدة التفاسير: فتح الله الكاشاني: ٤٩٧/١ .

(٦) المصدر نفسه: ٤٩٧/١ .

الْبُرْهَانَ الْوَاضِحَ وَالْبَيَانَ السَّاطِعَ الْمَوْجِبَ لِلْعِلْمِ عَلَى أَنَّهُ عَبْدِي وَرَسُولِي خَلَقْتُهُ بِقُدْرَتِي وَنَافِذِ أَمْرِي مِنْ غَيْرِ أَبِي كَمَا خَلَقْتَ آدَمَ صَفِيًّا وَنَبِيًّا بِقُدْرَتِي مِنْ غَيْرِ أَبِي وَلَا أُمِّ، وَالْقَيْتَهُ إِلَيْهِمْ وَقَرَأْتَهُ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَقْبَلُوهَا مِنْكَ، ﴿فَقُلْ﴾، (يَا مُحَمَّدٌ لِهَؤُلَاءِ النَّصَارَى) <sup>(١)</sup>، ﴿تَعَالَوْا﴾، أَي: (هَلُمُّوا بِالرَّأْيِ وَالْعَزْمِ) <sup>(٢)</sup> إِلَى حُجَّةٍ قَاضِيَةٍ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فَاصِلَةً تُمَيِّزُ الصَّادِقَ مِنَّا عَنِ الْكَاذِبِ وَهِيَ ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾، الْمُرَادُ بِأَبْنَائِنَا: الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ لَا غَيْرَهُمَا بِاتِّفَاقِ الْكُلِّ، وَلِعَدَمِ دُخُولِ غَيْرِهِمَا مِمَّنْ يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ ابْنًا لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُمَا ابْنَا رَسُولِ اللَّهِ وَكَذَا الْأُمَّةُ التَّسَعَةَ الْبَاقِيَةَ أَبْنَاءَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى مَا مَرَّ فِي الْأَخْبَارِ وَيَأْتِي فِي مَكَانِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى أَيْضًا.

وَقَالَ فِي الْمَجْمَعِ: (أَجْمَعَ الْمُفَسِّرُونَ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِأَبْنَائِنَا الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ الرَّازِي <sup>(٣)</sup>: هَذَا يُدَلُّ عَلَى أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ ابْنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَأَنَّ وَدَّ الْإِبْنَةَ ابْنٌ فِي الْحَقِيقَةِ، وَقَالَ ابْنُ أَبِي عَلَانَ <sup>(٤)</sup>، وَهُوَ أَحَدُ أُمَّةِ الْمُعْتَزَلَةِ: هَذَا يُدَلُّ عَلَى أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ كَانَا مُكَلَّفَيْنِ فِي تِلْكَ الْحَالِ؛ لِأَنَّ الْمُبَاهَلَةَ لَا تَجُوزُ إِلَّا مَعَ الْبَالِغِينَ) <sup>(٥)</sup>.

وَقَالَ أَصْحَابُنَا: (إِنَّ صِغَرَ السِّنِّ وَتُقْصَانَهَا عَنْ حَدِّ بُلُوغِ الْحُكْمِ لَا يُنَافِي كَمَالَ الْعَقْلِ، وَإِنَّمَا جُعِلَ بُلُوغُ الْخُلْمِ حَدًّا لِتَعَلُّقِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، وَقَدْ كَانَ سِنِّهِمَا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فِي تِلْكَ الْحَالِ سِنًّا لَا يَمْتَنِعُ مَعَهَا أَنْ يَكُونَا كَامِلِي الْعَقْلِ) <sup>(٦)</sup>، (عَلَى أَنَّ عِنْدَنَا يَجُوزُ أَنْ يَخْرُقَ اللَّهُ تَعَالَى الْعَادَاتِ لِلْأُمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَيَخُصَّهُمْ بِمَا لَا يَشْرِكُهُمْ فِيهِ غَيْرُهُمْ، فَلَوْ صَحَّ أَنَّ كَمَالَ الْعَقْلِ غَيْرُ مُعْتَادٍ فِي تِلْكَ السِّنِّ، لَجَازَ ذَلِكَ فِيهِمْ؛ إِبَانَةً لَهُمْ عَمَّنْ سِوَاهُمْ، وَدِلَالَةً عَلَى مَكَانَتِهِمْ مِنْ

(١) مجمع البيان: الطبرسي: ٣١٠/٢ .

(٢) التفسير الصافي: الفيض الكاشاني: ٣٤٣/١ .

(٣) هو أحمد بن علي أبو بكر الرازي العلامة صاحب التصانيف وتلميذ أبي الحسن الكرخي انتهت إليه رئاسة الحنفية ببغداد وكان مشهورا بالزهد والفقهاء وتوفي سنة سبعين وثلاث مائة، الوافي بالوفيات: الصفدي: ١٥٨/٧ .

(٤) هو عبد الله بن محمد بن أبي علان، أبو أحمد: قاضي الأهواز، كان معتزليا، له تصانيف حسنة، توفي ٤٠٩ هـ، الأعلام: الزركلي: ١٢١/٤ .

(٥) مجمع البيان: الطبرسي: ٣١٠/٢ - ٣١١ .

(٦) الشافي في الإمامة: الشريف المرتضى: ٢٥٥/٢، كتاب الأربعين: الماحوزي: ٣١٢ .



الله تَعَالَى، وَاخْتِصَّاصَهُمْ بِهِ، وَمِمَّا يُؤَيِّدُهُ مِنَ الْأَخْبَارِ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: ابْنَايَ هَذَانِ إِمَامَانِ، قَامَا أَوْ قَعَدَا<sup>(١)</sup>.

﴿وَنِسَاءَنَا﴾، اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ [بِنِسَائِنَا]<sup>(٢)</sup> فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَحْضُرِ الْمُبَاهَلَةَ غَيْرُهَا مِنَ النِّسَاءِ، وَهَذَا يُدَلُّ عَلَى تَفْضِيلِ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ عَلَى جَمِيعِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ<sup>(٣)</sup>، وَكَمَا مَرَّ سَابِقًا فِي الْأَخْبَارِ فِي ذِكْرِ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ [٩٥] (وَيَعْضُدُهُ مَا جَاءَ فِي الْخَبَرِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: «فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي يَرِيْبُنِي مَا أَرَابَهَا»<sup>(٤)</sup>، وَقَالَ: «أَنَّ اللَّهَ يَغْضَبُ لِعُضْبِ فَاطِمَةَ، وَيَرْضَى لِرِضَاهَا»<sup>(٥)</sup>، وَقَدْ صَحَّ عَنْ حَظِيْفَةَ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ: «أَتَانِي مَلَكٌ فَبَشَّرَنِي أَنَّ فَاطِمَةَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، أَوْ نِسَاءِ أُمَّتِي»<sup>(٦)</sup>.

(وَعَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنِ مَسْرُوقٍ، عَنِ عَائِشَةَ، قَالَتْ: أَسْرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى فَاطِمَةَ شَيْئًا فَضَحِكْتُ، سَأَلْتُهَا، فَقَالَتْ: «قَالَ لِي: أَلَا تَرْضَيْنِ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، أَوْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ»<sup>(٧)</sup>، ﴿وَنِسَاءَكُمْ﴾، أَي: مَنْ شِئْتُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ، ﴿وَأَنْفُسَنَا﴾، يَعْنِي: عَلِيًّا خَاصَّةً<sup>(٨)</sup>، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى بِهِ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الدَّاعِي، (وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَدْعُو الْإِنْسَانَ نَفْسَهُ، وَإِنَّمَا يَصِحُّ أَنْ يَدْعُو غَيْرَهُ، وَإِذَا كَانَ قَوْلُهُ: ﴿وَأَنْفُسَنَا﴾، لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ إِشَارَةً إِلَى غَيْرِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَجَبَّ أَنْ يَكُونَ إِشَارَةً إِلَى عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ)<sup>(٩)</sup>؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ فِي الْمُبَاهَلَةِ أَحَدٌ غَيْرُهُ مِنْ

(١) مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب: ١٤١/٣، عوالي اللئالي: ابن أبي جمهور الأحسائي: ١٣٠/٣، ح/١٤، باب الخمس.

(٢) في المصدر: به .

(٣) في المصدر: النساء .

(٤) مجمع البيان: الطبرسي: ٣١١/٢ .

(٥) السنن الكبرى: النسائي: ٣٩٤/٧، ح/٨٣١٢، المعجم الكبير: الطبراني: ٤٠٤/٢٢، ح/١٠١١، بحار الأنوار: المجلسي: ٢٧٩/٢١ .

(٦) الأمالي: الصدوق: ٤٦٧/٦٢٢، مناقب علي: ابن المغازلي: ٤٠٦/٤٠١ .

(٧) مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب: ١٠٥/٣، المستدرک علی الصحیحین: الحاكم النيسابوري: ١٦٤/٣، ح/٤٧٢٢، مع اختلاف يسير في الألفاظ .

(٨) مسند أحمد: أحمد بن حنبل: ١٠/٤٤، ح/٢٦٤١٣، صحيح البخاري: البخاري: ٦٤/٨، ح/٦٢٨٥ .

(٩) مجمع البيان: الطبرسي: ٣١١/٢ .

(١٠) المصدر نفسه: ٣١١/٢ .



رَجَالِ الْأُمَّةِ غَيْرِهِ وَ(لَا أَحَدٌ يَدَّعِي دُخُولَ الْمُبَاهَلَةِ غَيْرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَزَوْجَتِهِ وَوَلَدَيْهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَهَذَا يُدَلُّ عَلَى غَايَةِ الْفَضْلِ، وَغُلُوِّ الدَّرَجَةِ وَالْبُلُوغِ مِنْهُ إِلَى حَيْثُ لَا يَبْلُغُهُ أَحَدٌ؛ إِذْ جَعَلَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ نَفْسَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَهَذَا مَا لَا يُدَانِيهِ فِيهِ أَحَدٌ، وَلَا يُقَارِبُهُ، وَمِمَّا يَعْضُدُهُ مِنَ الرُّوَايَاتِ مَا صَحَّ "عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: فَعَلِيٌّ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا سَأَلْتَنِي عَنِ النَّاسِ، وَلَمْ تَسْأَلْنِي عَنْ نَفْسِي"<sup>(١)</sup>، "وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِبرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيَّةِ: يَا بَرْيَدَةَ! لَا تُبْغِضِ عَلِيًّا؛ فَإِنَّهُ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، وَإِنَّ النَّاسَ خُلِقُوا مِنْ شَجَرٍ شَتَّى، وَخُلِقْتُ أَنَا وَعَلِيٌّ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ، وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِأَحَدٍ: وَقَدْ ظَهَرَ مِنْ نِكَايَتِهِ فِي الْمُشْرِكِينَ، وَوَقَايَتِهِ إِيَّاهُ بِنَفْسِهِ، حَتَّى قَالَ جَبْرِئِيلُ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ هَذِهِ لَهِيَ الْمُوَاسَاةُ! فَقَالَ: يَا جَبْرِئِيلُ! إِنَّهُ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، فَقَالَ جَبْرِئِيلُ: وَأَنَا مِنْكُمْ"<sup>(٢)</sup>.

﴿وَأَنْفُسُكُمْ﴾، يَعْنِي: مَنْ شِئْتُمْ مِنْ رِجَالِكُمْ، ﴿ثُمَّ نَبِّهْتُمْ﴾، أَي: نَتَضَرَّعُ فِي الدُّعَاءِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقِيلَ: نَلْتَعِنُ فَنَقُولُ: لَعَنَ اللَّهُ الْكَاذِبِينَ<sup>(٣)</sup>، يَعْنِي: نَتَّبَاهَلُ بِأَنْ نَلْعَنَ الْكَاذِبَ مِنَّا، وَالْبُهْلُ بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ: اللَّعْنَةُ<sup>(٤)</sup>، وَأَصْلُ الْبُهْلِ: التَّرْكُ مِنَ قَوْلِهِمْ: بَهَلْتُ النَّاقَةَ إِذَا تَرَكْتَهَا بِلا صِرَارٍ<sup>(٥)</sup>، ﴿فَنَجْعَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾، مِنَّا وَمِنْكُمْ، فَهُوَ عَطْفٌ عَلَى ﴿نَبِّهْتُمْ﴾ وَبَيَانٌ لَهُ.

وَفِي الْمَجْمَعِ (وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُمْ عَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؛ لِأَنَّهُمْ امْتَنَعُوا عَنِ الْمُبَاهَلَةِ، وَأَقْرَبُوا بِالذُّلِّ وَالْخِزْيِ [وَاللَّعْنَةَ وَانْقَادُوا]<sup>(٦)</sup> لِقَبُولِ الْحِزْيَةِ، فَلَوْ لَمْ يَعْلَمُوا ذَلِكَ لَبَاهَلُوهُ)<sup>(٧)</sup>، (وَلَوْ لَمْ يَكُنْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُتَيَقِّنًا بِنَزُولِ الْعُقُوبَةِ بَعْدَهُ

(١) مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب: ٥٨/٢ .

(٢) بحار الأنوار: المجلسي: ٢٧٩/٢١ - ٢٨٠ .

(٣) مجمع البيان: الطبرسي: ٣١١/٢ - ٣١٢ .

(٤) ينظر: الصحاح: الجوهري: ١٦٤٢/٤، مادة بهل .

(٥) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ٧١/١١، مادة بهل .

(٦) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٧) مجمع البيان: الطبرسي: ٣١٢/٢ .

دونه، لما أدخل أولاده وحواص أهله في ذلك، مع شدة إشفاقه عليهم<sup>(١)</sup> انتهى كلامه أعلى الله مقامه.

أقول: دلت هذه الآية وما مر من الأخبار على أمور كثيرة منها: أن النصارى علموا أن الحق مع النبي صلى الله عليه وآله، ولذا امتنعوا عن المباهلة، وتقلدوا بالذل والخزي واللعنة وقبول الجزية، فلو لم يعلموا ذلك يقيناً لما فعلوا كذلك ولباهلوا، ومنها أنه صلى الله عليه وآله كان متيقناً بحقيته، فلو لم يكن متيقناً بحقيته وينزول العقوبة والعذاب على عدوه لما أدخل أولاده وأجرة أهله، وألصقهم بقلبه في المباهلة مع شدة إشفاقه عليهم كما ذكر في المجمع، ومنها أن هؤلاء من أصحاب الكساء أفضل خلق الله بعد الرسول، وأعزهم إليه وأشرفهم لديه؛ بحيث لا يذانيهم أحد ولا يسبقهم إليه خلق ولذا أدخلهم صلى الله عليه وآله في المباهلة والدعاء، ومنها أن الحسن والحسين ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله كما اعترف به فحول العامة أيضاً، ومنها أن فاطمة الزهراء صلوات الله عليها أفضل نساء العالمين وسيدتهن، ومنها اتفاق الخاصة والعامة على أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان داخلاً في المباهلة بلا خلاف، ولم يكن داخلاً في الأبناء والنساء فيجب أن يكون داخلاً في أنفسنا وليس المراد به هنا الحقيقة؛ لأن اتحاد النفسين حقيقة محال، بل المراد منه ما هو بمنزلة النفس كما قال صلى الله عليه وآله: "أولادنا هم رجالنا كنفسي"<sup>(٢)</sup>، وكما قال صلى الله عليه وآله له عليه السلام: "نفسك نفسي، ولحمك لحمي"<sup>(٣)</sup> الحديث، فيكون المراد به أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، ومنها أن علياً عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله وآله بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعده صلى الله عليه وآله، ومنها أن هؤلاء الثلاثة من أصحاب الكساء هم الأئمة بعد الرسول بلا فضل على الترتيب علي ثم الحسن ثم الحسين؛ لقوله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: "أنت خليفتي من بعدي"<sup>(٤)</sup> الحديث، ولقوله صلى الله عليه وآله: "ابناتي هذان إمامان، قاما أو قعدا"<sup>(٥)</sup>، ولعدم جواز تقديم

(١) مجمع البيان: الطبرسي: ٣١٢/٢ .

(٢) عيون أخبار الرضا (ع): الصدوق: ١/٢١٠/١، باب ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع المأمون في الفرق بين العترة والأمة، والحديث طويل أخذ منه المؤلف موطن الشاهد .

(٣) ينظر: بحار الأنوار: المجلسي: ٢٤٨/٣٨ .

(٤) النكت الاعتقادية: المفيد: ٤١ .

(٥) الإرشاد: المفيد: ٣٠/٢، مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب: ١٤١/٣ .

المَفْضُول، وَلِعَدَم نَيْل عَهْدِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ الْإِمَامَةُ عَلَى الظَّالِمِينَ وَعَابِدِي الوَثْنِ، وَلَوْ كَانَ فَبِعُضِ الْأَخْيَانِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الدَّلَالَاتِ، وَالْأَشْهُرِ أَنَّ يَوْمَ الْمُبَاهَلَةِ يَوْمَ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ الْحَرَامِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ يَوْمَ الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْهُ، وَبَعْضُهُمْ يَوْمَ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْهُ، وَبَعْضُهُمْ الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ مِنْهُ، وَمِنْ جُمْلَةِ فَضْلِ هَذَا الْيَوْمِ [٩٦] وَمَزِيدِ شَرَفَتِهِ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ تَصَدَّقَ فِي رُكُوعِ صَلَوَاتِهِ بِخَاتَمِهِ عَلَى السَّائِلِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ، وَظَهَرَتْ إِمَامَتُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَرْبَابِ الْبَصِيرَةِ وَأَصْحَابِ الْيَقِينِ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وَيَجِيءُ بَيَانُهُ مُسْتَوْفَى فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ\* فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، آيتان .  
اللغة:

الْقَصَصُ مُحَرَّكَةٌ كَفَرَسٍ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرٌ، وَيُقَالُ: (قَصَّ أَثَرَهُ قَصًّا وَقَصَصًا: تَبِعَهُ، وَالْخَبَرَ: أَعْلَمَهُ)<sup>(٣)</sup>، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾<sup>(٤)</sup>، (أَي: رَجَعَا مِنَ الطَّرِيقِ الَّذِي سَلَكَاهُ يُقْصَانِ الْأَثَرِ)<sup>(٥)</sup>، ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾<sup>(٦)</sup>، أَي: (تُبَيِّنُ لَكَ أَحْسَنَ الْبَيَانِ، وَالْقَاصُ: مَنْ يَأْتِي بِالْقِصَّةِ)<sup>(٧)</sup>، ثُمَّ اسْتَعْمِلَ بِمَعْنَى الْقِصَّةِ وَالْخَبَرِ وَالْحَدِيثِ وَهُوَ حِينِيذٍ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ، وَأَمَّا الْقِصَصُ كَعَنْبٍ فَجَمْعُ قِصَّةٍ كَسِدْرَةٍ وَقَرِيبَةٍ وَسِدْرٍ وَقَرَبٍ، وَيُقَالُ: قَصَصْتُ الْحَدِيثَ وَاقْتَصَصْتُهُ قَصًّا وَقَصَصًا إِذَا رَوَيْتَهُ عَلَى جِهَتِهِ، وَهُوَ مَاخُودٌ مِنْ اقْتَصَصْتُ الْأَثَرَ، أَي: اتَّبَعْتَهُ، وَمِنْهُ اسْتِثْقاقُ الْقِصَاصِ<sup>(٨)</sup>، وَالتَّوَلَّى عَنِ الْحَقِّ: الْإِعْرَاضُ عَنْهُ

(١) سورة المائدة: الآية ٥٥ .

(٢) سورة آل عمران: الآية ٦٢ - ٦٣ .

(٣) القاموس المحيط: الفيروزآبادي: ٦٢٧، مادة قَصَّ .

(٤) سورة الكهف: الآية ٦٤ .

(٥) القاموس المحيط: الفيروزآبادي: ٦٢٧، مادة قَصَّ .

(٦) سورة يوسف: الآية ٣ .

(٧) القاموس المحيط: الفيروزآبادي: ٦٢٧، مادة قَصَّ .

(٨) ينظر: تهذيب اللغة: الأزهري: ٢١٠/٨ - ٢١١، مادة قَصَّ .

واعتقاد خلافه؛ لأنه كالإدبار عنه بعد الإقبال عليه، وأصل التّوَلَّى؛ كون الشيء يلي غيره من غير فصل بينه وبينه<sup>(١)</sup>، والافساد: إيقاع الشيء على خلاف ما توجبه الحكمة، والإصلاح ضدّه وهو إيقاعه على ما توجبه الحكمة<sup>(٢)</sup>.

### الإعراب:

﴿هَذَا﴾ في محل النّصب اسم ﴿إِنَّ﴾، و﴿الْقَصُّ﴾ خبره، و﴿الْحَقُّ﴾ صفة القَصُّ، وهو ضمير فصل يفصل بين كون الخبر خبراً ونعتاً وذلك إذا كان الخبر معرفة أو مضارعاً لها في امتناع دخول حرف التعريف عليه كما فعل من كذا، وإنما يؤتى به ؛ ليؤذن من أول أمره أنّه خبر لا نعت، وليفيد ضرباً من التأكيد والحصر، ويسمّيه البصريّون فصلاً والكوفيّون عماداً، ويدخل عليه لام الابتداء كما في هاتين الآيتين نحن في بيانهما، ونحو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصّٰفُّوْنَ﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ \* إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ \* وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، ولا محل له من الإعراب عند معظم النحاة، وبعض العربي يجعلونه مبتدأ وما بعده خبراً، والجملة خبراً لما قبله، فحينئذ يكون ﴿لَهُوَ﴾ مبتدأ وخبره ﴿الْقَصُّ﴾، والجملة خبر إن، وهؤلاء يقرؤون قوله تعالى: ﴿كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ﴾<sup>(٥)</sup>، برفع الرقيب، وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظّٰلِمِينَ﴾<sup>(٦)</sup> هم الظالمون، و﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ﴾<sup>(٧)</sup> بالرفع، وقوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ﴾ من استغراقية مزيدة لتوكيد عموم لكلّ إله غير الله كما تقدّم في نحو قولهم: لا رجل في الدار ولا إله إلا الله، أي: لا من رجلٍ فدَمِنْ في ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ﴾ بمنزلة البناء على الفتح في لا رجل في الدار ولا إله إلا الله في إفادة الاستغراق، ولردّ على النصارى في قولهم بالتثليث وكون عيسى ولد الله، وإليه خبر مقدّم، و﴿إِلَّا﴾

الله مبتدأ مؤخر.

(١) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ٤١٥/١٥، مادة ولي .

(٢) ينظر: المصباح المنير: الفيومي: ٤٧٢/٢، مادة فسّد .

(٣) سورة الصّافات: الآية ١٦٥ .

(٤) سورة الصّافات: الآية ١٧١ - ١٧٣ .

(٥) سورة المائدة: الآية ١١٧ .

(٦) سورة الزخرف: الآية ٧٦ .

(٧) سورة الكهف: الآية ٣٩ .

وَقَالَ فِي الْمَجْمَعِ: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ دخول ﴿مِنْ﴾ فيه لعموم النفي لكل إله غير الله، وإنما أفادت ﴿مِنْ﴾ هذا المعنى؛ لِأَنَّ أصلها لا ابتداء الغاية، فدلّت على استغراق النفي لا ابتداء الغاية إلى انتهائها<sup>(١)</sup> انتهى، قوله: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ شرط حذف جوابه، والفاء في ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ للتعليل، والتقدير فَإِنَّ تَوَلَّوْا فلا تحزن، أو فاصبر أو نحو ذلك<sup>(٢)</sup>، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾<sup>(٣)</sup>، أي: فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَلَا تَحْزَنْ، أو فاصبر فقد كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ .

### المعنى:

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ أي: إِنَّ هَذَا الذي أوحينا إليك في أمر زكريّا ويحيى ومريم وعيسى، وكونه عبداً مخلوقاً لله ليس إلهاً ولا ولد إله ولا ثالث ثلاثة لهو البيان الحق والحديث الصدق، فمن خالفك فيه مع وضوح الأمر فهو معاندٌ جاحدٌ للأمر البديهيّ لما مرّ من أنّ الولد يشبه أباه إلى آخر ما مرّ في النزول، وفي أول السورة أيضاً.

﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي: لم يكن ولا يكون من معبودٍ بحقٍ يستحق عبادة من سواه، ويستحق إطلاق اسم الإلهية عليه إلا الله وإنّ عيسى وأمه ليسا إلهين كما زعم النصارى، فإنّما هو عبد الله ورسوله كما اعترف به عيسى نفسه في سورة مريم في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا \* وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>، وفي هذه السورة أيضاً قبل آية المباهلة، وفي سورة المائدة أيضاً في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ فُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ \* مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾<sup>(٥)</sup> الآية.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾، أي: لهو القادر على الكمال الغالب على كل شيء.

(١) مجمع البيان: الطبرسي: ٣١٢/٢ .

(٢) ومنه في حاشية الأصل: مثلاً: فلا يضرك قولهم أو فإله يجازيهم .

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٨٤ .

(٤) سورة مريم: الآية ٣٠ - ٣٦ .

(٥) سورة المائدة: الآية ١١٦ - ١١٧ .

﴿الْحَكِيمِ﴾ في الأفعال والأقوال والتدبير والتقدير، ولا أحد سواه يساويه ويدانيه في القدرة الكاملة والحكمة البالغة ليشاركة في الألوهية<sup>(١)</sup>.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾، أي: فإن أعرضوا عن الحق وعن اتباعك وتضديك [٩٧] وعمّا أتيت به من الدلالات الواضحة والبيّنات اللائحة فلا تحزن واضبر.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾، أي: فإنّ الله عليمٌ بهم، أي: هؤلاء الجاحدين المجادلين بغير حقّ وبأنّهم لا يقدمون على مباهلتك؛ لمعرفتهم بأنّ الحقّ معك، وبصحة نبوتك، وبالفصل من أمر صاحبهم، وبمن يفسد في خلقه تعالى فيجازيهم على إفسادهم، وإنّما وضع الظاهر موضع الضمير؛ لوجهين، للتصريح بفسادهم وعنادهم بعد معرفتهم الحقّ، وكون صاحبهم عبداً لله ورسوله، ولدلالة (على أنّ التّوّليّ عن الحجج والإعراض عن التّوحيد إفسادٌ للدّين [ومؤدٍ]<sup>(٢)</sup>) إلى إفساد النّفس، بل وإلى إفساد العالم<sup>(٣)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾<sup>(٤)</sup> آية .

#### القراءة:

القراءة المشهورة أن لا نَعْبُدَ بالنَّصب، وقرئ أن لا نَعْبُدُ بالرَّفْع على أن أن هي المخففة من الثقلية، وقرئ أن لا نَعْبُدُ بالجزم على أن أن هي المفسرة ولا ناهية<sup>(٥)</sup>.

#### اللغة:

الكلمة قد تطلق ويراد بها الكلام؛ لكونها دالة على معنى يحسن السكوت عليه كما هنا، وهذه الكلمة هنا هي قوله تعالى: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ إلى آخر الآية، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا﴾<sup>(٦)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةً

(١) ينظر: أنوار التنزيل: البيضاوي: ٢١/٢ .

(٢) في المصدر: والاعتقاد المؤدي .

(٣) أنوار التنزيل: البيضاوي: ٢١/٢ .

(٤) سورة آل عمران: الآية ٦٤ .

(٥) ينظر: منار الهدى: الأشموني: ١٤٢/١ .

(٦) سورة الأنعام: الآية ١١٥ .

اللَّهُ هِيَ الْعُلْيَا ﴿١﴾، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «أُضِدَّقُ كَلِمَةً قَالَهَا شَاعِرٌ كَلِمَةً لَبِيدٍ»<sup>(٢)</sup>، وهي إشارة إلى قصيدته التي منها قوله:

(أَلَا تَسْأَلَانِ الْمَرْءَ مَاذَا يُحَاوِلُ      أَنْحَبُّ فَيُقْضَى أَمْ ضَلَالًا وَبَاطِلًا)<sup>(٣)</sup> .  
(أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهُ بَاطِلًا      وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ)<sup>(٤)</sup>،  
القصيدة.

وقولهم أن لا إله إلا الله كلمة توحيد وكلمة إخلاص، وقولهم الشهادة يريدون أشهد أن لا إله إلا الله، وقولهم كلمة شاعرة، وهذا كله مجاز من باب تسميته باسم جُزئِه كقوله تعالى: ﴿فَنَحْرِي رَقَبَةً﴾<sup>(٥)</sup>، مكان نَسَمَةٍ، وَكَتَسَمِيَّتِهِم الرِّبِيَّةَ عَيْنًا، وَالْبَيْتَ مِنَ الشِّعْرِ قَافِيَةً؛ لِاشْتِمَالِهِ عَلَيْهَا، وَقَدْ يَسْمُونُ الْقَصِيدَةَ أَيْضًا قَافِيَةً كقوله:

(أَعْلَمُهُ الرِّمَاطَةَ كُلَّ يَوْمٍ      فَلَمَّا اسْتَدَّ<sup>(٦)</sup> سَاعِدُهُ رَمَانِي  
وَكَمَّ عَلَمْتُهُ نَظْمَ الْقَوَافِي      فَلَمَّا قَالَ قَافِيَةً هَجَانِي)<sup>(٧)</sup>.

وسواء بمعنى مستوٍ وبمعنى عدلٍ فعلى الأول مصدرٌ وضع موضع صفةٍ هي اسم الفاعل، أي: إلى كلمةٍ مستويةٍ، وعلى الثاني ليس بصفةٍ كما ذهب إليه الرَّجَّاج<sup>(٨)</sup>، وَمِنْهُ قَوْلُ زُهَيْرٍ:

(أَرُونِي حُطَّةً لَا ضَيْمٍ)<sup>(٩)</sup> فِيهَا      يُسَوِّي بَيْنَنَا فِيهَا السَّوَاءُ  
فَإِنْ [تَرَكَ]<sup>(١٠)</sup> السَّوَاءَ فَلَيْسَ بَيْنِي      وَبَيْنُكُمْ بَنِي حِصْنٍ بَقَاءً)<sup>(١١)</sup>.

(١) سورة التوبة: الآية ٤٠.

(٢) صحيح مسلم: مسلم: ٢٢٥٦/٤/١٧٦٨/٤.

(٣) ديوان لبيد: لبيد العامري: ٨٤.

(٤) المصدر نفسه: ٨٥.

(٥) سورة النساء: الآية ٩٢، سورة المجادلة: الآية ٣.

(٦) استدَّ الشيءُ أي: استقامَ، ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ٢٠٨/٣، مادة سدد.

(٧) وينسب البيتان للشاعر (معن بن أوس بن نصر بن زياد المزني، شاعر فحل، من مخضرمي الجاهلية والإسلام، كف بصره في أواخر أيامه، توفي سنة ٦٤هـ)، الأمثال: ابن سلام: ٢٩٦، البيان والتبيين: الجاحظ: ١٥٧/٣، الحيوان: الجاحظ: ٤٨٠/٧.

(٨) ينظر: معاني القرآن: الرَّجَّاج: ٤٢٤/١.

(٩) في المصدر: أرونا سُنَّةً لَا عَيْبَ .

(١٠) في المصدر: تدعوا .

(١١) ديوان زهير بن أبي سلمى: زهير بن أبي سلمى: ٢٠ - ٢١ .



## الإعراب:

قوله: ﴿سَوَاءٍ﴾ صفة كلمة، ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ ظرف لـ ﴿سَوَاءٍ﴾، وفي قوله: ﴿أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ﴾ وجهان، أحدهما أن يكون موضع الجرّ على أنه بدل كلمة فكأنه قال: تَعَالَوْا إِلَى أَنْ نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ إِيَّاكَ، والثاني أن يكون في موضع الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، والجُمْلَةُ تفسِيرُ لـ ﴿كَلِمَةٍ﴾ وبيان لها، أي: هي أن لا نعبد إلا الله إِيَّاكَ، فـ ﴿أَنْ﴾ في هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ هِيَ الْمَصْدَرِيَّةُ الَّتِي تَكُونُ مِنْ عَوَامِلِ النَّصْبِ فِي الْفِعْلِ، ولا تثبت النون في الخطّ، وأمّا على قراءة أن لا نعبد بالرفع فإنّ هي المخففة والثقيلة العاملة في الأسماء فاسمها حينئذ ضمير شأن محذوف، و﴿لا﴾ نافية، وجملة ﴿لا نعبد﴾ خبرها، وهي مع ما بعدها إمّا مجرورة على البدلية لـ ﴿كَلِمَةٍ﴾ أو مرفوع على الخبرية لمبتدأ محذوف على ما مرّ سابقاً أيضاً في صورة كونها ناصبة عاملة في الفعل المضارع، وعلى هذا اثبات في الخطّ أحسن وتظيره في كونها مُحَقَّقَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾<sup>(١)</sup>، وأمّا على قراءة ﴿أَنْ لَا نَعْبُدُ﴾ بإسكان الدال فإنّ هي المُفَسَّرَةُ وَهِيَ مَعَ مَدْخُولِهَا عَطْفٌ وَبَيَانٌ لـ ﴿كَلِمَةٍ﴾ و﴿لا﴾ نَاهِيَةٌ.

## النزول:

قال في المجمع (قيل في سبب نزول الآية أقوال: أحدها إنها نزلت في [نصارى]<sup>(٢)</sup> نجران، عن الحسن والسدي وابن زيد ومحمد بن جعفر بن الزبير، وثانيها: إنها نزلت في يهود المدينة، عن قتادة والربيع وابن جريج، وقد رواه أصحابنا أيضاً، وثالثها: إنها نزلت في الفريقين من أهل الكتاب على الظاهر، عن أبي علي الجبائي، وهذا أولى؛ لعمومه)<sup>(٣)</sup> انتهى.

## المعنى:

ولمّا تمّ الحجاج على وفد نجران ومن يحذو حذوهم من اليهود والمجوس أمر سبحانه نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ وَاتِّفَاقِ الْكَلِمَةِ وَإِلَى الْاِقْتِدَاءِ بِمَنْ اتَّقَوْا أَنَّهُ كَانَ عَلَى الْحَقِّ فَقَالَ: ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ، ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ يِعْمُ الْكُتَّابِينَ، بل الكتب من اليهود والنصارى والمجوس، ﴿تَعَالَوْا﴾، أي: هَلِّمُوا، ﴿إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾، أي: عَدْلٍ وَمُسْتَوِيَّةٍ، ﴿بَيْنَنَا

(١) سورة طه: الآية ٨٩ .

(٢) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٣) مجمع البيان: الطبرسي: ٣١٤/٢ .

وَبَيِّنْكُمْ ﴿ لا يختلف فيه الرّسل ولا الكتب من القرآن والإنجيل والزبور والتّوراة وما قبلها إلى آدم وكتبه صحفه، وفي جميعها ترك عبادة غير الله، وترك الشّرك ، وعدم اتّخاذ غير الله ربّاً ثمّ فسّر سبحانه الكلمة السّواء بقوله: ﴿أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ﴾، أي: نوحدهُ بالعبادة ونُخْلِصَ لَهُ فيها، ﴿وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا﴾، (ولا نجعل غيره شريكاً لله) (١) في استحقاق العبادة ولا نراه أهلاً لِأَنْ يُعْبَدَ) (٢)، ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، (ولا نقول عزير ابن الله، ولا المسيح ابن الله) (٣)، ولا أنّ الله هو المسيح بن مريم؛ (لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بَعْضُنَا، وَبَشَرٌ مِثْلُنَا، وَلَا نَطِيع [٩٨] الْأَحْبَارِ فِيمَا أَحْدَثُوا مِنَ التَّحْرِيمِ وَالتَّحْلِيلِ) (٤) كما قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (٥)، لِأَنَّهُمْ بَعْضُنَا وَبَشَرٌ مِثْلُنَا، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ، قَالَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ: مَا كُنَّا نَعْبُدُهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أَلَيْسَ كَانُوا يُحِلُّونَ لَكُمْ وَيُحَرِّمُونَ فَتَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِمْ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: هُوَ ذَلِكَ" (٦)، "وَرُوِيَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: مَا عَبَدُوهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَلَكِنَّهُمْ حَرَّمُوا لَهُمْ حَلَالًا، وَأَحَلُّوا لَهُمْ حَرَامًا، فَكَانَ ذَلِكَ اتَّخَاذَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ" (٧)، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾، أي: فَإِنْ أَعْرَضُوا عَنِ التَّوْحِيدِ، وَأَنْ لَا يَسْتَحِقَّ العبادة غيره تعالى، ولا يصلح للربوبية سواه تعالى، ﴿فَقُولُوا﴾، أنتم أيها المسلمون مقابلة لإعراضهم وتوَلَّيهم، وتجديدا للإقرار، ومخالفة (٨)، ﴿أَشْهَدُوا بِأَنَّ مُسْلِمُونَ﴾، أي: مخلصون مقرون بالتوحيد مستسلمون لما أتى به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مَقِيمُونَ عَلَى الْإِسْلَامِ، يعني: (لزمتمكم الحجّة فوجب عليكم أن تعترفوا بأنّا مسلمون

(١) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٢) أنوار التنزيل: البيضاوي: ٢١/٢ .

(٣) جوامع الجامع: الطبرسي: ٢٩٥/١ .

(٤) المصدر نفسه: ٢٩٥/١ .

(٥) سورة التّوبة: الآية ٣١ .

(٦) جوامع الجامع: الطبرسي: ٢٩٥/١، الكشاف: الزمخشري: ٣٧١/١ .

(٧) مجمع البيان: الطبرسي: ٣١٤/٢، بحار الأنوار: المجلسي: ٧٠/٩ .

(٨) ينظر: المصدر نفسه: ٣١٥/٢ .

دونكم، ويجوز أن يكون من باب التعريض ومعناه: (اشهدوا)<sup>(١)</sup>، (أو اعترفوا بأنكم كافرين بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرُّسل)<sup>(٢)</sup>، (حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره)<sup>(٣)</sup>.

وَقَدْ دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَمَا قَبْلَهَا عَلَى صَحَّةِ النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ، بَلْ عَلَى وَجُوبِهِمَا فِي الْجُمْلَةِ عَلَى حَسَبِ التَّدْرِجِ بِالنَّافِعِ فَالْأَنْفَعِ، وَقَالَ فِي الْمَجْمَعِ (وهذا تأديب من الله لعبده المؤمن، وتعليم له؛ كيف يفعل عند إعراض المخالف بعد ظهور الحجة؛ ليعلم المبطل أن مخالفته لا يؤثر في حقه، وليلد على أن الحق يجب اتباعه من غير اعتبار بالقلّة والكثرة)<sup>(٤)</sup> انتهى.

وَقَالَ فِي أَنْوَارِ التَّنْزِيلِ (أنظر إلى ما [راعى]<sup>(٥)</sup> في هذه القصة من المبالغة في الإرشاد وحسن التدرج في الحجاج بين: أولاً، أحوال عيسى عليه الصلاة والسلام وما تعاور عليه من الأطوار المنافية للألوهية، ثم ذكر ما يحل عقدهم ويزيح شبهتهم، فلما رأى عنادهم ولجاجهم [دعاهم]<sup>(٦)</sup> إلى المباهلة بنوع من الإعجاز، ثم لما أعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد عاد عليهم بالإرشاد وسلك طريقاً أسهل، وألزم بأن دعاهم إلى ما وافق عليه عيسى والإنجيل وسائر الأنبياء والكتب، ثم لما لم يجد ذلك أيضاً عليهم وعلم أن الآيات والنذر لا تغني عنهم أعرض عن ذلك وقال: ﴿فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾<sup>(٧)</sup> .

(١) جوامع الجامع: الطبرسي: ٢٩٥/١، الكشاف: الزمخشري: ٣٧١/١ .

(٢) أنوار التنزيل: البيضاوي: ٢١/٢ .

(٣) جوامع الجامع: الطبرسي: ٢٩٥/١، الكشاف: الزمخشري: ٣٧١/١ .

(٤) مجمع البيان: الطبرسي: ٣١٥/٢ .

(٥) في الأصل: رأى، وما أثبت من المصدر يقتضيه السياق .

(٦) في الأصل: عاد.

(٧) أنوار التنزيل: البيضاوي: ٢١/٢ .

وقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ \* هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ \* مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup> أربع آيات .

القراءة:

في ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ أربع قراءات: إحداها قراءة أهل الكوفة وهي المشهورة ﴿هَا أَنْتُمْ﴾ بِمَدِّ الألف وإثباتِ الهمزة عَلَى وَزْنِ فاعلُتُمْ، وَهَذِهِ الْقِرَاءَةُ هِيَ الْأَصْلُ<sup>(٢)</sup>، وَثَانِيهَا قِرَاءَةُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَأَبِي عَمْرٍو ﴿هَآئِنْتُمْ﴾ بِغَيْرِ هَمْزَةٍ وَلَا مَدِّ أَلْفٍ إِلَّا بِقَدْرِ خُرُوجِ أَلْفٍ سَاكِنَةٍ، وَثَالِثُهَا قِرَاءَةُ ابْنِ كَثِيرٍ وَيَعْقُوبَ وَقَنْبَلٍ<sup>(٣)</sup> بِالْهَمْزَةِ مِنْ غَيْرِ أَلْفٍ بَعْدَ الْهَاءِ مِثْلُ: ﴿هَآ أَنْتُمْ﴾ عَلَى وَزْنِ فَعَلْتُمْ، وَرَابِعُهَا قِرَاءَةُ ابْنِ عَامِرٍ ﴿هَآئِنْتُمْ﴾ بِالْمَدِّ دُونَ الْهَمْزِ<sup>(٤)</sup>، وَعَلَى الْقِرَاءَاتِ الْأَرْبَعِ هَا لِلتَّنْبِيهِ، وَقِيلَ: ﴿هَا أَنْتُمْ﴾ أَصْلُهُ أَنْتُمْ عَلَى الْاسْتِفْهَامِ لِلتَّعَجُّبِ مِنْ حِمَاقَتِهِمْ فَقَلَبَتْ الْهَمْزَةَ هَاءً<sup>(٥)</sup>.

اللغة:

الفرق بين الحجاج والجدال:

قَالَ فِي الْمَجْمَعِ: (الفرق بين الحجاج والجدال: أن الحجاج يتضمن إما حجة، أو شبهة في صورة الحجة والجدال هو قتل الخصم إلى المذهب بحجة، أو شبهة أو إيهام في الحقيقة؛ لأن أصله [في الحقيقة]<sup>(٦)</sup> من الجدل وهو شدة القتل، والحجة في البيان الذي شهد

(١) سورة آل عمران: الآية ٦٥ - ٦٨ .

(٢) ومنه في حاشية الأصل: في تحقّق الهمزة.

(٣) (هو محمد بن عبد الرحمن بن خالد المكي الملقب بقنبل، انتهت إليه مشيخة الإقراء بالحجاز، ولد سنة خمس وتسعين ومائة، ومات سنة إحدى وتسعين ومائتين، أخذ القراءة عن رواة عن ابن كثير)، الوافي في شرح الشاطبية: عبد الفتاح القاضي: ١٧ - ١٨ .

(٤) ينظر: سراج القارئ: ابن القاصح: ١٨٠، المكرر في ما تواتر من القراءات: النّسّار: ٧٢ .

(٥) أنوار التنزيل: البيضاوي: ٢٢/٢ .

(٦) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

بصحة المقال، وهو والدلالة بمعنى واحد<sup>(١)</sup> انتهى، ويجوز أن يكون الجدل من الجدل بمعنى القوة<sup>(٢)</sup>، والاتباع جرى التابع على طريقة المتبوع<sup>(٣)</sup>.

### الإعراب:

﴿لَمْ﴾ متعلق بقوله: ﴿تَحَاجُّونَ﴾ قَدَّم عليها للزومها التَّصَدُّرُ؛ لأنَّ ما استفهامية واللام جارة تعليلية حذف ألف ما على ما هو القاعدة المستمرة من نحو: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، و﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾<sup>(٥)</sup>، و﴿لَمْ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾<sup>(٦)</sup>، وكذا قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾<sup>(٧)</sup>، والواو في ﴿وَمَا أُنزِلَتْ﴾ للحال وما نافية، ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾ متعلق بما أُنزِلَتْ، والمستثنى مفرغ والتقدير والحال أنه ما أُنزِلَتْ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ فِي زَمَانٍ مِنَ الْأَزْمِنَةِ إِلَّا بَعْدَ زَمَانٍ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَوْلُهُ: ﴿هَا أَنْتُمْ﴾ ها للتنبيه، وأنتم مبتدأ خبره جُملة ﴿حَاجَجْتُمْ﴾، وحينئذ ﴿هُؤُلَاءِ﴾ يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون منادى حُذِفَ مِنْهُ حَرْفُ النِّدَاءِ، أي: هَا أَنْتُمْ يَا هُؤُلَاءِ، والثاني أن يكون عَطْفُ بَيَانٍ لِأَنْتُمْ، أو يكون أَنْتُمْ مبتدأ وَهُؤُلَاءِ خَبْرُهُ، ويكون جملة ﴿حَاجَجْتُمْ﴾ عَطْفُ بَيَانٍ، أي: هَا أَنْتُمْ هُؤُلَاءِ الْحَمَقِيُّ، وبيان حماقتكم أَنْتُمْ [٩٩] حَاجَجْتُمْ، ويجوز أيضاً أن يكون ﴿أَنْتُمْ﴾ مبتدأ وخبره ﴿هُؤُلَاءِ﴾ على تقدير كون ﴿هُؤُلَاءِ﴾ موصولة كما ذهب إليه الكوفيون و﴿حَاجَجْتُمْ﴾ صِلْتُهُ كما مرَّت الإشارةُ إِلَى ذَلِكَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ قَبْلَ سِتِّ آيَاتٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾<sup>(٨)</sup>، و﴿أُولَى النَّاسِ﴾ اسمٌ إِنَّ خَبْرَهَا ﴿لِلَّذِينَ﴾ باللام المفتوحة وهي لام الابتداء ونسَمَى لَامِ الزُّحْلُوقَةِ<sup>(٩)</sup> وهذا في محل الرَّفْعِ عَطْفُ عَلَى خَبَرٍ إِنَّ، و﴿النَّبِيِّ﴾ حِينِيذٍ مَرْفُوعٍ

(١) مجمع البيان: الطبرسي: ٣١٥/٢ .

(٢) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ١٠٤/١١، مادة جدل.

(٣) ينظر: القاموس المحيط: الفيروزآبادي: ٧٠٦، مادة تبع .

(٤) سورة النبأ: الآية ١ .

(٥) سورة التازعات: الآية ٤٣ .

(٦) سورة الصف: الآية ٢ .

(٧) سورة آل عمران: الآية ٦٦ .

(٨) سورة آل عمران: الآية ٥٨ .

(٩) (تسمى اللام المزحلقة، والمزحلقة، بالقاف والفاء، وبنو تميم يقولون: زحلوقة، بالقاف، وأهل العالية: زحلوقة، بالفاء، سميت بذلك؛ لأن أصل: إن زيداً لقائم؛ لأن زيداً قائم، فكهوا افتتاح الكلام بحرفين مؤكدين، فزحلوقوا اللام دون "إن" لئلا

على أنه صفة لـ ﴿هَذَا﴾، أو بَدَلٌ أو عَطْفٌ بَيَانٍ، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أيضاً عَطْفٌ على خَبَرٍ إِنَّ، وأما على قراءة ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ﴾ بالنَّصْبِ أو الجَرِّ فقد مرَّ أَنَّهُ عَطْفٌ على الهاءِ وَفِي ﴿اتَّبِعُوهُ﴾، أو على ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ .

### النزول:

في المجمع (قال ابن عباس، والحسن وقتادة: أن أخبار اليهود ونصارى نجران اجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فنتازعوا في إبراهيم عليه السلام، فقالت اليهود: ما كان إلا يهودياً، وقالت النصارى: ما كان إلا نصرانياً، فأنزل الله هذه الآية) (١) انتهى .

### المعنى:

لَمَّا تَنَازَعَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَزَعَمَ كُلُّ فَرِيقٍ أَنَّهُ مِنْهُمْ وَتَرَافَعُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾، أي: قل يا محمد يا أيُّهَا الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى لِمَ تُجَادِلُونَ وَتُنَازِعُونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَتَدَّعُونَ أَنَّهُ مِنْكُمْ وَعَلَى دِينِكُمْ.

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾، أي: والحال أَنَّهُ مَا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى، وَالْإِنْجِيلَ عَلَى عِيسَى وَمَا حَدَّثَتِ الْيَهُودِيَّةُ وَالنَّصْرَانِيَّةُ بِنُزُولِ هَذَيْنِ الْكِتَابَيْنِ إِلَّا بَعْدَ زَمَانٍ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ مُدَّةٍ مُتَمَادِيَّةٍ، وَكَانَ بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى أَلْفُ سَنَةٍ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ عِيسَى أَلْفَانِ، فَكَيْفَ يَكُونُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى دِينٍ لَمْ يُوْجَدْ إِلَّا بَعْدَ عَهْدِهِ بِأَزْمَنَةٍ كَثِيرَةٍ، فَكَيْفَ يَعْقِلُ أَنْ يَكُونَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ وَلَا تَعْلَمُونَ (أَنَّ الْإِقَامَةَ عَلَى دَعْوَى مَنْ غَيْرِ [حُجَّةٍ] (٢) وَبُرْهَانٍ، غَيْرِ جَائِزَةٍ فِي الْعَقْلِ، فَكَيْفَ تَجُوزُ الْإِقَامَةُ عَلَى دَعْوَى بَعْدَ مَا ظَهَرَ فَسَادُهَا) (٣).

﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ كلتا الهائين للتنبية نُبِّهُوا بِهَا عَنْ حَالِهِمُ الَّتِي غَفَلُوا عَنْهَا، يَعْنِي: تَنَبَّهُوا يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَيَا هَؤُلَاءِ الْحَمَقِ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ الْأَشْخَاصُ الْحَمَقِيُّ وَالْجُهَّالُ بَيَانُ

يتقدم معمولها عليها، وإنما لم ندع أن الأصل إن لزيذاً قائم لثلاً يحول ما له صدر الكلام بين العامل والمعمول)، شرح التصريح على التوضيح: خالد الأزهرى: ٣١١/١.

(١) مجمع البيان: الطبرسي: ٣١٥/٢ - ٣١٦ .

(٢) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٣) مجمع البيان: الطبرسي: ٣١٦/٢ .

حماقتكم وجهلكم وقلة عقولكم أنكم، ﴿حَاجَجْتُمْ﴾، أي: جادلتم، ﴿فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ مما وجدتموه في التوراة والإنجيل في ذكر إبراهيم عليه السلام ووجود اسمه فيهما.

﴿فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾، أي: فلم تُجادِلُونَّ فيما ليس لكم به علم ولا ذكر في كتابكم من دين إبراهيم وشأنه، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ شأن إبراهيم ودينه وما حاججتم به من غير علم؛ لأنه تعالى هو العالم بالأشياء على ما هي عليه، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك بل أنتم جاهلون به (فلا تتكلموا فيه، ولا [تتسبوا] <sup>(١)</sup> إليه ما لا تعلمونه، واطلبوا علم ذلك ممن يعلمه) <sup>(٢)</sup>، ثم كذب الله تعالى اليهود والنصارى، وصرح بمقتضى ما قرره من البرهان وأعلمهم بأن إبراهيم عليه السلام بريء من دينهم فقال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾، (نزه سبحانه إبراهيم وبراهه عن اليهودية والنصرانية؛ لأنهما صفتا دمٍ وقد دل القرآن والإجماع على ذلك) <sup>(٣)</sup>.

وهذه الآية وما قبلها تدل على أن موسى عليه السلام لم يكن يهودياً، ولا عيسى عليه السلام نصرانياً؛ لأن الدين عند الله هو الإسلام ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ <sup>(٤)</sup>، والأنبياء عليهم السلام على كلمة سواء لا يعبدون إلا الله ولا يشركون به شيئاً ولا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله (واليهودية ملّة محرّفة عن شرع موسى عليه السلام، والنصرانية ملّة محرّفة عن شرع عيسى عليه السلام، فهما صفتا دمٍ جرتا على فرقتين ضالّتين) <sup>(٥)</sup> مضلتين يدعون التوحيد والإسلام، ويعرفون صحّة نبوة محمد صلى الله عليه وآله وأنه على الحق كما يعرفون أبناءهم، ومع ذلك يخالفونه وينكرونها ويكفرون به؛ عناداً وحباً للرياسة كما قال سبحانه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ \* إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب <sup>(٦)</sup>، و﴿إِنَّ مَثَلَ

(١) في المصدر: تضيفوا .

(٢) مجمع البيان: الطبرسي: ٣١٧/٢ .

(٣) المصدر نفسه: ٣١٧/٢ .

(٤) سورة آل عمران: الآية ٨٥ .

(٥) مجمع البيان: الطبرسي: ٣١٧/٢ .

(٦) سورة آل عمران: الآية ١٨ - ١٩ .



عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ﴿١﴾ الْآيَةَ، ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ ﴿٢﴾ الْآيَةَ، ﴿حَنِيفًا﴾، (أي: مائلاً عَنِ الْأَدْيَانِ الْبَاطِلَةِ وَالْعَقَائِدِ الزَّائِغَةِ) ﴿٣﴾ إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ، وَمُسْتَقِيمًا فِي دِينِهِ، ﴿مُسْلِمًا﴾ مَطِيعًا لِلَّهِ تَعَالَى مُنْقَادًا لَهُ وَمُسْتَسْلِمًا لِأَمْرِهِ مُؤْمِنًا خَالصًا مُخْلِصًا لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَمَلَّتْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ الْإِسْلَامُ، وَهُوَ أَبُوْنَا وَأَبُوكُمْ فِي الْإِسْلَامِ وَمَقْتَدَاكُمْ فِيهِ، وَهُوَ الَّذِي سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْحَجِّ: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾ ﴿٤﴾ الْآيَةَ، وَكَمَا قَالَ نَهَارُ بْنُ تَوْسَعَةَ الشَّكْرِيِّ ﴿٥﴾:

(أَبِي الْإِسْلَامُ لَا أَبَ لِي سِوَاهُ إِذَا افْتَخَرُوا بِعَيْنِي أَوْ تَمِيمٍ) ﴿٦﴾.

﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، أَرَادَ بِالْمُشْرِكِينَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَمَنْ يَحْدُوا حَذْوَهُمْ، فَهَذَا تَعْرِيفٌ بِأَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مُشْرِكُونَ كَافِرُونَ؛ لِإِشْرَاكِهِمْ بِهِ تَعَالَى عَزِيزًا وَالْمَسِيحَ، وَرَدَّ عَلَى مُشْرِكِي الْعَرَبِ وَقَرِيشٍ بِادِّعَائِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ وَأَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ كَمَا بَيَّنَّ سَبْحَانَهُ ذَلِكَ كُلُّهُ فِي قَوْلِهِ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ [١٠٠] أَنَّى يُؤْفِكُونَ \* اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ \* يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ \* هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ﴿٧﴾، وَ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

(١) سورة آل عمران: الآية ٥٩ .

(٢) سورة آل عمران: الآية ٦٢ .

(٣) تفسير أبي السعود: أبو السعود: ١٥٤/٣ .

(٤) سورة الحج: الآية ٧٨ .

(٥) (هو نهار بن تَوْسَعَةَ بْنِ أَبِي عَتْبَانَ، مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ، مِنْ بَنِي حَنْتَمٍ وَكَانَ أَشْعَرَ بَكْرِ (بِنْ وَائِلٍ) بِخِرَاسَانَ)، الشَّعْرُ

وَالشَّعْرَاءُ: ابْنُ قَتَيْبَةَ الدِّيْنَوْرِيِّ: ٥٢٨/١ .

(٦) الكتاب: سيبويه: ٢٨٢/٢ .

(٧) سورة التَّوْبَةِ: الآية ٣٠ - ٣٣ .

حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ<sup>(١)</sup>، فَهُمْ أَنْجَاسٌ بِنَصِّ الْقُرْآنِ ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾<sup>(٢)</sup>، فلا يجوز مباشرتهم كاختياراً كالنَّاصِبِ ثُمَّ وَصَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ أَوْلَى وَأَحَقَّ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاتِّبَاعِ مِلَّتِهِ، وَالْجَرِيَانِ عَلَى طَرِيقَتِهِ، وَإِنْ لَمْ يَحْتَجْ بِهِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ﴾، أَي: (أَحَقَّ النَّاسِ بِنُصْرَةِ إِبْرَاهِيمَ [وَمِلَّتِهِ]<sup>(٣)</sup> بِالْحُجَّةِ أَوْ بِالْمَعُونَةِ)<sup>(٤)</sup>، أَوْ أَحْصَهُمْ وَأَقْرَبَهُمْ مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْوَلِيِّ وَهُوَ الْقُرْبُ، «لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ»، مِنْ أُمَّتِهِ (فِي وَقْتِهِ وَزَمَانِهِ، [وَبَعْدَهُ]<sup>(٥)</sup> تَوَلَّوْهُ بِالنُّصْرَةِ عَلَى عَدُوِّهِ، حَتَّى ظَهَرَ أَمْرُهُ، وَعَلَتْ كَلِمَتُهُ)<sup>(٦)</sup>، وَبِاتِّبَاعِ مِلَّتِهِ، «وَهَذَا النَّبِيُّ» خُصُوصاً، «وَالَّذِينَ آمَنُوا» مِنْ أُمَّتِهِ لِمُوَافَقَتِهِمْ<sup>(٧)</sup> لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَكْثَرِ مَا شَرَعَ لَهُمْ عَلَى الْأَصَالَةِ، وَعَلَى قِرَاءَةِ نَصْبِ هَذَا النَّبِيِّ عَطْفاً عَلَى الْهَاءِ فِي «اتَّبَعُوهُ» وَجَرِّهِ عَطْفاً عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَمَعْنَاهَا وَاضِحٌ أَيْضاً، «وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ» وَخَالَفَهُمْ وَصَاحِبُ كُلِّ اخْتِيَارِهِمْ وَتَدْبِيرِهِمْ، فَيَنْصُرُهُمْ وَيَجَازِيهِمُ الْحُسْنَى؛ لِإِيْمَانِهِمْ، وَالْمُؤْمِنُ وَلِيُّ اللَّهِ؛ (لِأَنَّهُ يَتَوَلَّى نُصْرَةَ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الدِّينِ، وَإِنَّمَا أُفْرِدَ [اللَّهُ]<sup>(٨)</sup> النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالذِّكْرِ؛ تَعْظِيماً لِأَمْرِهِ، وَإِجْلَالاً لِقُدْرِهِ، كَمَا أُفْرِدَ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)<sup>(٩)</sup> مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَ(لِيَدْخُلَ فِي الْوِلَايَةِ وَتَعُودَ إِلَيْهِ الْكِنَايَةُ، فَإِنَّ التَّقْدِيرَ: وَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ)<sup>(١٠)</sup>.

وَفِي الْكَافِي وَالْعَيَّاشِيِّ عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: «وَالَّذِينَ آمَنُوا» هُمْ الْأَيْمَةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَمَنْ اتَّبَعَهُمْ مِنْ شَيْعَتِهِمْ<sup>(١١)</sup>.

(١) سورة التوبة: الآية ٢٩ .

(٢) سورة التوبة: الآية ٢٨ .

(٣) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٤) مجمع البيان: الطبرسي: ٣١٨/٢ .

(٥) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٦) مجمع البيان: الطبرسي: ٣١٨/٢ .

(٧) ومنه في حاشية الأصل: أي: لموافقة هذا النبي صلى الله عليه وآله للذين آمنوا بما منه صلى الله عليه وآله لإبراهيم عليه السلام .

(٨) في الأصل: هذا .

(٩) مجمع البيان: الطبرسي: ٣١٨/٢ .

(١٠) المصدر: ٣١٨/٢ .

(١١) بحسب تتبعنا لم نجد هذه الرواية، ولعله أراد ما روي "عَنِ الْوَشَاءِ عَنْ مُنْتَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَجَلَانَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، قَالَ: هُمْ الْأَيْمَةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَمَنْ اتَّبَعَهُمْ"، الكافي: الكليني: ٤١٦/١، ح ٢٠، بَابُ فِيهِ نُكْتٌ وَنُتِفَتْ مِنَ التَّنْزِيلِ فِي الْوِلَايَةِ.

وَفِي تَفْسِيرِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ وَالْعِيَّاشِيِّ "عَنْ عُمَرَ بْنِ يَزِيدَ قَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنْتُمْ وَاللَّهِ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ، فَقُلْتُ: مِنْ أَنْفُسِهِمْ جُعِلْتُ فِدَاكَ، قَالَ: نَعَمْ وَاللَّهِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ثَلَاثًا، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا عُمَرُ إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ﴾" (١) الآية.

وَقَالَ فِي الْمَجْمَعِ (وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْوِلَايَةَ تَثْبُتُ بِالذِّينِ لَا بِالنَّسَبِ، وَيَعْبُدُ ذَلِكَ قَوْلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ: إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِالْأَنْبِيَاءِ أَعْمَلُهُمْ بِمَا جَاءُوا بِهِ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ، وَقَالَ إِنَّ وَلِيَّ مُحَمَّدٍ مِنَ أَطَاعِ اللَّهَ، وَإِنْ بَعَدَتْ لِحْمَتُهُ، وَإِنْ عَدُوٌّ مُحَمَّدٍ مِنْ عَصَى اللَّهَ، وَإِنْ قَرِبَتْ قَرِبَتُهُ، وَرَوَى عُمَرُ بْنُ يَزِيدَ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنْتُمْ وَاللَّهِ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ، قُلْتُ: مِنْ أَنْفُسِهِمْ جُعِلْتُ فِدَاكَ؟ قَالَ: نَعَمْ وَاللَّهِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ - ثَلَاثًا -، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ: يَا عُمَرُ إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ (٢)، وَرَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، "عَنْ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ يُونُسَ، عَنْ عُمَرَ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنْتُمْ وَاللَّهِ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ" (٣) إِلَى آخِرِهِ.

وَفِي رَوْضَةِ الْكَافِي عَنْ "عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْعَبَّاسِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَمَّادٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شَمْرٍ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: ﴿لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ﴾ (٤)، يَقُولُ: لَسْتُمْ بِيَهُودَ فَتُصَلُّوا قِبَلَ الْمَغْرِبِ، وَلَا نَصَارَى فَتُصَلُّوا قِبَلَ الْمَشْرِقِ، وَأَنْتُمْ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٥) (٦).

وَفِي أَصُولِ الْكَافِي "عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْكَانَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾، قَالَ: خَالِصًا مُخْلِصًا" (٧).

وَفِي تَفْسِيرِ الْعِيَّاشِيِّ "عَنْ الْحَلْبِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾، قَالَ: خَالِصًا مُخْلِصًا لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ" (٨)، وَفِيهِ "عَنْ

(١) تفسير القمي: علي بن إبراهيم: ١/١٠٥، تفسير العياشي: العياشي: ١/١٧٧.

(٢) مجمع البيان: الطبرسي: ٢/٣١٨.

(٣) تفسير القمي: علي بن إبراهيم: ١/١٠٥.

(٤) سورة النور: الآية ٣٥.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٦٧.

(٦) الكافي: الكليني: ٨/٣٨٠ - ٣٨١/٥٧٤، والحديث طويل اكتفى المؤلف بذكر موضع الحاجة منه.

(٧) المصدر نفسه: ٢/١٥٠، باب الإخلاص.

عُبَيْدُ اللَّهِ الْحَلْبِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾، لَا يَهُودِيًّا يُصَلِّي إِلَى الْمَغْرِبِ، وَلَا نَصْرَانِيًّا يُصَلِّي إِلَى الْمَشْرِقِ، ﴿وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾، عَلَى دِينِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ<sup>(٢)</sup>، وَفِي تَفْسِيرِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ فِي حَدِيثِ طَوِيلٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ "ثُمَّ صَعَدْنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَمَا مَرَرْتُ بِمَلَكٍ [مِنَ الْمَلَائِكَةِ]<sup>(٣)</sup> إِلَّا قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ احْتَجِمْ وَأْمُرْ أُمَّتَكَ بِالْحِجَامَةِ، وَإِذَا فِيهَا رَجُلٌ أَشْمَطُ الرَّأْسِ<sup>(٤)</sup> وَاللَّحْيَةِ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ فَقُلْتُ: يَا جَبْرَائِيلُ مَنْ هَذَا الَّذِي فِي السَّمَاءِ [السَّابِعَةِ]<sup>(٥)</sup> عَلَى بَابِ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ فِي جِوَارِ اللَّهِ فَقَالَ هَذَا يَا مُحَمَّدُ<sup>(٦)</sup> أَبُوكَ إِبْرَاهِيمُ، وَهَذَا مَحَلُّكَ وَمَحَلُّ مَنْ اتَّقَى مِنْ أُمَّتِكَ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٧)</sup>، "حَدَّثَنِي أَبِي، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ يُونُسَ، عَنْ أَبِي خَالِدِ الْكَاذِبِيِّ، قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَاللَّهِ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْقَائِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ أَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى الْحَجَرِ ثُمَّ يَنْشُدُ اللَّهُ حَقَّهُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ يُحَاجِنِي فِي اللَّهِ فَأَنَا أَوْلَى بِاللَّهِ، أَيُّهَا [١٠١] النَّاسُ مَنْ يُحَاجِنِي فِي آدَمَ فَأَنَا أَوْلَى بِآدَمَ، أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ يُحَاجِنِي فِي نُوحٍ فَأَنَا أَوْلَى بِنُوحٍ، أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ يُحَاجِنِي فِي إِبْرَاهِيمَ فَأَنَا أَوْلَى بِإِبْرَاهِيمَ"<sup>(٨)</sup> الحديث.

وَفِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ مِنْ كِتَابِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مُعَاوِيَةَ جَوَابًا "وَكِتَابُ اللَّهِ يَجْمَعُ لَنَا مَا شَدَّ عَنَا وَهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾<sup>(٩)</sup>،

(١) بحسب تتبعنا لم ترد هذه الرواية في تفسير العياشي، بل في كتاب الكافي عن ابن مسكان بدل الحلبي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، الكافي: الكليني: ١٥/٢ ح ١، باب الإخلاص.

(٢) تفسير العياشي: العياشي: ١٧٧/١ .

(٣) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٤) خَالَطَ بِيَاضَ رَأْسِهِ سَوَادَ فَهُوَ أَشْمَطُ، ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ٣٣٥/٧، مادة شمط.

(٥) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٦) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٧) تفسير القمي: علي بن إبراهيم: ٩/٢ .

(٨) المصدر نفسه: ٢٠٥/٢ .

(٩) سورة الأحزاب: الآية ٦ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾، فَحُنَّ مَرَّةً أَوْلَى بِالْقَرَابَةِ، وَتَارَةً أَوْلَى بِالطَّاعَةِ<sup>(١)</sup>.

وَفِي كِتَابِ الْاِحْتِجَاجِ لِلطَّبْرَسِيِّ خُطْبَةً لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفِيهَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، وَقَالَ: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾، فَحُنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ، وَحُنَّ [وَرِثَتَاهُ وَنَحْنُ أُولُوا الْأَرْحَامِ]<sup>(٢)</sup> الَّذِينَ وَرِثْنَا الْكَعْبَةَ، وَنَحْنُ آلُ إِبْرَاهِيمَ<sup>(٣)</sup>.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ \* يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ \* يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَتْلُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٤)</sup> ثلاث آيات.

القراءة:

قَرَأَ الْجُمْهُورُ ﴿تَلْبِسُونَ﴾ كَتَضْرِبُونَ، وَقَرَأَ يَحْيَى بْنُ وَثَّابٍ<sup>(٥)</sup> تَلْبِسُونَ كَتَعْلَمُونَ، وَقَرَأَ تَلْبِسُونَ بِالتَّشْدِيدِ كَتَفْرِحُونَ مِنَ التَّلْبِيسِ، وَعَلَى قِرَاءَةِ يَحْيَى بْنِ وَثَّابٍ يَكُونُ النَّبَاءُ فِي ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ بِمَعْنَى: مَعَ .

اللغة:

الوَدَّ: التَّمَنَّى، وَدَّتْ بِمَعْنَى: تَمَنَّتْ، فَلَمَّا كَانَ بِمَعْنَى التَّمَنَّى صَلَحَ لِلْمَاضِي وَالْحَالِ وَالْاِسْتِقْبَالِ<sup>(٦)</sup>، فَلِذَلِكَ جَازَ اسْتِعْمَالُهُ مَعَ لَوْ وَلَيْسَ الْمَحَبَّةُ وَالْإِرَادَةُ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا لَا تَتَعَلَّقَانِ إِلَّا بِالْمُسْتَقْبَلِ، فَلَا يَجُوزُ أَرَادُوا لَوْ يُضِلُّوكُمْ؛ لِأَنَّ الْإِرَادَةَ تَجْرِي مَجْرَى الْاِسْتِدْعَاءِ إِلَى الْفِعْلِ أَوْ مَجْرَى الْعِلَّةِ فِي تَرْتِيبِ الْفِعْلِ، فَأَمَّا التَّمَنَّى فَهُوَ تَقْرِيرُ شَيْءٍ فِي نَفْسٍ تَسْتَمْتَعُ بِتَقْرِيرِهِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ وَدَّ لَوْ يَضِلُّهُ، وَوَدَّ أَنْ يَضِلَّهُ أَنْ أُنَّ الْاِسْتِقْبَالَ وَلَيْسَ ﴿لَوْ﴾ كَذَلِكَ هَكَذَا قَالَ فِي الْمَجْمَعِ وَالطَّائِفَةُ الْجَمَاعَةُ مِنَ الطَّوْفِ وَهِيَ جَمْعٌ مِنَ الرَّفْقَةِ الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَطُوفَ الْبِلَادَ فِي

(١) نهج البلاغة: خطب لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ع: ٣٢/٣ - ٣٣ .

(٢) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٣) الاحتجاج: الطبرسي: ٢٣٤/١ .

(٤) سورة آل عمران: الآية ٦٩ - ٧١ .

(٥) يحيى بن وثاب الأسدي مولاهم الكوفي تابعي ثقة القاري، روى عن ابن عمر وابن عباس، كان مقرئ أهل الكوفة في

زمانه، وكان من أحسن الناس قراءة عرض عليه سليمان الأعمش، وطلحة بن مصرف توفي سنة ١٠٣هـ)، مختصر

التبيين: سليمان بن نجاح: ٤٨٧/٣ .

(٦) ينظر: الصحاح: الجوهري: ٥٤٩/٢ مادة ودد .

السفر الذي عليه الاجتماع، ويجتمعون عند جلوسهم كالحلقة التي يطلق حولها، وأصل لم لما بالألف وما فيه استفهامية واللّام جارة تعليلية حذف الفها جوازاً لاتصالها بالجارّة ووقوعها طرفاً وكذا في نحو فيم وبم وممّ وعمّ وعلام وإلام وحتّام.

### الإعراب:

﴿مِنْ أَهْلِ صِفَةِ طَائِفَةٍ﴾، ﴿لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ مفعول ﴿وَدَّتْ﴾، و﴿لَوْ﴾ مصدرية كان، ﴿وَمَا﴾ نافية في الموضعين، و﴿إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ مفعول ﴿يُضِلُّونَ﴾، والمستثنى مفرغ، و﴿لَمْ﴾ في الموضعين متعلق بالفعل الواقع بعده، وجملتا ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾، ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ حالية المعنى، ثُمَّ إِنَّهُ سَبَّحَانَهُ بَيِّنٌ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى كَمَا ضَلُّوا دَعَاؤَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَاءَرَ إِلَى الضَّلَالِ فَهَمَّ الضَّالِّينَ الْمُضِلِّينَ فَقَالَ: ﴿وَدَّتْ﴾، أي: تمنّت وأردت، ﴿طَائِفَةٍ﴾، أي: جماعة، ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، أي: من النَّصَارَى واليهود؛ حيث دَعَا حذيفة وعمّاراً ومعاذاً وأضرابهم إلى اليهودية والنصرانية، ﴿لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ لو يهلكونكم؛ بإدخالكم في الضلال ودعائكم إليه، ويستعمل الضلال بمعنى الهلاك كما مرّ بيانه في أوائل سورة البقرة ومنه قوله تعالى: ﴿أَنْذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(١)</sup>، أي: هلكنا وبطلت صورنا، ﴿وَمَا يُضِلُّونَ أَحَدًا إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾، أي: لا يرجع وبال إضلالهم على أحد إلا على أنفسهم وأمثالهم، ولا يلحق ضرره إلا بهم أنفسهم وأمثالهم؛ فإنّ المسلمين كالجبال الرواسي (لا يجيبونهم إلى ما يدعونهم إليه من ترك الإسلام إلى غيره من الأديان، فيبقى عليهم إثم الكفر)<sup>(٢)</sup>، ووبال دعائهم إليه، فما يهلكون إلى أنفسهم، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ إنّ الله تعالى يدلّ المؤمنين على ضلالهم وإضلالهم فما يعلمون أنّ وبال ذلك يعود إليهم أنفسهم، وإنّ وزره يختصّ بهم، ثمّ خاطبهم الله سبحانه على طريقة التوبيخ والتقريع والحمل على النّدم بقوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾، أي: بما يتلى عليكم من آيات الله التي هي القرآن والتي كانت في كتابكم<sup>(٣)</sup> من نكر النّبي ص والإخبار بصحة نبوته وبيان صفته والبشارة برسالته واسمه كما قال عيسى عليه السلام: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ

(١) سورة السجدة: الآية ١٠ .

(٢) مجمع البيان: الطبرسي: ٣١٩/٢ .

(٣) ومنه في حاشية الأصل: التوراة والإنجيل .

مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴿١﴾، وبأن إبراهيم عليه السلام كان حنيفاً مسلماً وما كان يهودياً ولا نصرانياً وما كان من المشركين، وبأن الدين عند الله هو الإسلام، وبأن الأنبياء عليهم السلام كافة على كلمة سواء إلخ، وما كان أحد منهم يهودياً ولا نصرانياً ولا مجوسياً، وإنما أحدثت ذلك أهل الكتاب من عند أنفسهم فهم بسبب ذلك كافرون بالتوراة والإنجيل، وكافرون بالقرآن ودلائل نبوة محمد صلى الله عليه وآله، والحال إنهم يشهدون نعته ويعلمونه في الكتابين ويعرفونه كما يعرفون آبائهم.

﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾، أي: تعلمون أنها آيات الله، وتشاهدون ما يدل على صحتها ووجوب الإقرار بها، وتشاهدون الحجج والمعجزات الدالة على صدق رسالة محمد صلى الله عليه وآله، وصدق أوصيائه.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ [١٠٢] أي: لم تخلطون الحق بالباطل بأن تحرفوا ذكر النبي صلى الله عليه وآله وصفاته من التوراة والإنجيل وتكتبوا الباطل في موضعه، وتحرفوا الرجم وتكتبوا التشهير في موضعه، وتظهروا الإسلام وتبطنوا النفاق واليهودية والنصرانية والشرك في قلوبكم وتتداعوا إلى إظهار الإسلام وجه النهار وصدرة وتراجعوا في آخره تشكيكاً للناس وتضليلاً لهم، وبأن تؤمنوا بموسى وعيسى وتكفروا بمحمد وتقولون: ﴿نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ (٢)، وتقولون: ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَوَآءٌ أَهْدَى مِنَ الذِّبْنِ أَمْنُوا سَبِيلاً﴾ (٣)، وتعلمون أن محمداً صلى الله عليه وآله نبي صادق حق وتظهرون تكذيبه؛ حباً للرياسة وتضليلاً للناس فضللتم وأضللتم.

﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾، أي: نبوة محمد صلى الله عليه وآله وما وجدتموه في كتابكم من البشارة به وبنعته ومبعثه وما وصاكم به موسى وعيسى عليهما السلام من اتباعه، وكذا تكتمون الرجم وغيره.

﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: والحال أنكم تعلمون أنه صلى الله عليه وآله نبي صادق حق. وإنما أنزلت هذه الآية في تقرير علمائهم وتوبيخهم؛ لأن الكتمان على الطائفة القليلة دون الكثيرة، ولأن العوام لم يعلموا ما في كتبهم بل لم يفرقوا بين الحق والباطل غالباً؛ وذلك لأن

(١) سورة الصف: الآية ٦ .

(٢) سورة النساء: الآية ١٥٠ .

(٣) سورة النساء: الآية ٥١ .



علمائهم كانوا يحرفون من تلقاء أنفسهم التوراة والإنجيل، ويخالطون المنزل بالمحرّف، ويلقون شبهةً دالةً على الباطل، وفي التوراة والإنجيل ما يدلّ صريحاً على البشارة بـ﴿النبيّ الأميّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل﴾<sup>(١)</sup>، ونعته ويكتبون بأيديهم من قبل أنفسهم ما يوهم خلاف ذلك فكان كالمحكم والمتشابه، فيدرسون أولادهم وتلامذتهم، ويلبسون على عوامهم وضعفائهم أحد الأمرين بالآخر، كما يفعل أمثال ذلك كثير من المشبهة في القرآن أيضاً كما في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾<sup>(٢)</sup>، و﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾<sup>(٣)</sup>، و﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ \* إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾<sup>(٤)</sup>، والمجبرة من أمثال قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾<sup>(٥)</sup>، والمحللون للميثة من أمثال الآيات التي في سورة الأنعام كما تأتي إن شاء الله تعالى، ومن جملة تلك الشبه أنهم<sup>(٦)</sup> كانوا يقولون أن محمداً مُعْتَرِفٌ بأن موسى نبيٌّ صادقٌ حقٌّ وأن التوراة دالةٌ على أن ملة موسى لا تنسخ وأنهم عند حضور المسلمين وعند حضور عوامهم ينكرون؛ لاشتغال التوراة والإنجيل على الآيات الدالة على نبوة محمّد صلّى الله عليه وآله ثم إذا خلا بعضهم مع بعض يشهدون بصحتها ومثله قوله تعالى: ﴿تَبْعُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾<sup>(٧)</sup> الآية، وينكرون أيضاً عند عوامهم؛ كون القرآن معجزاً ثم يشهدون بقلوبهم وعقولهم أنه معجزٌ .

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٧ .

(٢) سورة طه: الآية ٥ .

(٣) سورة القلم: الآية ٤٢ .

(٤) سورة القيامة: الآية ٢٢ - ٢٣ .

(٥) سورة الزمر: الآية ٦٢ .

(٦) ومنه في حاشية الأصل: أي: علماء اليهود .

(٧) سورة آل عمران: الآية ٩٩ .

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاکْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ \* وَلَا تُوْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوْكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ \* يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾<sup>(١)</sup> ثلاث آيات.

القراءة:

قرأ ابن كثير ﴿أَنْ يُؤْتَى﴾ على الاستفهام وَقَلْبِ هَمْزَةٍ ﴿أَنْ﴾ أَلْفًا كَمَا فِي أَحَدِ الْوُجُوهِ الْأَرْبَعَةِ فِي أَنْذَرْتُهُمْ، وَالْبَاقُونَ ﴿أَنْ يُؤْتَى﴾ بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ مِنْ غَيْرِ اسْتِفْهَامٍ، فَعَلَى هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ مَصْدَرِيَّةٌ لِلْمُضَارِعِ، وَقُرِئَ أَنْ بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ؛ عَلَى كَوْنِهَا نَافِيَةً كَمَا قُرِئَ أَيْضًا إِنْ يُؤْتَى بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ نَافِيَةً<sup>(٢)</sup>.

الإعراب:

جملة آمِنُوا بكسر الميم على صيغة الأمر الحاضر إلى قوله: ﴿وَاکْفُرُوا آخِرَهُ﴾ مقول قالت، وجملة ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ تعليلية، وقوله: ﴿وَلَا تُوْمِنُوا﴾ عطفٌ على آمِنُوا، فيكون هو أيضاً مقول قالت، ويكون مثل مقول أهل الكتاب ويحتمل وجهاً آخر؛ بأن يكون من كلام الله عز وجل مخاطباً على المؤمنين كما نذكره آنفاً، وقوله: ﴿إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ متعلق بـلَا تُوْمِنُوا، والمستثنى مفرغ، أي: وَلَا تُوْمِنُوا لِأَحَدٍ إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ.

نكر وجوه أن يؤتى إلخ

وقوله: ﴿أَنْ يُؤْتَى﴾ فيه أوجه، أحدها أن بفتح الهمزة من غير استفهام نافية كان المكسورة كما قرئ بكسرها نافية أيضاً وحينئذ يجوز أن يكون من تنمة قَالَتْ طَائِفَةٌ، أي: قالت طائفة من أهل الكتاب بعضهم لبعض ما يؤتى أحد مثل ما أُوتيتم من الكتاب والهدى، وحينئذ جملة لَا تُوْمِنُوا أيضاً من كلام اليهود، وجملة ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾ معترضة لنكتة نذكرها في المعنى ويجوز أن يكون من كلام الله تعالى إذا كان قوله: ﴿وَلَا تُوْمِنُوا﴾ من كلامه خطاباً للمؤمنين كما نذكره، وثالثها ورابعها أن تكون أن بفتح الهمزة مصدرية ناصبة للمضارع بتقدير الياء متعلقاً بقوله: ﴿لَا تُوْمِنُوا﴾، وجملة ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾ معترضة بينهما أيضاً، والتقدير وَلَا تُوْمِنُوا وَلَا تُصَدِّقُوا بِأَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ من الكتاب والعلم والحكمة

(١) سورة آل عمران: الآية ٧٢ - ٧٤ .

(٢) ينظر: الكنز في القراءات: أبو محمد الواسطي: ٢٥١/١.

والبيان والحجة والنبوة إلا لمن تبع دينكم اليهودية، وقام بشرائعكم وقال ذلك يهود خبير ليهود المدينة، أي: لا تعترفوا بالحق بأن تقولوا يؤتى أحد مثل ما أوتيتهم، فيلزم العمل بدلاً قراركم بصحته إلا لمن تبع دينكم فلا تفشوه إلى [١٠٣] المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا إلى المشركين لئلا يدعوهم إلى الإسلام، أو بتقدير اللام التعليلية متعلقة بفعل مثل: دبّرتهم ونحوه، فيكون تمام الكلام عند قوله: ﴿إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ﴾، والتقدير والمعنى لأجل أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتهم دبّرتهم ذلك<sup>(١)</sup> وقلتم ما قلتم وفعلتموه لا لشيء آخر يعني: أن ما بكم من الحسد والعداوة بمن أوتي مثل ما أوتيتهم من فضل العلم والكتاب والنبوة دعاكم أن قلتم ما قلتم، فما حملكم على ذلك إلا الحسد ويدل على هذا التقدير والمعنى قراءة ابن كثير أن يؤتى بهمزة الاستفهام للتقرير والتفريع والتوبيخ، بمعنى: ألأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتهم دبّرتهم ما دبّرتهم، يعني: أنكم دبّرتهم ما دبّرتهم لأجل أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتهم، ولما يتصل به عند كفركم من محاجّتهم لكم عند ربكم، وقراءة ابن كثير هذا هو الوجه الخامس، وقوله: ﴿أَوْ يُحَاجُّوكُمْ﴾ في بعض هذه التقادير الثلاثة عطف على ﴿أَنْ يُؤْتَى﴾، أي: لا تصدقوا بأن يحاجّوكم عند ربكم؛ لأنكم أصح ديناً منهم فلا تكون لهم الحجة عليكم فيكون هذا أيضاً من تنمة كلام اليهود ويكون قوله: ﴿قُلْ إِنْ أَلْهَى اللَّهُ فُجُورَكُمْ﴾ و﴿قُلْ إِنْ أَلْهَى اللَّهُ فُجُورَكُمْ﴾ من كلام الله جواباً لليهود ورداً عليهم، والسادس أن يكون لا مقدرة بعد أن في ﴿أَنْ يُؤْتَى﴾ ويكون من كلام الله تعالى، والتقدير قُلْ إِنْ أَلْهَى اللَّهُ فُجُورَكُمْ لَا يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، أو كراهة أَنْ يُؤْتَى إِيَّاهُمْ، كقوله تعالى: ﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾<sup>(٢)</sup>، وهذا هو الوجه السابع، ﴿أَوْ يُحَاجُّوكُمْ﴾ على هذين الوجهين أيضاً عطف على ﴿أَنْ يُؤْتَى﴾، أي: وأن لا يحاجّوكم أو كراهة يحاجّوكم، فعلى الأول ﴿أَلْهَى﴾ اسم، و﴿أَلْهَى اللَّهُ﴾ بدل ﴿أَلْهَى﴾، وخبر إن جملتان لا يؤتى، فيكون قوله: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ﴾ من كلام اليهود وما بعده كله من كلام الله، والثامن أن يكون قوله: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا﴾ إلى آخر الآية من كلام الله تعالى، و﴿أَنْ يُؤْتَى﴾ إِيَّاهُمْ، متعلقاً ب﴿وَلَا تُؤْمِنُوا﴾ أيضاً، والتقدير وَلَا تُؤْمِنُوا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ الَّذِي هُوَ الْإِسْلَامُ وَلَا تَصَدَّقُوا بِأَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ مِنَ الدِّينِ فَلَا نَبِيَّ

(١) ومنه في حاشية الأصل: قولهم: ﴿أَمِنُوا بِالَّذِي أَنْزَلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ﴾ إلى آخره .

(٢) سورة النساء: الآية ١٧٦ .

بعد نبيكم، ولا شريعة بعد شريعتكم إلى يوم القيامة، ومن ادعى شيئاً من ذلك<sup>(١)</sup> فهو كاذب ولا تُصدِّقوا بأن يكون لأحد حجة عليكم عند ربكم؛ لأن دينكم خير الأديان، فلا ترتدوا إلى غيره، وإن الهدى هدى الله وإن الفضل بيد الله<sup>(٢)</sup>، فتكون الآية كلها خطاباً للمؤمنين من الله عند تلبس اليهود لئلا يزلوا، ويدل على ذلك ما قاله الضحاك: إن اليهود قالوا: إننا نحاج عند ربنا من خالفنا في ديننا، فبين الله سبحانه أنهم المدحضون المغلوبون، وأن المؤمنين هم الغالبون، ويجوز أن تكون كلمة أو في ﴿أَوْ يُحَاجُّوكُمْ﴾ منصوباً بأن مضمرة كقولهم: لأطيعن الله أو يغفر لي، وقوله:

(لَأَسْتَسْهَلَنَّ الصَّعْبَ أَوْ أَدْرِكَ الْمُنَى فَمَا انْقَادَتِ الْأَمَالُ إِلَّا لِصَابِرٍ)<sup>(٣)</sup>.

### النُّزُول:

في تفسير علي بن إبراهيم "نزلت في قوم من اليهود قالوا آمنا بالذي جاء به محمد بالغداة، وكفرنا به بالعشي، وفي رواية أبي الجارود<sup>(٤)</sup>، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ﴾ الآية<sup>(٥)</sup>، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله لما قدم المدينة وهو يصلي نحو بيت المقدس أعجب اليهود من ذلك، فلما صرفه الله عن بيت المقدس إلى البيت الحرام وجدت<sup>(٦)</sup> [اليهود من ذلك]<sup>(٧)</sup>، وكان صرف القبلة صلاة الظهر، فقالوا صلى محمد الغداة واستقبل قبلتنا، فآمنوا بالذي أنزل على محمد وجه النهار، وكفروا آخره، يعنون القبلة، حين استقبل رسول الله صلى الله عليه وآله المسجد الحرام لعلمهم يرجعون إلى قبلتنا<sup>(٨)</sup> انتهى.

(١) ومنه في حاشية الأصل: من الدين الجديد والنبوة بعد نبيكم كمسيمة الكذاب وأمثاله .

(٢) ينظر: منار الهدى: الأشموني: ١٤٤/١ - ١٤٧ .

(٣) هذا البيت لم ينسب لشاعر معين حتى جاء في التعليق عنه في شرح ابن عقيل بأن (هذا البيت من الشواهد التي

استشهد بها كثير من النحاة، ولم ينسبها إلى قائل معين)، شرح ابن عقيل: ابن عقيل: ٣٤٦/٢ / البيت ٣٢٢ .

(٤) أبو الجارود (زياد بن المنذر الهمداني الخارفي، روى عن أبي جعفر، وأبي عبد الله (عليهما السلام)، حديثه في حديث

أصحابنا أكثر منه في الزيدية)، رجال ابن الغضائري: ابن الغضائري: ٦١ .

(٥) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٦) ومنه في حاشية الأصل: الوجد: الحزن والفرح، والمراد هو الثاني، وانظر: لسان العرب: ابن منظور: ٤٤٦/٢، مادة

وجد .

(٧) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٨) تفسير القمي: علي بن إبراهيم: ١٠٥/١ .

وَرُوِيَ "أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ يُصَلِّي إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ بَعْدَ أَنْ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَفَرِحَ [الْيَهُودُ بِذَلِكَ] (١)، وَطَمَعُوا أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ فَلَمَّا حَوَّلَهُ اللَّهُ إِلَى الْكَعْبَةِ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ، قَالَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ (٢) وَغَيْرُهُ [لِقَوْمِهِ] (٣): ﴿أَمِنُوا بِالَّذِي أَنْزَلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ﴾، يَعْنِي: آمَنُوا بِالْقِبْلَةِ الَّتِي صَلَّى إِلَيْهَا صَلَاةَ الصُّبْحِ؛ فَهِيَ الْحَقُّ، ﴿وَاكْفُرُوا آخِرَهُ﴾، يَعْنِي: بِالْقِبْلَةِ الَّتِي صَلَّى إِلَيْهَا صَلَاةَ الظُّهْرِ، وَهِيَ [نِصْف] (٤) آخِرُ النَّهَارِ (٥).

وَفِي الْمَجْمَعِ (تَوَاطَأَ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنْ أَحْبَابِ يَهُودِ حَيْبَرَ [وَفَرَى عُرَيْنَةَ] (٦) (٧)، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ادْخُلُوا فِي دِينِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَوَّلَ النَّهَارِ بِاللِّسَانِ دُونَ الْإِعْتِقَادِ، وَاكْفُرُوا بِهِ آخِرَ النَّهَارِ، وَقُولُوا: إِنَّا نَنْظُرُنَا فِي كُتُبِنَا، وَشَاوَرْنَا عُلَمَاءَنَا، فَوَجَدْنَا مُحَمَّدًا لَيْسَ بِذَلِكَ [الْمَنْعُوتِ] (٨)، وَظَهَرَ لَنَا كَذِبُهُ، وَبُطْلَانُ دِينِهِ، فَإِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ شَكَّ أَصْحَابُهُ فِي دِينِهِمْ، وَقَالُوا: إِنَّهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ، وَهُمْ أَعْلَمُ بِهِ مِنَّا، فَيَرْجِعُونَ عَنْ دِينِهِمْ إِلَى دِينِكُمْ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَمُقَاتِلٌ وَالْكَلْبِيُّ: كَانَ هَذَا فِي شَأْنِ الْقِبْلَةِ، لَمَّا حَوَّلَتْ إِلَى الْكَعْبَةِ، شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْيَهُودِ، فَقَالَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ لِأَصْحَابِهِ: آمِنُوا بِالَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ أَمْرِ الْكَعْبَةِ، وَصَلُّوا إِلَيْهَا أَوَّلَ النَّهَارِ، وَارْجِعُوا إِلَى قِبَلَتِكُمْ آخِرَهُ؛ لَعَلَّهُمْ يَشْكُونَ (٩) انْتَهَى مَا فِي الْمَجْمَعِ.

(١) في الأصل: بذلك اليهود .

(٢) (هو كعب بن الأشرف الطائي من بني نبهان، شاعر جاهلي، وأمه من يهود بني النضير، فاعتنق اليهودية وشرف في أخواله وسكن معهم، وأدرك الإسلام ولكنّه ناصب المسلمين العداء، وحرّض قريشاً على الانتقام من المسلمين بعد هزيمتهم في بدر، وهجا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وأذى المسلمين والمسلمات، فانتدب له خمسة من الأنصار بأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فقتلوه على باب حصنه)، الطبقات الكبرى: ابن سعد: ٢/٢٠٨، وانظر: المؤلف والمختلّف: الدارقطني: ٢/٩٣١ .

(٣) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٤) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٥) مفاتيح الغيب: الرازي: ٨/٢٥٨، بحار الأنوار: المجلسي: ٨٠/٩٨ .

(٦) (عرينة: موضع ببلاد فزارة، وقيل: قرى بالمدينة، وعرينة: قبيلة من العرب)، معجم البلدان: ياقوت الحموي: ٤/١١٥ .

(٧) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٨) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٩) مجمع البيان: الطبرسي: ٢/٣٢٢ .

المعنى:

لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ نَبْذًا مِنْ [١٠٤] أَكْيَادِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَمَنْ يَحْذُوا حَذْوَهُمْ (عَقَبَهُ بِذَكَرِ هَذِهِ الْمَكِيدَةِ الشَّدِيدَةِ)<sup>(١)</sup> فَقَالَ: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ﴾، أَي: جَمَاعَةٌ أُخْرَى، ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ كِيَهُودٍ خَيْرٍ لِيَهُودِ الْمَدِينَةِ، أَوْ عِلْمَاؤُهُمْ لِعَوَامَّتِهِمْ، ﴿آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، يَعْنِي بِهِمْ: النَّبِيُّ وَأَصْحَابُهُ، يَعْنِي: أَظْهَرُوا لَهُمُ الْإِيمَانَ بِالْقُرْآنِ وَتَحْوِيلَ الْقِبْلَةِ إِلَى الْكَعْبَةِ وَ(بِمَا سَلَفَ لَكُمْ مِنَ الْإِقْرَارِ بِصِفَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)<sup>(٢)</sup>، ﴿وَجَهَ النَّهَارِ﴾، أَي: أَوَّلَ النَّهَارِ وَصَدْرَهُ وَنِصْفَ أَوَّلِهِ، ﴿وَكَفَرُوا آخِرَهُ﴾، أَي: ارْجَعُوا عَنِ ذَلِكَ وَكَفَرُوا بِهِ آخِرَ النَّهَارِ لِتَوَهُمِهِمْ أَنَّهُ كَانَ قَدْ وَقَعَ لَكُمْ غُلْطٌ فِي ذَلِكَ، وَفِيمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْقُرْآنِ مِنْ تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ وَغَيْرِهَا، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، أَي: لَعَلَّهُمْ يَشْكُونَ فِي دِينِهِمْ فَيَرْجِعُونَ عَنْهُ ظَنًّا بِأَنَّكُمْ رَجَعْتُمْ لِحِطًا وَخَلَلٍ ظَهَرَ لَكُمْ، فَالْمُرَادُ بِالطَّائِفَةِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ وَمَالِكُ بْنُ الضَّيْفِ<sup>(٣)</sup> وَيَهُودُ خَيْرِ<sup>(٤)</sup> مِمَّا مَرَّ فِي النُّزُولِ.

وقوله: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا﴾ عَطَفَ عَلَى ﴿آمَنُوا بِالَّذِي﴾ إِخ، فَيَكُونُ هَذَا أَيْضًا مِنْ قَوْلِ الطَّائِفَةِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، أَي: وَلَا تَصَدَّقُوا وَلَا تَقَرُّوا عَنِ تَصَدِيقِ قَلْبِ، ﴿إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ﴾، أَي: (إِلَّا لِأَهْلِ دِينِكُمْ، أَوْ لَا تُظْهِرُوا إِيمَانَكُمْ وَجَهَ النَّهَارِ)<sup>(٥)</sup>، وَ﴿بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (إِلَّا لِمَنْ كَانَ عَلَى دِينِكُمْ فَإِنَّ رُجُوعَهُمْ أَرْجَى)<sup>(٦)</sup>، عِنْدَهُمْ مِنْ رُجُوعِ مَنْ سِوَاهُمْ وَأَهْمَ وَأَحْرَى أَنْ يَنْقَلِبَ الْمُؤْمِنُونَ عَنِ دِينِهِمُ الَّذِي هُوَ الْإِسْلَامُ بِسَبَبِ ذَلِكَ<sup>(٧)</sup>، ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى الْإِيمَانِ وَيُوقِفُهُ لَهُ وَيَتَّبِعُهُ عَلَيْهِ.

(١) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٢٢/٢ .

(٢) المصدر نفسه: ٣٢٢/٢ .

(٣) مالك بن الضيف: هو واحد من كبار الأخبار عند اليهود ورؤسائهم، والقائل (حِينَ بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَذَكَرَ لَهُمْ مَا أَخَذَ عَلَيْهِمْ لَهُ مِنَ الْمِيثَاقِ، وَمَا عَهْدَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ فِيهِ: وَاللَّهُ مَا عَهْدَ إِلَيْنَا فِي مُحَمَّدٍ عَهْدٌ وَمَا أَخَذَ لَهُ عَلَيْنَا مِنْ مِيثَاقٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ: ﴿أَوْكَلْنَا عَاهِدًا عَاهِدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، [سورة البقرة: الآية ١٠٠]، السيرة النبوية: ابن هشام: ١٤٠/٢، وانظر: تاريخ الخميس: الديار بكرى: ١٢/١ .

(٤) ينظر: أنوار التنزيل: البيضاوي: ٢٣/٢ .

(٥) المصدر نفسه: ٢٣/٢ .

(٦) المصدر نفسه: ٢٣/٢ .

(٧) ومنه في حاشية الأصل: أي: بسبب رجوعكم عنه .

وقوله: ﴿أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ﴾ إمّا مجرور بتقدير الباء متعلق بقوله: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا﴾، أي: ولا تظهروا إيمانكم وإقراركم وتصديقكم بأن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ إِلَّا لأشياءكم، ولمن تبع دينكم وحدهم دون المسلمين ودون المشركين، فلا تفشوه إلى المسلمين؛ لئلا يزيد ثباتهم على دينهم؛ لأنّ المسلمين قد أوتوا من النّبوة والكتاب مثل ما أوتيتم، ولا إلى المشركين لئلا يدعوهم إلى الإسلام، فحينئذٍ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ﴾ معترضةً لنكتةٍ وهي الدلالة على أنّ كيدهم هذا وإضعافه في تضليل لا يجديهم نفعاً ولا ينفعهم أصلاً، بل الطائل تحته وأمّا مجرور أيضاً بتقدير اللام متعلق بمحذوفٍ، أي: لأجل أنّ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ دبّرتم ما دبّرتم قلتم ما قلتم وفعلتموه لا لشيءٍ آخر، والمعنى؛ أنّ الحسد حملكم على ذلك التدبير والكيد، يعني أنّ ما بكم من الحسد بمن أوتي مثل ما أوتيتم من الفضل والعلم والكتاب والنّبوة دعاكم إلى أنّ قلتم ما قلتم.

ويؤيد هذا التقدير والمعنى قراءة ابن كثير أنّ يؤتى بزيادة همزة الاستفهام للتوبيخ والتقريع والحمل على الإقرار، بمعنى الآن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ دبّرتم ما دبّرتم، وعلى هذين الوجهين يكون قوله: ﴿أَوْ يُحَاجُّوكُمْ﴾ عطفاً على ﴿يُؤْتَىٰ﴾ ولا تصدّقوا بأن يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ؛ لأنكم أصحّ ديناً منهم، فلا تكون لهم حُجَّةٌ عليكم عند الله، أو لأنّ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ دبّرتم ما دبّرتم، وأمّا مرفوع على أنّه خبر إنّ في قوله: ﴿إِنَّ الْهُدَىٰ﴾ و﴿هُدَىٰ اللَّهِ﴾ بدل الهدى، والتقدير قل يا مُحَمَّدُ إِنَّ الْهُدَىٰ، أي: إنّ هدى الله أنّ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ مِنَ الْقُرْآنِ وَالنَّبْوَةِ وَالْإِسْلَامِ، فيكون حينئذٍ من كلام الله سبحانه وتعالى لا من كلام اليهود، وعلى هذا الوجه ﴿أَوْ﴾ في ﴿أَوْ يُحَاجُّوكُمْ﴾ بمعنى: حتّى، فيضمّر أنّ بعدها، والمعنى؛ قل: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ الْهُدَىٰ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ حَتَّىٰ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ فيقرعوا باطلكم بحقهم ويدحضوا حجّتكم، وعلى تقدير كون أنّ المفتوحة نافية كالمكسورة في القراءة الأخرى، يكون المعنى ما يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَيُّهَا الْيَهُودُ مِنَ الْهُدَىٰ، فيكون من كلام اليهود ومتّصلاً بكلامهم السابق، أي: وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ وَقُولُوا لَهُمْ مَا يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ حَتَّىٰ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ، يعني: ما يؤتون مثله فلا يُحَاجُّوكُمْ، أو يكون المعنى ما يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، فيكون حينئذٍ من كلام الله تعالى متّصلاً بقوله: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ﴾ ما يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ مِنَ الْقُرْآنِ وَالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَشَرَائِعِهِ حَتَّىٰ يُحَاجُّوكُمْ إلخ، ويجوز أن يكون لفظة لا أو المضاف مقدراً ويكون من كلام الله تعالى



أيضاً بعد تمام كلام اليهود عند قوله: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ فيكون المعنى قل: إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ لَا يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، أو كراهة أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ كقوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي كُنْتُمْ تُخْفُونَ بِهَا نَفْسَكُمْ وَرَبُّكُمْ يُرِيدُ أَنْ لِيَكُونَ بِالنَّاسِ الْإِسْلَامُ كُلِّهِ﴾ (١)، أي: يبيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ لِيَلَّا تَضَلُّوا أو كراهة أَنْ تَضَلُّوا، يعني: قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ لِيَلَّا يُؤْتَى أَحَدٌ مِمَّنْ خَالَفَ دِينَهُ دِينَ الْإِسْلَامِ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَقَارِ فَهْدَى اللَّهِ بَعِيداً عَنِ الْغَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، فيكون قوله: ﴿أَنْ يُؤْتَى﴾ على هذين التقديرين مفعول له؛ لِأَنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ، ويجوز أن يكون ﴿أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾ مفعول به لفعل نهى محذوف، وكذا ﴿يُحَاجُّوكُمْ﴾ عطفاً على ﴿يُؤْتَى﴾ فالتقدير والمعنى قُلْ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ الْهُدَى إِلَى الْخَيْرِ هُوَ هُدَى اللَّهِ فَلَا تَجْحَدُوا وَلَا تَتَكْرَهُوا أَيُّهَا الْيَهُودُ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالنَّبَوَّةِ وَأَنْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ إِنْ لَمْ تَقْبَلُوا ذَلِكَ مِنْهُمْ، فيكون أَنْ يُؤْتَى، وَأَنْ يُحَاجُّوكُمْ كلاهما منصوبين لفعلٍ نهى محذوف وهو [١٠٥] لَا تَجْحَدُوا وَلَا تَتَكْرَهُوا؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ انكاراً لِأَنَّ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتُوا، ويكون أيضاً من كلام الله تعالى لا من كلام اليهود، ويجوز أن يكون معنى ﴿إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾ أَنَّ الْحَقَّ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، ثُمَّ فَسَّرَ الْهُدَى بِقَوْلِهِ: ﴿أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ﴾ فالمؤتى هو الشرع، وما يحاج به هو العقل، وتقدير الكلام قُلْ إِنَّ الْهُدَى مَا شَرَعَ أَوْ مَا عَهَدَ بِهِ فِي الْعَقْلِ، فَيَكُونُ أَيْضاً مِنْ كَلَامِ اللَّهِ لَا مِنْ كَلَامِ الْيَهُودِ، وَيُؤَيِّدُهُ مَا رَوَاهُ فِي عَقْلِ الْكَافِي "الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ السَّيَّارِيِّ، عَنْ أَبِي يَعْقُوبَ الْبَغْدَادِيِّ قَالَ: قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ (٢) لِأَبِي الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِمَا ذَا بَعَثَ اللَّهُ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْعَصَا وَيَدِهِ الْبَيْضَاءِ وَاللَّهُ السَّخِرِ؟ وَبَعَثَ عِيسَى بِالْأَلَةِ الطَّبِّ؟ وَبَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَعَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ بِالْكَلامِ وَالْخُطْبِ؟ فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ اللَّهَ لَمَّا بَعَثَ مُوسَى

(١) سورة النساء: الآية ١٧٦ .

(٢) ابن السكيت: (هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الدورقي الأهوازي الشيعي أحد أئمة اللغة والأدب، ذكره كثير من المؤرخين وأثنوا عليه وكان ثقة جليلاً من عظماء الشيعة ويعد من خواص الإمامين النقيين عليهما السلام وكان حامل لواء علم العربية والأدب والشعر واللغة والنحو، له تصانيف كثيرة مفيدة منها: كتاب تهذيب الألفاظ، وكتاب إصلاح المنطق، قتله المتوكل في خامس شهر رجب سنة ٢٤٤هـ، وسببه أن المتوكل قال له يوماً: أيما أحب إليك ابناي هذان أي: المعتز والمؤيد أم الحسن والحسين عليهما السلام؟ فقال ابن السكيت: والله إن قنبراً خادم علي بن أبي طالب خير منك ومن ابنك، فقال المتوكل للأتراك: سلوا لسانه من فقاء ففعلوا فمات)، الكنى والألقاب: عباس القمي: ٣١٤/١.

عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ الْعَالِبُ عَلَى أَهْلِ عَصْرِ السِّحْرِ، فَأَتَاهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِمَا لَمْ يَكُنْ فِي وَسْعِهِمْ مِثْلَهُ، وَمَا أَبْطَلَ بِهِ سِحْرَهُمْ، وَأَثْبَتَ بِهِ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي وَقْتٍ قَدْ ظَهَرَتْ فِيهِ الزَّمَانَاتُ<sup>(١)</sup> وَاحْتِاجَ النَّاسِ إِلَى الطِّبِّ، فَأَتَاهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِمَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ مِثْلَهُ، وَبِمَا أَحْيَا لَهُمُ الْمَوْتَى، وَأَبْرَأَ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَأَثْبَتَ بِهِ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي وَقْتٍ كَانَ الْعَالِبُ عَلَى أَهْلِ عَصْرِ الْخُطْبِ وَالْكَلَامِ [وَأُظْنُهُ قَالَ]<sup>(٢)</sup>: الشَّعْرَ فَأَتَاهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مِنْ مَوَاعِظِهِ وَحِكْمِهِ مَا أَبْطَلَ بِهِ قَوْلَهُمْ، وَأَثْبَتَ بِهِ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ، قَالَ: فَقَالَ ابْنُ السِّكِّيتِ: تَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَكَ قَطُّ فَمَا الْحُجَّةُ عَلَى الْخَلْقِ الْيَوْمَ؟ قَالَ: فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْعَقْلُ، يُعْرَفُ بِهِ الصَّادِقُ عَلَى اللَّهِ فَيُصَدِّقُهُ وَالْكَاذِبُ عَلَى اللَّهِ فَيُكَذِّبُهُ، قَالَ: فَقَالَ ابْنُ السِّكِّيتِ: هَذَا وَاللَّهِ هُوَ الْجَوَابُ<sup>(٣)</sup>، "عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ: النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَالْحُجَّةُ فِيمَا بَيْنَ الْعِبَادِ وَبَيْنَ اللَّهِ الْعَقْلُ"<sup>(٤)</sup>.

"قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ دِعَامَةُ الْإِنْسَانِ الْعَقْلُ، وَالْعَقْلُ مِنْهُ الْفِطْنَةُ وَالْفَهْمُ وَالْحِفْظُ وَالْعِلْمُ، وَبِالْعَقْلِ يَكْمُلُ، وَهُوَ دَلِيلُهُ وَمُبْصِرُهُ وَمِفْتَاحُ أَمْرِهِ، فَإِذَا كَانَ تَأْيِيدُ عَقْلِهِ مِنَ النُّورِ كَانَ عَالِمًا حَافِظًا ذَاكِرًا فِطْنًا فَهِيمًا، فَعَلِمَ بِذَلِكَ كَيْفَ وَلِمَ وَحَيْثُ، وَعَرَفَ مَنْ نَصَحَهُ وَمَنْ غَشَّاهُ، فَإِذَا عَرَفَ ذَلِكَ عَرَفَ مَجْرَاهُ وَمَوْصُولَهُ وَمَفْصُولَهُ وَأَخْلَصَ [الْوَحْدَانِيَّةَ لِلَّهِ]<sup>(٥)</sup> وَالْإِقْرَارَ بِالطَّاعَةِ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ مُسْتَدْرِكًا لِمَا فَاتَ، وَوَارِدًا عَلَى مَا هُوَ آتٍ، يَعْرِفُ مَا هُوَ فِيهِ وَلِأَيِّ شَيْءٍ هُوَ هَاهُنَا وَمِنْ أَيْنَ يَأْتِيهِ وَإِلَى مَا هُوَ صَائِرٌ، وَذَلِكَ كُلُّهُ مِنْ تَأْيِيدِ الْعَقْلِ"<sup>(٦)</sup> الحديث.

ويجوز أن يكون تمام كلام اليهود عند ﴿وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾<sup>(٧)</sup>، ويكون قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا﴾ إلى آخر الآيات من كلام الله تعالى فيكون تقديره ومعناه وَلَا تُؤْمِنُوا أَيُّهَا

(١) الزمانات: (الآفات الواردة على بعض الأعضاء فيمنعها عن الحركة كالفالج واللقوة، ويطلق المزمّن على مرض طال

زمانه)، الكافي: الكليني: ٢٤/١، الهامش.

(٢) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٣) الكافي: الكليني: ٢٤/١- ٢٥/٢٠، كتابُ الْعَقْلِ وَالْجَهْلِ .

(٤) المصدر نفسه: ٢٥/١- ٢٢، كتابُ الْعَقْلِ وَالْجَهْلِ .

(٥) في المصدر: لله الوجدانية .

(٦) الكافي: الكليني: ٢٥/١- ٢٣، كتابُ الْعَقْلِ وَالْجَهْلِ .

(٧) سورة آل عمران: الآية ٧٢.

المؤمنون ولا تصدقوا إلا لمن تبع دينكم الذي هو الإسلام ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾<sup>(٢)</sup>، ولا تصدقوا بأن يؤتى أحد بعد نبيكم مثل ما أوتيتم؛ لأنه لا نبي بعد نبيكم صلى الله عليه وآله، ولا شريعة بعد شريعتكم إلى يوم القيامة، فمن ادعى الإتيان بمثله فهو كاذب كفار، ولا تصدقوا بأن يكون لأحد في دينه حجة عليكم عند ربكم؛ لأن دينكم هو الإسلام خير الأديان، وهو المقبول دون غيره، فيكون في قوله تعالى: ﴿أَنْ يُؤْتَى﴾ بالنظر إلى ما قبله عشرة أوجه كاملة، يكون قوله: ﴿أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾ من كلام اليهود في أربعة أوجه منها، وفي ستة منها من كلام الله تعالى.

وقوله: ﴿قُلْ إِنَّ الْفُضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾، يعني: النبوة، والإمامة، والحجج والأحكام الدينية والدنيوية التي أعطها الله محمداً ومن تبعه وآمن به، قوله: ﴿بِيَدِ اللَّهِ﴾، أي: (في ملكه، وقدرته، وهو القادر عليه، والعالم بمحلّه)<sup>(٣)</sup>، الله أعلم حيث رسالته، ﴿يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ وفي المجمع (وفي هذه دلالة على أن النبوة ليست بمستحقة وكذلك الإمامة؛ لأن الله سبحانه وتعالى علّقه بالمشيئة)<sup>(٤)</sup> انتهى كلامه أعلى الله مقامه.

﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ الرحمة وواسع المقذور، جواد كريم يفعل ما يشاء، ﴿عَلِيمٌ﴾ بمصالح العباد، ويعلم حيث يجعل رسالته، ﴿يَخْتَصُّ﴾ ويمتني، ﴿بِرَحْمَتِهِ﴾ بالنبوة والإمامة والشريعة والجنة ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾.

### بيان الأصل في لفظ التخصيص وما يشتق منه:

وَالأَصْلُ فِي لَفْظِ التَّخْصِصِ وَمَا يَتَفَرَّعُ مِنْهُ أَنْ يُسْتَعْمَلَ بِإِدْخَالِ الْبَاءِ عَلَى الْمَقْصُورِ عَلَيْهِ، أَعْنِي مَالَهُ الْخَاصَّةَ، فيقال: خصّ المال بزید، أي: المال له دون غيره، لكن الشائع الكثير ادخالها على المقصور، أعني الخاصة وهذا هو المراد في هذه الآية، وقولهم في تفسير ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾<sup>(٥)</sup>، نَحْصُكَ بالعبادة، أي: لا نعبد غيرك، وقولهم خصصت فلاناً بالذكر إذا ذكرته دون غيره، وجعلته من بين الأشخاص مختصاً بالذكر، وقولهم في المنسوب

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩ .

(٢) سورة آل عمران: الآية ٨٥ .

(٣) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٢٤/٢ .

(٤) المصدر نفسه: ٣٢٤/٢ .

(٥) سورة الفاتحة: الآية ٥ .

وَاخْتَصَّ بِهَا فَالْأَصْلُ أَنْ يَقُولَ: يَخْتَصُّ رَحْمَتَهُ بِمَنْ يَشَاءُ وَنَحُصُّ الْعِبَادَةَ بِكَ، وَخَصَّصْتُ الذِّكْرَ بِفُلَانٍ وَاخْتَصَّصُوا بِالْمَنْدُوبِ لَكُنْهُمْ أَدْخَلُوا الْبَاءَ عَلَى الْمَقْصُورِ، أَعْنِي الْخَاصَّةَ عَلَى تَضْمِينِ مَعْنَى الْإِمْتِيَازِ كَمَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ، أَي: نُمَيِّزُكَ بِالْعِبَادَةِ مِنْ غَيْرِكَ مِمَّا زَا بِهَا عَنْ غَيْرِكَ أَوْ نُمَيِّزُكَ مَخَصَّصِينَ إِيَّاهَا [١٠٦] بِكَ ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ .

وَفِي الْمَجْمَعِ (وَفِي هَذِهِ الْآيَاتِ مَعْجَزَةٌ بَاهِرَةٌ لِنَبِينِنَا؛ إِذْ فِيهَا أَخْبَارٌ عَنْ سُرَائِرِ الْقَوْمِ الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا عِلَامُ الْعُيُوبِ، وَفِيهَا دَفْعٌ لِمَكَائِدِهِمْ، وَلَطْفٌ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الثَّبَاتِ عَلَى عِقَائِدِهِمْ)<sup>(١)</sup>، وَفِيهَا أَيْضاً رَدٌّ وَإِبْطَالٌ لِمَا زَعَمُوهُ بِالْحِجَّةِ الْوَاضِحَةِ وَالْبَيِّنَةِ اللَّائِحَةِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ \* بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٢)</sup> آيَاتَانِ.

القراءة:

قَرَأَ حَمْزَةٌ وَأَبُو بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ وَأَبُو عَمْرٍو عَلَى أَحَدِ قَوْلَيْهِ يُؤَدِّهِ وَلَا يُؤَدِّهِ بِإِسْكَانِ هَاءِ الضَّمِيرِ، وَقَرَأَ قَالُونَ<sup>(٣)</sup> وَيَعْقُوبُ وَأَبُو جَعْفَرٍ يُؤَدِّهِ وَلَا يُؤَدِّهِ بِكَسْرِ الْهَاءِ مَعَ اخْتِلَاسِ تِلْكَ الْكِسْرَةِ مِنْ غَيْرِ وَصَلِ صَلَّةُ الضَّمِيرِ وَإِشْبَاعِهِ وَهُوَ الصَّحِيحُ مِنْ مَذْهَبِ أَبِي عَمْرٍو وَالْبَاقُونَ بِكَسْرِ الْهَاءِ مَعَ إِشْبَاعِ تِلْكَ الْكِسْرَةِ وَوَصَلِ صَلَّةُ الضَّمِيرِ هَكَذَا يُؤَدِّهِ وَلَا يُؤَدِّهِ، وَقَرَأَ يَحْيَى بْنُ وَثَّابٍ تَأْمَنَهُ وَتَتَمَّنَّهُ بِفَتْحِ التَّاءِ حَرْفِ الْمِضَارَعَةِ وَكَسْرِهَا كَمَا هُوَ عَادَةٌ بَنِي أَسَدٍ وَغَيْرِهِمْ فِي غَيْرِ الْيَاءِ مِنَ الْحُرُوفِ الْمِضَارَعَةِ، وَقَرَأَ دِمَّتْ بِكَسْرِ الدَّالِ وَضَمِّهَا كَمِتَّ<sup>(٤)</sup>.

اللغة:

الْقِنطَارُ قَدْ مَرَّ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ أَنَّهُ الْمَالُ الْكَثِيرُ، وَقِيلَ: أَنَّهُ أَلْفٌ وَمِائَتَا أُوقِيَّةٍ، وَقِيلَ: أَلْفٌ وَمِائَتَا مِثْقَالٍ، وَقِيلَ: أَلْفٌ دِينَارٍ أَوْ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا، وَقِيلَ: ثَمَانُونَ أَلْفًا مِنَ الدَّرَاهِمِ، أَوْ مِائَةٌ رَطْلٍ، وَقِيلَ: سَبْعُونَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَقِيلَ: مِائَةٌ مَسْكَ ثَوْرٍ ذَهَبًا، وَالِدِينَارُ أَصْلُهُ الدِّنَارُ بِنُونَيْنِ

(١) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٢٤/٢ .

(٢) سورة آل عمران: الآية ٧٥ - ٧٦ .

(٣) (هو عيسى بن مينا بن وردان، أبو موسى المري مولى بني زهرة، قارئ المدينة ونحوها، كان ربيب نافع واختص به كثيراً، وهو الذي سماه قالون لجودة قراءته، توفي سنة ٢٢٠هـ)، الحجة للقراء السبعة: أبو علي الفارسي: ٥٧/١، وانظر: طبقات القراء السبعة: ابن السَّالَر: ١٢٠ .

(٤) ينظر: مجمع البيان: الطبرسي: ٣٢٤/٢ .

قُلِبَتْ أَحَدُهُمَا يَاءً لِلتَّخْفِيفِ كَمَا فِي قَيْرَاطٍ أَصْلُهُ قِرَاطٌ بِرَائِنِ بَدَلِيلِ جَمْعِهَا عَلَى دَنَايِرٍ وَقِرَارِيْطٍ وَتَصْغِيرِهَا عَلَى دَنِيْنِيْرٍ وَقِرِيْرِيْطٍ<sup>(١)</sup>، وَفِي دُمْتُ لُغْتَانِ: ضَمَّ الدَّالِ وَكَسَرَهَا كَمَا فِي مُتٍ وَهِيَ حَرْفَانِ مِنْ مَعْتَلِّ الْعَيْنِ جَاءَ مُتَدَاخِلِيْنَ قَالُوا: دِمْتُ تَدُوْمٌ، وَمِتُّ تَمُوْتُ، بِكَسْرِ الدَّالِ وَالْمِيمِ فِي الْمَاضِي وَضَمِّهِمَا، فَهِيَ مَرْكَبَانِ؛ إِذْ جَاءَ دِمْتُ تَدَاْمٌ، وَدُمْتُ تَدُوْمٌ، وَمِتُّ تَمَاتٌ، وَمِتُّ تَمُوْتُ، وَمَنْ كَسَرَ الدَّالَ وَالْمِيمَ فِي الْمَاضِي قَالَ فِي مَضَارِعِهِمَا: يَدَاْمٌ وَيَمَاتٌ بَفَتْحِ عَيْنِ الْمَضَارِعِ وَقَلْبِهَا أَلْفًا؛ لِتَحْرِكِهَا فِي الْأَصْلِ وَانْفِتَاحِ مَا قَبْلَهَا فِي الْحَالِ كَخَفْتُ تَخَافُ<sup>(٢)</sup> وَهِيَ لُغَةٌ أَزْدُ السَّرَاةِ<sup>(٣)</sup>؛ قَالَ شَاعِرُهُمْ<sup>(٤)</sup>:

(بُنَيْتِي يَا سَيِّدَةَ الْبَنَاتِ عَيْشِي وَلَا تَأْمَنَنَّ أَنْ تَمَاتِي)<sup>(٥)</sup>.

فَمَنْ قَالَ دِنَ يَدُوْمٌ، وَمِتُّ يَمُوْتُ، بِكَسْرِ الدَّالِ وَالْمِيمِ قَالَ فِي وَضَمِّهِمَا مَعَ الْوَاوِ فِي الْمَضَارِعِ فَهُوَ مِنَ التَّدَاخُلِ، وَفِي ﴿أَوْفَى﴾ لُغْتَانِ؛ فَأَهْلُ الْحِجَازِ يَقُولُونَ: أَوْفَيْتُ، وَأَهْلُ نَجْدٍ: وَفَيْتُ .  
الإعراب:

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ خَبْرٌ مَقْدَمٌ، وَكَذَا مِنْهُمْ، وَ﴿مَنْ﴾ فِي الْمَوْضِعَيْنِ مَوْصُولٌ اسْمِيٌّ مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ، وَجُمْلَةُ الشَّرْطِ وَالْجَزَاءِ صِلَةٌ ﴿مَنْ﴾ وَ﴿يُؤَدِّهِ﴾، وَ﴿لَا يُؤَدِّهِ﴾ مُجْرُومٌ بِيَنْ الشَّرْطِيَّةِ؛ بِحَذْفِ لَامِ الْكَلِمَةِ الَّتِي هِيَ الْيَاءُ، وَ﴿لَا﴾ نَافِيَةٌ، وَمَا فِي ﴿مَا دُمْتُ﴾ مَصْدَرِيَّةٌ ظَرَفٌ لِقَوْلِهِ: ﴿لَا يُؤَدِّهِ﴾ وَالْمَسْتَنْثَى مَفْرَعٌ، وَيُقَالُ: إِنْ تَأْمَنُ بِقِنْطَارٍ وَتَأْمَنُ عَلَى قِنْطَارٍ، وَهِيَ يَتَعَاقَبَانِ فِي أَمْثَالِ الْمَوَاضِعِ؛ لِتَقَارِبِ مَعْنَاهُمَا كَمَا نَقُولُ: مَرَرْتُ بِزَيْدٍ، وَمَرَرْتُ عَلَى زَيْدٍ، وَقَالَ:

(مَرَرْتُ عَلَى وَادِي السَّبَاعِ وَلَا أَرَى كَوَادِي السَّبَاعِ حِينَ يُظْلَمُ وَادِيًا)<sup>(٦)</sup> .

(١) ينظر: غريب الحديث: ابن سلام: ١٦٥/٤، تهذيب اللغة: الأزهري: ٣٠١/٩، المخصص: ابن سيده: ١٨١/٤.

(٢) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ابن سيده: ٤٤٤/٩.

(٣) (السراة: جبل مشرف على عرفة ينقاد إلى صنعاء وإنما سمي بذلك لعلوه ويقال له سراة)، البداية والنهاية: ابن كثير: ١٩٦/٢.

(٤) ينظر: مجمع البيان: الطبرسي: ٣٢٤/٢.

(٥) (لم يتيسر لنا الوقوف على نسبة هذا البيت إلى قائل معين، وقد أنشده الجوهري في الصحاح [٢٦٧/١]، وابن جني في الخصائص: ٣٨٢/١)، شرح شافية ابن الحاجب: رضي الدين الإستراباذي: ١٣٧/١.

(٦) ينسب هذا البيت للشاعر (سحيم بن وثيل بن عمرو الرياحي، وهو شاعر مخضرم عاش في الجاهلية والإسلام، عاش في الجاهلية أربعين وفي الإسلام ستين)، الكتاب: سيبويه: ٣٢/٢، الأصمعيّ: ١٧.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ﴾<sup>(١)</sup> الآية، إِلَّا لِلْفَرْقِ أَنَّ الْبَاءَ لِلإِلصَاقِ وَمَعْنَى عَلَى اسْتِعْلَاءِ الْأَمَانَةِ وَالْخَطَابِ فِي ﴿إِنْ تَأْمَنَهُ﴾ وَ﴿دُمْتُ﴾ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَأَنْ يَكُونَ لِمَنْ يَصْلِحُ لَهُ عَلَى سَبِيلِ الْعُمُومِ، ﴿ذَلِكَ﴾ مَبْتَدَأٌ ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ الْخ، خَبْرُهُ وَالْبَاءُ لِلْسَبَبِيَّةِ، ﴿بَلَى﴾ حَرْفٌ لِإِجَابِ النَّفْيِ.

### الفرق بين بلى ونعم:

وَالْفَرْقُ بَيْنَ بَلَى وَنَعَمٍ أَنَّ بَلَى لِإِثْبَاتِ النَّفْيِ غَالِبًا، وَنَعَمٌ جَوَابٌ وَتَصْدِيقٌ اثْبَاتًا وَنَفْيًا جَمِيعًا غَالِبًا، وَقَدْ يَسُدُّ أَحَدُهُمَا مَقَامَ الْأُخْرَى فِي أَبْوَابِ الْإِقْرَارِ، وَيَجُوزُ إِمَالَةٌ بَلَى دُونَ لَا لِمَشَابَهَتِهَا الْأَسْمِ فِي جَوَازِ الْوَقْفِ عَلَيْهَا، وَلِكُونِهَا ثَلَاثَةَ أَحْرَفٍ.

قَوْلُهُ: ﴿مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ﴾ جُمْلَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ، وَمَنْ شَرْطِيَّةٌ مَبْتَدَأٌ، وَالْفَاءُ فِي ﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾ لِلْجَزَاءِ، وَالْهَاءُ فِي ﴿بِعَهْدِهِ﴾ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ رَاجِعًا إِلَى ﴿مَنْ﴾، وَإِلَى ﴿اللَّهُ﴾، وَالْبَاقِي وَاضِحٌ.

### النزول:

فِي الْمَجْمَعِ (عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: يَعْنِي بِقَوْلِهِ: ﴿مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾، عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، أَوْدَعَهُ رَجُلٌ أَلْفًا وَمِائَتِي أَوْقِيَّةٍ ذَهَبًا، فَأَدَّاهُ إِلَيْهِ، فَمَدَحَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ: ﴿مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾، فَنَحَاصَ بْنِ عَازُورَاءَ، وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ اسْتَوَدَعَهُ دِينَارًا، فَخَانَهُ، وَفِي بَعْضِ التَّفَاسِيرِ: أَنَّ الَّذِي يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ النَّصَارَى، وَالَّذِينَ لَا يُؤَدُّونَهُ الْيَهُودُ)<sup>(٢)</sup> انتهى.

وَفِي الْكَشَافِ (عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: نَزَلَتْ<sup>(٣)</sup> فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَبُخَيْرَاءَ الرَّاهِبِ وَنُظَرَائِهِمَا مِنْ مُسْلِمَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ)<sup>(٤)</sup> انتهى.

### المعنى:

ثُمَّ ذَكَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بَعْضَ مَعَايِبِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَأَنَّ مِنْهُمْ<sup>(٥)</sup> مَنْ يُجَانِبُ الْعَيْبَ وَيَجْتَنِبُهُ فَقَالَ: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ﴾ يَا مُحَمَّدُ أَوْ يَا صَاحِبَ الْحَقِّ أَوْ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ، أَي: تَجْعَلُهُ أَمِينًا، ﴿بِقِنْطَارٍ﴾، أَي: عَلَى مَالٍ كَثِيرٍ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ أَنْفَاءً فِي

(١) سورة الصافات: الآية ١٣٧ .

(٢) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٢٥/٢ .

(٣) ومنه في حاشية الأصل: يعني قوله تعالى: ﴿مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنْطَارٍ﴾ .

(٤) الكشاف: الزمخشري: ٣٧٦/١ .

(٥) ومنه في حاشية الأصل: عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَبُخَيْرَاءَ الرَّاهِبِ وَنُظَرَائِهِمَا .



النزول واللغة، ﴿يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾، أي: يَرُدُّهُ إِلَيْكَ عِنْدَ الْمُطَالَبَةِ وَلَا يُخْبِئُهُ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ اسْتَوَدَعَهُ فُرَشِيَّ (أَلْفًا وَمَائَتِي أُوقِيَّةً ذَهَبًا، فَأَدَّاهُ إِلَيْهِ) (١).

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾، أي: لَا يَرُدُّهُ إِلَيْكَ بَلْ يَخُونُهُ كَفَنَحَاصِ بْنِ عَازِرٍ اسْتَوَدَعَهُ فُرَشِيَّ آخَرَ دِينَارًا فَجَحَدَهُ، وَقِيلَ: الْمَأْمُونُونَ [١٠٧] عَلَى الْكَثِيرِ النَّصَارَى؛ إِذِ الْغَالِبُ فِيهِمُ الْأَمَانَةُ، وَالْحَائِثُونَ فِي الْقَلِيلِ الْيَهُودُ؛ إِذِ الْغَالِبُ [عَلَيْهِمْ] (٢) الْخِيَانَةُ (٣).

﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾، أي: (إِلَّا مُدَّةَ دَوَامِكَ [يَا صَاحِبَ الْحَقِّ] (٤) قَائِمًا عَلَى رَأْسِهِ، مُبَالِغًا فِي مُطَالَبَتِهِ بِالتَّقَاضِي [وَالْعُنْفِ عَلَيْهِ] (٥) وَالتَّرَافُعِ إِلَى الْحَاكِمِ وَإِقَامَةِ الْبَيْتَةِ) (٦) عَلَيْهِ.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾، ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى الْاسْتِحْلَالِ وَالْخِيَانَةِ وَعَدَمِ الْأَدَاءِ الْمَدْلُولِ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿لَا يُؤَدِّهِ﴾، يَعْنِي أَنَّ عَدَمَ أَدَاءِ الْأَمَانَةِ إِلَى صَاحِبِهَا وَاسْتِحْلَالِهَا بِسَبَبِ قَوْلِهِمْ: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ هَذَا بَيَانُ الْعِلَّةِ الَّتِي كَانُوا لَا يُؤَدُّونَ الْأَمَانَةَ إِلَى صَاحِبِهَا، وَيَمِيلُونَ إِلَى الْخِيَانَةِ، أَي: لَيْسَ عَلَيْنَا فِي شَأْنٍ مِنْ لَيْسُوا بِأَهْلِ الْكِتَابِ وَلَمْ يَكُونُوا عَلَى دِينِنَا عِتَابٌ وَلَا ذَمٌّ؛ (لَأَنَّهُمْ تَحَوَّلُوا عَنْ دِينِهِمُ الَّذِي عَامَلْنَاهُمْ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ عَامَلُوا جَمَاعَةً مِنْهُمْ، ثُمَّ أَسْلَمَ مَنْ لَهُ الْحَقُّ، وَامْتَنَعَ مَنْ عَلَيْهِ الْحَقُّ، مِنْ أَدَاءِ حَقِّهِ، وَقَالُوا: إِنَّمَا عَامَلْنَاكُمْ، وَأَنْتُمْ عَلَى [مِثْلِ] (٧) دِينِنَا، فَإِذَا فَارَقْتُمُوهُ سَقَطَ حَقُّكُمْ، وَادَّعَوْا أَنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِمْ فَأَكْذَبَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ (٨) بِادِّعَائِهِمْ أَنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِمْ، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ فِي ذَلِكَ الْادِّعَاءِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ اسْتَحَلُّوا ظِلْمَ مَنْ خَالَفَهُمْ فِي الدِّينِ وَقَالُوا لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُمْ فِي التَّوْرَةِ حُرِّيَّةً كَمَا عَامَلَ جَمْعٌ مِنَ الْيَهُودِ رِجَالًا مِنْ قَرِيشٍ قَبْلَ إِسْلَامِهِمْ، فَلَمَّا أَسْلَمُوا تَقَاضَوْهُمْ حَقَّهُمْ فَقَالُوا: سَقَطَ حَقُّكُمْ حِينَ تَرَكْتُمْ دِينَكُمْ زَعَمًا مِنْهُمْ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي كِتَابِهِمْ فَأَكْذَبَهُمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ الخ.

(١) أنوار التنزيل: البيضاوي: ٢٣/٢ .

(٢) في الأصل: فيهم .

(٣) أنوار التنزيل: البيضاوي: ٢٣/٢ - ٢٤ .

(٤) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٥) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٦) زبدة التفاسير: فتح الله الكاشاني: ٥١٠/١ .

(٧) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٨) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٢٦/٢ .



### ذكر أداء الأمانة وثوابه وعقاب تارك الأداء:

وَعَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ عِنْدَ نَزْوِلِهَا: "كَذَبَ أَعْدَاءُ اللَّهِ مَا مِنْ شَيْءٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِلَّا وَهُوَ تَحْتَ قَدَمِي إِلَّا الْأَمَانَةَ؛ فَإِنَّهَا مُؤَدَّاةٌ إِلَى الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ" <sup>(١)</sup> الحديث، وَعَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: "ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذِبًا، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اتُّمِنَ خَانَ" <sup>(٢)</sup>، وَعَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: "مَنْ اتُّمِنَ عَلَى أَمَانَةٍ فَأَدَّاهَا، وَلَوْ شَاءَ لَمْ يُؤَدِّهَا، رَوَّجَهُ اللَّهُ مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ مَا شَاءَ" <sup>(٣)</sup>، "عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ سَأَلَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنَّا نُصِيبُ فِي الْغَزْوِ مِنْ أَمْوَالِ أَهْلِ الذِّمَّةِ الدَّجَاجَةَ وَالشَّاةَ، قَالَ: [مَاذَا تَقُولُونَ] <sup>(٤)</sup>؟ قَالَ: نَقُولُ: لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ذَلِكَ بَأْسٌ، قَالَ: هَذَا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابِ: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾، إِنَّهُمْ إِذَا أَدُّوا الْجِزْيَةَ لَمْ يَحِلَّ أَكْلُ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا بِطَيْبِ أَنْفُسِهِمْ" <sup>(٥)</sup>.

### ذكر حلية أخذ مال الناصب وإتلافه وقتله:

أَقُولُ: لَكِنْ يَحِلُّ أَكْلُ مَالِ النَّاصِبِ وَأَخْذُهُ وَإِتْلَافُهُ مِنْ غَيْرِ حَرْجٍ؛ رَوَى الصَّدُوقُ قُدَّسَ سِرُّهُ فِي تَاسِعِ أَبْوَابِ عِقَابِ الْأَعْمَالِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ "مُذْمِنُ الْخَمْرِ كَعَابِدِ الْوَثْنِ وَالنَّاصِبِ لِأَلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ شَرُّ مِنْهُ" <sup>(٦)</sup>.

وَرَوَى شَيْخُ الطَّائِفَةِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ "قَالَ: خُذْ مَالَ النَّاصِبِ حَيْثُ مَا وَجَدْتَهُ، وَابْعَثْ إِلَيْنَا الْخُمْسَ" <sup>(٧)</sup>، وَفِي رُؤَايَةٍ أُخْرَى "خُذْ مَالَ النَّاصِبِ حَيْثُ وَجَدْتَهُ، [وَابْعَثْ] <sup>(٨)</sup> إِلَيْنَا الْخُمْسَ" <sup>(٩)</sup>، وَ"عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَالُ النَّاصِبِ وَكُلُّ شَيْءٍ يَمْلِكُهُ حَلَالٌ لَكَ إِلَّا امْرَأَتُهُ؛ فَإِنَّ نِكَاحَ أَهْلِ الشِّرْكِ جَائِزٌ؛

(١) تخريج الأحاديث: الزيلعي: ١٨٩/١ .

(٢) الجامع في الحديث: ابن وهب: ٦٠٦/٦٠٦، مسند البزار: البزار: ١٤/٢٥٧/٢٠٥٧٤٣ .

(٣) الكشف والبيان: الثعلبي: ٩٧/٣، مجمع البيان: الطبرسي: ٣٢٧/٢، وبحسب تتبعنا لم نجد هذا الحديث في كتب الحديث.

(٤) في المصدر: فَيَقُولُونَ مَاذَا.

(٥) تخريج الأحاديث: الزيلعي: ١٩٠/١ .

(٦) ثواب الأعمال: الصدوق: ٢٠٧، عقاب الناصب والجاحد لأمير المؤمنين عليه السلام والشاك فيه والمنكر له.

(٧) تهذيب الأحكام: الطوسي: ٨/١٢٣/٤، باب الخمس والغنائم .

(٨) في المصدر: وَادْفَع .

(٩) تهذيب الأحكام: الطوسي: ٧/١٢٢/٤، باب الخمس والغنائم .

وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: لَا تَسُبُّوا أَهْلَ الشِّرْكِ؛ فَإِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ نِكَاحًا، وَلَوْ لَا أَنَا نَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ يُفْتَدَى] (١) رَجُلٌ مِنْكُمْ بِرَجُلٍ مِنْهُمْ، وَالرَّجُلُ مِنْكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ رَجُلٍ مِنْهُمْ وَمِائَةِ أَلْفٍ مِنْهُمْ، لِأَمْرِنَاكُمْ بِالْقَتْلِ لَهُمْ، وَلَكِنَّ ذَلِكَ إِلَى الْإِمَامِ" (٢).

وَرَوَى الصَّدُوقُ فِي كِتَابِ الْعِلَلِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ "عَنْ دَاوُدَ بْنِ فَرْقَدٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا تَقُولُ فِي قَتْلِ النَّاصِبِ؟ قَالَ حَلَالُ الدَّمِ [لِكِنِّي] (٣) أَنْتَقِي عَلَيْكَ، فَإِنْ قَدَرْتَ أَنْ تَقْلِبَ عَلَيْهِ حَائِطًا، أَوْ تُغْرِقَهُ فِي مَاءٍ؛ لِكَيْلَا يُشْهَدَ بِهِ عَلَيْكَ فَافْعَلْ، قُلْتُ: فَمَا نَرَى فِي مَالِهِ؟ قَالَ: تَوَهُ (٤) مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ" (٥) الحديث، وَمِثْلُهُ كَثِيرٌ.

ما يفهم من هذه الأخبار من الأحكام:

فَيُفْهَمُ مِنْ هَذِهِ الْأَخْبَارِ أَحْكَامٌ كَثِيرَةٌ: مِنْهَا أَنَّ النَّاصِبِيَّ شَرٌّ مِنْ عَابِدِ الْوَثَنِ، وَعَابِدِ الْوَثَنِ مُشْرِكٌ نَجَسٌ بِلَا خِلَافٍ فَالنَّاصِبِيَّ كَذَلِكَ، مِنْهَا حَلِيَّةُ مَالِ النَّاصِبِ وَحَلِيَّةُ جَمِيعِ التَّصَرُّفَاتِ فِيهِ بَعْدَ إِخْرَاجِ حُصْمِهِ كَالْمَالِ الْمَأْخُودِ مِنْ أَهْلِ الْمُشْرِكِينَ، وَمِنْهَا حَلِيَّةُ كُلِّ مَا كَانَ مَالِكًا حَتَّى الْجَوَارِي إِلَّا امْرَأَتَهُ، وَمِنْهَا أَنَّ النَّاصِبِيَّ مُشْرِكٌ، وَالْمُشْرِكُ نَجَسٌ ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ (٦)، وَمِنْهَا أَنَّ نِكَاحَ النَّاصِبِينَ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَعَقْدَهُمْ أَزْوَاجَهُمْ جَائِزٌ وَمُضَيٌّ، وَمِنْهَا أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ لِلنَّاصِبِيِّ يَا وَلَدَ الزَّيْنَا، وَمِنْهَا أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ نِكَاحُ امْرَأَةِ النَّاصِبِيِّ، وَلَا جَمَاعُهَا قَبْلَ مَوْتِهِ أَوْ قَتْلِهِ يَقِينًا وَإِنْقِضَاءِ عِدَّةِ الْوَفَاةِ، وَمِنْهَا أَنَّ النَّاصِبِيَّ حَلَالُ الدَّمِ، وَوَجِبَ الْقَتْلُ، يَجِبُ قَتْلُهُ إِنْ أُمِّكَنْ وَمَهْمَا أُمِّكَنْ، وَمِنْهَا أَنَّ النَّاصِبِيَّ يَجِبُ تَتْوِيهُ مَالِهِ وَإِهْلَاكُهُ مَهْمَا أُمِّكَنْ الْمُهْلِكُ قَادِرًا، أَي: إِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ غَائِلَةٌ، وَالتَّتْوِيهُ مَصْدَرُ التَّقْعِيلِ: الْإِهْلَاكُ.

ويظهر من هذه الأخبار وما يأتي وغيرها أَنَّ مَبْغِضِي آلِ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَنَاصِبِيهِمْ كَافِرُونَ مُشْرِكُونَ كَسَائِرِ فِرْقِ الْكُفَّارِ؛ لِأَنَّهُمْ أَنْكَرُوا مَا عَلِمَ مِنَ الدِّينِ صَرُورَةً، بَلِ النَّوَاصِبُ شَرٌّ مِنْ فِرْقِ الْكُفَّارِ وَإِنْ انْتَحَلُوا الْإِسْلَامَ وَأَظْهَرُوا الشَّهَادَتَيْنِ، وَمَسْلُوبٌ عَنْهُمْ آثَارُ الْإِسْلَامِ مِنَ الطَّهَارَةِ، وَحِفْظِ الْمَالِ، وَحَقْنِ الدَّمِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ. [١٠٨]

(١) في المصدر: يُقْتَلُ .

(٢) تهذيب الأحكام: الطوسي: ٦/٣٨٧/٢٧٥، باب من الزيادات في القضايا والأحكام .

(٣) في الأصل: لكن .

(٤) أي: أهلك، ينظر: القاموس المحيط: الفيروزآبادي: ١٢٤٤، مادة التَّوَهُ .

(٥) علل الشرائع: الصدوق: ٢/٦٠١/٥٧، باب نواذر العلل .

(٦) سورة التوبة: الآية ٢٨ .

رَوَى سَلِيمُ بْنُ قَيْسِ الْهَلَالِيِّ (١) فِي كِتَابِهِ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّمَا النَّاسُ ثَلَاثَةٌ: مُؤْمِنٌ يَعْرِفُ حَقَّنَا وَيُسَلِّمُ لَنَا وَيَأْتُمُّ بِنَا، فَذَلِكَ نَاجٍ نَجِيبٌ لِلَّهِ وَلِيِّ، وَنَاصِبٌ لَنَا الْعَدَاوَةَ يَتَّبِرُ مِنَّا وَيَلْعَنُنَا وَيَسْتَحِلُّ دِمَاءَنَا وَيَجْحَدُ حَقَّنَا وَيَدِينُ بِالْبِرَاءَةِ مِنَّا، فَهَذَا كَافِرٌ بِهِ مُشْرِكٌ مَلْعُونٌ، وَرَجُلٌ آخِذٌ بِمَا لَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَرَدَّ [عِلْمًا] (٢) مَا أَشْكَلَ عَلَيْهِ إِلَى اللَّهِ مِنْ وَلَايَتِنَا وَلَمْ يُعَادِنَا، فَنَحْنُ نَرْجُو لَهُ فَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ" (٣)، فَهَذَا الْحَدِيثُ نَصٌّ صَرِيحٌ مِنْ نَجَاسَةِ الْمُخَالِفِينَ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ الْمُظْهِرِينَ لِلشَّهَادَتَيْنِ، الْعَارِفِينَ مِنْهُمْ، الْمُنْكَرِينَ لِإِمَامَةِ أَيْمَةِ الْهُدَى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، النَّاصِبِينَ لَهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَلِشِعْيَعِهِمْ، الْمُسْتَحْلِينَ دِمَائِهِمْ، الْجَاحِدِينَ حَقَّهُمْ، الْأَعِينِينَ إِيَّاهُمْ، وَمِنْ كَوْنِهِمْ كَافِرِينَ مُشْرِكِينَ مَلْعُونِينَ، وَالْكَافِرِ وَالْمُشْرِكِ نَجِسٌ بِنَصِّ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَالْحَدِيثِ، وَكَوْنِ الْكَافِرِ وَالْمُشْرِكِ مِنْ إِحْدَى النَّجَاسَاتِ الْعَشْرَةِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مَعَ أَنَّ هَؤُلَاءِ أَصُولُ الْكُفْرِ وَأَيْمَتُهُ فَهُمْ الصِّنْفُ الثَّانِي مِنَ الْأَصْنَافِ الثَّلَاثَةِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ؛ لِأَنَّ جَمِيعَ الْمُخَالِفِينَ الْعَارِفِينَ الْمُسْتَدَلِّينَ الْمُنْكَرِينَ النَّاصِبِينَ الْمُقَدِّمِينَ غَيْرَهُمْ عَلَيْهِمْ كَذَلِكَ وَإِنْ أَظْهَرُوا مَحَبَّتَهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَهُوَ خُدْعَةٌ؛ فَهُمْ مُبْغِضُونَ أَعْدَاءٌ، وَيَدَلُّ بَعْضُ الْأَخْبَارِ أَنَّ الْمُبْغِضَ لِشِيعَةِ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَاصِبِيٌّ، وَبَعْضُهُ يَدَلُّ عَلَى أَنَّ مُطَّلَقَ الْمُخَالِفِ مِنْ مُقَدِّمِي الْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَالزَّيْدِيِّ (٤) أَيْضًا نَاصِبِيٌّ.

رَوَى الصَّدُوقُ فِي آخِرِ أَبْوَابِ كِتَابِ الْعِلَلِ عَنْهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنَّهُ "لَيْسَ النَّاصِبُ مَنْ نَصَبَ لَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ لِأَنَّكَ لَا تَجِدُ [أَحَدًا] (٥) يَقُولُ: أَنَا أَبْغِضُ مُحَمَّدًا وَآلَ مُحَمَّدٍ وَلَكِنَّ النَّاصِبَ مَنْ نَصَبَ لَكُمْ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَتَوَلَّوْنَا وَأَنَّكُمْ مِنْ شِيعَتِنَا" (٦).

وَرَوَى الْكُلَيْنِيُّ فِي كِتَابِ الرَّوْضَةِ بِإِسْنَادِهِ عَنِ "عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنْ لِي جَارَيْنِ أَحَدُهُمَا نَاصِبٌ وَالْآخَرُ زَيْدِيٌّ وَلَا بُدَّ مِنْ مُعَاشَرَتِهِمَا فَمَنْ أُعَاشِرُ؟

(١) (سَلِيمُ بْنُ قَيْسِ الْهَلَالِيِّ الْعَامِرِيُّ، رَوَى عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَيُنْسَبُ إِلَيْهِ هَذَا الْكِتَابُ الْمَشْهُورُ)، رَجَالَ ابْنِ الْغَضَائِرِيِّ: ابْنِ الْغَضَائِرِيِّ: ٦٣.

(٢) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفِينَ مِنَ الْمَصْدَرِ .

(٣) كِتَابُ سَلِيمِ بْنِ قَيْسٍ: سَلِيمُ بْنُ قَيْسِ الْهَلَالِيِّ: ٣٧٠ .

(٤) (الرَّيْدِيَّةُ: (طَائِفَةٌ قَالَتْ: لَمْ يَنْصِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَلِيٍّ لَكِنَّهُ كَانَ أَفْضَلَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَحَقَّهُمْ بِالْأَمْرِ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الرَّيْدِيَّةُ نَسَبُوا إِلَى زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)، الْفَصْلُ فِي الْمَلَلِ وَالْأَهْوَاءِ وَالنَّحْلِ: ابْنُ حَزْمٍ الْأَنْدَلِسِيُّ: ٧٦/٤ .

(٥) فِي الْمَصْدَرِ: رَجُلًا .

(٦) عِلَلُ الشَّرَائِعِ: الصَّدُوقُ: ٦٠١/٢/٦٠١، بَابُ نَوَادِرِ الْعِلَلِ .

فَقَالَ: هُمَا سَيِّانٍ، مَنْ كَذَّبَ بِآيَةِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَقَدْ نَبَذَ الْإِسْلَامَ وَرَاءَ ظَهْرِهِ وَهُوَ الْمُكَذِّبُ بِجَمِيعِ الْقُرْآنِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هَذَا نَصَبَ لَكَ وَهَذَا الزَّيْدِيُّ نَصَبَ لَنَا<sup>(١)</sup>.

أَقُول: يُفْهَمُ مِنْ هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ أَيْضًا أَحْكَامًا: مِنْهَا أَنَّ النَّاصِبِيَّ هُوَ الَّذِي لَا يَقُولُ بِلِسَانِهِ أَنَا أَبْغَضُ مُحَمَّدًا وَآلَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، بَلْ يُبْغِضُهُمْ بِقَلْبِهِ وَاعْتِقَادِهِ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ جُمْهُورِ أَهْلِ الْخِلَافِ، بَلْ رَبَّمَا يَقُولُ بِاللِّسَانِ أَنَا أَحِبُّ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَأَوْلَادَهُمَا صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ خَدِيعَةً لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، لَكِنْ لَمَّا لَمْ يَتَبَرَّأْ مِنْ أَعْدَائِهِمْ، وَغَاصِبِي حَقَّهُمْ، بَلْ يُقَدِّمُ غَاصِبِي حَقَّهُمْ عَلَيْهِمْ، فَهُوَ مَخْلُطٌ، وَمُخَادِعٌ، وَعَدُوٌّ وَاقِعِيٌّ لَهُمْ، كَمَا مَرَّ وَيَجِيءُ.

وَمِنْهَا أَنَّ النَّاصِبَ هُوَ الَّذِي يَنْصَبُ لِلشَّيْعَةِ الْإِمَامِيَّةِ الْاِثْنِي عَشْرِيَّةَ ظَاهِرًا صَرِيحًا بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وَيَنْصَبُ لِلْأَيْمَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ضِمْنًا وَتَعْرِيفًا، وَهُوَ أْبْلَغُ مِنَ التَّصْرِيحِ، بَلْ يُصْرِّحُونَ بِنَصْبِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِعْلًا أَيْضًا، كَغَضَبِ حَقَّهُمْ، وَمُعَارَضَتِهِمْ، وَقَتْلِهِمْ وَقَتْلِ أَوْلَادِهِمْ وَذَرَارِيهِمْ وَشَيْعَتِهِمْ، وَإِخْرَاجِهِمْ مِنْ بُيُوتِهِمْ وَدِيَارِهِمْ، وَسَبِي نِسْوَانِهِمْ وَأَطْفَالِهِمْ، حَاشَا أَنْ يَكُونَ أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ مُسْلِمِينَ طَاهِرِينَ جَسَدًا وَسُورًا وَلِعَابًا كَمَا تُوهِمُ؛ فَكَيْفَ يَجُوزُ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَحْكُمَ بِذَلِكَ لِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ مِثْلَ يَزِيدٍ وَابْنِ مَرْجَانَةَ وَابْنِ سَعْدٍ وَنَحْوِهَا.

وَمِنْهَا أَنَّ النَّاصِبِيَّ وَالزَّيْدِيَّ وَأَمْثَالَهُمَا كُلَّ مُكَذِّبٍ بِآيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ بَلْ بِجَمِيعِ الْقُرْآنِ وَبِجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَمِنْهَا أَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمُسْلِمِينَ حَقِيقَةً أَصْلًا؛ بَلْ نَبَذُوا الْإِسْلَامَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَإِذَا لَمْ يَكُونُوا مُسْلِمِينَ كَانُوا كَافِرِينَ، وَمِنْهَا أَنَّهُ لَا يَجُوزُ مُعَاشَرَتُهُمْ وَلَا مُبَاشَرَتُهُمْ وَلَا مَلَاقَتُهُمْ اخْتِيَارًا أَصْلًا؛ وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِنجَاسَتِهِمْ، أَمَّا مَعَ الْاضْطِرَارِ وَعَدَمِ الْقُدْرَةِ عَلَى التَّحَرُّزِ مِنْهُمْ فَإِنَّمَا يُبَاحُ مُبَاشَرَتُهُمْ وَمُعَاشَرَتُهُمْ وَمَوَاكَلَتُهُمْ وَغَيْرُ ذَلِكَ؛ لِلضَّرْرِ وَحِينَئِذٍ إِنْ أَمَكَّنَ التَّطَهُّرُ بَعْدَ ذَلِكَ بِحَيْثُ لَا يَلْحَقُ بِهِ الضَّرَرُ يَتَطَهَّرُ وَإِلَّا يُمَكِّنُ كَذَلِكَ كَانَتْ تِلْكَ النِّجَاسَةُ مَعْفُورًا عَنْهَا؛ لِتَعَدُّرِ الْإِزَالَةِ كَمَا هُوَ الْمُخْتَارُ بَلِ الصَّحِيحُ مِنَ الْمَذْهَبِ فِي هَذَا الْمَقَامِ.

وَرَوَى الشَّيْخُ أَبُو جَعْفَرٍ الطُّوسِيُّ قُدْسَ سِرِّهِ فِي الْأَمَالِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ: "وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا، إِنَّ النَّارَ لِأَشَدُّ غَضَبًا عَلَى مُبْغِضِ عَلِيٍّ مِنْهَا عَلَى مَنْ رَعِمَ أَنْ لِلَّهِ وَلدًا"<sup>(٢)</sup>، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: "يَا ابْنَ عَبَّاسٍ يُبْغِضُهُ قَوْمٌ لِيَزْعَمُونَ"<sup>(١)</sup> أَنَّهُمْ مِنْ

(١) الكافي: الكليني: ٨/٢٣٥/ح ٣١٤.

(٢) الأمالي: الطوسي: ١٠٦/ح ١٦١.

أُمِّي، لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ نَصِيباً<sup>(٢)</sup>، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: "إِنَّ مِنْ عَلامَةِ بُغْضِهِمْ [لَهُ]<sup>(٣)</sup> تَقْضِيلَهُمْ مَنْ هُوَ دُونَهُ عَلَيْهِ"<sup>(٤)</sup> الْحَدِيث.

أقول: [١٠٩] يفهم من هذا الحديث أيضاً أحكام: منها أن مبغضي علي صلوات الله عليه هم الذين نصبوا معه إماماً آخر لَيْسَتْ إِمَامَتُهُ مِنَ اللَّهِ بَلْ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ، منها أَنَّهُمْ كَمَنْ اتَّخَذَ مَعَ اللَّهِ وَلِداً وَإِلِهاً آخَرَ، فَكَمَا أَنَّ الْمُتَّخِذَ مَعَ اللَّهِ وَلِداً وَإِلِهاً آخَرَ مُشْرِكٌ خَبِيثٌ نَجَسٌ ظَاهِراً وَبَاطِناً كَذَلِكَ الْمُتَّخِذَ مَعَ عَلِيٍّ لَيْسَتْ إِمَامَتُهُ مِنَ اللَّهِ مُشْرِكٌ إِخ، بَلْ هُوَ أَشَدُّ إِشْرَاقاً وَعِنَاداً مِنَ الْأَوَّلِ؛ لِأَنَّ الْمُتَّخِذَ مَعَ اللَّهِ وَلِداً وَإِلِهاً آخَرَ لَمْ يُخْرِجِ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ سُلْطَانِهِ وَمَالِكِيَّتِهِ وَاخْتِيَارِهِ بِالْكَلِيَّةِ، بَلْ يَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعائُنَا عِنْدَ اللَّهِ بِخِلَافِ الْمُتَّخِذِ مَعَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِمَاماً آخَرَ لَيْسَ مِنَ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ أَخْرَجَهُ تَعَالَى مِنْ سُلْطَانِهِ وَاخْتِيَارِهِ بِالْكَلِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَقْبَلِ قَوْلَهُ تَعَالَى وَقَوْلِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي تَعْيِينِهِمَا عَلِيّاً عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْإِمَامَةِ وَأَوْلَادَهُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كَذَلِكَ بَلْ جَعَلَ نَفْسَهُ إِلِهاً مُسْتَقِلاً فِي تَعْيِينِ الْإِمَامِ الَّذِي لَيْسَ مِنَ اللَّهِ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ عِنَاداً لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَأُولِي الْأَمْرِ وَتَكْذِيباً وَبِجْمِيعِ الْقُرْآنِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ كَمَا مَرَّ، فَهَمُ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ أَشَدُّ إِشْرَاقاً وَنَجَاسَةً مِنَ الْمُشْرِكِ، وَبِهَذَا الْإِعْتِبَارِ أَيْضاً كَانَتْ النَّارُ أَشَدَّ غَضَباً عَلَيْهِمْ مِنْهَا عَلَى مَنْ زَعَمَ إِخ، وَمِنْهَا أَنَّ مَبْغُضِي عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ نَصِيبٌ لَا قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ لَا ظَاهِراً وَلَا بَاطِناً؛ لِأَنَّ النُّكْرَةَ فِي حَيْزِ النَّفْيِ تَقِيدُ الْعُمُومَ كَمَا هُوَ الْمَعْهُودُ وَالْمَتَعَارَفُ، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾<sup>(٥)</sup>، مَخْتَصٌّ بِ﴿الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾<sup>(٦)</sup>، وَلَا يَدْخُلُ فِيهِمْ مِنْ أَبْغَضِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَعَلِيّاً وَأَوْلَادِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَرَجَعَ عَنِ الدِّينِ قَهْقَرِي بِتَكْذِيبِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ بِنَصْبِ إِمَامٍ لَيْسَ مِنَ اللَّهِ وَلَا مِنْ رَسُولِهِ بَلْ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ عِنَاداً لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَوْلِيائِهِ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ نَصِيبٌ لَمْ يَكُونُوا إِلاَّ مُشْرِكِينَ خَبِيثِينَ نَجَسِينَ ظَاهِراً وَبَاطِناً جَسَداً وَسُؤْراً وَلُعباباً لَا يَجُوزُ مَلَأَقَاتُهُمْ وَمُبَاشَرَتُهُمْ اخْتِيَاراً إِلَى آخِرِ مَا مَرَّ فِي ذَيْلِ الْحَدِيثِ السَّابِقِ، وَمِنْهَا

(١) في المصدر: يَذْكُرُونَ .

(٢) الأمالي: الطوسي: ١٠٦/ح/١٦١.

(٣) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٤) الأمالي: الطوسي: ١٠٦/ح/١٦١.

(٥) سورة الحجرات: الآية ١٤ .

(٦) سورة النساء: الآية ٩٨ .

أن علامة بغضهم له عليه السَّلام تفضيلهم وتقديمهم من هو دونه عليه صلوات الله عليه، وجمهور المخالفين العارفين المستدلّين بإمامة الثلاثة إياهم عليه كذلك بلا شك فهم متصفون بهذه الأوصاف والأحكام المذكورة.

وَرَوَى الصَّدُوقُ فُؤَادَ سِرِّهِ فِي الْفَقِيهِ صَحِيحاً عَنْ إِسْمَاعِيلِ الْجَعْفِيِّ أَنَّهُ قَالَ لِأَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "رَجُلٌ يُحِبُّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَا يَتَبَرَّأُ مِنْ عَدُوِّهِ وَيَقُولُ هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ خَالِفِهِ؟ قَالَ: هَذَا مَخْلُطٌ وَهُوَ عَدُوٌّ"<sup>(١)</sup>، يدلّ هذا الحديث على أنّ مَنْ قَالَ أَنَا أَحَبُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَحَبُّ فَلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا أَيْضاً لَكِنِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ خَالِفِهِ، وَغَضِبَ حَقَّهُ، هُوَ عَدُوٌّ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمُبْغِضٌ لَهُ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "لَنْ يُحِبَّنَا مَنْ يُحِبُّ مُبْغِضَنَا، إِنَّ ذَلِكَ لَا يَجْتَمِعُ فِي قَلْبٍ وَاحِدٍ ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾"<sup>(٢)</sup>، يُحِبُّ بِهَذَا قَوْماً، وَيُحِبُّ بِالْآخِرِ عَدُوَّهُمْ"<sup>(٣)</sup>، إِلَى أَنْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "فَلَيْمَتَحِنْ قَلْبُهُ، فَإِنْ وَجَدَ فِيهِ حُبًّا مِنْ أَلْبَابِنَا فَلْيُعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَدُوُّهُ وَجَبْرَيْلَ وَمِيكَائِيلَ، وَاللَّهُ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ"<sup>(٤)</sup> الحديث، ويستفاد من هذا الحديث أيضاً أحكام وهي ظاهرة بدلالة ما تقدّم.

وروى محمد بن إدريس قدس سرّه مستطرفات السرائر من مسائل مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عِيسَى عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الثَّالِثِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: "وَكَتَبْتُ إِلَيْهِ أَسْأَلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ النَّاصِبِ هَلْ أَحْتَاجُ فِي امْتِحَانِهِ إِلَى أَكْثَرِ مَنْ تَقْدِيمِهِ الْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَاعْتِقَادِ إِمَامَتِهِمَا؟ فَرَجَعَ الْجَوَابُ: مَنْ كَانَ عَلَى هَذَا فَهُوَ نَاصِبٌ"<sup>(٥)</sup> الحديث، وهذا أيضاً ظاهر وغير ذلك من الأخبار التي ذكرناها في رسالة أخرى مشروحة مفصّلة، وهذا القدر كاف هنا فلنرجع ما كنّا فيه (وإنّما سمّوهم أميين<sup>(٦)</sup>)؛ لعدم كونهم من أهل الكتاب، أو لكونهم من مكّة، وهي أمّ القري<sup>(٧)</sup>)، ثُمَّ رَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿بَلَى﴾ اثبات لما نفوه سابقاً من قولهم: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا

(١) من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ١/٣٨٠/ح١١١٧.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٤ .

(٣) الأمالي: الطوسي: ١٤٨/ح٥٦ .

(٤) المصدر نفسه: ١٤٩/ح٥٦ .

(٥) مستطرفات السرائر: ابن ادريس الحلّي: ١٢٦ .

(٦) ومنه في حاشية الأصل: في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ .

(٧) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٢٦/٢ .



فِي الْأَمِّيْنَ سَبِيلٌ ﴿١﴾، أَي: بلى عليهم فيهم سبيلٌ (واثباتٌ لما بَعَدَهُ كَأَنَّهُ قَالَ: مَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ، وَلَا أَحَبَّهُ، وَلَا أَرَادَهُ، بَلْ أُوجِبُ الْوَفَاءَ بِالْعَهْدِ، وَأَدَاءَ الْأَمَانَةِ) (١).

﴿مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ﴾، أَي: مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِ نَفْسِهِ أَوْ بِعَهْدِ اللَّهِ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَأَدَاءَ الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا، هَذِهِ الْجُمْلَةُ (٢) مُسْتَأْنَفَةٌ مَقْرَرَةٌ بِالْجُمْلَةِ الَّتِي سُدَّتْ ﴿بَلَى﴾ مَسَدَّهَا، ﴿وَأَتَقَى﴾ اللَّهُ فِي تَرْكِ الْخِيَانَةِ وَالْغَدْرِ وَنَقْضِ الْعَهْدِ وَمُخَالَفَةِ أَمْرِهِ تَعَالَى وَنَهْيِهِ، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ أَي: فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ وَضَعَ الظَّاهِرُ (٣) مَوْضِعَ الضَّمِيرِ لِتَبْيِينِ الصِّفَةِ الَّتِي تُوجِبُ مَحَبَّةَ اللَّهِ بِهَا وَهِيَ صِفَةُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلِيُشْعَرَ أَنَّ التَّقْوَى الَّتِي هِيَ مَلَائِكُ الْأَمْرِ وَأَصْلُهُ تَعَمُّ الْوَفَاءَ بِالْعَهْدِ وَغَيْرِهِ مِنْ أَدَاءِ الْوَأَجِبَاتِ [١١٠] وَالاجْتِنَابِ عَنِ الْمَنَاهِي وَلِكُونِهِ أَعَمَّ قَامَ مَقَامَ الضَّمِيرِ الرَّاجِعِ إِلَى مَنْ وَنَظِيرِهِ الْمُصْلِحِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ (٤).

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٥) آيَةٌ. مَرَّتْ لِعَاتِهِ جَمِيعًا .

### النُّزُولُ:

فِي الْمَجْمَعِ وَغَيْرِهِ نَزَلَتْ فِي (أَخْبَارِ الْيَهُودِ أَبِي رَافِعٍ، وَكِنَانَةَ بِنْتِ أَبِي الْحَقِيقِ، وَحَيِّ بْنِ أَخْطَبٍ، وَكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ، كَتَمُوا مَا فِي النُّورَةِ مِنْ أَمْرِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَكَتَبُوا بِأَيْدِيهِمْ غَيْرَهُ، [وَأَخَذُوا الرُّشَى عَلَى ذَلِكَ] (١) وَحَلَفُوا أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، لِئَلَّا تَفُوتَهُمُ الرِّيَاسَةُ، وَمَا كَانَ لَهُمْ عَلَى اتِّبَاعِهِمْ [مِنَ الْإِرْتِشَاءِ] (٢) عَنْ عِكْرِمَةَ (٣).

(١) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٢٦/٢ .

(٢) ومنه في حاشية الأصل: أعني: ﴿مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ﴾ .

(٣) ومنه في حاشية الأصل: أعني الْمُتَّقِينَ .

(٤) سورة الأعراف: الآية ١٧٠ .

(٥) سورة آل عمران: الآية ٧٧ .

(٦) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٧) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٨) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٢٧/٢، بحار الأنوار: المجلسي: ٧١/٩ .



وَفِي الْكَشَافِ (وقيل: جاءت جماعة من اليهود إلى كعب بن الأشرف في سنة أصابتهم ممتارين، فقال لهم: هل تعلمون أن هذا الرجل رسول الله؟ قالوا: نعم، قال: لقد هممت أن أميركم وأكسوكم فحرمكم الله خيراً كثيراً، فقالوا: لعله شبه علينا فرويداً حتى نلقاه، فانطلقوا فكتبوا صفة غير صفته، ثم رجعوا إليه وقالوا: قد غلطنا وليس هو بالنعت الذي نعت لنا، ففرح ومارهم) (١).

(وقيل: [نزلت] (٢) فِي أَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ (٣)، وَخَصِمَ لَهُ فِي أَرْضٍ، قَامَ لِيُحْلِفَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَلَمَّا نَزَلَتِ الْآيَةُ نَكَلَ الْأَشْعَثُ، وَاعْتَرَفَ بِالْحَقِّ، وَرَدَّ الْأَرْضَ، عَنْ ابْنِ جَرِيحٍ) (٤).

وَفِي الْكَشَافِ (عَنْ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ: نَزَلَتْ فِيَّ، كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ خُصُومَةٌ فِي بَيْتِ [وَأَرْضٍ] (٥)، فَأَخْتَصَمْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ: شَاهِدَاكَ أَوْ يَمِينَهُ، فَقُلْتُ: إِذَنْ يَحْلِفُ وَلَا يُبَالِي، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: مَنْ حَلَفَ عَلَيَّ يَمِينٍ يَسْتَحِقُّ بِهَا مَا لَا هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ) (٦).

(وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي رَجُلٍ حَلَفَ يَمِيناً فَاجِرَةً، فِي تَنْفِيحِ سِلْعَتِهِ، عَنْ مُجَاهِدٍ وَالشَّعْبِيِّ) (٧)، فَحَلَفَ بِأَنَّهُ اشْتَرَاهَا بِثَمَنِ مُعَيَّنٍ وَالْحَالُ أَنَّهُ لَمْ يَشْتَرِهَا بِهَذَا الْقَدْرِ الْمُعَيَّنِ بَلْ بِأَقَلِّ مِنْهُ، وَفِي تَفْسِيرِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ أَنَّهُ قَالَ: (يَتَقَرَّبُونَ إِلَى [الْمُسْلِمِينَ] (٨) بِأَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ فَيَأْخُذُونَ مِنْهُمْ [أَمْوَالَهُمْ] (٩) [وَيَخُونُونَهُمْ] (١٠) وَمَا هُمْ بِمُسْلِمِينَ عَلَى الْحَقِيقَةِ) (١١).

(١) الكشاف: الزمخشري: ٣٧٦/١ .

(٢) ما بين المعقوفين ليس من المصدر

(٣) (أشعث بن قيس الكندي، أبو محمد، سكن الكوفة، ارتد بعد النبي ص في ردة أهل ياسر)، رجال الطوسي: الطوسي: ٢٣، خلاصة الأقوال: العلامة الحلي: ٣٢٥ .

(٤) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٢٧/٢ .

(٥) ما بين المعقوفين ليس من المصدر

(٦) الكشاف: الزمخشري: ٣٧٦/١ .

(٧) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٢٧/٢ .

(٨) في المصدر: الناس .

(٩) ما بين المعقوفين ليس من المصدر

(١٠) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(١١) تفسير القمي: علي بن إبراهيم: ١٠٦/١ .

المعنى:

ثُمَّ ذَكَرَ سبحانه الوعيدَ لهؤلاء اليهود وأضربهم من أهل الكتاب من يحذوا حذوهم على أفعالهم الخبيثة فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾، أي: يستبدلون ﴿بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ أي: بما عاهدوا عليه تعالى به من إيمانهم بالرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وبما أوجبهم اللهُ من الطَّاعة والكفِّ عن المعصية وبما أودع اللهُ في عقولهم من الاعتقاد للحق والانزجار عن الباطل والوفاء به وبالأمانيات، ﴿وَأَيْمَانِهِمْ﴾، أي: وبما حلفوا به من الإيمان المؤكدة من قولهم: لنؤمنن به ولننصرته، فيحصلون بعد ذلك بنكث عهد الله ونقضه وبإيمانهم المؤكدة الكاذبة الفاجرة، ﴿ثُمَّناً قَلِيلاً﴾، أي: عوضاً قليلاً من متاع الدنيا من الرُّشى، سمَّاه قليلاً وإن كان كثيراً؛ لِأَنَّهُ قَلِيلٌ في جنب ما يفوتهم من الثَّواب.

﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون ومن يحذوا حذوهم، ﴿لَا خَلَقَ لَهُمْ﴾، أي: لا نصيب لهم، ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾، من الثَّواب والجنَّة وما أعدَّ فيها من النِّعيم ومن حسن الحور العين، ﴿وَلَا يَكْلَمُهُمُ اللهُ﴾ بما يسرهم وقت الحساب، بل بما يسوئهم في ذلك الوقت أو (لا يكلمهم أصلاً، وتكون المحاسبة بكلام الملائكة لهم، بأمر الله إياهم، استهانة بهم)<sup>(١)</sup>؛ وَذَلِكَ كِنَايَةٌ عَنِ غَضَبِهِ تَعَالَى وَسَخَطِهِ عَلَيْهِمْ كَمَا نَبَّهَ عَلَى ذَلِكَ بِالْعَطْفِ التَّفْسِيرِيِّ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: ولا يعطف عليهم ولا يرحمهم كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ لِلْغَيْرِ: أَنْظِرْ إِلَيَّ، أَي: ارْحَمْنِي وَأَحْسِنْ إِلَيَّ، فَإِنَّ مَنْ سَخِطَ وَعَظِبَ عَلَى غَيْرِهِ وَاسْتَهَانَ بِهِ أَعْرَضَ عَنْهُ وَعَنِ التَّكَلُّمِ مَعَهُ وَاللِّتَقَاتِ نَحْوَهُ كَمَا أَنَّ مَنْ اعْتَدَّ بِغَيْرِهِ يَقُولُهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ وَيَكْثُرُ النَّظَرُ إِلَيْهِ فَنَظَرَ اللهُ تَعَالَى إِلَى عَبْدِهِ عِبَارَةً عَنِ الْاِعْتِدَادِ بِهِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ وَعَدَمِهِ عِبَارَةً عَنِ نَفْيِ الْاِعْتِدَادِ بِهِ وَتَرْكِ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَرَادَ مِنْ هَذَا النَّظَرِ الرَّؤْيِيَّةَ الْمَعْرُوفَةَ بِأَنَّهُ تَعَالَى لَا يَرَاهُمْ كَمَا يَرَى غَيْرَهُمْ، وَقَالَ فِي الْمَجْمَعِ (وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ النَّظَرَ إِذَا عَدِيَ بِحَرْفِ (إِلَى) لَا يَفِيدُ الرَّؤْيِيَّةَ؛ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ حَمَلُهَا هُنَا عَلَى أَنَّهُ لَا يَرَاهُمْ بِلَا خِلَافٍ)<sup>(٢)</sup>.

وَفِي كِتَابِ التَّوْحِيدِ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ عَنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ فِيهِ وَقَدْ سَأَلَهُ رَجُلٌ عَمَّا عَلَيْهِ مِنَ الْآيَاتِ: "وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، [يُخْبِرُ] (٣) أَنَّهُ لَا

(١) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٢٨/٢ .

(٢) المصدر نفسه: ٣٢٨/٢ .

(٣) في الأصل: فمعناه .

يُصِيبُهُمْ بِخَيْرٍ، وَقَدْ تَقُولُ الْعَرَبُ: وَاللَّهِ مَا يَنْظُرُ إِلَيْنَا فُلَانٌ، وَإِنَّمَا يَعْنُونَ بِذَلِكَ أَنَّهُ لَا يُصِيبُنَا مِنْهُ بِخَيْرٍ، فَذَلِكَ النَّظَرُ هَاهُنَا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى خَلْقِهِ، فَنَظَرُهُ إِلَيْهِمْ رَحْمَةً مِنْهُ لَهُمْ<sup>(١)</sup>.  
 ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾، أي و(لا يطهرهم من دنس الذنوب والأوزار بالمغفرة، بل يعاقبهم)<sup>(٢)</sup> أَشَدَّ الْعِقَابِ، أَوْ (لا يحكم بأنهم أذكىء، ولا يسميهم بذلك)<sup>(٣)</sup>، وَلَا يُثْبِتِي عَلَيْهِمْ وَلَا يُبْنِيهِمْ (بل يحكم بأنهم كفرٌ فجرٌ)<sup>(٤)</sup>، وَيُعَذِّبُهُمْ كَمَا صَرَّحَ بِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، أي: مُؤَلِّمٌ مُوجِعٌ عَلَى مَا فَعَلُوا.

وَقَالَ فِي الْمَجْمَعِ: (وَفِي تَفْسِيرِ الْكَلْبِيِّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ: "مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كاذبة؛ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، لَقِيَ اللَّهَ تَعَالَى وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ، وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ"<sup>(٥)</sup>).

ذكر المعني بالثلاثة الذين لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم:

وَرَوَى مُسْلِمٌ بِنِ الْحَجَّاجِ فِي الصَّحِيحِ بِإِسْنَادِهِ مِنْ عِدَّةِ طُرُقٍ، عَنْ أَبِي ذَرِّ الْعَفَّارِيِّ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: "ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ [١١١] إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: الْمَنَّانُ الَّذِي لَا يُعْطِي شَيْئًا إِلَّا مَنَّهُ، وَالْمُنْفِقُ سَلَعَتَهُ بِالْحَلْفِ الْفَاجِرِ، وَالْمُسْبِلُ إِزَارَهُ"<sup>(٦)</sup>، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: "مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ صَبْرٍ"<sup>(٧)</sup>، يَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ"، أَوْرَدَهُ مُسْلِمٌ أَيْضًا فِي الصَّحِيحِ<sup>(٨)</sup> (٩).

(١) التوحيد: الصدوق: ٢٦٥ .

(٢) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٢٨/٢ .

(٣) المصدر نفسه: ٣٢٨/٢ .

(٤) المصدر نفسه: ٣٢٨/٢ .

(٥) مسند أحمد: أحمد بن حنبل: ٢٩/٢٥٤/ح١٧٧١٦ .

(٦) صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج: ١/١٠٢/ح١٠٦ .

(٧) (أَيُّ الْأَزْمِ بِهَا وَحُبْسِ عَلَيْهَا، وَكَانَتْ لِأَزْمَةِ لِصَاحِبِهَا مِنْ جِهَةِ الْحُكْمِ، وَقِيلَ لَهَا مَضْبُورَةٌ وَإِنْ كَانَ صَاحِبُهَا فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ الْمَضْبُورُ؛ لِأَنَّهُ إِتْمَا صُبِرَ مِنْ أَجْلِهَا: أَيُّ حُبْسٍ، فَوُصِفَتْ بِالصَّبْرِ، وَأُضِيفَتْ إِلَيْهِ مَجَازًا)، النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير: ٨/٣، مادة صبر، لسان العرب: ابن منظور: ٨/٤٣٨، مادة صبر .

(٨) صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج: ١/١٢٢/ح١٣٨ .

(٩) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٢٨/٢ .

وَفِي أَمَالِي شَيْخِ الطَّائِفَةِ قُدْسِ سِرِّهِ بِإِسْنَادِهِ "عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: مَنْ حَلَفَ يَمِينًا يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ أَخِيهِ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَصْدِيقَ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾، قَالَ: فَبَرَزَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ فَقَالَ: فِي نَزَلَتْ، خَاصَمْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَضَى عَلَيَّ بِالْيَمِينِ"<sup>(١)</sup>، وَبِإِسْنَادِهِ إِلَى "عَلْقَمَةَ بْنِ وَائِلٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: اخْتَصَمَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ حَضْرَمَوْتٍ وَأَمْرُو الْقَيْسِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي أَرْضٍ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا [غَضَبٌ] <sup>(٢)</sup> عَلَيَّ أَرْضِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أَلَاكَ بَيْنَتَا؟ فَقَالَ: لَا، قَالَ: فَيَمِينُهُ قَالَ: يَذْهَبُ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَرْضِي، فَقَالَ: إِنْ ذَهَبَ بِأَرْضِكَ كَانَ مِمَّنْ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِ، وَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ"<sup>(٣)</sup> الْحَدِيثُ.

وَفِي الْعُيُونِ عَنِ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ فِي تَعْدَادِ الْكَبَائِرِ وَبَيَانِهَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، يَقُولُ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "وَالْيَمِينُ الْعُمُوسُ"<sup>(٤)</sup> لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ الْآيَةَ"<sup>(٥)</sup>، وَفِيهِ عَنِ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ "قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: حُرِّمَتِ الْجَنَّةُ عَلَى مَنْ ظَلَمَ أَهْلَ بَيْتِي، وَعَلَى مَنْ قَاتَلَهُمْ، وَعَلَى الْمُعِينِ عَلَيْهِمْ، وَعَلَى مَنْ سَبَّهُمْ، ﴿أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾"<sup>(٦)</sup>، "قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أَتَانِي جَبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَهُوَ يَقُولُ: إِنَّ رَبَّكَ يَقْرُوكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ وَيُؤْمِنُونَ بِكَ وَبِأَهْلِ بَيْتِكَ بِالْجَنَّةِ؛ فَإِنَّ لَهُمْ عِنْدِي جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ"<sup>(٧)</sup>.

(١) الأمالِي: الطُّوسِي: ٣٥٨/ح ٨٣ .

(٢) فِي الْمَصْدَرِ: ابْتَزَّ .

(٣) الأمالِي: الطُّوسِي: ٣٥٨/ح ٨٥ .

(٤) الْيَمِينُ الْعُمُوسُ: (وَهُوَ أَنْ يَحْلِفَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَتْ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ أَخِيهِ)، لِسَانُ الْعَرَبِ: ابْنُ مَنْظُورٍ: ١٥٧/٦، مَادَّةُ غَمَسَ .

(٥) عِيُونُ أَخْبَارِ الرَّضَا ع: الصَّدُوقُ: ٢٥٨/١/ح ٣٣ .

(٦) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ: ٣٧/٢/ح ٦٥ .

(٧) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ: ٣٧/٢/ح ٦٤ .

ذكر عذاب قاتل الحسين بن علي عليهما السلام ومن شايع وبايع على قتله أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً:

وفيه عنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الويل لظالمي أهل بيتي، كأني بهم غداً مع المنافقين في الدرك الأسفل من النار<sup>(١)</sup>، وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن قاتل الحسين بن علي عليه السلام في تابوت من نار، عليه نصف عذاب أهل الدنيا، وقد شدت يداه ورجلاه بسلاسل من نار منكس في النار؛ حتى يقع في قعر جهنم، وله ريح يتعوذ أهل النار إلى ربهم من شدة ننته، وهو فيها خالد دائئ العذاب الأليم مع جميع من شايع على قتله، كلما نضجت جلودهم بدل الله عز وجل عليهم الجلود<sup>(٢)</sup> حتى يدوفوا العذاب الأليم لا يفتر عنهم ساعة ويسقون من حميم جهنم، فالويل لهم من عذاب الله تعالى في النار<sup>(٣)</sup> الحديث.

وفي أصول الكافي بإسناده إلى "ابن أبي يعفور عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم: من ادعى إمامة [من الله]<sup>(٤)</sup> ليس له، ومن جحد إماماً من الله، ومن زعم أن لهما في الإسلام نصيباً<sup>(٥)</sup> الحديث.

أقول: قوله عليه السلام: "ومن زعم أن لهما في الإسلام نصيباً" يخرب بُنيان المُستدلين على كون الطائفتين الأولتين مُسلمتين طاهرتي السور والجسد من القواعد ويؤمي إلى كونهما كافرتين بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وآله، ومُشركتين بالله، ونجستين نجاسة عينية إيماءً ورمزاً وتعريضاً؛ لأنه ليس لهما بعد الإسلام إلا الشرك والكفر، كما وقع التصريح بذلك في أحاديث أخر، مع أنهم ليسوا بمُستضعفين قد أدركوا صُحبة النبي صلى الله عليه وآله والأصحاب، ونص النبي صلى الله عليه وآله وآله فيمن نص، ولعنه على من لعنه، ونقلوا ذلك

(١) عيون أخبار الرضا ع: الصدوق: ١٧٧/٢/٥١ ح.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة النساء الآية ٥٦، وهي قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾.

(٣) عيون أخبار الرضا ع: الصدوق: ١٧٨/٢/٥١ ح.

(٤) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٥) الكافي: الكليني: ١/٣٧٣/٤، باب من ادعى الإمامة وليس لها بأهلٍ ومن جحد الأئمة أو بعضهم ومن أثبت الإمامة لمن ليس لها بأهلٍ .

كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، وَأَنْبُؤُهُ فِي كُتُبِهِمِ الصِّحَاحِ أَيْضًا، بَلْ يُؤْمَضُ إِلَى كَوْنِهِمْ مِنْهُمَا وَمِثْلَهُمَا، وَ"عَنْ جَابِرِ الْجُعْفِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>، قَالَ: هُمْ وَاللَّهُ أَوْلِيَاءُ فَلَانَ وَفُلَانَ وَفُلَانَ؛ اتَّخَذُوهُمْ أَيْمَةً دُونَ الْإِمَامِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا، فَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ \* إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ \* وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كَرِهْنَا فَنَتَّبِعَهُمُ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأْنَا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾<sup>(٢)</sup>، ثُمَّ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هُمْ وَاللَّهُ يَا جَابِرُ أَيْمَةٌ الظَّلْمَةِ وَأَشْيَاءُهُمْ<sup>(٣)</sup> الْحَدِيثُ، وَقَدْ مَرَّ فِي الْبَقْرَةِ وَفِي الْأَخْبَارِ أَنَّ مَنْ جَحَدَهُمْ كَافِرًا، وَمَنْ حَارَبَهُمْ مُشْرِكًا، وَمَنْ رَدَّ عَلَيْهِمْ فِي أَسْفَلِ دَرَكٍ مِنَ الْجَحِيمِ<sup>(٤)</sup>، وَ"عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: نَحْنُ الَّذِينَ فَرَضَ اللَّهُ [١١٢] طَاعَتَنَا، لَا يَسَعُ النَّاسُ إِلَّا مَعْرِفَتُنَا وَلَا يُعَذِّرُ النَّاسُ بَجَهَالَتِنَا، مَنْ عَرَفَنَا كَانَ مُؤْمِنًا، وَمَنْ أَنْكَرَنَا كَانَ كَافِرًا، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْنَا وَلَمْ يُنْكَرْنَا كَانَ ضَالًّا حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْهُدَى الَّذِي افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ طَاعَتِنَا الْوَاجِبَةِ فَإِنْ يَمُتْ عَلَى ضَلَالَتِهِ يَفْعَلِ اللَّهُ بِهِ مَا يَشَاءُ"<sup>(٥)</sup>، وَيَأْسِنَادِهِ "عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ نَصَبَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَمًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، فَمَنْ عَرَفَهُ كَانَ مُؤْمِنًا، وَمَنْ أَنْكَرَهُ كَانَ كَافِرًا، وَمَنْ جَهَلَهُ كَانَ ضَالًّا، وَمَنْ نَصَبَ مَعَهُ شَيْئًا كَانَ مُشْرِكًا، وَمَنْ جَاءَ بِوَلَايَتِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ"<sup>(٦)</sup> الْحَدِيثُ، وَفِيهِ أَيْضًا عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ يَقُولُ فِيهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "وَأَنْزَلَ فِي الْعَهْدِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وَالْخَلَاقُ: النَّصِيبُ، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ فِي الْآخِرَةِ فَبِأَيِّ شَيْءٍ يَدْخُلُ

(١) سورة البقرة: الآية ١٦٥ .

(٢) سورة البقرة: الآية ١٦٥-١٦٧ .

(٣) الكافي: الكليني: ١/٣٧٤/ح١١، بَابُ مَنْ ادَّعَى الْإِمَامَةَ وَلَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ وَمَنْ جَحَدَ الْأَيْمَةَ أَوْ بَعْضَهُمْ وَمَنْ أَثْبَتَ الْإِمَامَةَ لِمَنْ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ .

(٤) ينظر: عيون أخبار الرضا(ع): الصدوق: ٣٠٧/٢ .

(٥) الكافي: الكليني: ١/١٨٧/ح١١، بَابُ فَرَضِ طَاعَةِ الْأَيْمَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

(٦) المصدر نفسه: ١/٤٣٧/ح٧، بَابُ فِيهِ نُتِفَتْ وَجَوَامِعُ مِنَ الرَّوَايَةِ فِي الْوَلَايَةِ .

الْجَنَّةَ"<sup>(١)</sup>، "عَنْ عَاصِمِ بْنِ حُمَيْدٍ، عَنْ أَبِي حَمْرَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخُ زَانَ، وَمَلِكُ جَبَّارٍ، وَمُقِلُّ مَخْتَالٍ"<sup>(٢)</sup>، "عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: الشَّيْخُ الزَّانِي، وَالذِّيُوثُ، وَالْمَرْأَةُ تُوْطِئُ فِرَاشَ زَوْجِهَا"<sup>(٤)</sup>.

وَفِي الْفَقِيهِ "رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ هِلَالٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَكْبَرِ الزِّنَا؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: هِيَ امْرَأَةٌ تُوْطِئُ فِرَاشَ زَوْجِهَا فَتَأْتِي بِوَلَدٍ مِنْ غَيْرِهِ فَتَلْزِمُهُ زَوْجَهَا فَتَلْكَ الَّتِي لَا يُكَلِّمُهَا اللَّهُ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيَهَا، وَلَهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ"<sup>(٥)</sup>.

وَفِي كِتَابِ الْخِصَالِ "عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: النَّاتِفُ شَيْبُهُ، وَالنَّاكِحُ نَفْسُهُ، وَالْمَنْكُوحُ فِي دُبُرِهِ"<sup>(٦)</sup>، وَعَنْ "الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قَالَ: النَّاسُ أَرْبَعَةٌ: فَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ خُلُقٌ وَلَا خَلَقَ لَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ خَلَقٌ وَلَا خُلُقَ لَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا خُلُقَ وَلَا خَلَقَ لَهُ وَذَلِكَ مِنْ شَرِّ النَّاسِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ خُلُقٌ وَخَلَقٌ فَذَلِكَ خَيْرُ النَّاسِ"<sup>(٧)</sup>، وَ"عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ [وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ]<sup>(٨)</sup> وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِلدُّنْيَا إِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا مَا يُرِيدُ وَفَى لَهُ وَإِلَّا [كَفَّ]<sup>(٩)</sup>، وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلًا بِسِلْعَتِهِ بَعْدَ الْعَصْرِ

(١) الكافي: الكليني: ٢/٣٢/١ ح .

(٢) مُقِلُّ مَخْتَالٍ: أي: فقير متكبر، ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ١١/٢٢٨، مادة خول.

(٣) الكافي: الكليني: ٢/٣١١/١٤، بَابُ الْكِبْرِ .

(٤) المصدر نفسه: ٥/٥٣٧/٧، بَابُ الْغَيْرَةِ .

(٥) من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ٣/٥٧٣/٤٩٦١ .

(٦) الخصال: الصدوق: ١٠٦/٦٨ .

(٧) الخصال: الصدوق: ٢٣٦/٧٧ .

(٨) في المصدر: يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ .

(٩) في الأصل: لَمْ يُوفَ، وَمَا أُثْبِتَ مِنَ الْمَصْدَرِ الصَّوَابِ .



فَحَلَفَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَقَدْ أُعْطِيَ بِهَا كَذَا وَكَذَا فَصَدَّقَهُ فَأَخَذَهَا وَلَمْ يُعْطِ فِيهَا مَا قَالَ، وَرَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِالْفَلَاةِ يَمْنَعُهُ ابْنُ السَّبِيلِ" (١).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٢) آية.

#### القرآنة:

قُرئ يَلُؤْنَ بفتح الياء حرف للمضارعة وضمّ اللام بواو واحدةٍ فاعل بإعلالين؛ لأنّه من لوى يلوي لياً كشوى يشوي شيئاً، أصله يلويون نقلت ضمّة الياء إلى الواو الأولى وحذفت الياء بالتقاء الساكنين فصار يَلُؤُونَ بواوين مع سكون اللام ثمّ نقلت ضمّة الواو الأولى إلى اللام وحذفت بالتقاء الساكنين، فصار يَلُؤْنَ عَلَى وَزْنِ يَفُونَ بِحَذْفِ عَيْنِ الْكَلِمَةِ وَلاَمِهَا مَعاً، وبعضهم قلب الواو الأولى همزة ثمّ ضمّها إلى اللام ثمّ حذفها فصار يَلُونَ كيفون أيضاً، وعلى التّقديرين أُعِلَّ بإعلالين، وقرأ جمهور القرّاء يَلُؤُونَ بالواوين وإسكان اللام التي هي فاء الكلمة بإعلالٍ واحدٍ وهو حذف الياء التي هي لام الكلمة؛ لكرهة اجتماع إعلالين فوزنه حينئذٍ يفعون، وكذا قرأ على الوجهين حذف الواو الأولى التي هي عين الكلمة وإثباتها قوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَإِنْ تَلَّوْا أَوْ تُعْرِضُوا فإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (٣)، فقرأ وإن تَلَّوْا بِواوٍ واحدٍ أيضاً أصله تلويوا كتضربوا من لوى يلوي أيضاً نقلت ضمّة الياء إلى الواو الأولى إلى آخره، وقرأ أهل المدينة يَلُؤُونَ بالواوين مع تشديد الواو الأولى من لوى يلوي (٤) بدليل قوله تعالى: ﴿لَوْوَا رُءُوسَهُمْ﴾ (٥)، وقرأ لِيَحْسَبُوهُ بالياء فحينئذٍ تكون واو ضمير الجمع راجعاً إلى الْمُؤْمِنِينَ كما في قراءة التاء خطابٍ عليهم.

(١) الخصال: الصدوق: ١٠٧/٧٠ .

(٢) سورة آل عمران: الآية ٧٨ .

(٣) سورة النساء: الآية ١٣٥ .

(٤) ينظر: مختصر التبیین: سليمان بن نجاح: ٣٥٦/٢، شرح طيبة النشر: النويري: ٥٨٧/٢ .

(٥) سورة المنافقون: الآية ٥ .

اللغة:

اللِّي: الفتل، يقال: لوي يديه يلوئها لياً إذا فتلها، ولوى رأسه إذا صرفه وأعرضه<sup>(١)</sup>، ويروى بالتشديد للمبالغة وهي كناية عن التأخر والتخلف عن الحق وتترك المكارم، وفي حديث خديفة "أَنَّ جَبْرِئِيلَ رَفَعَ أَرْضَ قَوْمِ لُوطٍ ثُمَّ أَلْوَىٰ بِهَا حَتَّى سَمِعَ أَهْلَ السَّمَاءِ ضِعَاءً كِلَابِهِمْ"<sup>(٢)</sup>، ومنه الحديث (الاختمار "لِيَّةٌ لَا لِيَّتَيْنِ"<sup>(٣)</sup>)، أي: تلوى خمارها على رأسها مرةً واحدةً، ولا تُديره [١١٣] مرتين، لئلا تتشبه بالرجال إذا اعتموا<sup>(٤)</sup>، ومنه لويْتُ الغريمَ لياً ولَيَاناً إذا مطلته حقه، واللِّي المطل<sup>(٥)</sup>، قال الشاعر:

تُطِيلِينَ لِيَانِي وَأَنْتِ مَلِيئَةٌ وَأَحْسَنُ يَا ذَاتِ الْوِشَاحِ النَّقَاضِيَا<sup>(٦)</sup>.

وفي الحديث: "لِي الْوَاجِدِ ظُلْمٌ"<sup>(٧)</sup>، وفيه "لِي الْوَاجِدِ يُجِلُّ عُقُوبَتَهُ وَعِرْضَهُ"<sup>(٨)</sup>، واللِّسَانُ مِنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي تُذَكَّرُ وَتُؤَنَّثُ، فَبِاعْتِبَارِ التَّذْكِيرِ يُجْمَعُ عَلَى أَلْسِنَةِ كِحْمَارٍ وَأَحْمِرَةٍ، وَمِثَالٍ وَأَمَثَلَةٍ، وَإِلَيْهِ وَالِهُةِ، وَبِاعْتِبَارِ التَّأْنِيثِ يُجْمَعُ عَلَى أَلْسِنِ كَذِرَاعٍ وَأَذْرَعٍ<sup>(٩)</sup>، وَحَسَبْتُ بِمَعْنَى ظَنَنْتُ، لَكِنْ أَكْثَرَ اسْتِعْمَالَهُ فِي الشَّكِّ<sup>(١٠)</sup>.

الإعراب:

قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا﴾، ﴿مِنْهُمْ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾، و﴿لَفَرِيقًا﴾ اسمها، واللام للتأكيد، تدخل على اسمها إذا كان مؤخرًا، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً﴾<sup>(١١)</sup>، و﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾<sup>(١٢)</sup>، ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي

(١) ينظر: مختار الصحاح: الرازي: ٢٨٧، مادة لوي .

(٢) بحار الأنوار: المجلسي: ٣٥/٢٢٤/ح ٣٤ .

(٣) مسند أحمد: أحمد بن حنبل: ٤٤/١٤٢/ح ٢٦٥٢٢ .

(٤) النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير: ٢٧٩/٤ .

(٥) ينظر: أساس البلاغة: الزمخشري: ٨٧٣، مادة لوي .

(٦) وينسب هذا البيت للشاعر ذو الرمة(غيلان بن عقبة بن بهيش، ويكنى أبا الحارث(ت١١٧هـ))، ديوان ذي الرمة: ذو

الرمة: ٢٨٩، الشعر والشعراء: ابن قتيبة الدينوري: ١/٥١٥ .

(٧) كشف القناع: البهوتي: ٣/٤٩٠، ولم نجد هذا الحديث في الكتب الحديثية.

(٨) عوالي اللئالي: الأحسائي: ٤/٧٢/ح ٤٤ .

(٩) ينظر: الصحاح: الجوهري: ٦/٢١٩٥، مادة لسن.

(١٠) ينظر: مقاييس اللغة: ابن فارس: ٢/٥٩، مادة حسب.

(١١) سورة آل عمران: الآية ١٣، سورة النور: الآية ٤٤، سورة النازعات: الآية ٢٦ .

(١٢) سورة الليل: الآية ١٣ .

الْأَلْبَابِ ﴿١﴾، وَقَوْلُهُمْ: "إِنَّ مِنَ النَّبِيَّانِ لَسِحْرًا، وَإِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمًا" ﴿٢﴾، وَلَا يَجُوزُ إِنَّ لَزِيدًا فِي الدَّارِ بِاجْتِمَاعِ حَرْفِي التَّكْيِيدِ مِنْ غَيْرِ فَاصِلٍ بَيْنَهُمَا، وَجُمْلَةٌ ﴿يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُمْ﴾ صِفَةٌ فَرِيقًا، وَ﴿مَا﴾ فِي الْمَوْضِعَيْنِ نَافِيَةٌ مُشَبَّهَةٌ بِلَيْسَ، وَ﴿هُوَ﴾ اسْمُهَا، وَ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾، وَ﴿مِنْ﴾ عِنْدَ اللَّهِ ﴿خَبَرُهَا﴾ .

### النُّزُولُ:

فِي الْمَجْمَعِ (قِيلَ): نَزَلَتْ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ، فَكَتَبُوا بِأَيْدِيهِمْ مَا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، مِنْ نَعْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَغَيْرِهِ، وَأَضَافُوهُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ، وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، حَرَّفُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ، وَضَرَبُوا كِتَابَ اللَّهِ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَالْحَقُّوهُ بِهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ، وَأَسْقَطُوا مِنْهُ الدِّينَ الْحَنِيفَ) ﴿٣﴾.

وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْيَهُودِ قَدِمُوا عَلَى كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ ﴿٤﴾ فِي سُنَّةِ أَصَابَتِهِمْ مُمْتَارِينَ (فَكَتَبُوا كِتَابًا بَدَّلُوا فِيهِ صِفَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ﴿٥﴾، عَلَى مَا مَرَّ فِي نَزُولِ الْآيَةِ السَّابِقَةِ، (ثُمَّ أَخَذَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ مَا كَتَبُوهُ فَخَلَطُوهُ بِمَا كَانَ عِنْدَهُمْ مِنَ الْكِتَابِ) ﴿٦﴾.

### المعنى:

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾، أَي: مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، ﴿لَفَرِيقًا﴾، أَي: طَائِفَةٌ وَجَمَاعَةٌ مُحَرِّفِينَ كِتَابَ اللَّهِ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَصِفَاتِ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَعَبِ بْنِ الْأَشْرَفِ وَمَالِكِ بْنِ الصَّيْفِ وَأَبِي الْحَقِيقِ وَحِيَّيْ بْنِ أَخْطَبِ وَالَّذِينَ قَدِمُوا عَلَى كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ مُمْتَارِينَ فِي سُنَّةِ أَصَابَتِهِمْ عَلَى مَا مَرَّ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، ﴿يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ﴾، أَي: يَفْتَلُونَهَا بِقِرَاءَتِهِمْ عَنِ الصَّحِيحِ إِلَى الْمُحَرَّفِ، يَعْنِي: (يُحَرِّفُونَ الْكِتَابَ عَنْ جِهَتِهِ) ﴿٧﴾ الَّتِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ لَهَا إِلَى غَيْرِهَا، وَ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ ﴿٨﴾، (وَيَعْدِلُونَ بِهِ

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩٠ .

(٢) وهذا القول هو حديث لرسول الله ص، ينظر: الكنى والأسماء: الدولابي: ١/٢١٨، ح ٧٤٦، المعجم الأوسط: الطبراني: ٧/٣٤١، ح ٧٦٧١، بحار الأنوار: المجلسي: ١/٣٩، ٢١٨ .

(٣) مجمع البيان: الطبرسي: ٢/٣٢٩ .

(٤) ينظر: جوامع الجامع: الطبرسي: ١/٣٠٢ .

(٥) المصدر نفسه: ١/٣٠٢ .

(٦) المصدر نفسه: ١/٣٠٢ .

(٧) مجمع البيان: الطبرسي: ٢/٣٢٩ .

(٨) سورة النساء: الآية ٤٦، سورة المائدة: الآية ١٣ .

عَنِ الْقَصْدِ<sup>(١)</sup>، وَ يُفَسِّرُونَهُ بِخِلَافِ الْحَقِّ<sup>(٢)</sup>، (فَجَعَلَ اللَّهُ)<sup>(٣)</sup> تَحْرِيفَ الْكِتَابِ عَنْ جِهَتِهِ لِيَأْ بِالسَّانِ<sup>(٤)</sup>، ﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾، أَي: لَتَظَنُّوهُ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ أَنَّ مَا يَقْرَأُونَهُ وَيُفَسِّرُونَهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ الْمُنْزَلِ، وَعَلَى قِرَاءَةِ لِيَحْسَبُوهُ مَعْنَاهُ لِيَحْسَبِ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ الْمَقْرُوءَ الْمُحَرَّفَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، فَالْهَاءُ فِي ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾ عَلَى الْوَجْهِينِ عَائِدَةٌ إِلَى الْمُحَرَّفِ الْمَدْلُولِ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُمْ﴾، وَكَذَا لَفْظُ ﴿هُوَ﴾ فِي الْمَوَاضِعِ الثَّلَاثَةِ، ﴿وَمَا هُوَ﴾، أَي: وَلَيْسَ الْمُحَرَّفُ الْمَقْرُوءُ بِأَلْسِنَتِهِمْ، ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾، الْمُنْزَلِ عَلَى مُوسَى وَعِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَكَانَتْهُمُ يَخْتَرِعُونَهُ مِنْ تَلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ، ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ﴾، أَي: ذَلِكَ الْمُحَرَّفُ نَزَلَ، ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، وَهَذَا تَأْكِيدٌ لِقَوْلِهِمْ مِنَ الْكِتَابِ، وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ تَأْكِيدٌ لِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾، (وَزِيَادَةٌ تَشْنِيعٌ عَلَيْهِمْ وَتَسْجِيلٌ بِالْكَذِبِ، وَبَيَانٌ وَدِلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُمْ لَا يُغْرِضُونَ وَلَا يُورُونَ فِي ذَلِكَ، وَإِنَّمَا يُصَرِّحُونَ بِأَنَّهُ فِي الثَّوْرَةِ هَكَذَا، وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مُوسَى كَذَلِكَ؛ لِقَرْطِ جُرَاتِهِمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَقَسَاوَةِ قُلُوبِهِمْ، وَيَأْسِهِمْ مِنَ الْآخِرَةِ)<sup>(٥)</sup>.

#### دلالة الآية على تحقيق الحق وتزييف الباطل:

وَقَالَ فِي الْمَجْمَعِ (وَفِي هَذَا دِلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْمَعَاصِي لَيْسَتْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَلَا مِنْ فِعْلِهِ؛ لِأَنَّهَا لَوْ كَانَتْ مِنْ فِعْلِهِ، لَكَانَتْ مِنْ عِنْدِهِ)<sup>(٦)</sup>، فَإِنْ قَالُوا: (إِنَّهَا مِنْ عِنْدِهِ خَلْقًا وَفِعْلًا، وَلَيْسَتْ مِنْ عِنْدِهِ إِنْزَالًا وَلَا أَمْرًا)<sup>(٧)</sup>، فَالْجَوَابُ لَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ (لَكَانَتْ مِنْ عِنْدِهِ، عَلَى آكِدِ الْوُجُوهِ، فَلَمْ يَجْزُ إِطْلَاقُ النَّفْيِ بِأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَكَمَا لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْكِتَابِ عَلَى وَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ؛ لِإِطْلَاقِ النَّفْيِ بِأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْكِتَابِ، [كَذَلِكَ]<sup>(٨)</sup> لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؛ لِإِطْلَاقِ النَّفْيِ بِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ)<sup>(٩)</sup> انْتَهَى كَلَامُهُ أَعْلَى اللَّهِ مَقَامَهُ، هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ قُدْسَ سِرِّهِ هُوَ الْحَقُّ مِنَ الْمَذْهَبِ.

(١) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي: ١٢١/٤ .

(٢) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٢٩/٢ .

(٣) ما بين المعقوفين ليس من الأصل، وما أثبت من المصدر.

(٤) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٢٩/٢ .

(٥) الكشاف: الزمخشري: ٤٣٩/١، زبدة التفسير: فتح الله الكاشاني: ٥١٢/١ - ٥١٣ .

(٦) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٢٩/٢ .

(٧) التبيان: الطوسي: ٥٠٩/٢ .

(٨) ما بين المعقوفين ليس من المصدر.

(٩) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٢٩/٢ .

## تحقيق حال وتزييف مقال:

وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ الْبَيْضَاوِيُّ مِنْ قَوْلِهِ: (أَي: لَيْسَ هُوَ نَازِلًا مِنْ عِنْدِهِ تَعَالَى، وَهَذَا لَا يُقْتَضِي أَنْ لَا يَكُونَ فِعْلُ الْعَبْدِ فِعْلَ اللَّهِ تَعَالَى) (١) انْتَهَى، فَهُوَ عَلَى مَذْهَبِهِ السَّخِيفِ مِنَ الْجَبْرِ، وَكَوْنِ الْعَبْدِ كَالْقَلَمِ فِي يَدِ الْكَاتِبِ مِنْ غَيْرِ اخْتِيَارٍ وَفِعْلٍ لِلْعَبْدِ، وَكَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى كَهَذِهِ الْآيَةِ وَغَيْرِهَا يُكْذِبُهُ، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (٢)، وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "خَالِقُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ" (٣)، فَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ تَعَالَى خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ خَلْقَ تَكْوِينٍ؛ بَلْ مَعْنَاهُ أَنَّهُ تَعَالَى خَالِقُهُ خَلَقَ تَقْدِيرًا كَمَا نَصُّوا عَلَيْهِمُ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ، وَقَدْ ذَكَرْنَا أَمْثَالَ ذَلِكَ مُفَصَّلًا فِي أَوَائِلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَفِي آيَةِ الْمَلِكِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، وَسَيَجِيءُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، (تَأْكِيدٌ وَتَسْجِيلٌ عَلَيْهِمُ بِالْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالتَّعَمُّدُ فِيهِ) (٤)، كَمَا هُوَ تَسْجِيلٌ عَلَى مَنْ لَهُ هَذَا الْإِعْتِقَادُ بِكُذِبِهِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالتَّعَمُّدُ فِيهِ، يَعْنِي: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ [١١٤] الْكُذِبَ﴾ فِي نِسْبَتِهِمْ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى كِتَابِهِ الْمُنَزَّلِ، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أَنَّ ذَلِكَ كَذِبٌ عَلَى اللَّهِ وَافْتِرَاءٌ وَهَرَاءٌ، كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْهُ بَرَاءً، وَيَعْلَمُونَ أَيْضًا مَا عَلَيْهِمُ مِنَ الْعِقَابِ؛ لِأَسْهَمٍ مِنَ الْآخِرَةِ، وَتَرْجِيحِهِمُ الرِّيَاسَةَ الدُّنْيَوِيَّةَ عَلَيْهَا.

## خدشة على البيضاوي:

فقول البيضاوي: (إِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى) (٥): ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، تَأْكِيدٌ وَتَسْجِيلٌ عَلَيْهِمُ بِالْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالتَّعَمُّدُ فِيهِ) (٦) انْتَهَى، يُنَاقِضُ وَيُنَافِي قَوْلَهُ: (وَهَذَا لَا يُقْتَضِي أَنْ لَا يَكُونَ فِعْلُ الْعَبْدِ فِعْلَ اللَّهِ تَعَالَى) (٧) انْتَهَى.

(١) أنوار التنزيل: البيضاوي: ٢٥/٢ .

(٢) سورة الرعد: الآية ١٦، سورة الزمر: الآية ٦٢ .

(٣) الكافي: الكليني: ١/١٥٤/٣، بَابُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، والحديث طويل أخذ منه المؤلف موطن الشاهد، السنن الكبرى: البيهقي: ١٠/٣٤٩/٣٠٨٩٩ .

(٤) أنوار التنزيل: البيضاوي: ٢٥/٢ .

(٥) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٦) أنوار التنزيل: البيضاوي: ٢٥/٢ .

(٧) المصدر نفسه: ٢٥/٢ .

وَفِي تَفْسِيرِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ (قَالَ: كَانَ الْيَهُودَ [يَقْرُؤُونَ] <sup>(١)</sup> شَيْئًا لَيْسَ فِي التَّوْرَةِ، وَيَقُولُونَ هُوَ فِي التَّوْرَةِ فَكَذَّبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى) <sup>(٢)</sup> بِهَذِهِ الْآيَةِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ \* وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ <sup>(٣)</sup> آيَاتَانِ.

### القراءة:

قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَأَهْلُ الْكُوفَةِ ﴿تُعَلِّمُونَ﴾ بِالتَّشْدِيدِ، وَاحْتَجُّوا بِأَنَّ التَّعْلِيمَ فِي هَذَا الْمَقَامِ أْبْلَغُ؛ لِأَنَّ الشَّخْصَ إِذَا عَلَّمَ النَّاسَ وَلَا (يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ كَانَ مَعَ اسْتِحْقَاقِ الذَّمِّ بِتَرْكِ عَمَلِهِ دَاخِلًا فِي جُمْلَةِ مَنْ وَبَّخَ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ <sup>(٤)</sup> <sup>(٥)</sup>، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ ﴿تُعَلِّمُونَ﴾ بِالتَّخْفِيفِ؛ لِمَا قَالُوا: (أَنَّ الْعَالِمَ الدَّارِسَ قَدْ يُدْرِكُ بِعِلْمِهِ وَدَرَسِهِ مِمَّا يَكُونُ دَاعِيًا إِلَى التَّمَسُّكِ بِعِلْمِهِ، وَالْعَمَلُ بِهِ مَا لَا يُدْرِكُهُ الْعَالِمُ الْمُعَلِّمُ فِي [تَعْلِيمِهِ] <sup>(٦)</sup> <sup>(٧)</sup>)، وَقُرِئَ ﴿تُدْرُسُونَ﴾ بِالتَّشْدِيدِ مِنَ التَّدْرِيسِ وَتُدْرُسُونَ كَتَكْرِمُونَ مِنْ أَدْرَسَ بِمَعْنَى دَرَسَ كَأَكْرَمَ وَكَرَّمَ، وَقَرَأَ عَاصِمٌ وَحَمْرَةُ وَابْنُ عَامِرٍ وَيَعْقُوبُ ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ﴾ بِنَصْبِ الرَّاءِ عَطْفًا عَلَى ﴿ثُمَّ يَقُولُ﴾، وَحِينَئِذٍ لَا مَزِيدَةَ لِتَأْكِيدِ مَعْنَى النَّفْيِ السَّابِقِ؛ إِذْ لَا مَزِيدَةَ، وَعَلَى ﴿أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ﴾ وَلَا مَزِيدَةَ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالرَّفْعِ عَلَى الْاسْتِثْنَاءِ <sup>(٨)</sup> أَوْ عَلَى الْحَالِيَّةِ وَلَا غَيْرَ مَزِيدَةَ.

(١) في المصدر: يقولون.

(٢) تفسير القمي: علي بن إبراهيم: ١٠٦/١.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٧٩ - ٨٠.

(٤) سورة البقرة: الآية ٤٤.

(٥) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٣٠/٢.

(٦) في المصدر: تدرسيه.

(٧) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٣٠/٢.

(٨) ينظر: شرح طيبة النشر: النويري: ٢٤١/٢، منار الهدى: الأشموني: ١٤٩/١.

### اللغة:

البشر مرادف الإنسان، (يَقَعُ عَلَى الْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْمَصْدَرِ) <sup>(١)</sup> كَالْخَلْقِ وَالْعَدْلِ، يُقَالُ: هَذَا بَشَرٌ، وَهَؤُلَاءِ بَشَرٌ، كَمَا يُقَالُ: (هَذَا خَلْقٌ، وَهَؤُلَاءِ خَلْقٌ، وَإِنَّمَا يَقَعُ الْمَصْدَرُ عَلَى الْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ؛ لِأَنَّهُ جِنْسُ الْفِعْلِ) <sup>(٢)</sup>، فَصَارَ كَالْأَجْنَاسِ، مِثْلَ الْمَاءِ وَالْعَسَلِ وَالتُّرَابِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَالرَّبَّانِيُّ: هُوَ الَّذِي يَرِبُ <sup>(٣)</sup> أَمَرَ النَّاسِ فِي تَدْبِيرِهِ وَإِصْلَاحِهِ، يُقَالُ: رَبَّ فُلَانٌ أَمْرَهُ وَهُوَ رَبَّانِيٌّ: إِذَا دَبَّرَهُ وَأَصْلَحَهُ <sup>(٤)</sup>، (فَيَكُونُ الْعَالِمُ رَبَّانِيًّا؛ لِأَنَّهُ بِالْعِلْمِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ وَيُصْلِحُهُ) <sup>(٥)</sup>، وَقِيلَ: وَقِيلَ: إِنَّهُ مَنْسُوبٌ إِلَى عِلْمِ الرَّبِّ، وَهُوَ عِلْمُ الدِّينِ الَّذِي يَأْمُرُ الرَّبُّ تَعَالَى بِهِ، إِلَّا أَنَّهُ غُيِّرَ فِي التَّسْبِئَةِ بزيادةِ الألفِ والنونِ؛ لِيُذَلَّ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى، كَمَا يُقَالُ فِي التَّسْبِئَةِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ: بَحْرَانِيٌّ، وَكَمَا يُقَالُ (لِلْعَظِيمِ الرَّقْبَةِ: رَقْبَانِيٌّ، وَلِلْعَظِيمِ اللَّحْيَةِ: لِحْيَانِيٌّ، فَيُقَالُ لِصَاحِبِ عِلْمِ الدِّينِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ الرَّبُّ تَعَالَى: رَبَّانِيٌّ) <sup>(٦)</sup>، وَالْحُكْمُ: الْحِكْمَةُ وَعِلْمُ الشَّرَائِعِ <sup>(٧)</sup>.

### الإعراب:

﴿مَا﴾ نَافِيَةٌ، وَ﴿لِبَشَرٍ﴾ خَبَرٌ كَانَ، وَ﴿أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ﴾ اسْمُهُ، وَ﴿الْكِتَابَ﴾ مَفْعُولٌ ثَانٍ، وَ﴿يُؤْتِيَهُ﴾، وَ﴿الْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ مَعْطُوفَانِ عَلَى ﴿الْكِتَابَ﴾، ثُمَّ ﴿حَرْفٌ عَطْفٌ مُفِيدٌ لِلِاسْتِنْبَاعِ وَالتَّعَجُّبِ، وَ﴿يَقُولُ﴾ بِالنَّصْبِ عَطْفٌ عَلَى ﴿يُؤْتِيَهُ﴾، وَجُمْلَةٌ ﴿كُونُوا عِبَادًا﴾ مِنْ كَانَ مَعَ اسْمِهِ وَخَبَرِهِ مَقُولٌ يَقُولُ، وَ﴿لِي﴾ مُتَعَلِّقٌ بِ﴿عِبَادًا﴾، أَوْ صِفَةٌ لَهَا، ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ حَالٌ مِنَ الْيَأِ فِي ﴿لِي﴾، ﴿وَلَكِنْ﴾ لِلِاسْتِدْرَاكِ، وَ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ مَقُولٌ لِيَقُولَ الْمُقَدِّرُ، أَيُّ: وَلَكِنْ يَقُولُ ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾، وَ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الْكِتَابَ، ﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ مُتَعَلِّقَانِ بِقَوْلِهِ: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ وَمَا فِي ﴿بِمَا﴾ فِي الْمَوْضِعَيْنِ مَصْدَرِيَّةٌ، وَالْبَاءُ لِلْسَّبَبِيَّةِ، أَيُّ: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ بِسَبَبِ كُونِكُمْ مُعَلِّمِينَ الْكِتَابَ أَوْ عَالِمِينَ الْكِتَابَ، وَبِسَبَبِ كُونِكُمْ مُدْرِسِينَ أَوْ دَارِسِينَ لَهُ، ثُمَّ يَقُولُ ﴿بِالنَّصْبِ عَطْفٌ عَلَى ﴿يُؤْتِيَهُ﴾، قَوْلُهُ: ﴿وَلَا يَأْمُرْكُمْ﴾ عَلَى قِرَاءَةِ النَّصْبِ

(١) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٣٠/٢، وانظر: لسان العرب: ٦٠/٤، مادة بشر .

(٢) المصدر نفسه: ٣٣٠/٢، وانظر: القاموس المحيط: الفيروزآبادي: ٣٥٠، مادة بشر .

(٣) هو الذي يتعهد بالريب ويقوم على أمره، ينظر: مقاييس اللغة: ابن فارس: ٣٨٢/٢، مادة ربَّ .

(٤) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ٤٠١/١، مادة ربَّ .

(٥) التبيان: الطوسي: ٥١١/٢ .

(٦) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٣٠/٢، وانظر: لسان العرب: ابن منظور: ٤٠٣-٤٠٤، مادة ربَّ .

(٧) ينظر: الصحاح: الجوهري: ١٩٠١/٥، مادة حكم .



عَطْفٌ عَلَى ﴿يَقُولُ﴾ وَلَا مَزِيدَةَ؛ لِتَأْكِيدِ مَعْنَى النَّفْيِ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ﴾ يَسْتَنْبِئَهُ اللَّهُ ثُمَّ يَأْمُرُ ذَلِكَ النَّبِيَّ النَّاسَ بِعِبَادَةِ نَفْسِهِ وَيَأْمُرُكُمْ بِاتِّخَاذِ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا، أَوْ عَطْفٌ عَلَى ﴿يَقُولُ﴾ أَيْضًا وَلَا غَيْرَ مَزِيدَةَ عَلَى مَعْنَى لَيْسَ لَهُ أَنْ يَأْمُرَ ذَلِكَ النَّبِيَّ النَّاسَ بِعِبَادَةِ نَفْسِهِ ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ﴾ بِاتِّخَاذِ أَكْفَائِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا، أَوْ عَطْفٌ عَلَى ﴿أَنْ يُؤْتِيَهُ﴾ وَلَا مَزِيدَةَ؛ لِتَأْكِيدِ النَّفْيِ كَمَا مَرَّ فِي الْقِرَاءَةِ، وَالتَّقْدِيرُ: مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْإِلْحَ، وَأَمَّا عَلَى قِرَاءَةِ الرَّفْعِ فَهِيَ مُسْتَأْنَفَةٌ، أَي: وَلَا هُوَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْإِلْحَ، أَوْ حَالِيَّةٌ وَغَيْرَ أَمْرٍ إِيَّاكُمْ بِاتِّخَاذِ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا، وَأَنْ تَتَّخِذُوا عَلَى تَقْدِيرِ الْبَاءِ الْجَارَةِ مُتَعَلِّقٌ بِ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾، فَحُذِفَ الْجَارُ كَمَا هُوَ الْمَطْرَدُ فِي أَنْ وَأَنْ، وَالْهَمْزَةُ فِي ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ لِلِاسْتِنْفَاهِ الْإِنْكَارِيِّ، وَقَاعِلٌ ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ ضَمِيرُ الْبَشَرِ أَوْ ضَمِيرُ اللَّهِ، وَ﴿بَعْدَ﴾ ظَرْفٌ ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾، وَهُوَ مُضَافٌ إِلَى ﴿إِذْ﴾، وَهِيَ مُضَافَةٌ إِلَى جُمْلَةٍ ﴿أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

### النُّزُولُ:

فِي الْمَجْمَعِ وَغَيْرِهِ (قِيلَ: إِنَّ أَبَا رَافِعٍ الْفُرْطَيَّ مِنَ الْيَهُودِ، [وَالسَّيِّدَ مِنْ وَفْدِ نَصَارَى نَجْرَانَ] <sup>(١)</sup> قَالَا: يَا مُحَمَّدُ أَتُرِيدُ أَنْ نَعْبُدَكَ وَنَتَّخِذَكَ إِلَهًا؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أَعْبُدَ غَيْرَ اللَّهِ أَوْ أَمْرَ بِعِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ، مَا بِذَلِكَ [١١٥] بَعَثَنِي، وَلَا بِذَلِكَ أَمْرَنِي <sup>(٢)</sup>، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعَطَاءٍ، وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي نَصَارَى نَجْرَانَ، عَنِ الضَّحَّاكِ وَمُقَاتِلِ، وَقِيلَ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ كَمَا يُسَلِّمُ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ، أَفَلَا نَسْجُدُ لَكَ؟ قَالَ: "لَا يَنْبَغِي أَنْ يُسَجَدَ لِأَحَدٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَلَكِنْ أَكْرِمُوا نَبِيَّكُمْ وَاعْرِفُوا الْحَقَّ لِأَهْلِهِ" <sup>(٣)</sup>، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ <sup>(٤)</sup>.

### المعنى:

لَمَّا قَدَّمَ ذِكْرَ أَهْلِ الْكِتَابِ وَعِبَادَتِهِمْ لِعَبِيدِ اللَّهِ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ كَعَزِيرٍ وَعَيْسَى وَغَيْرِهِمَا وَأَنَّهُمْ نَسَبُوا (مَا يَتَدَيَّنُونَ بِهِ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، نَزَّهَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ) <sup>(٥)</sup> بِقَوْلِهِ: ﴿مَا كَانَ

(١) في المصدر: ورئيس وفد نجران.

(٢) أسباب النزول: الواحدي: ١١٣، مع اختلاف يسير في الألفاظ.

(٣) المصدر نفسه: ١١٣، بحار الأنوار: المجلسي ٧٢/٩.

(٤) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٣٠/٢ - ٣٣١، الكشاف: الزمخشري: ٤٤٠/١، زبدة التفسير: فتح الله الكاشاني:

٥١٣/١.

(٥) المصدر نفسه: ٣٣١/٢.

لِبَشَرٍ ﴿١﴾، أَي: مَا يَنْبَغِي وَلَا يَجُوزُ وَلَا يَحِلُّ لِبَشَرٍ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾ (١)، وَقَوْلِهِ: ﴿مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا﴾ (٢) الْآيَةَ، ﴿أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ﴾، أَي: يُعْطِيَهُ، ﴿الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ﴾، أَي: وَالْحِكْمَةَ وَهِيَ السُّنَّةُ وَالْعِلْمُ بِهَا، ﴿وَالنُّبُوءَةَ﴾، أَي: الرِّسَالَةَ إِلَى الْخَلْقِ، ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، يَعْنِي: (لَيْسَ مِنْ صِفَةِ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ خَصَّهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِرِسَالَتِهِ) (٣) إِلَى الْخَلْقِ، وَاجْتَبَاهُمْ لِنُبُوتِهِ، وَأَعْطَاهُمْ كُنُوبَهُ، (وَجَعَلَهُمْ حُكَمَاءَ عُلَمَاءَ، أَنْ يَدْعُوا النَّاسَ إِلَى) (٤) عِبَادَةِ أَنْفُسِهِمْ بِأَنْ يَقُولُوا لِلنَّاسِ اعْبُدُونَا مِنْ دُونِهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَوْ اعْبُدُونَا مَعَهُ تَعَالَى، وَإِنَّمَا قَالَ تَعَالَى ذَلِكَ عَلَى جِهَةِ التَّنْزِيهِ لِلْأَنْبِيَاءِ عَنْ مِثْلِ هَذَا الْقَوْلِ لَا عَلَى جِهَةِ النَّهْيِ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (٥) الْآيَةَ، وَقَالَ ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾ (٦)، وَقَالَ ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ (٧)، فَقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، تَكْذِيبٌ لِمَنْ اعْتَقَدَ عِبَادَةَ عَزِيرٍ وَعِيسَى (٨) وَالْمَلَائِكَةَ وَغَيْرَهُمَا، ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾، أَي: وَلَكِنْ يَقُولُ ذَلِكَ الْبَشَرُ النَّبِيُّ لِلنَّاسِ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ فُقَهَاءَ عُلَمَاءَ عَامِلِينَ بِعِلْمِكُمْ (مُعَلِّمِينَ لِلنَّاسِ مِنْ عِلْمِكُمْ) (٩)، وَالرَّبَّانِي كَمَا مَرَّ فِي وَجْهِهِ مَنْسُوبٌ إِلَى الرَّبِّ بِزِيَادَةِ الْأَلْفِ وَالنُّونِ مِثْل: رَقْبَانِيٍّ وَلِحْيَانِيٍّ عَلَى مَا مَرَّ، وَهُوَ الشَّدِيدُ التَّمَسُّكُ بِدِينِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ، وَعَنْ "النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: مَا مِنْ مُؤْمِنٍ، وَلَا مُؤْمِنَةٍ، وَلَا حُرٍّ، وَلَا مَمْلُوكٍ، إِلَّا وَلِلَّهِ عَلَيْهِ حَقٌّ وَاجِبٌ؛ أَنْ يَتَعَلَّمَ

(١) سورة النساء: الآية ٩٢ .

(٢) سورة النور: الآية ١٦ .

(٣) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٣١/٢ .

(٤) المصدر نفسه: ٣٣١/٢ .

(٥) سورة النساء: الآية ١٧٢ .

(٦) سورة مريم: الآية ٣٠ .

(٧) سورة المائدة: الآية ١١٧ .

(٨) ينظر: جوامع الجامع: الطبرسي: ٣٠٢/١، مدارك التنزيل: النسفي: ٢٦٨/١ .

(٩) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٣١/٢ .

مِنَ الْعِلْمِ، وَيَتَقَفَّهُ فِيهِ"<sup>(١)</sup>، وَعَنْ "مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ [حِينَ] <sup>(٢)</sup> مَاتَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْيَوْمَ مَاتَ رَبَّانِي هَذِهِ الْأُمَّةِ"<sup>(٣)</sup>.

﴿بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾، يَعْنِي: كُونُوا بِسَبَبِ كَوْنِكُمْ عَامِلِينَ وَمُعَلِّمِينَ، وَبِسَبَبِ كَوْنِكُمْ دَارِسِينَ لِلْعِلْمِ وَمُدْرِسِينَ؛ أَوْجَبَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ الرَّبَّانِيَّةُ الَّتِي هِيَ قُوَّةُ التَّمَسُّكِ بِطَاعَتِهِ وَبِدِينِهِ مُسَبَّبَةً عَنِ الْعِلْمِ وَالِدِّرَاسَةِ، يَعْنِي: كُونُوا رَبَّانِيَّيْنَ لِعِلْمِكُمْ وَفِي عِلْمِكُمْ وَتَعْلِيمِكُمْ وَ(كُونُوا مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُطْلَقَ لَهُ صِفَةُ عَالِمٍ [عَامِلٍ] <sup>(٤)</sup> بِعِلْمِهِ) <sup>(٥)</sup>، وَفِيهِ دِلَالَةٌ عَلَى أَنَّ مَنْ عِلْمٌ وَدَرَسَ وَلَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ فَلَيْسَ مِنْ دِينِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ فِي شَيْءٍ، وَأَنَّ السَّبَبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى مُنْقَطِعٌ؛ حَيْثُ لَمْ يَثْبِتِ النَّسَبَةُ إِلَيْهِ إِلَّا لِلْمُتَمَسِّكِينَ بِطَاعَتِهِ.

﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾ بِالنَّضْبِ إِمَّا عَطْفٌ عَلَى ﴿ثُمَّ يَقُولُ﴾ وَفِيهِ حِينَئِذٍ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا أَنْ تَكُونَ لَا مَزِيدَةَ؛ لِتَأْكِيدِ مَعْنَى النَّفْيِ السَّابِقِ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾، أَي: مَا يَنْبَغِي وَلَا يَجُوزُ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْتَنْبِئَهُ اللَّهُ وَيَجْعَلَهُ نَبِيًّا دَاعِيًا لِلنَّاسِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَإِلَى إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ سُبْحَانَهُ وَإِلَى تَرْكِ الشُّرَكَاءِ وَالْأَنْدَادِ، ثُمَّ يَأْمُرُ ذَلِكَ الْبَشَرَ الَّذِي هُوَ النَّبِيُّ النَّاسَ بِعِبَادَةِ نَفْسِهِ وَيَأْمُرُكُمْ بِاتِّخَاذِ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا، وَالثَّانِي أَنْ تَكُونَ لَا غَيْرَ مَزِيدَةَ؛ عَلَى مَعْنَى أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ أَنْ يَأْمُرَ النَّاسَ بِعِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَلَا يَأْمُرُكُمْ بِاتِّخَاذِ أَكْفَائِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا؛ لِأَنَّهُ كُفِّرَ وَلَا يَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ؛ بَلْ يَنْهَى عَنْهُ كَمَا كَانَ الْأَنْبِيَاءُ يَنْهَوْنَ أُمَّهَاتِهِمْ عَنِ عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ، وَكَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَنْهَى قُرَيْشًا عَنْ عِبَادَةِ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَيَنْهَى الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى عَنْ عِبَادَةِ عَزْرِيٍّ وَالْمَسِيحِ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ، فَلَمَّا قَالُوا أَنْتَخِذْكَ رَبًّا قِيلَ: مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْتَنْبِئَهُ اللَّهُ الْخ.

### ذكر الفرق بين العباد والعبيد:

قوله: ﴿كُونُوا عِبَادًا لِي﴾ مِنَ الْعِبَادَةِ، وَالْعَبِيدُ بِخِلَافِهِ؛ لِأَنَّهُ بِمَعْنَى الرِّقِيَّةِ وَالْعُبُودِيَّةِ، وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونُوا لِعَبِيدِ اللَّهِ، وَيَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونُوا عِبَادًا لِعَبِيدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَإِمَّا عَطْفٌ عَلَى ﴿يُؤْتِيَهُ اللَّهُ﴾ وَلَا مَزِيدَةَ؛ لِتَأْكِيدِ مَعْنَى النَّفْيِ، فَيَكُونُ مَعْنَاهُ: (وَلَا كَانَ لِهَذَا النَّبِيِّ أَنْ يَأْمُرُكُمْ بِ) أَنْ تَتَّخِذُوا

(١) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٣١/٢ .

(٢) في المصدر: يَوْمٌ .

(٣) المستدرک: الحاكم النيسابوري: ٦١٦/٣ ح/٦٢٨٤، الاستيعاب: ابن عبد البر: ٩٣٤/٣ .

(٤) ما بين المعقوفين ليس من المصدر.

(٥) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٣٢/٢ .

الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ﴿١﴾، أَيُّ إِلَهَةٍ، كَمَا فَعَلَ الصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى (١) وَغَيْرُهُمْ، وَقَوْلُهُ: ﴿يَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ﴾ إِنْكَارٌ، أَيُّ: لَيْسَ يَأْمُرُكُمْ ذَلِكَ النَّبِيُّ أَوْ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِالْكَفْرِ وَأَخَذَ الْأَنْدَادِ وَالتَّشْرِيكِ فِي الْعِبَادَةِ وَالْخَلْقِ، ﴿بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، إِنَّمَا يَبْعَثُ اللَّهُ النَّبِيَّ لِيَدْعُوا النَّاسَ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى وَالْإِخْلَاصِ بِعِبَادَتِهِ، وَخَلَعَ الْأَنْدَادِ وَالْإِشْرَاقِ فِي الْعِبَادَةِ وَالْخَلْقِ، وَلَمْ يَبْعَثْهُ اللَّهُ أَنْ يَدْعُوَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْكُفْرِ، فَكَيْفَ يَدْعُوهُمْ إِلَى ذَلِكَ.

ذَكَرَ أَنَّ الْإِمَامَةَ إِنَّمَا تَصَحَّحَ بِالنِّصِّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ (ص) وَبِالدَّلِيلِ مَعًا لَا بِالْإِجْمَاعِ:

وَفِي الْعُيُونِ فِي (بَابِ مَا جَاءَ عَنِ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي وَجْهِ دَلَائِلِ الْأَئِمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَالرَّدِّ عَلَى الْعُلَاةِ وَالْمُقَوِّضَةِ لِعَنَهُمُ اللَّهُ) (٢)، "حَدَّثَنَا تَمِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ تَمِيمٍ الْقُرَشِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَنْصَارِيُّ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ الْجَهْمِ قَالَ: حَضَرْتُ مَجْلِسَ الْمَأْمُونِ يَوْمًا وَعِنْدَهُ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ اجْتَمَعَ الْفُقَهَاءُ وَأَهْلُ الْكَلَامِ مِنَ الْفِرَقِ الْمُخْتَلِفَةِ فَسَأَلَهُ بَعْضُهُمْ فَقَالَ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ بِأَيِّ شَيْءٍ تَصَحُّحُ الْإِمَامَةِ لِمُدَّعِيهَا؟ قَالَ: بِالنِّصِّ وَالذَّلِيلِ، [١١٦] قَالَ لَهُ: فَدَلَالَةُ الْإِمَامِ فِيهَا هِيَ؟ قَالَ: فِي الْعِلْمِ وَاسْتِجَابَةِ الدَّعْوَةِ، قَالَ: فَمَا وَجْهُ إِخْبَارِكُمْ بِمَا يَكُونُ؟ قَالَ: ذَلِكَ بَعْدَ مَعْهُودٍ إِلَيْنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، قَالَ: فَمَا وَجْهُ إِخْبَارِكُمْ بِمَا فِي قُلُوبِ النَّاسِ؟ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ: أَمَا بَلَغَكَ قَوْلُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: انْقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ؛ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: وَمَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَهُ فِرَاسَةٌ، يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ عَلَى قَدْرِ إِيْمَانِهِ، وَمَبْلَغِ اسْتِبْصَارِهِ وَعِلْمِهِ، وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ لِلْأَئِمَّةِ مِنْهَا مَا فَرَّقَهُ فِي جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ (٣)، فَأَوَّلُ الْمُتَوَسِّمِينَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ثُمَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ بَعْدِهِ، ثُمَّ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَالْأَئِمَّةُ مِنْ وُلْدِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيْهِ الْمَأْمُونُ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا الْحَسَنِ زِدْنَا مِمَّا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ، فَقَالَ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَيْدَنَا بِرُوحٍ مِنْهُ مُقَدَّسَةٍ مُطَهَّرَةٍ لَيْسَتْ [بِمَلَكٍ] (٤)، لَمْ تَكُنْ مَعَ أَحَدٍ مِمَّنْ مَضَى إِلَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ،

(١) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٣٢/٢ .

(٢) عيون أخبار الرضا (ع): الصدوق: ٢١٦/٢ .

(٣) سورة الحجر: الآية ٧٥ .

(٤) في الأصل: تَمَلَّكُهُ، وما أثبت من المصدر الصواب .

وَهِيَ مَعَ الْأَئِمَّةِ مِمَّا تُسَدِّدُهُمْ وَتُؤَفِّقُهُمْ، وَهُوَ عَمُودٌ مِنْ نُورٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ: يَا أَبَا الْحَسَنِ بَلِّغْنِي أَنَّ قَوْمًا يَغْلُونَ فِيكُمْ، وَيَتَجَاوَزُونَ فِيكُمْ الْحَدَّ، فَقَالَ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: حَدَّثَنِي أَبِي مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: لَا تَرْفَعُونِي فَوْقَ حَقِّي؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ تَعَالَى اتَّخَذَنِي عَبْدًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَنِي نَبِيًّا، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ\* وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>، قَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَهْلِكُ فِي اثْنَانِ وَلَا ذَنْبَ لِي، مُحِبُّ مُفْرَطٍ، وَمُبْغِضُ مُفْرَطٍ، وَأَنَا أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِمَّنْ يَغْلُو فِيْنَا، وَيَرْفَعُنَا فَوْقَ حَدِّنَا كِبْرَاءَةِ عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ النَّصَارَى، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ\* مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾<sup>(٢)</sup>، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾<sup>(٤)</sup>، وَمَعْنَاهُ أَنَّهُمَا كَانَا يَتَعَوَّطَانِ، فَمَنْ ادَّعَى لِلْأَنْبِيَاءِ رُبُوبِيَّةً، وَادَّعَى لِلْأَئِمَّةِ رُبُوبِيَّةً أَوْ نُبُوَّةً، أَوْ لِعَبِيرِ الْأَئِمَّةِ إِمَامَةً، فَنَحْنُ مِنْهُ بُرَّاءٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَقَالَ الْمَأْمُونُ: يَا أَبَا الْحَسَنِ فَمَا تَقُولُ فِي الرَّجْعَةِ؟ فَقَالَ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّهَا لِحَقٌّ، قَدْ كَانَتْ فِي الْأُمَّمِ السَّالِفَةِ، وَنَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: يَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ كُلُّ مَا كَانَ فِي الْأُمَّمِ السَّالِفَةِ حَذْوًا بِالنَّعْلِ بِالنَّعْلِ وَالْقُدَّةَ بِالْقُدَّةِ<sup>(٥)</sup>، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إِذَا خَرَجَ

(١) سورة آل عمران: الآية ٧٩ - ٨٠ .

(٢) سورة المائدة: الآية ١١٦ - ١١٧ .

(٣) سورة النساء: الآية ١٧٢ .

(٤) سورة المائدة: الآية ٧٥ .

(٥) (القُدَّةُ: ريشُ السَّهْمِ): لسان العرب: ابن منظور: ٥٠٣/٣، مادة قذذ .

الْمَهْدِيُّ مِنْ وُلْدِي نَزَلَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَصَلَّى خَلْفَهُ، وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ  
 الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ يَكُونُ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ  
 يَرْجِعُ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ، فَقَالَ الْمَأْمُونُ: يَا أَبَا الْحَسَنِ فَمَا تَقُولُ فِي الْقَائِلِينَ بِالتَّنَاسُخِ؟ فَقَالَ  
 الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ قَالَ بِالتَّنَاسُخِ فَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ مُكَذِّبٌ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، قَالَ  
 الْمَأْمُونُ: مَا تَقُولُ فِي الْمُسُوخِ؟ قَالَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: أُولَئِكَ قَوْمٌ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ  
 فَمَسَخَهُمْ، فَعَاشُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ مَاتُوا وَلَمْ يَتَنَاسَلُوا، فَمَا يُوْجَدُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْقِرَدَةِ وَالْحَنَازِيرِ  
 وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمْ اسْمُ الْمُسُوخِيَّةِ فَهُوَ مِثْلُ مَا لَا يَحِلُّ أَكْلُهَا وَالْإِنْتِقَاعُ بِهَا، قَالَ  
 الْمَأْمُونُ: لَا أَبْقَانِي اللَّهُ بَعْدَكَ يَا أَبَا الْحَسَنِ؛ فَوَاللَّهِ مَا يُوْجَدُ الْعِلْمُ الصَّحِيحُ إِلَّا عِنْدَ أَهْلِ هَذَا  
 الْبَيْتِ، وَإِلَيْكَ انْتَهَتْ عُلُومُ آبَائِكَ، فَجَزَاكَ اللَّهُ عَنِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ خَيْرًا، قَالَ الْحَسَنُ بْنُ جَهْمٍ:  
 فَلَمَّا قَامَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ تَبِعْتُهُ، فَأَنْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ  
 اللَّهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لَكَ مِنْ جَمِيلِ رَأْيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا حَمَلَهُ عَلَى مَا أَرَى مِنْ إِكْرَامِهِ  
 لَكَ، وَقَبُولِهِ لِقَوْلِكَ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا ابْنَ الْجَهْمِ لَا يَغُرَّتْكَ مَا أَلْفَيْتَهُ عَلَيْهِ مِنْ إِكْرَامِي،  
 وَالِاسْتِمَاعِ مِنِّي؛ فَإِنَّهُ سَيَقْتُلُنِي بِالسِّمِّ وَهُوَ ظَالِمٌ لِي، أَعْرِفُ ذَلِكَ بِعَهْدِ مَعْهُودِ إِلَيَّ مِنْ آبَائِي  
 عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَانْتَمْتُ هَذَا مَا دُمْتُ حَيًّا، قَالَ الْحَسَنُ بْنُ الْجَهْمِ: فَمَا  
 حَدَّثْتُ أَحَدًا بِهَذَا الْحَدِيثِ إِلَى أَنْ مَضَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِطُوسٍ مَقْتُولًا بِالسِّمِّ، [١١٧] وَدُفِنَ فِي  
 دَارِ حُمَيْدِ بْنِ قَحْطَبَةَ الطَّائِي فِي الْقُبَّةِ الَّتِي فِيهَا قَبْرُ هَارُونَ الرَّشِيدِ إِلَى جَانِبِهِ<sup>(١)</sup>، وَعَنْ  
 الْحُسَيْنِ بْنِ خَالِدِ الصَّيْرَفِيِّ قَالَ: قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ قَالَ بِالتَّنَاسُخِ فَهُوَ  
 كَافِرٌ، ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَعَنَ اللَّهُ الْعُلَاةَ، أَلَا كَانُوا يَهُودًا، أَلَا كَانُوا مَجُوسًا، أَلَا كَانُوا

(١) عيون أخبار الرضا(ع): الصدوق: ٢١٦/٢ - ٢١٨/١، باب ما جاء عن الرضا عليه السلام في وجه دلائل الأئمة عليهم السلام والرد على العلاة والمفوضة لعنهم الله .



نَصَارَى، أَلَا كَانُوا قَدْرِيَّةً، أَلَا كَانُوا مُرْجَبَةً<sup>(١)</sup>، أَلَا كَانُوا حَرْوْرِيَّةً<sup>(٢)</sup>، ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا تَقَاعِدُوهُمْ، وَلَا تُصَادِقُوهُمْ، وَابْرَعُوا مِنْهُمْ؛ بَرَى اللَّهُ مِنْهُمْ<sup>(٣)</sup>.

ذكر من خرج عن ولاية الله وولاية رسوله وولاية الأئمة عليهم السلام:

"عَنْ أَبِي هَاشِمٍ الْجَعْفَرِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الْغُلَاةِ وَالْمَقْوُضَةِ، فَقَالَ: الْغُلَاةُ كُفَّارٌ، وَالْمَقْوُضَةُ مُشْرِكُونَ، مَنْ جَالَسَهُمْ، أَوْ خَالَطَهُمْ، أَوْ أَكَلَهُمْ، أَوْ شَارَبَهُمْ، أَوْ وَصَلَهُمْ، أَوْ رَوَّجَهُمْ، أَوْ تَزَوَّجَ مِنْهُمْ، أَوْ آمَنَهُمْ، أَوْ انْتَمَنَهُمْ عَلَى أَمَانَةٍ، أَوْ صَدَّقَ حَدِيثَهُمْ، أَوْ أَعَانَهُمْ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ، خَرَجَ مِنْ وِلَايَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَوِلَايَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَوِلَايَتِنَا أَهْلِ الْبَيْتِ<sup>(٤)</sup> الْحَدِيثُ .

أَقُولُ: وَيُفْهَمُ مِنَ الْحَدِيثِ أَحْكَامٌ: مِنْهَا كُفْرُ الْغُلَاةِ، وَأَنَّهِمْ كَافِرُونَ بِاللَّهِ، وَمِنْهَا أَنَّ وَالْمَقْوُضَةَ مُشْرِكُونَ، وَمِنْهَا أَنَّ الطَّائِفَتَيْنِ نَجَسٌ خَبِيثُونَ، لَا يَجُوزُ اخْتِيَارًا مُجَالَسَتَهُمْ، وَمُخَالَطَتَهُمْ إِلَى آخِرِهِ، وَيُفْهَمُ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ أَنَّ الْغُلَاةَ اجْتَمَعَتْ فِيهِمُ الْيَهُودِيَّةُ، وَالْمَجُوسِيَّةُ، وَالنَّصْرَانِيَّةُ، وَالْقَدْرِيَّةُ، وَالْمُرْجَبِيَّةُ، وَالْحَرْوْرِيَّةُ، وَإِنَّ هَؤُلَاءِ الطَّوَائِفِ السِّتِّ أَيْضًا كَالْغُلَاةِ، وَكُلُّهُمْ كُفَّارٌ مُشْرِكُونَ، نَجِسُونَ أَبْدَانًا، وَسُورًا، وَلُعَابًا، لَا يَجُوزُ اخْتِيَارًا مُجَالَسَتَهُمْ إِلَى آخِرِهِ.

"عَنْ أَبِي الصَّلْتِ الْهَرَوِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِلرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ إِنَّ فِي سَوَادِ الْكُوفَةِ قَوْمًا يَزْعُمُونَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمْ يَقَعْ عَلَيْهِ السَّهْوُ فِي صَلَاتِهِ، فَقَالَ كَذَبُوا لَعَنَهُمُ اللَّهُ؛ إِنَّ الَّذِي لَا يَسْهُوهُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، قَالَ: قُلْتُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ وَفِيهِمْ قَوْمًا يَزْعُمُونَ أَنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يُقْتَلْ، وَأَنَّهُ أُلْقِيَ سَبْهُهُ عَلَى حَنْظَلَةَ بْنِ أَسْعَدَ الشَّامِيِّ، وَأَنَّهُ رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ كَمَا رُفِعَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَيَحْتَجُّونَ بِهِذِهِ

(١) هي فرقة تعتقد بـ(تقديم الإيمان وتأخير العمل، وإنَّ المهم هو الاعتقاد القلبي والعمل ليس شيئاً يعتد به، وإنَّ التعذيب على الكفر، وإمَّا التعذيب على اقرار المعاصي فغير معلوم، وقد اشتهر عنهم قولهم: لا تضرَّ مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة)، نهاية المرام: العلامة الحلي: ١٩/١ .

(٢) (الحرورية من أسماء الخوارج، سُمُّوا بذلك نسبة إلى حروراء، وهي قرية بظاهر الكوفة، وقيل على ميلين منها، نزل بها الخوارج الذين خالفوا علياً رضي الله عنه، وكان ابتداء خروجهم منها)، الاغتصام: الشاطبي: ٩٤/١ .

(٣) عيون أخبار الرضا(ع): الصدوق: ٢١٨/٢ - ٢١٩/٢ ح٢، باب ما جاء عن الرضا عليه السلام في وجه دلائل الأئمة عليهم السلام والرد على الغلاة والمقوض لَعَنَهُمُ اللَّهُ .

(٤) المصدر نفسه: ٢١٩/٢ ح٤، باب ما جاء عن الرضا عليه السلام في وجه دلائل الأئمة عليهم السلام والرد على الغلاة والمقوض لَعَنَهُمُ اللَّهُ .



الآية: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾<sup>(١)</sup>، فقال: كذبوا، عَلَيْهِمْ غَضَبُ اللَّهِ وَلَعْنَتُهُ، وَكَفَرُوا بِتَكْذِيبِهِمْ لِنَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي إِخْبَارِهِ بِأَنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَيُقْتَلُ، وَاللَّهُ لَقَدْ قَتَلَ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَتَلَ مَنْ كَانَ خَيْرًا مِنَ الْحُسَيْنِ؛ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَمَا مِنَّا إِلَّا مَقْتُولٌ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَمَقْتُولٌ بِالسَّمِّ؛ بِأَغْتِيَالٍ مَنْ يَغْتَالِنِي، أَعْرِفُ ذَلِكَ بَعْدَهُ مَعْهُودٍ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؛ أَخْبَرَهُ بِهِ جَبْرِئِيلُ عَنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَّا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>، فَإِنَّهُ يَقُولُ: لَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِكَافِرٍ عَلَى مُؤْمِنٍ حُجَّةً، وَلَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ كُفَّارٍ قَتَلُوا النَّبِيَّ بَعِيرَ الْحَقِّ، وَمَعَ قَتْلِهِمْ إِيَّاهُمْ لَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ سَبِيلًا مِنْ طَرِيقِ الْحُجَّةِ"<sup>(٣)</sup>، انْتَهَى مَا فِي الْعُيُونِ مِنْ أَحَادِيثِ الْبَابِ الْمَذْكُورِ، وَحَدِيثِ أَبِي الصَّلْتِ الْهَرَوِيِّ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا فِي سَوَادِ الْكُوفَةِ، وَمَنْ اعْتَقَدَ مُعْتَقَدَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنَ الْعُلَاةِ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ \* فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، آيتان .

القراءة:

قَرَأَ حَمْرَةَ ﴿لَمَا آتَيْتُكُمْ﴾ بِكَسْرِ اللَّامِ عَلَىٰ أَنْ يَكُونَ اللَّامُ لِلتَّعْلِيلِ مُتَعَلِّقًا بِ﴿أَخَذَ﴾، أَي: أَخَذَ مِيثَاقَهُمْ، وَ﴿مَا﴾ حِينِيذٍ مَوْضُوعَةٍ، وَالْعَائِدُ مَحْذُوفٌ، أَي: لَمَا آتَيْتُكُمْوهُ، وَتَحْتَمِلُ الْمَصْدَرِيَّةَ أَيْضًا وَلَا تَحْتَاجُ إِلَىٰ عَائِدٍ، وَالْبَاقُونَ لَمَا بَفَتْحِهَا عَلَىٰ أَنْ يَكُونَ اللَّامُ مُوَطَّئَةً لِلْقَسَمِ، وَمَا مَوْضُوعَةٌ، أَوْ شَرْطِيَّةٌ كَمَا نَذَرُهُ فِي الْإِعْرَابِ، وَقُرِئَ لَمَا بَفَتْحِ اللَّامِ بِالتَّشْدِيدِ وَهُوَ عَلَىٰ وَجْهَيْنِ يَذْكَرُهُمَا فِيهِ أَيْضًا، وَقَرَأَ نَافِعٌ أَتَيْنَاكُمْ عَلَىٰ صِيغَةِ الْمُتَكَلِّمِ مَعَ الْغَيْرِ، وَالْبَاقُونَ ﴿آتَيْتُكُمْ﴾، عَلَىٰ

(١) سورة النساء: الآية ١٤١ .

(٢) سورة النساء: الآية ١٤١ .

(٣) عيون أخبار الرضا(ع): الصدوق: ٢١٩/٢ - ٢٢٠/٥، باب ما جاء عن الرضا عليه السلام في وجه دلائل الأئمة عليهم السلام والرد على الغلاة والمفوضة لعنهم الله.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٨١ - ٨٢ .

الْمُتَكَلِّمِ الْوَاحِدِ، وَقُرِيَ ﴿أَصْرِي﴾ بِالضَّمِّ، وَالْجُمْهُورُ بِالْكَسْرِ، فَالضَّمُّ لُغَةٌ فِي الْكَسْرِ أَوْ جَمْعُ إِصَارٍ كَكِتَابٍ وَكُتِبَ وَهُوَ مَا يُشَدُّ بِهِ وَيُحْبَسُ (١).

اللغة:

المِيثَاقُ وَالْمَوْثِقُ: الْعَهْدُ، جَمْعُهُمَا مَوَائِقُ وَمِيَاثِقُ وَمَوَاتِقُ وَمِيَاثِقُ مِنْ وَثَقَ يَثِقُ ثِقَةً كَوْمَقَ يَمِيقُ مِقَّةً: اِئْتَمَنَهُ، وَالْوَثِيقُ: الْمُحْكَمُ (٢).

وَالْإِصْرُ بِالْكَسْرِ: الْعَهْدُ وَالذَّنْبُ وَالنِّقْلُ (٣)، وَالْمُرَادُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ هُوَ الْأَوَّلُ، وَقَدْ مَرَّ النِّقْلُ فِي آخِرِ الْبَقْرَةِ، وَسَيَجِيءُ فِي الْأَعْرَافِ أَيْضًا، وَتُضَمُّ الْهَمْزَةُ وَتُفْتَحُ أَيْضًا فِي الْكُلِّ.

الإعراب:

﴿إِذْ مَفْعُولٌ بِهِ لِفِعْلِ مَحذُوفٍ، وَالتَّقْدِيرُ وَادْكُرْ أَوْ وَادْكُرُوا، ﴿مِيثَاقٌ﴾ مَفْعُولٌ ﴿أَخَذَ﴾، وَالْجُمْلَةُ فِي مَحَلِّ الْجَرِّ بِإِضَافَةِ إِذْ إِلَيْهَا وَمِيثَاقٌ مُضَافٌ إِلَى ﴿التَّبَيِّنِ﴾، أَمَّا عَلَى تَقْدِيرِ مُضَافٍ، أَي: مِيثَاقٌ أُمِّ النَّبِيِّينَ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ مِنْ إِضَافَةِ اسْمِ الْمَصْدَرِ إِلَى الْمَفْعُولِ، وَأَمَّا عَلَى عَدَمِ تَقْدِيرِهِ وَحِينَئِذٍ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ إِضَافَتِهِ إِلَى الْفَاعِلِ وَالْيَ مَفْعُولٌ كَمَا يَأْتِي بَيَانُهُ فِي الْمَعْنَى، وَلَمَّا بَكَسْرِ اللَّامِ وَالتَّخْفِيفِ عَلَى قِرَاءَةِ حَمَزَةٍ مُتَعَلِّقٍ بِ﴿أَخَذَ﴾، وَاللَّامُ لِلتَّلْغِيلِ، وَمَا حِينَئِذٍ إِمَّا مَصْدَرِيَّةٌ وَمِنْ اللَّتَّبَعِيضِ، وَالْفِعْلَانِ أَعْنِي: ﴿آتَيْتُكُمْ﴾ وَ﴿جَاءَكُمْ﴾ فِي تَأْوِيلِ الْمَصْدَرِ، أَي: لِأَجْلِ إِيْتَائِي إِيَّاكُمْ بَعْضَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ ثُمَّ لِمَجِيءِ رَسُولِ [١١٨] مُصَدِّقٍ لِمَا مَعَكُمْ أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ لِتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلِتَنْصُرُنَّهُ، وَحَاصِلُ الْمَعْنَى أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَكُمْ لِتُؤْمِنُنَّ بِالرَّسُولِ وَلِتَنْصُرُنَّهُ؛ لِأَجْلِ أَنِّي آتَيْتُكُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، وَلِأَجْلِ أَنَّ الرَّسُولَ الَّذِي أَمْرُكُمْ بِالْإِيمَانِ بِهِ وَنُصْرَتِهِ مُصَدِّقٌ وَمُؤَافِقٌ لَكُمْ غَيْرُ مُخَالَفٍ، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ مَوْصُولَةً وَمِنْ اللَّتَّبَيِّنِ وَالْعَائِدِ مَحذُوفٍ وَاللَّامُ لِلتَّلْغِيلِيَّةِ مُتَعَلِّقَةٌ بِ﴿أَخَذَ﴾ أَيْضًا، وَالتَّقْدِيرُ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَكُمْ لِذِي آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ الْخِ، وَأَمَّا عَلَى قِرَاءَةِ لَمَّا بِفَتْحِ اللَّامِ وَالتَّخْفِيفِ كَمَا فِي قِرَاءَةِ الْبَاقِينَ فَهِيَ مُوْطِئَةٌ لِلْقَسَمِ؛ لِأَنَّ أَخَذَ الْمِيثَاقَ فِي مَعْنَى الْاسْتِحْلَافِ، وَاللَّامُ فِي ﴿لِتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلِتَنْصُرُنَّهُ﴾ لَامُ جَوَابِ الْقَسَمِ، وَمَا حِينَئِذٍ إِمَّا شَرْطِيَّةٌ مَنْصُوبَةٌ بِ﴿آتَيْتُكُمْ﴾، أَوْ مَرْفُوعَةٌ مُبْتَدَأَةٌ، وَجُمْلَةُ الشَّرْطِ وَجَوَابُهُ خَبَرُ الْمُبْتَدَأِ وَالْعَائِدِ حِينَئِذٍ مَحذُوفٌ وَ﴿لِتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾ سَادٌّ مَسَدٌّ جَوَابُ الْقَسَمِ وَالشَّرْطِ

(١) ينظر: سراج القارئ: ابن القاصح: ١٨٢ .

(٢) ينظر: الصحاح: الجوهري: ١٥٦٢/٤ - ١٥٦٣، مادة وثق .

(٣) ينظر: العين: الفراهيدي: ١٤٧/٧، مادة أصر .

جَمِيعاً كَمَا هُوَ الْقَاعِدَةُ، وَإِذَا مَوْضُوعَةٌ غَيْرُ مُتَضَمِّنَةٍ لِمَعْنَى الشَّرْطِ أَوْ تَضَمَّنَتْهُ لِمَعْنَاهُ فَتَكُونُ مُبْتَدَأً، وَجُمْلَةٌ الشَّرْطِ وَالْجَوَابُ خَبَرُهَا وَالْعَائِدُ مَحذُوفٌ إِخ، أَي: اسْتَخْلَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَخْذِ الْمِيثَاقِ لِلَّذِي أَتَيْتُكُمْ بِهِ وَجَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لَهُ لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ إِخ، وَمِنْ فِي هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ لِلنَّبِيِّينَ، وَأَمَّا عَلَى قِرَاءَةِ لَمَّا يَفْتَحُ اللَّامَ وَالتَّشْدِيدِ فَهِيَ عَلَى وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنْ تَكُونَ تَوْقِيتِيَّةً ظَرْفِيَّةً بِمَعْنَى حِينَ أَتَيْتُكُمْ وَحِينَئِذٍ يَكُونُ جَوَابُ لَمَّا هُنَا فِعْلاً مَاضِياً مَحذُوفاً؛ لِأَنَّ لَمَّا الظَّرْفِيَّةَ مُحْتَصَةً بِالْفِعْلِ الْمَاضِي اسْتَعْمَلْتَ اسْتِعْمَالَ الشَّرْطِ وَتَقْتَضِي جُمْلَتَيْنِ فِعْلِيَّتَيْنِ مَاضِيَّتَيْنِ لَفْظاً أَوْ مَعْنَى وَجِدْتَ ثَانِيَّتُهُمَا عِنْدَ وُجُودِ أَوْلَهُمَا، وَيُقَالُ لَهَا حَرْفٌ وَوُجُودٌ لَوُجُودٍ وَبَعْضُهُمْ حَرْفٌ وَوُجُوبٌ لَوُجُوبٍ، وَلَمَّا ظَرْفٌ لِلْجَوَابِ نَحْوُ لَمَّا صُمْتُ صُمْتُ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾<sup>(١)</sup>، وَذَكَرْنَاهُ مُفَصَّلاً فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَالتَّقْدِيرُ فِي الْآيَةِ: ﴿لَمَّا أَتَيْتُكُمْ﴾، أَي: حِينَ أَتَيْتُكُمْ بَعْضَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ، ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾، أَي: لَمَّا أَتَيْتُكُمْ وَجَبَ عَلَيْكُمُ الْإِيمَانُ بِهِ وَنُصِرْتُهُ، فَحَذَفَ جَوَابُ لَمَّا، أَعْنِي: وَجَبَ عَلَيْكُمُ الْإِيمَانُ بِهِ وَنُصِرْتُهُ بِدَلَالَةِ جَوَابِ الْقَسَمِ أَعْنِي: لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرْنَهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَمَّا ظَرْفاً لِقَوْلِهِ: ﴿لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرْنَهُ﴾؛ لِأَنَّ هَذِهِ اللَّامَ يَمْتَنِعُ أَنْ يُعْمَلَ مَا بَعْدَهَا فِيمَا قَبْلَهَا، وَثَانِيَّتُهُمَا أَنْ تَكُونَ مُرَكَّبَةً مِنْ لَامِ الْمَفْتُوحَةِ الْمُوطَّئَةِ لِلْقَسَمِ، وَمِنْ الْجَارَةِ التَّغْلِيلِيَّةِ وَمَا الْمَوْضُوعَةُ وَأَصْلُهَا لَمِنْ مَا، فَاسْتَقْبَلُوا اجْتِمَاعَ ثَلَاثِ مِيمَاتِ الْمِيمَانِ وَالنُّونِ الْمُنْقَلِبَةَ مِيماً بِإِدْغَامِهَا فِي الْمِيمِ، فَحُذِفَتْ إِحْدَاهَا فَصَارَتْ لَمَّا وَمَعْنَاهُ لَمِنْ أَجْلِ مَا أَتَيْتُكُمْ بِهِ لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ إِخ، وَهَذَا يُؤَيِّدُ قِرَاءَةَ حَمَزَةً بَلَّ هُوَ مِثْلُهُ فِي الْمَعْنَى، قَوْلِهِ: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَقُولَ قَالَ وَمُنْعَلَقَهُ مَحذُوفٍ، وَالتَّقْدِيرُ قَالَ اللَّهُ لِلنَّبِيِّينَ أَوْ لَهُمْ وَلِأُمَّمِهِمْ أَفَرَأَيْتُمْ﴾، ﴿فَمَنْ تَوَلَّى﴾ فَمَنْ شَرْطِيَّةٌ أَوْ مَوْضُوعَةٌ مُتَضَمِّنَةٌ لِمَعْنَى، وَهِيَ عَلَى التَّقْدِيرَيْنِ مُبْتَدَأٌ، وَجُمْلَةٌ ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ جَوَابُ الشَّرْطِ وَخَبَرٌ لِلْمُبْتَدَأِ.

### المعنى:

لَمَّا قَدَّمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ذَكَرَ النَّبِيِّينَ عَقِبَهُ بِذِكْرِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَمَا أَخَذَ مِنْ عَهْدِهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَمَا أَخَذَ مِنْ عَهْدِهِ عَلَى أُمَّمِهِمْ كَافَّةً فَقَالَ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾، أَي: أذَكَرُ أَوْ أذَكَرُوا الَّذِي أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ عَلَى النَّبِيِّينَ وَعَلَى أُمَّمِهِمْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَيُخْبِرُوا أُمَّمَهُمْ بِمَبْعَثِهِ وَنَعْتِهِ، وَيُبَشِّرُهُمْ، وَيَأْمُرُهُمْ بِتَصَدِيقِهِ، وَيَنْصُرُوا وَصِيَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا يَأْتِي بِالْأَخْبَارِ الْآتِيَةِ.

وَفِي الْمَجْمَعِ (رُويَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ [وَابْنِ عَبَّاسٍ وَقِتَادَةَ] (١)، [قَالَ:] (٢) أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، أَنْ يُخْبِرُوا أُمَّهَم بِمَبْعَثِهِ وَنَعْتِهِ، وَيُبَشِّرُهُمْ [بِهِ] (٣)، وَيَأْمُرُهُمْ بِتَصَدِيقِهِ، وَقَالَ طَاوُوسٌ: أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَلَى الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ، فَأَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الْأَوَّلِ لِتُؤْمِنَنَّ بِمَا جَاءَ بِهِ الْآخِرُ، وَقَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "تَقْدِيرُهُ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ أُمَّمِ النَّبِيِّينَ، بِتَصَدِيقِ نَبِيِّهَا، وَالْعَمَلِ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ، [وَأَنَّهُمْ خَالَفُوهُمْ فِيمَا بَعْدَ] (٤)، فَمَا وَفَوْا بِهِ، وَتَرَكُوا كَثِيرًا مِنْ [شَرَائِعِهِمْ] (٥)، وَحَرَّفُوا كَثِيرًا مِنْهَا" (٦) (٧).

وَفِي تَفْسِيرِ الْعِيَّاشِيِّ "عَنْ حَبِيبِ السَّجِسْتَانِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾، فَكَيْفَ يُؤْمِنُ مُوسَى بِعِيسَى وَيَنْصُرُهُ وَلَمْ يُدْرِكْهُ؟ وَكَيْفَ يُؤْمِنُ عِيسَى بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَيَنْصُرُهُ وَلَمْ يُدْرِكْهُ؟ فَقَالَ: يَا حَبِيبُ إِنَّ الْقُرْآنَ طُرِحَ مِنْهُ آيٌ (٨) كَثِيرَةٌ وَلَمْ يَزِدْ فِيهِ إِلَّا أَحْرَفَ أَخْطَأَتْ بِهَا الْكُتُبُ وَتَوَهَّمَهَا الرِّجَالُ، وَهَذَا وَهُمْ فَأَقْرَأُهَا: وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ أُمَّمِ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ، هَكَذَا أَنْزَلَهَا اللَّهُ يَا حَبِيبُ، فَوَاللَّهِ مَا وَفَّتْ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَّمِ الَّتِي كَانَتْ قَبْلَ مُوسَى بِمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَيْهَا مِنَ الْمِيثَاقِ لِكُلِّ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ بَعْدَ نَبِيِّهَا" (٩)، وَذَكَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَلَامًا طَوِيلًا فِي تَكْذِيبِ الْأُمَّمِ أَنْبِيَائِهَا لَمْ نَذْكُرْهُ خَوْفَ الْإِطَالَةِ.

(١) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٢) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٣) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٤) في المصدر: شريعته.

(٥) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٦) بحار الأنوار: المجلسي: ١٧٦/١٥ .

(٧) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٣٤/٢ .

(٨) ومنه في حاشية الأصل: جمع آية .

(٩) تفسير العياشي: العياشي: ١/١٨٠، وهذا الحديث وإن كان ظاهراً في التحريف، إلا أن المصنّف ساقه لموضع الشاهد منه وهو تقدير (أمم) وليس للاستدلال به على التحريف كما هو مقتضى السياق في الكلام، مع أنه يمكن القول: إن هذا الخبر وأمثاله، يمكن فيها التأويل ومجانبة معنى التحريف وصرف الظاهر بقرائن تنطوي عليها ألفاظها.

وعلى ذلك فإن المعنى من هذا الخبر بيان ظلامة الأمم بابتعادها عن موثيق أنبيائها، وبلغة إيتاك أعني واسمعي يا جارة وأن ذلك مما ينطبق على أمة النبي صلى الله عليه وآله.

وقوله: ﴿لَمَّا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ بِفَتْحِ لَامِ الْمُوطِنَةِ لِقَسَمِ وَكُونِ مَوْضُوعَةٍ، أَي: لِلَّذِي آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ مِنْ كُتُبِ اللَّهِ تَعَالَى وَحُكْمٍ مِنْ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ، ثُمَّ جَاءَكُمْ [١١٩] رَسُولٌ﴾، أَي: نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أَوْ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾، أَي: مُصَدِّقٌ لِمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى الْعَائِدِ كَالأَوَّلِ، ﴿لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾، أَي: بِالَّذِي آتَيْتُكُمْ مِنْ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ، وَبِالرَّسُولِ الَّذِي جَاءَكُمْ الْمُصَدِّقِ لِمَا مَعَكُمْ، ﴿وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾، أَي: وَلَتَنْصُرَنَّ ذَلِكَ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَوَصِيَّهُ وَدِينَهُ، وَلَتَعْمَلَنَّ بِمَا جَاءَكُمْ بِهِ، وَبِمَا أَوْصَى بِهِ حَدْوُ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ مِنْ غَيْرِ مُخَالَفَةٍ، وَلَتَنْصُرُنَّهُ بِالْبَشَارَةِ بِهِ لِلأُمَّةِ؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَخَذَ الْمِيثَاقَ مِنْهُمْ لِيُصَدِّقَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَأْمُرَ بَعْضُهُمْ بِالْإِيمَانِ بِبَعْضٍ مِنْ لَدُنِ آدَمَ إِلَى خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ، وَتَكُونَ النُّصْرَةَ بِالتَّصَدِيقِ وَالتَّسْلِيمِ وَالْحُجَّةِ، بَلْ بِالسَّيْفِ أَيْضًا كَمَا يَأْتِي فِي ضَمَنِ الْأَخْبَارِ، وَأَمَّا إِذَا كَانَتْ مَا لِلشَّرْطِ وَالْجَزَاءِ فَتَقْدِيرُهُ وَمَعْنَاهُ أَيًّا مَا آتَيْتُكُمْ، أَوْ أَيَّ شَيْءٍ آتَيْتُكُمْ، أَوْ مَهْمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ إِلَى آخِرِ مَا مَرَّ أَنْفَاءً، فَالشَّرْطُ هُوَ إِيْتَاؤُهُ تَعَالَى إِيَّاهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، وَمَجِيءِ الرَّسُولِ الْمُصَدِّقِ لِمَا مَعَهُمْ، وَالْجَزَاءُ الْقَسَمُ وَالْمُقْسَمُ عَلَيْهِ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾، فَأَغْنَى جَوَابُ الْقَسَمِ عَنِ جَزَاءِ الشَّرْطِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾<sup>(١)</sup>، وَمِنْ عَلَى الْوَجْهَيْنِ لِلتَّبَيَّنِ عَلَى مَا مَرَّ فِي الْإِعْرَابِ.

فَتَكُونُ خُلَاصَةً تَقْدِيرِ الْآيَةِ وَمَعْنَاهَا عَلَى تَقْدِيرِ شَرْطِيَّةِ مَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لَهُمْ: مَهْمَا أُوتِيْتُمْ كِتَابًا وَحِكْمَةً ثُمَّ يَجِيئُكُمْ بِهِمَا رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ، أَي: مُصَدِّقٌ لِمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ وَاللَّهُ لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ، وَلَتُؤْمِنَنَّ بِتَّصَدِيقِهِ وَكَوْنِهِ نَبِيًّا، وَلَتَنْصُرُنَّهُ وَوَصِيَّهُ؛ بِالْبَشَارَةِ لِلأُمَّةِ بِهِ وَوَصِيَّهُ، وَبِالتَّصَدِيقِ وَالْحُجَّةِ وَالتَّسْلِيمِ لَهُ وَالطَّوْعِ الْقَلْبِيِّ، وَبِالسَّيْفِ فِي دَفْعِ أَعَادِيهِ وَأَعَادِي دِينِهِ فِي غَيْبَتِهِ وَحُضُورِهِ عِنْدَ إِدْرَاكِهِ بِمُقَاتَلَةِ أَعْدَائِهِ اللَّهُ بَيْنَ يَدَيْهِ.

ولا ينافي هذا المعنى ألفاظ التنزيل والقراءة والآي في الخبر؛ لأنَّ التنزيل شامل لألفاظ القرآن وتفسيره، والقراءة لا تدل على وجود لفظ منقوص، بل يفهم منها أنَّ القراءة بهذا التقدير هو الصحيح في فهم المراد وما دون ذلك وهم، وأما الآي فليس في الخبر ما يدل على النقصان؛ لأنَّ ما ذكر هو بلفظ الطرح، والطرح هو النبذ والابتعاد والترك، كناية عن الإعراض، وهو سليم فإنَّ الأمة أعرضت عن كثير من آيات القرآن إعراض هداية لا قراءة، وتفصيل الإجابة بخصوص هذا الخبر ذكر مفصلاً في الدراسة.

(١) سورة الزمر: الآية ٦٥ .

وَأَمَّا عَلَى قِرَاءَةِ لِمَا بِكَسْرِ اللَّامِ وَالتَّخْفِيفِ فَقَدْ مَرَّ مَعْنَاهُ مُفَصَّلًا آتِفًا فِي إِعْرَابِ الْآيَةِ، وَأَنَّ مَعْنَاهُ آتِلٌ إِلَى مَعْنَى مَا الْجَزَائِيَّةُ، أَي: أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَهُمْ؛ لِأَجْلِ مَا أُوتُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ، وَلِمَجِيءِ الرَّسُولِ الْمُصَدِّقِ لِمَا مَعَهُمْ، وَلِأَجْلِ أَنَّهُمُ الْأَفْضَلُ وَخِيَارُ النَّاسِ وَالْمُقْتَدَى بِهِمْ. وَأَمَّا عَلَى قِرَاءَةِ لِمَا بِالْفَتْحِ وَبِالتَّشْدِيدِ فِي الْوَجْهَيْنِ فَقَدْ مَرَّ بَيَانُهَا وَمَعَانِيهَا آتِفًا فِي الْإِعْرَابِ.

وَفِي الْمَجْمَعِ (وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: لَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ نَبِيًّا آدَمَ وَمَنْ بَعْدَهُ، إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ الْعَهْدَ: لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا وَهُوَ حَيٌّ، لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلِيَنْصُرُنَّهُ، وَأَمْرُهُ بِأَنْ يَأْخُذَ الْعَهْدَ بِذَلِكَ عَلَى قَوْمِهِ) (١) الْحَدِيثِ.

قَوْلُهُ: ﴿قَالَ﴾، أَي: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِالْأَنْبِيَاءِ، بَلْ لَهُمْ وَلِأُمَّمِهِمْ أَيْضًا، ﴿أَفْرَزْتُمْ﴾، أَي: أَصَدَّقْتُمُوهُ، ﴿وَأَخَذْتُمْ﴾، أَنْتُمْ أَيُّهَا النَّبِيُّونَ وَأَيُّهَا الْأُمَّمُ، ﴿عَلَى ذَلِكَ إِصْرِي﴾، أَي: وَقَبِلْتُمْ عَلَى ذَلِكَ عَهْدِي وَمِيثَاقِي، أَوْ وَأَخَذْتُمْ أَنْتُمْ أَيُّهَا النَّبِيُّونَ عَهْدِي بِذَلِكَ عَلَى أُمَّمِكُمْ، وَفِي الْمَجْمَعِ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: ﴿أَفْرَزْتُمْ وَأَخَذْتُمْ﴾ (الْعَهْدَ بِذَلِكَ عَلَى أُمَّمِكُمْ، ﴿قَالُوا﴾، أَي: قَالَ الْأَنْبِيَاءُ وَأُمَّمُهُمْ ﴿أَفْرَزْنَا﴾ بِمَا أَمَرْتَنَا بِالْإِفْرَارِ بِهِ) (٢).

﴿قَالَ﴾ أَي: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِالْأَنْبِيَاءِ وَمَلَائِكَتِهِ، ﴿فَاشْهَدُوا﴾ بِذَلِكَ أَنْتُمْ أَيُّهَا النَّبِيُّونَ عَلَى أُمَّمِكُمْ، وَأَيُّهَا الْمَلَائِكَةُ عَلَى النَّبِيِّينَ وَأُمَّمِهِمْ بِذَلِكَ، ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ عَلَيْكُمْ، وَعَلَى أُمَّمِكُمْ، أَوْ (فَاعْلَمُوا ذَلِكَ وَأَنَا مَعَكُمْ أَعْلَمُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ) (٣)، أَوْ (لِيَشْهَدَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ) (٤)، وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ عَلَيْكُمْ.

وَفِي تَفْسِيرِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ (قَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾، فَإِنَّ اللَّهَ أَخَذَ مِيثَاقَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ وَيَنْصُرُوهُ وَيُخْبِرُوا [بِخَبْرِهِ أُمَّمَهُمْ] (٥)، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا مِنْ لَدُنْ آدَمَ فَهَلُمَّ جَرًّا إِلَّا وَرَجِعَ إِلَى

(١) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٣٥/٢.

(٢) المصدر نفسه: ٣٣٥/٢.

(٣) المصدر نفسه: ٣٣٥/٢.

(٤) المصدر نفسه: ٣٣٥/٢.

(٥) في المصدر: أممهم بخبره.



الدُّنْيَا]فِيَقَاتِلْ وَيُنْصُرْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ<sup>(١)</sup>، وَيُنْصُرُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾، بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ﴿وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾، أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ فِي الذَّرِّ: ﴿أَفَرَزْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَيَّ ذَلِكَمُ إِصْرِي﴾، أَي: عَهْدِي ﴿قَالُوا أَفَرَزْنَا قَالَ﴾ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمَلَائِكَةِ ﴿فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾، وَهَذِهِ الْآيَةُ وَالْآيَةُ الَّتِي فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾<sup>(٢)</sup>، وَالْآيَةُ الَّتِي فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>، وَقَدْ كَتَبْتُ هَذِهِ الثَّلَاثَ آيَاتٍ فِي ثَلَاثِ سُورٍ<sup>(٤)</sup>، أَنْتَهَى، وَقَالَ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾، فَإِنَّهُ حَدَّثَنِي أَبِي، عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُؤَيْدٍ، عَنِ يَحْيَى الْحَلَبِيِّ، عَنِ ابْنِ سِنَانٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَوَّلُ مَنْ سَبَقَ مِنَ الرُّسُلِ إِلَيَّ بَلَى مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ أَقْرَبَ الْخَلْقِ إِلَيَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَكَانَ بِالْمَكَانِ الَّذِي قَالَ لَهُ جِبْرِئِيلُ لَمَّا أُسْرِيَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ: تَقَدَّمَ يَا مُحَمَّدُ فَقَدْ وَطِئْتَ مَوْطِنًا لَمْ يَطَأَهُ مَلَكَ مُقَرَّبٌ [١٢٠] وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَلَوْ لَا أَنَّ رُوحَهُ وَنَفْسَهُ كَانَتْ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ لَمَا قَدَرَ أَنْ يَبْلُغَهُ، فَكَانَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾<sup>(٥)</sup>، أَي: بَلْ أَدْنَى، فَلَمَّا خَرَجَ الْأَمْرُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَقَعَ إِلَيَّ أَوْلِيَايَهُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَقَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَانَ الْمِيثَاقُ مَأْخُودًا عَلَيْهِمُ لِلَّهِ تَعَالَى بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَلِرَسُولِهِ بِالنُّبُوَّةِ، وَلِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَيْمَّةِ بِالْإِمَامَةِ، فَقَالَ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ وَمُحَمَّدٌ نَبِيُّكُمْ وَعَلِيٌّ إِمَامُكُمْ وَالْأَيْمَّةُ الْهَادُونَ أَيْمَتُكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى شَهِدْنَا فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَي: لَيْلًا تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾، فَأَوَّلُ مَا أَخَذَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمِيثَاقَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾<sup>(٦)</sup>،

(١) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٧ .

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٧٢ .

(٤) تفسير القمي: علي بن إبراهيم: ١/١٠٦ - ١٠٧، مع اختلاف يسير في الألفاظ .

(٥) سورة النجم: الآية ٩ .

(٦) تفسير القمي: علي بن إبراهيم: ١/٢٤٦ - ٢٤٧ .



قَالَ: هَذِهِ الْوَاوُ زِيَادَةٌ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمِنْكَ﴾؛ إِنَّمَا هُوَ مِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ؛ فَأَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ لِنَفْسِهِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ، ثُمَّ أَخَذَ لِنَبِيِّهِ وَالْأَيْمَةِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ، ثُمَّ أَخَذَ لِلْأَنْبِيَاءِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، (فَذَكَرَ جُمْلَةَ الْأَنْبِيَاءِ، ثُمَّ أَبْرَزَ أَفْضَلَهُمْ بِالْأَسْمَاءِ فَقَالَ: ﴿وَمِنْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ، فَقَدَّمَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؛ لِأَنَّهُ أَفْضَلُهُمْ، ﴿وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾، فَهَؤُلَاءِ الْخَمْسَةُ أَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَفْضَلُهُمْ، ثُمَّ أَخَذَ بَعْدَ ذَلِكَ مِيثَاقَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِالْإِيمَانِ بِهِ، وَعَلَى أَنْ يَنْصُرُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾، يَعْنِي: رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ﴿لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ وَتَنْصُرُنَّهُ﴾، يَعْنِي: أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَخْبَرُوا أَمَمَكُمْ بِخَبْرِهِ وَخَبَرَ وَصِيَّهُ مِنَ الْأَيْمَةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ<sup>(١)</sup>، (ثُمَّ أَخَذَ أَيْضًا مِيثَاقَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)<sup>(٢)</sup>، فَقَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿قُلْ يَا مُحَمَّدُ ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾، (يَعْنِي: الصُّحُفَ، وَالْأَسْبَاطِ: حَفَدَةَ يَعْقُوبَ، ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى﴾، يَعْنِي: التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ، ﴿وَالنَّبِيِّونَ﴾ جُمْلَةً، الْمَذْكُورُونَ مِنْهُمْ وَغَيْرَ الْمَذْكُورِينَ، ﴿مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(٣)</sup> (٤).

وَفِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ أَيْضًا هَكَذَا قُولُوا: يَا مُحَمَّدُ وَالْ مُحَمَّدُ، فِي الْكَافِي وَالْعِيَّاشِيِّ عَنِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ "إِنَّمَا عَنَى بِذَلِكَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ"<sup>(٥)</sup>، وَمِنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْأَيْمَةِ فَهُمْ آلُ مُحَمَّدٍ ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيِّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾، "وَحَدَّثَنِي أَبِي عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ عَنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾، قُلْتُ: مُعَايِنَةٌ كَانَ هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، فَتَبَّتِ الْمَعْرِفَةُ، وَنَسُوا

(١) تفسير القمي: علي بن إبراهيم: ٢٤٧/١ .

(٢) المصدر نفسه: ٢٤٧/١ .

(٣) سورة آل عمران: الآية ٨٤ .

(٤) التفسير الأصفى: الفيض الكاشاني: ٦٨/١ .

(٥) الكافي: الكليني: ١٦١/٤ ح/١٩، باب فيه نُكْتُ وَنُتِفُ مِنَ التَّنْزِيلِ فِي الْوَلَايَةِ، تفسير العياشي: العياشي: ٦٢/١ .

الموقف وسيذكرونه، ولو لا ذلك لم يدر أحد من خالقه ورزقه، فمنهم من أقر بلسانه في الدر ولم يؤمن بقلبه فقال الله تعالى: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾<sup>(١)</sup> (٢).

وقال تعالى في سورة الأعراف: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ﴾، يعني: برسول الله صلى الله عليه وآله، ﴿وَعَزَّزُوهُ﴾، أي: عظموه بالنعوية، والذب عنه، ﴿وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ﴾، يعني: أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، فأخذ الله ميثاق رسول الله صلى الله عليه وآله على الأنبياء عليهم السلام بأن يخبروا أممهم بأن آمنوا به<sup>(٤)</sup> (وَنَصَرُوهُ بِالْقَوْلِ وَأَمَرُوا أُمَّهْمُ بِذَلِكَ، وَسَيَرْجِعُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَيَرْجِعُونَ وَيُنصرونه في الدنيا)<sup>(٥)</sup>، "حدثني أبي، عن القاسم بن محمد، عن سليمان بن داود المنقري، عن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: جاء إبليس لعنه الله إلى موسى عليه السلام وهو يناجي ربه، فقال له ملك من الملائكة: ونلك ما ترجو منه وهو على هذه الحالة يناجي ربه؟ فقال: أرجو منه ما رجوت من أبيه آدم وهو في الجنة، وكان مما ناجى الله موسى عليه السلام: يا موسى إني لا أقبل الصلاة إلا لمن تواضع لعظمتي، وألزم قلبه خوفاً، وقطع نهاره بذكرى، ولم يبت موصراً على الخطيئة، وعرف حق أوليائي وأحبائي، فقال موسى عليه السلام: يا رب تعني بأوليائك وأحبائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب؟ قال: [هو]<sup>(٦)</sup> كذلك، إلا أنني أردت بذلك من من أجله خلقت آدم وحواء، ومن أجله خلقت الجنة والنار، فقال: ومن هو يا رب؟ فقال: محمدٌ أحمدٌ شققت اسمه من اسمي؛ لأنني أنا المحمود، [وهو محمد]<sup>(٧)</sup>، فقال موسى: يا رب اجعلني من أمته، فقال: يا موسى أنت من أمته؛ إذا عرفته وعرفت منزلته ومنزلة أهل بيته، وإن مثله ومثل أهل بيته فيمن خلقت كمثل الفردوس في الجنان، لا ينتثر ورقها ولا يتغير طعمها، فمن عرفهم وعرف حقهم جعلت له

(١) سورة يونس: الآية ٧٤ .

(٢) تفسير القمي: علي بن إبراهيم: ٢٤٨/١ .

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٥٧ .

(٤) ينظر: تفسير القمي: علي بن إبراهيم: ٢٤٢/١ .

(٥) المصدر نفسه: ٢٤٢/١ .

(٦) في المصدر: نعم .

(٧) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

عِنْدَ الْجَهْلِ [عِلْمًا] <sup>(١)</sup>، وَعِنْدَ الظُّلْمَةِ نُورًا، أُجِيبَتْهُ قَبْلَ أَنْ يَدْعُونِي، وَأُعْطِيَتْهُ قَبْلَ أَنْ يَسْأَلَنِي، [١٢١] يَا مُوسَى إِذَا رَأَيْتَ الْفَقْرَ مُقْبِلًا فَقُلْ: مَرْحَبًا بِشِعَارِ الصَّالِحِينَ، وَإِذَا رَأَيْتَ الْغِنَى مُقْبِلًا فَقُلْ: ذَنْبٌ تَعَجَّلْتُ عُقُوبَتَهُ، يَا مُوسَى إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ عُقُوبَةٍ؛ عَاقَبْتُ فِيهَا آدَمَ عِنْدَ خَطِيئَتِهِ، وَجَعَلْتُهَا مَلْعُونَةً بِمَنْ فِيهَا إِلَّا مَا كَانَ [مِنْهَا] <sup>(٢)</sup> لِي، يَا مُوسَى إِنَّ عِبَادِي الصَّالِحِينَ زَهَدُوا فِيهَا [بِقَدْرِ عِلْمِهِمْ بِهَا، وَسَائِرُهُمْ مِنْ خَلْقِي رَغِبُوا فِيهَا بِقَدْرِ جَهْلِهِمْ، وَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِي عَظَّمَهَا فَفَرَّتْ عَيْنَاهُ فِيهَا] <sup>(٣)</sup>، وَلَمْ يُحَقِّرْهَا إِلَّا تَمَتَّعَ بِهَا، ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ قَدْرَتُمْ أَنْ لَا تَعْرِفُوهَا فَافْعَلُوا، وَمَا عَلَيْكَ أَنْ لَمْ يُشْنِ عَلَيْكَ النَّاسُ، وَمَا عَلَيْكَ أَنْ تَكُونَ مَذْمُومًا عِنْدَ النَّاسِ وَكُنْتَ عِنْدَ اللَّهِ مَحْمُودًا، إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَقُولُ: لَا حَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا لِأَحَدِ رَجُلَيْنِ، رَجُلٍ يَزِدُّهُ كُلُّ يَوْمٍ إِحْسَانًا، وَرَجُلٍ يَتَذَكَّرُ [سَيِّئَتَهُ] <sup>(٤)</sup> بِالتَّوْبَةِ، وَأَنَّى لَهُ بِالتَّوْبَةِ، وَاللَّهُ إِنْ سَجَدَ حَتَّى يَنْقَطِعَ عُنُقُهُ مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ إِلَّا بِوَلَايَتِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، أَلَا وَمَنْ عَرَفَ حَقَّنَا، وَرَجَا النَّوَابَ فِيْنَا، رَضِيَ بِفُوتِهِ نِصْفَ مَدِّ كُلِّ يَوْمٍ وَمَا يَسْتُرُ بِهِ عَوْرَتَهُ وَمَا أَكَنَّ رَأْسَهُ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ وَاللَّهُ خَائِفُونَ وَجُلُونَ" <sup>(٥)</sup> الْحَدِيثُ.

"وَفِي كِتَابِ الْوَاحِدَةِ <sup>(٦)</sup> عَنْ أَبِي جَعْفَرِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَحَدٌ وَاحِدٌ؛ تَقَرَّدَ فِي وَحْدَانِيَّتِهِ، ثُمَّ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ فَصَارَتْ نُورًا، ثُمَّ خَلَقَ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَخَلَقَنِي وَذُرِّيَّتِي، ثُمَّ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ فَصَارَتْ رُوحًا فَأَسْكَنَهُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ النُّورِ وَأَسْكَنَهُ فِي أُبْدَانِنَا، فَنَحْنُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَاتُهُ؛ فَبِنَا اخْتَجَّ عَلَى خَلْقِهِ فَمَا زِلْنَا فِي ظِلَّةِ حَضْرَاءَ حَيْثُ لَا شَمْسَ وَلَا قَمَرَ، وَلَا لَيْلَ وَلَا نَهَارَ، وَلَا عَيْنَ تَطْرُقُ نَعْبُدُهُ وَنُقَدِّسُهُ وَنُسَبِّحُهُ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ وَأَخَذَ مِيثَاقَ الْأَنْبِيَاءِ بِالْإِيمَانِ [بِنَا] <sup>(٧)</sup>، وَالنُّصْرَةَ لَنَا وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ

(١) في الأصل: جلمًا.

(٢) في المصدر: فيها.

(٣) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٤) في المصدر: مَنِيَّتَهُ.

(٥) تفسير القمي: علي بن إبراهيم: ٢٤٢/١ .

(٦) (كتاب الواحدة في الأخبار والمناقب والمطالب في ثمانية أجزاء تأليف محمد بن الحسين بن جمهور البصري الشيعي

المتوفى سنة ٥٢١٠هـ)، إيضاح المكنون: إسماعيل باشا البغدادي: ٣٤٨/٢ .

(٧) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴿١﴾، يَعْنِي: لَتُؤْمِنُنَّ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَتَنْصُرُنَّ وَصِيَّهُ وَسَيَنْصُرُونَهُ جَمِيعاً، وَإِنَّ اللَّهَ أَخَذَ مِيثَاقِي مَعَ مِيثَاقِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالنُّصْرَةِ بَعْضِنَا لِبَعْضٍ؛ فَقَدْ نَصَرْتُ مُحَمَّدًا، [وَجَاهَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَقَتَلْتُ عَدُوَّهُ، وَوَفَيْتُ لِلَّهِ بِمَا أَخَذَ عَلَيَّ مِنَ الْمِيثَاقِ وَالْعَهْدِ وَالنُّصْرَةِ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ] (١)، وَلَمْ يَنْصُرْنِي أَحَدٌ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ؛ وَذَلِكَ لِمَا قَبَضَهُمُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَسَوْفَ يَنْصُرُونَنِي وَيَكُونُ لِي مَا بَيْنَ مَشْرِقِهَا [وَمَغْرِبِهَا] (٢)، وَلَيَبْعَثَنَّ اللَّهُ أَحْيَاءً مِنْ آدَمَ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كُلَّ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ يَضْرِبُونَ بَيْنَ يَدَيَّ بِالسَّيْفِ هَامَ الْأَمْوَاتِ وَالْأَحْيَاءِ وَالنَّقْلَيْنِ جَمِيعاً، فَيَا عَجَبًا وَكَيْفَ لَا أَعْجَبُ مِنْ أَمْوَاتٍ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ أَحْيَاءً يُلْبُونَ زُمْرَةً بِالزُّمْرِ بِالتَّلْبِيَةِ لِنَبِيِّكَ يَا دَاعِيَ اللَّهِ قَدْ أَظَلُّوا بِسُكِّ الْكُوفَةِ، وَقَدْ شَهَرُوا سُيُوفَهُمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ؛ يَضْرِبُونَ بِهَا هَامَ الْكُفْرَةِ وَجَبَابِرَتِهِمْ وَأَتْبَاعِهِمْ مِنْ جَبَّارَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ حَتَّى يُنَجِرَ اللَّهُ مَا وَعَدَهُمْ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ (٣)، أَي: يَعْبُدُونَنِي آمِنِينَ لَا يَخَافُونَ أَحَدًا مِنْ عِبَادِي لَيْسَ [لَهُمْ] (٤) تَقِيَّةٌ، وَإِنَّ لِي الْكُرَّةَ بَعْدَ الْكُرَّةِ وَالرَّجْعَةَ بَعْدَ الرَّجْعَةِ، وَأَنَا صَاحِبُ الرَّجَعَاتِ وَالْكَرَّاتِ، وَصَاحِبُ الصَّوَلَاتِ وَالنَّقَمَاتِ وَالذُّوَلَاتِ الْعَجِيبَاتِ، وَأَنَا قَرْنٌ مِنْ جَدِيدٍ (٥) الْحَدِيثُ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ تَوَلَّى﴾، أَي: أَعْرَضَ مِنْ أُمَّ النَّبِيِّينَ وَأَوْلَادِهِمْ عَنِ الْإِيمَانِ، وَعَنْ نُصْرَتِهِ وَنُصْرَةِ وَصِيِّهِ، ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾، أَي: بَعْدَ أَخْذِ الْمِيثَاقِ وَالتَّوَكُّيدِ، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، أَي: الْخَارِجُونَ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَفِي الْمَجْمَعِ (وَلَمْ يَقُلْ الْكَافِرُونَ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ الْخَارِجُونَ فِي الْكُفْرِ [إِلَى] (٦) أَفْحَشَ مَرَاتِبِ الْكُفْرِ؛ بِتَمَرُّدِهِمْ) (٧)، انْتَهَى .

(١) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٢) في المصدر: إِلَى مَغْرِبِهَا.

(٣) سورة النور: الآية ٥٥ .

(٤) في المصدر: عِنْدَهُمْ .

(٥) تفسير الصافي: الفيض الكاشاني: ٣٥٢/١ .

(٦) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٧) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٣٥/٢ .

قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ \* قُلْ أَمَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ \* وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١﴾ ثلاث آيات .

#### القرآءة:

قرأ أبو عمرو ﴿يَبْغُونَ﴾ بالياء المفتوحة، ﴿وَالَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بالتاء مضمومة، وقرأ عياش وحفص ويعقوب وسهل فيهما بالياء، والباقون فيهما بالتاء، وقرأ ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا﴾ بإدغام الغين في الغين (٢).

#### اللغة:

الطَّوْعُ: الانقياد والتذلل، والكره ضده (٣).

#### الإعراب:

﴿أَفَغَيْرَ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري دخلت على الفاء التي عطفت جملة الفعلية، أعني: ﴿يَبْغُونَ﴾ على الجملة الاسمية وهي أولئك هم الفاسقون، والأصل ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ فغير دين الله يبعون، ثم توسطت همزة الإنكار بينهما، ويجوز أن تكون الجملة المعطوف عليها محذوفة بعد الهمزة وقبل الفاء؛ بدلالة ﴿فَمَنْ تَوَلَّى﴾، والتقدير أيتولون فغير دين الله يبعون، ونظير ذلك قوله تعالى: [١٢٢] ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾ (٤)، أي: أنهملكم فنضرب، أي: فنعرض عنكم الذكر والقرآن إعراضاً أو معرضين، وقوله تعالى: ﴿أَفَأَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ (٥)، أي: أتؤمنون به صلى الله عليه وآله في حياته فإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، وقوله تعالى: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ﴾ (٦)، أي: أنحن مخلدون فما نحن

(١) سورة آل عمران: الآية ٨٣- ٨٥ .

(٢) ينظر: المكرر في ما تواتر: النشار: ٧٥ .

(٣) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ٢٤٠/٨، مادة طوع .

(٤) سورة الزخرف: الآية ٥ .

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٤٤ .

(٦) سورة الصافات: الآية ٥٨ .

بِمَيَّتَيْنِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(١)</sup>، أَي: أَمْكَنُوا فَلَمْ يَسِيرُوا، وَغَيْر ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ، وَعَلَى التَّقْدِيرِ قُدِّمَ الْمَفْعُولُ عَلَى الْفِعْلِ فِيمَا نَحْنُ فِيهِ؛ لِأَنَّ الْمَسْئُولَ عَنْهُ بِالْهَمْزَةِ وَشَرْطُ الْمَسْئُولِ عَنْهُ بِالْهَمْزَةِ أَنْ يَلِيَهَا سَوَاءً كَانَ فِعْلاً نَحْوُ: أَضْرَبْتَ زَيْدًا؟ إِذَا كَانَ الشُّكُّ فِي نَفْسِ الْفِعْلِ، أَعْنِي: الضَّرْبَ الصَّادِرَ عَنِ الْمُخَاطَبِ الْوَاقِعَ عَلَى زَيْدٍ فَهِيَ حِينَئِذٍ لَطَلَبِ التَّصَدِيقِ وَنَحْوِ أَضْرَبْتَ زَيْدًا أَمْ أَكْرَمْتَهُ؟ فَهِيَ حِينَئِذٍ لَطَلَبِ تَصَوُّرِ الْمُسْتَدِّ فَقَطْ أَضْرَبْتُ هُوَ أَمْ إِكْرَامٌ، أَوْ فَاعِلًا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾<sup>(٢)</sup>، إِذَا كَانَ الشُّكُّ فِي الْفَاعِلِ مَنْ هُوَ مَعَ الْعِلْمِ بِوُقُوعِ فِعْلِ عَلَى أَصْنَامِهِمْ أَوْ مَفْعُولًا بِهِ أَزِيدًا ضَرَبْتَ، إِذَا كَانَ الشُّكُّ فِي الْمَفْعُولِ بِهِ مَنْ هُوَ مَعَ الْقَطْعِ بِوُقُوعِ الضَّرْبِ مِنَ الْمُخَاطَبِ وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَعَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْعُونَ﴾، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ أَبْغِي رَبًّا﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿وَلَهُ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِ﴿أَسْلَمَ﴾ قُدِّمَ عَلَيْهِ؛ لِلْحَضَرِ، وَالْوَأُو لِلْحَالِ، وَالْهَاءُ عَائِدٌ إِلَى اللَّهِ، وَمَنْ فَاعِلٌ أَسْلَمَ، ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ صِلَةٌ مَنْ، ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ مَصْدَرَانِ وَقَعَا خَالَيْنِ لِفَاعِلِ أَسْلَمَ أَوْ لِلْمُسْتَتِرِ فِي الصِّلَةِ الْعَائِدِ إِلَى مَنْ، أَي: طَائِعِينَ أَوْ كَارِهِينَ؛ لِأَنَّ الْمَصْدَرَ الْمُنْكَرَ قَدْ يَقَعُ حَالًا كَقَوْلِهِمْ: (قَتَلْتَهُ صَبْرًا وَلَقَيْتَهُ فُجَاءَةً)<sup>(٤)</sup>، وَعَيَانًا وَكِفَاهًا، (وَكَلَّمْتَهُ مُشَافَهَةً وَأَتَيْتَهُ رَكُضًا وَعَدْوًا وَمَشْيًا وَأَخَذْتُ ذَلِكَ عَنْهُ سَمْعًا)<sup>(٥)</sup>، أَي: مَصْبُورًا، وَمُفَاجَأَةً وَمُعَايِنًا وَمُكَافِهًا، أَي: مُسْتَقْبِلًا وَمُشَافِهًا، وَرَاكِضًا وَعَادِيًا وَمَاشِيًا وَسَامِعًا كَمَا تَقَعُ الصِّفَةُ مَصْدَرًا كَقَوْلِهِمْ: (قُمْ قَائِمًا أَي: قِيَامًا)<sup>(٦)</sup>، وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ:

(عَلَى [قِسْمٍ]<sup>(٧)</sup> لَا أَشْتُمُ الدَّهْرَ مُسْلِمًا وَلَا خَارِجًا مِنْ فِي [سَوْءٍ]<sup>(٨)</sup> كَلَامٍ)<sup>(٩)</sup>.

أَي: وَلَا يَخْرُجُ خُرُوجًا مِنْ فِي زُورٍ كَلَامٍ، وَجُمْلَةٌ ﴿لَا نُفَرِّقُ﴾ حَالٍ مِنْ فَاعِلٍ ﴿أَمْنَا﴾، وَكَذَا جُمْلَةٌ ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾، وَلَهُ مُتَعَلِّقٌ بِمُسْلِمُونَ قُدِّمَ عَلَيْهِ؛ لِلْإِلَهَامِ أَوْ الْحَضَرِ، وَ﴿مِنْهُمْ﴾ صِفَةٌ ﴿أَحَدٍ﴾، وَالْهَاءُ فِي لَهُ عَائِدٌ إِلَى أَحَدٍ أَوْ إِلَى اللَّهِ.

(١) سورة يوسف: الآية ١٠٩، سورة الحج: الآية ٤٦، سورة غافر: الآية ٨٢، سورة محمد: الآية ١٠.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٦٢.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٦٤.

(٤) الكتاب: سيبويه: ٣٧٠/١.

(٥) المصدر نفسه: ٣٧٠/١.

(٦) لسان العرب: ابن منظور: ٣٥٦/٦.

(٧) في الأصل: حِلْفَةٌ.

(٨) في الأصل: زُورٌ.

(٩) ديوان الفرزدق: الفرزدق: ٥٣٩.



## النزول:

فِي الْمَجْمَعِ وَالْكَشَافِ "عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: اخْتَصَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِيمَا اخْتَلَفُوا بَيْنَهُمْ مِنْ دِينِ إِبْرَاهِيمَ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ ادَّعَا أَنَّهُمْ أَوْلَى بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: كِلَا الْفَرِيقَيْنِ بَرِيءٌ مِنْ دِينِ إِبْرَاهِيمَ، فَغَضِبُوا، وَقَالُوا: مَا نَرْضَى بِقَضَائِكَ، وَلَا نَأْخُذُ بِدِينِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَفَعَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْعُونَ﴾ الآية" (١).

## المعنى:

لَمَّا بَيَّنَّ سُبْحَانَهُ بَطْلَانَ زَلَّةِ دِينِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَسَائِرِ الْمِلَلِ الَّتِي هِيَ الْآئِلَةُ إِلَى الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٢)، عَقَبَهُ بِذِكْرِ أَنَّ مَنْ يَطْلُبُ غَيْرَ الْإِسْلَامِ الْخَاصِّ دِينًا فَهُوَ ضَالٌّ لَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ، بَلْ لَا يَجُوزُ الْقَبُولُ مِنْهُ فَقَالَ: ﴿أَفَعَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْعُونَ﴾، أَي: أَيَتَوَلَّوْنَ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَاتِ الْوَاضِحَةِ وَالْحُجَجِ اللَّاحِظَةِ وَيُفْسُقُونَ فَيَطْلُبُونَ غَيْرَ دِينِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ الْإِسْلَامُ دِينًا.

﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ أَي: وَالْحَالُ أَنَّهُ اسْتَسْلَمَ وَأَنْقَادَ وَأَقَرَّ بِالْعُبُودِيَّةِ لَهُ سُبْحَانَهُ لَا لِعَيْرِهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أَنْفُسَهُمَا وَمَنْ فِيهِمَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّقْلِينَ (٣) جَمِيعًا عِنْدَ الْمِيثَاقِ، وَبَعْدَهُ مُخْتَارِينَ طَائِعِينَ بِالنَّظَرِ وَاتِّبَاعِ الْحُجَّةِ وَمَا رُكِّبَ فِي عُقُولِهِمْ مِنَ الدُّعَاءِ إِلَى الْإِقْرَارِ بِالرُّبُوبِيَّةِ كَالْمَلَائِكَةِ قَاطِبَةً، وَالْمُؤْمِنِينَ مِنَ النَّقْلِينَ، وَكَارِهِينَ مُسَخَّرِينَ بِالسَّيْفِ وَبِمُعَايِنَةِ مَا يُلْجِبُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ كَنَتَقِي الْجَبَلَ فَوْقَ الْيَهُودِ ﴿كَأَنَّهُ ظَلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ (٤)، كَمَا فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ، وَإِذْ ذَاكَ الْعَرَقِ فِرْعَوْنَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ (٥)، وَكَمَا الْإِشْرَافَ عَلَى الْمَوْتِ كَالْكَفْرَةِ وَالْمُنَافِقِينَ مِنَ النَّقْلِينَ فَإِنَّهُمْ لَا يَمْتَنِعُونَ عَمَّا قَضَى عَلَيْهِمْ فَأَهْلُ السَّمَاوَاتِ مُسْلِمُونَ لَهُ سُبْحَانَهُ، مُطِيعُونَ مُخْتَارِينَ، وَأَمَّا أَهْلُ الْأَرْضِ مِنَ النَّقْلِينَ فَمِنْهُمْ مُسْلِمُونَ لَهُ سُبْحَانَهُ مُطِيعُونَ بِالِاخْتِيَارِ وَالطَّوْعِ، وَمِنْهُمْ مُسْلِمُونَ لَهُ

(١) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٣٦/٢، الكشاف: الزمخشري: ٣٨٠/١، مع اختلاف يسير عما جاء في المجمع .

(٢) سورة آل عمران: الآية ٦٧ .

(٣) ومنه في حاشية الأصل: أي: الإنس والجن .

(٤) سورة الأعراف: الآية ١٧١ .

(٥) سورة غافر: الآية ٨٤ .



بِالْكَرْهِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي زَمَانِ الْقَائِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا رَوَاهُ الْعِيَّاشِيُّ عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ نَزَلَ فِي الْقَائِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ<sup>(١)</sup>.

وَفِي كِتَابِ التَّوْحِيدِ وَالْعِيَّاشِيِّ عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعْنَى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، "هُوَ تَوْحِيدُهُمْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ"<sup>(٢)</sup> الْحَدِيثُ، وَكَذَا انْقَادَ لَهُ سُبْحَانَهُ جَمِيعُ مَا فِي الْأَرْضِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ قَاطِبَةً وَالْأَشْجَارِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾<sup>(٤)</sup> الْآيَاتِ.

﴿وَالْيَهُ يَرْجِعُونَ﴾، أَي: وَالِي ثَوَابِهِ وَجَزَائِهِ سُبْحَانَهُ لَا إِلَى غَيْرِهِ تَصِيرُونَ، فَبَادِرُوا إِلَى دِينِهِ الَّذِي هُوَ الْإِسْلَامُ، فَلَا تُخَالِفُوهُ، فَعَلَى قِرَاءَةِ يَرْجِعُونَ بِالْيَاءِ التَّحْنَانِيَّةِ يَكُونُ وَאו الضَّمِيرِ فِي يَرْجِعُونَ رَاجِعًا إِلَى مَنْ؛ بِاعْتِبَارِ الْمَعْنَى، وَالْبَاقِي [١٢٣] وَاضِحٌ.

وَفِي تَفْسِيرِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ (ثُمَّ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْعُونَ﴾، قَالَ: أَعْيَرَ هَذَا الَّذِي قُلْتُ لَكُمْ أَنْ تُقْرُوا بِمُحَمَّدٍ وَوَصِيهِ<sup>(٥)</sup>.

وَفِي تَفْسِيرِ الْعِيَّاشِيِّ "عَنْ عَمَّارِ بْنِ أَبِي الْأَحْوَصِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ فِي مُبْتَدَى الْخَلْقِ بَحْرَيْنِ، أَحَدُهُمَا عَذْبُ فُرَاتٍ، وَالْآخَرُ مِلْحٌ أُجَاجٌ ثُمَّ خَلَقَ تُرْبَةَ [آدَمَ]<sup>(٦)</sup> مِنَ الْبَحْرِ الْعَذْبِ الْفُرَاتِ، ثُمَّ أَجْرَاهُ عَلَى الْبَحْرِ الْأُجَاجِ، فَجَعَلَهُ حَمًا مَسْنُونًا وَهُوَ خَلَقَ آدَمَ، ثُمَّ قَبَضَ قَبْضَةً مِنْ كَتِفِ آدَمَ الْأَيْمَنِ فَدَرَّهَا فِي صُلْبِ آدَمَ، فَقَالَ: هُوَلَاءِ فِي الْجَنَّةِ وَلَا أَبَالِي"<sup>(٧)</sup>، إِلَى قَوْلِهِ: "فَاحْتَجَّ يَوْمَئِذٍ أَصْحَابُ الشِّمَالِ، وَهُمْ ذُرٌّ عَلَى خَالِقِهِمْ، فَقَالُوا: يَا رَبَّنَا لِمَ أَوْجَبْتَ لَنَا النَّارَ وَأَنْتَ الْحَكَمُ الْعَدْلُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَحْتَجَّ عَلَيْنَا، وَتَبْلُونَا بِالرُّسُلِ وَتَعَلَّمَ طَاعَتَنَا

(١) ينظر: تفسير العيَّاشي: العيَّاشي: ١٨٣/١.

(٢) ينظر: التَّوْحِيدِ: الصَّدُوقُ: ٤٦، تفسير العيَّاشي: العيَّاشي: ١٨٣/١.

(٣) سورة فصلت: الآية ١١ .

(٤) سورة النحل: الآية ٤٨ .

(٥) تفسير القمي: علي بن إبراهيم: ١٠٧/١ .

(٦) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٧) تفسير العيَّاشي: العيَّاشي: ١٨٢/١.

لَكَ وَمَعْصِيَتَنَا فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: <sup>(١)</sup> "لِمَالِكِ خَازِنِ النَّارِ أَنْ مَرِ النَّارِ تَشْهَقُ ثُمَّ تُخْرَجُ عَنْهَا مِنْهَا، فَخَرَجَتْ لَهُمْ، ثُمَّ قَالَ اللَّهُ لَهُمْ ادْخُلُوهَا طَائِعِينَ، فَقَالُوا: لَا نَدْخُلُهَا طَائِعِينَ، ثُمَّ قَالَ: ادْخُلُوهَا طَائِعِينَ أَوْ لَأَعَذِّبَنَّكُمْ بِهَا كَارِهِينَ، قَالُوا: إِنَّمَا هَرَبْنَا إِلَيْكَ مِنْهَا، وَحَاجَجْنَاكَ فِيهَا حَيْثُ أَوْجَبْتَهَا عَلَيْنَا، وَصَيَّرْتَنَا مِنْ أَصْحَابِ الشِّمَالِ فَكَيْفَ نَدْخُلُهَا طَائِعِينَ وَلَكِنْ أَبْدَأُ بِأَصْحَابِ الْيَمِينِ فِي دُخُولِهَا؛ كَيْ تَكُونَ قَدْ عَدَلْتَ فِيْنَا وَفِيهِمْ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَأَمَرَ أَصْحَابَ الْيَمِينِ وَهُمْ ذُرٌّ [بَيْنَ] <sup>(٢)</sup> فَقَالَ تَعَالَى: ادْخُلُوا هَذِهِ النَّارَ طَائِعِينَ، قَالَ: فَطَفَفُوا يَتَبَادَرُونَ فِي دُخُولِهَا فَوَلَجُوا فِيهَا جَمِيعاً، فَصَيَّرَهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ بَرْداً وَسَلَاماً، ثُمَّ أَخْرَجَهُمْ مِنْهَا، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَادَى فِي أَصْحَابِ الْيَمِينِ وَأَصْحَابِ الشِّمَالِ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ فَقَالَ أَصْحَابُ الْيَمِينِ: بَلَى يَا رَبَّنَا نَحْنُ بِرَبِّتِكَ وَخَلْقِكَ مُقَرَّبِينَ طَائِعِينَ، وَقَالَ أَصْحَابُ الشِّمَالِ: بَلَى يَا رَبَّنَا نَحْنُ بِرَبِّتِكَ وَخَلْقِكَ كَارِهِينَ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ <sup>(٣)</sup>، "عَنْ صَالِحِ بْنِ مَيْمَنٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾، قَالَ: ذَلِكَ حِينَ يَقُولُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِهَذِهِ الْآيَةِ ﴿وَأَفْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدّاً عَلَيْهِ حَقّاً وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿كَادِبِينَ﴾ <sup>(٤)</sup> <sup>(٥)</sup>، "عَنْ رِفَاعَةَ بْنِ مُوسَى قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾ قَالَ: إِذَا قَامَ الْقَائِمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَبْقَى أَرْضٌ إِلَّا نُودِيَ فِيهَا بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ <sup>(٦)</sup>، "عَنْ ابْنِ بُكَيْرٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾ قَالَ: أُنزِلَتْ فِي الْقَائِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا خَرَجَ بِالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ وَالزَّنَادِقَةَ وَأَهْلِ الرَّدَّةِ وَالْكَفَّارِ فِي شَرْقِ الْأَرْضِ وَعَرْبِهَا، فَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ، فَمَنْ أَسْلَمَ طَوْعاً أَمَرَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَمَا يُؤْمَرُ بِهِ الْمُسْلِمُ وَيَجِبُ لِلَّهِ عَلَيْهِ، وَمَنْ لَمْ يُسَلِّمْ ضَرَبَ عُنُقَهُ حَتَّى لَا يَبْقَى فِي الْمَشَارِقِ

(١) تفسير العياشي: العياشي: ١٨٢/١ .

(٢) في المصدر: بَيْنَ يَدَيْهِ .

(٣) تفسير العياشي: العياشي: ١٨٢/١ - ١٨٣ .

(٤) سورة النحل: الآية ٣٨ - ٣٩ .

(٥) تفسير العياشي: العياشي: ١٨٣/١ .

(٦) المصدر نفسه: ١٨٣/١ .

وَالْمَعَارِبِ أَحَدٌ إِلَّا وَحَدَّ اللَّهُ، قُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنَّ الْخَلْقَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَرَادَ أَمْرًا قَلَّ الْكَثِيرَ وَكَثُرَ الْقَلِيلُ" (١).

ذكر كون هذه الآية للدابة المستصعبة:

وَفِي أَصُولِ الْكَافِي "مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنِ السَّيَّارِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ بَكْرِ، عَنْ أَبِي الْجَارُودِ، عَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْحَقِّ وَأَكْرَمَ أَهْلَ بَيْتِهِ مَا مِنْ شَيْءٍ تَطْلُبُونَهُ مِنْ حِرْزٍ مِنْ حَرَقٍ أَوْ غَرَقٍ أَوْ سَرَقٍ أَوْ إِفْلَاتٍ دَابَّةٍ مِنْ صَاحِبِهَا أَوْ ضَالَّةٍ أَوْ أَبَقٍ إِلَّا وَهُوَ فِي الْقُرْآنِ، فَمَنْ أَرَادَ ذَلِكَ فَلْيَسْأَلْنِي عَنْهُ، قَالَ: فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ دَابَّتِي اسْتَضَعَبَتْ عَلَيَّ وَأَنَا مِنْهَا عَلَى وَجَلٍ، فَقَالَ: اقْرَأْ فِي أُذُنِهَا الْيُمْنَى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾، فَقَرَأَهَا فَذَلَّتْ لَهُ دَابَّتُهُ" (٢) الْحَدِيثُ طَوِيلٌ أَخَذْنَا مِنْهُ مَوْضِعَ الْحَاجَةِ، وَنَذَكُرُ الْبَاقِيَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ مَا يَخُصُّهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ وَالتَّوْبَةِ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ وَالتَّوْرِ وَالتَّوْرِ وَغَيْرِهَا وَفِيهِ أَيْضًا "أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنِ ابْنِ رَبَابٍ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ أَحَدِهِمَا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قَالَ: أَيُّمَا دَابَّةٍ اسْتَضَعَبَتْ عَلَى صَاحِبِهَا مِنْ لِحَامٍ وَنِفَارٍ فَلْيَقْرَأْ فِي أُذُنِهَا أَوْ عَلَيَّهَا: ﴿أَفْغَيْرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾" (٣).

ذكر كون هذه الآية للأمن في المواضع المستصعبة:

وَفِي أَمَالِي شَيْخِ الطَّائِفَةِ قُدَسَ سِرُّهُ بِإِسْنَادِهِ إِلَى الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ لَهُ أَشْجَعُ السُّلْمِيِّ: "وَأَنَا كَثِيرُ الْأَسْفَارِ، وَأَحْصُلُ فِي الْمَوَاضِعِ الْمُفْزَعَةِ، فَتُعَلِّمُنِي مَا آمَنُ بِهِ عَلَى نَفْسِي، قَالَ: فَإِذَا خِفْتَ أَمْرًا فَانْزُكْ يَمِينَكَ عَلَى أُمِّ رَأْسِكَ وَاقْرَأْ بِرَفِيعِ صَوْتِكَ ﴿أَفْغَيْرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ"، قَالَ الْأَشْجَعُ: فَحَصَلْتُ فِي وَادٍ تَعَبْتُ فِيهِ الْحِنْ فَسَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ: خُدُوهُ، فَقَرَأْتُهَا فَقَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ نَأْخُذُهُ وَقَدْ احْتَجَرَ بِأَيَّةِ طَيْبَةٍ" (٤).

(١) تفسير العياشي: العياشي: ١٨٣/١ - ١٨٤ .

(٢) الكافي: الكليني: ٦٢٤/٢ - ٦٢٥/٢ ح ٢١، باب فضل القرآن.

(٣) المصدر نفسه: ٥٣٩/٦ - ٥٤٠/٥ ح ١٤، باب نوادر في الدواب.

(٤) الأمالي: الطوسي: ٢٨١ - ٢٨٢/٢ ح ٥٤٦ .

وَفِي الْفَقِيهِ فِي وَصِيَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا عَلِيُّ مَنْ اسْتَضَعَبَتْ عَلَيْهِ دَابَّتُهُ فَلْيُقْرَأْ فِي أذُنِهَا [الْيُمْنَى] (١): [١٢٤] ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾، (خِطَابٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَأَمْرٌ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنْ يُخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ [وَعَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ] (٣) وَعَنْ مُتَابِعِيهِ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ) (٤)، وَبِكُتُبِهِ الْمُنزَلَةِ عَلَيْهِ وَعَلَى الرُّسُلِ، فَلِذَلِكَ وَحَدَّ الضَّمِيرَ فِي ﴿قُلْ﴾، وَجَمَعَ فِي ﴿آمَنَّا﴾، وَ﴿عَلَيْنَا﴾؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ كَمَا أُنزِلَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أُنزِلَ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَمُتَابِعِيهِ (بِتَوْسِطِ تَبْلِيغِهِ إِلَيْهِمْ، وَأَيْضًا الْمُنْسُوبِ إِلَى وَاحِدٍ مِنَ الْجَمْعِ مَنْسُوبٌ إِلَيْهِمْ) (٥)، وَإِنَّمَا قَدَّمَ الْمُنزَلَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى الْمُنزَلِ عَلَى سَائِرِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ لِأَنَّهُ الْمُعْرَفُ لَهُ وَالْعِيَارُ عَلَيْهِ) (٦)، وَالْإِنْزَالُ تَارَةً يُعَدَّى بِإِلَى؛ لِأَنَّهُ يَنْتَهِي إِلَى الرُّسُلِ وَالْأُمَّةِ كَمَا فِي آيَةِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٧)، وَتَارَةً يُعَدَّى بِعَلَى كَمَا فِي الْآيَةِ الَّتِي نَحْنُ فِيهَا؛ لِأَنَّهُ يُنزَلُ مِنْ فَوْقَ عَلَى الرُّسُلِ وَالْأُمَّمِ وَيَنْتَهِي إِلَى الرُّسُلِ وَالْأُمَّمِ مِنْ غَيْرِ تَفْرِيقَةٍ بَيْنَ الرُّسُلِ وَالْمُؤْمِنِينَ، فَجَاءَ تَارَةً بِأَحَدِ الْمَعْنِيِّينَ فَعَدَّاهُ بِإِلَى، وَتَارَةً بِالْآخِرِ فَعَدَّاهُ بِعَلَى، فَمَنْ قَالَ إِنَّمَا قِيلَ هُنَا عَلَيْنَا لِقَوْلِهِ: ﴿قُلْ﴾، وَفِي آيَةِ الْبَقَرَةِ إِلَيْنَا بِقَوْلِهِ: ﴿قُولُوا﴾ تَفْرِيقَةً بَيْنَ الرُّسُولِ وَالْمُؤْمِنِينَ؛ لِأَنَّ الرُّسُولَ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ عَلَى سَبِيلِ الاسْتِعْلَاءِ، وَيَأْتِي الْمُؤْمِنِينَ عَلَى وَجْهِ الْإِنْتِهَاءِ، فَقَدْ ارْتَكَبَ التَّعَسُّفَ؛ أَلَّا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ (٨)، وَلَا قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ (٩)، وَإِلَى

(١) في الأصل: الأيمن، وما أثبت من المصدر الصواب .

(٢) من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ٥٧٦٢/٣٧١/٤.

(٣) ما بين المعقوفين ليس من المصدر.

(٤) زبدة التفاسير: فتح الله الكاشاني: ٥١٨/١ .

(٥) أنوار التنزيل: البيضاوي: ٢٦/٢ .

(٦) المصدر نفسه: ٢٦/٢ .

(٧) سورة البقرة: الآية ١٣٦ .

(٨) سورة البقرة: الآية ٤ .

(٩) سورة المائدة: الآية ٤٨ .

قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ﴾<sup>(١)</sup> الآية، وَقَدْ مَرَّ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ فِي رُؤَايَةِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ وَقَدْ مَرَّ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ أَيْضاً أَنَّ الْمُخَاطَبِينَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُولُوا آمَنَّا﴾ الْآيَةِ مُحَمَّدٌ وَالْمُحَمَّدِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، قَوْلُهُ: ﴿لَا نَفَرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾، مَعْنَاهُ: وَالْحَالُ أَنَّا لَا نَفَرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنَ الرُّسُلِ الْمَذْكُورِينَ وَغَيْرِ الْمَذْكُورِينَ بِتَضَدِّقِ بَعْضِهِمْ وَتَكْذِيبِ بَعْضِهِمْ، وَبِتَضَدِّقِ مَا أُنزِلَ عَلَى بَعْضِهِمْ وَتَكْذِيبِ مَا أُنزِلَ عَلَى بَعْضٍ كَمَا فَعَلَ أَهْلُ الْكِتَابِ بِقَوْلِهِمْ كَمَا حَكَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ: ﴿نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾<sup>(٢)</sup>، بَلْ نَحْنُ نُؤْمِنُ بِهِمْ جَمِيعاً وَبِمَا أُنزِلَ عَلَيْهِمْ لَا نَفَرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، وَلَا بَيْنَ مَا أُنزِلَ عَلَيْهِمْ فِي الْإِيمَانِ بِهِمْ جَمِيعاً، وَبِمَا أُنزِلَ عَلَيْهِمْ كَمَا مَرَّ فِي آخِرِ الْبَقَرَةِ وَلَكِنَّا بَعْدَ الْإِيمَانِ بِهِمْ جَمِيعاً وَالْإِيمَانِ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْهِمْ أَجْمَعٍ، نَفَرِقُ بَيْنَهُمْ فِي مَرَاتِبِ الْفَضِيلَةِ وَالذَّرَجَاتِ الْعَلِيَّةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾<sup>(٣)</sup> كَمَا مَرَّ بَيَانُهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَكَذَا فِيمَا أُنزِلَ عَلَيْهِمْ.

﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾، أَي: وَالْحَالُ أَنَّا مُوَحِّدُونَ مُخْلِصُونَ أَنْفُسَنَا وَعِبَادَتَنَا لَهُ سُبْحَانَهُ، لَا نَجْعَلُ لَهُ شَرِيكاً فِي خَلْقِنَا وَعِبَادَتِنَا، أَوْ نَحْنُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مُسْلِمُونَ مُنْقَادُونَ مُطِيعُونَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾<sup>(٤)</sup> الْآيَةَ.

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ﴾، أَي: وَمَنْ يَطْلُبُ غَيْرَ التَّوْحِيدِ لِلَّهِ، وَغَيْرَ الْإِنْقِيَادِ لِحُكْمِهِ، وَغَيْرَ التَّضَدِّقِ وَالطَّوْعِ الْقَلْبِيِّ لَهُ تَعَالَى وَإِسْلَامِ الْوَجْهِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَالْإِسْتِسْلَامِ لِمَنْ افْتَرَضَ اللَّهُ طَاعَتَهُ، وَالْاعْتِرَافِ بِمَا جَاءَ بِهِ رُسُلُهُ وَكُتُبُهُ، ﴿دِينًا﴾ يَدِينُ بِهِ، ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾، بَلْ يُعَاقَبُ عَلَيْهِ، وَلَا يُقَرَّرُ صَاحِبُهُ عَلَيْهِ إِذَا انْتَقَلَ مِنْ دِينِهِ إِلَى دِينٍ آخَرَ غَيْرِ الْإِسْلَامِ، ﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، أَي: الْهَالِكِينَ الدَّاهِيَةَ رُؤُوسَ أَمْوَالِهِمْ، الْوَاقِعِينَ فِي الْخُسْرَانِ مُطْلَقاً مِنْ غَيْرِ تَقْيِيدِ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ، وَإِنَّمَا فَسَّرْنَا بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْخَاسِرَ إِذَا حُمِلَ عَلَى ظَاهِرِهِ يَقْتَضِي مَفْعُولاً كَمَا فِي خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ أَوْ أَحَدَهُمَا، أَوْ تِجَارَتُهُ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، فَلَمَّا لَمْ يَذَكَرِ الْمَفْعُولَ فِي الْآيَةِ جُعِلَ بِمَعْنَى الْوَاقِعِ فِي الْخُسْرَانِ وَنَظِيرُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾<sup>(٥)</sup>،

(١) سورة آل عمران: الآية ٧٢ .

(٢) سورة النساء: الآية ١٥٠ .

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٥٣ .

(٤) سورة النساء: الآية ٥٩، سورة النور: الآية ٥٤، سورة محمد: الآية ٣٣ .

(٥) سورة الأحقاف: الآية ١٥ .

أَيُّ: أَوْجِدِ الصَّلَاحَ وَأَوْقِعْهُ فِيهِمْ، وَقَوْلُهُمْ: (فَلَانَ يُعْطِي وَيَمْنَعُ وَيَصِلُ وَيَقْطَعُ)<sup>(١)</sup>، وَقَوْلُ ذِي الرِّمَّةِ:

(وَإِنْ تَعْتَذِرَ بِالْمَحَلِّ مِنْ ذِي ضُرُوعِهَا إِلَى الصَّيْفِ يَجْرَحُ فِي عِرَاقِيبِهَا)<sup>(٢)</sup> نَضَلِي<sup>(٣)</sup>.  
وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْمُعْرِضَ عَنِ الدِّينِ الْحَقِّ الَّذِي هُوَ الْإِسْلَامُ، الطَّالِبَ لِغَيْرِهِ ذَاهِبٌ رَأْسَ مَالِهِ بِالْكُلِّيَّةِ (فَاقْدُ لِلنَّفْعِ، وَقَعَ فِي الْخُسْرَانِ بِإِبْطَالِ الْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ الَّتِي فُطِرَ النَّاسُ عَلَيْهَا)<sup>(٤)</sup>؛ لِأَنَّ الْفِطْرَةَ هِيَ الْعُقْلُ السَّلِيمُ قَبْلَ التَّعَلُّقِ بِالْحَوَاسِّ، وَهِيَ الْإِنْفِيَادُ لِصَانِعِهِ، وَالطُّوعُ لَهُ وَعَدَمُ الْعُقْلَةِ عَنْهُ، وَرُبَّمَا يَفْسُدُ بَعْدَ التَّعَلُّقِ بِالْحَوَاسِّ، وَالتُّبْعُ عَنِ الرُّوحَانِيَّةِ؛ بِالِاشْتِعَالِ بِالشَّهَوَاتِ الْحَسِيَّةِ وَلَوَازِمِهَا، وَفِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ "أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ، وَمَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ وَدَعْوَةٍ مُتَلَفِّفِيَةٍ، أَظْهَرَ بِهِ الشَّرَائِعَ الْمَجْهُولَةَ، [وَقَمَعَ]<sup>(٥)</sup> بِهِ الْبِدَعَ الْمَذْخُولَةَ، وَبَيَّنَّ بِهِ الْأَحْكَامَ الْمَفْصُولَةَ، فَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا تَتَحَقَّقُ شِقْوَتُهُ، وَتَنْقَصِمُ عُرْوَتُهُ، وَتَعْظُمُ كِبْوَتُهُ، وَيَكُنْ مَأْبَهُ إِلَى الْحُزَنِ الطَّوِيلِ وَالْعَذَابِ الْوَبِيلِ"<sup>(٦)</sup>.

### تَنْبِيهُ:

إِعْلَمَنَّ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْإِسْلَامِ هُنَا هُوَ الْإِسْلَامُ وَالْمَذْكَورُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾<sup>(٧)</sup>، وَهُوَ عَيْنُ الْإِيمَانِ بَلْ أَقْوَى مَرَاتِبِهِ وَأَكْمَلُهَا، وَهُوَ الْإِسْلَامُ الَّذِي طَلَبَهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ اللَّهِ لِنَفْسِهِ وَلِدَرْيَتِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: [١٢٥] ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ دُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾<sup>(٨)</sup>، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(٩)</sup>، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَلَّةً أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(١٠)</sup>، وَفِي قَوْلِهِ

(١) الإيضاح: الخطيب القزويني: ١٠٧ .

(٢) العرْقُوبُ: (العَصْبُ الغَلِيظُ، الْمُوتَّرُ، فَوْقَ عَقَبِ الْإِنْسَانِ، وَعُرْقُوبُ الدَّابَّةِ فِي رِجْلِهَا، بِمَنْزِلَةِ الرُّكْبَةِ فِي يَدِهَا)، لِسَانِ الْعَرَبِ: ابْنُ مَنْظُورٍ: ٥٩٤/١، مَادَّةُ عَرَقَبِ.

(٣) دِيوَانُ ذِي الرِّمَّةِ: ذُو الرِّمَّةِ: ١٥٦/١ .

(٤) أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ: الْبِيضَاوِي: ٢٦/٢ .

(٥) فِي الْأَصْلِ: دَفَعَ، وَمَا أُثْبِتَ مِنَ الْمَصْدَرِ الصَّوَابِ .

(٦) نَهْجُ الْبَلَاغَةِ: خَطْبُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (ع): ٢٣٠ .

(٧) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ ١٩ .

(٨) سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ ١٢٨ .

(٩) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ ٦٧ .

(١٠) سُورَةُ الْحَجِّ: الْآيَةُ ٧٨ .



تعالى: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ، فَإِنَّهُ مِنَ "التَّسْلِيمِ، وَالتَّسْلِيمِ هُوَ الْيَقِينُ، وَالْيَقِينُ هُوَ التَّصَدِيقُ، وَالتَّصَدِيقُ هُوَ الْإِقْرَارُ، وَالْإِقْرَارُ هُوَ الْأَدَاءُ، الْأَدَاءُ هُوَ الْعَمَلُ"<sup>(٢)</sup> إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ الَّذِي مَرَّ فِي آيَةِ ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾<sup>(٣)</sup> عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ بِدَلَالَةِ الْحَصْرِ الْمَفْهُومِ مِنْ تَعْرِيفِ الْخَبَرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾، وَأَنْحِصَارِ الْمُبْتَدَأِ فِيهِ كَمَا بَيَّنَّ فِي مَوْضِعِهِ، فَيُعْلَمُ مِنَ الْآيَاتِ الْمَذْكُورَةِ وَنَحْوِهَا، وَالْحَدِيثِ الْمَذْكُورِ وَالْأَحَادِيثِ الْمَذْكُورَةِ فِي بَابِ دَعَائِمِ الْإِسْلَامِ فِي أَصُولِ الْكَافِي إِنَّ الْإِسْلَامَ هُنَا عَيْنُ الْإِيمَانِ، بَلْ أَكْمَلُ أَفْرَادِهِ وَأَعْلَاهَا؛ بِقَرِينَةِ الْأَنْحِصَارَاتِ الْوَاقِعَةِ فِيهِ؛ لِأَنَّ لِلْإِيمَانِ مَرَاتِبَ وَدَرَجَاتٍ وَطَبَقَاتٍ كَمَا وَقَعَ فِي الْأَخْبَارِ الصَّحِيحَةِ، وَلِذَا قَالَ السَّيِّدُ الْمُرْتَضَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (وَالْإِيمَانُ تَسْتَحِيلُ مُغَايِرَتُهُ لِلْإِسْلَامِ، فَمَنْ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ لَيْسَ بِمُسْلِمٍ)<sup>(٤)</sup>، وَاسْتَدَلَّ فِي ذَلِكَ بِآيَةِ ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾، وَبِهَذِهِ الْآيَةِ أَعْنِي قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾، وَكَذَا ابْنُ إِدْرِيسٍ قُدَّسَ سِرُّهُ<sup>(٥)</sup> وَغَيْرُهُمَا مِنْ عُلَمَائِنَا رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ<sup>(٦)</sup>، وَقَالَ فِي الْمَجْمَعِ: (فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الدِّينَ وَالْإِسْلَامَ وَالْإِيمَانَ وَاحِدٌ، وَهِيَ عِبَارَاتٌ عَنْ مُعَبَّرٍ وَاحِدٍ)<sup>(٧)</sup> انْتَهَى.

وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِالْإِسْلَامِ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا، وَفِي آيَةِ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾، وَفِي آيَةِ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا﴾ الْآيَةِ، إِسْلَامَ الْأَعْرَابِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾<sup>(٨)</sup>، فَإِنَّهُ مَأْخُودٌ مِنَ الْمُسَالَمَةِ وَالسَّلَامِ بِمَعْنَى الْمُسَالَحَةِ وَالْمُهَادَنَةِ، لَا مِنَ التَّسْلِيمِ وَالْيَقِينِ إلخ، وَإِطْلَاقُ الْإِسْلَامِ عَلَيْهِ مَجَازٌ .

وَقَالَ الرَّمَّحْشَرِيُّ فِي سُورَةِ الْحُجْرَاتِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾، الْإِسْلَامَ هُنَا بِمَعْنَى (الدُّخُولُ فِي السَّلَامِ، وَالْخُرُوجُ مِنْ أَنْ يَكُونَ حَرْبًا لِلْمُؤْمِنِينَ)<sup>(٩)</sup> انْتَهَى.

(١) سورة البقرة: الآية ١٣٢ .

(٢) خصائص الأئمة: الشريف الرضي: ١٠٠ .

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٨ .

(٤) إيضاح الفوائد: ابن العلامة: ٢٧/١، لم نجد هذا القول عند السيّد المرتضى، وإنما أشير له في إيضاح الفوائد .

(٥) ينظر: السرائر: ابن إدريس الحلّي: ٣٥٦/١ .

(٦) ينظر: من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ٨/١ .

(٧) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٣٧/٢ .

(٨) سورة الحجرات: الآية ١٤ .

(٩) الكشاف: الزمخشري: ٥٦٩/٣ .



وَمَنْ لَمْ يَفْرَقْ بَيْنَ الْإِسْلَامِينَ، وَاعْتَرَضَ عَلَى السَّيِّدِ الْمُرْتَضَى وَابْنِ إِدْرِيسٍ وَغَيْرِهِمَا مِنْ الْعُلَمَاءِ الْأَعْلَامِ وَالسَّادَاتِ الْأَفَاضِلِ الْعِظَامِ فَقَدْ رَكِبَ مَتْنٌ عَمِيَاءٌ، وَخَبَطَ خَبْطَ عَشَوَاءٍ<sup>(١)</sup>، وَقَالَ مَا هُوَ افْتِرَاءٌ وَهَرَاءٌ، وَقَدْ ذَكَرْنَا ذَلِكَ مُدَلِّلاً مُفَصَّلاً فِي رِسَالَةٍ أُخْرَى فِي كُفْرِ النَّوَاصِبِ وَنَجَاسَتِهِمْ، وَمَنْ أَرَادَ الْإِطْلَاعَ عَلَيْهِ فَلْيَرْجِعْ إِلَيْهِ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ \* أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ \* خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ \* إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup> أربع آيات .

اللغة:

الْخُلُودُ: طُولُ الْمَكْتِ، يُقَالُ: خَلَدَ فُلَانٌ فِي السَّجَنِ يَخُودُ كَنَصَرَ يَنْصُرُ، وَيُقَالُ: لِلْأَثَافِيِّ حَوْلِدٌ مَا دَامَتْ فِي مَوْضِعِهَا فَإِذَا زَالَتْ لَا تُسَمَّى حَوْلِدًا، وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْخُلُودِ وَالذَّوَامِ أَنَّ الْخُلُودَ يَنْقُضِي طُولَ الْمَكْتِ وَلَا يَنْقُضِي الذَّوَامَ ذَلِكَ، وَلِذَلِكَ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى بِالذَّوَامِ لَا بِالْخُلُودِ، إِلَّا أَنَّ الْمُرَادَ بِخُلُودِ الْكُفَّارِ فِي النَّارِ التَّأْيِيدُ<sup>(٤)</sup>، (بِلَا خِلَافٍ بَيْنَ الْأُمَّةِ، وَالْإِنْظَارُ التَّأخِيرُ لِلْعَبْدِ؛ لِيُنظَرَ فِي أَمْرِهِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْإِمْهَالِ [أَنَّ الْإِمْهَالَ]<sup>(٥)</sup> تَأخِيرُهُ؛ لِتَسْهِيلِ مَا يَتَكَلَّفُهُ مِنْ عَمَلِهِ)<sup>(٦)</sup> نَصَّ عَلَى ذَلِكَ فِي الْمَجْمَعِ.

الإعراب:

﴿كَيْفَ﴾ اسم استفهام متعلق بـ ﴿يَهْدِي﴾، أي: في أي حال يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا، أَوْ مَصْدَرٌ، أي: أي هداية يَهْدِيهِمْ، وَجُمْلَةُ ﴿كَفَرُوا﴾ صِفَةٌ ﴿قَوْمًا﴾، وَ﴿بَعْدَ﴾ ظَرْفٌ لِكَفَرُوا، وَفِي ﴿وَشَهِدُوا﴾ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا أَنَّهُ عَطْفٌ عَلَى ﴿إِيمَانِهِمْ﴾؛ لِأَنَّهُ بِمَعْنَى الْفِعْلِ، أي: بَعْدَ أَنْ أَمَّنُوا وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ الْخَ؛ لِأَنَّهُ يَجُوزُ عَطْفُ الْفِعْلِ عَلَى الْاسْمِ الْخَالِصِ مَا ضِيًّا كَانَ ذَلِكَ

(١) خَبَطَ عَشَوَاءً: هُوَ الَّذِي يَتَصَرَّفُ فِي الْأُمُورِ دُونَ بَصِيرَةٍ، حَتَّى شَبَّهَ بِ(النَّاقَةِ الَّتِي فِي بَصَرِهَا ضَعْفٌ، تَخْبِطُ إِذَا مَشَتْ، لَا تَتَوَقَّى شَيْئًا)، الصَّحَاحُ: الْجَوْهَرِيُّ: ١١٢١/٣، مَادَّةُ خَبَطَ .

(٢) الْبِرْهَانُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ: هَاشِمُ الْجِرَانِيُّ: ٦/١ .

(٣) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ ٨٦ - ٨٩ .

(٤) يَنْظُرُ: الْفُرُوقُ لِلْغَوِيَّةِ: الْعَسْكَرِيُّ: ١١٨ .

(٥) فِي الْمَصْدَرِ: هُوَ .

(٦) مَجْمَعُ الْبَيَانِ: الطَّبْرَسِيُّ: ٣٣٨/٢ .

الفِعْلُ أَوْ مُضَارِعًا بِالْوَاوِ وَالْفَاءِ وَتَمَّ بِتَقْدِيرِ أَنْ الْمَضْرِيَّةَ كَقَوْلِهِمْ: أَعْجَبَنِي ضَرْبُهُ وَشَتَمَ، أَيْ: أَنْ ضَرَبَ وَشَتَمَ، وَقَوْلِهِمْ: أَعْجَبَنِي ضَرْبُكَ وَتَشْتِمَ أَوْ تَشْتِمَ أَوْ تَمَّ تَشْتِمَ<sup>(١)</sup>، وَقَوْلِ مَيْسُونُ بِنْتُ بَخْدَلِ الْكَلْبِيَّةِ<sup>(٢)</sup>:

(لُبْسُ عِبَاءَةٍ وَتَقَرَّ عَيْنِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لُبْسِ الشُّفُوفِ)<sup>(٣)</sup>.

حَيْثُ عَطَفَتْ وَتَقَرَّ عَلَى لُبْسٍ وَهُوَ مُبْتَدَأٌ وَتَقَرَّ بِالنَّصْبِ بِأَنَّ الْمُفَدَّرَةَ عَطَفَ عَلَيْهِ، وَخَبَرَهُ أَحَبُّ، وَالتَّقْدِيرُ لِأَنَّ اللَّبْسَ عِبَاءَةٌ وَأَنَّ تَقَرَّ عَيْنِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لُبْسِ الشُّفُوفِ، أَيْ: مِنْ أَنَّ اللَّبْسَ الشُّفُوفِ، وَقَوْلِ الْآخِرِ<sup>(٤)</sup>:

(لَمَّا رَأَيْتُ أَبَا يَزِيدَ مُقَاتِلًا أَدَعَ الْقِتَالَ وَأَشْهَدَ الْهَيْجَاءَ)<sup>(٥)</sup>.

حَيْثُ انْتَصَبَ أَشْهَدَ بَعْدَ الْوَاوِ عَطْفًا عَلَى الْقِتَالِ، وَلَا يَجُوزُ عَطْفُهُ عَلَى أَدَعَ؛ لِفَسَادِ الْمَعْنَى، وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾<sup>(٦)</sup>، حَيْثُ عَطَفَ ﴿أَوْ يُرْسِلَ﴾ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَحْيًا﴾، أَيْ: إِلَّا أَنْ يُوحِيَ إِلَيْهِ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا، ﴿أُولَئِكَ﴾، مُبْتَدَأٌ أَوَّلٌ، وَ﴿جَزَاؤُهُمْ﴾ مُبْتَدَأٌ ثَانٍ، ﴿أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ خَبَرُ الثَّانِي، وَالْجُمْلَةُ خَبَرُ الْأَوَّلِ، وَ﴿إِلَّا الَّذِينَ﴾ مَنْصُوعٌ عَلَى الْاسْتِثْنَاءِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ الْإِخ، وَالْفَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فَاءٌ فَصِيحَةٌ مِثْلُ الْفَاءِ فِي فَانْفَجَرَتْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ﴾<sup>(٧)</sup>، عَلَى مَا مَرَّ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَالتَّقْدِيرُ إِنْ تَابُوا وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ، أَوْ إِنْ تَبَّتْ تَوْبَتُهُمْ وَأَصْلَحُوا، وَثَانِيهِمَا أَنْ تَكُونَ الْوَاوُ فِيهِ لِلْحَالِ [١٢٦] مَعَ إِضْمَارِ قَدْ، فَيَكُونُ حَالًا مِنْ فَاعِلٍ ﴿كَفَرُوا﴾، أَوْ مِنْ الضَّمِيرِ الْمَجْرُورِ فِي ﴿إِيمَانِهِمْ﴾؛ لِكَوْنِهِ مَصْدَرًا مُضَافًا إِلَى الْفَاعِلِ وَهَذَا أَوْلَى مِنْ كَوْنِهِ حَالًا مِنْ فَاعِلٍ ﴿كَفَرُوا﴾.

(١) ينظر: أوضح المسالك: ابن هشام: ٩ .

(٢) هي مَيْسُونُ بِنْتُ بَخْدَلِ بْنِ أَنَيْفِ الْكَلْبِيَّةِ زَوْجَةَ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ أُمِّ يَزِيدَ، توفيت سنة ٧٠ للهجرة، ينظر: الكامل في التاريخ: ابن الأثير: ١٢٤/٣ .

(٣) لسان العرب: ابن منظور: ٤٠٨/١٣ .

(٤) لم نجد الاسم الصريح لقائل هذا البيت سوى (وأشده أبو علي)، ينظر: الانتخاب: علي بن عدلان: ٢٠ .

(٥) المصدر نفسه: ٢٠ .

(٦) سورة البقرة: الآية ٥١ .

(٧) سورة البقرة: الآية ٦٠ .

## النزول:

في المجمع (قيل): نزلت الآيات في رجلٍ من الأنصار، يُقال له: الحارث بن سويد بن الصامت، وكان قتل المحذر بن زياد البلوي غدرًا، وهرب وارتد عن الإسلام، ولحق بمكة ثم ندِم<sup>(١)</sup>، فأرسل إلى قومه أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله: هل لي توبة؟ فسألوا، فنزلت الآيات إلى قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ الخ، فحملها إليه رجلٌ من قومه، فقال: إني لأعلم أنك لصدوق، ورسول الله أصدق منك، وأن الله تعالى أصدق الثلاثة، ورجع إلى المدينة، وتاب، وحسن إسلامه، عن مجاهد والسدي، وهو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام، وقيل: نزلت في أهل الكتاب الذين كانوا يؤمنون بالنبي صلى الله عليه وآله قبل مبعثه، ثم كفروا بعد البعثة؛ حسدًا [وعنادًا]<sup>(٢)</sup> وبغياً، عن الحسن والجبائي وأبي مسلم<sup>(٣)</sup> وغيره انتهى.

وفي الكشاف نزلت في (اليهود كفروا بالنبي صلى الله عليه وآله بعد أن كانوا مؤمنين به صلى الله عليه وآله، وذلك حين عاينوا ما يوجب قوة إيمانهم من البيئات، وقيل: نزلت في رهط كانوا أسلموا ثم رجعوا عن الإسلام ولحقوا بمكة، منهم طعمة ابن أبيرق، ووخوح بن الأسلت، والحرث بن سويد بن الصامت)<sup>(٤)</sup> انتهى.

## المعنى:

لما بين الله سبحانه أن الدين هو الإسلام والإيمان، والإيمان هو الإسلام، وأن الإسلام الذي هو الإيمان بل أكمل أفراديه وأعلاها طريق النجاة في الدارين، وأن من يطلب غير الإسلام دينًا لن يقبل منه حتى يرجع إلى الإسلام، بين حال من خالفه، وارتد عنه، ولم يرجع إليه، من استحقاقه لعنة الله والملائكة والناس، وحلوه في النار، وعدم تخفيف العذاب عنه، وعدم إمهاله ساعة فقال: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾، هذا الاستفهام إما على سبيل الاستبعاد (فإن الحائد عن الحق بعدما وضح له منهنك في الضلال، بعيد عن الرشاد)<sup>(٥)</sup>، يعني كيف يهدي الله قوماً كفروا بالله ورسوله بعد أن آمنوا، وبعد أن شهدوا أن الرسول يعنى - محمداً صلى الله عليه وآله - حق،

(١) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٢) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٣) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٣٨/٢ - ٣٣٩ .

(٤) الكشاف: الزمخشري: ٤٤٢/١ .

(٥) أنوار التنزيل: البيضاوي: ٢٦/٢ .

وَعَرَّفُوهُ بِالْبَيِّنَاتِ وَالْمُعْجَزَاتِ، وَمَا فِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنَ الصِّفَاتِ، كَمَا عَرَّفُوا آبَائَهُمْ، وَبَعْدَ مَا جَاءَتْهُمْ الْمُعْجَزَاتُ وَالشَّوَاهِدُ مِنَ الْقُرْآنِ وَغَيْرِهِ، أَيْ لَا طَرِيقَ يَهْدِيهِمْ بِهِ إِلَى الْإِيمَانِ وَقَدْ تَرَكُوا الْوَجْهَ الَّذِي هَدَاهُمْ اللَّهُ أَوْلًا بِهِ فَكَفَرُوا بِهِ وَأَعْرَضُوا عَنْهُ مُرْتَدِّينَ.

وَأَمَّا عَلَى سَبِيلِ النَّفْيِ وَالْإِنْكَارِ يَعْني كَيْفَ يَلْطَفُ اللَّهُ بِهِمْ وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِ اللَّطْفِ؛ لِمَا عِلْمَ سُبْحَانَهُ مِنْ تَصْمِيمِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ، وَدَلَّ عَلَى تَصْمِيمِهِمْ عَلَيْهِ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ، وَبَعْدَمَا شَهِدُوا بِأَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ، وَبَعْدَمَا جَاءَتْهُمْ الشَّوَاهِدُ مِنَ الْقُرْآنِ، وَالْمُعْجَزَاتِ الَّتِي تَنْبُتُ بِمِثْلِهَا النَّبُوَّةُ، وَبَعْدَمَا عَايَنُوهُ مِنْ صِفَاتِهِ الَّتِي يَجِدُونَهَا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَهُمْ الْيَهُودُ وَمَنْ يَحْدُو حَذْوَهُمْ كَفَرُوا بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَعْدَ أَنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ بِهِ، وَذَلِكَ الْكُفْرُ حِينَ عَايَنُوا مَا يُوجِبُ قُوَّةَ إِيْمَانِهِمْ وَتَبَاتَهُ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ اللَّائِحَةِ وَالْبَرَاهِينِ وَالْحُجَجِ الْقَاطِعَةِ وَمَا جَاءَ فِي كُتُبِهِمْ مِنَ الْبِشَارَةِ، أَوْ هُمْ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا أَسْلَمُوا ثُمَّ رَجَعُوا عَنِ الْإِسْلَامِ وَارْتَدُّوا وَلَحِقُوا بِمَكَّةَ عَلَى مَا مَرَّ فِي النَّزُولِ، وَالتَّعْمِيمِ أَوْلَى حَتَّى يَشْمَلَ هَذَيْنِ الصَّنْفَيْنِ وَمَنْ يَحْدُو حَذْوَهُمْ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِمَّنْ أَسْلَمُوا بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَنَافَقُوهُ، ثُمَّ رَجَعُوا عَنِ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ قَهْرًا وَآدَا أَهْلَ بَيْتِهِ، وَفَعَلُوا بِهِمْ وَبِحُقُوقِهِمْ مَا فَعَلُوا، فَتَدَلَّ الْآيَةُ فِي الْوَجْهَيْنِ (عَلَى أَنْ الْإِفْرَارَ بِاللِّسَانِ خَارِجٌ عَنِ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ) <sup>(١)</sup> كَمَا أَنَّ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ خَارِجَةٌ عَنِ حَقِيقَتِهِ بَلْ هِيَ مُضَادَّاتٌ لَهُ عَلَى مَا مَرَّ فِي أَوَّلِ الْبَقَرَةِ ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، (الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِإِحْلَالِ النَّظَرِ وَوَضْعِ الْكُفْرِ مَوْضِعَ الْإِيمَانِ فَكَيْفَ مَنْ جَاءَهُ الْحَقُّ وَعَرَفَهُ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهُ) <sup>(٢)</sup>، وَلَا جِلَّ أَنْ الْمُرَادَ بِالظَّالِمِينَ أَعَمَّ مِنَ الْمَذْكُورِينَ أَتَى بِاسْمِ الظَّاهِرِ وَلَمْ يَقُلْ: وَاللَّهُ لَا يَهْدِيهِمْ، يَعْني: لَا يَلْطَفُ اللَّهُ بِالْقَوْمِ الظَّالِمِينَ الْعَارِفِينَ النَّاصِبِينَ الْمُعَانِدِينَ الَّذِينَ عِلْمَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ اللَّطْفَ لَا يَنْفَعُهُمْ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا﴾ <sup>(٣)</sup> الْآيَةَ، وَلَا يَسْلُكُ بِهِمْ مَسَلَكَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُهْتَدِينَ وَلَا يَهْدِيهِمْ إِلَى طَرِيقِ الْجَنَّةِ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْهِدَايَةِ هُنَا هِيَ الْهِدَايَةُ الْمُخْتَصَّةُ بِالْمُؤْمِنِينَ دُونَ الْهِدَايَةِ الْعَامَّةِ الْمُرِيحَةِ لِعَلَّةِ الْمُكَلَّفِينَ الْمُرَادَةِ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ <sup>(٤)</sup> الْآيَةَ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا

(١) أنوار التنزيل: البيضاوي: ٢٦/٢ .

(٢) المصدر نفسه: ٢٧/٢ .

(٣) سورة الأنفال: الآية ٢٣ .

(٤) سورة فصلت: الآية ١٧ .

هَدْيَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿١﴾ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ، فَالْمُرَادُ بِإِيمَانِهِم بِالرَّسُولِ قَبْلَ الْبِعْثَةِ وَكَذَا بَعْدَ مَا شَاهَدُوهُ (إِظْهَارُ الْإِيمَانِ بِهِ دُونَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ بِهِ الثَّوَابَ الدَّائِمَ، وَلَيْسَ فِي الْآيَةِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ قَدْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ بِهِ فِي بَاطِنِهِمْ مُخْلِصِينَ مُسْتَحِقِّينَ لِلثَّوَابِ فَزَالَ بِالْكَفْرِ فَلَا مُتَعَلِّقَ لِلْمُخَالَفِ بِهِ) (٢) بِأَنَّهُ لَا يُتَصَوَّرُ الْكُفْرَ بَعْدَ الْوُصُولِ إِلَى الْإِيمَانِ وَقَدْ مَرَّ فِي أَوَائِلِ الْبَقْرَةِ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْهَدَايَةِ وَضِدِّهَا أَرْبَعَةٌ أَقْسَامَ.

﴿أُولَئِكَ﴾ الْمُؤْصِفُونَ وَمَنْ يَحْذُو حَذْوَهُمْ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ، ﴿جَزَاؤُهُمْ﴾، أَي: مُكَافَأَتُهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمُ الْخَبِيثَةِ الْقَبِيحَةِ، ﴿أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ﴾، أَي: إِبْعَادِ اللَّهِ تَعَالَى إِيَّاهُمْ عَنْ رَحْمَتِهِ وَمَغْفِرَتِهِ وَإِدْخَالِهِ تَعَالَى إِيَّاهُمْ فِي عِقَابِهِ وَنَكَالِهِ، ﴿وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾، أَي: أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ الْمَلَائِكَةِ وَلَعْنَةَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ، (وَهِيَ دُعَاؤُهُمْ عَلَيْهِمُ بِاللَّعْنَةِ؛ بِأَنَّ يُبْعَدَهُمُ اللَّهُ عَنْ رَحْمَتِهِ) (٣) وَجَنَّتِهِ، وَيُدْخَلُهُمْ فِي عِقَابِهِ.

فَتَدَلَّ الْآيَةُ بِمَنْطُوقِهَا عَلَى جَوَازِ لَعْنِ هَؤُلَاءِ وَأَضْرَابِهِمْ وَكُلِّ ظَالِمٍ ظَلَمَ حَقَّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَظَلَمَ الْأَنْبِيَاءَ وَأَهْلَ بَيْتِهِمْ وَمَنْ تَبَعَ أَثَارَهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَجْمَعِينَ، تَأَكِيدُ لِلْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالنَّاسِ الْمُؤْمِنِينَ وَغَيْرِهِمْ؛ (فَإِنَّ الْكَافِرَ أَيْضًا يَلْعَنُ مُنْكَرَ الْحَقِّ) (٤)، (لَكِنْ لَا يَعْرِفُ الْحَقَّ بِعَيْنِهِ) (٥) فَيَلْعَنُ نَفْسَهُ، وَكَذَا الْمُرْتَدُّ عَنْ الْحَقِّ، وَكَذَا الظَّالِمُ سَيِّمًا الْحَائِدِينَ عَنْ حَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ النَّاصِبِينَ لَهُمْ، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [١٢٧] أَي: مُؤَبَّدِينَ فِي اللَّعْنَةِ أَوْ الْعُقُوبَةِ أَوْ النَّارِ وَإِنْ لَمْ يَجْرِ ذِكْرُهُمَا، كَمَا أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الرَّحْمَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وَجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ (٦)، هِيَ الْجَنَّةُ كَمَا يَجِيءُ عَنْ قَرِيبٍ فَيَكُونُ مِنْ بَابِ تَسْمِيَةِ الْمَحَلِّ بِاسْمِ الْحَالِ، وَإِطْلَاقِ الْحَالِ عَلَى الْمَحَلِّ وَهُوَ مِنْ بَابِ الْفَصَاحَةِ، وَإِنَّمَا مُؤَبَّدِينَ فِيهَا بِاعْتِبَارِ تَصْمِيمِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ وَنِيَّةِ بَقَائِهِمْ عَلَيْهِ مُؤَبَّدًا.

﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ﴾، أَي: لَا يُسَهَّلُ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُقَطَّعُ عَنْهُمْ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ.

(١) سورة الإنسان: الآية ٣ .

(٢) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٣٩/٢، مع اختلاف يسير في الألفاظ .

(٣) المصدر نفسه: ٣٣٩/٢ .

(٤) أنوار التنزيل: البيضاوي: ٢٦/٢ .

(٥) المصدر نفسه: ٢٧/٢ .

(٦) سورة آل عمران: الآية ١٠٧ .

﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾، أي: وَلَا هُمْ يُمَهَّلُونَ وَلَا يُؤَخَّرُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ، وَلَمْ يُرْتَدُوا إِلَى الدُّنْيَا لِلْإِنَابَةِ وَالتَّوْبَةِ وَتَدَارِكِ مَا فَاتَ مِنْهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا .

وفي تفسير علي بن إبراهيم (ثمَّ ذَكَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ فِي حَقِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَفَرُوا بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ\* أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ\* خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾، فَهَذَا كُلُّهُ فِي أَعْدَاءِ آلِ مُحَمَّدٍ<sup>(١)</sup> انْتَهَى.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾، أَي: بَعْدَ الْكُفْرِ بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَي: تَابُوا مِنَ الْكُفْرِ وَالْإِزْتِدَادِ، وَرَجَعُوا إِلَى الْإِيْمَانِ كَعَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَصْرَابِهِ، وَكَالْحَارِثِ بْنِ سُؤَيْدِ بْنِ الصَّامِتِ حِينَ نَدِمَ عَنْ رِدَّتِهِ فَأَرْسَلَ إِلَى قَوْمِهِ أَنْ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هَلْ لِي تَوْبَةٌ؟ فَأَرْسَلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَيْهِ أَخَاهُ الْجَلَّاسَ بِالْأَيَّةِ فَرَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَتَابَ كَمَا مَرَّتِ الْإِشَارَةُ إِلَى ذَلِكَ فِي النُّزُولِ.

﴿وَأَصْلَحُوا﴾ ضَمَائِرُهُمْ بَعْدَ مَا أَفْسَدُوهَا، وَطَهَّرُوا عَقَائِدَهُمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالْإِزْتِدَادِ، وَعَزَمُوا عَلَى أَنْ يَتَّبِعُوا عَلَى الْإِسْلَامِ، وَيَجُوزَ أَنْ لَا يُقَدَّرَ لَهُ مَفْعُولٌ بِهِ بِأَنْ يُنَزَّلَ مَنْزِلَةَ اللَّازِمِ، بِمَعْنَى وَدَخَلُوا فِي الصَّلَاحِ كَمَا مَرَّ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، وَهَذَانِ الْمَعْنَيَانِ (أَحْسَنُ مِنْ قَوْلِ مَنْ قَالَ وَأَصْلَحُوا أَعْمَالَهُمْ بَعْدَ التَّوْبَةِ، وَصَلُّوا وَصَامُوا؛ فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِشَرْطٍ فِي صِحَّةِ التَّوْبَةِ، [وَدَفْعِ الْعَذَابِ]<sup>(٣)</sup>؛ إِذْ لَوْ مَاتَ قَبْلَ فِعْلِ الصَّالِحَاتِ مَاتَ مُؤْمِنًا بِالْإِجْمَاعِ)<sup>(٤)</sup>، نَصَّ عَلَى ذَلِكَ فِي الْمَجْمَعِ.

﴿فَإِنَّ اللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، يَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ وَيَغْفِرُ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ مِنَ الذُّنُوبِ، ﴿رَحِيمٌ﴾، يَتَّقِضُ عَلَيْهِمْ وَيُوجِبُ لَهُمُ الْجَنَّةَ، وَفِي الْمَجْمَعِ (ذَكَرُ الْمَغْفِرَةَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّ إِسْقَاطَ الْعِقَابِ

(١) تفسير القمي: علي بن إبراهيم: ١٠٧/١ .

(٢) سورة آل عمران: الآية ٨٥ .

(٣) ما بين المعقوفين ليس من المصدر.

(٤) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٤٠/٢ .

بِالنَّوْبَةِ تَفَضَّلَ مِنْهُ سُبْحَانَهُ؛ فَإِنَّ مَا لَا يَجُوزُ [المُؤَاخَذَةَ فِيهِ أَصْلًا] <sup>(١)</sup> لَا يَجُوزُ تَعْلِيْقُهُ بِالمَغْفِرَةِ، وَإِنَّ مَا يُعْلَقُ بِالمَغْفِرَةِ مَا تَكُونُ بِهِ المُؤَاخَذَةُ <sup>(٢)</sup> انْتَهَى كَلَامُهُ أَعْلَى اللهُ مَقَامَهُ.  
 وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ \* إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ <sup>(٣)</sup> آيَتَانِ.  
 القراءة:

قَرَأَ الْأَعْمَشُ ذَهَبٌ بِالرَّفْعِ عَلَى أَنَّهُ بَدَلٌ مِنْ ﴿مِلءُ﴾، أَوْ خَبَرَ لِمُبْتَدَأٍ مَحذُوفٍ، أَي: هُوَ ذَهَبٌ كَمَا يُقَالُ: عِنْدِي عَشْرُونَ رِجَالًا وَالبَاقُونَ ذَهَبًا؛ بِالنَّصْبِ عَلَى التَّمْيِيزِ، وَقُرِئَ مِلَ لِرَضٍ تَخْفِيفِ الهمزتين معاً <sup>(٤)</sup> كَمَا قَالُوا مِنْ لَحْمٍ فِي مِنَ الْأَحْمَرِ، وَعَادَ لَوْلَى فِي ﴿عَادًا الْأُولَى﴾ <sup>(٥)</sup> كَمَا هُوَ القَاعِدَةُ فِي بَابِ تَخْفِيفِ هَمْزَةِ الْأَحْمَرِ وَالاسْمِ وَنَحْوَهُمَا <sup>(٦)</sup>.  
 اللغة:

المِلءُ: أَصْلُهُ تَطْفِيحُ الإِنَاءِ، وَمِنْهُ يُقَالُ (المَلَأَ لِلأَشْرَافِ؛ لِأَنَّهُمْ يَمْلُئُونَ العُيُونَ هَيْبَةً وَجَلَالَةً، وَمِنْهُ رَجُلٌ مَلَأَ بِالأَمْرِ، وَهُوَ أَمْلَأُ مِنْ غَيْرِهِ) <sup>(٧)</sup>، وَالمِلءُ اسْمٌ لِلْمِقْدَارِ الَّذِي يَمْلَأُ، وَالمَصْدَرُ أَيْضًا، وَالأَفْتِدَاءُ: افْتِعَالٌ مِنَ الفِدْيَةِ، (والفِدْيَةُ: هِيَ البَدَلُ مِنَ الشَّيْءِ فِي إِزَالَةِ الأَذْيَةِ) <sup>(٨)</sup>، (وَمِنْهُ فِدَاءُ الأَسِيرِ؛ لِأَنَّهُ بَدَلٌ مِنْهُ فِي إِزَالَةِ القَتْلِ وَالأَسْرِ) <sup>(٩)</sup>، يُقَالُ: فَدَى يَفْدِي فِدَاءً وَفَدَى إِذَا كُسِرَ مُدًّا، وَإِذَا فُتِحَ قُصِرَ <sup>(١٠)</sup>.

(١) ما بين المعقوفين ليس من المصدر.

(٢) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٤٠/٢ .

(٣) سورة آل عمران: الآية ٩٠ - ٩١ .

(٤) ينظر: الكنز في القراءات: الواسطي: ٢٤٥/١ .

(٥) سورة النجم: الآية ٥٠ .

(٦) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب: رضي الدين الاسترآبادي: ٥١/٣ .

(٧) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٤١/٢، وانظر: لسان العرب: ابن منظور: ١٥٩/١، مادة ملأ .

(٨) التبيين: الطوسي: ٥٢٩/٢، وانظر: المصباح المنير: الفيومي: ٤٦٥/٢، مادة فدي .

(٩) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٤١/٢، وانظر: مقاييس اللغة: ابن فارس: ٤٨٣/٤، مادة فدي .

(١٠) ينظر: مختار الصحاح: الرازي: ٢٣٥، مادة فدي .



## الإعراب:

جُمْلَةٌ لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴿خَبَرَ﴾ إِنَّ ﴿الْأُولَى﴾، وَجُمْلَةٌ ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا﴾ ﴿خَبَرَ﴾ إِنَّ ﴿الثَّانِيَةَ﴾، وَالْفَاءُ لِلجَزَاءِ؛ لِتَضَمِّنِ المَوْصُولِ الَّذِي هُوَ اسْمٌ إِنَّ مَعْنَى الشَّرْطِ فِي المَوْضِعَيْنِ، فَيَصِحُّ دُخُولُ الفَاءِ فِي الخَبَرِ وَعَدَمُهُ، فَرَاعَى الوَجْهَيْنِ، وَهَذَا رُدُّ عَلَى مَنْ مَنَعَ ذَلِكَ فِي خَبَرِ إِنَّ وَحَجَّةٌ عَلَيْهِ، وَعَلَى مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الآيَتَيْنِ؛ لِأَنَّهُ كَمَا إِنَّ المَوْتَ عَلَى الكُفْرِ سَبَبٌ لِامْتِنَاعِ قُبُولِ الفِدْيَةِ وَتَخْفِيفِ العَذَابِ كَذَلِكَ الكُفْرُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَالإِضْرَارُ عَلَيْهِ إِلَى حُضُورِ المَوْتِ، وَنُزُولِ سُلْطَانِهِ سَبَبٌ لِامْتِنَاعِ قُبُولِ التَّوْبَةِ عِنْدَ ذَلِكَ، وَ﴿ذَهَبًا﴾ عَلَى قِرَاءَةِ النَّصْبِ تَمْيِيزٌ مِنْ ﴿مِلءُ الْأَرْضِ﴾ نَصْبُهُ وَاجِبٌ، وَلَا يَجُوزُ جَرُّهُ، وَعَلَى قِرَاءَةِ الرَّفْعِ بَدَلٌ مِنْ ﴿مِلءُ الْأَرْضِ﴾، أَوْ خَبَرٍ لِمُبْتَدَأٍ مَحذُوفٍ كَمَا مَرَّ فِي القِرَاءَةِ آتِفًا.

## النُّزُولُ:

فِي تَفْسِيرِ عَلِيِّ بْنِ إِبرَاهِيمَ أَنَّ هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾، وَالأَرْبَعِ الَّتِي قَبْلَهَا أَعْنِي: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا﴾ إِلَى آخِرِهَا نَزَلَتْ فِي أَعْدَاءِ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمُ الَّذِينَ تَقَضُوا عَهْدَ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَوْلَادِهِ الأئِمَّةِ الاثْنِي عَشَرَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ عَلَى مَا مَرَّ (١).

وَفِي المَجْمَعِ (قِيلَ: نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الكِتَابِ الَّذِينَ آمَنُوا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَبْلَ مَبْعَثِهِ، ثُمَّ [كَفَرُوا] (٢) بِهِ بَعْدَ مَبْعَثِهِ) (٣)، (وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي اليَهُودِ كَفَرُوا بِعِيسَى وَالإِنْجِيلِ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَكُتُبِهِمْ ثُمَّ ارْتَدَّوْا كُفْرًا [بِكُفْرِهِمْ] (٤) بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْقُرْآنِ) (٥)، (وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي الأَحَدِ عَشْرٍ مِنْ أَصْحَابِ الحَرْتِ بْنِ سُوَيْدِ الصَّامِتِ، لَمَّا رَجَعَ الحَرْتُ قَالُوا: نُقِيمُ بِمَكَّةَ عَلَى الكُفْرِ مَا بَدَا لَنَا، [فَمَتَى مَا] (٦) أَرَدْنَا الرِّجْعَةَ [رَجَعْنَا] (٧)، فَيُنزَلُ فِينَا مَا نَزَلَ فِي الحَرْتِ، فَلَمَّا [١٢٨] افْتَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَكَّةَ، دَخَلَ فِي الإِسْلَامِ مَنْ دَخَلَ

(١) ينظر: تفسير القمي: علي بن إبراهيم: ١٠٧/١.

(٢) في المصدر: لم يقرأوا.

(٣) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٤٠/٢.

(٤) ما بين المعقوفين ليس من الأصل.

(٥) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٤٠/٢.

(٦) في الأصل: ومهما.

(٧) ما بين المعقوفين ليس من الأصل.

مِنْهُمْ، فَقبلتْ تَوْبَتَهُ، فَنَزَلَ فِي مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ كَافِرًا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ (١) الْإِنْخِ  
انْتَهَى.

وَفِي الْكَشَافِ (وَقِيلَ): نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ ارْتَدُّوا وَلَحِقُوا بِمَكَّةَ وَازْدِيادُهُمُ الْكُفْرَ أَنْ قَالُوا: نُعْيمُ  
بِمَكَّةَ نَتَرَبَّصُ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَبِّبِ الْمُتُونِ، وَإِنْ أَرَدْنَا الرَّجْعَةَ نَأْفُقْنَاهُ؛ بِإِظْهَارِ  
التَّوْبَةِ (٢) انْتَهَى.

المعنى:

لَمَّا قَدَّمَ سُبْحَانَهُ ذَكَرَ التَّوْبَةَ الْمُقبُولَةَ مَعَ وُجُودِ شَرَائِطِهَا فِي الجُمْلَةِ مِنَ النَّدَمِ فِي بَاطِنِ  
الْقَلْبِ، وَإِصْلَاحِ الضَّمِيرِ، وَالْعَزْمِ عَلَى الثَّبَاتِ عَلَى الْإِسْلَامِ إِلَى آخِرِ مَا مَرَّ أَنْفَاً فِي الْآيَةِ  
السَّابِقَةِ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنَ الْأُمُورِ السِّتَةِ عَقَبَهُ بِذِكْرِ مَا لَا يُقبلُ مِنْهَا، وَهُوَ الْبَقَاءُ عَلَى الْكُفْرِ  
مُدَّةَ الْعُمُرِ، وَالتَّوْبَةَ وَالنَّدَمَ عِنْدَ الْمَعَايِنَةِ وَمَجِيءِ سَكْرَةِ الْمَوْتِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ  
إِيمَانِهِمْ﴾ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، وَبِوَصِيئِهِ بَعْدَ أَنْ أَمَّنُوا بِهِ وَبِوَصِيئِهِ وَقَبُولِ  
وَلَايَتِهِ فِي حَيَاتِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا مَرَّ فِي النُّزُولِ.

﴿ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا﴾ بِالْإِضْرَارِ عَلَى الْكُفْرِ بِ(الْقُلُوبِ الْمُنتِنَةِ مِنْ قَدْرِ الشِّرْكِ، وَالْأَجْسَادِ  
المُشْحَنَةِ مِنْ دَرَنِ الْكُفْرِ، الَّذِينَ أَضَبُوا عَلَى النِّفَاقِ، وَأَكْبُوا عَلَى عَلَائِقِ الشَّقَاقِ) (٣)،  
﴿اِحْتَطَفُوا الْغِرَّةَ، وَأَنْتَهَرُوا الْفُرْصَةَ، وَأَنْتَهَكُوا الْحُرْمَةَ، وَغَادَرُوهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى فِرَاشِ  
الْوَفَاةِ، وَأَسْرَعُوا لِنَقْضِ الْبَيْعَةِ، وَمُخَالَفَةِ الْمَوَائِقِ الْمُؤَكَّدَةِ، وَخِيَانَةِ الْأَمَانَةِ الْمَعْرُوضَةِ﴾ (٤) عَلَى  
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ الَّتِي أَبِينَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا، فَارْتَدُّوا عَنْ دِينِ اللَّهِ، وَانْقَلَبُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ  
كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَأَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ (٥)، (وَأَرْهَجُوا عَلَيْكُمْ نَفْعَ الْحُرُوبِ  
وَالْفَقَنِ، وَأَنَحُوا عَلَيْكُمْ سُيُوفَ الْأَحْقَادِ [الْإِحْنِ] (٦)، وَهَتَكُوا مِنْكُمْ السُّتُورَ، وَابْتَاعُوا بِخُمْسِكُمْ  
الْخُمُورَ) (٧)، وَهَجَرُوا مَوَدَّتَهُمْ، وَسَبَّوهُمْ عَلَى الْمَنَابِرِ (وَتَقَرَّبُوا إِلَى فِرَاعِنَتِهِمْ بِالْبِرَاءَةِ مِنْكُمْ

(١) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٤٠/٢ .

(٢) الكشاف: الزمخشري: ٤٤٣/١ .

(٣) بحار الأنوار: المجلسي: ١٦٥/٩٩ .

(٤) المصدر نفسه: ١٦٥/٩٩ - ١٦٦ .

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٤٤ .

(٦) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٧) المزار: محمد بن المشهدي: ٢٩٦، مع اختلاف يسير في الألفاظ .

وَالْإِعْرَاضِ عَنْكُمْ، وَمَنْعُوكُمْ مِنْ إِقَامَةِ الْحُدُودِ، وَاسْتِئْصَالِ الْجُحُودِ، وَشَعْبِ الصَّدْعِ، وَلَمْ الشَّعْثِ، وَسَدِّ الْخَلْلِ، وَتَثْقِيفِ الْأَوْدِ، وَإِمْضَاءِ الْأَحْكَامِ، وَتَهْذِيبِ الْإِسْلَامِ، وَقَمْعِ الْآثَامِ<sup>(١)</sup>، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا فَعَلُوا بِهِمْ وَبَدَّرَ بِهِمْ، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا مَرَّ فِي النَّزُولِ.

﴿لَنْ نُقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ﴾ عِنْدَ الْمُعَايِنَةِ، وَرُؤْيَةِ الْمُفْعَدِ، وَحِينَ جَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ، وَحِينَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا، كَالْيَهُودِ كَفَرُوا بِعِيسَى وَالْإِنْجِيلِ بَعْدَ أَنْ آمَنُوا بِمُوسَى وَالتَّوْرَةِ، ثُمَّ أزدَادُوا كُفْرًا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَبِالْقُرْآنِ، أَوْ كُفْرًا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَعْدَ مَا آمَنُوا بِهِ قَبْلَ مَبْعَثِهِ، ثُمَّ أزدَادُوا كُفْرًا بِهِ؛ بِالْإِضْرَارِ وَالْعِنَادِ وَالطَّغْنِ وَالصَّدِّ عَنِ الْإِيمَانِ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَنَقْضِ الْمَوَائِقِ الْمُؤَكَّدَةِ، وَكَالَّذِينَ أزدَادُوا عَنِ الْإِسْلَامِ وَلَحِقُوا بِمَكَّةَ، ثُمَّ أزدَادُوا كُفْرًا بِقَوْلِهِمْ: (تَتَرَبَّصُ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَبِيبِ الْمُنُونِ)<sup>(٢)</sup>، وَإِنْ نَرَجِعْ إِلَيْهِ نُنَافِقُهُ؛ بِإِظْهَارِ التَّوْبَةِ وَالْإِيمَانِ<sup>(٣)</sup>؛ لِأَنَّهُ أُذُنٌ يُصَدِّقُ كُلَّ مَا يَسْمَعُ، وَيَقْبَلُ قَوْلَ كُلِّ أَحَدٍ لَنْ نُقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَتُوبُونَ وَلَا يُؤَفَّقُونَ لِلتَّوْبَةِ، أَوْ (لَا يَتُوبُونَ إِلَّا عِنْدَ حُضُورِ الْمَوْتِ وَالْمُعَايِنَةِ)<sup>(٤)</sup> وَالْإِشْرَافِ عَلَى الْهَلَاكِ وَطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَلَا تُقْبَلُ التَّوْبَةُ عِنْدَ ذَلِكَ، (فَكَنَى عَنِ عَدَمِ تَوْبَتِهِمْ بَعْدَ قَبُولِهَا؛ تَغْلِيظًا فِي شَأْنِهِمْ، وَإِبْرَازًا لِحَالِهِمْ فِي صُورَةِ حَالِ الْآيِسِينَ مِنَ الرَّحْمَةِ)<sup>(٥)</sup> هِيَ أَغْلَظُ الْأَحْوَالِ وَأَشَدُّهَا، وَلِأَنَّ تَوْبَتَهُمْ لَا تَكُونُ إِلَّا نِفَاقًا وَخُدْعَةً لَا عَن صَمِيمِ الْقَلْبِ وَالْإِخْلَاصِ، بَلْ يُظْهِرُونَ التَّوْبَةَ وَالْإِسْلَامَ تَوْرِيَةً وَتَخْذِيعًا كَمَا مَرَّ فِي النَّزُولِ، وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾<sup>(٦)</sup>، وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾<sup>(٧)</sup>، ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾<sup>(٨)</sup>، فَأَطْعَمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ رَسُولَهُ عَلَى

(١) المزار: محمد بن المشهدي: ٢٩٥-٢٩٦، مع اختلاف يسير في الألفاظ .

(٢) الكشاف: الزمخشري: ٤٤٣/١ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٤٤٣/١ .

(٤) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٤٠/٢ .

(٥) أنوار التنزيل: البيضاوي: ٢٧/٢ .

(٦) سورة البقرة: الآية ١٤ .

(٧) سورة المنافقون: الآية ١ .

(٨) سورة آل عمران: الآية ١٦٧ .

سَرَائِرِهِمْ، فَعَدَمَ قَبُولِ تَوْبَةِ هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَبِمَنْ أَرْسَلَهُ الْمُرْتَدِّينَ الْمُعَادِينَ لِأَلِ مُحَمَّدٍ، الْحَاسِدِينَ إِيَّاهُمْ؛ لِأَجْلِ إِضْرَارِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ، وَالثَّبَاتِ عَلَيْهِ، وَمَوْتِهِمْ عَلَيْهِ، وَتَوْصِيَتِهِمْ أَوْلَادَهُمْ وَأَحْزَابَهُمْ عَلَى ذَلِكَ ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ \* اتَّوَصَّوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿١﴾، وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ \* وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢﴾، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾، أَيُّ: مِنْ زَمَانٍ قَرِيبٍ بَعْدَ عَمَلِ السُّوءِ، وَقَبْلَ حُضُورِ الْمَوْتِ، (وَقَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ بِهِمْ سُلْطَانُ الْمَوْتِ) ﴿٣﴾، (فَسَوَّى اللَّهُ سُبْحَانَهُ بَيْنَ مُسَوِّفِ التَّوْبَةِ إِلَى وَقْتِ حُضُورِ الْمَوْتِ أَوْ نُزُولِ سُلْطَانِهِ) ﴿٤﴾، وَبَيْنَ مَنْ يَمُوتُ كَافِرًا) ﴿٥﴾، وَالْأَفْعَدُ دَلَّ السَّمْعُ عَلَى وُجُوبِ قَبُولِ التَّوْبَةِ إِذَا حَصَلَتْ شَرَائِطُهَا، وَعَلَيْهِ إِجْمَاعُ الْأُمَّةِ) ﴿٦﴾.

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾، أَيُّ: (الضَّالُّونَ عَلَى الضَّلَالِ) ﴿٧﴾ عَنِ الْحَقِّ الْهَالِكُونَ الْمُعَذِّبِينَ، ثُمَّ أَشَارَ سُبْحَانَهُ إِلَى أَنَّ الَّذِينَ يَمُوتُونَ عَلَى الْكُفْرِ لَا تَوْبَةَ لَهُمْ، وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهُمْ عَدْلٌ وَلَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ شَفَاعَةٌ كَمَا مَرَّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا [١٢٩] شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ﴿٨﴾، أَيُّ: لَا تَقْضِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ (حَقًّا وَجَبَ عَلَيْهَا لِلَّهِ أَوْ لَهُ وَلِغَيْرِهِ) ﴿٩﴾ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ ﴿١٠﴾، ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ أَيُّ: فِدْيَةٌ، مُعَادَلَةٌ لِلْمَفْدَى ﴿١١﴾ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

(١) سورة الذَّارِيَاتِ: الآيَةُ ٥٢ - ٥٣ .

(٢) سورة النَّسَاءِ: الآيَةُ ١٧ - ١٨ .

(٣) جوامع الجامع: الطبرسي: ٣٨٢/١ .

(٤) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٥) جوامع الجامع: الطبرسي: ٣٨٢/١ .

(٦) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٤١/٢ .

(٧) أنوار التنزيل: البيضاوي: ٢٧/٢ .

(٨) سورة البقرة: الآيَةُ ٤٨ .

(٩) جوامع الجامع: الطبرسي: ١٠٢/١ .

(١٠) سورة لقمان: الآيَةُ ٣٣ .

(١١) ينظر: جوامع الجامع: الطبرسي: ١٠٢/١ .

وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ ﴿١﴾، أَي: مَاتُوا عَلَى كُفْرِهِمْ، ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا﴾، (أَي: مِقْدَارُ مَا يَمَلَأُ الْأَرْضَ مِنَ الذَّهَبِ) (١).

﴿وَلَوْ افْتَدَى بِهِ﴾، وَالْهَاءُ فِي ﴿بِهِ﴾ عَائِدٌ إِلَى ﴿مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا﴾ مِنْ غَيْرِ حَذْفِ مُضَافٍ قَبْلَ الْهَاءِ أَوْ عَلَى حَذْفِهِ، فَعَلَى الْأَوَّلِ يَكُونُ التَّقْدِيرُ وَحَاصِلُ الْمَعْنَى: فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ فِدْيَةٌ وَلَوْ افْتَدَى نَفْسَهُ مِنَ الْعَذَابِ بِمِلءِ الْأَرْضِ ذَهَبًا، وَعَلَى الثَّانِي يَكُونُ التَّقْدِيرُ وَلَوْ افْتَدَى نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ بِمِثْلِهِ أَي: بِمِثْلِ مِلءِ الْأَرْضِ ذَهَبًا، (وَالْمِثْلُ يُحَذَفُ كَثِيرًا فِي كَلَامِهِمْ كَمَا قَالُوا: ضَرَبْتُهُ ضَرْبَ زَيْدٍ أَي: مِثْلَ ضَرْبِهِ) (٢)، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَخَذْنَا هُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ﴾ (٣)، وَقَوْلُهُمْ: (قَضِيَّةٌ وَلَا أَبَا حَسَنِ لَهَا) (٤)، أَي: وَلَا مِثْلَ أَبِي حَسَنِ، وَقَوْلُ الشَّاعِرِ: (لَا هَيْثُمَ اللَّيْلَةَ لِلْمِطِيِّ) (٥)، أَي: لَا مِثْلَ هَيْثُمَ، كَمَا يَزَادُ كَثِيرًا فَيَقُولُونَ: (مِثْلُكَ لَا يَبْخُلُ) (٦)، أَي: أَنْتَ لَا تَبْخُلُ، وَهَذِهِ الْوَاوُ مِثْلُهَا فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "أَطْلُبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ بِالصِّينِ" (٧)، "وَأَكْرَمَ الضَّيْفَ وَلَوْ كَانَ كَافِرًا" (٨)، فِي أَنَّهُ غَيْرَ زَائِدَةٍ، فَيَكُونُ لِتَأْكِيدِ الشُّمُولِ، وَقَالَ الْفَرَّاءُ: هِيَ زَائِدَةٌ (٩)، أَي: فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا لَوْ افْتَدَى بِهِ، (وَعَلَّطَهُ الرَّجَّاجُ، [وَقَالَ: (١٠) لِأَنَّ الْكَلَامَ إِذَا أَمَكَّنَ حَمْلَهُ عَلَى فَائِدَةٍ يُحْمَلُ عَلَيْهَا، وَلَا يُحْمَلُ عَلَى الزِّيَادَةِ، وَقَالَ: إِذَا دَخَلَتِ الْوَاوُ فِي مِثْلِ هَذَا كَانَ أَبْلَغَ فِي التَّأْكِيدِ [وَالشُّمُولِ] (١١)، كَقَوْلِكَ: لَا آتِيكَ وَإِنْ أُعْطِيتَنِي) (١٢)؛ لِأَنَّهَا دَخَلَتْ فِي

(١) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٤١/٢ .

(٢) جوامع الجامع: الطبرسي: ٣٠٨/١ .

(٣) سورة القمر: الآية ٤٢ .

(٤) مغني اللبيب: ابن هشام الأنصاري: ٩٢/١، خزانة الأدب: البغدادي: ٥٣/٤ .

(٥) شرح ديوان المتنبّي: العكبري: ٢٢٤/٣ .

(٦) مختصر المعاني: التفتازاني: ٦٩ .

(٧) وسائل الشيعة: الحر العاملي: ٢٠٨/١٤/١٨ .

(٨) بحار الأنوار: المجلسي: ٣٧٠/٦٧ .

(٩) ينظر: معاني القرآن: الفراء: ٢٢٦/١ .

(١٠) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(١١) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(١٢) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٤١/٢ .

الآية لتفصيل شمول نفي القبول بعد الإجمال، ولو جعلت<sup>(١)</sup> (زائدة، لأوهم ذلك أنه لا يقبل منه ملء الأرض في الافتداء، ويقبل منه في غيره)<sup>(٢)</sup>، وليس كذلك.

(ويجوز أن يراد ﴿فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً﴾ كان قد تصدق به)<sup>(٣)</sup>، في الدنيا وتقرّب به فيها (ولو افتدى به من العذاب في الآخرة)<sup>(٤)</sup>، لم يقبل منه، ولم ينجيه من العذاب، فليست حينئذ زائدة أيضاً.

﴿أولئك لهم عذاب أليم﴾، تأكيد ومبالغة في تحذيرهم، وإفناط من طمعتهم؛ (لأن من لا يقبل منه الفداء ربما يعفى عنه تكراً)<sup>(٥)</sup>.

﴿وما لهم من ناصرين﴾، أضلاً لا في الشفاعة، ولا في دفع العذاب عنهم؛ لأن النكرة في حيز النفي تغيد العموم والاستغراق، ومن المزيّدة أيضاً، كذلك فيكون تأكيداً على التأكيد في إفناطهم وحرمانهم، فما لهم من شافعين، ﴿ولا صديق حميم﴾<sup>(٦)</sup>، و﴿لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً﴾<sup>(٧)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا ممّا تحبون ومّا تنفقوا من شيء فإن الله به عليم﴾<sup>(٨)</sup> آية.

اللغة:

في المجمع (البرّ: أصله السعة، ومنه البرّ: خلاف البحر، والفرق بين البرّ والخير: أن البرّ هو النفع الواصل إلى الغير مع القصد إلى ذلك، والخير يكون خيراً، وإن وقع عن سهو، وضد البرّ: العقوق، وضد الخير: الشر)<sup>(٩)</sup>.

(١) ينظر: مجمع البيان: الطبرسي: ٣٤١/٢ .

(٢) المصدر نفسه: ٣٤١/٢ .

(٣) تفسير البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي: ٥٤٤/٢، نقلاً عن الكشاف: الزمخشري: ٤٤٤/١، بتصريف يسير .

(٤) أنوار التنزيل: البيضاوي: ٢٧/٢ .

(٥) المصدر نفسه: ٢٨/٢ .

(٦) سورة الشعراء: الآية ١٠٠ .

(٧) سورة آل عمران: الآية ١٠ و١١٦، سورة المجادلة: الآية ١٧ .

(٨) سورة آل عمران: الآية ٩٢ .

(٩) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٤٢/٢ .

## الإعراب:

﴿حَتَّىٰ جَارَةٌ، وَتُنْفِقُوا﴾ مَنْصُوبٌ بِأَنَّ مُضْمَرَةَ وَهِيَ مَعَ مَا بَعْدَهَا مَجْرُورَةٌ بِحَتَّىٰ مُتَعَلِّقَةٌ بِقَوْلِهِ: ﴿لَنْ تَنَالُوا﴾، وَمَا فِي ﴿وَمَا تُنْفِقُوا﴾ شَرْطِيَّةٌ مُبْتَدَأٌ، وَالْعَائِدُ حِينَئِذٍ ضَمِيرٌ مَحذُوفٌ، أَي: وَمَا تُنْفِقُوهُ أَوْ مَفْعُولٌ تُنْفِقُوا مُقَدَّمٌ؛ لَوْجُوبِ التَّصَدُّرِ كَمَا فِي مَا تَصْنَعُ أَصْنَعُ، وَ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ بَيَانٌ لِمَا، وَجُمْلَةٌ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ جَوَابُ الشَّرْطِ .

## المعنى:

لَمَّا ذَكَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ لَنْ يَقْبَلَ مِنْ أَحَدٍ مِنَ الظَّالِمِينَ سِيِّمًا ظَالِمِي آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْكَافِرِينَ بِاللَّهِ تَعَالَى وَبِهِمْ فِدَاءٌ مِنْهُ الْأَرْضُ ذَهَبًا، بَلْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، وَلَا نَاصِرَ لَهُمْ أَصْلًا لَا فِي الشَّفَاعَةِ وَلَا فِي دَفْعِ الْعَذَابِ عَنْهُمْ، وَلَنْ تَنْفَعَهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَإِنْفَاقُهَا عَقْبَهُ بِذِكْرِ مَنْ يُقَابِلُ هَؤُلَاءِ، وَيُضَادَّهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُحِبِّينَ فِي نَيْلِهِمُ الثَّوَابِ الدَّائِمِ وَقَبُولِ إِنْفَاقِهِمْ وَاقْتِدَائِهِمْ، وَلِذَلِكَ فَصَلَ ذَلِكَ عَنْهَا فَقَالَ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾، أَي: لَنْ تُدْرِكُوا الْبِرَّ وَالنَّقْوَى وَثَوَابَهُمَا وَلَمْ تَبْلُغُوا حَقِيقَةَ الْبِرِّ الَّذِي هُوَ كَمَالُ الْخَيْرِ عَلَى الْعِبَادِ وَثَوَابُهُ الدَّائِمِ، أَوْ لَنْ تَنَالُوا بِرَّ اللَّهِ الَّذِي هُوَ الثَّوَابُ وَالرَّحْمَةُ وَالرِّضْوَانُ وَالْجَنَّةُ، أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَبْرَارًا صَالِحِينَ أَنْفِيَاءَ، ﴿حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، أَي: بَعْضَ مَا تُحِبُّونَهُ بِقَدْرِ الْمُقْدُورِ مِنْ نَفَائِسِ الْأَمْوَالِ دُونَ أَرَادِلِهَا وَخَبَائِثِهَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِأَخِيذِهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾<sup>(١)</sup>، أَوْ مَا يِعْمُ الْأَمْوَالَ وَغَيْرَهَا ك(الجاه في معاونة الناس، والبدن في طاعة الله تعالى، والمهجة في سبيل الله)<sup>(٢)</sup>.

وَفِي رَوْضَةِ الْكَافِي "عَلِيٌّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ يُونُسَ بْنِ ظَبْيَانَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا [مِمَّا]﴾<sup>(٣)</sup> تُحِبُّونَ﴾<sup>(٤)</sup>، هَكَذَا فَأَقْرَأَهَا"<sup>(٥)</sup>، وَكَذَا فِي تَفْسِيرِ الْعِيَّاشِيِّ<sup>(٦)</sup> عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَعْنِي بِدُونِ مِنَ الْجَارَةِ التَّبَعِيضِيَّةِ،

(١) سورة البقرة: الآية ٢٦٧ .

(٢) أنوار التنزيل: البيضاوي: ٢٨/٢ .

(٣) في الأصل: ما .

(٤) سورة آل عمران: الآية ٩٢ .

(٥) الكافي: الكليني: ٨/١٨٣/ح ٢٠٩ .

(٦) تفسير العيَّاشي: العيَّاشي: ١٨٤/١ .



وَيَشْمَلُ ذَلِكَ الْإِنْفَاقَ الزَّكَاةَ الْوَاجِبَةَ وَالْمُسْتَحَبَّةَ، وَمَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَى الْأَمْوَالِ، وَمَا اسْتَحَبَّهُ وَغَيْرَهَا مِنَ الْأَبْدَانِ وَالْمُهْجِ وَالْجَاهِ.

وَفِي أَصُولِ الْكَافِي بِإِسْنَادِهِ "عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَخْبُوبٍ، عَنْ أَبِي وَهَّابٍ الْحَنَاطِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾<sup>(١)</sup>، مَا هَذَا الْإِحْسَانُ؟ فَقَالَ: الْإِحْسَانُ أَنْ تُحْسِنَ صُحْبَتَهُمَا، وَأَنْ لَا تُكَلِّفَهُمَا أَنْ يَسْأَلَكَ شَيْئاً مِمَّا يَحْتَاجَانِ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَا مُسْتَغْنَيْنِ أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾<sup>(٢)</sup> الْحَدِيثُ.

### التصدق بالسكر:

فِي فُرُوعِ الْكَافِي "عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحَسَنِ، [١٣٠] عَنْ عَاصِمٍ، [عَنْ يُونُسَ]<sup>(٣)</sup>، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ كَانَ يَتَصَدَّقُ بِالسُّكَّرِ، فَقِيلَ لَهُ: أَتَتَصَدَّقُ بِالسُّكَّرِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ فَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِأَحَبِّ الْأَشْيَاءِ إِلَيَّ"<sup>(٤)</sup>.

وَفِي عَوَالِي اللَّيَالِي "عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، أَنَّهُ كَانَ يَتَصَدَّقُ بِالسُّكَّرِ، فَقِيلَ لَهُ: فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ: إِنِّي أَحْبَبُهُ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

وَفِي الْمَجْمَعِ "رَوَى عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ قَالَ: اشْتَرَى عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثَوْباً فَأَعْجَبَهُ، فَتَصَدَّقَ بِهِ، وَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ: مَنْ آثَرَ عَلَى نَفْسِهِ آثَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْجَنَّةِ، وَمَنْ أَحَبَّ شَيْئاً فَجَعَلَهُ اللَّهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ: قَدْ كَانَ الْعِبَادُ يُكَافِؤُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَأَنَا أَكْفَيْكَ [اليوم]<sup>(٦)</sup> بِالْجَنَّةِ، وَرَوَى أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ قَسَمَ حَائِطاً لَهُ فِي أَقَارِبِهِ عِنْدَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ، وَكَانَ أَحَبَّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: بَخٍ، بَخٍ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ لَكَ، وَجَاءَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ بِفَرَسٍ لَهُ كَانَ يُحِبُّهَا، فَقَالَ: هَذِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَحَمَلَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَسَامَةَ بْنُ زَيْدٍ، فَكَانَ زَيْدًا [وَجَدًا]<sup>(٧)</sup> فِي نَفْسِهِ وَقَالَ: إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أَمَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ

(١) سورة البقرة: الآية ٨٣، سورة النساء: الآية ٣٦، سورة الأنعام: الآية ١٥١، سورة الإسراء: الآية ٢٣ .

(٢) الكافي: الكليني: ١٥٧/٢ ح ١، بَابُ الْبِرِّ بِالْوَالِدَيْنِ، وَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ اِكْتَفَى الْمُؤَلَّفُ بِمَوْضِعِ الشَّاهِدِ مِنْهُ .

(٣) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٤) الكافي: الكليني: ٣/٦١/٤، بَابُ النَّوَادِرِ .

(٥) عَوَالِي اللَّيَالِي: ابْنُ أَبِي جَمْهُورٍ الْأَحْسَائِي: ١٩٦ ح ٧٤/٢ .

(٦) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٧) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

قَبَلَهَا مِنْكَ، وَأَعْتَقَ ابْنَ عُمَرَ جَارِيَةً كَانَ يُحِبُّهَا، وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ، وَقَالَ: لَوْلَا أَنِّي لَا أَعُودُ فِي شَيْءٍ جَعَلْتُهُ لِلَّهِ تَعَالَى لَنَكَحْتُهَا، وَأَضَافَ أَبُو ذَرِّ الْغِفَارِيِّ ضَيْفًا فَقَالَ [لِلضَيْفِ] (١): إِنِّي مَشْغُولٌ، وَإِنَّ لِي إِبِلًا، فَأُخْرِجْ وَأْتِنِي بِخَيْرِهَا، فَذَهَبَ فَجَاءَ بِنَاقَةٍ مَهْرُولَةٍ، فَقَالَ لَهُ أَبُو ذَرِّ: خُنْتَنِي بِهَذِهِ، فَقَالَ: وَجَدْتُ خَيْرَ الْإِبِلِ فَحَلَمَهَا، فَذَكَرْتُ يَوْمَ حَاجَتِكُمْ إِلَيْهِ، فَقَالَ أَبُو ذَرِّ: إِنَّ يَوْمَ حَاجَتِي إِلَيْهِ لِيَوْمٌ أُوضِعُ فِي حُفْرَتِي مَعَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وَقَالَ أَبُو ذَرِّ: فِي الْمَالِ ثَلَاثَةٌ شُرَكَاءَ: الْقَدْرُ لَا يَسْتَأْمُرُكَ أَنْ يَذْهَبَ بِخَيْرِهَا أَوْ شَرِّهَا مِنْ هَلِكٍ أَوْ مَوْتٍ، وَالْوَارِثُ يَنْتَظِرُكَ أَنْ تَضَعَ رَأْسَكَ، ثُمَّ يَسْتَأْفَقُهَا، وَأَنْتَ ذَمِيمٌ، وَأَنْتَ الثَّلَاثُ: فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا تَكُونَ أَعْجَزَ الثَّلَاثَةِ فَلَا تَكُنْ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وَإِنَّ هَذَا الْجَمَلَ كَانَ مِمَّا أَحَبَّ مِنْ مَالِي، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَقْدِمَهُ لِنَفْسِي (٢).

وَقَدْ دَلَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى الْفُنُوءِ وَالسَّخَاءِ وَالسَّمَاخَةِ وَالْاجْتِنَابِ عَنِ الشُّحِّ وَالْبَخَالَةِ.

وَفِي تَفْسِيرِ الْعِيَّاشِيِّ "عَنْ مُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمًا وَمَعِيَ شَيْءٌ فَوَضَعْتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقُلْتُ: هَذِهِ صَلَةٌ مَوَالِيكَ وَعَبِيدِكَ، قَالَ: فَقَالَ لِي: يَا مُفَضَّلُ إِنِّي لَا أَقْبَلُ ذَلِكَ وَمَا أَقْبَلُهُ مِنْ حَاجَةٍ بِي إِلَيْهِ وَمَا أَقْبَلُهُ إِلَّا لِيُرْكَوَا بِهِ، ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: مَنْ مَصَّتْ لَهُ سَنَةٌ لَمْ يَصِلْنَا مِنْ مَالِهِ قَلَّ أَوْ كَثُرَ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا أَنْ يَعْفُوَ اللَّهُ عَنْهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُفَضَّلُ إِنَّهَا فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا اللَّهُ عَلَى شِيعَتِنَا فِي كِتَابِهِ، إِذْ يَقُولُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، فَنَحْنُ الْبِرُّ وَالنَّقْوَى وَسَبِيلُ الْهُدَى وَبَابُ النَّقْوَى، وَلَا يُحْجَبُ دُعَاؤُنَا عَنِ اللَّهِ، أَفْتَصِرُوا عَلَى حَلَالِكُمْ، [وَأَمَّا] (٣) حَرَامِكُمْ فَاسْأَلُوا عَنْهُ، وَإِيَّاكُمْ أَنْ تَسْأَلُوا أَحَدًا مِنَ الْفُقَهَاءِ عَمَّا لَا يَعْنِيكُمْ وَعَمَّا سَتَرَ اللَّهُ عَنْكُمْ (٤).

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ﴾، (أَيُّ: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ طَيِّبٍ تُحِبُّونَهُ، أَوْ حَبِيبٍ تَكْرَهُونَهُ) (٥) قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ، بِنِيَّةٍ خَالِصَةٍ أَوْ غَيْرِهَا، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ﴾، أَيُّ: بِكُلِّ شَيْءٍ تُنْفِقُونَهُ، ﴿عَلِيمٌ﴾ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فَيَجَازِينَكُمْ بِحَسَبِهِ.

(١) في الأصل: للراعي، وما أثبت من المصدر الصواب .

(٢) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٤٢/٢ - ٣٤٣ .

(٣) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٤) تفسير العياشي: العياشي: ١٨٥/١ .

(٥) جوامع الجامع: الطبرسي: ٣٠٩/١ .

وَفِي الْمَجْمَعِ (النُّظْمِ): وَجْهٌ اتَّصَلَ هَذِهِ الْآيَةُ بِمَا قَبْلَهَا أَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ فِي الْآيَةِ الْأُولَى ﴿فَلَنْ يُعْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا﴾، وَصَلَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿لَنْ تَتَالَوْا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا﴾؛ لِئَلَّا يُؤَدِّي امْتِنَاعَ [قَبُولِ الْفِدَاءِ] <sup>(١)</sup> إِلَى الْفُتُورِ فِي الصَّدَقَةِ، وَمَا جَرَى مَجْرَاهَا مِنْ وَجُوهِ الطَّاعَةِ <sup>(٢)</sup> أَنْتَهَى، وَقَدْ ذَكَرْنَا وَجْهَ اتِّصَالِهَا بِمَا قَبْلَهَا فِي ابْتِدَاءِ مَعْنَى الْآيَةِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَآتُوهَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ \* قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ <sup>(٣)</sup> ثَلَاثَ آيَاتٍ.

اللُّغَةُ:

الْإِفْتِرَاءُ هُوَ الْكُذِبُ عَنْ عَمْدٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ <sup>(٤)</sup>، وَأَصْلُهُ قَطَعَ مَا قَدَّرَ مِنَ الْأَيْمِ، يُقَالُ: فَرَى الْأَيْمَ يَفْرِيهِ فَرِيًّا إِذَا قَطَعَهُ، وَمِنْهُ فَرِي الْأَوْدَاجِ <sup>(٥)</sup>، قَالَ زُهَيْرٌ فِي مَدْحِ هَرَمِ بْنِ سِنَانَ الْمَرِي:

(وَلَأَنْتَ تُفْرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعْضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ نَمَّ لَا يَفْرِي <sup>(٦)</sup> <sup>(٧)</sup> <sup>(٨)</sup>).

الإِعْرَابُ:

﴿كُلُّ الطَّعَامِ﴾ مُبْتَدَأٌ، وَجُمْلَةٌ ﴿كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ خَبْرُهُ، وَالْحَلُّ مَصْدَرُ حَلَّ الشَّيْءِ حِلاًّ، مِثْلُ عَزَّ الشَّيْءُ عِزًّا، أَوْ ذَلَّتِ الدَّابَّةُ ذِلًّا، وَلِذَلِكَ اسْتَوَى فِيهِ الْمُدَكَّرُ وَالْمُؤَنَّثُ، وَالْوَاحِدُ وَالْجَمْعُ فِي الْوَصْفِ بِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ <sup>(٩)</sup>، وَتَذَكِيرُ ضَمِيرِ كَانَ وَإِفْرَادُهُ

(١) في المصدر: غناء الفدية .

(٢) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٤٣/٢ .

(٣) سورة آل عمران: الآية ٩٣ - ٩٥ .

(٤) سورة سبأ: الآية ٨ .

(٥) ينظر: العين: الفراهيدي: ٢٨٠/٨، مادة فري، مشارق الأنوار: القاضي عياض: ١٥٤/٢، مادة فري .

(٦) ومنه في حاشية الأصل: الخلق: التقدير، والفري: القطع والإمضاء، يعني: أنت لجرأتك وجودة رأيك إذا قدرت أمراً وهمته قطعه وأمضىته على التمام، بخلاف بعض القوم؛ فإنهم يخلقون أمراً، أي: ويقدرونه ثم يمشونه .

(٧) في الأصل: ولأنت تُفري ما خلقت بقدر... وبعض القوم يخلق لا يفري، وما أثبت من المصدر الصواب .

(٨) ديوان زهير بن أبي سلمى: زهير بن أبي سلمى: ١١ .

(٩) سورة الممتحنة: الآية ١٠ .

بِالنَّظَرِ إِلَى لَفْظِ كُلِّ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾<sup>(١)</sup>، حَيْثُ لَمْ يُقَنَّ كُفَّهُمْ أَتَوْهُ، ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ مُسْتَثْنَى مُتَّصِلٌ، وَالْمُسْتَثْنَى مِنْهُ كُلُّ الطَّعَامِ عَلَى نَفْسِهِ مُتَّعَلِّقٌ بِحَرَمٍ، وَقَوْلُهُ: ﴿مِنْ قَبْلِ [١٣١] أَنْ تُنَزَّلَ﴾ مُتَّعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ: ﴿حَلَالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾ مُتَّعَلِّقُهُ مَحْذُوفٌ، أَي: ﴿صَدَقَ اللَّهُ﴾ فِي أَنْ ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، وَفِي أَنْ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَدِينِهِ الَّذِي هُوَ الْإِسْلَامُ.

### النُّزُولُ:

فِي الْمَجْمَعِ (أَنْكَرَ الْيَهُودُ تَحْلِيلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِحُومِ الْإِبِلِ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: كُلُّ ذَلِكَ كَانَ حَلَالًا لِإِبْرَاهِيمَ [وَنُوحٍ])<sup>(٢)</sup> عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَقَالَتِ الْيَهُودُ: كُلُّ شَيْءٍ تُحَرِّمُهُ فَإِنَّهُ مُحَرَّمٌ عَلَى نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَهَلُمَّ جَزَاءً، حَتَّى يَنْتَهَى إِلَيْنَا، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ، عَنِ الْكَلْبِيِّ وَأَبِي رُوَيْحٍ<sup>(٣)</sup> أَنْتَهَى .

### المَعْنَى:

لَمَّا ذَكَرَ سُبْحَانَهُ الْآيَةُ الْمُتَقَدِّمَةَ لِلتَّرْغِيبِ فِي الْإِنْتِقَاقِ مِنْ مَحْبُوبِ الْأَمْوَالِ وَالطُّعُومِ الطَّيِّبَةِ، عَقَّبَهُ بِذِكْرِ هَذِهِ الْآيَةِ؛ لِلرَّدِّ عَلَى الْيَهُودِ فَقَالَ: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ﴾، أَي: كُلُّ أَنْوَاعِ الطَّعَامِ، أَوْ كُلُّ الْمَطْعُومَاتِ وَالْمَأْكُولَاتِ، ﴿كَانَ حَلَالًا﴾، أَي: حَلَالًا، ﴿لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، (وَإِسْرَائِيلُ: هُوَ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ)<sup>(٤)</sup> خَلِيلِ الرَّحْمَانِ، بِمَعْنَى عَبْدِ اللَّهِ كَمَا فِي الْبَقْرَةِ، ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ﴾، أَي: يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿عَلَى نَفْسِهِ﴾، بِسَبَبِ أَخْذِهِ وَجَعُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ النَّسَاءُ بِفَتْحِ النُّونِ وَقَصْرِ الْأَلْفِ، وَهِيَ عِرْقٌ مِنَ الْوَرِكِ إِلَى الْكَعْبِ وَالْعَامَّةُ لِذَلِكَ الْوَجَعُ عِرْقُ النَّسَاءِ. وَفِي الْقَامُوسِ (وَالنَّسَاءُ: عِرْقٌ مِنَ الْوَرِكِ إِلَى الْكَعْبِ، يُنْتَنَى عَلَى: نَسْوَانٍ وَنَسْيَانٍ، الرَّجَاجُ: لَا تَقُلْ عِرْقُ النَّسَاءِ، لِأَنَّ الشَّيْءَ لَا يُضَافُ إِلَى نَفْسِهِ)<sup>(٥)</sup> أَنْتَهَى.

أَقُولُ: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ إِضَافَةِ الْعَامِ إِلَى الْخَاصِّ كَيَوْمِ الْأَحَدِ، وَكُلِّ الدَّرَاهِمِ، وَعَيْنِ الشَّيْءِ، نَذَرَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنْ شَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ الْوَجَعِ أَنْ يُحَرِّمَ لِحُومِ الْإِبِلِ

(١) سورة مريم: الآية ٩٥ .

(٢) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٣) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٤٤/٢ .

(٤) المصدر نفسه: ٣٤٤/٢ .

(٥) القاموس المحيط: الفيروزآبادي: ١٣٣٨، مادة نسا .

وَأَلْبَانَهَا عَلَى نَفْسِهِ فَقَطْ، وَهِيَ أَحَبُّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقِيلَ: (أَشَارَتْ إِلَيْهِ الْأَطْبَاءُ بِاجْتِنَابِهِ فَفَعَلَ ذَلِكَ [لِلتَّداوي] <sup>(١)</sup> بِإِذْنٍ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَيْضًا فَكَانَ كِتْحَرِيمِ اللَّهِ تَعَالَى إِيَّاهُ ابْتِدَاءً) <sup>(٢)</sup>، وَاحْتَجَّ بِهِ مَنْ جَوَّزَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنْ يَجْتَهِدَ، وَلِلْمَانِعِ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ بِإِذْنٍ فَكَانَ كِتْحَرِيمِ ابْتِدَاءً.

وَفِي الْكَافِي وَالْعِيَّاشِي "عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَعْقُورٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: إِنَّ إِسْرَائِيلَ كَانَ إِذَا أَكَلَ مِنْ لَحْمِ الْإِبِلِ هَيَّجَ عَلَيْهِ وَجَعَ الْخَاصِرَةَ، فَحَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ لَحْمَ الْإِبِلِ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَنْزَلَ التَّوْرَةُ، فَلَمَّا نَزَلَتِ التَّوْرَةُ لَمْ يُحَرِّمْهُ وَلَمْ يَأْكُلْهُ" <sup>(٣)</sup> الْحَدِيثُ، يَعْنِي: لَمْ تُحَرِّمْهُ التَّوْرَةُ وَلَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَمْ يَأْكُلْهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَمْ يَمْنَعْ أَحَدًا مِنْ أَكْلِهِ. وَفِي تَفْسِيرِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ "قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ جَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ﴾، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ يَعْقُوبَ كَانَ يُصَيِّبُهُ عِرْقُ النِّسَاءِ فَحَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ لَحْمَ الْجَمَلِ، فَقَالَتِ الْيَهُودُ إِنَّ لَحْمَ الْجَمَلِ مُحَرَّمٌ فِي التَّوْرَةِ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ: ﴿فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، إِنَّمَا حَرَّمَ هَذَا إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ، وَلَمْ يُحَرِّمْهُ عَلَى النَّاسِ" <sup>(٤)</sup>.

وَفِي قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ لِلرَّاوْنِدِيِّ رَوَى "الْبَنُ بَابُوهِ بِإِسْنَادِهِ إِلَى شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ إِلَى أَنْ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْمَدِينَةَ أَتَاهُ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالُوا: إِنَّا سَأَلُوكَ عَنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ، فَإِنْ أُخْبِرْتَنَا عَنْهَا صَدَقْنَاكَ وَأَمَّنَّا بِكَ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ سَلُوا عَمَّا بَدَا لَكُمْ، قَالُوا: عَنْ الشَّبَةِ كَيْفَ يَكُونُ مِنَ الْمَرْأَةِ وَإِنَّمَا النُّطْفَةُ لِلرَّجُلِ؟ فَقَالَ: أُنْشِدْكُمْ بِاللَّهِ أَنْ نُطْفَةَ الرَّجُلِ بِنِصَاءِ غَلِيظَةٍ، وَأَنَّ نُطْفَةَ الْمَرْأَةِ حَمْرَاءُ رَقِيقَةٍ؟ فَأَيُّهُمَا غَلَبَتْ صَاحِبَتَهَا كَانَتْ لَهَا الشَّبَةُ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالُوا: فَأَخْبِرْنَا عَمَّا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْزَلَ التَّوْرَةُ، قَالَ: أُنْشِدْكُمْ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ أَحَبَّ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِلَيْهِ لُحُومُ الْإِبِلِ وَاللَّبَانُهَا؟ فَاشْتَكَى شَكْوَى، فَلَمَّا عَافَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهَا حَرَّمَهَا عَلَى نَفْسِهِ لِيَشْكُرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، فَقَالُوا: أَخْبِرْنَا

(١) ما بين المعقوفين ليس من المصدر.

(٢) جوامع الجامع: الطبرسي: ٣٠٩/١، الكشاف: الزمخشري: ٤٤٥/١.

(٣) الكافي: الكليني: ٥/٣٠٦/٩، باب النوادر، تفسير العياشي: العياشي: ١٨٤/١.

(٤) تفسير القمي: علي بن إبراهيم: ١٠٧/١ - ١٠٨.

عَنْ نَوْمِكَ كَيْفَ هُوَ؟ قَالَ: أَنْشُدْكُمْ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُونَ مِنْ صِفَةِ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي تَرَعُمُونَ أَنِّي لَسْتُ [إِيهِ] <sup>(١)</sup> تَنَامُ عَيْنُهُ وَقَلْبُهُ يَقْضَانُ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: وَكَذَا نَوْمِي قَالُوا فَأَخْبِرْنَا عَنِ الرُّوحِ [الْأَمِينِ] <sup>(٢)</sup>، قَالَ: أَنْشُدْكُمْ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ جَبْرَيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، وَهُوَ الَّذِي يَأْتِيكَ وَهُوَ لَنَا عَدُوٌّ، وَهُوَ مَلَكٌ إِنَّمَا يَأْتِي بِالْغُلْظَةِ وَشِدَّةِ الْأَمْرِ، وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَاتَّبَعْنَاكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيْلَ﴾، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ <sup>(٣)</sup> <sup>(٤)</sup>، إِلَى آخِرِ مَا مَرَّ فِي الْبَقَرَةِ.

وقوله: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ تَنْزَلَ التَّوْرَةُ﴾، مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ﴾، يَعْنِي: أَنَّ الْمَطَاعِمَ كُلَّهَا كَانَ لَمْ يَزَلْ حَلَالًا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ (مِنْ قَبْلِ أَنْزَالِ التَّوْرَةِ، وَأَمَّا تَحْرِيمُ مَا حُرِّمَ عَلَيْهِمْ مِنْهَا فَلِظُلْمِهِمْ وَبَغْيِهِمْ) <sup>(٥)</sup>؛ عُقُوبَةً لَهُمْ، وَتَشْدِيدًا عَلَيْهِمْ <sup>(٦)</sup>، (فَكَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِذَا أَصَابَتْ ذَنْبًا عَظِيمًا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ طَعَامًا طَيِّبًا، وَصَبَّ عَلَيْهِمْ رِجْزًا وَهُوَ الْمَوْتُ) <sup>(٧)</sup>، (وَلَمْ يُحَرِّمِ عَلَيْهِمْ مِنْهَا شَيْءٌ قَبْلَ ذَلِكَ غَيْرَ الْمَطْعُومِ الْوَاحِدِ الَّذِي حَرَّمَهُ أَبُوهُمْ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ فَتَبِعُوهُ عَلَى تَحْرِيمِهِ) <sup>(٨)</sup>، وَذَلِكَ (رَدٌّ عَلَى الْيَهُودِ وَتَكْذِيبٌ لَهُمْ؛ حَيْثُ أَرَادُوا بَرَاءَةَ سَاحَتِهِمْ مِمَّا) <sup>(٩)</sup> نُمِّي إِلَيْهِمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا \* وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكَلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ [١٣٢] مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ <sup>(١٠)</sup>، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ <sup>(١١)</sup> (وَجُحُودِهِمْ مَا غَاضَهُمْ وَاشْمَازُوا مِنْهُ

(١) في الأصل: منه، وما أثبت من المصدر الصواب .

(٢) ما بين المعقوفين ليس من المصدر.

(٣) سورة البقرة: الآية ٩٧ - ١٠٠ .

(٤) قصص الأنبياء: الراوندي: ٢٩٥ .

(٥) فقه القرآن: الراوندي: ٢٨٨/٢ .

(٦) ينظر: إرشاد العقل السليم: أبو السعود: ٥٨/٢ .

(٧) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٤٥/٢ .

(٨) فقه القرآن: الراوندي: ٢٨٨/٢ .

(٩) المصدر نفسه: ٢٨٨/٢ .

(١٠) سورة النساء: الآية ١٦٠ - ١٦١ .

(١١) سورة الأنعام: الآية ١٤٦ .



وَأَمْتَعَضُوا<sup>(١)</sup> مِمَّا نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ مِنْ تَحْرِيمِ الطَّيِّبَاتِ عَلَيْهِمْ؛ لِبَغْيِهِمْ وَظُلْمِهِمْ، فَقَالُوا: لَسْنَا بِأَوَّلَ مَنْ حُرِّمَتْ عَلَيْهِ، وَمَا هُوَ إِلَّا تَحْرِيمٌ قَدِيمٌ، قَدْ كَانَتْ مُحَرَّمَةً عَلَى نُوحٍ وَعَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَمَنْ بَعْدَهُمَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَهَلَمْ جَرًّا، إِلَى أَنْ انْتَهَى [التَّحْرِيمُ]<sup>(٢)</sup> إِلَيْنَا، فَحُرِّمَتْ عَلَيْنَا كَمَا حُرِّمَتْ عَلَى مَنْ قَبْلَنَا، وَغَرَضُهُمْ تَكْذِيبُ شَهَادَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمَ بِالْبَغْيِ وَالظُّلْمِ، وَالصَّدِّ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَكْلِ الرِّبَا، وَأَخْذِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، وَمَا عَدَدَهُ [اللَّهُ سُبْحَانَهُ] مِنْ مَسَاوِيهِمُ الَّتِي كَلَّمَا ارْتَكَبُوا مِنْهَا كَبِيرَةً حَرَّمَ عَلَيْهِمْ نَوْعٌ مِنَ الطَّيِّبَاتِ؛ عُقُوبَةً لَهُمْ<sup>(٣)</sup>، فَكَذَّبَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿قُلْ﴾، يَا مُحَمَّدُ، ﴿فَأْتُوا بِالنُّورَةِ فَاتْلُوهَا﴾، فَأَمَرَهُمُ بِالِاتِّيَانِ بِالنُّورَةِ بِأَنْ يَرَوْا مَا فِيهَا؛ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ الْأَمْرَ فِي ذَلِكَ كَمَا قُلْتَ لَا كَمَا قَالُوا، يَعْنِي: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَمَرَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ (بِأَنْ يُحَاجَّهُمْ بِكُتَابِهِمْ وَيُنَكِّتَهُمْ بِمَا هُوَ نَاطِقٌ بِهِ كِتَابُهُمْ) مِنْ أَنْ تَحْرِيمَ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ تَحْرِيمٌ حَادِثٌ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ وَبَغْيِهِمْ<sup>(٤)</sup>، وَصَدَّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ، وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ، وَأَكْلِهِمُ الرِّبَا، وَأَخْذِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَغَيْرِ ذَلِكَ (لَا تَحْرِيمٌ قَدِيمٌ كَمَا يَدَّعُونَهُ)<sup>(٥)</sup>، افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، فِي دَعْوَاكُمْ، رُويَ أَنَّهُمْ لَمْ يَجْسُرُوا عَلَى إِخْرَاجِ النَّورَةِ؛ لِعِلْمِهِمْ بِصِدْقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَكَذِبِهِمْ، فَبُهْتُوا وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ، فَقِي ذَلِكَ دَلِيلٌ ظَاهِرٌ، وَحُجَّةٌ بَيِّنَةٌ عَلَى صِدْقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَصِحَّةِ نُبُوَّتِهِ؛ إِذْ قَدْ عَلِمَ بِأَنْ فِي النَّورَةِ مَا يُدَلُّ عَلَى كِذْبِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَعَلَّمَ النَّورَةَ وَقَرَّأَهَا، وَعَلَى جَوَازِ النَّسْخِ الَّذِي يُنْكِرُونَهُ<sup>(٦)</sup>.

﴿فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾، وَتَعَمَّدَ بِذَلِكَ بِرَعْمِهِ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ مُحَرَّمًا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَ أَنْ يُنَزَّلَ النَّورَةُ، ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾، أَي: (مِنْ بَعْدِ قِيَامِ الْحُجَّةِ، وَظُهُورِ الْبَيِّنَةِ، ﴿فَأُولَئِكَ﴾، الْمُفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ، ﴿هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، لِأَنفُسِهِمْ)<sup>(٧)</sup>، الْمُكَابِرُونَ، لَا

(١) ومنه في حاشية الأصل: (مَعْضٌ مِنَ الْأَمْرِ، كَفَرَحٍ: غَضِبَ، وَشَقَّ عَلَيْهِ، فَهُوَ مَاعِضٌ وَمَعْضٌ، وَأَمْعَضَهُ وَمَعْضَهُ تَمْعِضًا، فَاْمْتَعَضَ)، القاموس المحيط: الفيرزآبادي: ٦٥٤ .

(٢) ما بين المعقوفين ليس من الأصل، وما أثبت من المصدر يقتضيه السياق .

(٣) الكشاف: الزمخشري: ٤٤٥/١ - ٤٤٦، وانظر: التفسير الأصفي: الفيض الكاشاني: ١/١٦١.

(٤) مدارك التنزيل: النسفي: ١/٢٧٤ .

(٥) المصدر نفسه: ١/٢٧٤ .

(٦) ينظر: الكشاف: الزمخشري: ٤٤٦/١، زبدة التفاسير: فتح الله الكاشاني: ٤/٥٥٩ .

(٧) مجمع البيان: الطبرسي: ٢/٣٤٥ .



يُنصِفُونَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى الْبَيِّنَاتِ فَيَفْعَلُونَ مَا يُوجِب عَلَيْهِمُ الْعِقَابَ الدَّائِمَ، (وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ مَعَ أَنَّهُمْ يَسْتَحِقُّونَ الْوَعِيدَ [وَالنَّكَالَ] <sup>(١)</sup> بِالْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ الْبَيَانَ أَنَّهُ إِنَّمَا يُؤَاخِذُ بِهِ بَعْدَ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، وَمَنْ كَذَبَ فِيمَا لَيْسَ بِمَحْجُوجٍ فَقَدْ جَرَى مَجْرَى الصَّبِيِّ الَّذِي لَا يَسْتَحِقُّ الْوَعِيدَ بِكَذِبِهِ <sup>(٢)</sup>، وَ (لَمَّا تَقَدَّمَ مَحَاجَّتَهُمْ فِي مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَ مِمَّا أَنْكَرُوا عَلَى نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَحْلِيلُ لَحْمِ الْجُرُورِ، وَادَّعَاوَا تَحْرِيمَهُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنَّ ذَلِكَ مَذْكَورٌ فِي التَّوْرَةِ، أَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ [وَمَا قَبْلَهَا] <sup>(٣)</sup>؛ تَكْذِيبًا لَهُمْ <sup>(٤)</sup>، وَتَعْرِيزًا بِكَذِبِهِمْ فَقَالَ: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾، فِي أَنَّ كُلَّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَنْتُمْ الْكَافِرُونَ، وَفِي أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ، وَأَنَّ دِينَهُ هُوَ الْإِسْلَامُ دُونَ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ، وَإِنَّمَا أَخَذْتُهُمَا الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى.

﴿فَاتَّبَعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ الَّتِي هِيَ دِينُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَمِلَّتُهُ (فِي اسْتِبَاحَةِ لُحُومِ الْإِبِلِ وَالْبَنَاهَا) <sup>(٥)</sup>، ثُمَّ بَرَّأَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِمَّا كَانَ تَنْسِيئُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَالْمُشْرِكُونَ إِلَيْهِ مِنْ كَوْنِهِ عَلَى دِينِهِمْ فَقَالَ: ﴿حَنِيفًا﴾، أَي: مَائِلًا عَنِ جَمِيعِ الْأَدْيَانِ الْبَاطِلَةِ إِلَى دِينِ الْحَقِّ ثَابِتًا <sup>(٦)</sup> (مُسْتَقِيمًا عَلَى الدِّينِ الَّذِي هُوَ شَرِيعَتُهُ فِي حُجَّتِهِ، وَنُسُكِهِ، وَطِيبِ مَأْكَلِهِ [وغير ذلك] <sup>(٧)</sup>)، وَتِلْكَ الشَّرِيعَةُ هِيَ الْحَنِيفِيَّةُ <sup>(٨)</sup> السَّمْحَةُ السَّهْلَةُ، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، فَأَحْبَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ بَرِيئًا مِنَ الشِّرْكِ وَمِنَ الْمُشْرِكِينَ وَمِنَ دِينِهِمْ، كَمَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَرَسُولُهُ بَرِيءٌ (مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَدِينِهِمْ، وَالصَّحِيحُ أَنَّ نَبِيَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمْ يَكُنْ مُتَعَبِّدًا بِشَرِيعَةٍ مِنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَلَكِنْ وَافَقَتْ شَرِيعَتُهُ صَلَّى اللَّهُ

(١) ما بين المعقوفين ليس من المصدر.

(٢) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٤٥/٢ .

(٣) ما بين المعقوفين ليس من المصدر.

(٤) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٤٥/٢ .

(٥) المصدر نفسه: ٣٤٦/٢ .

(٦) ينظر: المصدر نفسه: ٣٤٦/٢ .

(٧) ما بين المعقوفين ليس من المصدر.

(٨) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٤٦/٢ .

عَلَيْهِ وَآلِهِ شَرِيعَةَ إِبْرَاهِيمَ<sup>(١)</sup> أَبِيهِ وَأَبِي الْعَرَبِ وَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿فَاتَّبَعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾، (وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَمِيلُونَ إِلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلِذَلِكَ حُوطِبُوا بِذَلِكَ)<sup>(٢)</sup>.

فَفِي هَذِهِ الْآيَةِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ (اتِّبَاعَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَاجِبٌ فِي التَّوْحِيدِ الصَّرْفِ، وَالْإِسْتِقَامَةِ فِي الدِّينِ، وَالْمَنْزِلَةَ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ، وَالتَّجَنُّبِ عَنِ الْإِفْرَاطِ وَالتَّقْرِيطِ، وَالْجَبْرِ وَالتَّقْوِيضِ)<sup>(٣)</sup>، وَتَعْرِضُ وَإِيمَاءٌ إِلَى شِرْكَ الْيَهُودِ<sup>(٤)</sup> وَمَنْ يَحْذُو حَذْوَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْمَلِ وَالْأَدْيَانِ وَعَدَمِ إِيْمَانِهِمْ كَمَا صَرَّحَ بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ عَزَّ مَنْ قَائِلٌ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾<sup>(٥)</sup>، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾<sup>(٦)</sup>، وَقَالَ: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾<sup>(٧)</sup> الْآيَةَ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ<sup>(٨)</sup>، آيَاتَان .

#### الْقِرَاءَةُ:

قَرَأَ حَمْرَةً وَالْكَسَائِيَّ وَعَاصِمٌ ﴿حِجُّ الْبَيْتِ﴾ بِكَسْرِ الْحَاءِ وَهِيَ لَعْنَةُ أَهْلِ نَجْدٍ، وَالْبَاقُونَ بِفَتْحِهَا<sup>(٩)</sup>، يُقَالُ: حَجَّ يَحُجُّ حَجًّا بِفَتْحِ الْحَاءِ، وَحَجًّا بِكَسْرِ الْحَاءِ أَيْضًا مِثْلَ ذَكَرَ ذِكْرًا، فَعَلَى هَذَا يَكُونُ كِلَاهُمَا مَصْدَرَيْنِ، قَالَ سِيبَوِيهِ: (حَجَّ حَجًّا [١٣٣] مِثْلَ ذَكَرَ ذِكْرًا)<sup>(١٠)</sup>، فَ﴿حِجُّ الْبَيْتِ﴾ مَصْدَرٌ، فَهَذَا حُجَّةٌ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ كَسْرَ الْحَاءِ فِي الْمَصْدَرِ، وَقِيلَ: الْحِجُّ بِكَسْرِ الْحَاءِ اسْمُ الْمَصْدَرِ، وَالْحِجَّةُ بِالْكَسْرِ لِلْمَرَّةِ الْوَاحِدَةِ شَاذٌ، وَالْقِيَاسُ الْفَتْحُ قَالَ أَبُو عَلِيٍّ: (الْحُجَّةُ

(١) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٤٦/٢.

(٢) التبيين: الطوسي: ٥٣٤/٢ .

(٣) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٤) أنوار التنزيل: البيضاوي: ٢٩/٢ .

(٥) سورة التوبة: الآية ٣٠ .

(٦) سورة التوبة: الآية ٢٨ .

(٧) سورة التوبة: الآية ٢٩ .

(٨) سورة آل عمران: الآية ٩٦ - ٩٧ .

(٩) ينظر: شرح طيبة النشر: ابن الجزري: ٢٠٩، المكرر في ما تواتر: النُّشَار: ٧٥ .

(١٠) المخصص: ابن سيده: ٥٩/٤ .

مِنْ حِجِّ الْبَيْتِ الْوَاحِدَةِ، قَالَ سَبِيئِيهِ: قَالُوا حِجَّةٌ أَرَادُوا عَمَلَ سَنَةِ وَاحِدَةٍ، وَلَمْ يَجِئُوا بِهَا عَلَى الْأَصْلِ، وَلَكِنَّهُ اسْمٌ لَهُ، فَقَوْلُهُ لَمْ يَجِئُوا بِهَا عَلَى الْأَصْلِ أَرَادَ أَنَّهُ هُنَا لِلدَّفْعَةِ مِنَ الْفِعْلِ، [قَالَ تَقْيَاسُ فَتْحِ الْحَاءِ] <sup>(١)</sup> وَلَكِنَّهُمْ كَسَرُوهُ فَجَعَلُوهُ اسْمًا لِهَذَا الْمَعْنَى <sup>(٢)</sup>.

اللغة:

(أَوَّلُ الشَّيْءِ: ابْتِدَاؤُهُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُبْتَدَأُ لَهُ آخِرٌ، وَأَنْ يَكُونَ لَا آخِرَ لَهُ) <sup>(٣)</sup> كَنَعِيمِ الْجَنَّةِ لَهُ أَوَّلٌ وَلَا آخِرَ لَهُ، وَأَوَّلُ اسْمٍ تَفْضِيلٌ وَزَنْهُ أَفْعَلٌ بِزِيَادَةِ الْهَمْزَةِ، وَأَصَالَةُ الْوَاوِي دَلِيلٌ أَوْلَى وَأَوَّلٌ وَهَمَّا فُعَلَى وَفُعَلٌ كَفُضَلَى وَفُضِلَ فِي أَفْضَلَ أَصْلُهُمَا وُؤَلَى وَوُؤَلٌ قُلِبَتِ الْوَاوُ الْأَوْلَى مِنْهُمَا هَمْزَةً وَجُوبًا كَمَا فِي أُوَيْصِلَ وَأَوَاصِلٍ فِي تَصْغِيرِ وَاصِلٍ وَجَمْعِ وَاصِلَةٍ أَصْلُهُمَا وُؤَيْصِلٌ وَوَوَاصِلٌ قُلِبَتِ الْوَاوُ الْأَوْلَى مِنْهُمَا هَمْزَةً وَجُوبًا، وَكَذَا أَوَاقٍ فِي جَمْعِ وَاقِيَةٍ أَصْلُهَا وَوَاقٍ وَلَيْسَ وَزْنٌ أَوَّلٌ فَوَعَلَ وَلَا فَعُولٌ وَلَا عَوَقَلَ وَلَا عَفَوَلَ كَمَا ذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ بَعْضُ الْكُوفِيِّينَ، ثُمَّ الصَّحِيحُ مِنَ الْمَذَاهِبِ أَنَّهُ مُشْتَقٌّ مِنْ وَوَلٍ زَيْدٌ فِي أَوَّلِهِ هَمْزَةٌ وَأُدْغِمَتِ الْوَاوُ فِي الْوَاوِ هُنَا أَوَّلٌ لَا مِنْ وَأَلَّ وَلَا مِنْ أَوَّلٍ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْكُوفِيَّةُ عَلَى مَا بَيَّنَّاهُ مُفَصَّلًا فِي تَوْشِيحِ الْوَاقِيَةِ فِي شَرْحِ نَظْمِ الشَّافِيَةِ فِي بَابِ ذِي الزِّيَادَةِ وَالْبَكَّةِ مِنَ (الْبَكِ وَهُوَ الرَّحْمُ، يُقَالُ بَكَّهَ يَبْكُهُ بَكًّا: إِذَا رَحَمَهُ، وَتَبَاكَ النَّاسُ: إِذَا ازْدَحَمُوا، فَبَكَّةٌ: مُزْدَحِمٌ النَّاسِ لِلطَّوَافِ) <sup>(٤)</sup> فَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِذَلِكَ وَهِيَ (مَا حَوْلَ الْكَعْبَةِ مِنْ دَاخِلِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) <sup>(٥)</sup>، أَوْ مِنْ بَكَّهَ إِذَا دَقَّهَ؛ (لِأَنَّهَا تَبْكُ أَعْنَاقَ الْجَبَابِرَةِ إِذَا أَلْحَدُوا فِيهَا بِظُلْمٍ، وَلَمْ يُمْهَلُوا، وَالْبَكُّ: دَقُّ الْعُنُقِ) <sup>(٦)</sup> فَسُمِّيَتْ بِكَّةٍ بِهَا لِذَلِكَ أَيْضًا، وَأَمَّا مَكَّةٌ فَيجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ (أَمْتِكَ الْفَصِيلُ مَا فِي ضَرْعِ النَّاقَةِ: إِذَا مَصَّهَا مَصًّا شَدِيدًا، حَتَّى لَا يُبْقِيَ شَيْئًا) <sup>(٧)</sup>، سُمِّيَتْ بِهَا لِقَلَّةِ مَائِهَا، وَلِإِنْمِحَاءِ الذُّنُوبِ فِيهَا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَصْلُهَا بَكَّةٌ فَأُبْدِلَتِ الْمِيمُ مِنَ الْبَاءِ كَمَا يَقُولُونَ ضَرَبَ لَازِفٌ، وَضَرَبَ لَازِمٌ، وَأَمْرٌ رَاتِبٌ وَرَاتِمٌ أَي: ثَابِتٌ وَنُبَيْطٌ وَنُمَيْطٌ، قِيلَ: بَكَّةٌ وَمَكَّةٌ وَوَقِيلَ: بَكَّةٌ مَوْضِعُ الْبَيْتِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَكَّةٌ

(١) ما بين المعقوفين ليس من المصدر.

(٢) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٤٦/٢ - ٣٤٧، وانظر: لسان العرب: ابن منظور: ٢٢٦/٢، مادة حجج .

(٣) المصدر نفسه: ٣٤٧/٢ .

(٤) المصدر نفسه: ٣٤٧/٢ .

(٥) المصدر نفسه: ٣٤٧/٢ .

(٦) المصدر نفسه: ٣٤٧/٢ .

(٧) المصدر نفسه: ٣٤٧/٢ .

الْبَلَدِ كُلِّهِ<sup>(١)</sup>، وَالْفَرْقُ وَالْتَّقْصِيلُ أَصْحُ كَمَا يَأْتِي فِي ضِمْنِ الْأَخْبَارِ الْإِتْيَةِ، وَالْبَرَكَةُ: التُّبُوتُ وَتُبُوتُ الْخَيْرِ وَنُموهُ<sup>(٢)</sup> وَمِنْهُ ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ﴾، وَ﴿تَبَارَكَ الَّذِي﴾ الْآيَاتَانِ<sup>(٣)</sup>، لِتُبُوتِهِ سُبْحَانَهُ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ وَحْدَهُ، وَالْحَجَّ: الْقَصْدُ وَقَصْدُ مَكَّةَ لِلشُّكِّ الْمَحْصُوصَةِ<sup>(٤)</sup>.

### الإعراب:

جُمْلَةٌ ﴿وُضِعَ﴾ عَلَى بِنَاءِ الْمَفْعُولِ صِفَةً ﴿بَيَّنَّتِ﴾ وَالْوَاضِعُ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى وَ﴿لِلَّذِي﴾ يَفْتَحُ اللَّامَ خَبَرَ ﴿إِنَّ﴾، وَ﴿بِبَكَّةَ﴾ ظَرْفٌ مُسْتَقَرٌّ صِلَةَ الَّذِي، وَهِيَ غَيْرُ مُنْصَرِفَةٍ لِلْعَلَمِيَّةِ وَالْتَّانِيثِ، وَ﴿مُبَارَكًا﴾ حَالٌ مِنْ فَاعِلِ الظَّرْفِ، أَعْنِي: بِبَكَّةَ بِمَعْنَى لِلَّذِي اسْتَقَرَّ بِبَكَّةَ مُبَارَكًا، فَعَلَى هَذَا لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَدْ وُضِعَ بَيَّنَّتِ قَبْلَهُ كَمَا هُوَ الْمَقْصُودُ هُنَا، وَقِيلَ: مُبَارَكًا حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ الْمُسْتَقَرِّ فِي وُضِعَ، فَعَلَى هَذَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَدْ وُضِعَ بَيَّنَّتِ قَبْلَهُ كَمَا هُوَ لَيْسَ بِمَقْصُودٍ هُنَا، ﴿وَهَدَى﴾ عَطْفٌ عَلَى مُبَارَكًا، ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِهَدَى، وَيَجُوزُ تَعَلُّقُهُ بِمُبَارَكًا أَيْضًا عَلَى سَبِيلِ التَّنَازُعِ، ﴿فِيهِ﴾ خَبَرٌ مُقَدَّمٌ، وَ﴿آيَاتٍ﴾ مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ، وَ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ صِفَةٌ آيَاتٍ، وَ﴿مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ﴾ إِمَّا بَدَلٌ مِنْ ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ بَدَلُ الْبَعْضِ مِنَ الْكُلِّ، وَإِمَّا مُبْتَدَأٌ مَحذُوفٌ الْخَبَرَ الْمَجْرُورِ بِمَنْ التَّبَعِيضِيَّةِ، وَالتَّقْدِيرُ مِنْهَا مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ، أَي: مِنْ تِلْكَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ، وَإِمَّا خَبَرٌ لِمُبْتَدَأٍ مَحذُوفٍ مَعَ حَذْفِ الْمَعْطُوفِ عَلَى الْخَبَرِ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْأَخْفَشُ، وَالتَّقْدِيرُ هِيَ، أَي: الْآيَاتِ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ وَغَيْرِهِ، وَإِمَّا عَطْفٌ بَيَانٍ لِآيَاتِ بَيِّنَاتٍ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ هِيَ أَثَرُ قَدَمِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالصَّخْرَةَ الصَّمَاءِ وَغَوْصَهَا فِيهَا إِلَى الْكَعْبِيِّنَ وَإِلَانَةُ بَعْضِ الصَّخْرَةِ دُونَ بَعْضٍ، وَتَخْصِيصُ قَدَمِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَذِهِ الْآيَةِ دُونَ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَإِتْبَاؤُهُ وَحِفْظُهُ مَعَ كَثْرَةِ أَعْدَائِهِ<sup>(٥)</sup> مِنَ الْمُشْرِكِينَ الْمَلَاحِدَةِ، فَهُوَ وَحْدَهُ خَمْسُ آيَاتٍ، فَفِيهِ أَرْبَعَةٌ أَوْجُهُ كَمَا رَأَيْتَهَا وَمَنْ فِي ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ﴾ مَوْصُولَةٌ مُتَضَمِّنَةٌ مَعْنَى الشَّرْطِ، أَوْ شَرْطِيَّةٌ مُبْتَدَأٌ عَلَى الْوَجْهَيْنِ، وَجُمْلَةٌ ﴿كَانَ آمِنًا﴾ خَبَرٌ وَجَوَابُ الشَّرْطِ، لَكِنَّهَا مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى مَعْطُوفَةٌ عَلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ؛ لِأَنَّهُ فِي الْمَعْنَى وَأَمِنْ مَنْ دَخَلَهُ، وَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ

(١) ينظر: معجم ما استعجم: أبو عبيد البكري: ٢٦٩/١، مادة بكة.

(٢) ينظر: القاموس المحيط: الفيروزآبادي: ٩٣٢، مادة البركة.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، سورة الأعراف: من الآية ٥٤، وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، سورة الملك: الآية ١.

(٤) ينظر: مختار الصحاح: الرازي: ٧٣، مادة حجج.

(٥) ينظر: أنوار التنزيل: البيضاوي: ٢٩/٢، زبدة التفسير: فتح الله الكاشاني: ٥٢٧/١.

كَمَا سُنِّشِيرِ إِلَى ذَلِكَ فِي الْمَعْنَى، ﴿وَلِلَّهِ خَبْرٌ مُقَدَّمٌ، حِجُّ الْبَيْتِ﴾ مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ مِنْ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ إِلَى الْمَفْعُولِ وَ﴿عَلَى النَّاسِ مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ: ﴿لِلَّهِ﴾، كَمَا فِي قَوْلِهِمْ: (لَهُ عَلَيَّ أَلْفٌ دِرْهَمٌ) (١).

وفي (مَنْ اسْتَطَاعَ) ثلاثة أوجه:

وَفِي مَنْ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ ثَلَاثَةٌ أَوْجُهُ أَحَدُهَا أَنْ تَكُونَ فِي مَحَلِّ الرَّفْعِ فَاعِلٌ ﴿حِجُّ الْبَيْتِ﴾، مِثْلَ عَجِبْتُ مِنْ أَكْلِ الْخُبْرِ رَيْدًا، وَالتَّقْدِيرُ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَحِجَّ الْبَيْتَ الْمُسْتَطِيعُ مِنْهُمْ، وَثَانِيهَا أَنْ تَكُونَ فِي مَحَلِّ بَدَلًا مِنَ النَّاسِ، وَحُذِفَ فَاعِلُ الْمَصْدَرِ؛ بِدَلَالَةِ مَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ عَلَيْهِ وَالتَّقْدِيرُ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ مُسْتَطِيعِهِمْ إِلَيْهِ سَبِيلًا حِجُّ الْبَيْتِ، فَعَلَى هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ مَنْ مَوْصُولَةٌ لَا غَيْرَ، وَثَالِثُهَا أَنْ تَكُونَ شَرْطِيَّةً مَرْفُوعَ الْمَحَلِّ مُبْتَدَأً مَحْذُوفَ الْخَبَرِ، وَيَكُونُ تَفْصِيلًا لِمَا أُجْمِلَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ [١٣٤] حِجُّ الْبَيْتِ﴾، وَالتَّقْدِيرُ ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ فَعَلَيْهِ ذَلِكَ، فَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مِنْ شَرْطِيَّةٍ، أَوْ مَوْصُولَةٍ مُتَضَمِّنَةً مَعْنَى الشَّرْطِ فَحِينَئِذٍ يُوقَفُ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿الْبَيْتِ﴾، ثُمَّ يُبْتَدَأُ بِقَوْلِهِ: ﴿مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾، وَمَنْ فِي ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ شَرْطِيَّةٌ مُبْتَدَأٌ، وَجُمْلَةٌ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ جَوَابُ الشَّرْطِ وَخَبْرُ الْمُبْتَدَأِ، أَوْ هُوَ مَعَ الشَّرْطِ خَبْرُ الْمُبْتَدَأِ.

النُّزُولُ:

فِي الْمَجْمَعِ (قَالَ مُجَاهِدٌ: تَفَاخَرَ الْمُسْلِمُونَ وَالْيَهُودُ، فَقَالَتِ الْيَهُودُ: بَيْتُ الْمَقْدِسِ أَفْضَلُ وَأَعْظَمُ مِنَ الْكَعْبَةِ؛ لِأَنَّهُ مُهَاجِرُ الْأَنْبِيَاءِ وَفِي الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، وَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: بَلِ الْكَعْبَةُ أَفْضَلُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ (الآية) (٢).

المَعْنَى:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾، أَي: وُضِعَ وَظَهَرَ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ (وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ بَيْتٌ مَبْنِيٌّ، وَإِنَّمَا دُحِيتِ الْأَرْضُ مِنْ تَحْتِهِ) (٣) إِلَى الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ، فَهُوَ أَوَّلُ بَيْتٍ ظَهَرَ بِأَمْرِ اللَّهِ

(١) الكتاب: سيبويه: ٣٨٠/١ .

(٢) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٤٧/٢ .

(٣) الكشف والبيان: الثعلبي: ١١٤/٣ .

عَزَّ وَجَلَّ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ عِنْدَ إِرَادَتِهِ سُبْحَانَهُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ (خَلَقَهُ قَبْلَ الْأَرْضِ [وَالسَّمَاءِ])<sup>(١)</sup> بِاللَّفِي عَامٍ، وَكَانَتْ زَبْدَةً بَيضاءَ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ<sup>(٢)</sup>.

وَفِي الْفَقِيهِ قَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَا أَجَابَ بِهِ الرَّزْدِيَّ ابْنَ أَبِي الْعَوْجَاءِ حَيْثُ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَهَذَا بَيِّنَةٌ اسْتَعْبَدَ اللَّهُ بِهِ خَلْقَهُ؛ لِيُخْتَبَرَ طَاعَتُهُمْ فِي إِيْتَانِهِ، فَحَثُّهُمْ عَلَى تَعْظِيمِهِ، وَزِيَارَتِهِ، وَجَعَلَهُ مَحَلًّا أَنْبِيَائِهِ، وَقِبْلَةً لِلْمُصَلِّينَ لَهُ، فَهُوَ شُعْبَةٌ مِنْ رِضْوَانِهِ، وَطَرِيقٌ يُؤَدِّي إِلَى غُفْرَانِهِ، مَنْصُوبٌ عَلَى اسْتِوَاءِ الْكَمَالِ، وَمُجْتَمِعِ الْعِظَمَةِ وَالْجَلَالِ، خَلَقَهُ اللَّهُ قَبْلَ دَحْوِ الْأَرْضِ بِاللَّفِي عَامٍ»<sup>(٣)</sup>، الْحَدِيثُ طَوِيلٌ أَخَذْنَا مِنْهُ مَوْضِعَ الْحَاجَةِ.

فِي الْكَافِي وَالْعِيَّاشِيَّ «عَنْ أَبِي جَعْفَرِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَخْلُقَ الْأَرْضَ أَمَرَ الرِّيَّاحَ، فَضَرَبْنَ [مَتْنًا]<sup>(٤)</sup> الْمَاءَ حَتَّى صَارَ مَوْجًا، ثُمَّ أَرَبَدَ فَصَارَ زَبْدًا وَاجِدًا فَجَمَعَهُ فِي مَوْضِعِ النَّبِيِّ، ثُمَّ جَعَلَهُ جَبَلًا مِنْ زَبَدٍ ثُمَّ دَحَا الْأَرْضَ مِنْ تَحْتِهِ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيِّنَةٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾<sup>(٥)</sup> الْحَدِيثُ.

فَخَلَقَ الْمَاءَ قَبْلَ خَلْقِ النَّبِيِّ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ خَلَقَ النَّبِيَّ وَالْأَرْضَ، وَقَدَّرَ أَقْوَاتَ أَهْلِهَا قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاءِ، لَكِنْ دَحْوُ الْأَرْضِ بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاءِ وَمَا فِيهَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ فَصَّلَتْ: ﴿قُلْ أَنْتُمْ لَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ \* وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لَيْن \* ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ \* فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ»<sup>(٦)</sup>، وَقَالَ فِي سُورَةِ النَّازِعَاتِ: ﴿أَأَنْتُمْ أَنْشَدْتُمْ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا \* رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا \* وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا \* وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ

(١) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٢) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٤٧/٢ .

(٣) من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ٢٥٠/٢ ح/٢٣٢٥ .

(٤) في المصدر: وجه .

(٥) الكافي: الكليني: ٧/١٩٠/٤، بَابُ أَنْ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنَ الْأَرْضِيِّينَ مَوْضِعَ النَّبِيِّ وَكَيْفَ كَانَ أَوَّلَ مَا خَلَقَ، تَفْسِيرُ

العياشي: العياشي: ١٨٦/١ .

(٦) سورة فصلت: الآية ٩ - ١٢ .

دَحَاهَا ﴿١﴾ (الآيات، يَعْنِي: أَنَّ خَلْقَ الْبَيْتِ الَّذِي مَوْضِعَ دَحْوِ الْأَرْضِ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاءِ وَمَا فِيهَا، لَكِنْ دَحْوُهَا بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاءِ.

وَفِي الْكَافِي أَيْضًا عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْحَضْرَمِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ لِلْأَبْرَشِ: "يَا أَبْرَشُ هُوَ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ (٢) وَالْمَاءُ عَلَى الْهَوَاءِ، وَالْهَوَاءُ لَا يُحَدُّ، وَلَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ خَلْقٌ غَيْرُهُمَا، وَالْمَاءُ يَوْمَئِذٍ عَذْبٌ فُرَاتٌ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ الْأَرْضَ أَمَرَ الرِّيَّاحَ فَضَرَبَتْ [مَتْنًا] (٣) الْمَاءَ" (٤) إِلَى آخِرِ مَا مَرَّ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْوِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْفَاءً إِلَى قَوْلِهِ: "وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾" (٥)، وَزَادَ فِي الْفَقِيهِ "فَأَوَّلُ بُقْعَةٍ خُلِقَتْ مِنَ الْأَرْضِ الْكَعْبَةُ، ثُمَّ مَدَّتِ الْأَرْضُ مِنْهَا" (٦)، وَفِيهِ "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اخْتَارَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ شَيْئًا، وَاخْتَارَ مِنَ الْأَرْضِ مَوْضِعَ الْكَعْبَةِ" (٧) الْحَدِيثَ، فَهُوَ أَفْضَلُ وَأَقْدَمُ.

وَفِي الْعُيُونِ فِي بَابِ مَا كَتَبَهُ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مُحَمَّدَ بْنِ سِنَانَ فِي جَوَابِ مَسَائِلِهِ فِي الْعِلَلِ وَعِلَّةُ "وَضَعِ الْبَيْتَ وَسَطَ الْأَرْضِ أَنَّهُ الْمَوْضِعُ الَّذِي مِنْ تَحْتِهِ دُحِيتُ الْأَرْضِ، وَكُلُّ رِيحٍ تَهْبُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّهَا تَخْرُجُ مِنْ تَحْتِ الرُّكْنِ الشَّامِيِّ، وَهِيَ أَوَّلُ بُقْعَةٍ وُضِعَتْ فِي الْأَرْضِ؛ لِأَنَّهَا الْوَسْطُ لِيَكُونَ الْفَرْضُ لِأَهْلِ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ فِي ذَلِكَ سَوَاءً" (٨).

وَفِي الْمَجْمَعِ وَرُوِيَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: "إِنَّهَا كَانَتْ مَهَاءً بَيْضَاءَ، يَعْنِي: دُرَّةً بَيْضَاءَ" (٩)، وَفِي الْفَقِيهِ أَيْضًا "وَسَأَلَ مُحَمَّدَ بْنَ عِمْرَانَ الْعِجْلِيَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَيُّ شَيْءٍ كَانَ مَوْضِعَ الْبَيْتِ حَيْثُ كَانَ الْمَاءُ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى

(١) سورة النازعات: الآية ٢٧ - ٣٠ .

(٢) سورة هود: الآية ٧ .

(٣) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٤) لم نجد هذا الحديث في الكافي، بل في تفسير القمي: علي بن إبراهيم: ٦٩/٢ .

(٥) الكافي: الكليني: ٧/١٩٠/٤، بَابُ أَنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنَ الْأَرْضِ مَوْضِعَ الْبَيْتِ وَكَيْفَ كَانَ أَوَّلَ مَا خَلَقَ، تفسير العياشي: العياشي: ١٨٦/١ .

(٦) من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ٢/٢٤١/٢ ح/٢٢٩٦ .

(٧) المصدر نفسه: ٢/٢٤٣/٢ ح/٢٣٠٦ .

(٨) عيون أخبار الرضا(ع): الصدوق: ٢/٩٧/٢ ح/١ .

(٩) مجمع البيان: الطبرسي: ٢/٣٤٨ .



الماء<sup>(١)</sup>؟ قال: كان مهأه بيضاء يعنى درة<sup>(٢)</sup>، وروى أبو خديجة عنه عليه السلام قال: "إن الله عز وجل [أنزل البيت]<sup>(٣)</sup> لآدم عليه السلام من الجنة وكان درة بيضاء، فرفعه الله تعالى إلى السماء، وبقي أسه وهو بحيال هذا البيت يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لا يرجعون إليه أبداً، فأمر الله عز وجل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ببنيان [البيت]<sup>(٤)</sup> على القواعد<sup>(٥)</sup> وفيه<sup>(٦)</sup> (كان في موضع البيت)<sup>(٧)</sup> قبل آدم بيت يقال له الصراح يطوف به الملائكة، فلما أهبط [آدم]<sup>(٨)</sup> أمر بأن يحجه ويطوف حوله ورفع في الطوفان إلى السماء الرابعة تطوف به ملائكة السموات<sup>(٩)</sup>، وروى أبو ذر أنه سئل النبي صلى الله عليه وآله عن أول مسجد وضع للناس؟ قال: المسجد الحرام، ثم بيت المقدس، وسئل كم بينهما؟ قال: أربعون سنة<sup>(١٠)</sup>. [١٣٥]

وفي الفقيه في رواية عيسى بن عبد الله الهاشمي، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان موضع الكعبة ربة<sup>(١١)</sup> من الأرض بيضاء تضيء كضوء الشمس والقمر حتى قتل ابنا آدم أحدهما صاحبه فاسودت، فلما نزل آدم عليه السلام رفع الله عز وجل له الأرض كلها حتى رآها ثم قال: هذه لك كلها قال: يا رب ما هذه الأرض البيضاء المنيرة؟ قال: [هي]<sup>(١٢)</sup> حرمي في أرضي، وقد جعلت عليك أن تطوف بها كل يوم سبعمائة طواف<sup>(١٣)</sup>.

(١) سورة هود: الآية ٧ .

(٢) من لا يحضره الفقيه: ٢/٢٤٢/٢ ح/٢٣٠١ .

(٣) في المصدر: أنزله .

(٤) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٥) من لا يحضره الفقيه: ٢/٢٤٢/٢ ح/٢٣٠٢ .

(٦) ومنه في حاشية الأصل: أي: في المجمع .

(٧) في المصدر: موضعه .

(٨) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٩) لم نعثر عليه في مجمع البيان، بل في أنوار التنزيل: البيضاوي: ٢/٢٩ .

(١٠) تخريج الأحاديث: الزيلعي: ١/١٩٥ ؟

(١١) الرتبة: (كل ما ارتفع من الأرض وزيا)، لسان العرب: ابن منظور: ٣٠٦/١٤، مادة ربا .

(١٢) في الأصل: هذه، وما أثبت من المصدر الصواب .

(١٣) من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ٢/٢٤٣/٢ ح/٢٣٠٣ .

### ذكر بكة ومكة والفرق بينهما من الحديث واللغة:

﴿لِلَّذِي بِبَكَّةَ﴾، أَي: لِلْبَيْتِ الَّذِي اسْتَقَرَّ بِبَكَّةَ، وَهِيَ مَوْضِعُ الْبَيْتِ وَالْحَجَرِ الْأَسْوَدِ وَالْمَطَافِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَأَمَّا مَكَّةُ فَهِيَ هِيَ وَ(الْحَرَمُ كُلُّهُ، يَدْخُلُ فِيهِ الْبُيُوتُ) (١) وَهُوَ الْمَرْوِيُّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: بَكَّةُ بَطْنُ مَكَّةَ، وَمَكَّةُ: اسْمُ الْبَلَدِ، وَقِيلَ: بَكَّةُ هِيَ مَكَّةُ وَالْعَرَبُ تَبَدَّلُ الْبَاءَ مِنْمَاءً فَيَقُولُونَ فِي لَازِبٍ لَازِمٌ، وَفِي رَابٍ رَاتِمٌ، وَفِي سَبَدٍ رَأْسُهُ سَمَدٌ رَأْسُهُ (٢)، كَمَا ذَكَرْنَاهُ آتِفًا فِي اللَّغَةِ.

وَفِي كِتَابِ الْخِصَالِ "عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: أَسْمَاءُ مَكَّةَ حَمْسَةٌ: أُمُّ الْقُرَى، وَمَكَّةُ، وَبَكَّةُ، وَالْبَسَاسَةُ كَانُوا إِذَا ظَلَمُوا بِهَا بَسْتَهُمْ أَي: أَخْرَجْتَهُمْ وَأَهْلَكْتَهُمْ، وَأُمُّ رُحْمٍ كَانُوا إِذَا لَزِمُوهَا رُحِمُوا" (٣)، وَمِثْلُهُ فِي الْفَقِيهِ (٤).

وَفِي تَفْسِيرِ الْعِيَّاشِيِّ "عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: مَكَّةُ جُمْلَةُ الْقُرْيَةِ، وَبَكَّةُ مَوْضِعُ الْحَجَرِ الَّذِي تَبُّكُ النَّاسُ (٥) بَعْضُهُمْ بَعْضًا" (٦)، "عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّ بَكَّةَ مَوْضِعُ الْبَيْتِ، وَأَنَّ مَكَّةَ الْحَرَمُ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾" (٧).

وَفِي الْعِلَلِ بِإِسْنَادِهِ "عَنِ الْعُزْرَمِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّمَا سُمِّيَتْ مَكَّةُ بَكَّةً؛ لِأَنَّ النَّاسَ يَتَّبَاكُونَ فِيهَا" (٨)، (يَعْنِي: يَزْدَحِمُونَ) (٩)، وَبِإِسْنَادِهِ "عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِمَ سُمِّيَتْ الْكَعْبَةُ بَكَّةً؟ فَقَالَ: لِبُكَاءِ النَّاسِ حَوْلَهَا وَفِيهَا" (١٠)، بِإِسْنَادِهِ إِلَى "سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ:

(١) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٤٨/٢ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٣٤٨/٢ .

(٣) الخصال: الصدوق: ٢٧٨/٢٢ .

(٤) ينظر: من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ٢٥٧/٢، مع اختلاف يسير .

(٥) تَبُّكُ النَّاسِ: أَي: تَزاحم وتدافع، أنظر: مقاييس اللغة: ابن فارس: ١/١٨٦، مادة بَكَ .

(٦) تفسير العيَّاشي: العيَّاشي: ١/١٨٧ .

(٧) المصدر نفسه: ١/١٨٧ .

(٨) علل الشرائع: ٣٩٧/٢/١، باب العلة التي من أجلها سميت مكة بكَّة .

(٩) تفسير الصَّافي: الفيض الكاشاني: ١/٣٥٧ .

(١٠) علل الشرائع: ٣٩٧/٢/٢، باب العلة التي من أجلها سميت مكة بكَّة .

مَوْضِعُ النَّبِيتِ بَكَّةَ، وَالْقَرْيَةُ مَكَّةَ" (١)، "عَنْ أَبِي بَانَ عَنِ الْفَضِيلِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّمَا سُمِّيَتْ مَكَّةُ بَكَّةَ؛ لِأَنَّهُ يُبَكُّ بِهَا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ، وَالْمَرْأَةُ تُصَلِّي بَيْنَ يَدَيْكَ، وَعَنْ يَمِينِكَ، وَعَنْ شِمَالِكَ (وَعَنْ يَسَارِكَ) وَمَعَكَ، وَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ، إِنَّمَا يُكْرَهُ فِي سَائِرِ الْبُلْدَانِ" (٢)، "عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ الْحَلْبِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِمَ سُمِّيَتْ مَكَّةُ بَكَّةَ؟ قَالَ: لِأَنَّ النَّاسَ يُبَكُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِيهَا بِالْأَيْدِي" (٣)، الْحَدِيثُ، وَقَدْ مَرَّ فِي اللُّغَةِ أَيْضًا إِنَّمَا سُمِّيَتْ بَكَّةَ؛ لِأَنَّهَا تَبَكُّ أَعْنَاقَ الْجَبَابِرَةِ، أَي: تَدْفُقُهَا.

وَفِي الْفَقِيهِ "وَرَوَى حَرِيرٌ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: وَجِدَ فِي حَجَرٍ أَنِّي أَنَا لِلَّهِ ذُو بَكَّةَ، صَنَعْتُهَا يَوْمَ خَلَقْتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَيَوْمَ خَلَقْتُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَحَفَفْتُهَا بِسَبْعَةِ أَمْلَاقٍ حَفًّا مُبَارَكًا لِأَهْلِهَا فِي الْمَاءِ وَاللَّبَنِ، يَأْتِيهَا رِزْقُهَا مِنْ [ثَلَاثَةِ] (٤) سُبُلٍ مِنْ أَعْلَاهَا وَأَسْفَلِهَا وَالنَّثِيَّةِ" (٥)، "وَرَوِيَ أَنَّهُ وَجِدَ فِي حَجَرٍ آخَرَ مَكْتُوبٌ: هَذَا بَيْتُ اللَّهِ الْحَرَامِ بِمَكَّةَ، تَكْفَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِرِزْقِ أَهْلِهِ مِنْ ثَلَاثَةِ سُبُلٍ، مُبَارَكٌ لِأَهْلِهِ فِي اللَّحْمِ وَالْمَاءِ" (٦).

قَوْلُهُ: ﴿مُبَارَكًا﴾، حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ الْمُسْتَكِنِ فِي الظَّرْفِ، أَعْنِي: بِبَكَّةَ، أَي: لِلْبَيْتِ الَّذِي اسْتَقَرَّ بِبَكَّةَ حَالٌ كَوْنُهُ مُبَارَكًا كَمَا مَرَّ بَيَانُهُ فِي الإِعْرَابِ، أَي: كَثِيرِ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ وَالنَّفْعِ وَالْفَضْلِ وَالثَّوَابِ (لِمَنْ حَجَّه، وَاعْتَمَرَهُ، وَاعْتَكَفَ، وَطَافَ حَوْلَهُ، وَقَصَدَ نَحْوَهُ) (٧)، وَأَقَامَ فِيهَا (مِنْ مُضَاعَفَةِ الثَّوَابِ، وَتَكْفِيرِ الذُّنُوبِ، وَنَفْيِ الْفَقْرِ، وَكَثْرَةِ الرِّزْقِ) (٨)، وَالصَّلَاةِ الْوَاحِدَةَ مُنْفَرِدَةً تَعْدِلُ مِائَةَ أَلْفِ صَلَاةٍ.

وَفِي الْفَقِيهِ "رَوَى خَالِدُ بْنُ مَادٍ الْقَلَانِسِيُّ، عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: مَكَّةُ حَرَمٌ لِلَّهِ تَعَالَى، وَحَرَمٌ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَحَرَمٌ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالصَّلَاةُ فِيهَا بِمِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ، وَالذَّرْهُمُ فِيهَا بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهُمٍ" (٩)، الْحَدِيثُ طَوِيلٌ أَخَذْتُ مِنْهُ

(١) علل الشرائع: الصدوق: ٣٩٧/٢ / ح ٣، باب العلة التي من أجلها سميت مكة بككة .

(٢) المصدر نفسه: ٣٩٧/٢ - ٣٩٨ / ح ٤، باب العلة التي من أجلها سميت مكة بككة .

(٣) المصدر نفسه: ٣٩٨/٢ / ح ٥، باب العلة التي من أجلها سميت مكة بككة .

(٤) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٥) من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ٢٤٤/٢ - ٢٤٥ / ح ٢٣١١ .

(٦) المصدر نفسه: ٢٤٥/٢ / ح ٢٣١٢ .

(٧) كنز الدقائق: المشهدي: ١٦٧/٣ .

(٨) تفسير الصافي: الفيض الكاشاني: ٣٥٨/١ .

(٩) من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ٢٢٨/١ / ح ٦٨٠ .

مَوْضِعِ الْحَاجَّةِ، وَفِيهِ فِي بَابِ ابْتِدَاءِ الْكَعْبَةِ وَفَضْلِهَا وَفَضْلِ الْحَرَمِ "وَرُوِيَ عَنْ أَبِي حَمْرَةَ الثَّمَالِيِّ قَالَ: قَالَ لَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَيُّ الْبِقَاعِ أَفْضَلُ؟ فَقُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَابْنُ رَسُولِهِ أَعْلَمُ، فَقَالَ: أَمَّا أَفْضَلُ الْبِقَاعِ مَا بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا عُمِرَ مَا عُمِرَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا يَصُومُ النَّهَارَ، وَيَقُومُ اللَّيْلَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ، ثُمَّ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِغَيْرِ وَلَايَتِنَا لَمْ يَنْفَعُهُ ذَلِكَ شَيْئًا" (١) "وَرَوَى سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَعْرَجِيُّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: أَحَبُّ الْأَرْضِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَكَّةُ، وَمَا تُرْبَةٌ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ تُرْبَتِهَا، وَلَا حَجْرٌ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ حَجْرِهَا، وَلَا شَجَرٌ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ شَجَرِهَا، وَلَا جِبَالٌ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ جِبَالِهَا، وَلَا مَاءٌ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ مَائِهِ" (٢).

فَقَدْ ذَكَرْنَا نَبْذًا مِنْ فَصَائِلِهِ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ، فَهُوَ أَوَّلُ بَيْتٍ وُضِعَ وَبُنِيَ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَقَبْلَ آدَمَ ثُمَّ بَنَاهُ آدَمُ فَانطَمَسَ فِي الطُّوفَانِ، ثُمَّ بَنَاهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، ثُمَّ عَبْدُ الْمُطَلِّبِ، ثُمَّ بُنِيَ بَعْدَ ذَلِكَ حِينَ فَرَّ عَبْدُ اللَّهِ الرَّبِيرُ عَنِ الْحَجَّاجِ وَدَخَلَ الْبَيْتَ فَخَرَّبَهُ الْحَجَّاجُ بِالْمَنْجَبِيقِ فِي جَبَلِ أَبِي قُبَيْسٍ فَعَدَّلَهُ.

وَفِي تَفْسِيرِ الْعِيَّاشِيِّ "عَنْ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: [أَرَادَ] (٣) أَبُو جَعْفَرٍ (٤) أَنْ يَشْتَرِيَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ بُيُوتَهُمْ أَنْ يَزِيدَهُ فِي الْمَسْجِدِ فَأَبَوْا عَلَيْهِ، فَأَرْغَبَهُمْ فَاْمْتَنَعُوا فَصَاقَ بِذَلِكَ، فَأَتَى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ [١٣٦] فَقَالَ لَهُ: إِنِّي سَأَلْتُ هَؤُلَاءِ شَيْئًا مِنْ مَنَارِلِهِمْ، وَأَفْنِيَّتِهِمْ (٥) لِنَزِيدَ فِي الْمَسْجِدِ وَقَدْ مَنَعُونِي ذَلِكَ فَقَدْ غَمَّنِي غَمًّا شَدِيدًا، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَيُعْمَكَ ذَلِكَ، وَحُجَّتْكَ عَلَيْهِمْ فِيهِ ظَاهِرَةٌ، فَقَالَ: وَمِمَّا أَحْتَجُّ عَلَيْهِمْ؟ فَقَالَ: بِكِتَابِ اللَّهِ، فَقَالَ: فِي أَيِّ مَوْضِعٍ؟ فَقَالَ: قَوْلُ اللَّهِ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾، قَدْ أَخْبَرَكَ اللَّهُ أَنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ [هُوَ بِبَكَّةَ] (٦)، فَإِنْ كَانُوا هُمْ تَوَلَّوْا قَبْلَ الْبَيْتِ فَلَهُمْ أَفْنِيَّتُهُمْ، وَإِنْ كَانَ الْبَيْتُ

(١) من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ٢/٢٤٥/ح ٢٣١٣.

(٢) المصدر نفسه: ٢/٢٤٣/ح ٢٣٠٤.

(٣) في المصدر: طَلَبَ.

(٤) ومنه في حاشية الأصل: يعني: الدوانيقي.

(٥) (الفناء: سَعَةً أَمَامَ الدَّارِ، وَجَمْعُهُ: الْأَفْنِيَّةُ)، العين: الفراهيدي: ٣٧٦/٨، مادة فني.

(٦) في المصدر: لِلنَّاسِ هُوَ الَّذِي بِبَكَّةَ.

قَدِيمًا قَبْلَهُمْ فَلَهُ فَنَائُوهُ، فَدَعَاهُمْ أَبُو جَعْفَرٍ فَأَخْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِهِذَا فَقَالُوا لَهُ: اصْنَعْ مَا أَحْبَبْتَ" (١)  
الْحَدِيثُ.

﴿وَهَدَى لِلْعَالَمِينَ﴾، أَي: وَحَالَ كَوْنَهُ هَادِيًا وَدَلِيلًا لِلْعَالَمِينَ؛ (لِأَنَّهُ قَبْلَهُمْ وَمُتَعَبِدُهُمْ،  
[وَقِيلَ: (٢) دِلَالَةً لَهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِإِهْلَاكِ كُلِّ مَنْ قَصَدَهُ مِنَ الْجَبَابِرَةِ، كَأَصْحَابِ الْفِيلِ  
وغيرِهِمْ] (٣)، (وَبِاجْتِمَاعِ الظُّبْيِ فِي حَرَمِهِ مَعَ الْكَلْبِ وَالذَّنْبِ، وَلَا يَنْفِرُ عَنْهُ مَعَ نَفْرَتِهِ [عَنْهُ] (٤)  
فِي غَيْرِهِ مِنَ الْبِلَادِ، وَبِانْمِحَاقِ الْجِمَارِ [مَعَ] (٥) كَثْرَةِ الرُّمَامَةِ، فَلَوْلَا أَنَّهَا تُرْفَعُ لَكَانَ يَجْتَمِعُ هُنَاكَ  
مِنَ الْحَجَارَةِ مِثْلَ الْجِبَالِ، وَبِاسْتِنْسَاسِ الطُّيُورِ فِيهِ بِالنَّاسِ، وَبِاسْتِشْفَاءِ الْمَرِيضِ بِالْبَيْتِ، وَبِأَنَّ  
لَا يَغْلُوهُ طَيْرٌ إِعْظَامًا لَهُ) (٦) كَمَا مَرَّ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الدَّلَالَاتِ فَيَهْتَدُونَ بِهِ إِلَى  
الْجَنَّةِ بِحِجِّهِ وَطَوَافِهِ (٧).

وَفِي الْفَقِيهِ "وَمَا أَرَادَ الْكَعْبَةَ أَحَدٌ بِسُوءٍ إِلَّا غَضِبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهَا، وَنَوَى يَوْمًا تَبَعَ الْمَلِكُ  
أَنْ يَقْتُلَ مُقَاتِلَةَ أَهْلِ الْكَعْبَةِ وَيَسْبِي ذُرِّيَّتَهُمْ ثُمَّ يَهْدِمَ الْكَعْبَةَ فَسَأَلَتْ عَيْنَاهُ حَتَّى وَقَعْنَا عَلَى خَدَّيْهِ  
فَسَأَلَ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالُوا: مَا نَرَى [أَنَّهُ] (٨) أَصَابَكَ إِلَّا بِمَا نَوَيْتَ فِي هَذَا الْبَيْتِ؛ لِأَنَّ الْبَلَدَ حَرَمُ اللَّهِ  
وَالْبَيْتَ بَيْتُ اللَّهِ، وَسُكَّانَ مَكَّةَ ذُرِّيَّةَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ: صَدَقْتُمْ فَمَا مَخْرَجِي مِمَّا وَقَعْتُ  
فِيهِ؟ قَالُوا: تُحَدِّثُ نَفْسَكَ بِغَيْرِ ذَلِكَ فَحَدَّثَتْ نَفْسَهُ بِخَيْرٍ فَرَجَعَتْ حَدَقَتَاهُ حَتَّى تَبَيَّنَّا فِي مَكَانِهِمَا،  
فَدَعَا الْقَوْمَ الَّذِينَ أَشَارُوا عَلَيْهِ بِهَدْمِهَا فَقَتَلْتَهُمْ، ثُمَّ أَتَى الْبَيْتَ فَكَسَاهُ الْأَنْطَاعَ وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ  
ثَلَاثِينَ يَوْمًا كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ جُرُورٍ حَتَّى حُمِلَتْ الْجِفَانُ إِلَى السَّبَاعِ فِي رُءُوسِ الْجِبَالِ وَنُثِرَتْ  
الْأَغْلَافُ لِلْوُحُوشِ، ثُمَّ انْصَرَفَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَأَنْزَلَ بِهَا قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ  
عَسَانَ وَهُمْ الْأَنْصَارُ، وَرُوي: أَنَّهُ دُبَّحَ لَهُ سِتَّةُ آلَافِ بَقَرَةٍ بِشَعْبِ ابْنِ عَامِرٍ، وَكَانَ يُقَالُ لَهَا  
مَطَابِخُ تَبَّعٍ (٩) حَتَّى نَزَلَهَا ابْنُ عَامِرٍ فَأُضِيفَتْ إِلَيْهِ فَقِيلَ: شَعْبُ ابْنِ عَامِرٍ، وَلَمْ يَكُنْ تَبَّعٌ

(١) تفسير العياشي: العياشي: ١٨٥/١ .

(٢) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٣) جوامع الجامع: الطبرسي: ٣١١/١، زبدة التفسير: فتح الله الكاشاني: ٥٢٦/١ .

(٤) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٥) في المصدر: على .

(٦) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٤٨/٢ .

(٧) ينظر: المصدر نفسه: ٣٤٨/٢ - ٣٤٩ .

(٨) في المصدر: الذي .

(٩) (أي: قبل نزول ابن عامر فيها)، هامش المصدر .

مُؤْمِنًا وَلَا كَافِرًا وَلَكِنَّهُ كَانَ مِمَّنْ يَطْلُبُ الدِّينَ الْحَنِيفَ، وَلَمْ يَمْلِكِ الْمَشْرِقَ إِلَّا تَبَعٌ وَكَسْرَى<sup>(١)</sup>، وَقَصَدَهُ أَصْحَابُ الْفِيلِ وَمَلِكُهُمْ أَبُو يَكْسُومَ: أَبْرَهَةَ بْنُ الصَّبَّاحِ الْحَمِيرِيُّ لِيَهْدِمَهُ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سَجِيلٍ، فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ، وَإِنَّمَا لَمْ يَجْرِ عَلَى الْحَجَّاجِ مَا جَرَى عَلَى تَبَعٍ وَأَصْحَابِ الْفِيلِ؛ لِأَنَّ قَصْدَ الْحَجَّاجِ لَمْ يَكُنْ إِلَى هَذِهِ الْكَعْبَةِ إِنَّمَا كَانَ قَصْدُهُ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ وَكَانَ ضِدًّا لِصَاحِبِ الْحَقِّ، فَلَمَّا اسْتَجَارَ بِالْكَعْبَةِ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُبَيِّنَ لِلنَّاسِ أَنَّهُ لَمْ يُجِرْهُ فَأَمَهَلَ مِنْ هَدْمِهَا عَلَيْهِ"<sup>(٢)</sup>.

﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾، وَالْهَاءُ عَائِدٌ إِلَى الْبَيْتِ، أَي: فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَمَا جَاوَرَهُ دِلَالَاتٌ وَاضِحَاتٌ لِلنَّاسِ.

﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾، أَي: مِنْهَا مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمِنْهَا غَيْرُهُ مِمَّا نَذَرُوهُ، فَعَلَى هَذَا مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ مُبْتَدَأً مَحْدُوفٍ الْخَبَرِ كَمَا مَرَّ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بَدَلًا مِنْ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ مَعَ حَذْفِ الْمَعْطُوفِ، أَي: مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَغَيْرُهُ مِمَّا نَذَرُوهُ، (وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَرَأَ فِيهِ آيَةً: ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ فَجَعَلَ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ وَحْدَهُ آيَةً)<sup>(٣)</sup>، وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ مَعَ كَوْنِهِ وَاحِدًا عَطْفَ بَيَانٍ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾، مَعَ كَوْنِهَا جَمَاعَةً لِمَا ذَكَرْنَا مِنْ اشْتِمَالِهِ عَلَى آيَاتٍ كَثِيرَةٍ.

وَقَالَ فِي الْكَشَافِ (﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ عَطْفُ بَيَانٍ لِقَوْلِهِ: ﴿آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾، فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ صَحَّ بَيَانُ الْجَمَاعَةِ بِالْوَاحِدِ؟ قُلْتُ: فِيهِ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا أَنْ يَجْعَلَ وَحْدَهُ بِمَنْزِلَةِ آيَاتٍ كَثِيرَةٍ؛ لِظُهُورِ شَأْنِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقُوَّةِ دِلَالَتِهِ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَنُبُوَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ تَأْثِيرِ قَدَمِهِ فِي حَجَرٍ صَلَدٍ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾<sup>(٤)</sup>، الْآيَةَ، وَالثَّانِي: اشْتِمَالُهُ عَلَى آيَاتٍ [كَثِيرَةٍ]<sup>(٥)</sup>؛ لِأَنَّ أَثَرَ الْقَدَمِ فِي الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ آيَةً، وَغَوْصُهُ فِيهَا إِلَى الْكَعْبِينَ آيَةً، وَالْإِنْتِزَاعُ بَعْضُ الصَّخْرِ دُونَ بَعْضِ آيَةٍ، وَابْتِغَاؤُهُ دُونَ سَائِرِ آيَاتِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ آيَةً لِإِبْرَاهِيمَ

(١) ومنه في حاشية الأصل: (وكسرى، ويفتح: ملك الفرس، مُعَرَّبٌ حُسْرُو، أي: واسع الملك)، القاموس المحيط: الفيروزآبادي: ٤٧٠ .

(٢) من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ٢/٢٤٨ - ٢/٢٤٩ ح/٢٣٢٤ .

(٣) مجمع البيان: الطبرسي: ٢/٣٤٩ .

(٤) سورة النحل: الآية ١٢٠ .

(٥) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

[خَاصَّة] <sup>(١)</sup>، وَحِفْظُهُ مَعَ كَثْرَةِ أَعْدَائِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمَلَاحِدَةِ أَلُوفَ سَنَةِ آيَةٍ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾، وَأَمِنَ مَنْ دَخَلَهُ؛ لِأَنَّ الْاِثْنَيْنِ نَوْعٌ مِنَ الْجَمْعِ كَالثَّلَاثَةِ وَالْأَرْبَعَةِ، وَيَجُوزُ أَنْ تُذَكَرَ هَاتَانِ الْآيَاتَانِ وَيُطَوَّى ذِكْرُ غَيْرِهِمَا؛ دِلَالَةً عَلَى تَكَاثُرِ الْآيَاتِ، أَيْ: وَآيَاتٌ كَثِيرَةٌ سِوَاهُمَا <sup>(٢)</sup>، (لِأَنَّ فِيهِمَا غُنْيَةً عَنِ غَيْرِهِمَا فِي الدَّارَيْنِ بَقَاءَ الْأَثَرِ مَدَى الدَّهْرِ وَالْأَمْنُ مِنَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) <sup>(٣)</sup>، (وَنَحْوِهِ فِي طَيِّ الذِّكْرِ قَوْلُ جَرِيرٍ <sup>(٤)</sup>):

كَانَتْ حَنِيفَةً أَثَلَاثًا فَتُلْتُهُمْ مِنْ الْعَبِيدِ وَتُلْتُ مِنْ مَوَالِيهَا <sup>(٥)</sup> <sup>(٦)</sup>.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: " حُبِّبَ إِلَيَّ [مِنَ الدُّنْيَا] <sup>(٧)</sup>: النِّسَاءُ، وَالطَّيِّبُ، وَجُعِلَ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ " <sup>(٨)</sup>، (فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ أَجَزْتَ أَنْ يَكُونَ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَالْأَمْنُ عَطْفَ بَيَانٍ لِلآيَاتِ؟ [وَالْحَالُ أَنْ] <sup>(٩)</sup> قَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ جُمْلَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ إِمَّا ابْتِدَائِيَّةٌ وَإِمَّا شَرْطِيَّةٌ؟) <sup>(١٠)</sup> قُلْتُ: إِنَّهُ مِنْ حَيْثُ اللَّفْظِ كَذَلِكَ كَمَا قُلْنَا لَكِنَّهُ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى يَجُوزُ [١٣٧] عَطْفُهُ عَلَى ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾؛ (لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ دَلَّ عَلَى أَمْنِ دَاخِلِهِ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ: مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ، وَأَمْنٌ دَاخِلِهِ، أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَوْ قُلْتَ: فِيهِ آيَةٌ بَيِّنَةٌ، مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا صَحَّ؛ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى قَوْلِكَ: فِيهِ آيَةٌ بَيِّنَةٌ، أَمِنَ مَنْ دَخَلَهُ) <sup>(١١)</sup>.

ذَكَرَ فِي الْكَشَافِ فِي سَبَبِ هَذَا الْأَثَرِ فِي مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (قَوْلَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنَّهُ لَمَّا ارْتَفَعَ بُنْيَانُ الْكَعْبَةِ وَصَعَفَ إِبْرَاهِيمُ عَنِ رَفْعِ الْحِجَارَةِ قَامَ عَلَى هَذَا الْحَجَرِ فَعَاصَتْ فِيهِ

(١) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٢) الكشاف: الزمخشري: ٤٤٧/١ .

(٣) المصدر نفسه: ٤٤٧/١ .

(٤) (هو جرير بن عطية الخطفي التميمي، من أبرز شعراء عصره، اشتهر بالهجاء، وكان قد خاصم ثمانين شاعرا فلم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل، ولد باليمامة سنة ٢٨ هـ ومات فيها سنة ١١٠ هـ)، الشعر والشعراء: ابن قتيبة الدينوري: ٤٥٦/١، وفيلت الأعيان: ابن خلكان: ٣٢١/١ .

(٥) سرّ الفصاحة: ابن سنان الخفاجي: ٢٣٦، الحماسة المغربية: الجراوي: ١٣٥٦/٢ .

(٦) الكشاف: الزمخشري: ٤٤٧/١ .

(٧) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٨) مسند أحمد: أحمد بن حنبل: ٣٠٧/١٩ ح/١٢٢٩٤ .

(٩) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(١٠) الكشاف: الزمخشري: ٤٤٧/١ .

(١١) المصدر نفسه: ٤٤٧/١ - ٤٤٨ .



قَدَمَاهُ، وَ[الثَّانِي مَا] <sup>(١)</sup> قِيلَ: إِنَّهُ جَاءَ زَائِرًا مِنَ الشَّامِ إِلَى مَكَّةَ فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَةٌ إِسْمَاعِيلَ: انزِلْ حَتَّى يَغْسِلَ رَأْسَكَ، فَلَمْ يَنْزِلْ، فَجَاءَتْهُ بِهِذَا الْحَجَرِ فَوَضَعَتْهُ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، فَوَضَعَ قَدَمَهُ عَلَيْهِ حَتَّى غَسَلَتْ شِقَّ رَأْسِهِ [الْأَيْمَنِ] <sup>(٢)</sup>، ثُمَّ حَوَّلَتْهُ إِلَى شِقِّهِ الْأَيْسَرِ حَتَّى غَسَلَتْ الشِّقَّ الْآخَرَ، فَبَقِيَ أَثَرُ قَدَمَيْهِ <sup>(٣)</sup> انْتَهَى.

وَفِي الْكَافِي "عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ، عَنِ ابْنِ سِنَانٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾، مَا هَذِهِ الْآيَاتُ الْبَيِّنَاتُ؟ قَالَ: مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ حَيْثُ قَامَ عَلَى الْحَجَرِ فَأَثَرَتْ فِيهِ قَدَمَاهُ، وَالْحَجَرُ الْأَسْوَدُ، وَمَنْزِلُ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ" <sup>(٤)</sup> الْحَدِيث.

أَمَّا كَوْنُ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ آيَةً فَلَمَّا ذَكَرَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، وَلَمَّا ذَكَرْنَا أَنِفًا فِي الْإِعْرَابِ، وَمِنَ الْكَشَافِ وَلَازِمًا بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى صَارَ أَطْوَلَ الْجِبَالِ حِينَ أْتَمَّ بِنَاءَ الْكَعْبَةِ وَأَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِبِنَاءِ الْخَلَائِقِ إِلَى الْحَجِّ.

وَفِي الْعِلَلِ "عَنِ النَّبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ لَمَّا أَمَرَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُنَادِي فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ قَامَ عَلَى الْمَقَامِ فَارْتَفَعَ بِهِ حَتَّى صَارَ بِإِرَاءِ أَبِي قُبَيْسٍ فَنَادَى فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ فَاسْمَعَ مَنْ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ" <sup>(٥)</sup>.

وَفِي تَفْسِيرِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "لَمَّا فَرَعَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ بِنَاءِ الْبَيْتِ أَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يُؤَدِّنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ فَقَالَ: يَا رَبِّ وَمَا يَبْلُغُ صَوْتِي فَقَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ أَدِّنْ عَلَيْكَ الْأَذَانَ وَعَلِيَّ الْبَلَاغُ، وَارْتَفَعَ عَلَى الْمَقَامِ وَهُوَ يَوْمِئِذٍ مُلْتَصِقٌ بِالْبَيْتِ فَارْتَفَعَ الْمَقَامُ حَتَّى كَانَ أَطْوَلَ مِنَ الْجِبَالِ فَنَادَى وَأَدْخَلَ إِصْبَعِيهِ فِي أُذُنَيْهِ وَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ شَرْقًا وَعَزَبًا يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْحَجُّ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ فَأَجِيبُوا رَبَّكُمْ فَأَجَابُوهُ مِنْ تَحْتِ الْبُحُورِ السَّبْعَةِ وَمِنْ بَيْنِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِلَى مُنْقَطِعِ التُّرَابِ مِنْ أَطْرَافِ الْأَرْضِ كُلِّهَا وَمِنْ أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ بِالتَّلْبِيَةِ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ أَوْ لَا تَرَوْنَهُمْ يَأْتُونَ يُلْبُونَ فَمَنْ حَجَّ مِنْ يَوْمِئِذٍ إِلَى يَوْمٍ

(١) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٢) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٣) الكشاف: الزمخشري: ٤٤٨/١ .

(٤) الكافي: الكليني: ٤/٢٢٣/١، باب في قوله تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾.

(٥) علل الشرائع: الصدوق: ٢/٤٢٠/٢، باب العلة التي من أجلها يكون في الناس من يحج حجة وفيهم من يحج حجتين أو أكثر، وفيهم من لا يحج أبداً .

الْقِيَامَةِ فَهُمْ مِمَّنِ اسْتَجَابَ لِلَّهِ وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامَ إِبْرَاهِيمَ﴾، يَغْنِي نِدَاءَ إِبْرَاهِيمَ عَلَى الْمَقَامِ بِالْحَجِّ<sup>(١)</sup> الْحَدِيثَ، فَعُلِمَ مِنْ هَذَا الْخَبَرِ أَيْضًا أَنَّ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ وَآلِهِ السَّلَامُ وَحَدَهُ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ.

(وَأَمَّا كَوْنُ الْحَجْرِ الْأَسْوَدِ آيَةً؛ فَلَمَّا ظَهَرَ مِنْهُ لِلْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْصِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنَ الْعَجَائِبِ، إِذْ كَانَ جَوْهَرَةً جَعَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى مَعَ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ، وَإِذْ كَانَ مَلَكًا مِنْ عُظَمَاءِ الْمَلَائِكَةِ الْقَمَةِ اللَّهُ الْمِيثَاقَ، وَأَوْدَعَهُ عِنْدَهُ، وَيَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ لِسَانٌ نَاطِقٌ وَعَيْنَانِ، يَعْرِفُهُ الْخَلْقُ، يَشْهَدُ لِمَنْ وَافَاهُ بِالْمُؤَافَاةِ، وَلِمَنْ أَدَّى إِلَيْهِ الْمِيثَاقَ بِالْأَدَاءِ، وَعَلَى مَنْ جَحَدَهُ بِالْإِنْكَارِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ كَمَا وَرَدَ فِي الْأَخْبَارِ عَنِ الْأَيْمَةِ الْأَطْهَارِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَلَمَّا ظَهَرَ [لِطَائِفَةٍ]<sup>(٢)</sup> مِنْ تَتَطَّقِهِ لِبَعْضِ الْمَعْصُومِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كَالسَّجَادِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْثُ نَارَعَهُ عَمُّهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ فِي أَمْرِ الْإِمَامَةِ كَمَا وَرَدَ فِي الرُّوَايَاتِ [الْمُعْتَبَرَةِ]<sup>(٣)</sup> وَمِنْ عَدَمِ اطَّاعَتِهِ لِغَيْرِ الْمَعْصُومِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي نَضْبِهِ فِي مَوْضِعِهِ كَمَا جُرِّبَ غَيْرَ مَرَّةٍ<sup>(٤)</sup>، وَقَدْ مَرَّ فِي الْبَقْرَةِ (وَأَمَّا كَوْنُ مَنْزِلِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ آيَةً فَلِأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَزَلَ بِهِ مِنْ غَيْرِ مَاءٍ فَتَبَعَ لَهُ الْمَاءُ)<sup>(٥)</sup> وَرَمَزَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا مَرَّ فِي سُورَةِ الْبَقْرَةِ مِنْ حِكَايَةِ تَحْوِيلِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِسْمَاعِيلَ وَأُمَّهُ هَاجِرَ مِنَ الشَّامِ إِلَى بَيْتِ الْحَرَامِ الْوَادِي غَيْرِ ذِي زُرْعٍ .

وَفِي الْكَافِي وَالْفَقِيهِ<sup>(٦)</sup> "مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ فَضَالٍ، عَنِ ابْنِ بُكَيْرٍ، عَنِ زُرَّارَةَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: [قَدْ]<sup>(٧)</sup> أَدْرَكْتَ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَذْكَرُ وَأَنَا مَعَهُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَقَدْ دَخَلَ فِيهِ السَّيْلُ وَالنَّاسُ يَتَقَوْمُونَ عَلَى الْمَقَامِ يَخْرُجُ الْخَارِجُ يَقُولُ: قَدْ ذَهَبَ بِهِ، السَّيْلُ [وَيَدْخُلُ الدَّخِلُ]<sup>(٨)</sup> فَيَقُولُ: هُوَ مَكَانَهُ، قَالَ فَقَالَ لِي:

(١) تفسير القمي: علي بن إبراهيم: ٨٣/٢ .

(٢) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٣) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٤) تفسير العياشي: العياشي: ١٨٨/١ .

(٥) المصدر نفسه: ١٨٨/١ .

(٦) ومنه في حاشية الأصل: ورد في الفقيه "أَنَّ قُبُلَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَأَبِي جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرْبَعُ

سِنِينَ"، من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ٢٣٠٩ح/٢٤٤/٢ .

(٧) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٨) في الكافي: وَيَخْرُجُ مِنْهُ الْخَارِجُ .

يَا فَلَانُ! مَا صَنَعَ هَؤُلَاءِ؟ فَقُلْتُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ يَخَافُونَ أَنْ يَكُونَ [السَّيْلُ] (١) قَدْ ذَهَبَ بِالمَقَامِ، فَقَالَ: نَادِ أَنْ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ جَعَلَهُ عِلْمًا لَمْ يَكُنْ لِيذْهَبَ بِهِ فَاسْتَقْرُوا، وَكَانَ مَوْضِعُ المَقَامِ الَّذِي وَضَعَهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ جِدَارِ البَيْتِ، فَلَمْ يَزَلْ هُنَاكَ حَتَّى حَوَّلَهُ أَهْلُ الجَاهِلِيَّةِ إِلَى المَكَانِ الَّذِي هُوَ فِيهِ اليَوْمَ فَلَمَّا فَتَحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَكَّةَ رَدَّهُ إِلَى المَوْضِعِ الَّذِي وَضَعَهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَمْ يَزَلْ هُنَاكَ إِلَى أَنْ وَلَّى عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، فَسَأَلَ النَّاسَ: مَنْ مِنْكُمْ يَعْرِفُ المَكَانَ الَّذِي كَانَ فِيهِ المَقَامُ؟ فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا، قَدْ كُنْتُ أَخَذْتُ مِقْدَارَهُ بِنِسْعٍ (٢) فَهُوَ عِنْدِي، فَقَالَ: انْتَبِهِ بِهِ، فَأَتَاهُ بِهِ فَفَاسَهُ ثُمَّ [١٣٨] رَدَّهُ إِلَى ذَلِكَ المَكَانِ (٣) الحَدِيثِ، وَمِنْ تِلْكَ الآيَاتِ البَيِّنَاتِ الحَاطِمِ، وَرَمَزُهُ، وَأَرْكَانُ البَيْتِ كُلِّهَا، وَحِجْرُ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالمَشَاعِرُ كُلُّهَا وَازْدِحَامُ النَّاسِ عَلَيْهَا، وَتَغْظِيمُهُمْ لَهَا (٤).

#### ذِكْرُ تَسْمِيَةِ الحَاطِمِ حَاطِمًا:

وَفِي المَجْمَعِ "سُئِلَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الحَاطِمِ فَقَالَ؟ هُوَ مَا بَيْنَ الحَجَرِ الأَسْوَدِ وَالبَابِ، قِيلَ: وَلِمَ سُمِّيَ الحَاطِمِ؟ قَالَ: لِأَنَّ النَّاسَ يَحْطُمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، [وَيَحْطُمُ فِيهِ الذُّنُوبُ] (٥) وَهُوَ المَوْضِعُ الَّذِي فِيهِ تَابَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى آدَمَ، وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنْ تَهَيَّأَ لَكَ أَنْ تُصَلِّيَ صَلَوَاتِكَ كُلَّهَا الفَرَائِضَ وَغَيْرَهَا عِنْدَ الحَاطِمِ، فَافْعَلْ، فَإِنَّهُ أَفْضَلُ بُقْعَةٍ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، وَبَعْدَهُ الصَّلَاةُ فِي الحَجْرِ أَفْضَلُ، وَرَوَى عَنْ أَبِي حَمْرَةَ الثَّمَالِيِّ قَالَ: قَالَ لَنَا عَلِيُّ بْنُ الحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَيُّ البِقَاعِ أَفْضَلُ؟ فَقُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَابْنُ رَسُولِهِ أَعْلَمُ، فَقَالَ لَنَا: أَفْضَلُ البِقَاعِ مَا بَيْنَ الرُّكْنِ وَالمَقَامِ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا عُمِرَ مَا عُمِرَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا حَمْسِينَ عَامًا، يَصُومُ النَّهَارَ، وَيُفُومُ اللَّيْلَ، فِي ذَلِكَ المَكَانِ، ثُمَّ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِغَيْرِ وَلايْتِنَا، لَمْ يَنْفَعُهُ ذَلِكَ شَيْئًا (٦)، وَقَدْ ذَكَرْنَا هَذَا الخَبَرَ قَبْلَ ذَلِكَ أَعْدُ ذِكْرَ نُعْمَانِ لَنَا

(١) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٢) التَّسْعَةُ (بِالْكَسْرِ: سَبْعٌ مَضْفُورٌ، يُجْعَلُ زِمَامًا لِلْبَعْضِ وَغَيْرِهِ، وَقَدْ تُنْسَجُ عَرِيضَةٌ، تُجْعَلُ عَلَى صَدْرِ النَّبِيِّ، وَالمَجْمَعُ: تُسَعُ، وَنِسْعٌ، وَأَنْسَاعٌ، وَقَدْ تَكَرَّرَتْ فِي الحَدِيثِ، وَنِسْعٌ: مَوْضِعٌ بِالمَدِينَةِ، وَهُوَ الَّذِي حَمَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالمُخْلَفَاءُ، وَهُوَ صَدْرُ وَادِي العَقِيقِ)، النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الحَدِيثِ: ابن الأثير: ٤٨/٥، مادة نسع .

(٣) الكافي: الكليني: ٢٢٣/٤، باب في قولهِ تَعَالَى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾، من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ٢٣٠٨/٢٤٣/٢ .

(٤) ينظر: مجمع البيان: الطبرسي: ٣٤٩/٢ .

(٥) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٦) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٤٩/٢ .

الْبَيْتِ (١) "وَقَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الرُّكْنُ الِيمَانِيُّ بَابُنَا الَّذِي نَدْخُلُ مِنْهُ الْجَنَّةَ، وَرُوِيَ أَنَّهُ مَنْ رَوِيَ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، أُحْدِثَ لَهُ بِهِ شِفَاءً، وَصُرِفَ عَنْهُ دَاءٌ" (٢)، وَأَنَّهُ لِمَا شَرِبَ، وَمِنْ تِلْكَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ (أَمَّنُ الدَّاخِلِ فِيهِ، وَأَمَّنُ الْوُحُوشِ مِنَ السَّبَاعِ الضَّارِيَةِ، وَأَنَّهُ مَا عَلَا عَبْدٌ عَلَى الْكَعْبَةِ إِلَّا عَتِقَ، [وَمِنْهَا أَنَّهُ] (٣) إِذَا كَانَ الْغَيْثُ مِنْ نَاحِيَةِ الرُّكْنِ الِيمَانِيِّ، كَانَ الْخِصْبُ بِالْيَمَنِ، وَإِذَا كَانَ مِنْ نَاحِيَةِ الرُّكْنِ الشَّامِيِّ، كَانَ الْخِصْبُ بِالشَّامِ، وَإِذَا عَمَّ الْبَيْتَ كَانَ [الْخِصْبُ] (٤) فِي جَمِيعِ الْبُلْدَانِ" (٥).

﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾، جُمْلَةٌ ابْتِدَائِيَّةٌ أَوْ شَرْطِيَّةٌ بِكَوْنِ مَنْ مَوْصُولَةٌ أَوْ شَرْطِيَّةٌ مُبْتَدَأَةٌ، وَجُمْلَةٌ ﴿كَانَ آمِنًا﴾، خَبَرًا وَجَزَاءً لِكَيْفَ لَهَا مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى مَعْطُوفَةٌ عَلَى ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾؛ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى وَأَمَّنُ مَنْ دَخَلَهُ وَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ تِلْكَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ كَمَا مَرَّ بَيَانُهُ.

وَفِي الْمَجْمَعِ "وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: الْحَرَمُ كُلُّهُ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَنْ دَخَلَ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ يَعْنِي الْحَرَمَ كَانَ آمِنًا" (٦)، مِنْ عَذَابِ الدَّارَيْنِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى بَعْضِ كَمَنْ كَانَ عَارِفًا بِجَمِيعِ مَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ وَعَارِفًا حَقَّ مَنْ افْتَرَضَ اللَّهُ اطَاعَتَهُ، وَمِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى بَعْضِ كَمَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَهُوَ إِمَّا خَبَرٌ لَفْظًا وَمَعْنَى كَمَا هُوَ الظَّاهِرُ، أَوْ خَبَرٌ لَفْظًا مَعْنَاهُ الْأَمْرُ فَيَكُونُ التَّقْدِيرُ وَالْمَعْنَى وَمَنْ دَخَلَهُ مِنَ الْغَرِيمِ وَالْجَانِي فِي غَيْرِ الْحَرَمِ وَالْوُحُوشِ وَالصَّيْدِ وَالطَّيْرِ أَمْنُهُ وَلَا تَتَعَرَّضُوا لَهُ، (وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَطَفَ قُلُوبَ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَلَى تَرْكِ التَّعَرُّضِ لِمَنْ لَادَ بِالْحَرَمِ، وَالتَّجَأَ إِلَيْهِ، وَإِنْ كَثُرَتْ جَرِيْمَتُهُ، وَلَمْ يَزِدْهُ الْإِسْلَامُ شِدَّةً) (٧) بِتَرْكِ مُبَايَعَتِهِ وَمُعَامَلَتِهِ وَإِطْعَامِهِ وَإِسْقَائِهِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْهُ [فَيُقَامَ] (٨) عَلَيْهِ الْحُدُودُ وَالْأَحْكَامُ إِلَّا مَنْ جَنَى فِي الْحَرَمِ فَيُقَامَ عَلَيْهِ الْحَدُّ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَرَى لِلْحَرَمِ حُرْمَهُ ﴿وَالْحُرْمَاتُ قِصَاصٌ﴾ (٩) كَمَا

(١) وتام البيت (أعد ذكرك نعمان لنا إن ذكره ... هو المسك ما كرزته يتصوغ)، وينسب لأبي الحسين مهيار بن مرزويه الديلمي (ت ٤٢٨ هـ)، ديوان مهيار الديلمي: ٦٣٩/٢ .

(٢) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٤٩/٢ .

(٣) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٤) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٥) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٤٩/٢ .

(٦) المصدر نفسه: ٣٤٩/٢ .

(٧) المصدر نفسه: ٣٤٩/٢ .

(٨) في الأصل: فيقال، والصواب فيقال .

(٩) سورة البقرة: الآية ١٩٤ .

فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ، (وَأَجْمَعَتِ الْأُمَّةَ عَلَى أَنَّ مَنْ أَصَابَ فِي الْحَرَمِ مَا يُوجِبُ الْحَدَّ أُفِيمَ عَلَيْهِ الْحَدَّ فِيهِ) (١).

فِي كِتَابِ عِلَلِ الشَّرَائِعِ "بِإِسْنَادِهِ إِلَى أَبِي زُهَيْرٍ شَيْبِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ قَالَ" (٢): "قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَبِي حَنِيفَةَ: يَا أَبَا حَنِيفَةَ تَعْرِفُ كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى حَقَّ مَعْرِفَتِهِ وَتَعْرِفُ النَّاسِخَ وَالْمَنْسُوخَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: يَا أَبَا حَنِيفَةَ لَقَدْ أَدَعَيْتَ عِلْمًا، وَيَلَيْكَ مَا جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا عِنْدَ أَهْلِ [الْكِتَابِ] (٣) الَّذِينَ أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ، وَيَلَيْكَ وَلَا هُوَ إِلَّا عِنْدَ الْخَاصِّ مِنْ ذُرِّيَّةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَمَا وَرَثَتُكَ اللَّهُ مِنْ كِتَابِهِ حَرْفًا، فَإِنْ كُنْتَ كَمَا تَقُولُ - وَلَسْتَ كَمَا تَقُولُ - فَأَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ (٤)، أَيْنَ ذَلِكَ مِنَ الْأَرْضِ؟ قَالَ، اخْسَبُهُ مَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، فَالْتَقَتَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: تَعْلَمُونَ أَنَّ النَّاسَ يُقَطِّعُ عَلَيْهِمْ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، فَتُؤَاخَذُ أَمْوَالُهُمْ وَلَا يَأْمَنُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَيُقْتَلُونَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، فَسَكَتَ أَبُو حَنِيفَةَ، فَقَالَ: يَا أَبَا حَنِيفَةَ أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ أَيْنَ ذَلِكَ مِنَ الْأَرْضِ؟ قَالَ: الْكَعْبَةُ، فَقَالَ: أَفَتَعْلَمُ أَنَّ الْحَجَّاجَ بْنَ يُوسُفَ حِينَ وَضَعَ الْمُنْجَبِقَ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ فِي الْكَعْبَةِ فَقَتَلَهُ كَانَ آمِنًا فِيهَا؟ قَالَ: فَسَكَتَ" (٥)، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْحَضْرَمِيُّ (٦): جُعِلَتْ فِدَاكَ الْجَوَابُ فِي الْمَسْئَلَتَيْنِ الْأُولَتَيْنِ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ ﴿سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾، فَقَالَ: مَعَ قَائِمِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾، فَمَنْ بَايَعَهُ، وَدَخَلَ مَعَهُ، وَمَسَحَ عَلَى يَدِهِ، وَدَخَلَ فِي عُقْدَةِ أَصْحَابِهِ كَانَ آمِنًا" (٧).

وَفِي تَفْسِيرِ الْعِيَاشِيِّ "عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ قَالَ: يَأْمَنُ فِيهِ كُلُّ خَائِفٍ مَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ حَدٌّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ

(١) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٥٠/٢ .

(٢) علل الشرائع: الصدوق: ١/٨٩/٥٠ .

(٣) ما بين المعقوفين ليس من الأصل، وما أثبت من المصدر يقتضيه السياق .

(٤) سورة سبأ: الآية ١٨ .

(٥) علل الشرائع: الصدوق: ١/٩٠/٥٠ .

(٦) (عبد الله بن محمد: أبو بكر الحضرمي الكوفي، سمع من أبي الطفيل، تابعي، من أصحاب الباقر والصادق عليهما

السلام)، رجال الطوسي: الطوسي: ٢٣٠، نقد الرجال: التقرشي: ٣/١٣٣ .

(٧) علل الشرائع: الصدوق: ١/٩٠/٥٠ .

تَعَالَى، يَنْبَغِي أَنْ يُؤَخَذَ بِهِ"<sup>(١)</sup>، قَالَ: وَسَأَلْتُهُ عَنْ طَائِرٍ يَدْخُلُ الْحَرَمَ قَالَ: [لَا]<sup>(٢)</sup> يُؤَخَذُ وَلَا يُمَسُّ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾"<sup>(٣)</sup>، وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سِنَانٍ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ فِيمَا أُدْخِلَ الْحَرَمَ مِمَّا صِيدَ فِي الْحِلِّ قَالَ: إِذَا دَخَلَ الْحَرَمَ فَلَا يُذْبَحُ، إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾"<sup>(٤)</sup>، "عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ جُعِلْتُ فِدَاكَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ وَقَدْ يَدْخُلُهُ الْمَرْجِيُّ وَالْقَدْرِيُّ وَالْحَرُورِيُّ وَالزَّنْدِيقُ الَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ؟ قَالَ: لَا وَلَا كَرَامَةَ، قُلْتُ: فَمَنْ جُعِلْتُ فِدَاكَ؟ قَالَ: وَمَنْ دَخَلَهُ وَهُوَ عَارِفٌ [١٣٩] بِحَقِّنَا كَمَا هُوَ عَارِفٌ لَهُ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ وَكَفِيَ هَمَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ"<sup>(٥)</sup>.

وَفِي أَمْالِي الصَّدُوقِ بِإِسْنَادِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ جَبْرِئِيلَ، عَنْ مِيكَائِيلَ، عَنْ إِسْرَافِيلَ، عَنْ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ"<sup>(٦)</sup> فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ وَفِيهِ يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ فِي حَقِّ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ "وَجَعَلْتُهُ الْعَلَمَ الْهَادِيَ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَبَابِي الَّذِي أُوتِيَ مِنْهُ، وَبَيْتِي الَّذِي مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا مِنْ نَارِي"<sup>(٧)</sup>.

وَفِي الْكَافِي وَالْعِيَاشِيِّ "مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ ابْنِ فَضَالٍ، وَالْحَجَّالِ، عَنْ ثَعْلَبَةَ، عَنْ أَبِي خَالِدِ الْقَمَاطِ، عَنْ عَبْدِ الْخَالِقِ الصَّيْقَلِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾، فَقَالَ: لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلْتَنِي أَحَدٌ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، قَالَ: مَنْ أَمَّ هَذَا الْبَيْتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ الْبَيْتُ الَّذِي أَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ، وَعَرَفْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ حَقَّ مَعْرِفَتِنَا كَانَ آمِنًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ"<sup>(٨)</sup>.

وَفِي الْمَجْمَعِ عَنْ أَبِي جَعْفَرِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ "إِنَّ [مَعْنَاهُ]<sup>(٩)</sup> مَنْ دَخَلَهُ عَارِفًا بِجَمِيعِ مَا أُوجِبَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، كَانَ آمِنًا فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْعَذَابِ الدَّائِمِ"<sup>(١٠)</sup>.

(١) تَفْسِيرُ الْعِيَاشِيِّ: الْعِيَاشِيِّ: ١٨٨/١ .

(٢) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفِينَ لَيْسَ مِنَ الْمَصْدَرِ .

(٣) تَفْسِيرُ الْعِيَاشِيِّ: الْعِيَاشِيِّ: ١٨٨/١ .

(٤) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ: ١٨٩/١ .

(٥) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ: ١٩٠/١ .

(٦) أَمْالِي: الصَّدُوقِ: ٣٢٦ح/٢٩١ .

(٧) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ: ٣٢٦ح/٢٩١ .

(٨) الْكَافِي: الْكَلِينِي: ٤ / ٥٤٥ / ح ٢٥٥، بَابُ النَّوَادِرِ، تَفْسِيرُ الْعِيَاشِيِّ: الْعِيَاشِيِّ: ١٩٠/١ .

(٩) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفِينَ لَيْسَ مِنَ الْأَصْلِ .



وَفِي الْكَافِي عَنْ "ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمَّارٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِذَا أَرَدْتَ دُخُولَ الْكَعْبَةِ فَاعْتَسِلْ قَبْلَ أَنْ تَدْخُلَهَا، وَلَا تَدْخُلَهَا بِحِذَائِهَا، وَتَقُولُ إِذَا دَخَلْتَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ قُلْتَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا فَأَمِّنِّي مِنْ عَذَابِ النَّارِ"<sup>(٢)</sup>، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ "فَأَمِّنِّي مِنْ عَذَابِ الْقِيَامَةِ"<sup>(٣)</sup>، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ "فَأَمِّنِّي مِنْ عَذَابِكَ وَأَجْرِنِي مِنْ سَخَطِكَ"<sup>(٤)</sup>، وَفِيهِ<sup>(٥)</sup> وَفِي الْعِيَاشِيِّ "عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾، الْبَيْتُ عَنِّي أَمْ الْحَرَمُ؟ قَالَ: مَنْ دَخَلَ الْحَرَمَ مِنَ النَّاسِ مُسْتَجِيرًا بِهِ فَهُوَ آمِنٌ مِنَ سَخَطِ اللَّهِ، وَمَنْ دَخَلَهُ مِنَ الْوَحْشِ وَالطَّيْرِ كَانَ آمِنًا مِنْ أَنْ يُهَاجَ أَوْ يُؤْذَى حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ الْحَرَمِ"<sup>(٦)</sup>، "عَنِ الْحَلَبِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾؟ قَالَ: إِذَا أَخَذْتَ الْعَبْدُ فِي غَيْرِ الْحَرَمِ جِنَايَةً ثُمَّ فَرَّ إِلَى الْحَرَمِ لَمْ يَسَعْ لِأَحَدٍ أَنْ يَأْخُذَهُ فِي الْحَرَمِ، وَلَكِنْ يُنْمَعُ مِنَ السُّوقِ، وَلَا يُبَايَعُ، وَلَا يُطْعَمُ، وَلَا يُسْقَى، وَلَا يُكَلَّمُ، فَإِنَّهُ إِذَا فَعِلَ ذَلِكَ بِهِ يُوشِكُ أَنْ يَخْرُجَ فَيُؤْخَذَ وَإِذَا جَنَى فِي الْحَرَمِ جِنَايَةً أُقِيمَ عَلَيْهِ الْحَدُّ فِي الْحَرَمِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَدَعْ لِلْحَرَمِ حُرْمَتَهُ"<sup>(٧)</sup>، "عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْرَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾؟ قَالَ: إِنْ سَرَقَ سَارِقٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ، أَوْ جَنَى جِنَايَةً عَلَى نَفْسِهِ فَفَرَّ إِلَى مَكَّةَ لَمْ يُؤْخَذَ مَا دَامَ فِي الْحَرَمِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْهُ، وَلَكِنْ يُنْمَعُ مِنَ السُّوقِ وَلَا يُبَايَعُ وَلَا يُجَالَسُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْهُ فَيُؤْخَذَ، وَإِنْ أَخَذَتْ فِي الْحَرَمِ ذَلِكَ الْحَدَّثَ أَخَذَ فِيهِ"<sup>(٨)</sup>، "عَنْ سَمَاعَةَ بْنِ مِهْرَانَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ رَجُلٍ لِي عَلَيْهِ مَالٌ فَعَابَ عَنِّي زَمَانًا فَرَأَيْتُهُ يَطُوفُ حَوْلَ الْكَعْبَةِ أَفَاتَّقَاضَهُ مَالِي؟ قَالَ: لَا، لَا تُسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَلَا تُرْوَعُهُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ الْحَرَمِ"<sup>(٩)</sup>.

(١) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٥٠/٢ .

(٢) الكافي: الكليني: ٤/٥٢٨/٣، بَابُ دُخُولِ الْكَعْبَةِ .

(٣) بحدود تتبعنا لم نجد هذا الحديث .

(٤) الكافي: الكليني: ٤/٥٣٠/١١، بَابُ دُخُولِ الْكَعْبَةِ .

(٥) أي: في الكافي .

(٦) الكافي: الكليني: ٤/٢٢٦/١، بَابُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾، تفسير العياشي: العياشي: ١٨٩/١ .

(٧) المصدر نفسه: ٤/٢٢٧/٢، بَابُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ .

(٨) المصدر نفسه: ٤/٢٢٧/٣، بَابُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ .

(٩) المصدر نفسه: ٤/٢٤١/١، بَابُ فِيْمَنْ رَأَى غَرِيْمَهُ فِي الْحَرَمِ .



### ثواب من دُفِنَ في الحرم وبين الحرمين ومن مات في طريق مكة:

"عَنْ هَارُونَ بْنِ خَارِجَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: مَنْ دُفِنَ فِي الْحَرَمِ أَمِنْ مِنَ الْفَرَعِ الْأَكْبَرِ، فَقُلْتُ لَهُ: مِنْ بَرِّ النَّاسِ وَفَاجِرِهِمْ؟ قَالَ: مِنْ بَرِّ النَّاسِ وَفَاجِرِهِمْ"<sup>(١)</sup>.  
وَفِي الْفَقِيهِ "مَنْ مَاتَ فِي أَحَدِ الْحَرَمَيْنِ بَعَثَهُ اللَّهُ مِنَ الْأَمْنَيْنِ، وَمَنْ مَاتَ بَيْنَ الْحَرَمَيْنِ لَمْ يُنْشَرْ لَهُ دِيْوَانٌ، وَمَنْ دُفِنَ فِي الْحَرَمِ أَمِنْ مِنَ الْفَرَعِ الْأَكْبَرِ"<sup>(٢)</sup>.

وَفِي الْكَافِي "عَنْ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنِ ابْنِ سِنَانٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: مَنْ مَاتَ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ ذَاهِبًا أَوْ جَائِيًا أَمِنْ مِنَ الْفَرَعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"<sup>(٣)</sup>، فَلَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فَضِيلَةَ بَيْتِهِ الْحَرَامِ، عَقَبَهُ بِوَجُوبِ حَجَّةِ الْإِسْلَامِ عَلَى مُسْتَطِيعِ النَّاسِ فَقَالَ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾، قَدْ مَرَّ الْوُجُوهُ الثَّلَاثَةُ فِي إِغْرَابٍ مَنْ، أَيُّ: لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ مُسْتَطِيعُهُمْ مِمَّنْ وَجَدَ طَرِيقًا إِلَيْهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، عَلَى مَا يَأْتِي بَيَانُهُ قُضِدَ الْبَيْتِ، أَيُّ: قُضِدُهُمُ الْبَيْتَ لِلْمَنَاسِكِ الْمَخْصُوصَةِ مِنْ أَعْمَالِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ.

وَفِي الْكَافِي "عَنْ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ أُذَيْنَةَ قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَسَائِلَ بَعْضُهَا مَعَ ابْنِ بُكَيْرٍ وَبَعْضُهَا مَعَ أَبِي الْعَبَّاسِ فَجَاءَ الْجَوَابُ بِإِمْلَائِهِ، سَأَلْتُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾، يَعْنِي بِهِ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ جَمِيعًا؛ لِأَنَّهُمَا مَفْرُوضَانِ"<sup>(٤)</sup>.

وَفِي الْعِلَلِ "عَنْ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ أُذَيْنَةَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ يَعْنِي بِهِ الْحَجَّ دُونَ الْعُمْرَةِ؟ فَقَالَ: لَا وَلَكِنَّهُ يَعْنِي الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ جَمِيعًا؛ لِأَنَّهُمَا مَفْرُوضَانِ"<sup>(٥)</sup>، وَ "عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ [أَنَّهُ]<sup>(٦)</sup> قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ يَنْفِيَانِ

(١) الكافي: الكليني: ٢٥٨/٤ ح/٢٦، بَابُ فَضْلِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَثَوَابِهِمَا .

(٢) من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ٢٢٩/٢ ح/٢٢٧٠، ٢٢٧١، ٢٢٧٢ .

(٣) الكافي: الكليني: ٢٦٣/٤ ح/٤٥، بَابُ فَضْلِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَثَوَابِهِمَا .

(٤) المصدر نفسه: ٢٦٤/٤ - ٢٦٥ ح/١، بَابُ فَرَضِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، لَمْ يَذْكَرِ الْحَدِيثَ بِتَمَامِهِ وَاکْتَفَى بِمَوْضِعِ الشَّاهِدِ .

(٥) علل الشرائع: الصدوق: ٤٥٣/٢ ح/٢، بَابُ نَوَادِرِ عِلَلِ الْحَجِّ .

(٦) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

الْفَقْرُ وَالذُّنُوبُ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ<sup>(١)</sup> حَبَّتِ الْحَدِيدُ<sup>(٢)</sup>، وَقَدْ مَرَّ فَضْلُ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةَ مَعَ بَيَانِهِمَا مُفَصَّلَةً مُسْتَوْفَاةً فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ.

### ذكر معنى الاستطاعة:

فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ فِي الْمَجْمَعِ: (وَاخْتُلِفَ فِي الْاسْتِطَاعَةِ فَقِيلَ: هِيَ الزَّادُ وَالرَّحْلَةُ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ عُمَرَ، وَقِيلَ: مَا يُمْكِنُهُ مَعَهُ بُلُوغُ مَكَّةَ بِأَيِّ وَجْهِ يُمَكِّنُ، عَنْ الْحَسَنِ، وَمَعْنَاهُ الْقُدْرَةُ [١٤٠] عَلَى الْوُضُوعِ إِلَيْهِ، وَالْمَرْوِيُّ عَنْ أُمِّمَتِنَا عَلَيْهِمُ السَّلَامُ [أَنَّهَا]<sup>(٣)</sup> الزَّادُ وَالرَّاحِلَةُ، وَتَفَقَّهُ مَنْ يَلْزَمُ نَفَقَتَهُ، وَالرُّجُوعُ إِلَى كِفَايَةِ إِمَّا مِنْ مَالٍ أَوْ ضِيَاعٍ أَوْ حِرْفَةٍ، مَعَ الصِّحَّةِ فِي النَّفْسِ، وَتَخْلِيَةِ السَّرْبِ مِنَ الْمَوَانِعِ، وَإِمْكَانِ الْمَسِيرِ)<sup>(٤)</sup> أَنْتَهَى.

وَفِي الْكَافِي وَتَفْسِيرِ الْعِيَّاشِيِّ عَنْ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ: الصِّحَّةُ فِي بَدَنِهِ، وَالْقُدْرَةُ فِي مَالِهِ<sup>(٥)</sup>، وَفِيهِمَا أَنَّهُ سُئِلَ "مَا السَّبِيلُ؟ قَالَ: أَنْ يَكُونَ لَهُ مَا يَحُجُّ بِهِ، قَالَ قُلْتُ: مَنْ عَرِضَ عَلَيْهِ مَا يَحُجُّ بِهِ فَاسْتَحْيَى مِنْ ذَلِكَ أَهْوَى مِمَّنْ يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلًا؟ قَالَ: نَعَمْ مَا شَأْنُهُ أَنْ يَسْتَحْيَى وَلَوْ يَحُجُّ عَلَى حِمَارٍ أَجْدَعٍ أَبْتَرَّ فَإِنْ كَانَ يُطِيقُ أَنْ يَمْشِيَ بَعْضًا وَيَرْكَبَ بَعْضًا فَلْيَحُجَّ"<sup>(٦)</sup>.

وَفِي الْعُيُونِ فِي (مَا كَتَبَهُ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْمَأْمُونِ فِي مَحْضِ الْإِسْلَامِ وَشَرَائِعِ الدِّينِ)<sup>(٧)</sup>، "وَحُجُّ النَّبِيِّ عَلَى مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَالسَّبِيلُ الزَّادُ وَالرَّاحِلَةُ مَعَ الصِّحَّةِ"<sup>(٨)</sup>.

(١) (الكبير: كبير الخدّاد، وهو زق أو جلد غليظ ذو حافات، وهو الزق الذي ينفخ فيه الخدّاد)، لسان العرب: ابن منظور: ١٥٧/٥، مادة كير .

(٢) تهذيب الأحكام: الطوسي: ٥/٢٢٥/٦، باب ثواب الحج.

(٣) في المصدر: أنه وجود .

(٤) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٥٠/٢ .

(٥) تفسير العياشي: العياشي: ١٩٣/١ .

(٦) الكافي: الكليني: ٤/٢٦٦/١، باب استطاعة الحج، ولم نجد هذا النص في تفسير العياشي كما أشير إليه في الأصل.

(٧) عيون أخبار الرضا (ع): الصدوق: ١٣١/٢ .

(٨) المصدر نفسه: ١٣١/٢/١، باب ما كتبه الرضا عليه السلام للمأمون في محض الإسلام وشرائع الدين، والحديث طويل اكتفى المؤلف بموضع الشاهد .

وَفِي الْفَقِيهِ "رَوَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي حَمْرَةَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ قَالَ: يَخْرُجُ وَيَمْشِي إِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ [شَيْءٌ] (١) قُلْتُ: لَا يَقْدِرُ عَلَى الْمَشْيِ؟ قَالَ: يَمْشِي وَيَرْكَبُ، قُلْتُ: لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ، قَالَ: يَخْدُمُ الْقَوْمَ وَيَخْرُجُ مَعَهُمْ" (٢).

وَفِي الْكَافِي "عَنْ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الْخَثَمِيِّ قَالَ: سَأَلَ حَفْصُ الْكُنَاسِيُّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَنَا عِنْدَهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ مَا يَعْنِي بِذَلِكَ؟ قَالَ: مَنْ كَانَ صَاحِبًا فِي بَدَنِهِ، مُخَلَّى سَرْبُهُ، لَهُ زَادٌ وَرَاحِلَةٌ، فَهُوَ مِمَّنْ يَسْتَطِيعُ الْحَجَّ أَوْ قَالَ: مِمَّنْ كَانَ لَهُ مَالٌ، فَقَالَ لَهُ حَفْصُ الْكُنَاسِيُّ: فَإِذَا كَانَ صَاحِبًا فِي بَدَنِهِ، مُخَلَّى سَرْبُهُ، لَهُ زَادٌ وَرَاحِلَةٌ، فَلَمْ يَحُجَّ فَهُوَ مِمَّنْ يَسْتَطِيعُ الْحَجَّ؟ قَالَ: نَعَمْ" (٣)، "عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِي الرَّبِيعِ الشَّامِيِّ قَالَ: سُئِلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾؟ فَقَالَ: مَا يَقُولُ النَّاسُ؟ قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: الزَّادُ وَالرَّاحِلَةُ، قَالَ: فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَدْ سُئِلَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ هَذَا فَقَالَ: هَلَاكَ النَّاسُ إِذَا؛ لَئِنْ كَانَ مَنْ كَانَ لَهُ زَادٌ وَرَاحِلَةٌ قَدَرَ مَا يَقُوتُ عِيَالَهُ وَيَسْتَعْنِي بِهِ عَنِ النَّاسِ يَنْطَلِقُ إِلَيْهِ فَيَسْلُبُهُمْ إِيَّاهُ لَقَدْ هَلَكُوا، فَقِيلَ لَهُ: فَمَا السَّبِيلُ؟ قَالَ: فَقَالَ: السَّعَةُ فِي الْمَالِ إِذَا كَانَ يَحُجُّ بِبَعْضٍ وَيُبْقِي بَعْضًا يَقُوتُ بِهِ عِيَالَهُ أَلَيْسَ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ الزَّكَاةَ فَلَمْ يَجْعَلْهَا إِلَّا عَلَى مَنْ يَمْلِكُ مَا نَتَيْ دِرْهَمٍ" (٤)، "عَنْ سَيْفِ بْنِ عَمِيرَةَ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْحَضْرَمِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنِّي شِيعْتُ أَصْحَابِي إِلَى الْقَادِسِيَّةِ فَقَالُوا لِي: انْطَلِقْ مَعَنَا وَنُعِيمَ عَلَيْكَ ثَلَاثًا فَرَجَعْتُ وَلَيْسَ عِنْدِي نَفَقَةٌ فَيَسَّرَ اللَّهُ وَلَحِقْتُهُمْ قَالَ: إِنَّهُ مَنْ كَتَبَ عَلَيْهِ فِي الْوَفْدِ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ لَا يَحُجَّ وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا وَمَنْ لَمْ يَكْتَبْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَحُجَّ وَإِنْ كَانَ غَنِيًّا صَاحِبًا" (٥)، "مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ مُوسَى بْنِ عَمْرَانَ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ يَزِيدَ النَّوْفَلِيِّ، عَنِ السَّكُونِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: سَأَلَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْقَدْرِ فَقَالَ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ أَخْبِرْنِي عَنْ

(١) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٢) من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ٢/٢٩٥ - ٢٩٦/٤ - ٢٥٠ .

(٣) الكافي: الكليني: ٤/٢٦٧/٢، بَابُ اسْتِطَاعَةِ الْحَجِّ .

(٤) المصدر نفسه ٤/٢٦٧/٣، بَابُ اسْتِطَاعَةِ الْحَجِّ .

(٥) المصدر نفسه: ٤/٢٦٧-٢٦٨/٤، بَابُ اسْتِطَاعَةِ الْحَجِّ .

قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾، أَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُمُ الْإِسْتِطَاعَةَ؟ فَقَالَ: وَيْحَكَ؛ إِنَّمَا يَعْنِي بِالِاسْتِطَاعَةِ الزَّادَ وَالرَّاحِلَةَ، لَيْسَ اسْتِطَاعَةَ الْبَدَنِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَفَلَيْسَ إِذَا كَانَ الزَّادُ وَالرَّاحِلَةُ فَهُوَ مُسْتَطِيعٌ لِلْحَجِّ؟ فَقَالَ: وَيْحَكَ؛ لَيْسَ كَمَا تَظُنُّ؛ قَدْ تَرَى الرَّجُلَ عِنْدَهُ الْمَالُ الْكَثِيرُ أَكْثَرَ مِنَ الزَّادِ وَالرَّاحِلَةِ فَهُوَ لَا يَحُجُّ حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ [لَهُ] <sup>(١)</sup> فِي ذَلِكَ <sup>(٢)</sup>.

وَفِي الْكَافِي أَيْضًا فِي بَابِ قَبْلِ بَابِ اسْتِطَاعَةِ الْحَجِّ "عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ جَمِيعًا، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَجَّاجِ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْحَجُّ عَلَى الْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ؟ فَقَالَ: الْحَجُّ عَلَى النَّاسِ جَمِيعًا كِبَارِهِمْ وَصِغَارِهِمْ، فَمَنْ كَانَ لَهُ عُدْرٌ عَذَرَهُ اللَّهُ" <sup>(٣)</sup>.

أَقُولُ: مَا يُفْقَهُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ، وَمِنْ هَذِهِ الْأَخْبَارِ وَغَيْرِهَا، أَنَّ حُجَّةَ الْإِسْلَامِ مِنْ أَنْوَاعِهِ الثَّلَاثَةُ عَلَى مَا مَرَّ مَفْصَلَةً فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَاجِبَةٌ بِأَصْلِ الشَّرْعِ مَرَّةً وَاحِدَةً عَلَى الْمُسْتَطِيعِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْخَنَائِي عَلَى الْفَوْرِ بَعْدَ الْإِسْتِطَاعَةِ الْمُرَادِ بِهَا الزَّادُ وَالرَّاحِلَةُ، وَصِحَّةُ الْبَدَنِ، وَتَخْلِيَةُ السَّرْبِ، وَمَا يَمُونُ بِهِ عِيَالُهُ الْوَاجِبِي النَّفَقَةَ إِلَى حِينِ رُجُوعِهِ مِنَ النَّفَقَةِ وَالْكَسْوَةِ بِمَا يُنَاسِبُ كُلَّ شَخْصٍ قُوَّةً وَضَعْفًا، وَيُسْتَنْتَنِي مِنْ مَالِهِ دَارُهُ وَخَادِمُهُ وَثِيَابُهُ وَدَابَّتُهُ وَكُتُبُ عِلْمِهِ اللَّائِقَةُ بِحَالِهِ كَمَا وَكَيْفًا عَيْنًا وَقِيمَةً، وَأَمَّا الرَّجُوعُ بِالْكَفَايَةِ مِنْ صِنَاعَةٍ أَوْ حِرْفَةٍ أَوْ بِضَاعَةٍ أَوْ ضَيْعَةٍ وَنَحْوِهَا فَلَيْسَ بِشَرْطٍ عَلَى الْأَحْوِطِ، وَالْأَقْوَى لِعُمُومِ الْآيَةِ وَالْأَخْبَارِ وَرَوَايَةِ أَبِي الرَّبِيعِ الشَّامِيِّ لَا تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، بَلْ هِيَ تَدُلُّ عَلَى اعْتِبَارِ الْمُؤُونَةِ لَهُ ذَاهِبًا وَجَائِيًا، وَمَعُونَةِ عِيَالِهِ كَذَلِكَ، نَعَمْ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ فِي الْجُمْلَةِ مَا رَوَاهُ فِي كِتَابِ الْخِصَالِ "عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قَالَ: هَذِهِ شَرَائِعُ الدِّينِ" <sup>(٤)</sup> إِلَى أَنْ قَالَ: "وَحِجُّ الْبَيْتِ وَاجِبٌ عَلَى مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَهُوَ الزَّادُ وَالرَّاحِلَةُ مَعَ صِحَّةِ الْبَدَنِ، وَأَنْ يَكُونَ لِلْإِنْسَانِ مَا يَخْلِفُهُ عَلَى عِيَالِهِ [١٤١] وَمَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ مِنْ بَعْدِ حَجِّهِ" <sup>(٥)</sup> الْحَدِيثِ.

(١) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٢) الكافي: الكليني: ٤/٢٦٨/٥، باب استِطَاعَةِ الْحَجِّ .

(٣) المصدر نفسه: ٤/٢٦٥/٣، باب فَرَضِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ .

(٤) الخصال: الصدوق: ٣/٦٠٣/٩، الحديث طويل اكتفى المؤلف بموضع الشاهد .

(٥) المصدر نفسه: ٦٠٦/٩، باب الواحد إلى المائة.

ذكر ما يستحب للحج ومن استحب عليه وشرط صحته:

ويُستحب تكراره للغني في كل عام كما يأتي ذكره، وكذا يُستحب مرة واحدة للفقير الفاقِد للشرائط، وشرط صحته الإسلام وغير ذلك مما مر في سورة البقرة وتأخيره مع تحقيق شرائطه كبيرة موبقة كما يأتي آنفاً في ذيل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>، إذا عرفت تلك المراتب علمت أن لا تنافي بين هذه الأخبار وأمثالها، ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ أي: (من جحد فرض الحج ووجوبه ولم يره واجباً)<sup>(٢)</sup> كما يأتي في الخبر فقد كفر بالله عز وجل كتارك الصلاة، وإلا فقد فعل كبيرة موبقة.

وفي الكافي بإسناده "عن علي بن جعفر، عن أخيه موسى عليه السلام قال: إن الله عز وجل فرض الحج على أهل الجدة<sup>(٣)</sup> في كل عام؛ وذلك قوله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾، قال: قلت: فمن لم يحج منّا فقد كفر؟ قال: لا، ولكن من قال ليس هذا هكذا فقد كفر"<sup>(٤)</sup>، (وعن سعيد بن المسيب [أنها]<sup>(٥)</sup> نزلت في اليهود فإنهم قالوا: الحج إلى مكة غير واجب)<sup>(٦)</sup>.

وفي الفقيه في وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام "يا علي: تارك الحج وهو مستطيع كافر لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾، يا علي: من سوف الحج حتى يموت بعثه الله يوم القيامة يهودياً أو نصرانياً"<sup>(٧)</sup> الحديث، واليهودي والنصراني كافران بالله، أو يكون معنى من كفر من ترك الحج وهو مستطيع فوضع كفر موضع ترك الحج و(لم يحج تأكيداً لوجوبه، وتغليظاً على تاركه)<sup>(٨)</sup> لا أنه كافر حقيقة.

(١) سورة آل عمران: الآية ٩٧ .

(٢) فقه القرآن: الراوندي: ٢٨٥/١، المنتخب من تفسير القرآن: ابن إدريس الحلبي: ١٣٥/١ .

(٣) أهل الجدة: (بتخفيف الدال وهو الغنى وكثرة المال والاستطاعة، يقال وجد يجد جدة استغنى)، مجمع البحرين: الطريحي: ١٥٥/٣ .

(٤) الكافي: الكليني: ٢٦٥/٤ - ٢٦٦/٥، باب فرض الحج والغمرة .

(٥) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٦) الكشاف: الزمخشري: ٤٤٩/١ .

(٧) من لا يحضره الفقيه: الصدوق: ٣٦٨/٤ ح/٥٧٦٢ .

(٨) أنوار التنزيل: البيضاوي: ٣٠/٢، التفسير الصافي: الفيض الكاشاني: ٣٦٢/١ .

وَفِي تَفْسِيرِ الْعِيَّاشِيِّ "عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: نَعَمْ هُوَ كَفَرُ النَّعَمِ، قَالَ: وَمَنْ تَرَكَ فِي خَيْرٍ آخَرَ"<sup>(١)</sup>، وَفِي التَّهْذِيبِ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ "﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾، يَعْنِي: وَمَنْ تَرَكَ"<sup>(٢)</sup>، (وَرُوي أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ صَدْرُ الْآيَةِ جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَرْبَابَ الْمِلَلِ فَخَطَبَهُمْ وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَتَبَ عَلَيْكُمْ الْحَجَّ فَحُجُّوا فَأَمَنْتَ بِهِ مِلَّةً وَاحِدَةً وَكَفَرْتَ بِهِ خَمْسُ مِلَلٍ فَنَزَلَتْ: ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ [فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ]<sup>(٣)</sup> ﴿﴾"<sup>(٤)</sup>، فَهَذِهِ الرُّوَايَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ هُمُ الْكَفَرَةُ حَقِيقَةً لَا وَضْعَ الْكُفْرِ مُوَضِّعَ لَمْ يَحْجَّ أَوْ تَرَكَ.

وَفِي الْكَافِي "عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى، عَنْ ذَرِيحِ الْمُحَارِبِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَحْجَّ حَجَّةَ الْإِسْلَامِ، لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ ذَلِكَ حَاجَةٌ تُجْحِفُ بِهِ، أَوْ مَرَضٌ لَا يُطِيقُ فِيهِ الْحَجَّ، أَوْ سُلْطَانٌ يَمْنَعُهُ، فَلَيْمَتْ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا"<sup>(٥)</sup>، "عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾"<sup>(٦)</sup>، فَقَالَ: ذَلِكَ الَّذِي يُسَوِّفُ نَفْسَهُ الْحَجَّ، يَعْنِي: حَجَّةَ الْإِسْلَامِ حَتَّى [يَمُوتَ]<sup>(٧)</sup> "<sup>(٨)</sup>، "عَنْ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: مَنْ مَاتَ وَهُوَ صَحِيحٌ مُوسِرٌ لَمْ يَحْجَّ فَهُوَ مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾، قَالَ: قُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، أَعْمَى؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَعْمَاهُ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ"<sup>(٩)</sup>.

(١) تفسير العيَّاشي: العيَّاشي: ١٩٣/١، والحديث طويل روي عن أبي أسامة زيد الشحام، اكتفى المؤلف بذكر موضع الحاجة منه.

(٢) تهذيب الأحكام: الطوسي: ٥٢/١٨/٥.

(٣) ما بين المعقوفين ليس من المصدر.

(٤) تهذيب الأحكام: الطوسي: ٢٠٢/١٨/٥.

(٥) الكافي: الكليني: ٤/٢٦٨/١، بَابُ مَنْ سَوَّفَ الْحَجَّ وَهُوَ مُسْتَطِيعٌ.

(٦) سورة الإسراء: الآية ٧٢.

(٧) في المصدر: يَأْتِيهِ الْمَوْتُ.

(٨) الكافي: الكليني: ٤/٢٦٩/٢، بَابُ مَنْ سَوَّفَ الْحَجَّ وَهُوَ مُسْتَطِيعٌ.

(٩) المصدر نفسه: ٤/٢٦٩/٦، بَابُ مَنْ سَوَّفَ الْحَجَّ وَهُوَ مُسْتَطِيعٌ.

وفي الكافي في (باب أنه لو ترك الناس الحجاج لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ)<sup>(١)</sup>، "بإِسْنَادِهِ عَنْ حُسَيْنِ الْأَحْمَسِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: لَوْ تَرَكَ النَّاسُ الْحَجَّ لَمَا نُظِرُوا الْعَذَابَ، أَوْ قَالَ: أُنزِلَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ"<sup>(٢)</sup>، "عَنْ حَنَانِ بْنِ سَدِيرٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: ذَكَرْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ النَّبِيَّتَ فَقَالَ: لَوْ عَطَّلُوهُ سَنَةً وَاحِدَةً لَمْ يُنَاطَرُوا"<sup>(٣)</sup>، "عَنْ حَمَّادٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: كَانَ عَلِيٌّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقُولُ لَوْلَدِهِ: يَا بَنِيَّ انظُرُوا بَيْتَ رَبِّكُمْ فَلَا يَخْلُونَ مِنْكُمْ فَلَا تُنَاطَرُوا"<sup>(٤)</sup>، "عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: لَا يَزَالُ الدِّينُ قَائِمًا مَا قَامَتِ الْكُعْبَةُ"<sup>(٥)</sup> الْحَدِيثُ.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ معناه (لم يتعبد لهم بالعبادة لِحاجته إليها، وإنما تعبد لهم بها لما علم فيها من مصالحهم)<sup>(٦)</sup> وَمَنَافِعِهِمْ ورفعة درجاتهم وامتحانهم واختبارهم؛ لِيَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا، وَتَوْبَتِهِمْ وَإِنَابَتِهِمْ إِلَيْهِ تَعَالَى مِنَ الذُّنُوبِ وَتَطْهِيرِ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالْأَبْدَانِ وَحَظْرِهَا مِنَ الشَّهَوَاتِ وَاللَّذَاتِ وَالنَّقْرَبِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالْعِبَادَةِ<sup>(٧)</sup> وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وفي العيون في (باب ذكر ما كتب به الرضا عليه السلام إلى محمد بن سنان في جواب مسائله في العلة)<sup>(٨)</sup> "وَعِلَّةُ الْحَجِّ الْوَفَادَةُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَطَلْبُ الزِّيَادَةِ، وَالْخُرُوجُ مِنْ كُلِّ مَا اقْتَرَفَ، وَلِيَكُونَ تَائِبًا مِمَّا مَضَى، مُسْتَأْنَفًا لِمَا يَسْتَقْبِلُ، وَمَا فِيهِ مِنْ اسْتِخْرَاجِ الْأَمْوَالِ، وَتَعَبِ الْأَبْدَانِ وَحَظْرِهَا عَنِ الشَّهَوَاتِ وَاللَّذَاتِ، وَالنَّقْرَبِ بِالْعِبَادَةِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْخُضُوعِ وَالِاسْتِكَانَةِ وَالذُّلِّ، شَاخِصًا إِلَيْهِ فِي الْحَرِّ وَالْبُرْدِ وَالْأَمْنِ وَالْخَوْفِ، دَائِبًا فِي ذَلِكَ دَائِمًا وَمَا فِي ذَلِكَ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ مِنَ الْمَنَافِعِ وَالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمِنْهُ تَرْكُ قَسَاوَةِ الْقَلْبِ، وَجَسَارَةِ الْأَنْفُسِ، وَنَسْيَانِ الذِّكْرِ، وَانْقِطَاعِ الرَّجَاءِ وَالْأَمَلِ، وَتَجْدِيدِ الْحُقُوقِ، وَحَظْرِ النَّفْسِ عَنِ الْفَسَادِ، وَمَنْفَعَةٍ مَنْ فِي شَرْقِ الْأَرْضِ وَغَرْبِهَا، وَمَنْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مِمَّنْ يَحُجُّ وَمِمَّنْ لَا يَحُجُّ

(١) الكافي: الكليني: ٢٧١/٤ .

(٢) المصدر نفسه: ٢٧٠/٤ ح/١، باب أنه لو ترك الناس الحجاج لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ .

(٣) المصدر نفسه: ٢٧١/٤ ح/٢، باب أنه لو ترك الناس الحجاج لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ.

(٤) المصدر نفسه: ٢٧١/٤ ح/٣، باب أنه لو ترك الناس الحجاج لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ.

(٥) المصدر نفسه: ٢٧١/٤ ح/٤، باب أنه لو ترك الناس الحجاج لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ.

(٦) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٥٠/٢ .

(٧) ينظر: التفسير الصافي: الفيض الكاشاني: ٣٧٤/٣ .

(٨) عيون أخبار الرضا (ع): الصدوق: ٩٥/٢ .



مِنْ تَاجِرٍ وَجَالِبٍ وَبَائِعٍ وَمُشْتَرٍ وَكَاسِبٍ وَمَسْكِينٍ، وَقَضَاءِ حَوَائِجِ أَهْلِ الْأَطْرَافِ وَالْمَوَاضِعِ الْمُمْكِنِ لَهُمُ الْاجْتِمَاعُ فِيهَا كَذَلِكَ ﴿لِيَشْهَدُوا﴾ [١٤٢] مَنَافِعَ لَهُمْ ﴿١﴾.

ذِكْرُ عِلَّةِ فَرَضِ الْحَجِّ مَرَّةً وَاحِدَةً:

وَعِلَّةُ فَرَضِ الْحَجِّ مَرَّةً وَاحِدَةً؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَضَعَ الْفَرَائِضَ عَلَى أَدْنَى الْقَوْمِ قُوَّةً فَمَنْ تَلَكَ الْفَرَائِضَ الْحَجُّ الْمَفْرُوضُ وَاحِدٌ ثُمَّ رَغَبَ أَهْلُ الْقُوَّةِ عَلَى قَدْرِ طَاقَتِهِمْ، وَعِلَّةُ وَضْعِ الْبَيْتِ وَسَطَ الْأَرْضِ أَنَّهُ الْمَوْضِعُ الَّذِي مِنْ تَحْتِهِ دُحَيْبٌ <sup>(٢)</sup> الْأَرْضُ وَكُلُّ رِيحٍ تَهُبُّ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّهَا تَخْرُجُ مِنْ تَحْتِ الرُّكْنِ الشَّامِيِّ وَهِيَ أَوَّلُ بُعْعَةٍ وَضِعَتْ فِي الْأَرْضِ؛ لِأَنَّهَا الْوَسْطُ لِيَكُونَ الْفَرَضُ لِأَهْلِ الشَّرْقِ وَالْعَرَبِ فِي ذَلِكَ سَوَاءً وَسُمِّيَتْ مَكَّةً مَكَّةً؛ لِأَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَمْكُونُ <sup>(٣)</sup> فِيهَا، وَكَانَ يُقَالُ لِمَنْ قَصَدَهَا قَدْ مَكَأَ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ <sup>(٤)</sup>، فَالْمُكَاءُ [الصَّفِيرُ] <sup>(٥)</sup> وَالتَّصْدِيَةُ صَفْقُ الْيَدَيْنِ، وَعِلَّةُ الطَّوَافِ بِالْبَيْتِ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ <sup>(٦)</sup>، فَردُّوا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى هَذَا الْجَوَابَ فَندموا، ولأدوا بِالْعَرْشِ، وَاسْتَعْفَرُوا، فَأَحَبَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَتَّعَبَدَ بِمِثْلِ ذَلِكَ الْعِبَادُ فَوَضَعَ فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةَ بَيْتًا بِجِذَاءِ الْعَرْشِ يُسَمَّى الضَّرَاحَ، ثُمَّ وَضَعَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا بَيْتًا يُسَمَّى الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ بِجِذَاءِ الضَّرَاحِ، ثُمَّ وَضَعَ هَذَا الْبَيْتَ بِجِذَاءِ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَطَافَ بِهِ فَتَابَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ وَجَرَى ذَلِكَ فِي وُلْدِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَعِلَّةُ اسْتِلامِ الْحَجَرِ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا أَخَذَ مِيثَاقَ بَنِي آدَمَ النِّقْمَةَ الْحَجْرَ، فَمِنْ ثَمَّ كَلَّفَ النَّاسَ تَعَاهُدَ ذَلِكَ الْمِيثَاقِ، وَمِنْ ثَمَّ يُقَالُ عِنْدَ الْحَجَرِ: أَمَانَتِي أَدَيْتُهَا وَمِيثَاقِي تَعَاهَدْتُهُ؛ لِتَشْهَدَ لِي بِالْمُؤَافَاةِ، وَمِنْهُ قَوْلُ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ

(١) سورة الحج: الآية ٢٨.

(٢) دحيب: أي: بسطت، ينظر: أساس البلاغة: الزمخشري: ٢٨١/١، مادة دحو .

(٣) مكا: صفر أي: صوت بالنفخ من شفثيه، ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ٤٦٤/٤، مادة مكا.

(٤) سورة الأنفال: الآية ٣٥ .

(٥) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٦) سورة البقرة: الآية ٣٠ .

عنه: لِيَجِيَنَّ الْحَجْرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلَ أَبِي قُبَيْسٍ لَهُ لِسَانٌ وَشَفَتَانِ يَشْهَدُ لِمَنْ وَاوَاهُ بِالْمُؤَافَاةِ"<sup>(١)</sup> الحديث.

أقول قوله عليه السلام: "ثُمَّ وَضَعَ هَذَا الْبَيْتَ بِحِذَاءِ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ"<sup>(٢)</sup>، لَا يُنَافِي مَا مِنْ كَوْنٍ وَضَعَ هَذَا الْبَيْتَ مَوْضِعَهُ مُقَدِّمًا فِي الْخَلْقَةِ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ هُنَا مَرَمَّةَ آدَمَ هَذَا الْبَيْتِ وَبِنَاؤُهُ كَمَا فِي الْكَافِي (بَابُ بَدْءِ الْبَيْتِ وَالطَّوَافِ)<sup>(٣)</sup> "عَنْ أَبِي عَبَّادٍ عِمْرَانَ بْنِ عَطِيَّةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: بَيْنَا أَبِي عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَنَا فِي الطَّوَافِ إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ شَرَجَبٌ مِنَ الرِّجَالِ فَقُلْتُ: وَمَا الشَّرَجَبُ أَصْلَحَكَ اللَّهُ؟ قَالَ: الطَّوِيلُ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، وَأَدْخَلَ رَأْسَهُ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي، قَالَ: فَالْتَفَتَ إِلَيَّ أَبِي وَأَنَا فَرَدَدْنَا عَلَيْهِ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: أَسْأَلُكَ رَحِمَكَ اللَّهُ، فَقَالَ لَهُ أَبِي: نَقْضِي طَوَافَنَا ثُمَّ تَسْأَلُنِي، فَلَمَّا قَضَى أَبِي الطَّوَافَ دَخَلْنَا الْحَجْرَ فَصَلَّيْنَا الرَّكْعَتَيْنِ، ثُمَّ التَّفَتَ فَقَالَ: أَيْنَ الرَّجُلُ يَا بَنِي؟ فَإِذَا هُوَ وَرَاءَهُ قَدْ صَلَّى فَقَالَ: مِمَّنِ الرَّجُلُ؟ قَالَ: مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، فَقَالَ: وَمِنْ أَيِّ أَهْلِ الشَّامِ؟ فَقَالَ: مِمَّنْ يَسْكُنُ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ؟ فَقَالَ: قَرَأْتُ الْكِتَابَيْنِ<sup>(٤)</sup> قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: سَلْ عَمَّا بَدَأَ لَكَ، فَقَالَ: أَسْأَلُكَ عَنْ بَدْءِ هَذَا الْبَيْتِ وَعَنْ قَوْلِهِ: ﴿يَنْ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾<sup>(٥)</sup>، وَعَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾<sup>(٦)</sup> فَقَالَ: يَا أَخَا أَهْلِ الشَّامِ إِسْمَعْ حَدِيثَنَا وَلَا تَكْذِبْ عَلَيْنَا؛ فَإِنَّهُ مَنْ كَذَبَ عَلَيْنَا فِي شَيْءٍ فَقَدْ كَذَبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَدْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ عَذَّبَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، أَمَا بَدْءُ هَذَا الْبَيْتِ فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾<sup>(٧)</sup>، فَرَدَّتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَتْ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾<sup>(٨)</sup>، فَأَعْرَضَ عَنْهَا، فَرَأَتْ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ سَخَطِهِ، فَلَاذَتْ بِعَرْشِهِ، فَأَمَرَ اللَّهُ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ بَيْتًا فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ

(١) عيون أخبار الرضا(ع): الصدوق: ٩٧/٢ - ٩٨/١ ح، باب يُكْرَى مَا كَتَبَ بِهِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانَ فِي جَوَابِ مَسْأَلِهِ فِي الْعِلَلِ .

(٢) المصدر نفسه: ٩٨/٢ ح .

(٣) الكافي: الكليني: ١٨٧/٤ .

(٤) الكتابين (يعني: التوراة والقرآن)، نور الثقلين: الحويزي: ٥٠/١ .

(٥) سورة القلم: الآية ١ .

(٦) سورة المعارج: الآية ٢٤ - ٢٥ .

(٧) سورة البقرة: الآية ٣٠ .

(٨) سورة البقرة: الآية ٣٠ .

يُسَمَّى الصُّرَاخُ<sup>(١)</sup> بِإِزَاءِ عَرْشِهِ، فَصَيَّرَهُ لِأَهْلِ السَّمَاءِ يَطُوفُ بِهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ لَا يَعُودُونَ وَيَسْتَغْفِرُونَ، فَلَمَّا أَنْ هَبَطَ آدَمُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا أَمَرَهُ بِمَرَمَةِ هَذَا الْبَيْتِ وَهُوَ بِإِزَاءِ ذَلِكَ فَصَيَّرَهُ لِآدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَيَّرَ ذَلِكَ لِأَهْلِ السَّمَاءِ قَالَ صَدَقْتَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ<sup>(٢)</sup>.

وَفِي الْكَافِي فِي (بَابُ بَدْءِ الْحَجَرِ وَالْعَلَّةِ فِي اسْتِلامِهِ)<sup>(٣)</sup> "عَنْ بُكَيْرِ بْنِ أَعِينٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَيِّ عِلَّةٍ وَضَعَ اللَّهُ الْحَجَرَ فِي الرُّكْنِ الَّذِي هُوَ فِيهِ وَلَمْ يُوضِعْ فِي غَيْرِهِ؟ وَلِأَيِّ عِلَّةٍ نَقَبْتُ؟ وَلِأَيِّ عِلَّةٍ أُخْرِجَ مِنَ الْجَنَّةِ؟ وَلِأَيِّ عِلَّةٍ وَضَعَ مِيثَاقَ الْعِبَادِ وَالْعَهْدُ فِيهِ وَلَمْ يُوضِعْ فِي غَيْرِهِ؟ وَكَيْفَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ؟ تُخْبِرُنِي جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ؛ فَإِنَّ تَفَكُّرِي فِيهِ لَعَجَبٌ، قَالَ: فَقَالَ: سَأَلْتُ وَأَعْضَلْتُ فِي الْمَسْأَلَةِ وَاسْتَفْصَيْتُ فَافْهَمِ الْجَوَابَ، وَفَرِّغْ قَلْبَكَ، وَأَصْنِعْ سَمْعَكَ أُخْبِرَكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَضَعَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ وَهِيَ جَوْهَرَةٌ أُخْرِجَتْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَوُضِعَتْ فِي ذَلِكَ الرُّكْنِ لِعِلَّةِ الْمِيثَاقِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا أَخَذَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ حِينَ أَخَذَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ وَفِي ذَلِكَ الْمَكَانِ تَرَاعَى لَهُمْ، وَمِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ يَهْبِطُ الطَّيْرُ عَلَى الْقَائِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَوَّلُ مَنْ يُبَايِعُهُ ذَلِكَ الطَّائِرُ وَهُوَ وَاللَّهُ جَبْرئيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِلَى ذَلِكَ الْمَقَامِ يُسِنِدُ الْقَائِمُ ظَهْرَهُ، وَهُوَ الْحُجَّةُ وَالذَّلِيلُ عَلَى الْقَائِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ الشَّاهِدُ لِمَنْ وَاوَاهُ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ، وَالشَّاهِدُ عَلَى مَنْ أَدَّى إِلَيْهِ الْمِيثَاقَ وَالْعَهْدَ الَّذِي أَخَذَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْعِبَادِ، وَأَمَّا [١٤٣] الْقُبْلَةُ [وَالِاسْتِلامُ]<sup>(٤)</sup> فَلِعِلَّةِ الْعَهْدِ؛ تَجْدِيداً لِذَلِكَ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ، وَتَجْدِيداً لِلْبَيْعَةِ؛ لِيُؤَدُّوا إِلَيْهِ الْعَهْدَ الَّذِي أَخَذَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي الْمِيثَاقِ، فَيَأْتُوهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ وَيُؤَدُّوا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْعَهْدَ وَالْأَمَانَةَ اللَّذَيْنِ أَخَذَا عَلَيْهِمْ، أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ أَمَانَتِي أَدَيْتُهَا وَمِيثَاقِي تَعَاهَدْتُهُ؛ لِتَشْهَدَ لِي بِالْمُؤَافَاةِ، وَوَاللَّهِ مَا يُؤَدِّي ذَلِكَ أَحَدٌ غَيْرُ شِيعَتِنَا، وَلَا حَفِظَ ذَلِكَ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ أَحَدٌ غَيْرُ شِيعَتِنَا، وَإِنَّهُمْ لَيَأْتُوهُ فَيَعْرِفُهُمْ وَيُصَدِّقُهُمْ وَيَأْتِيهِ غَيْرُهُمْ فَيُنْكِرُهُمْ وَيُكذِّبُهُمْ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَحْفَظْ ذَلِكَ غَيْرُكُمْ، فَلَكُمْ وَاللَّهِ يَشْهَدُ، وَعَلَيْهِمْ وَاللَّهِ يَشْهَدُ بِالْخَفْرِ<sup>(٥)</sup> وَالْجُحُودِ وَالْكَفْرِ، وَهُوَ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ يَوْمَ

(١) (الصُّرَاخُ، بِالضَّمِّ: بَنِيْتُ فِي السَّمَاءِ مُقَابِلَ الْكُعْبَةِ فِي الْأَرْضِ؛ قِيلَ: هُوَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ)، لسان العرب: ابن منظور: ٥٢٧/٢، مادة صرح .

(٢) (الكافي: الكليني: ١٨٧/٤ - ١٨٨/١ ح، بَابُ بَدْءِ الْبَيْتِ وَالطَّوَّافِ .

(٣) (المصدر نفسه: ١٨٤/٤ .

(٤) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٥) (الخفر) (نَقَضَ عَهْدَهُ وَخَاسَ بِهِ وَعَدْرَهُ)، لسان العرب: ابن منظور: ٢٥٣/٤، مادة خفر .

الْقِيَامَةِ، يَجِيءُ وَلَهُ لِسَانٌ نَاطِقٌ، وَعَيْنَانِ فِي صُورَتِهِ الْأُولَى، يَعْرِفُهُ الْخَلْقُ وَلَا يُكْرَهُ، يَشْهَدُ لِمَنْ وَاثِقَهُ وَجَدَّدَ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ عِنْدَهُ؛ بِحِفْظِ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَيَشْهَدُ عَلَى كُلِّ مَنْ أَنْكَرَ وَجَدَّدَ وَنَسِيَ الْمِيثَاقَ بِالْكَفْرِ وَالْإِنْكَارِ، فَأَمَّا عَلَهُ مَا أَخْرَجَهُ [اللَّهُ] (١) مِنَ الْجَنَّةِ فَهَلْ تَدْرِي مَا كَانَ الْحَجَرُ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: كَانَ مَلَكًا مِنْ عُظَمَاءِ الْمَلَائِكَةِ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلَمَّا أَخَذَ اللَّهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمِيثَاقَ كَانَ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ وَأَقْرَبَ ذَلِكَ الْمَلَكُ فَاتَّخَذَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَمِينًا عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ، فَأَلْقَمَهُ الْمِيثَاقَ وَأَوْدَعَهُ عِنْدَهُ، وَاسْتَعْبَدَ الْخَلْقَ أَنْ يُجَدِّدُوا عِنْدَهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ الْإِقْرَارَ بِالْمِيثَاقِ وَالْعَهْدِ الَّذِي أَخَذَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْجَنَّةِ؛ يَذْكُرُهُ الْمِيثَاقَ، وَيُجَدِّدُ عِنْدَهُ الْإِقْرَارَ فِي كُلِّ سَنَةٍ، فَلَمَّا عَصَى آدَمُ وَأُخْرِجَ مِنَ الْجَنَّةِ أَنْسَاهُ اللَّهُ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ الَّذِي أَخَذَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ وَعَلَى وُلْدِهِ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلِوَصِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَجَعَلَهُ تَائِهًا حَيْرَانَ، فَلَمَّا تَابَ اللَّهُ عَلَى آدَمَ حَوْلَ ذَلِكَ الْمَلَكِ فِي صُورَةِ دُرَّةٍ بَيْضَاءَ فَرَمَاهُ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ بِأَرْضِ الْهِنْدِ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ آدَمُ إِلَيْهِ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ بِأَكْثَرَ مِنْ أَنَّهُ جَوْهَرَةٌ وَأَنْطَقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ لَهُ: يَا آدَمُ أَتَعْرِفُنِي؟ قَالَ: لَا، قَالَ: أَجَلٌ اسْتَحْوَذَ عَلَيْكَ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاكَ (٢) ذِكْرَ رَبِّكَ، ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى صُورَتِهِ الَّتِي كَانَ مَعَ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ فَقَالَ لِآدَمَ: أَيْنَ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ؟ فَوَثَبَ إِلَيْهِ آدَمُ وَذَكَرَ الْمِيثَاقَ وَبَكَى وَخَضَعَ لَهُ وَقَبَّلَهُ وَجَدَّدَ الْإِقْرَارَ بِالْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ، ثُمَّ حَوَّلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى جَوْهَرَةِ الْحَجَرِ دُرَّةً بَيْضَاءَ صَافِيَةً تُضِيءُ، فَحَمَلَهُ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى عَاتِقِهِ؛ إِجْلَالًا لَهُ وَتَعْظِيمًا، فَكَانَ إِذَا أُعْيَا حَمَلَهُ عَنْهُ جَبْرئيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى وَاقَى بِهِ مَكَّةَ فَمَا زَالَ يَأْتِسُ بِهِ بِمَكَّةَ وَيُجَدِّدُ الْإِقْرَارَ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا بَنَى الْكُعْبَةَ وَضَعَ الْحَجَرَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ؛ لِأَنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حِينَ أَخَذَ الْمِيثَاقَ مِنْ وُلْدِ آدَمَ أَخَذَهُ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ، وَفِي ذَلِكَ الْمَكَانِ أَلْقَمَ الْمَلَكُ الْمِيثَاقَ، وَلِذَلِكَ وَضَعَ فِي ذَلِكَ الرُّكْنِ وَنَحَى آدَمَ مِنْ مَكَانِ النَّبِيِّ إِلَى الصَّفَا، وَحَوَّاءَ إِلَى الْمَرْوَةِ، وَوَضَعَ الْحَجَرَ فِي ذَلِكَ الرُّكْنِ، فَلَمَّا نَظَرَ آدَمُ مِنَ الصَّفَا وَقَدْ وَضَعَ الْحَجَرَ فِي الرُّكْنِ كَبَّرَ اللَّهُ وَهَلَّلَهُ وَمَجَّدَهُ، فَلِذَلِكَ جَرَتِ السُّنَّةُ بِالتَّكْبِيرِ وَاسْتِقْبَالِ الرُّكْنِ الَّذِي فِيهِ الْحَجَرُ مِنَ الصَّفَا، فَإِنَّ اللَّهَ أَوْدَعَهُ الْمِيثَاقَ وَالْعَهْدَ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا أَخَذَ الْمِيثَاقَ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَلِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالنُّبُوَّةِ وَلِعَلِّي عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْوَصِيَّةِ اضْطَكَّتْ فَرَائِصُ

(١) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٢) (من لا يجوز الانساء على الأنبياء يأول التسيان على التترك)، الكافي: الكليني: ١٨٦/٤، الهامش .

الْمَلَائِكَةِ، فَأَوَّلُ مَنْ أَسْرَعَ إِلَى الْإِقْرَارِ ذَلِكَ الْمَلَكُ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ أَشَدُّ حُبًّا لِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْهُ، وَلِذَلِكَ اخْتَارَهُ اللَّهُ مِنْ بَيْنِهِمْ، وَالْقَمَّةُ الْمِيثَاقَ وَهُوَ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ لِسَانٌ نَاطِقٌ، وَعَيْنٌ نَاطِرَةٌ، يَشْهَدُ لِكُلِّ مَنْ وَاقَاهُ إِلَى ذَلِكَ [الْمَكَانِ] <sup>(١)</sup> وَحَفِظَ الْمِيثَاقَ <sup>(٢)</sup> الْحَدِيثَ.

وَفِي الْكَافِي "عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ رَجُلًا اسْتَشَارَنِي فِي الْحَجِّ وَكَانَ ضَعِيفَ الْحَالِ فَأَشْرْتُ إِلَيْهِ أَنْ لَا يَحُجَّ، فَقَالَ: مَا أَخْلَقَكَ <sup>(٣)</sup> أَنْ تَمْرَضَ سَنَةً، قَالَ: فَمَرَضْتُ سَنَةً <sup>(٤)</sup>."

وَفِي الْكَافِي فِي (بَابِ الْإِجْبَارِ عَلَى الْحَجِّ) <sup>(٥)</sup> "عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ حَفْصِ بْنِ الْبُخْتَرِيِّ وَهَشَامِ بْنِ سَالِمٍ وَمُعَاوِيَةَ بْنِ عَمَّارٍ وَغَيْرِهِمْ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: لَوْ أَنَّ النَّاسَ تَرَكَوا الْحَجَّ لَكَانَ عَلَى الْوَالِي أَنْ يُجْبِرَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَعَلَى الْمَقَامِ عِنْدَهُ، وَلَوْ تَرَكَوا زِيَارَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَكَانَ عَلَى الْوَالِي أَنْ يُجْبِرَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَعَلَى الْمَقَامِ عِنْدَهُ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَمْوَالٌ أَنْفَقَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ" <sup>(٦)</sup> الْحَدِيثَ .

فَفِي هَذِهِ الْآيَةِ أَعْنِي قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿عَنِ الْعَالَمِينَ﴾، أَنْوَاعٌ مِنَ التَّكْيِيدِ وَالتَّشْدِيدِ فِي أَمْرِ الْحَجِّ وَالدَّلَالَةِ عَلَى وُجُوبِهِ مَعَ كَوْنِهِ تَكْلِيفًا شَاقًّا جَامِعًا بَيْنَ كَسْرِ النَّفْسِ وَانْتِعَابِ الْبَدَنِ، وَصَرْفِ الْمَالِ، وَالتَّجَرُّدِ عَنِ الشَّهَوَاتِ وَالْإِقْبَالِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، مِنْهَا إِيزَادُهُ بِصِغَةِ الْخَبَرِ، وَإِبْرَازُهُ فِي صُورَةِ الْإِسْمِيَّةِ عَلَى وَجْهِ يُفِيدُ أَنَّهُ حَقٌّ وَاجِبٌ لِلَّهِ فِي رِقَابِ النَّاسِ، لَا يَنْفَكُونَ إِلَّا عَنْ أَدَائِهِ وَالْخُرُوجِ عَنْ عَهْدِهِ كَالدَّيُونِ الْوَاجِبَةِ، وَمِنْهَا الدَّلَالَةُ عَلَى كَمَالِ الْاهْتِمَامِ بِهِ وَنَهَايَةِ شِرَافَتِهِ بِإِضَافَتِهِ إِلَى نَفْسِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ الْآيَةِ، دُونَ سَائِرِ الْعِبَادَاتِ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالزَّكَاةِ وَغَيْرِهَا، وَمِنْهَا ذِكْرُ النَّاسِ عَلَى التَّعْمِيمِ ثُمَّ تَخْصِيصُهُمْ بِالِاسْتِطَاعَةِ فَإِنَّهُ يُفِيدُ نَوْعَيْنِ مِنَ التَّكْيِيدِ أَحَدُهُمَا [١٤٤] الْإِيضَاحُ بَعْدَ الْإِيهَامِ وَالتَّقْصِيلُ بَعْدَ الْإِجْمَالِ، وَالثَّانِي تَثْنِيَةُ الْمُرَادِ وَتَكْرِيضُهُ مُبَهَمًا

(١) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٢) الكافي: الكليني: ٤ / ١٨٤ - ١٨٦/٣، بَابُ بَدْءِ الْحَجْرِ وَالْعَلَّةِ فِي اسْتِئْلَامِهِ .

(٣) أي: (ما ألقى بك وأجدر بك ذلك)، مجمع البحرين: الطريحي: ٥/١٥٨، مادة خلق .

(٤) الكافي: الكليني: ٤ / ٢٧١/١، بَابُ نَادِرٍ .

(٥) المصدر نفسه: ٤ / ٢٧٢ .

(٦) المصدر نفسه: ٤ / ٢٧٢/١، بَابُ الْإِجْبَارِ عَلَى الْحَجِّ .

وَمَوْضِعًا وَمُجْمَلًا وَمُقَصَّلًا لِلتَّنْبِيهِ عَلَى ثُبُوتِهِ عَلَى الْجَمِيعِ عَلَى الْفَقِيرِ عَلَى الاسْتِحْبَابِ، وَعَلَى الْعَنَى عَلَى الْوُجُوبِ مَرَّةً، وَعَلَى الاسْتِحْبَابِ مِرَارًا عَلَى مَا مَرَّ بَيَانُهُ آنِفًا، وَمِنْهَا تَسْمِيَةٌ تَرَكَ الْحَجَّ كُفْرًا مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ فَعُلُ الْكُفْرَةِ، وَمِنْهَا ذِكْرُ الاسْتِغْنَاءِ؛ فَإِنَّهُ مِمَّا يَدُلُّ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ عَلَى كَمَالِ الْمُقْتِ وَالسَّخَطِ وَالخِذْلَانِ، وَمِنْهَا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ قَالَ عَنِ الْعَالَمِينَ وَلَمْ يُقَلِّ عَنْهُ<sup>(١)</sup>؛ (لِمَا فِيهِ مِنْ مُبَالَغَةِ التَّعْمِيمِ)<sup>(٢)</sup>، وَالِدِلَالَةَ عَلَى الاسْتِغْنَاءِ الْكَامِلِ فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى اسْتِغْنَائِهِ سُبْحَانَهُ عَنْهُ بِبُرْهَانٍ، وَعَلَى الْإِشْعَارِ بِعِظَمِ السَّخَطِ<sup>(٣)</sup>.

### النُّظْمُ:

قَالَ فِي الْمَجْمَعِ (وَجْهٌ اتَّصَلَ هَذِهِ الْآيَةُ بِمَا قَبْلَهَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ [الْكَفْرَةَ]<sup>(٤)</sup> بِاتِّبَاعِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمِنْ مِلَّتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَعْظِيمُ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، فَذَكَرَ الْبَيْتَ وَفَضْلَهُ وَحُرْمَتَهُ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ الْآيَةُ<sup>(٥)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٦)</sup>، آيتان.

### القرءة:

قَرَأَ الْحَسَنُ تُصِدُّونَ بِضَمِّ حَرْفِ الْمُضَارَعَةِ وَكَسْرِ الْعَيْنِ مِنْ أَصَدَّهُ بِمَعْنَى صَدَّهُ<sup>(٧)</sup>، أَي: مَنَعَهُ وَصَرَفَهُ<sup>(٨)</sup>.

### اللغة:

الْبُعْيَةُ: الطَّلَبُ، يُقَالُ: بَعَيْتُهُ أَنْبَعِيهِ بُعَاءً وَبُعِيَّ وَبُعْيَةً بِضَمِّهِنَّ، وَبُعْيَةً بِالْكَسْرِ أَيْضًا: طَلَبْتُهُ كَابْتَعَيْتُهُ وَبُعَيْتُهُ وَاسْتَبَعَيْتُهُ، وَالبُعْيَةُ كَرَضِيَّةٌ مَا ابْتُعِيَ الْبُعْيَةَ بِالْكَسْرِ وَالضَّمِّ<sup>(٩)</sup>، وَالصَّدُّ:

(١) ينظر: مسالك الافهام: الجواد الكاظمي: ١١٤/٢ .

(٢) المصدر نفسه: ١١٤/٢ .

(٣) ينظر: التفسير الصافي: الفيض الكاشاني: ٣٦٣/١ .

(٤) في المصدر: أهل الكتاب .

(٥) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٥١/٢ .

(٦) سورة آل عمران: الآية ٩٨ - ٩٩ .

(٧) ينظر: الكشاف: الزمخشري: ٤٤٩/١ .

(٨) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ٢٤٥/٣، مادة صدد .

(٩) ينظر: مختار الصحاح: الرازي: ٣٧، مادة بغي .



المنع يُقال صدَّ عنه يصدُّ بضم العين صدوداً: أعرَض، وصدَّ فلاناً عن كذا يصدُّ صدّاً: منعه وصرفه كاصدّه، وأمّا صدَّ يصدُّ بكسر عين المضارع صديداً فمعناه ضجَّ ضجيجاً ومنه قوله تعالى في سورة الزخرف: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونَ﴾<sup>(١)</sup>، أي: يصدُّون<sup>(٢)</sup>.

والعوجُ بكسر العين وفتح الواو: الميلُ عن الاستواءِ في طريقِ الدين، وفي القولِ أيضاً، وفي الأرضِ أيضاً ومنه قوله تعالى: ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾<sup>(٣)</sup>، والعوجُ بفتح العين والواو: ميلُ كلِّ شيءٍ مُنتصبٍ كالقناةِ والعصاِ والمِنارةِ والحائطِ فعلُهُ عوجَ عوجاً كفَرَحَ فرحاً، والاسمُ العوجُ كعنبٍ<sup>(٤)</sup>.

### الإعراب:

﴿لَمْ﴾ في الموضعين متعلق بما بعده من الفعلين قُدِّمَ لوجوبِ الصداقة، واللَّامُ للتعليل، و﴿مَا﴾ استفهامية للتوبيخ والتعجيزِ حذفت؛ لدخولِ الجارة تخفيفاً كما هو القاعدة المستمرة، وجُملة ﴿وَاللَّهُ شَهِيدٌ﴾ حال من الواو في ﴿تَكْفُرُونَ﴾، والواو للحال، و﴿مَنْ﴾ مفعول ﴿تَصُدُونَ﴾، وجُملة ﴿أَمِنْ﴾ صلته، وجُملة ﴿تَبْعُونَهَا﴾ حال من فاعلِ ﴿تَصُدُونَ﴾، والهَاءُ عائدٌ إلى السبيلِ و﴿عِوَجًا﴾ حال من الهاءِ في ﴿تَبْعُونَهَا﴾ أو مفعول به لتبغون، والهَاءُ منصوبٌ بنزعِ الخافضِ أي: تَبْعُونَ بِهَا عِوَجًا .

### المعنى:

ثُمَّ أَعَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْكَلَامَ إِلَى حِجَابِ أَهْلِ [الْكِتَابِ]<sup>(٥)</sup> فَقَالَ مُخَاطَبًا لِنَبِيِّهِ أَمْرًا لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِخَطَابِ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ﴿قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِأَهْلِ الْكِتَابِ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بآيَاتِ اللَّهِ﴾، أي: لِأَيِّ عِلَّةٍ وَلِأَيِّ جِهَةٍ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِهِ السَّمْعِيَّةِ مِنَ الْقُرْآنِ

(١) سورة الزخرف: الآية ٥٧ .

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ابن فارس: ٢٨٢/٣، مادة صدَّ .

(٣) سورة طه: الآية ١٠٧ .

(٤) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ٣٣١/٢ - ٣٣٢، مادة عوج .

(٥) ما بين المعقوفين ليس من الأصل، وما أثبت يقتضيه السياق .



الَّذِي لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ لَمْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا<sup>(١)</sup>، وَالْعُقْلِيَّةُ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ الَّتِي أَتَاهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَالْعَلَامَاتِ الَّتِي وَافَقَتْ فِي صِفَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَمَّا تَعَلَّمُونَهَا فِي كِتَابِكُمْ الَّتِي دَلَّتْكُمْ عَلَىٰ صِحَّةِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصِدْقِهِ فِيمَا يَدَّعِيهِ مِنْ وُجُوبِ الْحَجِّ وَسَائِرِ أَحْكَامِ الدِّينِ الْقَوِيمِ، وَالشَّرْعِ الْمُسْتَقِيمِ، وَالْأَخْبَارِ بِالْمُعَيَّبَاتِ وَالْقِصَصِ.

وَنُحْصِيصُ أَهْلَ الْكِتَابِ بِالْخِطَابِ دَلِيلًا عَلَىٰ أَنْ كُفْرَهُمْ أَفْبَحُ مِنْ كُفْرِ غَيْرِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ فَهُمْ كَافِرُونَ بِهِمَا؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْمَلُوا بِمَا عَلِمُوا مِنْ كِتَابِهِمْ عَلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ، بَلْ حَرَّفُوهُ وَصَدُّوا سَائِرَ النَّاسِ عَنِ الْإِيمَانِ بِهَا.

﴿وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾، أَي: الْحَالُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَفِيظٌ عَلَىٰ أَعْمَالِكُمُ الْفَيْحَةَ مِنْ تَحْرِيفِ كِتَابِكُمْ، وَصَدِّكُمْ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَطَّلَعٌ عَالِمٌ بِهَا، مَعَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْكُمْ فِيهَا، وَمُحْصٍ لَهَا، فَيَجَازِيكُمْ عَلَيْهَا، لَا يَنْفَعُكُمْ التَّحْرِيفُ وَالِاسْتِمْرَارُ (وَهَذِهِ الْحَالُ تُوجِبُ أَنْ لَا تَجْسُرُوا عَلَى الْكُفْرِ بِآيَاتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى)<sup>(٢)</sup>.

﴿قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِأَهْلِ [الْكِتَابِ]<sup>(٣)</sup> أَيْضًا﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ، أَي: لِأَيِّ عِلَّةٍ وَلِأَيِّ جِهَةٍ تَمْنَعُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَائِرَ النَّاسِ عَنِ دِينِ اللَّهِ وَطَرِيقِهِ الْمَأْمُورِ بِسُلُوكِهِ وَهُوَ الْإِسْلَامُ ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾<sup>(٤)</sup>، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾<sup>(٥)</sup>، وَ(كَانُوا يَفْتَنُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَيَحْرِشُونَ بَيْنَهُمْ حَتَّىٰ أَتَوْا الْأَوْسَ وَالْخَزْرَجَ فَذَكَّرُوهُمْ مَا بَيْنَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ التَّعَادِي وَالْتِّحَارِبِ لِيَعُودُوا بِمِثْلِهِ وَيَحْتَالُونَ)<sup>(٦)</sup>، وَيَلْبَسُونَ عَلَى النَّاسِ بِالْتَّمُوهَاتِ الْبَاطِلَةِ، (مَرَّ شَاسُ بْنُ قَيْسٍ الْيَهُودِيَّ<sup>(٧)</sup> وَكَانَ عَظِيمَ الْكُفْرِ، شَدِيدَ

(١) وكلامه مقتبس من قوله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾، سورة الإسراء: الآية ٨٨ .

(٢) الكشاف: الزمخشري: ٤٤٩/١ .

(٣) ما بين المعقوفين ليس من الأصل، وما أثبت يقتضيه السياق .

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٩ .

(٥) سورة آل عمران: الآية ٨٥ .

(٦) أنوار التنزيل: البيضاوي: ٣٠/٢ .

(٧) هو (شأس بن قيس بن عبادة بن زهير بن عطية بن زيد بن قيس، كان من أشرف الأوس في الجاهلية)، جمهرة أنساب

العرب: ابن حزم الأندلسي: ٣٤٦ .

الطَّغْنِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، [١٤٥] شَدِيدَ الْحَسَدِ لَهُمْ عَلَى [جَمَاعَةِ مُؤْمِنِينَ] (١) مِنَ الْأَنْصَارِ مِنَ الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ فِي مَجْلِسٍ لَهُمْ يَتَحَدَّثُونَ، فَعَاظَهُ ذَلِكَ؛ حَيْثُ تَأَلَّفُوا وَاجْتَمَعُوا [عَلَى الْإِسْلَامِ وَدِينِ الْحَقِّ] (٢) بَعْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ الْعَدَاوَةِ (٣) (مِائَةَ سَنَةٍ لَا يَضَعُونَ السِّلَاحَ لَا بِاللَّيْلِ وَلَا بِالنَّهَارِ) (٤) (وَقَالَ: مَا لَنَا مَعَهُمْ إِذَا اجْتَمَعُوا مِنْ قَرَارٍ، فَأَمَرَ شَابًّا مِنْ الْيَهُودِ أَنْ يَجْلِسَ إِلَيْهِمْ وَيُذَكِّرَهُمْ يَوْمَ بُعِثَ (٥) وَيُنشِدُهُمْ بَعْضَ مَا قِيلَ فِيهِ مِنَ الْأَشْعَارِ [الْجَاهِلِيَّةِ] (٦)، وَكَانَ يَوْمًا أَقْتَلَتْ فِيهِ الْأَوْسُ وَالخَزْرَجُ، وَكَانَ الظَّفَرُ فِيهِ لِلأَوْسِ، فَفَعَلَ ذَلِكَ فَتَنَازَعَ الْقَوْمُ عِنْدَ ذَلِكَ وَتَفَاخَرُوا وَتَغَاظَبُوا وَقَالُوا: السِّلَاحَ السِّلَاحَ، فَبَلَغَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ذَلِكَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَيَمُنْ مَعَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَقَالَ: أَتَدْعُونَ الْجَاهِلِيَّةَ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ بَعْدَ إِذْ أَكْرَمَكُمُ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ وَقَطَعَ بِهِ عَنْكُمْ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ وَاللَّفَّ بَيْنَكُمْ؟ فَعَرَفَ الْقَوْمُ أَنَّهَا نَزْعَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَكَيْدٌ مِنْ عَدُوِّهِمْ، فَالْقُوا السِّلَاحَ، وَبَكُوا وَعَانَقَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، ثُمَّ انصَرَفُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَمَا كَانَ يَوْمٌ أَفْبَحَ أَوْلًا وَأَحْسَنَ آخِرًا مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ) (٨).

وَإِنَّمَا كَرَّرَ الْخِطَابَ وَالِاسْتِفْهَامَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِمَ تَكْفُرُونَ﴾، وَ﴿لِمَ تَصُدُّونَ﴾؛ مُبَالَغَةً فِي التَّوْبِيخِ وَالتَّقْرِيعِ، وَسُؤَالِ التَّعْجِيزِ عَنِ إِقَامَةِ الْعُدْرِ وَنَفْيِ الْعُدْرِ لَهُمْ، فَكَانَهُ قَالَ: هَاتُوا عُدْرَكُمْ إِنْ أَمَكْنَكُمْ، وَإِشْعَارًا بِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَمْرِينَ مُسْتَقْبِحٌ فِي نَفْسِهِ، مُسْتَقْبَلٌ فِي اسْتِجْلَابِ الْعَذَابِ وَاسْتِحْقَاقِ الْعِقَابِ.

(١) في المصدر: نفر .

(٢) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٣) ومنه في حاشية الأصل: كما يأتي في هذه السورة بعد ثلاث آيات من قوله: ﴿وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ الآية [سورة آل عمران: من الآية ١٠٣] .

(٤) الكشاف: الزمخشري: ٤٥٠/١ .

(٥) تفسير القمي: علي بن إبراهيم: ١٠٨/١ .

(٦) (وَبُعِثَ مَوْضِعٌ بِالْمَدِينَةِ كَانَتْ فِيهِ وَقَعَةٌ عَظِيمَةٌ قُبِلَ فِيهَا خَلْقٌ مِنْ أَشْرَافِ الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ وَكِبْرَائِهِمْ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ شُيُوخِهِمْ إِلَّا الْقَلِيلُ)، البداية والنهاية: ابن كثير: ١٨١/٣ .

(٧) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٨) الكشاف: الزمخشري: ٤٥٠/١ .

وَأَمَّا قَالَ سُبْحَانَهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾<sup>(١)</sup>؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ خَاطَبُهُمْ فِي مَوْضِعٍ عَلَى جِهَةِ التَّلَطُّفِ فِي اسْتِدْعَائِهِ إِيَّاهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ، وَأَعْرَضَ عَنْ خِطَابِهِمْ فِي مَوْضِعٍ، وَأَمَرَ نَبِيَّهِ بِمُخَاطَبَتِهِمْ اسْتِحْقَافًا بِهِمْ لِإِعْرَاضِهِمْ عَنِ الْحَقِّ وَصَدِّهِمُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْهُ<sup>(٢)</sup>.

﴿تَبْعُونَهَا عِوَجًا﴾، أَي: حَالِ كَوْنِكُمْ طَالِبِينَ بِهَا، أَي: بِسَبِيلِ اللَّهِ وَدِينِهِ الْقَوِيمِ وَصِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ اعْوِجَاجًا عَنْ سَمْتِ الْحَقِّ وَالِاسْتِقَامَةِ وَهُوَ الضَّلَالُ فَكَأَنَّهُ تَبْعُونَهَا أَي: تَطْلُبُونَهَا ضَلَالًا بِالشُّبُهَةِ الَّتِي تُدْخِلُونَهَا عَلَى النَّاسِ<sup>(٣)</sup> وَتُلَيِّسُونَ بِهَا عَلَيْهِمْ حَتَّى تُوهِمُوهُمْ أَنَّ فِيهَا عِوَجًا عَنْ الْحَقِّ وَتَتَّبِعُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ إِخْفَاءِ الْحَقِّ وَابْتِغَاءِ مَا لَا يَتَأْتَى لَكُمْ مِنْ وُجُودِ الْعِوَجِ فِيمَا هُوَ أَقْوَمُ مِنْ كُلِّ مُسْتَقِيمٍ بِقَوْلِكُمْ إِنَّ شَرِيعَةَ مُوسَى [لَمْ]<sup>(٤)</sup> تُنْسَخْ أَبَدًا، وَبِتَغْيِيرِكُمْ صِفَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ وَجْهَهَا وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا تَحَرَّشُونَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ؛ (لِتَخْتَلِفَ كَلِمَتُهُمْ، وَيَخْتَلَّ أَمْرُ دِينِهِمْ)<sup>(٥)</sup> كَمَا فَعَلَ الشَّابُّ الْيَهُودِيَّ بِأَمْرِ شَاسِ بْنِ قَيْسِ الْيَهُودِيِّ مَعَ أَنَّ دِينَ اللَّهِ وَسَبِيلَهُ مُسْتَقِيمٌ لَا عِوَجَ فِيهِ أَصْلًا.

﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾، أَي: وَالْحَالُ أَنَّكُمْ شُهَدَاءُ أَي: عَالِمُونَ أَنَّهَا سَبِيلُ اللَّهِ لَا اعْوِجَاجَ فِيهَا، وَأَنَّ الصِّدْقَ عَنْهَا ضَلَالٌ وَإِضْلَالٌ، مُسْتَوْجِبٌ لَكُمْ لِلْعَذَابِ، وَمُسْتَجْلِبٌ لِدُخُولِ النَّارِ وَخُلُودِ دَارِ الْبُورِ، أَوْ وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ عَالِمُونَ بِتَقَدُّمِ الْبِشَارَةِ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي كُتُبِكُمْ مَعَ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ تَسْتَفْتِحُونَ<sup>(٦)</sup> عَلَى الَّذِينَ كَانُوا كَافِرِينَ<sup>(٧)</sup> فِي زَمَنِ الْفِتْرِ<sup>(٨)</sup> وَأَيَّامِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا

(١) وقد ذكر ذلك في ستة مواضع: سورة آل عمران: الآيات ٦٥، ٧٠، ٧١، وسورة النساء: الآية ١٧١، وسورة المائدة: الآيات ١٥، ١٩ .

(٢) ينظر: مجمع البيان: الطبرسي: ٣٥٢/٢ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٣٥٢/٢ .

(٤) ما بين المعقوفين ليس من الأصل، وما أثبت يقتضيه السياق .

(٥) التفسير الصافي: الفيض الكاشاني: ٣٦٣/١ .

(٦) ومنه في حاشية الأصل: قوله: مع أنكم كنتم من قبل تستفتحون إلخ، إشارة إلى ما مر في سورة البقرة: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ \* بِسَمَا اسْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿سورة البقرة: الآية ٨٩ - ٩٠﴾، وما مر سابقاً إشارة إلى ما قاله في سورة البقرة: ﴿... يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ...﴾، الآيات [سورة البقرة: الآية ٧٩].

(٧) ومنه في حاشية الأصل: من الأوس والخزرج وأحزابهم .

جَاءَكُمْ مَا عَرَفْتُمْ بِأَنَّهُ هُوَ نَفْسُهُ عَلَى يَقِينٍ فَكَيْفَ تَكْفُرُونَ بِهِ وَتَصُدُّونَ عَنْهُ مَنْ يَطْلُبُهُ، وَتُرِيدُونَ عُذُولَهُ عَنْهُ، أَوْ وَالْحَالِ أَنْكُمْ شُهَدَاءُ عُقَلَاءِ عُذُولٍ عِنْدَ أَهْلِ دِينِكُمْ يَثْقُونَ بِأَقْوَالِكُمْ، وَيَسْتَشْهَدُونَكُمْ فِي الْقَضَايَا وَعِظَائِمِ الْأُمُورِ وَهُمْ أَحْبَابٌ (٢) فَكَيْفَ يَجُوزُ لَكُمْ صَدُّ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ دِينِ اللَّهِ وَسَبِيلِهِ وَالْإِيمَانَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ، وَهَذِهِ الْحَالُ (٣) تُوجِبُ أَنْ لَا يَجْسُرُوا عَلَى الْإِعْرَاضِ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلَى الصِّدِّ عَنْهُ.

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ هَذَا تَهْدِيدٌ لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ، وَوَعِيدٌ لَهُمْ بِدَارِ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلُونَهَا فَبُئْسَ الْقَرَارُ، وَلَمَّا كَانَ الْمُسْتَقْبَحُ الْمُنْكَرُ فِي الْآيَةِ الْأُولَى كُفْرُهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَهُمْ يَجْهَرُونَ بِهَ خَتَمَهَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ شَهِيدٌ﴾ الْخ، وَفِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ صَدَّهُمُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ الْإِسْلَامُ، وَكَانُوا يَخْفُونَهُ وَيَحْتَالُونَ فِيهِ وَيَلْبِسُونَ عَلَى النَّاسِ خَتَمَهَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ﴾ الْخ، لِلْمُنَاسِبِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ \* وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمَ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ \* وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (٤)، أَرْبَعُ آيَاتٍ.

الْقِرَاءَةُ:

مِنْ قِرَاءَةِ الْأَيْمَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ﴿وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ بِتَشْدِيدِ اللَّامِ مِنَ التَّسْلِيمِ (٥)، وَالْجُمْهُورُ مُسْلِمُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ (٦) [١٤٦] وَلِكُلِّ وَجْهٍ يَجِيءُ فِي الْمَعْنَى.

اللُّغَةُ:

(١) أي زمن فترة انقطاع الرسل، كما (في زمن الفترة بين عيسى والنبي عليهما الصلاة والسلام)، وفيات الأعيان: ابن خلكان: ١٠١/٣ .

(٢) ينظر: الكشاف: الزمخشري: ٤٤٩/١ .

(٣) ومنه في حاشية الأصل: أي قوله: ﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾ .

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٠٠-١٠٣ .

(٥) ينظر: تفسير العياشي: العياشي: ١٩٤/١، التفسير الأصفى: الفيض الكاشاني: ١٦٤/١ .

(٦) ينظر: معالم التنزيل: البغوي: ١٧٠/١ .

الطَّاعَةُ: مُوَافَقَةُ الْإِرَادَةِ الْجَائِزَةِ لِلْفِعْلِ بِالْتَرْتِيبِ فِيهِ، يُقَالُ: طَاعَ لَهُ يَطُوعُ وَيَطَاعُ بِفَتْحِ حَرْفِ الْمُضَارَعَةِ، طَوْعًا وَطَاعَةً انْقَادَ كَأَطَاعَهُ وَطَاعَ يَطِيعُ كَيَبِيعُ لُغَةً فِي يَطُوعُ، وَالْإِجَابَةُ مُوَافَقَةُ الْإِرَادَةِ الدَّاعِيَةِ إِلَى الْفِعْلِ، وَلِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُجِيبًا لِعَبْدِهِ إِذَا فَعَلَ مَا دَعَا الْعَبْدَ بِهِ، وَلَمْ يَجِزْ أَنْ يَكُونَ سُبْحَانَهُ مُطِيعًا لَهُ<sup>(١)</sup>.

وَالْاعْتِصَامُ: التَّمَسُّكُ وَالتَّشَبُّهُ وَالْإِحْتِظَافُ وَأَصْلُهُ الْاِمْتِنَاعُ، يُقَالُ: عَصَمَهُ يَعِصِمُهُ إِذَا مَنَعَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup>، أَي: لَا مَانِعَ، وَالْعِصْمَةُ بِالْكَسْرِ الْمَنْعُ، وَالْعِصَامُ بِالْكَسْرِ الْحَبْلُ الَّذِي يُشْتَدُّ بِهِ رَأْسُ الْمَسْكِ وَالْقِرْبَةِ؛ لِيَمْنَعَ مَا فِيهِ مِنَ الْخُرُوجِ وَالتَّضْيِيعِ، وَالْعِصَامُ: الْأَوْعَالُ؛ لِامْتِنَاعِهَا بِالْجِبَالِ، وَالْأَعْصَمُ مِنَ الطِّبَاءِ وَالْوَعُولِ مَا فِي ذِرَاعِيهِ أَوْ فِي أَحَدِهِمَا بَيَاضٌ وَسَائِرُهَا أَسْوَدٌ أَوْ أَحْمَرٌ وَهِيَ عِصْمَاءُ وَعِصَمَ الْقِرْبَةَ جَعَلَ لَهَا عِصَامًا كَأَعْصَمَهَا، وَأَعْتَصَمَ بِاللَّهِ اِمْتَنَعَ بِلُطْفِهِ مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَمِنْ مُوجِبِ الْعَذَابِ<sup>(٣)</sup>.

تُقَاةٌ مِنْ وَقَى يَقِي، قَالَ الرَّجَّاجُ: يَجُوزُ فِيهِ ثَلَاثَةٌ أَوْجِهٍ ثُقَاةٌ وَوُقَاةٌ وَأُقَاةٌ حَمَلَهُ عَلَى قِيَاسِ تُقَاةٍ وَتُودَةٍ وَتُخْمَةٍ وَتُرَاثٍ وَوُجُوهٍ وَأَجُوهٍ يُقَالُ: وَقَاهُ يَقِيهِ وَقِيًا وَوَقَايَةً وَوَقَايَةً صَانَهُ وَالتَّوْقِيَةَ الْكَلَاءَةَ وَالْحِفْظَ وَالتَّقِيَتُ الشَّيْءَ وَتَقِيْتُهُ أَتَقِيهِ وَأَتَقِيهِ نَقِيٌّ كَهْدِي وَتَقِيَّةٌ وَتُقَاةٌ وَتِقَاءٌ كَكِسَاءٍ حَذَرْتُهُ، وَأَصْلُ ثُقَاةٌ وَقِيَّةٌ قُلِبَتْ وَأَوْهَا الْمَضْمُومَةُ تَاءً كَمَا فِي تُخْمَةٍ وَتُودَةٍ وَالْيَاءُ أَلْفًا؛ لِتَحْرُكِهَا وَانْفِتَاحِ مَا قَبْلَهَا، وَالاسْمُ النَّقْوَى، أَصْلُهُ وَقِيًا قُلِبَتْ الْوَاوُ تَاءً كَمَا فِي تِقَاةٍ، ثُمَّ قَلَبُوا الْيَاءَ وَوَاوًا فَصَارَ نَقْوَى؛ لِلْفَرْقِ بَيْنَ الْاسْمِ وَالصِّفَةِ كَخَزِيًا وَصَدِيًا وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ أَهْلُ النَّقْوَى﴾<sup>(٤)</sup>، أَي: أَهْلُ أَنْ يُنْتَقَى عِقَابُهُ<sup>(٥)</sup>.

وَالْحَبْلُ: هُوَ السَّبَبُ الَّذِي يُوصَلُ بِهِ إِلَى الْبُعْدِ تَشْبِيهًا بِالْحَبْلِ الَّذِي يَتَمَسَّكُ بِهِ لِلنَّجَاةِ مِنْ بُرٍّ وَنَحْوِهَا، وَمِنْهُ الْحَبْلُ لِلْأَمَانِ؛ لِأَنَّهُ سَبَبٌ لِلنَّجَاةِ، وَأَصْلُهُ الْمَفْتُولُ قَالَ ذُو الرِّمَّةِ:  
(هَلْ حَبْلٌ حَرَقَاءَ بَعْدَ الْيَوْمِ [مَرْمُومٌ]<sup>(٦)</sup> أَمْ هَلْ لَهَا آخِرُ الْأَيَّامِ تَكْلِيمٌ)<sup>(٧)</sup>.

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ابن فارس: ٤٣١/٣، مادة طَوْعَ .

(٢) سورة هود: الآية ٤٣ .

(٣) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ٤٠٣/١٢١ - ٤٠٥، مادة عصم .

(٤) سورة المدثر: الآية ٥٦ .

(٥) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ٤٠١/١٥ - ٤٠٢، مادة وقى .

(٦) في الأصل: مَرْمُومٌ، وما أثبت من المصدر الصواب.

(٧) ديوان ذي الرِّمَّة: ذو الرِّمَّة: ٢٥٤ .

وَالْحَبْلُ: الرَّسَنُ، وَجَمَعُهُ أَحْبَلٌ وَأَحْبَالٌ وَحِبَالٌ<sup>(١)</sup>.

وَشَفَا الشَّيْءَ مَقْصُورًا: طَرَفُهُ وَجَانِبُهُ، أَصْلُهُ شَفَوَ كَعَصَوِ قُلِبْتُ الْوَأُو فِي الْمُدَّكَرِ أَلْفًا وَحُدِفَتْ فِي الْمُؤنَّثِ وَعُوضَتْ بِالتَّاءِ نَحْوَ شَفِهَ وَشَفَاهُ شَفَوَانِ كَعَصَوَانِ، وَجَمَعُهُ أَشْفَاءٌ وَشِفَاهُ، وَيُقَالُ: أَشْفَى عَلَى الشَّيْءِ أَشْرَفَ عَلَيْهِ وَأَشْفَى الْمَرِيضَ عَلَى الْمَوْتِ أَشْرَفَ عَلَيْهِ<sup>(٢)</sup>.  
وَالْحُفْرَةُ وَالْحَفِيرَةُ الْمُحْتَقَرُ<sup>(٣)</sup>، (وَالنَّقْدُ: التَّخْلِيصُ وَالتَّجْيِةُ كَالِإِنْقَازِ)<sup>(٤)</sup>.

### الإعراب:

﴿يُرْدُوكُمْ﴾ مَجْرُومٌ بِحَدْفِ نُونِهِ جَوَابِ الشَّرْطِ وَهُوَ مِنْ أَفْعَالِ التَّصْيِيرِ، وَكَمْ مَفْعُولُهُ الْأَوَّلُ وَ﴿كَافِرِينَ﴾ مَفْعُولُهُ الثَّانِي، وَ﴿كَيْفَ﴾ اسْمٌ اسْتِفْهَامٌ وَهُوَ هُنَا لِلِإِنْكَارِ وَالتَّعْجِبِ ظَرْفٌ ﴿لَتَكْفُرُونَ﴾ أَوْ حَالٌ مِنْ فَاعِلِهِ قُدِّمَ عَلَيْهِ لِلزُّومِ التَّصَدَّرَ، وَجُمَلَتَا ﴿وَأَنْتُمْ تَتَلَى عَلَيْكُمْ﴾ آيَاتِ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ﴿حَالَانَ مِنْ فَاعِلِ﴾ ﴿تَكْفُرُونَ﴾، وَمَنْ فِي ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمُ﴾ شَرْطِيَّةٌ مُبْتَدَأٌ، وَجُمَلَةٌ ﴿فَقَدْ هَدَى﴾ الْإِخْ، جَوَابِ الشَّرْطِ وَخَبَرِ الْمُبْتَدَأِ، وَ﴿حَقَّ نِقَاتِهِ﴾ مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ ﴿انْقُوا اللَّهَ﴾، وَجُمَلَةٌ ﴿وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ حَالٌ مِنْ فَاعِلِ، ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ﴾ وَ﴿جَمِيعًا﴾ حَالٌ مِنْ فَاعِلِ ﴿اعْتَصِمُوا﴾ وَمَعْنَاهُ الْاجْتِمَاعُ ﴿وَلَا تَفْرُقُوا﴾ أَصْلُهُ لَا تَتَفَرَّقُوا حُدِفَتْ إِحْدَى التَّائِينَ كَمَا هُوَ الْقَاعِدَةُ الْمُسْتَمَرَّةُ فِي أَمْثَالِ ذَلِكَ؛ لِكِرَاهَةِ اجْتِمَاعِ الْمِثْلِينَ، وَإِذْ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً﴾ ظَرْفٌ لِنِعْمَةِ اللَّهِ؛ إِذْ هِيَ بِمَعْنَى الْإِنْعَامِ، وَالْمَعْنَى وَأَذْكُرُوا إِنْعَامَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ فِي زَمَانٍ كَوْنِكُمْ أَعْدَاءً فَجَعَلَ التَّأْلِيْفَ وَالْمَحَبَّةَ بَيْنَكُمْ فَإِنْ قُلْتِ كَيْفَ تَكُونُ الْمَحَبَّةُ وَالْعَدَاوَةُ فِي زَمَانٍ وَاحِدٍ قُلْنَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ حُصُولُ إِحْدَاهُمَا فِي جُزْءٍ مِنْهُ، وَالْأُخْرَى فِي الْآخِرِ وَنَظِيرُهُ مَا مَرَّ فِي هَذِهِ السُّورَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ﴾<sup>(٥)</sup>، أَنَّهُ بَدَلٌ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾<sup>(٦)</sup> عَلَى أَنَّ وَقُوعَ الْإِخْتِصَامِ وَالبَشَارَةِ فِي زَمَانٍ وَاحِدٍ مُتَّسِعٌ، وَقَوْلُهُ: ﴿كَذَلِكَ﴾ مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ لِيُبَيِّنَ اللَّهُ، أَيُّ مِثْلِ ذَلِكَ التَّبْيِينِ الْبَلِيغِ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَقَوْلُهُ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ تَغْلِيلٌ، أَيُّ: إِرَادَةٌ أَنْ تَهْتَدُوا

(١) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ١٣٤/١١، مادة حبل .

(٢) ينظر: العين: الفراهيدي: ٢٨٨/٦، مادة شفو، مختار الصحاح: الرازي: ١٦٧، مادة شفي .

(٣) ينظر: المصباح المنير: الفيومي: ١٤١/١، مادة حفر .

(٤) المصدر نفسه: ٣٣٩/١، مادة النقذ .

(٥) سورة آل عمران: الآية ٤٥ .

(٦) سورة آل عمران: الآية ٤٤ .

وَتَرَدَّادُوا هُدًى وَتَتَّبِعُوا عَلَيْهِ، وَ﴿إِخْوَانًا﴾ خَبَرَ ﴿أَصْبَحْنُمُ﴾، وَالْهَاءُ فِي مَنِهَا عَائِدٌ إِلَى ﴿النَّارِ﴾  
أَوْ إِلَى الْخُفْرَةِ عَلَى حَدِّ قَوْلِ الْعَجَّاجِ:

(طُولُ اللَّيَالِي أَسْرَعَتْ فِي نَقْضِي طَوِينِ طُولِي وَطَوِينِ عَرْضِي)<sup>(١)</sup>.

حَيْثُ أَخْبَرَ عَنِ اللَّيَالِي دُونَ الطُّولِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَخْبَرَ عَنِ الطُّولِ الَّذِي هُوَ الْمُضَافُ  
لِاِكْتِسَابِهِ التَّأْنِيثَ عَنِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ، أَوْ إِلَى الشَّفَا لِتَأْنِيثِ مَا أُضِيفَ هُوَ إِلَيْهِ، أَعْنِي الْخُفْرَةَ  
كَمَا قَالَ الْأَعْشَى:

(وَتَشْرَقُ بِالْقَوْلِ الَّذِي قَدْ أَدَعْتَهُ كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ الْقَنَاةِ مِنَ الدَّمِ)<sup>(٢)</sup>.

حَيْثُ اِكْتَسَبَ صَدْرٌ تَأْنِيثًا مِنَ الْقَنَاةِ، وَلِذَا أَنْتَ الْفِعْلُ وَهُوَ شَرِقَتْ، وَكَمَا قَالَ الْأَخْرَسُ:

(وَمَا حُبُّ الدِّيَارِ شَغْفَنَ قَلْبِي وَلَكِنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيَارَا)<sup>(٣)</sup>.

لَكِنَّ ذَلِكَ مَشْرُوطٌ بِكَوْنِ الْمُضَافِ صَالِحًا لِلْحَدْفِ مُسْتَعْنَى عَنْهُ بِالْمُضَافِ لَهُ كَمَا فِي جَمِيعِ  
تِلْكَ الْأَمْثَلَةِ مِنَ الْآيَةِ وَالْأَشْعَارِ فَلَوْ كَانَ الْمُضَافُ مِنَّا لَا يَجُوزُ حَدْفُهُ [١٤٧] وَالْاِسْتِعْنَاءُ  
عَنْهُ بِالْمُضَافِ إِلَيْهِ لَمْ يَكْتَبِ الْمُضَافُ التَّأْنِيثَ مِنَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ، وَلَمْ يُؤْتِ الْفِعْلُ الْمُسْتَدُّ  
إِلَى الْمُضَافِ، فَلَا يُقَالُ فِي نَحْوِ قَامَ غُلَامٌ هُنْدٍ قَامَتْ غُلَامٌ هُنْدٍ بِتَأْنِيثِ الْفِعْلِ، وَلَا يَجُوزُ  
حَدْفُ الْغُلَامِ، وَلَمْ يُؤْتِ الضَّمِيرُ أَيْضًا.

النُّزُولُ:

(نَزَلَتْ فِي نَفَرٍ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ [وغيرهم])<sup>(٤)</sup> كَانُوا جُلُوسًا يَتَحَدَّثُونَ، فَمَرَّ بِهِمْ شَاسُ بْنُ  
قَيْسٍ الْيَهُودِيُّ فَعَاظَهُ تَأْلُفُهُمْ وَاجْتِمَاعُهُمْ [عَلَى الْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ]<sup>(٥)</sup> فَأَمَرَ  
شَابًّا مِنَ الْيَهُودِ أَنْ يَجْلِسَ إِلَيْهِمْ وَيَذَكِّرَهُمْ يَوْمَ بُعِثَ وَيُنْشِدُهُمْ بَعْضَ مَا قِيلَ فِيهِ [مِنْ أَشْعَارِ  
الْجَاهِلِيَّةِ]<sup>(٦)</sup>، [وَهُوَ يَوْمٌ كَانَ الظَّفَرُ فِيهِ]<sup>(١)</sup> لِلْأَوْسِ، فَفَعَلَ [ذَلِكَ الشَّابُّ] مَا أَمَرَهُ شَاسُ بْنُ

(١) اختلف في نسبة هذا البيت؛ فمنهم من قال هو للعجاج، ومنهم من قال للأغلب العجلي، ومنهم من قال لا يعرف  
قائله، حتى قال البغدادي في (خزانة الأدب: ٤/٢٢٦): (وزعم أبو محمد الأعرابي في فرحة الأديب أن هذا الرجز لقيس  
للأغلب وإنما هو من شوارد الرجز لا يعرف قائله، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ)، ينظر: ملحق ديوان العجاج:  
العجاج: ٨١، الكتاب: سيبويه: ٥٣/١، الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني: ٢٢/٢١.

(٢) ديوان الأعشى: الأعشى: ١٨٦.

(٣) والبيت لقيس بن الملوح، ديوان مجنون ليلى: قيس بن الملوح: ١٣١.

(٤) ما بين المعقوفين ليس من المصدر.

(٥) ما بين المعقوفين ليس من المصدر.

(٦) ما بين المعقوفين ليس من المصدر.



قَيْسٍ] (٢) فَتَنَزَعَ الْقَوْمُ وَتَفَاخَرُوا وَتَعَاَضَبُوا وَقَالُوا: السِّلَاحُ السِّلَاحُ، وَاجْتَمَعَ مَعَ الْقَبِيلَتَيْنِ خَلْقٌ عَظِيمٌ، [فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ فِيمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ] (٣)، وَقَالَ: أَتَدْعُونَ الْجَاهِلِيَّةَ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ بَعْدَ إِذْ أَكْرَمَكُمُ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ وَقَطَعَ بِهِ عَنْكُمُ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ، فَعَلِمُوا أَنَّهَا نَزَعَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ وَكَيْدٌ مِنْ عَدُوِّهِمْ، فَأَلْفُوا السِّلَاحَ وَاسْتَغْفَرُوا وَعَانَقَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَانْصَرَفُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ (٤)، [قَالَ مُقَاتِلٌ: افْتَحَرَ رَجُلَانِ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ: تَعَلَّبَهُ بِنُ غَنَمٍ مِنَ الْأَوْسِ، وَأَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ مِنَ الْخَزْرَجِ، فَقَالَ الْأَوْسِيُّ: مَنَّا خَزِيمَةُ بْنُ ثَابِتٍ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ، وَمَنَّا حَنْظَلَةُ غَسِيلُ الْمَلَائِكَةِ، وَمَنَّا [عَاصِمٌ] (٥) بْنُ ثَابِتِ بْنِ أَفْلَحِ حَمِي الدِّينِ، وَمَنَّا سَعْدُ بْنُ مَعَاذِ الَّذِي اهْتَرَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لَهُ، وَرَضِيَ [اللَّهُ] (٦) بِحُكْمِهِ فِي بَنِي فُرَيْظَةَ، وَقَالَ الْخَزْرَجِيُّ: مَنَّا أَرْبَعَةٌ أَحْكَمُوا الْقُرْآنَ: أَبِي بِنُ كَعْبٍ، وَمَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَبُو زَيْدٍ، وَمَنَّا سَعْدُ بْنُ عِبَادَةَ خَطِيبُ الْأَنْصَارِ وَرَبِّيسُهُمْ، فَجَرَى الْحَدِيثُ بَيْنَهُمَا، فَعَضِبَا وَتَفَاخَرَا وَنَادَيَا، [فَجَاءَ الْأَوْسِيُّ إِلَى الْأَوْسِ، وَالْخَزْرَجِيُّ إِلَى الْخَزْرَجِ] (٧)، وَمَعَهُمُ السِّلَاحُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَرَكِبَ حِمَارًا وَأَتَاهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَاتِ، فَقَرَأَهَا عَلَيْهِمْ فَاصْطَلَحُوا (٨).

#### المعنى:

ثُمَّ حَدَّرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ قَبُولِ قَوْلِ أَهْلِ الْكِتَابِ بَعْدَ نَسْخِ شَرِيعَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَلْبِيسِهِمْ فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، أَيِ صَدَقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَهُوَ خُطَابٌ لِلأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ وَيَدْخُلُ فِيهِ غَيْرُهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي عَمُومِ اللَّفْظِ، ﴿إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾، يَعْنِي هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ الْمُفْتَنِينَ فِي قَبُولِ قَوْلِهِمْ (فِي إِحْيَاءِ الضَّغَائِنِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَكُمْ

(١) في المصدر: وكان الظفر في ذلك اليوم .

(٢) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٣) في المصدر: فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَصْحَابُهُ.

(٤) أنوار التنزيل: البيضاوي: ٣١/٢، تفسير أبي السعود: أبو السعود: ٦٤/٢، التفسير الصافي: الفيض الكاشاني: ٣٦٤/١ .

(٥) في الأصل: عامر، وما أثبت من المصدر الصواب .

(٦) ما بين المعقوفين ليس من الأصل، وما أثبت من المصدر يقتضيه السياق .

(٧) في المصدر: فجاء الأوس إلى الأوسي، والخزرج إلى الخزرجي.

(٨) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٥٥/٢، وانظر: لباب التأويل: الخازن: ٢٧٦/١ .

في الجاهلية<sup>(١)</sup>، ﴿يُرْدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾، أي: يُصَيِّرُوكُمْ وَيَرْجِعُوكُمْ كُفَّارًا بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَلَا تَطِيعُوهُمْ فَلَا (وَإِنَّمَا خَاطَبَهُمُ<sup>(٢)</sup> اللَّهُ بِنَفْسِهِ بَعْدَ مَا أَمَرَ رَسُولَهُ بِأَنْ يُخَاطَبَ أَهْلَ الْكِتَابِ إِظْهَارًا لِجَلَالَةِ قَدْرِهِمْ، وَإِشْعَارًا بِأَنَّهُمُ الْأَحِقَاءُ بِأَنْ يُخَاطَبَهُمُ اللَّهُ وَيُكَلِّمَهُمْ)<sup>(٣)</sup>، ثُمَّ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَكَّدَ الْأَمْرَ وَعَظَّمَ الشَّانَ فَقَالَ: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾ هذا انكاز واستبعاد (وتعجيب لكفرهم في حال اجتمعت لهم الأسباب الداعية إلى الإيمان الصارفة عن الكفر)<sup>(٤)</sup>، يعني: على أي حال، وعلى أي وجه يقع منكم الكفر ويصدر عنكم، (والحال أن آيات الله وهي القرآن المعجز ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ عَلَى لِسَانِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ غَضَّةً طَرِيَّةً وَبَيْنَ أَظْهُرِكُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يُبَيِّنُكُمْ [وَيَعْظُمُكُمْ]<sup>(٥)</sup> وَيُزِيحُ شُبُهَاتِكُمْ)<sup>(٦)</sup>، ويدعوكم إلى الثبات بالإيمان ويقراً عليكم ما في القرآن المجيد، مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ تَعَالَى وَنُبُوَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، (والكفر وإن كان فظيماً [شنيعاً]<sup>(٧)</sup> في كل حال، فهو في مثل هذه الحال أفضع)<sup>(٨)</sup> وأشنع، (ويجوز أن يكون المراد بقوله: ﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾ القوم الذين كان بين أظهرهم خاصَّةً، ويجوز أن يكون المراد به جميع أمته؛ لِأَنَّ آثَارَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَعَلَامَاتِهِ مِنَ الْقُرْآنِ وَغَيْرِهِ فَيُنَا قَائِمَةٌ بَاقِيَةٌ؛ وَذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ وَجُودِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَيُنَا حَيًّا)<sup>(٩)</sup>.

﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ﴾ أَي: وَمَنْ يَتَمَسَّكَ بِدِينِ اللَّهِ وَبِكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ وَآيَاتِهِ، وَيَلْتَجِئُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ سَيِّمًا فِي دَفْعِ شُرُورِ وَمَكَايِدِهِمْ، أَوْ (مَنْ يَمْتَنِعُ بِاللَّهِ عَمَّنْ سِوَاهُ؛ بِأَنْ يَعْْبُدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)<sup>(١٠)</sup> فِي جَمِيعِ حَالَاتِهِ أَوْ (مَنْ يَمْتَنِعُ عَنِ الْكُفْرِ وَالْهَلَاكِ بِالْإِيمَانِ

(١) جوامع الجامع: الطبرسي: ٣١٣/١ .

(٢) ومنه في حاشية الأصل: أي: المؤمنين في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ .

(٣) أنوار التنزيل: البيضاوي: ٣١/٢ .

(٤) المصدر نفسه: ٣١/٢ .

(٥) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٦) الكشاف: الزمخشري: ٤٥٠/١، تفسير البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي: ١٨/٣ .

(٧) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٨) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٥٣/٢ .

(٩) المصدر نفسه: ٣٥٣/٢ .

(١٠) المصدر نفسه: ٣٥٣/٢ .

(١١) المصدر نفسه: ٣٥٣/٢ .

وَرُسُلِهِ، ﴿فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، أَي: (فَقَدْ حَصَلَ لَهُ الْهُدَى إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ وَمِلَّتِهِ) <sup>(١)</sup> لَا مَحَالَةَ كَمَا تَقُول: إِذَا جِئْتَ فَلَانًا فَقَدْ أَفْلَحْتَ، كَأَنَّ الْهُدَى قَدْ حَصَلَ لَهُ فَهُوَ يُخْبِرُ عَنْهُ حَاصِلًا، وَمَعْنَى التَّوَقُّعِ فِي قَدْ ظَاهِرٌ؛ لِأَنَّ الْمُعْتَصِمَ بِاللَّهِ مُتَوَقِّعٌ لِلْهُدَى كَمَا أَنَّ قَاصِدَ الْكَرِيمِ مُتَوَقِّعٌ لِلْفَلَاحِ عِنْدَهُ <sup>(٢)</sup>.

وَ(قَالَ قَتَادَةُ: فِي هَذِهِ الْآيَةِ عِلْمَانِ بَيِّنَانِ: كِتَابُ اللَّهِ، وَنَبِيُّ اللَّهِ، فَأَمَّا نَبِيُّ اللَّهِ فَقَدْ مَضَى، وَأَمَّا كِتَابُ اللَّهِ فَأَنْبَاءُ اللَّهِ بَيِّنٌ أَظْهَرَهُمْ رَحْمَةً مِنْهُ وَنِعْمَةً، فِيهِ حَلَالُهُ وَحَرَامُهُ، وَطَاعَتُهُ وَمَعْصِيَتُهُ) <sup>(٣)</sup>، وَهُمْ (قَدْ شَاهَدُوا فِي نَفْسِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُعْجَزَاتٍ كَثِيرَةً مِنْهَا: أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ يَرَى مِنْ [١٤٨] خَلْفِهِ كَمَا يَرَى مِنْ قُدَامِهِ، وَمِنْهَا أَنَّهُ كَانَ تَنَامُ عَيْنُهُ، وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ) <sup>(٤)</sup>، وَمِنْهَا أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ ظِلُّهُ عَلَى الْأَرْضِ؛ لِعَدَمِ ظِلِّهِ، وَمِنْهَا لَمْ يَقَعِ الدُّبَابُ عَلَيْهِ <sup>(٥)</sup>، (وَمِنْهَا أَنَّ الْأَرْضَ [كَانَتْ] <sup>(٦)</sup> تَتَبَلَّعُ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ، فَكَانَ لَا يَرَى لَهُ بَوْلٌ، وَلَا غَائِطٌ، وَمِنْهَا أَنَّهُ كَانَ لَا يَطْوُلُهُ أَحَدٌ وَإِنْ طَالَ، وَمِنْهَا أَنَّهُ كَانَ بَيْنَ كَتْفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ، وَمِنْهَا أَنَّهُ كَانَ إِذَا مَرَّ بِمَوْضِعٍ يَعْلَمُهُ النَّاسُ؛ لِطَيْبِهِ، وَمِنْهَا أَنَّهُ كَانَ يَسْطَعُ نُورُهُ مِنْ جَبْهَتِهِ فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ، وَمِنْهَا أَنَّهُ قَدْ وُلِدَ مَخْتُونًا، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ) <sup>(٧)</sup> مِنْ مُعْجَزَاتِ الظَّاهِرَةِ مِنْ يَدِهِ وَسَائِرِ أَعْضَائِهِ الشَّرِيفَةِ، وَلَمَّا نَهَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ عَنِ قَبُولِ أَقْوَالِ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْكَافِرِينَ بَيَّنَّ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ مَا يَجِبُ قَبُولُهُ فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾، أَي: اتَّقُوا عَذَابَ اللَّهِ وَمَخَالَفَةَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ <sup>(٨)</sup>، واحترسوا وامتنعوا بالطاعة من عقاب الله حقَّ تقواه واجب تقواه وما يحقَّ منها وما ينبغي أن يحترس منه بقدر المقدور وهو استفراغ الوسع في القيام بالمواجب

(١) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٢) الكشاف: الزمخشري: ٤٥٠/١ .

(٣) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٥٤/٢ .

(٤) المصدر نفسه: ٣٥٤/٢ .

(٥) المصدر نفسه: ٣٥٤/٢ .

(٦) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٧) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٥٤/٢ .

(٨) سورة النور: الآية ٦٣ .

والاجتناب عن المحارم وهو مثل قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾<sup>(١)</sup>، يعني: (بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيئاً)<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا التفسير لا يحتاج إلى ذكر النسخ، وقيل هذا منسوخ بقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ كما يأتي في الأخبار أنفاً، وعن ابن مسعود أن معنى ﴿حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ (أن يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى)<sup>(٣)</sup>، والمروي في معاني الأخبار وتفسير العياشي سئل الصادق عليه السلام عن هذه الآية قال: يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر<sup>(٤)</sup>.

وفي المعاني أيضاً بإسناده إلى أبي داود بن سليمان الغازي، عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام، عن أبيه، عن أبيه، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: الدنيا كلها جهل إلا مواضع العلم، والعلم كله حجة إلا ما عمل به، والعمل كله رياء إلا ما كان مخلصاً، والإخلاص على خطر [عظيم]<sup>(٥)</sup> حتى ينظر العبد بما يختم له<sup>(٦)</sup>، والعياشي عن الصادق عليه السلام أنه سئل عنها فقال: منسوخة، قيل: وما نسختها؟ قال: قول الله عز وجل: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾<sup>(٧)</sup><sup>(٨)</sup>، وقيل: معناه (أن ينزه الطاعة عن الالتفات إليها، وعن توقع المجازاة عليها)<sup>(٩)</sup>، (وفي هذا الأمر تأكيد للنهي عن طاعة أهل الكتاب)<sup>(١٠)</sup>، وقيل: معنى ﴿حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ اتقاء جميع معاصيه عن الجبائي، وقيل هو المجاهدة في الله بحيث لا تأخذه لومة لائم، وأن (يقوم بالقسط ولو على نفسه أو ابنه أو أبيه أو أمه، وقيل: لا

(١) سورة التغابن: الآية ١٦ .

(٢) جوامع الجامع: الطبرسي: ٣١٤/١ .

(٣) مجمع الزوائد: الهيتمي: ٦/٣٢٦/ح ١٠٨٩١١ .

(٤) معاني الأخبار: الصدوق: ١/٢٤٠، باب معنى اتقاء الله حق تقاته، تفسير العياشي: العياشي: ١٩٤/١ .

(٥) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٦) لم نجد هذا الحديث في معاني الأخبار، بل في عيون أخبار الرضا (ع): الصدوق: ١/٢٥٣/ح ٢٥، باب فيما جاء عن الإمام علي بن موسى عليهما السلام من الأخبار المتفرقة .

(٧) سورة التغابن: الآية ١٦ .

(٨) تفسير العياشي: العياشي: ١٩٤/١ .

(٩) زبدة التفاسير: فتح الله الكاشاني: ١/٥٣٣ .

(١٠) المصدر نفسه: ١/٥٣٣ .

يَبْقَى عَبْدٌ حَتَّى يَخْرُنَ لِسَانَهُ<sup>(١)</sup>، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَطَاوُسٌ: أَنَّهَا غَيْرُ مَنْسُوخَةٍ، (وَأَنْكَرَ الْجَبَائِيَّ [أَيْضًا]<sup>(٢)</sup>) نَسَخَ الْآيَةَ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ إِبَاحَةِ بَعْضِ الْمَعَاصِي، وَقَالَ الرُّمَّانِيُّ: وَالَّذِي عِنْدِي أَنَّهُ إِذَا وَجَّهَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ عَلَى أَنْ يَقُومُوا لَهُ بِالْحَقِّ فِي الْخَوْفِ وَالْأَمْنِ، لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِ مَا ذَكَرَهُ أَبُو عَلِيٍّ؛ لِأَنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ أَوْجَبَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ عَلَى كُلِّ حَالٍ، ثُمَّ أَبَاحَ تَرَكَ الْوَاجِبَ عِنْدَ الْخَوْفِ عَلَى النَّفْسِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾<sup>(٣)</sup>/<sup>(٤)</sup> انْتَهَى، وَهَذَا الْمَعْنَى لَيْسَ جَيِّدٌ.

﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، أَي: (لَا تَكُونَنَّ عَلَى حَالٍ سِوَى حَالِ الْإِسْلَامِ إِذَا أَدْرَكَكُمْ الْمَوْتُ)<sup>(٥)</sup>، وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى لَا تَتْرَكُوا الْإِسْلَامَ أَبَدًا فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، وَكُونُوا عَلَيْهِ حَتَّى إِذَا وَرَدَ عَلَيْكُمْ الْمَوْتُ صَادِفَكُمْ عَلَيْهِ (كَمَا تَقُولُ لِمَنْ تَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى لِقَاءِ الْعَدُوِّ: لَا تَأْتِي إِلَّا وَأَنْتَ عَلَى حِصَانٍ، فَلَا تَنْهَاهُ عَنِ الْإِثْتِيَانِ وَكَانَكَ تَنْهَاهُ عَنِ خِلَافِ الْحَالِ الَّذِي شَرَطْتَ عَلَيْهِ فِي وَفْتِ الْإِثْتِيَانِ)<sup>(٦)</sup>؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ النَّهْيَ أَوْ النَّفْيَ عَنِ الْفِعْلِ الْمُقَيَّدِ بِحَالٍ أَوْ غَيْرِهَا مِنْ الْمُتَعَلِّقَاتِ قَدْ يَتَوَجَّهُ بِالذَّاتِ إِلَى الْقَيْدِ تَارَةً كَمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَفِي هَذَا الْمِثَالِ، فَلَا يَجُوزُ تَوَجُّهُهُ إِلَى الْفِعْلِ، أَعْنِي الْمَوْتَ لِفَسَادِ الْمَعْنَى؛ لِأَنَّ الْمَوْتَ لَا بُدَّ مِنْهُ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ، (وَإِنَّمَا النَّهْيُ فِي الْحَقِيقَةِ عَنِ تَرَكَ الْإِسْلَامِ؛ لِئَلَّا يَهْلِكُوا بِالْإِنْقِطَاعِ عَنِ التَّمَكُّنِ مِنْهُ بِالْمَوْتِ، إِلَّا أَنَّهُ وَضَعَ كَلَامَ مَوْضِعِ كَلَامٍ عَلَى جِهَةِ تَصَرُّفِ الْأَبْدَالِ؛ لِحُسْنِ الْاسْتِعَارَةِ وَرَوَالِ اللَّبْسِ)<sup>(٧)</sup>، وَتَارَةً أُخْرَى يَتَوَجَّهُ إِلَى الْفِعْلِ كَمَا تَقُولُ: لَا تَشْرَبِ الْخَمْرَ عَطْشَانَ فَإِنَّ النَّهْيَ فِيهِ يَتَوَجَّهُ بِالذَّاتِ إِلَى أَصْلِ الْفِعْلِ الَّذِي هُوَ الشُّرْبُ، فَقَيْدُ الْعَطْشَانِ يَنْبَغِي أَنْ يَتَرَكَ؛ لِئَلَّا يَتَوَهَّمُ أَنَّ النَّهْيَ يَتَوَجَّهُ إِلَى شَرْبِهَا فِي الْحَالِ الْمَذْكُورَةِ لَا فِي غَيْرِهَا، وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَيْدُ الْعَطْشَانِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ النَّهْيَ عَنِ الْفِعْلِ فِي الْحَالَةِ الْمَذْكُورَةِ يُوجِبُ النَّهْيَ عَنْهُ فِي غَيْرِهَا بِطَرِيقِ أَوْلَى، وَقَدْ يَتَوَجَّهُ إِلَى مَجْمُوعِهِمَا.

(١) تفسير البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي: ٢٠/٣ .

(٢) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٣) سورة النحل: الآية ١٠٦ .

(٤) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٥٦/٢ .

(٥) جوامع الجامع: الطبرسي: ٣١٤/١ .

(٦) الكشاف: الزمخشري: ٤٥٠/١ .

(٧) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٥٦/٢ .

### ذكر المراد بالإسلام هنا:

وَالْمُرَادُ بِالْإِسْلَامِ هُنَا هُوَ الْإِيمَانُ بَلْ أَعْلَى مَرَاتِبٍ مِنْهُ كَمَا اسْتَدْعَاهُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِنَفْسِهِ وَلِذُرِّيَّتِهِ كَمَا فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَفِي آلِ عِمْرَانَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾<sup>(١)</sup> وَغَيْرِهَا، وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِهِ هُنَا مِثْلُ إِسْلَامِ الْأَعْرَابِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾<sup>(٢)</sup> الْآيَةَ مُفَصَّلًا فَحِينِيذٍ لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَأْوِيلٍ وَتَغْيِيرٍ.

وَقَالَ فِي الْمَجْمَعِ: "وَرُوِيَ عَنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ بِالتَّشْدِيدِ، وَمَعْنَاهُ: مُسْتَسْلِمُونَ لِمَا آتَى بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، مُنْقَادُونَ لَهُ"<sup>(٣)</sup>، وَالْعِيَّاشِيُّ "عَنْ الْكَاطِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ: [١٤٩] كَيْفَ تَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ مَاذَا؟ قَالَ: قُلْتُ: مُسْلِمُونَ، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! يُوقِعُ عَلَيْهِمُ الْإِيمَانَ فَيُسَمِّيهِمْ مُؤْمِنِينَ، ثُمَّ يَسْأَلُهُمُ الْإِسْلَامَ، وَالْإِيمَانَ فَوْقَ الْإِسْلَامِ، هَكَذَا تَقْرَأُ فِي قِرَاءَةِ زَيْدٍ، قَالَ: إِنَّمَا هِيَ فِي قِرَاءَةِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهِيَ التَّنْزِيلُ الَّذِي نَزَلَ بِهِ جِبْرِئِيلُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ﴿إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثُمَّ لِلْإِمَامِ مِنْ بَعْدِهِ"<sup>(٤)</sup>.

وَفِي كِتَابِ الْمَنَاقِبِ لِابْنِ شَهْرٍ أَشُوبَ "عَنْ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قِرَاءَةِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ التَّنْزِيلُ الَّذِي نَزَلَ بِهِ جِبْرِئِيلُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثُمَّ لِلْإِمَامِ بَعْدَهُ"<sup>(٥)</sup> الْحَدِيثُ.

### ذكر عدم التنافي:

لَا تَنَافِي بَيْنَ مَا ذَكَرْنَاهُ وَبَيْنَ هَذِهِ الْأَخْبَارِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْأَخْبَارَ وَمَا ذَكَرْنَاهُ مَرْجِعُهُمَا وَاحِدٌ، وَإِنَّمَا التَّنَافِي وَالتَّنَاقُضُ إِذَا كَانَ الْمُرَادُ بِالْإِسْلَامِ مِثْلَ إِسْلَامِ الْأَعْرَابِ<sup>(٦)</sup>؛ لِأَنَّ هَذَا يُنَافِي

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩ .

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٤ .

(٣) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٥٦/٢ .

(٤) تفسير العياشي: العياشي: ١٩٤/١ .

(٥) مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب: ٢٠٧/٣ .

(٦) ومنه في حاشية الأصل: كما صرح بقوله عليه السلام: "والإيمان فوق الإسلام".

الإيمان دُونَ مَا ذَكَرْنَاهُ؛ لِأَنَّهُ عَيْنُ الْإِيمَانِ بَلْ هُوَ أَعْلَى مَرَاتِبِهِ عَلَى مَا مَرَّ مُفَصَّلًا فِي مَوَاضِعِ الْحَوَالَةِ.

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ قَدْ مَرَّ ﴿جَمِيعًا﴾ حَالًا، أَي: مُجْتَمِعِينَ عَلَيْهِ، يَعْنِي: تَمَسَّكُوا بِحَبْلِ اللَّهِ وَسَبَبِهِ، وَمَا يَتَوَسَّلُ بِهِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَإِلَى ثَوَابِهِ دُونَ غَيْرِهِ وَامْتَنَعُوا بِهِ مِنْ غَيْرِهِ، وَحَبْلُ اللَّهِ هُوَ التَّوْحِيدُ، وَالْقُرْآنُ، وَالذِّينُ الَّذِي هُوَ الْإِسْلَامُ، وَالرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْأَيْمَةُ الْهَادِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَالْمَحَبَّةُ وَالْوَلَايَةُ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلِلْأَيْمَةِ الْهَادِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بَعْدَهُ كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ، وَإِنَّمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ تَمَثِيلًا لِاسْتِظْهَارِهِمْ بِهِ، وَبُثُوقِهِمْ بِحِمَايَتِهِمْ (بِامْتِسَاكِ الْمُتَدَلِّيِّ مِنْ مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ بِحَبْلِ وَثِيقٍ يَأْمَنُ بِانْقِطَاعِهِ) <sup>(١)</sup>، أَوْ اسْتِعَارَةً لِعَهْدِهِ، ثُمَّ الْاِعْتِصَامُ بِوُثُوقِهِ بِالْعَهْدِ تَرْشِيحًا لِاسْتِعَارَةِ الْحَبْلِ بِمَا يُنَاسِبُهُ <sup>(٢)</sup>.

وَخَاصِلُ الْمَعْنَى: وَاجْتَمِعُوا عَلَى اسْتِعَانَتِكُمْ بِاللَّهِ، وَعَلَى التَّمَسُّكِ وَالتَّشَبُّثِ بِعَهْدِهِ إِلَى عِبَادِهِ وَهُوَ الْإِيمَانُ وَالطَّاعَةُ وَالْوَلَايَةُ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَوْصِيَائِهِ الْمَعْصُومِينَ، وَكِتَابَهُ لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: "الْقُرْآنُ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، لَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ، وَلَا يَخْلُقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَمَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ رَشِدَ، وَمَنْ اعْتَصَمَ بِهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" <sup>(٣)</sup>، وَلِقَوْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "الْقُرْآنُ ظَاهِرُهُ أَنْيَقُ، وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ، لَا تَقْنَى عَجَائِبُهُ، وَلَا تَنْقُضِي غَرَائِبُهُ" <sup>(٤)</sup>، وَالتَّمَسُّكُ بِهِ كَمَا هُوَ حَقُّهُ يُوجِبُ النِّجَاةَ الْأَبَدِيَّةَ وَالْخُلُودَ فِي الْجَنَّةِ لِمَا صَحَّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رُوَايَةً عَنِ الْعَامِّ وَالْخَاصِّ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: "إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ التَّقْلِينَ أَوْ تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا كِتَابَ اللَّهِ وَعِزَّتِي أَهْلَ بَيْتِي، وَأَنْتَهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ" <sup>(٥)</sup>.

(١) الكشاف: الزمخشري: ٤٥٠/١ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٤٥٠/١ .

(٣) تخريج الأحاديث: الزيلعي: ٢١١/١ .

(٤) نهج البلاغة: خطب الإمام علي ع: ٦١ .

(٥) الكافي: الكليني: ١/٤١٥/٢، بابُ أَدْنَى مَا يَكُونُ بِهِ الْعَبْدُ مُؤْمِنًا أَوْ كَافِرًا أَوْ ضَالًّا، عيون أخبار الرضا (ع): ١/٢٠٨/١، باب ذكر مجلس الرضا (ع) مع المأمون في الفرق بين العترة والأمة، مسند أحمد: أحمد بن حنبل: ١٧/١٦٩/٤١١٠٤، سنن الترمذي: الترمذي: ١/١٣٣/٦، مع اختلاف يسير في الألفاظ .



وَفِي الْمَجْمَعِ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ [خَلِيفَتَيْنِ] <sup>(١)</sup> إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ: كِتَابَ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَعِثْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، أَلَا وَإِنَّهُمَا لَنْ يَنْفَرَقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ <sup>(٢)</sup>، وَرَوَى "أَبَانُ بْنُ تَغْلِبَ" عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قَالَ: نَحْنُ حَبْلُ اللَّهِ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ <sup>(٣)</sup>.

وَفِي كِتَابِ الْمَنَاقِبِ "عَنْ ابْنِ يَزِيدَ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾، قَالَ: عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ <sup>(٤)</sup>، "عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: أَلَمْ يُحَمَّدِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هُمْ حَبْلُ اللَّهِ الَّذِي أَمَرَ بِالِاعْتِصَامِ بِهِ فَقَالَ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ <sup>(٥)</sup>.

وَفِي أَمَالِي شَيْخِ الطَّائِفَةِ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ الطُّوسِيَّ قُدِّسَ سِرُّهُ بِإِسْنَادِهِ إِلَى عُمَرَ بْنِ رَاشِدٍ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ "فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾، قَالَ: نَحْنُ الْحَبْلُ <sup>(٦)</sup>.

وَفِي مَعَانِي الْأَخْبَارِ بِإِسْنَادِهِ إِلَى "مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قَالَ: الْإِمَامُ مَنْ لَا يَكُونُ إِلَّا مَعْصُومًا، وَلَيْسَتْ الْعِصْمَةُ فِي ظَاهِرِ الْخَلْقَةِ فَيَعْرِفُ بِهَا وَلِذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا مَنْصُوصًا، فَقِيلَ لَهُ: يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ، فَمَا مَعْنَى الْمَعْصُومِ؟ فَقَالَ: هُوَ الْمُعْتَصِمُ بِحَبْلِ اللَّهِ، وَحَبْلُ اللَّهِ هُوَ [الْإِمَامُ وَ] <sup>(٧)</sup> الْقُرْآنُ، لَا يَنْفَرِقَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالْإِمَامُ يَهْدِي إِلَى الْقُرْآنِ، وَالْقُرْآنُ يَهْدِي إِلَى الْإِمَامِ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ <sup>(٨)</sup> <sup>(٩)</sup>، وَهُوَ "قَوْلُ

(١) في المصدر: حبلتين.

(٢) مجمع البيان: الطبرسي: ٣٥٦/٢.

(٣) بحار الأنوار: المجلسي: ١٢٢/٣٦/١٩٠٢.

(٤) لم نجده في كتاب المناقب، بل في تفسير العياشي: العياشي: ١٩٤/١.

(٥) المصدر نفسه: ١٩٤/١.

(٦) الأمالي: الطوسي: ٤٨/٢٧٢.

(٧) ما بين المعقوفين ليس من المصدر.

(٨) سورة الإسراء: الآية ٩.

(٩) معاني الأخبار: الصدوق: ١٣٢/١٠١، باب معنى عصمة الامام.

النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: حَبْلَيْنِ مَمْدُودَيْنِ طَرَفَ مِنْهُمَا بِيَدِ اللَّهِ وَطَرَفَ بَأَيْدِيكُمْ، وَأَنْهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا" (١).

وَفِي تَفْسِيرِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾، قَالَ: التَّوْحِيدِ وَالْوَلَايَةِ) (٢) جَمِيعًا مُجْتَمِعِينَ عَلَيْهِ.

﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، أَي: لَا تَتَفَرَّقُوا عَنِ الْإِمَامِ وَعَنِ الْحَقِّ، بِإِيقَاعِ (الِاخْتِلَافِ بَيْنَكُمْ، كَأَهْلِ الْكِتَابِ، أَوْ لَا تَتَفَرَّقُوا تَفَرُّقَكُمْ الْجَاهِلِيِّ، يُحَارِبُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، أَوْ لَا تُذَكِّرُوا مَا يُوجِبُ التَّفَرُّقَ، وَيُزِيلُ الْأُلْفَةَ) (٣) كَمَا فَعَلَ سَاشُ بْنُ قَيْسٍ وَالشَّابُّ الْيَهُودِيِّ، وَفِي تَفْسِيرِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ "وَفِي رَوَايَةِ أَبِي الْجَارُودِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلِمَ أَنََّّهُمْ سَيَفْتَرِقُونَ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ وَيَحْتَلِفُونَ فَهَاهُمْ عَنِ التَّفَرُّقِ كَمَا نَهَى مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَجْتَمِعُوا عَلَى وَلايَةِ آلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَلَا يَتَفَرَّقُوا" (٤).

﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً﴾، يَعْنِي: أذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ الَّتِي هِيَ الْهِدَايَةُ، وَمُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ وَالْأَيْمَةُ الْأَحَدَ عَشَرَ، وَالتَّوْفِيقُ لِلْإِسْلَامِ الْمُؤَدِّي إِلَى تَأَلُّفِ الْقُلُوبِ وَرَوَالِ الْعِلِّ (٥)، [١٥٠]

﴿إِذْ كُنْتُمْ﴾، أَي: حِينَ كُنْتُمْ، ﴿أَعْدَاءً﴾ فِي الْأَيَّامِ مُتَعَادِينَ مُتَقَاتِلِينَ مِائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً، ﴿فَأَلَّفَ﴾ اللَّهُ سَبْحَانَهُ، ﴿بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ بِالْإِسْلَامِ وَالْأُخُوَّةِ وَالْمَحَبَّةِ، ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ﴾ الَّتِي هِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَوْصِيَاؤُهُ الْمَعْصُومُونَ وَالتَّوْفِيقُ وَالْإِهْتِدَاءُ بِهِمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، ﴿إِخْوَانًا﴾ مُتَحَابِّينَ مُتَرَاحِمِينَ مُتَنَاصِحِينَ مُجْتَمِعِينَ عَلَى الْأُخُوَّةِ، وَعَلَى أَمْرٍ وَاحِدٍ قَدْ نَظَّمَ اللَّهُ بَيْنَكُمْ بِهِ وَهُوَ التَّسْلِيمُ وَالْإِنْقِيَادَ لِرَسُولِ اللَّهِ وَلِلْإِمَامِ بَعْدَهُ، وَأَزَالَ الْإِخْتِلَافَ وَالْمُحَارَبَةَ عَنْكُمْ، وَكَانَ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ أَخْوَيْنَ لِأَبٍ وَأُمٍّ، فَوَقَعَ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ أَوْلَادِهِمَا الْعَدَاوَاتِ، وَتَطَاوَلَتِ الْحُرُوبُ مِائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً حَتَّى أَطْفَأَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِسْلَامِ وَوَضَعَتْ أَوْزَارَهَا، وَأَلَّفَ بَيْنَهُمْ بِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

(١) التفسير الصافي: الفيض الكاشاني: ٣٦٦/١ .

(٢) تفسير القمي: علي بن إبراهيم: ١٠٨/١ .

(٣) كنز الدقائق: المشهدي: ١٨٦/٣ .

(٤) تفسير القمي: علي بن إبراهيم: ١٠٨/١ .

(٥) ينظر: أنوار التنزيل: البيضاوي: ٣١/٢ .

وَفِي تَفْسِيرِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾، فَإِنَّهَا نَزَلَتْ فِي الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ؛ كَانَ [بَيْنَهُمُ الْحَرْبُ] (١) [مِائَةً وَعِشْرِينَ] (٢) سَنَةً لَا يَضْعُونَ السِّلَاحَ بِاللَّيْلِ وَلَا بِالنَّهَارِ حَتَّىٰ وُلِدَ عَلَيْهَا الْأَوْلَادُ فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَصْلَحَ بَيْنَهُمْ وَدَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ وَذَهَبَتِ الْعَدَاوَةُ مِنْ قُلُوبِهِمْ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَارُوا إِخْوَانًا (٣) انْتَهَى.

### ذكر المراد من النعمة في الآية:

فَالْمُرَادُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ فِي الْآيَةِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَعَلِيٌّ وَالْأُمَّةُ الْأَحَدَ عَشَرَ وَالتَّوْفِيقُ وَالْإِهْتِدَاءُ بِهِمْ كَمَا مَرَّ وَكَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٤).

فِي تَفْسِيرِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: نَحْنُ وَاللَّهُ نِعْمَةُ اللَّهِ [الَّتِي] (٥) أَنْعَمَ بِهَا عَلَيَّ عِبَادِهِ وَبِنَا فَازَ مَنْ فَازَ (٦).

وَفِي الْكَافِي عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ أَبِيهِ عَنِ جَدِّهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ﴾، إِلَى آخِرِهَا قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ (٧)، اجْتَمَعَ نَقَرٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: [مَا تَقُولُونَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ:] (٨) إِنْ كَفَرْنَا بِهِذِهِ الْآيَةِ نَكْفُرُ بِسَائِرِهَا، وَإِنْ آمَنَّا فَإِنَّ هَذَا دُلٌّ حِينَ يُسَلِّطُ عَلَيْنَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالُوا: قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ مُحَمَّدًا صَادِقٌ فِيمَا يَقُولُ، وَلَكِنَّا نَتَوَلَّاهُ وَلَا نُطِيعُ عَلِيًّا فِيمَا أَمَرَنَا، قَالَ: فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾، [يَعْرِفُونَ] (٩) يَعْنِي: وَوَلَايَةَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ (١٠) الْحَدِيثُ.

(١) في المصدر: الحرب بينهم .

(٢) في المصدر: مائة .

(٣) تفسير القمي: علي بن إبراهيم: ١٠٨/١ .

(٤) سورة النحل: الآية ٨٣ .

(٥) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٦) تفسير القمي: علي بن إبراهيم: ٣٨٨/١ .

(٧) سورة المائدة: الآية ٥٥، في المصدر أكمل الآية .

(٨) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٩) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(١٠) الكافي: الكليني: ١/٤٢٧/ح ٧٧، بَابُ فِيهِ نُكْتُ وَنُتِفَتْ مِنَ التَّنْزِيلِ فِي الْوَلَايَةِ .

وَفِي الْخِصَالِ "عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: عُرِجَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَائَةً وَعِشْرِينَ مَرَّةً مَا مِنْ مَرَّةٍ إِلَّا وَقَدْ أَوْصَى اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْوَلَايَةِ لِعَلِّيٍّ وَالْأَيْمَةِ [مِنْ وَوَلَدِهِ] (١) عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَكْثَرَ مِمَّا أَوْصَاهُ بِالْفَرَائِضِ" (٢) الْحَدِيثُ.

وَفِي الْكَافِي عَنْ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ \* جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَبُسَّ الْقَارِ﴾ (٣) قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي ذَلِكَ؟ قُلْتُ: تَقُولُ هُمْ الْأَفْجَرَانِ مِنْ فُرَيْشٍ بَنُو أُمَيَّةَ وَبَنُو الْمُغِيرَةَ، قَالَ: نُمَّ قَالَ: هِيَ وَاللَّهُ فُرَيْشٌ قَاطِبَةٌ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَاطَبَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ: إِنِّي فَضَّلْتُ فُرَيْشًا عَلَى الْعَرَبِ وَأَنْمَمْتُ عَلَيْهِمْ نِعْمَتِي وَبَعَثْتُ إِلَيْهِمْ رَسُولِي فَبَدَّلُوا نِعْمَتِي كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ (٤)، وَعَنْ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ بَقُولِهِ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا﴾، "فُرَيْشًا قَاطِبَةً [الَّذِينَ] (٥) عَادُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَنَصَبُوا لَهُ الْحَرْبَ، وَجَحَدُوا وَصِيَّةَ (٦)، وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾، "نَحْنُ النِّعْمَةُ الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَى عِبَادِهِ، وَبِنَا يُفُورُ مَنْ فَازَ" (٧) الْحَدِيثُ.

وَفِي الصَّحِيفَةِ عَنْ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّ أَبِي حَدَّثَنِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ عَنْ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَخَذَتْهُ نَعْسَةٌ وَهُوَ عَلَى مِنْبَرِهِ، فَرَأَى فِي مَنَامِهِ رَجَالًا يَنْزُرُونَ عَلَى مِنْبَرِهِ نَزْوُ الْفَرْدَةِ يَرُدُّونَ النَّاسَ عَلَى أَعْقَابِهِمُ الْقَهْقَرَى، فَاسْتَوَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ جَالِسًا وَالْحُزْنَ يُعْرِفُ فِي وَجْهِهِ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَذِهِ الْآيَةِ ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفُهُمْ مَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ (٨)، يَعْنِي: بَنِي أُمَيَّةَ، قَالَ: يَا جِبْرِيلُ أَعْلَى عَهْدِي يَكُونُونَ فِي زَمَنِي، قَالَ: لَا، وَلَكِنْ تَدُورُ رَحَى الْإِسْلَامِ مِنْ مُهَاجِرِكَ فَتَلْبَثُ بِذَلِكَ عَشْرًا، ثُمَّ تَدُورُ رَحَى

(١) ما بين المعقوفين ليس من المصدر .

(٢) الخصال: الصدوق: ٣٠١/٣.

(٣) سورة إبراهيم: الآية ٢٨ - ٢٩ .

(٤) الكافي: الكليني: ١٠٣/٨ / ح ٧٧، مع اختلاف يسير في الألفاظ .

(٥) ما بين المعقوفين ليس من الأصل .

(٦) الكافي: الكليني: ٢١٧/١ ح ٤، بَابُ أَنَّ النِّعْمَةَ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ الْأَيْمَةُ ع.

(٧) المصدر نفسه: ٢١٧/١ ح ١، بَابُ أَنَّ النِّعْمَةَ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ الْأَيْمَةُ ع.

(٨) سورة الإسراء: الآية ٦٠ .

الإسلام على رأس خمسة وثلاثين من مهاجرِك فتَلَبَّثُ بِذَلِكَ خَمْسًا، ثُمَّ لَا بُدَّ مِنْ رَحَى ضَلَالَةٍ هِيَ قَائِمَةٌ عَلَى قُطْبِهَا، ثُمَّ مُلِكَ الْفِرَاعِنَةُ قَالَ: وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ وما أدراك ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ \* لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿١﴾، تَمَلَّكَهَا بَنُو أُمَيَّةَ لَيْسَ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، قَالَ: فَأَطَّلَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ بَنِي أُمَيَّةَ تَمَلَّكُوا سُلْطَانَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَمَلَكَهَا طُولَ هَذِهِ الْمُدَّةِ فَلَوْ طَاوَلْتَهُمُ الْجِبَالُ لَطَالُوا عَلَيْهَا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ تَعَالَى بِرِوَالِ مُلْكِهِمْ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ يَسْتَشْعِرُونَ عِدَاوَتَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ وَبُغْضَنَا، أَخْبَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ بِمَا يُلْقَى أَهْلَ بَيْتِ مُحَمَّدٍ وَأَهْلُ مَوَدَّتِهِمْ وَشِيعَتِهِمْ مِنْهُمْ فِي أَيَّامِهِمْ وَمُلْكِهِمْ، قَالَ: وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ ﴿الْم تَرَى إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢﴾، وَنِعْمَةُ اللَّهِ مُحَمَّدٌ وَأَهْلُ بَيْتِهِ، حُبُّهُمْ إِيْمَانٌ يُدْخِلُ الْجَنَّةَ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ يُدْخِلُ النَّارَ، فَاسْرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ذَلِكَ إِلَى عَلِيٍّ [١٥١] وَأَهْلِ بَيْتِهِ ﴿٣﴾، إِلَى آخِرِ الْخَبَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْبَارِ وَنَذْرُهَا فِي مَوَاضِعِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ﴾، أَي: وَكُنْتُمْ مُشْفِينَ أَي: مُشْرِفِينَ عَلَى أَنْ تَقْعُوا فِي نَارِ جَهَنَّمَ؛ لِكُفْرِكُمْ إِذَا أَدْرَكْتُمُ الْمَوْتَ فِي تِلْكَ الْحَالِ لَوْقَعْتُمْ فِي النَّارِ، ﴿فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾، أَي: فَأَبْعَدَكُمْ وَأَنْجَاكُمْ مِنَ النَّارِ، أَوْ مِنَ الْحُفْرَةِ، أَوْ مِنْ طَرَفِ الْحُفْرَةِ بِالْإِسْلَامِ، أَوْ أَنْقَذَكُمْ مِنْهَا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، هَكَذَا وَاللَّهُ نَزَلَ بِهَا جِبْرَائِيلُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَالضَّمِيرُ فِي مِنْهَا لِلنَّارِ وَالْحُفْرَةِ وَاللِّشْفَاءِ عَلَى مَا ذَكَرْنَا بَيَانَهُ فِي الْإِعْرَابِ أَنْفَاءً.

﴿كَذَلِكَ﴾، أَي: مِثْلَ ذَلِكَ التَّبْيِينِ الْبَلِيغِ، ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾، أَي: دَلَالَتُهُ مِنَ الْكُتُبِ وَالرُّسُلِ وَالْأَيْمَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، أَي: إِرَادَةً أَنْ تَزْدَادُوا هُدًى، وَتَتَّبِعُوا عَلَى الْهُدَى وَتَصِيرُوا مُهْتَدِينَ بِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وَفِي كَشْفِ الْمَحَجَّةِ لِابْنِ طَاوُوسٍ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ يُقُولُ فِيهِ "وَأَمَّا الْآيَةُ الَّتِي عَمَّ بِهَا الْعَرَبَ فَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَادْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ

(١) سورة القدر: الآية ١- ٣ .

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٢٨ - ٢٩ .

(٣) الصحيفة السجادية: الإمام زين العابدين (ع): ١٨ - ٢٠ .

يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١﴾، فَيَا لَهَا مِنْ نِعْمَةٍ مَا أَعْظَمَهَا إِنْ لَمْ تَخْرُجُوا مِنْهَا إِلَى غَيْرِهَا، وَيَا لَهَا مِنْ مُصِيبَةٍ مَا أَعْظَمَهَا إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِهَا وَتَرْغَبُوا عَنْهَا" (١).

وَفِي كِتَابِ كَمَالِ الدِّينِ وَتَمَامِ النِّعْمَةِ بِإِسْنَادِهِ إِلَى "عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَنْ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: [يَا رَسُولَ اللَّهِ] (٢) أَمِنَّا الْهُدَاةُ أَمْ مِنْ غَيْرِنَا؟ قَالَ: بَلْ مِمَّا الْهُدَاةُ [إِلَى اللَّهِ] (٣) إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، بِنَا اسْتَنْقَذَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ ضَلَالَةِ الشِّرْكِ، [وَبِنَا يَسْتَنْقِذُهُمْ مِنْ ضَلَالَةِ الْفِتْنَةِ، وَبِنَا يَصْبَحُونَ إِخْوَانًا بَعْدَ ضَلَالَةِ الْفِتْنَةِ كَمَا بِنَا أَصْبَحُوا إِخْوَانًا بَعْدَ ضَلَالَةِ الشِّرْكِ] (٤)، وَبِنَا يَخْتِمُ اللَّهُ كَمَا بِنَا يَفْتَحُ اللَّهُ" (٥).

وَفِي رَوْضَةِ الْكَافِي "عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾، بِمُحَمَّدٍ، هَكَذَا وَاللَّهُ نَزَلَ بِهَا جَبْرَيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ" (٦)، وَبِإِسْنَادِهِ إِلَى "أَبِي هَارُونَ الْمَكْفُوفِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: كَانَ [أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ] (٧) إِذَا ذَكَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: بِأَبِي وَأُمِّي وَقَوْمِي وَعَشِيرَتِي عَجَبٌ لِلْعَرَبِ كَيْفَ لَا تَحْمِلُنَا عَلَى رُؤُوسِهَا وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾، فَبِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنْقَذُوا" (٨).

وَفِي كِتَابِ ثَوَابِ الْأَعْمَالِ "عَنْ رَجُلٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَصْبَحَ عَدُوْنَا عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ وَكَأَنَّ شَفَا حُفْرَةٍ قَدْ انْهَارَتْ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَتَعَسَّأَ لِأَهْلِ النَّارِ مَثْوَاهُمْ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: بِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ" (٩).

(١) كشف المحجّة: ابن طاووس: ١٧٥.

(٢) ما بين المعقوفين ليس من الأصل.

(٣) ما بين المعقوفين ليس من الأصل.

(٤) ما بين المعقوفين ليس من الأصل.

(٥) كمال الدين وتمام النعمة: الصدوق: ٢٣٠ - ٢٣١.

(٦) الكافي: الكليني: ٨/١٨٤/ح ٢٠٨.

(٧) في الأصل: أبي عليه السلام، وما أثبت من المصدر الصواب.

(٨) الكافي: الكليني: ٨/٢٦٦/ح ٣٨٨.

(٩) ورد هذا الحديث في كتاب المحاسن: البرقي: ١/٩١/ح ٤١، أما ما ورد في كتاب ثواب الأعمال: الصدوق: ٢١١، فهو ما روي "عَنْ رَجُلٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَصْبَحَ عَدُوْنَا عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ

وَفِي تَفْسِيرِ الْعِيَاشِيِّ "عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ مِيثَمَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: أَبْشُرُوا بِأَعْظَمِ الْمَنَنِ عَلَيْكُمْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾، فَالْإِنْقَادُ [مِنْ اللَّهِ هِبَةً] <sup>(١)</sup> وَاللَّهُ لَا يَرْجِعُ مِنْ هِبَتِهِ <sup>(٢)</sup>، "عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْبَصْرِيِّ الدَّيْلَمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾، بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ" <sup>(٣)</sup> [١٥٢].

قد تهاوت به في نار جهنم، فتعسأ لأهل النار متوأمهم، إن الله عز وجل يقول: ﴿يُسَّ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾، وما من أحد يقصر حينا بخير إلا جعل الله عنده".

(١) في الأصل: من هبة الله، وما أثبت من المصدر الصواب .

(٢) تفسير العياشي: العياشي: ١/١٩٤ .

(٣) المصدر نفسه: ١/١٩٤، تفسير البرهان: هاشم البحراني: ١/٦٧٣ .



المَصَادِيرُ

وَالْمَرَاجِعُ

## المصادر والمراجع

خير ما نبدأ به القرآن الكريم.

١. الاحتجاج: الطبرسي: أبو منصور أحمد بن علي (ت٥٤٨هـ)، تحقيق: محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف - العراق، (د.ط)، ١٣٨٦هـ .
٢. أحكام القرآن: الجصاص: أحمد بن علي أبو بكر الرازي (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
٣. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود): أبو السعود: محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت٩٨٢هـ)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، (د.ط)، (د.ت) .
٤. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: المفيد: أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت (ع) لتحقيق التراث، نشر دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.
٥. أساس البلاغة: الزمخشري: جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ .
٦. أسباب نزول القرآن: الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد النيسابوري (ت٤٦٨هـ)، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، نشر دار الإصلاح، الدمام - السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ .
٧. الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: علي محمد الجاوي، نشر دار الجيل، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
٨. أسد الغابة في معرفة الصحابة: ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني (ت٦٣٠هـ)، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٩. أصل الشيعة وأصولها: محمد حسين كاشف الغطاء (ت١٣٧٣هـ)، تحقيق: علاء آل جعفر، مطبعة ستارة، نشر مؤسسة الإمام علي (ع)، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ .
١٠. الأصمعيات: الأصمعي: أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع (ت٢١٦هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، نشر دار المعارف، القاهرة - مصر، الطبعة السابعة، ١٤١٤ هـ .
١١. أضواء على عقائد الشيعة الإمامية: جعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق (ع)، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ .
١٢. الاعتصام: الشاطبي: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (ت٧٩٠هـ)، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الشقير، نشر دار ابن الجوزي، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ .
١٣. الاعتصام بالكتاب والسنة: جعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق (ع)، قم - إيران، (د.ط)، (د.ت).
١٤. أعلام الدين في صفات المؤمنين: الحسن الديلمي: الحسن بن محمد بن أبي الحسن (ت٨هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، نشر مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، قم - إيران، (د.ط)، (د.ت) .
١٥. الأعلام: الزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي (ت١٣٩٦هـ)، نشر دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة الخامسة عشر، ١٤٢٣ هـ .
١٦. أعيان الشيعة: محسن الأمين (ت١٣٧١هـ)، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، (د.ط)، ١٤٠٣ هـ .
١٧. الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني: علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، (د.ط)، (د.ت) .
١٨. الإكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب: ابن ماكولا: سعد الملك أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر (ت٤٧٥هـ)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ .

١٩. الأمالي: الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ .
٢٠. الأمالي: الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، نشر دار الثقافة للطباعة والنشر، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ .
٢١. إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع: المقرئزي: تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ .
٢٢. الأمثال: ابن سلام: أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي (ت ٢٢٤هـ)، تحقيق: عبد المجيد قطامش، نشر دار المأمون للتراث، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ هـ .
٢٣. أمل الآمل: الحر العاملي: محمد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ)، تحقيق: أحمد الحسيني، مطبعة الآداب، النجف الأشرف - العراق، (د.ط)، (د.ت) .
٢٤. الانتخاب لكشف الأبيات المشككة الإعراب: علي بن عدلان: علي بن عدلان بن حماد الموصللي (ت ٦٦٦هـ)، تحقيق: حاتم صالح الضامن، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٥ هـ .
٢٥. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: البيضاوي: ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ .
٢٦. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ابن هشام الأنصاري: أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: عبد المتعال الصعيدي، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة - مصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥ هـ .

٢٧. إيضاح الاشتباه: العلامة الحلّي: أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأُسدي(ت٧٢٦هـ)، تحقيق: محمد الحسون، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ .
٢٨. إيضاح الفوائد في شرح إشكالات القواعد: ابن العلامة: فخر المحققين محمد بن الحسن بن يوسف بن المطهر الحلّي(ت٧٧١هـ)، تحقيق: حسين الموسوي الكرمانى، المطبعة العلمية، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٣٨٧ هـ.
٢٩. الإيضاح في علوم البلاغة(المعاني والبيان والبديع): الخطيب القزويني: جلال الدين أبو عبد الله محمد ابن قاضي القضاة سعد الدين(ت٧٣٩هـ)، مطبعة أمير، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ.
٣٠. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: إسماعيل باشا البغدادي: إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم الباباني(ت١٣٣٩هـ)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، (د.ط.)، (د.ت) .
٣١. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: العلامة المجلسي: محمد باقر بن محمد تقي(ت١١١١هـ)، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، عبد الرحيم الرباني الشيرازي، نشر مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية المصححة، ١٤٠٣ هـ.
٣٢. البحر المحيط في التفسير: أبو حيان الأندلسي: محمد بن يوسف بن علي(ت٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، نشر دار الفكر، بيروت - لبنان، (د.ط.)، ١٤٢٠ هـ .
٣٣. البداية والنهاية: ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي(ت٧٧٤هـ)، تحقيق: علي شيري، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ .

٣٤. البرهان في تفسير القرآن: هاشم البحراني: أبو المكارم هاشم بن سليمان الموسوي(ت١١٠٧هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، نشر مؤسسة البعثة، قم - إيران، (د.ط)، (د.ت) .
٣٥. بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد ع: الصقار: محمد بن الحسن بن فروخ(ت٢٩٠هـ)، تحقيق: ميرزا حسن كوچه باغي، مطبعة الأحمدية، طهران، إيران، (د.ط)، (د.ت)، ١٤٠٤هـ.
٣٦. بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل: العامري: يحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحيى الحرصي (ت٨٩٣هـ)، نشر دار صادر، بيروت - لبنان، (د.ط)، (د.ت).
٣٧. البيان في تفسير القرآن: الخوئي: أبو القاسم بن علي أكبر بن هاشم الموسوي(ت١٤١٣هـ)، نشر دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، ١٣٩٥هـ .
٣٨. البيان في عدّ آي القرآن: أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر(ت٤٤٤هـ)، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
٣٩. البيان والتبيين: الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني(ت٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت - لبنان، (د.ط)، ١٤٢٣هـ .
٤٠. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان(ت٧٤٨هـ)، تحقيق: بشار عوّد معروف، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ .
٤١. تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس: المؤلف: الديار بكري: حسين بن محمد بن الحسن (ت٩٦٦هـ)، نشر دار صادر، بيروت - لبنان، (د.ط)، (د.ت).
٤٢. التاريخ الكبير: البخاري: أبو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة(ت٢٥٦هـ)، طبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الهند، (د.ط)، (د.ت) .

٤٣. التبيان في تفسير القرآن: الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ)، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ .
٤٤. تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف: الزيلعي: جمال الدين عبد الله بن يوسف (ت٧٦٢هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، نشر دار ابن خزيمة، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ .
٤٥. تذكرة الأعيان: جعفر السبحاني، مطبعة اعتماد، نشر مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ .
٤٦. تراجم الرجال: أحمد الحسيني، نشر مكتبة آية العظمى المرعشي، قم - إيران، (د.ط)، ١٤١٤هـ .
٤٧. التسهيل لعلوم التنزيل (تفسير ابن جزّي): ابن جزّي الكلبّي: أبو القاسم محمد بن أحمد الغرناطي (ت٤١هـ)، تحقيق: عبد الله الخالدي، نشر شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ .
٤٨. التعليق على رسالة طهارة المخالفين: محسن القزويني: محسن بن محمد بن طاهر (ت١١٥٠هـ)، مخطوط، المكتبة الوطنية الإيرانية، طهران - إيران .
٤٩. التفسير الأصفى: الفيض الكاشاني: محمد محسن بن مرتضى بن محمود (ت١٠٩١هـ)، تحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ .
٥٠. تفسير الإمام العسكري: المنسوب إلى الإمام العسكري (ع): أبو محمد الحسن بن علي بن محمد العسكري عليهم السلام (ت٢٦٠هـ)، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي (ع)، مطبعة مهر، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ .
٥١. التفسير الصافي: الفيض الكاشاني: محمد محسن بن مرتضى بن محمود (ت١٠٩١هـ)، تحقيق: حسين الأعلمي، مؤسسة الهادي، قم - إيران، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ .



٥٢. تفسير العياشي: العياشي: أبو النضر محمد بن مسعود بن عياش السلمي (ت ٣٢٠هـ)، تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي، نشر المكتبة العلمية الإسلامية، طهران - إيران، (د.ط)، (د.ت) .
٥٣. تفسير القرآن (تفسير السمعاني): السمعاني: أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد (ت ٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، نشر دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ .
٥٤. تفسير القمي: القمي: علي بن إبراهيم (كان حيا ٣٠٧هـ)، تحقيق: طيب الموسوي الجزائري، نشر مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم - إيران، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤ هـ .
٥٥. تفسير بحر العلوم (تفسير السمرقندي): السمرقندي: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد (ت ٣٨٣هـ)، تحقيق: محمود مطرجي، مطبعة دار الفكر، بيروت - لبنان، (د.ط)، (د.ت) .
٥٦. تفسير فرات الكوفي: فرات الكوفي: أبو القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي (ت ٣٥٢هـ)، نشر مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران - إيران، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ .
٥٧. تفسير كنز الدقائق و بحر الغرائب: محمد المشهدي: محمد بن محمد رضا القمي (ت ١١٢٥هـ)، تحقيق: حسين درگاهي، نشر مؤسسة الطبع والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ .
٥٨. تفسير مجاهد: مجاهد بن جبر: أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكي القرشي (ت ١٠٤هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام أبو النيل، نشر دار الفكر الإسلامي الحديثة، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ .
٥٩. تفسير مقاتل: مقاتل بن سليمان: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت ١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، نشر دار إحياء التراث، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ .
٦٠. تفسير نور الثقلين: الحويزي: عبد علي بن جمعة العروسي (ت ١١١٢هـ)، مطبعة مؤسسة إسماعيليان، قم - إيران، الطبعة الرابعة، ١٤١٢ هـ .

٦١. التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب: محمد هادي معرفة (ت١٤٢٧هـ)، نشر مؤسسة الطبع والنشر في الروضة الرضوية المقدسة، مشهد - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ .
٦٢. التفسير والمفسرون: الذهبي: محمد السيد حسين (ت١٣٩٨هـ)، نشر مكتبة وهبة، القاهرة - مصر، (د.ط)، (د.ت) .
٦٣. تفسير وتفاسير شيعة (فارسي): عبد الحسين الصالحي، نشر مؤسسة حديث امروز، طبعة الهادي، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ .
٦٤. تكملة أمل الآمل: حسن الصدر: حسن بن هادي بن محمد علي (ت١٣٥٤هـ)، تحقيق: حسين علي محفوظ وآخرون، دار المؤرخ العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ .
٦٥. التناص القرآني في دعاء السمات: أ. د عماد جبار داود، مجلة المصباح، العدد السابع والأربعون، محرم الحرام: ١٤٤٤ هـ الموافق ل آب : ٢٠٢٢ م .
٦٦. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس : ينسب لعبد الله بن عباس (ت٦٨هـ)، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (د.ط)، (د.ت) .
٦٧. تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد: الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ)، تحقيق: حسن الموسوي الخرسان، نشر دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧ هـ .
٦٨. تهذيب اللغة: الأزهري: أبو منصور محمد بن أحمد الهروي (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ .
٦٩. التوحيد: الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ)، تحقيق: هاشم الحسيني الطهراني، نشر مؤسسة النشر الإسلامي، قم - إيران، (د.ط)، (د.ت) .

٧٠. توشيح الوافية بمعانٍ كافية (من أوله إلى نهاية باب المصغر) محسن بن محمد طاهر القزويني (ت ١١٥٠هـ)، أطروحة دكتوراه تقدّم بها الطالب سجّاد محمد ضرب، جامعة البصرة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠٢٢ م .
٧١. توضيح آيات الأحكام: أبو الفتح الجرجاني: ثابت بن محمد (٩٧٦هـ)، تحقيق: ولي الله الاشرافي، مطبعة آرمان، طهران - إيران، (د.ط)، ١٤٠٤هـ .
٧٢. الثقات: ابن حبان: أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البُستي (ت ٣٥٤هـ)، نشر دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الهند، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ .
٧٣. ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: محمد مهدي الخرسان، مطبعة أمير، قم - إيران، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ .
٧٤. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الآملي (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية، نشر دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ .
٧٥. جامع الرواة وإزاحة الاشتباهات عن الطرق والاسناد: الأردبيلي: محمد بن علي الأردبيلي الغروي (ت ١١٠١هـ)، نشر مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم - إيران، (د.ط)، ١٤٠٣هـ .
٧٦. الجامع الصغير: السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ .
٧٧. الجامع الكبير (سنن الترمذي): الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سؤرة (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، (د.ط)، ١٤١٧هـ .
٧٨. الجامع في الحديث: ابن وهب: أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري (ت ١٩٧هـ)، تحقيق: مصطفى حسن حسين محمد أبو الخير، نشر دار ابن الجوزي، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ .

٧٩. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): القرطبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر دار الكتب المصرية، القاهرة - مصر، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ.

٨٠. جمهرة اللغة: ابن دريد: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، نشر دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٨١. جمهرة أنساب العرب: ابن حزم الأندلسي: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

٨٢. جوامع الجامع: الطبرسي: أبو علي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٨٣. الجواهر السنية في الأحاديث القدسية: الحر العاملي: محمد بن الحسن بن علي بن الحسين (ت ١١٠٤هـ)، مطبعة النعمان، النجف الأشرف - العراق، (د.ط)، ١٣٨٤هـ.

٨٤. الحجة في القراءات السبع: ابن خالويه: أبو عبد الله الحسين بن أحمد (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، نشر دار الشروق، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠١هـ.

٨٥. الحجة للقراء السبعة: أبو علي الفارسي: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار (ت ٣٧٧هـ)، تحقيق: بدر الدين قهوجي وبشير جويجاني، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق، نشر دار المأمون للتراث، دمشق - سوريا، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.

٨٦. الحقائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة: يوسف البحراني: يوسف بن أحمد بن إبراهيم الدرزي (ت ١١٨٦هـ)، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران، (د.ط)، (د.ت).

٨٧. حقّ اليقين: عبد الله شبر (ت١٢٤٢هـ)، نشر مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
٨٨. حقائق التأويل في متشابه التنزيل: الشريف الرضي: أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى الموسوي (ت٤٠٦هـ)، نشر دار المهاجر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، (د.ط.)، (د.ت) .
٨٩. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم الأصبهاني: أحمد بن عبد الله بن أحمد (ت٤٣٠هـ)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (د.ط.)، ١٤٠٩هـ.
٩٠. الحماسة المغربية (مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب): الجرّاوي: أبو العباس أحمد بن عبد السلام التادلي (ت٦٠٩هـ)، تحقيق: محمد رضوان الداية، نشر دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ .
٩١. الحيوان: الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الليثي (ت٢٥٥هـ)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ .
٩٢. خزانة الأدب وغاية الأرب: ابن حجّة الحموي: تقي الدين أبي بكر علي بن محمد (ت٨٣٧هـ)، نشر دار القاموس الحديث للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، (د.ط.)، (د.ت) .
٩٣. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: البغدادي: عبد القادر بن عمر (ت١٠٩٣هـ)، تحقيق: محمد نبيل طريفي، إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
٩٤. الخصال: الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران، (د.ط.)، ١٤٠٣هـ.
٩٥. خصائص الأئمة: الشريف الرضي: أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي (ت٤٠٦هـ)، تحقيق: محمد هادي الأميني، نشر مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، إيران، (د.ط.)، ١٤٠٦هـ .

٩٦. الخصائص: ابن جني: أبو الفتح عثمان الموصلي(ت٣٩٢هـ)، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة - مصر، الطبعة الرابعة، (د.ت) .
٩٧. خلاصة الأقوال في معرفة الرجال: العلامة الحلي: أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي(ت٧٢٦هـ)، تحقيق: جواد القيومي، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، نشر مؤسسة نشر الفقاهة، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ .
٩٨. دراسة في تحقيق مخطوطة(منتهى الغايات في فضائل السور والآيات) للملا محسن بن محمد طاهر القزويني: د. سمية حسن عليان، د. فاطمة السلامي، د. هادي التميمي، بحث منشور في مجلة اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الكوفة، العدد ٣٧، لسنة ٢٠٢٣ / نيسان.
٩٩. ديوان أبي العتاهية: أبو العتاهية: أبو اسحاق اسماعيل بن القاسم بن سويد(ت٢١١هـ)، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، طبع دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ .
١٠٠. ديوان الأعشى: الأعشى: أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل البكري(ت٧هـ)، تحقيق: كامل سليمان، دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، (د.ت) .
١٠١. ديوان جرير: جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي التميمي(ت١١٠هـ)، نشر دار بيروت، بيروت - لبنان، (د.ط)، ١٤٠٦ هـ .
١٠٢. ديوان الخنساء: الخنساء: تماضر بنت عمرو بن الحارث السلمي(ت٢٦هـ)، دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٥ هـ .
١٠٣. ديوان العجاج: العجاج، عبد الله بن روبة بن لبيد بن صخر(ت١٤٥هـ): رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي وشرحه، تحقيق: عزّة حسن، نشر دار التراث العربي، بيروت - لبنان، (د.ط)، ١٤١٦ هـ .
١٠٤. ديوان ذي الرمة: ذو الرمة: أبو الحارث غيلان بن عقبة بن بهيش(ت١١٧هـ)، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح، نشر مؤسسة الإيمان،

- جدة - السعودية، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى،  
١٤٠٢هـ، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ .
١٠٥. ديوان زهير بن أبي سلمى: زهير بن أبي سلمى بن رباح المزني المصري،  
نشر دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ .
١٠٦. ديوان عنتر بن شداد: عنتر بن شداد العبسي (ت٦١٥م)، دار المعرفة،  
بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ .
١٠٧. ديوان الفرزدق: الفرزدق: أبو فراس همام بن غالب بن صعصعة  
المجاشعي (ت١١٠هـ)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (د.ط)،  
(د.ت).
١٠٨. ديوان كثير عزة: أبو صخر كثير بن عبد الرحمن بن أبي جمعة الأسود  
الخزاعي (ت١٠٥هـ)، جمعه وشرحه: إحسان عباس، نشر دار الثقافة، بيروت  
- لبنان، (د.ط)، ١٣٩١هـ .
١٠٩. ديوان لبيد: أبو عقيل لبيد بن ربيعة بن مالك العامري (ت٤١هـ)، نشر دار  
المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ .
١١٠. ديوان مجنون ليلى: قيس بن الملوّح: قيس بن الملوّح بن مزاحم بن عدس  
العامري (ت٦٨هـ)، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، نشر دار مصر للطباعة،  
القاهرة - مصر، (د.ط)، (د.ت) .
١١١. ديوان مهيار الديلمي: مهيار الديلمي: أبو الحسين مهيار بن  
مرزويه (ت٤٢٨هـ)، مطبعة دار الكتب المصريّة، القاهرة - مصر، الطبعة  
الأولى، ١٣٤٤هـ .
١١٢. ديوان يزيد بن مفرغ الحميري: ابن مفرغ الحميري: يزيد بن  
ربيعة (ت٦٩هـ)، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح، نشر مؤسسة الرسالة،  
بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ .
١١٣. ديوان يزيد بن مفرغ الحميري: يزيد بن مفرغ الحميري: يزيد بن زياد بن  
ربيعة (ت٦٩هـ)، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح، نشر مؤسسة الرّسالة،  
بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ .



١١٤. الذخيرة في علم الكلام: الشريف المرتضى: علم الهدى علي بن الحسين الموسوي(ت٤٣٦هـ)، تحقيق: أحمد الحسيني، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران، (د.ط)، ١٤١١ هـ .
١١٥. الذريعة إلى تصانيف الشيعة: الطهراني: آقا بزرك محمد محسن(ت ١٣٨٩هـ)، دار الأضواء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، (د ت).
١١٦. راهنماي نسخه هاي خطي كتابخانه بزرك حضرت آيت الله العظمى مرعشي نجفي(كنجينه مخطوطات إسلامي): إعداد: مير محمود موسوي، وحسين نجفي، إشراف: محمود مرعشي نجفي، نشر منشورات مكتبة المرعشي النجفي، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ .
١١٧. رجال ابن الغضائري: ابن الغضائري: أحمد بن الحسين الواسطي البغدادي(ت ق٥٥هـ)، تحقيق: محمد رضا الجلاي، مطبعة سرور، تشر دار الحديث للطباعة والنشر، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ .
١١٨. رجال ابن داود: ابن داود الحلبي: تقي الدين أبو محمد الحسن بن علي(ت بعد٧٠٧هـ) ، تحقيق: محمد صادق آل بحر العلوم، نشر منشورات مطبعة الحيدرية، النجف الأشرف - العراق، (د.ط)، ١٣٩٢ هـ .
١١٩. رجال الطوسي: الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن(ت٤٦٠هـ)، تحقيق: جواد القيومي الإصفهاني، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ .
١٢٠. رسالة خلق الأعمال: الدواني: جلال الدين محمد بن سعد(ت٩١٨هـ)، تحقيق: أحمد تويسركاني، نشر مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام العامة، أصفهان - إيران، (د.ط)، (د.ت) .
١٢١. روح البيان في تفسير القرآن: إسماعيل حقي الإستانبولي: أبو الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي (ت١١٢٧هـ)، نشر دار الفكر، بيروت - لبنان، (د.ط)، (د.ت) .

١٢٢. الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية: الشهيد الثاني: زين الدين الجبعي العاملي (ت ٩٦٥هـ)، تحقيق: محمد كلانتر، نشر مكتبة الداوري، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ .
١٢٣. روضة الواعظين: الفتال النيسابوري: أبو علي محمد بن الحسن بن علي (ت ٥٠٨هـ)، تحقيق: محمد مهدي الخرسان، منشورات الشريف الرضي، قم - إيران، (د.ط)، (د.ت) .
١٢٤. الزاهر في معاني كلمات الناس: أبو بكر الأنباري: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق: حاتم صالح الضامن، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ .
١٢٥. زبدة التقاسير: فتح الله بن شكر الله الكاشاني (ت ٩٨٨هـ)، تحقيق: مؤسسة المعارف، مطبعة عترت، نشر مؤسسة المعارف الإسلامية، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ .
١٢٦. الزهد لو كيع: وكيع الرؤاسي: أبو سفيان وكيع بن الجراح بن مليح (ت ١٩٧هـ)، تحقيق أحمد فريد المزيدي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (د.ط)، (د.ت) .
١٢٧. زهر الآداب وثمر الألباب: القيرواني: أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري (ت ٤٥٣هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، طبعة دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، ١٣٩٣هـ .
١٢٨. السبعة في القراءات: ابن مجاهد: أبو بكر أحمد بن موسى التميمي (ت ٣٢٤هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، نشر دار المعارف، القاهرة - مصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ .
١٢٩. السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي: ابن إدريس الحلبي: أبو جعفر محمد بن منصور بن أحمد (ت ٥٩٨هـ)، تحقيق: لجنة التحقيق، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ .

١٣٠. سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ: ابن القاصح: أبو القاسم علي بن عثمان بن محمد المقرئ (ت ٨٠١هـ)، نشر مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة - مصر الطبعة الثالثة، ١٣٧٣هـ.
١٣١. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: الخطيب الشربيني: شمس الدين محمد بن أحمد الشافعي (ت ٩٧٧هـ)، نشر مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة - مصر، (د.ط)، ١٢٨٥هـ.
١٣٢. سرّ الفصاحة: ابن سنان الخفاجي: أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد الحلبي (ت ٤٦٦هـ)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.
١٣٣. سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر: ابن معصوم الحسيني: صدر الدين علي بن نظام الدين الشهير بالسيد علي خان المدني (ت ١١٢٠هـ)، نشر أحمد ناجي الجمالي ومحمد أمين الخانجي، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ١٣٢٤هـ.
١٣٤. سمط اللآلي في شرح أمالي القالي: أبو عبيد البكري: عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي (ت ٤٨٧هـ)، تحقيق: عبد العزيز الميمني، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (د.ط)، (د.ت).
١٣٥. سنن ابن ماجة: ابن ماجة: محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق - سوريا، (د.ط)، (د.ت).
١٣٦. سنن أبي داود: أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: سعيد محمد اللحام، نشر دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
١٣٧. سنن الدارمي: الدارمي: أبو محمد عبد الله بن الرحمن بن الفضل التميمي (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، نشر دار المغني للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

١٣٨. السنن الكبرى: البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي الخُسرُوْجِردِي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ.
١٣٩. السنن الكبرى: النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
١٤٠. سير أعلام النبلاء: الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.
١٤١. السيرة النبوية: ابن هشام: جمال الدين أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، نشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة - مصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ.
١٤٢. الشافي في الإمامة: الشريف المرتضى: علم الهدى علي بن الحسين الموسوي (ت٤٣٦هـ)، نشر مؤسسة اسماعيليان، قم - إيران، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ.
١٤٣. الشافي في شرح الكافي: خليل بن غازي القزويني (ت١٠٨٩هـ)، نشر دار الحديث، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.
١٤٤. الشافية في علم التصريف: ابن الحاجب: أبو عمرو جمال الدين عثمان بن عمر المالكي (ت٦٤٦هـ)، تحقيق: حسن احمد العثمان، نشر المكتبة المكيّة، مكّة - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
١٤٥. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ابن عقيل: عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني (ت٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة - مصر، الطبعة الرابعة عشرة، ١٣٨٤هـ.

١٤٦. شرح أصول الكافي: المازندراني: محمد صالح بن أحمد سروي (ت ١٠٨١هـ)  
تحقيق: أبو الحسن الشعراني، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان،  
الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ .
١٤٧. شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو:  
خالد الأزهرى: زين الدين خالد بن عبد الله بن أبي بكر الجرجاوي (ت ٩٠٥هـ)،  
نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ .
١٤٨. شرح الرضي على الكافية: رضي الدين الأسترآبادي: رضي الدين محمّد  
بن الحسن (ت ٦٨٦هـ)، نشر مؤسسة الصادق، طهران - إيران، (د.ط)،  
١٣٩٥ هـ .
١٤٩. شرح المعلقات التسع: الشيباني: أبو عمرو إسحاق بن مرار (ت ٢٠٦ هـ)،  
تحقيق: عبد المجيد همو، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان،  
الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ .
١٥٠. شرح المعلقات السبع: الرّوزني: أبو عبد الله حسين بن أحمد بن  
حسين (ت ٤٨٦هـ)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة  
الأولى، ١٤٢٣ هـ .
١٥١. شرح المقاصد في علم الكلام: التفتازاني: سعد الدين مسعود بن عمر بن  
عبد الله (ت ٧٩٢هـ)، دار المعارف النعمانيّة، باكستان، الطبعة الأولى،  
١٤٠١ هـ .
١٥٢. شرح ديوان المتنبي: العكبري: محب الدين أبو البقاء عبد الله بن الحسين  
البغدادي (ت ٦١٦هـ)، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ  
شلبي، نشر دار المعرفة، بيروت - لبنان، (د.ط)، (د.ت) .
١٥٣. شرح شافية ابن الحاجب: رضي الدين الأسترآبادي: رضي الدين محمّد بن  
الحسن (ت ٦٨٦هـ)، تحقيق: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد محيي الدين  
عبد الحميد، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (د.ط)، ١٣٩٥ هـ .

١٥٤. شرح طيبة النشر في القراءات العشر: الثؤيري: محب الدين أبو القاسم محمد بن محمد بن محمد (ت٨٥٧هـ)، تحقيق: مجدي محمد سرور سعد باسلوم، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ .
١٥٥. شرح طيبة النشر في القراءات: ابن الجزري: شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف (ت٨٣٣هـ)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ هـ.
١٥٦. شعب الإيمان: البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسن (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ.
١٥٧. الشعر والشعراء: ابن قتيبة الدينوري: أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ)، نشر دار الحديث، القاهرة - مصر، (د.ط)، ١٤٢٣ هـ .
١٥٨. الشيعة في الميزان: محمد جواد مغنية (ت١٤٠٠هـ)، نشر دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، ١٣٩٩ هـ .
١٥٩. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، مطبعة دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧ هـ .
١٦٠. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد التميمي (ت٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ.
١٦١. صحيح البخاري: البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، نشر دار طوق النجاة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ .
١٦٢. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج: أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، (د.ط)، (د.ت) .

١٦٣. الصحيفة السّجاديّة: الإمام زين العابدين ع: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام (ت ٩٤هـ)، تحقيق: محمد باقر الموحّد الأبطحي الأصفهاني، مطبعة نمونه، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ + نشر دفتر نشر الهادي، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
١٦٤. صيغ النكاح: محسن القزويني: محسن بن محمد بن طاهر (ت ١١٥٠هـ)، مخطوط، مكتبة مجلس الشورى الإسلامي، إيران.
١٦٥. طبقات أعلام الشيعة: الطهراني: آقا بزرك محمد محسن (ت ١٣٨٩هـ)، دار إحياء التراث، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٤٠هـ .
١٦٦. طبقات الشافعية الكبرى: السبكي: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت ٧٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، نشر هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.
١٦٧. طبقات الشافعية: ابن قاضي شهبه: تقي الدين أبو بكر بن أحمد بن محمد الشهبي (ت ٨٥١هـ)، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، نشر عالم الكتب، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ .
١٦٨. طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم وقرائهم: ابن السّلال: عبد الوهاب بن يوسف بن إبراهيم الشافعي (ت ٧٨٢هـ)، تحقيق: أحمد محمد عزوز، نشر المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ .
١٦٩. الطبقات الكبرى: ابن سعد: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري (ت ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد بن صامل السلمي، نشر مكتبة الصّدّيق، الطائف - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ .
١٧٠. عقائد الإمامية: محمد رضا المظفر (ت ١٣٨٣هـ)، مطبعة بهمن، نشر انتشارات أنصاريان، قم - إيران، (د.ط.)، (د.ت).
١٧١. العقد الفريد: ابن عبد ربه الأندلسي: أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد (ت ٣٢٨هـ)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ .



١٧٢. علل الشرائع: الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف الأشرف - العراق، (د.ط)، ١٣٨٥هـ.
١٧٣. علوم القرآن التاريخية (تاريخ القرآن): محمد كاظم الفتلاوي، نشر مؤسسة دار الصادق الثقافية، العراق، الطبعة الأولى، ١٤٤٤هـ .
١٧٤. علوم القرآن: محمد باقر الحكيم (ت ١٤٢٤هـ)، طبعة دار الهادي، نشر مجمع الفكر الإسلامي، قم - إيران، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ .
١٧٥. علوم القرآن الموضوعية: محمد كاظم الفتلاوي، نشر دار التوحيد، كربلاء - العراق، الطبعة الأولى، ١٤٤٥هـ.
١٧٦. عمدة القاري شرح صحيح البخاري: العيني: أبو محمد بدر الدين محمود بن أحمد (ت ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث، بيروت - لبنان، (د.ط)، (د.ت).
١٧٧. عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية: ابن أبي جمهور الأحسائي: محمد بن علي بن إبراهيم (ت ٨٨٠هـ)، تحقيق: آقا مجتبی العراقي، مطبعة سيد الشهداء عليه السلام، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ .
١٧٨. العوامل تأليف العلامة ملا محسن بن محمد طاهر القزويني: فليح خضير شني، وآلاء عبد نعيم، بحث منشور في مجلة كلية التربية، جامعة واسط، المجلد الأول، العدد التاسع .
١٧٩. العين: الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، نشر مؤسسة دار الهجرة، قم - إيران، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ .
١٨٠. عيون أخبار الرضا (ع): الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: حسين الأعلمي، مطابع مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان، (د.ط)، ١٤٠٤هـ .
١٨١. عيون الأخبار: ابن قتيبة الدينوري: أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (د.ط)، ١٤١٨هـ .

١٨٢. غاية النهاية في طبقات القراء: ابن الجزري: شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف (ت ٨٣٣هـ)، نشر مكتبة ابن تيمية، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥١ هـ .
١٨٣. غريب الحديث: إبراهيم الحربي: أبو اسحاق إبراهيم بن إسحاق بن بشير البغدادي (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: سليمان إبراهيم محمد العايد، نشر جامعة أم القرى، مكة المكرمة - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ .
١٨٤. غريب الحديث: ابن سلام: أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي (ت ٢٢٤هـ)، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، نشر مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الهند، الطبعة الأولى، ١٣٨٤ هـ .
١٨٥. غريب الحديث: ابن قتيبة الدينوري: أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: عبد الله الجبوري، نشر مطبعة العاني، بغداد - العراق، الطبعة الأولى، ١٣٩٧ هـ .
١٨٦. غيث النفع في القراءات السبع: الصفاقسي: أبو الحسن علي بن محمد بن سالم النوري (ت ١١١٨هـ)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ .
١٨٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ)، طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، (د.ت) .
١٨٨. الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي: المناوي: محمد بن عبد الرؤوف بن تاج العارفين (ت ١٠٣١هـ)، تحقيق: أحمد مجتبي، نشر دار العاصمة، الرياض - السعودية، (د.ط)، (د.ت) .
١٨٩. الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري: الحسن بن عبد الله بن سهل (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ .

١٩٠. الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم الأندلسي: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد القرطبي الظاهري (ت٤٥٦هـ)، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، (د.ط)، (د.ت) .
١٩١. الفصول المهمة في أصول الأئمة: الحر العاملي: محمد بن الحسن بن علي(ت١١٠٤هـ)، تحقيق: محمد بن محمد الحسين القائيني، مطبعة نكين، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ .
١٩٢. فقه القرآن: الراوندي: قطب الدين سعيد بن هبة الله(ت٥٧٣هـ)، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، نشر مكتبة آية الله العظمى النجفي المرعشي، قم - إيران، الطبعة الثانية، ١٤٠٥ هـ .
١٩٣. الفكر السلفي عند الاثنا عشرية: علي الجابري، نشر منشورات دار الحسين، كربلاء - العراق، الطبعة الأولى، ١٤٣٦ هـ .
١٩٤. فهارس رياض السالكين: محمد حسين المظفر(ت١٣٨١هـ)، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ .
١٩٥. فهرس فنخا(الفهرس الموحد للمخطوطات الإيرانية): مصطفى درايي، نشر منظمة الوثائق والمكتبة الوطنية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، طهران - إيران، ١٤٣٢ هـ .
١٩٦. فهرست أسماء مصنفي الشيعة(رجال النجاشي): النجاشي: أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد الأسدي الكوفي(ت٤٥٠هـ)، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، الطبعة الخامسة، ١٤١٦ هـ .
١٩٧. فهرست منتجب الدين: منتجب الدين بن بابويه: منتجب الدين علي بن بابويه الرازي(ت٥٨٥هـ)، تحقيق: سيد جلال الدين محدث الأرموي، نشر مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، مطبعة مهر، قم - إيران، (د.ط)، ١٣٦٦ هـ ش .

١٩٨. الفهرست: ابن النديم: أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي (ت ٤٣٨هـ)، تحقيق: إبراهيم رمضان، نشر دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٧ هـ .
١٩٩. الفهرست: الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: جواد القيومي الإصفهاني، نشر مؤسسة النشر الإسلامي، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ .
٢٠٠. الفوائد الرجالية: مهدي بحر العلوم (ت ١٢١٢هـ)، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، حسين بحر العلوم، مطبعة آفتاب، نشر مكتبة الصادق، طهران - إيران، الطبعة الأولى، ١٣٦٣ هـ ش .
٢٠١. الفوائد الرضوية في أحوال علماء المذهب الجعفرية: عباس القمي: عباس بن محمد رضا بن أبي القاسم (ت ١٣٥٩هـ)، نشر دار بوستان للنشر، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ .
٢٠٢. فيض القدير شرح الجامع الصغير: المناوي: محمد بن عبد الرؤوف بن تاج العارفين (ت ١٠٣١هـ)، تحقيق: أحمد عبد السلام، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ .
٢٠٣. القاموس المحيط: الفيروزآبادي: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، نشر مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦ هـ .
٢٠٤. قصص الأنبياء: ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، نشر مطبعة دار التأليف، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ١٣٨٨ هـ .
٢٠٥. قصص الأنبياء: الراوندي: قطب الدين سعيد بن هبة الله (ت ٥٧٣هـ)، تحقيق: غلام رضا عرفانيان اليزدي، مؤسسة الهادي، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ .

٢٠٦. الكافي: الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي (ت ٣٢٩هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، نشر دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨ هـ .
٢٠٧. الكامل في التاريخ: ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني (ت ٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، نشر دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.
٢٠٨. كتاب الأربعين حديثاً في إثبات إمامة أمير المؤمنين ع: الماحوزي: سليمان بن عبد الله البحراني (ت ١١٢١هـ)، تحقيق: مهدي رجائي، مطبعة أمير، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ .
٢٠٩. الكتاب: سيويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي (ت ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨ هـ.
٢١٠. كتاب سليم بن قيس: سليم بن قيس الهلالي الكوفي (ت ٧٦هـ)، تحقيق: محمد باقر الأنصاري الزنجاني، نگارش، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ .
٢١١. كشف القناع عن متن الإقناع: البهوتي: منصور بن يونس بن صلاح الدين (ت ١٠٥١هـ)، تحقيق: أبو عبد الله محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.
٢١٢. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: الزمخشري: أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد، (ت ٥٣٨هـ)، نشر دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ .
٢١٣. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني (ت ١٠٦٧هـ)، نشر مكتبة المثنى، بغداد - العراق، (د.ط)، ١٣٦٢ هـ.
٢١٤. كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء: جعفر كاشف الغطاء (ت ١٢٢٨هـ)، تحقيق: عباس التبريزيان، محمد رضا الذاكري وعبد الحليم الحلبي، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ .

٢١٥. كشف اللثام عن قواعد الأحكام: الفاضل الهندي: محمد بن الحسن الأصفهاني(ت١١٣٧هـ)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
٢١٦. كشف المحجة لثمره المهجة: ابن طاووس: رضي الدين أبي القاسم علي بن موسى بن جعفر الحسني(ت٦٦٤هـ)، نشر المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف - العراق، (د.ط.)، ١٣٧٠هـ .
٢١٧. الكشف والبيان عن تفسير القرآن(تفسير الثعلبي): الثعلبي: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري(ت٤٢٧هـ)، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ .
٢١٨. كليات في علم الرجال: جعفر السبحاني، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ .
٢١٩. الكليني والكافي: عبد الرسول الغفار، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ .
٢٢٠. كمال الدين وتمام النعمة: الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي(ت٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران، (د.ط.)، ١٤٠٥هـ.
٢٢١. كنز العرفان في فقه القرآن: المقداد السيوري: جمال الدين المقداد بن عبد الله(ت٨٢٦هـ)، مطبعة حيدري، طهران - إيران، (د.ط.)، ١٣٨٤هـ .
٢٢٢. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: المتقي الهندي: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، (د.ط.)، ١٤٠٩هـ.
٢٢٣. الكنز في القراءات العشر: أبو محمد الواسطي: تاج الدين عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه(ت٧٤١هـ)، تحقيق: خالد المشهداني، نشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ .

٢٢٤. الكنى والأسماء: الدولابي: أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الرازي(ت٣١٠هـ)، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، نشر دار ابن حزم، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ .
٢٢٥. الكنى والألقاب: عباس القمي: عباس بن محمد رضا بن أبي القاسم(ت١٣٥٩هـ)، طبعة مكتبة الصدر، طهران - إيران، (د.ط)، (د.ت) .
٢٢٦. لباب التأويل في معاني التنزيل(تفسير الخازن): الخازن: أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد الشيعي(ت٧٤١هـ)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ .
٢٢٧. لسان العرب: ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفرقي(ت٧١١هـ)، نشر أدب الحوزة، قم - إيران، (د.ط)، ١٤٠٥ هـ .
٢٢٨. اللعة الدمشقية: الشهيد الأول: محمد بن جمال الدين مكي العاملي(ت٧٨٦هـ)، مطبعة قدس، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ .
٢٢٩. مائة قاعدة فقهية: محمد كاظم المصطفوي، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران، الطبعة الثالثة المنقحة، ١٤١٧ هـ .
٢٣٠. مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، نشر دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة والعشرون، ١٤٢١ هـ .
٢٣١. المبسوط في القراءات العشر: ابن مهران: أبو بكر أحمد بن الحسين النيسابوري(ت٣٨١هـ)، تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي، نشر مجمع اللغة العربية، دمشق - سوريا، (د.ط)، ١٤٠٢ هـ .
٢٣٢. المجالسة وجواهر العلم: أبو بكر الدينوري: أحمد بن مروان المالكي(ت٣٣٣هـ) تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، نشر دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ١٤١٩ هـ .
٢٣٣. مجمع البحرين: الطريحي: فخر الدين محمد بن علي بن أحمد(ت١٠٨٥هـ)، تحقيق: أحمد الحسيني، مطبعة چاپخانه طراوت، طهران - إيران، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ .



٢٣٤. مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي: أبو علي الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
٢٣٥. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: الهيتمي: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (ت٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، نشر مكتبة القدسي، القاهرة - مصر، ١٤١٤هـ.
٢٣٦. المجموع الليفي: ابن هبة الله: أمين الدولة أبو جعفر محمد بن محمد العلوي الأفيطي (توفي بعد ٥١٥هـ)، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
٢٣٧. المحاسن: البرقي: أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد (ت٢٧٤هـ)، نشر دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران، (د.ط)، ١٣٧٠هـ .
٢٣٨. محاضرات في تاريخ الدولة الإسلامية: محمد محمود الساداتي، نشر دار الثقافة، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ.
٢٣٩. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية: أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي (ت٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ .
٢٤٠. المحكم والمحيط الأعظم: ابن سيده: علي بن إسماعيل الأندلسي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ .
٢٤١. مختار الصحاح: الرازي: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، نشر المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ .
٢٤٢. مختصر التبيين لهجاء التنزيل: سليمان بن نجاح: أبو داود سليمان بن نجاح بن أبي القاسم الأندلسي (ت٤٩٦هـ)، نشر مجمع الملك فهد، المدينة المنورة - السعودية، (د.ط)، ١٤٢٣هـ.

٢٤٣. مختصر المعاني: التفتازاني: سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله الشافعي(ت٧٩٢هـ)، نشر دار الفكر، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
٢٤٤. المختصر في أخبار البشر: أبو الفداء: عماد الدين إسماعيل بن علي(٧٣٢هـ)، نشر المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، (د.ت).
٢٤٥. المخصص: ابن سيده: علي بن إسماعيل الأندلسي(ت٤٥٨هـ)، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، (د.ط)، (د.ت).
٢٤٦. مدارك الأحكام في شرح شرائع الإسلام: محمد العاملي: محمد بن علي الموسوي(ت١٠٠٩هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، طبعة مهر، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
٢٤٧. مدارك التنزيل وحقائق التأويل(تفسير النسفي): النسفي: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود(ت٧١٠هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، نشر دار الكلم الطيب، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
٢٤٨. مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول(ع): المجلسي: محمد باقر بن محمد تقي(ت١١١١هـ)، تحقيق: محسن الأميني، مطبعة خورشيد، طهران - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، مطبعة مروي، طهران - إيران، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.
٢٤٩. المزار الكبير: محمد بن المشهدي: أبو عبد الله محمد بن جعفر بن علي الحائري(ت٦هـ)، تحقيق: جواد القيومي الاصفهاني، طبعة مؤسسة النشر الإسلامي، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
٢٥٠. المزهري في علوم اللغة وأنواعها: السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت٩١١هـ)، تحقيق: فؤاد علي منصور، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٢٥١. مسالك الأفهام إلى آيات الأحكام: الجواد الكاظمي: أبو عبد الله محمد بن سعد الله (ت ق ١١١هـ)، تحقيق: محمد الباقر بهبودي، مطبعة چاپخانه حيدري، طهران - إيران، (د.ط)، ١٣٤٧هـ.
٢٥٢. المستدرک على الصحيحين: الحاكم النيسابوري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد (ت ٤٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت - لبنان، (د.ط)، (د.ت).
٢٥٣. مستدرکات أعيان الشيعة: حسن الأمين (ت ١٣٩٩هـ)، مطبعة دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، (د.ط)، ١٤٠٩هـ.
٢٥٤. مستدرکات علم رجال الحديث: علي النمازي الشاهرودي (ت ١٤٠٥هـ)، مطبعة حيدري، طهران - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
٢٥٥. مستطرفات السرائر: ابن إدريس الحلي: أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٥٩٨هـ)، تحقيق: لجنة التحقيق، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ.
٢٥٦. مسند أحمد: أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
٢٥٧. مسند البزار (البحر الزخار): البزار: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكي (ت ٢٩٢هـ)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد وصبري عبد الخالق الشافعي، نشر مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.
٢٥٨. مسند الشاميين: الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد اللخمي الشامي (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
٢٥٩. مشارق الأنوار على صحاح الآثار: القاضي عياض: أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت ٥٤٤هـ)، نشر دار التراث، القاهرة - مصر، المكتبة العتيقة، تونس، (د.ط)، (د.ت).

٢٦٠. مصباح الزائر: ابن طاووس: رضي الدين علي بن موسى بن جعفر (٦٦٤هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت (ع) لتحقيق التراث، مطبعة ستارة، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ .
٢٦١. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: الفيومي: أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الحموي (ت ٧٧٠هـ)، نشر المكتبة العلمية، بيروت - لبنان، (د.ط)، (د.ت) .
٢٦٢. المصباح (جنة الأمان الواقية وجنة الايمان الباقية): إبراهيم الكفعمي: تقي الدين إبراهيم بن علي الحسن بن محمد العاملي (ت ٩٠٥هـ)، نشر مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣ هـ .
٢٦٣. المصنّف: الصنعاني: أبو بكر عبد الرزاق بن همام (ت ٢١١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، منشورات المجلس العلمي، جنوب أفريقيا، الطبعة الأولى، ١٣٧٠ هـ.
٢٦٤. المطوّل مع حاشية المؤلّ: التفتازاني: سعد الدين مسعود بن عمر (ت ٧٩٢هـ)، مكتبة المدينة للطباعة والنشر، كراتشي - باكستان، (د.ط)، ١٤٣٧ هـ.
٢٦٥. المعارف: ابن قتيبة الدينوري: أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: دكتور ثروت عكاشة، مطابع دار المعارف، القاهرة - مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٠ هـ .
٢٦٦. معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي): البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد (ت ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ .
٢٦٧. معالم العلماء: ابن شهر آشوب: رشيد الدين أبي عبد الله محمد بن علي المازندراني (ت ٥٨٨هـ)، نشر دار الأضواء، بيروت - لبنان، (د.ط)، (د.ت) .
٢٦٨. معاني القرآن: الفراء: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الديلمي (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار وعبد

- الفتاح إسماعيل الشلبي، نشر دار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، (د.ت).
٢٦٩. معاني القرآن وإعرابه: الزجاج: أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل (ت٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، نشر عالم الكتب، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ .
٢٧٠. معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت٦٢٦هـ)، تحقيق: إحسان عباس، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.
٢٧١. المعجم الأوسط: الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، نشر دار الحرمين، القاهرة - مصر، (د.ط)، (د.ت) .
٢٧٢. معجم البلدان: ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت٦٢٦هـ)، نشر دار صادر، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٦ هـ.
٢٧٣. معجم رجال الحديث: الخوئي: أبو القاسم بن علي أكبر بن هاشم الموسوي (ت١٤١٣هـ)، مطابع نشر الثقافة الإسلامية، طهران - إيران، الطبعة الخامسة، ١٤١٣ هـ.
٢٧٤. المعجم الكبير: الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، نشر دار إحياء التراث، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، (د.ت) .
٢٧٥. معجم المؤلفين: عمر كحاله، نشر مكتبة المثنى، بيروت - لبنان، ودار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، (د.ط)، (د.ت) .
٢٧٦. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع: أبو عبيد البكري: عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي (ت٤٨٧هـ)، نشر عالم الكتب، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ .

٢٧٧. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ .
٢٧٨. مغنى اللبيب عن كتب الأعراب: ابن هشام الأنصاري: جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف (ت٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم - إيران، (د.ط)، ١٤٠٤ هـ .
٢٧٩. مفاتيح الجنان: القمي: عباس بن محمد رضا (ت١٣٥٩هـ)، مطبعة البعثة، قم - إيران، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧ هـ .
٢٨٠. مفاتيح الشرائع: الفيض الكاشاني: محمد محسن بن مرتضى بن محمود (ت١٠٩١هـ)، تحقيق: مهدي الرجائي، مطبعة الخيام، قم - إيران، (د.ط)، ١٤٠١ هـ .
٢٨١. مفاتيح الغيب (تفسير الرازي): الرازي: فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عامر (ت٦٠٦هـ)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠ هـ .
٢٨٢. مفاهيم القرآن: جعفر السبحاني، مطبعة مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم - إيران، الطبعة الثالثة، ١٤٢٨ هـ .
٢٨٣. مفتاح الجنان: المجلسي: محمد باقر بن محمد تقي (ت١١١١هـ)، منشورات الأعلمي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٤٨ هـ .
٢٨٤. المفسرون حياتهم ومنهجهم: محمد علي أيازي: نشر مؤسسة الطباعة والنشر، طهران - إيران، الطبعة الأولى، ١٣٨٦ هـ .
٢٨٥. المفصل في تراجم الأعلام: أحمد الحسيني، نشر مجمع الذخائر الإسلامية، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٣٦ هـ .
٢٨٦. المفصل في صنعة الإعراب: الزمخشري: أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد، (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: علي بو ملح، نشر مكتبة الهلال، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ .

٢٨٧. مقاييس اللغة: ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، طبعة مكتب الإعلام الإسلامي، قم - إيران، (د.ط.)، ١٤٠٤ هـ .

٢٨٨. المكرر ما تواتر من القراءات السبع وتحرر: النّشار: سراج الدّين أبو حفص عمر بن قاسم الأنصاري (ت٩٣٨هـ)، تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ .

٢٨٩. الملل والنحل: الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر (ت٥٤٨هـ) ، تحقيق: محمد سيد كيلاني، طبعة دار المعرفة، بيروت - لبنان، (د.ط.)، (د.ت) .

٢٩٠. من لا يحضره الفقيه: الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ)، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران، الطبعة الثاني، ١٤٠٤ هـ .

٢٩١. منار الهدى في بيان الوقف والابتداء: الأشموني: أحمد بن عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الشافعي (ت١١٠٠هـ)، تحقيق: عبد الرحيم الطرهوني، نشر دار الحديث، القاهرة - مصر، (د.ط.)، ١٤٢٩ هـ .

٢٩٢. مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب: رشيد الدين أبي عبد الله محمد بن علي المازندراني (ت٥٨٨هـ)، مطبعة الحيدرية، النجف الأشرف - العراق، (د.ط.)، ١٣٧٦ هـ .

٢٩٣. مناقب علي بن أبي طالب ع: ابن المغازلي: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن الطيب الجلابي (ت٤٨٣هـ)، تحقيق: أبو عبد الرحمن تركي بن عبد الله الوادعي، نشر دار الآثار، صنعاء - اليمن، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ .

٢٩٤. المنتخب من تفسير القرآن والنكت المستخرجة من كتاب التبيان: ابن إدريس الحلبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت٥٩٨هـ)، تحقيق: مهدي الرجائي، مطبعة سيد الشهداء عليه السلام، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ .



٢٩٥. منتهى المطلب في تحقيق المذهب: العلامة الحلي: الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر(ت٧٢٦هـ)، تحقيق: قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلامية، نشر مجمع البحوث الإسلامية، مشهد - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ .

٢٩٦. مهج الدعوات ومنهج العبادات: ابن طاووس: أبو القاسم رضي الدين علي بن موسى بن محمد(ت٦٦٤هـ)، نشر دار الذخائر، قم - إيران، (د.ط)، ١٤١١هـ .

٢٩٧. المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم: الأمدي: أبو القاسم الحسن بن بشر(ت٣٧٠هـ)، تحقيق: ف. كرنكو، نشر دار الجيل، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ .

٢٩٨. المؤتلف والمختلف: الدارقطني: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد البغدادي(ت٣٨٥هـ)، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ .

٢٩٩. موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة: تأليف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، إشراف: محمود حمدي زقزوق، القاهرة - مصر، ١٤٢١هـ .

٣٠٠. موسوعة طبقات الفقهاء: اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق(ع)، إشراف: جعفر السبحاني، نشر مؤسسة الإمام الصادق(ع)، مطبعة اعتماد، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ .

٣٠١. نقد الرجال: النقرشي: مصطفى بن الحسين الحسيني(ت١١١هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، مطبعة ستارة، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ .

٣٠٢. نقش عوامل طبيعي بر توسعه وروكود شهر قزوین: بايخت دوره صفوي، نصر الله بور محدي، رقيه فراهاني، مجلة انجمن ايراني تاريخ، السنة الثالثة، العدد ١٢، ١٤٣٥هـ .

٣٠٣. النكت الاعتقادية: المفيد: أبو عبد الله محمد بن محمد النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: رضا المختاري، نشر دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ .
٣٠٤. النكت والعيون (تفسير الماوردي): الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد البصري البغدادي (ت ٤٥٠هـ)، تحقق: ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (د.ط)، (د.ت).
٣٠٥. نهاية الأرب في فنون الأدب: النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب القرشي (ت ٧٣٣هـ)، نشر دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ .
٣٠٦. نهاية الدراية: حسن الصدر (ت ١٣٥٤هـ)، تحقيق: ماجد الغرباوي، مطبعة اعتماد، قم - إيران، (ت.ط)، (د.ت) .
٣٠٧. نهاية المرام في علم الكلام: العلامة الحلي: أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي (ت ٧٢٦هـ)، تحقيق: فاضل العرفان، مطبعة اعتماد، نشر مؤسسة الإمام الصادق، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ .
٣٠٨. النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير: مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، نشر مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر، قم - إيران، الطبعة الرابعة، ١٤٠٨ هـ.
٣٠٩. نهج البلاغة: خطب لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، تحقيق وشرح: محمد عبده، مطبعة النهضة، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ.
٣١٠. نور البراهين (أنيس الوحيد في شرح التوحيد): نعمة الله الجزائري: عبد الله بن محمد بن حسين (ت ١١١٢هـ)، تحقيق: مهدي الرجائي، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ .

٣١١. هداية الأمة إلى أحكام الأئمة (ع): الحر العاملي: محمد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ)، نشر مجمع البحوث الإسلامية، مشهد - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ .

٣١٢. الوافي بالوفيات: الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، نشر دار إحياء التراث، بيروت - لبنان، (د.ط)، ١٤٢٠ هـ .

٣١٣. الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع: عبد الفتاح القاضي: عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد (ت ١٤٠٣هـ)، نشر: مكتبة السوادي للتوزيع، جدة - السعودية، الطبعة الرابعة، ١٤١٢ هـ .

٣١٤. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: الحر العاملي: محمد بن الحسن بن علي بن الحسين (ت ١١٠٤هـ)، تحقيق: محمد الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، (د.ط)، (د.ت).

٣١٥. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد الإربلي، (ت ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، نشر، دار صادر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، (د.ت).

### المواقع الإلكترونية:

١. شبكة الإمام الرضا، قزوين العالم الإسلامي المدن الإسلامية، مدن شهيرة:  
Imam reza Yhttp://www. Imam .reza.net

٢. شبكة الدفاع عن السنة:

<https://www.dd->

[https://www.dd-  
?&page=١٨٥٥٠٥sunnah.net/forum/showthread.php?t=](https://www.dd-?&page=١٨٥٥٠٥sunnah.net/forum/showthread.php?t=)

٣. موقع فيصل نور:

#٢٢٦٣٦https://www.fnoor.com/main/articles.aspx?article\_no=  
google\_vignett

## Abstract

---

discussing them in response to them, such as Al-Zamakhshari and Al-Baydawi, discussing them, concluding with what he saw as correct based on evidence and evidence.

**3** -Tafsir Nour al-Tawfiq and Kashf al- altadqiq occupied the forefront in terms of combining approaches and departing from the unilateral tendency that dominated the period in which it was written. It in itself is considered a difficult matter, especially in light of that era, which witnessed divergent approaches at all levels in explaining interpretation, doctrine, jurisprudence, and Sharia in general .

of expression. The beauty of the presentation, and the self's acceptance of what the author proposed, all of these reasons had a profound impact on me because his propositions and the importance of the topic were confirmed to him.

This interpretation became the focus of research, and its plan was divided into two parts, one of which was for study, which included three chapters preceded by an introduction to its content. The first was described in the author's biography. Then we devoted a second chapter to studying (Qur'anic investigations in interpretation), then came the turn of the third chapter, which was full of doctrinal, religious, linguistic, and literary topics. Grammatically and narratively, he was abundant in explaining these topics.

Then he concluded by mentioning the most important results that the researcher reached in this study.

As for the second section, it was concerned with the investigation. It began with a description of the manuscript in its approved version, followed by an explanation of the investigation methodology, then an explanation of the symbols and abbreviations that appeared in the manuscript, with a display of some pictures from the pages of the manuscript, leading to the verified text, then a list of the sources and references that were relied upon in the two sections of the study. And investigation.

The study of the manuscript yielded several results, including:

**1** - It became clear from the follow-up to Al-Qazwini's methodology that he relied on the approach of interpreting the Qur'an with the Qur'an, by referring and linking verses to each other, as well as relying on the Qur'anic context in inferring to explain the meanings of some Qur'anic verses, extracting the meaning of the verses to be interpreted within an internal Qur'anic scope from the Qur'an and to the Qur'an.

**2** - During the interpretation, Al-Qazwini was exposed to the opinions of scholars on doctrinal or interpretive issues, and he devoted sections to

### Abstract

The interpretive efforts of our scholars have reached us hidden within the folds of skin, so it was necessary for our generation to achieve investigative conquests that bring what is hidden to light, so that the investigated text approaches the current moment of reading, and does not remain trapped in the moment in which it was formed and the environment, understanding and interpretation that surrounds it.

No matter how many and varied the studies on the Holy Qur'an are, you will not be able to comprehend the sciences and knowledge contained in it, which since its revelation have constituted fertile material for many scholars, from which each one of them draws from it according to his horizon of knowledge, his sincerity, the challenges of his generation, and the problems that were imposed on his reality. Among those who were exposed to this is Mullah Mohsen. Al-Qazwini in his interpretation (Light of Conciliation and Revealing of Verification), which he came armed with with what would allow him to delve into interpretation, starting with devotion to this noble book and belief in it and its holiness, and ending with the necessity of having the tools that enable him to enter into its horizons, such as knowledge of the sciences of the Qur'an, the sciences of hadith, language, and others.

My attempt is nothing but a sincere expression of reviving the legacy that we inherited from our distinguished scholars (may God have mercy on them). Their manuscripts in this regard are appreciated in order to follow up on the effort they have given us that demonstrates their sincere connection to their great faith and religion. Therefore, it was decided to choose the manuscript entitled (Nour al-Tawfiq and Kashf al- altadqiq) by Mullah Muhsin al-Qazwini to be the subject of this study.

Given that the information was available to me and the distinguished effort to produce this manuscript was firmly established in my mind, which in turn revealed its great scientific importance, the overwhelming desire to serve the dear book pushed me through the distinguished efforts of this man. I finally achieved my goal of serving the Great Qur'an, in addition to the splendor of the performance and the eloquence



Republic of Iraq  
Ministry of Higher Education and Scientific Research  
University of Kerbala College of Islamic Sciences  
Department of Quranic Studies and Jurisprudence

**Nur altawfiq wakashf altadqiq**  
**For Mullah muhsin bin mohammed bin tahir alqazwini (t 1 1 5 0 ha)**  
**From the beginning of Surah Al Imran to the end of verse( 1 0 3 )**  
**study and investigation**

A thesis submitted to the Council of the College of Islamic Sciences/University of Kerbala, which is part of the requirements for obtaining a doctorate degree in Philosophy of Sharia and Islamic Sciences

Written by a student  
**Raeed Khudhair Mohammed**

Supervisor  
**Prof. Dr Iqbal wafi najm**

**1 4 4 6 AH**

**2 0 2 4 AD**